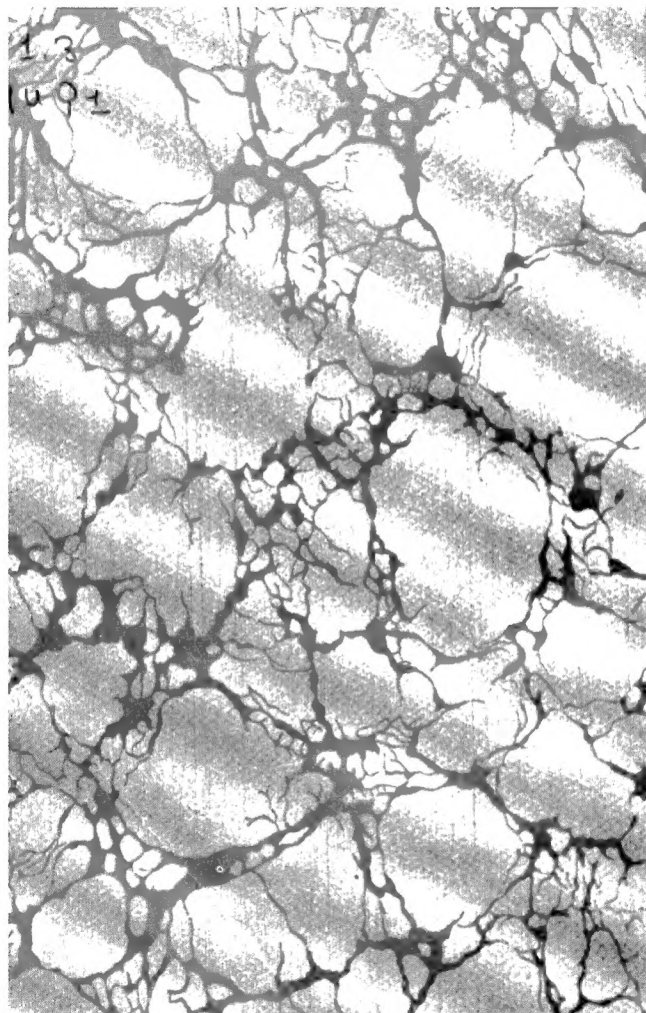


بیروت - هاتف ۲۲۷۹۸







# المقابر

مناهج أدبية تليمة اجتماعية

نصير سبكي - و نوري بدوي

— — — — —

لنشرها

محمد كرد علي

— — — — —

المجلد الرابع

١٣٢٧ — ١٩٠٩

— — — — —

قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف

وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكا

طبع بمطبعة القنصل بدمشق



# بسم الله الرحمن الرحيم

## سنتنا الرابعة

يفتح المقيس عامه الرابع بحمد الله جل ثناؤه والشكر على ما وفق اليه من نشر الحقائق التي يهديه اليها البحث والدرس لاجل الدعوة التي طالما دعا اليها مجلداً وسلاماً من ان مقصده نبث دفائن المدينة العربية وبث خزان الحضارة العربية مع ما ينبغي لذلك من النظر في تاريخها وتاريخ العربين وآدابها وآدابهم ومناحيها ومناحيهم واعمالهم ناعياً على الجامدين على القديم اذ الاله ناصر عليه وحده هو العقم بعينه داعياً الى قول الغسروي من الحديث لان القديم وحده بلي ولا حديث لمن لا قديم له ومن لم يحرس على جديده فهو اقرب الى الزهد كل حين بقديمه

ندعو الى الاخذ بمعارف العربيين لان ما اصاب هذا الشرق من ضعف العقول والممالك نشأ عن انصراف القلوب عن الاهتداء بهديهم ونهج سبيلهم على ما دياتهم ومعنوياتهم والوقوف عند حد ما رسمه المخرفون والمخرفون فصدونا عن سبيل الارتفاع بالماضي وبال حاضر وحرموا بالعصب العقوت ما لم يحرمه عقل ولا نقل وسدوا الآذان عن سماع داعي المدينة وغضوا الابصار عن النظر في بدائع العلم والصناعة

وان المقيس ليغتبط ان يوم بصدوره ن شفاف يردى بعد ان انتشر على صفات النيل ثلاث سنين ولئن كانت يردى بعض جداول النيل وترعه فان الملك بعض دم الغزال ولئن قدر لمصر اليوم ان تسبق الشام في قوتها الادبية والعلمية فليس ذلك من الجديد لما عرف به قديمها وان كان وادي النيل افسح واصعب فوادي جاني انجيهاه اثر واعشب والسر في السكان لا في المكان فعمى ان لا تكون رض الشام اقل استمداً لقطف ثمرات العلوم والمعارف وان يظل موازرونا على اتخاف هذه الحلقة بتأنيج عقولهم فلا تعظم فائدة العمل اذا استقل به الفكر الواحد ولا تنوع بفرد افئنين الفنون والآداب ونسأله تعالى تسديدنا وهدايتنا

## الشام والحرية<sup>(١)</sup>

سأدلي الفضلاء

احمد اليكم الله الذي آخى بينكم بجمعكم في صعيد واحد بعد ان كانت كلتكم متفرقة واشكره تعالى اذ جعل لي لساناً ناطقاً بفي هذه الدار الكريمة المشرقة بانواركم المتألفة والقدم اليكم بالثناء الصادر من جميع القواد على تنازلكم باجاءكم على طلب مقولة مني في هذا المقام وقد سمعت كلام فهرت من مصر الى الشام ولكنني اظن ان الله كتب علي الكلام حتى يوم الحمام فليس لي من مقر والسلام

بيد اني اسألكم الصفح يا نجوم الفجاء عما تجدونه في محاورتي لكم من التقصير فعذري ظاهر وانتم انتم الكرام

لعل هذه تكون اول محاضرة في ربوع هذه الحاضرة بعد ان هبت عليها نسيم الحرية العاطرة وقد طال عليها الاستعباد والحرية خلق شريف يجار بسلطانها الانسان بما يريد ما دام داخل في حدوده المرسومة له ولا يتعدى دائرة غيره فلذلك اردت ان اتكلم عن شيء من حضارات الاسلام التي توطدت دعائمها في دمشق الشام وفي دار السلام وفي القاهرة الفاضية وفي قرطبة الاموية . فلا جدادكم في هذه الحضارة الباهرة فضلان بدمشق وبقرطبة وانتم البقية الصالحة لهؤلاء الاسلاف الاشراف والامل معقود بكم ان تقتلدوا بهم وتزبدوا عليهم كما هي سنة الترقى وكما هو شعار الاتحاد .

<sup>(١)</sup> هذه محاضرة انقأها احمد زكي بك من علماء القاهرة في دار صاحب المقنن بدمشق ليل ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٦ بحضور جمهور كبير من اهل العلم والادب والقضاء والوجاهة

فلم يبق لكم عذر بعد اليوم في وضع دعائم انفضة الحديدية بدياركم الشبيهة  
الزهراء وقد كنت فيكم تلك البدرة الصالحة على ما شاهدته بعيني وخبرتي  
بنفسي

الا ترون من الفضول ايها الفضلاء ان يقوم فيكم نزول من التواضع  
ويناجيكم بما انتم اهل به بلا مراة . لعمرى هذا متعنى الفضول من التواضع  
بينكم وهو ضعيف وصوته اضعف لانه يتكلم امام مائة الف اذ يعتقد ان  
واحد منكم بالف . فانت ان لم يكن لكم عذر بعد اليوم في النهوض بآدابكم  
وبلادكم في الف عذري في هذا المقام وانتم انتم الكرام . خصوصاً اذا  
اعترفت لكم بانني من الطائفة الثالثة التي اشار اليها الخليل بن احمد في قوله  
ان اربعة رجال يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل  
يدري ولا يدري انه يدري فذلك غافل فنبهوه ورجل لا يدري ويدري  
انه لا يدري فذلك جاهل فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري  
فذلك مائت فاحذروه . لا اريد الافتخار بقولي لا ادري لاني لا  
ارضى بذلك المذهب الذي يزعم اصحابه ان من قال لا ادري فقد درى  
نصف العلم وانما ارضي مذهب ابراهيم بن طهمان الخراساني فانه وللبهارة  
ونشأ ببغداد ورجل في طلب العلم ونال منه قسطاً وافراً حتى كان له ببغداد  
جراية فاخرة من بيت المال فمثل يوماني مجلس الخليفة فقال لا ادري  
فقالوا تأخذ في كل يوم كذا وكذا ولا تحسن مسألة فقال انما اخذت على  
ما احسن ولو اخذت على ما لا احسن لفتني بيت المال ولا يفنى ما لا ادري .

فاجاب امير المؤمنين جوابه وامر له بمجازاة فاخرة وزاد في جراته  
فلذلك ارى في اجماعكم على اراحي بما غرتكم على ما انا فيه من تشب

البال بالاسفار والحنين الى الديار انكم انما قصدتم ان تبتجعوا القائمين بالعمل على احياء حضارة الاسلام وشد أزركم الطالبين للعلم فذلك امثلت امركم لتلاخرق الاجماع وثلاثا اكون شاذاً عن رأي الجماعة وتمثلت بما قاله الخليل ايضاً فقد قال ثلاثة تيسر المصائب: ممر الليالي والمرأة الحسناء ومحادثة الرجال . فقد جئت لاحادثكم واستفيد منكم فاردتموني على الخطابة بينكم فكان مثلي معكم كن يحمل الصدف الى عمان ولا اقول الدرر او كن يحمل العريض من علوم الشرق الى اهل دمشق ولا اقول الجوهر

سادتي الكرام

مصر والشام توأمان ربطتهما الطبيعة والاخلاق قبل الاسلام وبعد الاسلام بغروة وثقى ليس لها انفصام فلا عجب اذا كانت كل منهما تحن للآخرى وتشاركها بعاطفة الود والقرى فيما يحل بها من سعد ورخاء او ما ينزل عليها من تحس وشقاء لهذا تروني يا ابناء الاكرمين لا استعرب منكم هذا الحنين لرجل من ابناء النيل اتاحت له الايام ان يحل بركابه في ارض الشام وقد كان آلى على نفسه ان لا يضع قدماً في ارض سورية ولا في غيرها من ارجاء السلطنة لما لاقاه من صنوف الحيف حينما غرر بنفسه في احد فصول الصيف فولى وجهه شطر قبة الاسلام منذ بضعة اعوام .

اما الآن وقد تفككت قيود الاستعباد ودالت دولة الاستبداد وزالت سلطة الفرد وقامت شورى الامة على اساس ثابت كالجبال الرواسي واعني به القانون الاساسي فاشرق نور الدستور على الجمهور فقد انفك عنه قسمه وصار في حل من العهد الذي اخذه على نفسه فلم يتالك من الشخص في اول فرصة الى تلك الربوع التي خفقت عليها رايات الحرية في صدر الاسلام ففرحت

تمت ظلالتها ونالت بها اقصى آمالها وثرت ثمراتها في الشرق ثم ارسلت  
فروع هذه الشجرة الزاكية النامية الى ما وراء البر فصادت خير من يس  
في رياض الاندلس فان الحرية الاسلامية اinct لأول مرة في النجاء  
فتارجت باريجها الارجاء وانبثت حضارة الاسلام في ارض جلق فازت بها  
المغرب كما اخنل بها المشرق

امازت دولة العرب القائمة في دمشق على عهد معاوية ومن ثلثي  
صولجانه بنعمة الحرية التامة حتى كانت هذا البقعة المباركة عروس الدنيا وقارة  
المجد وكهف الشرف وشرق سناها على الدنيا من ادناها الى اقصاها  
غير ان الانسان جبل على الاندفاع مع التيار وعدم الوقوف عند الحدود  
فلم تلبث هذه الحرية ان اقلبت الى الاباحة فصار الناس فوضى وكان رؤوس  
الدولة اول من ارف في الاساءة الى الحرية فتابعتم الامة والناس على  
دين ملوكهم فانهار هذا الملك العظيم وغاضت عيون الحضارة في دمشق  
التي زردان على الدهر بميونها الفياضة .

لذلك اناشدكم الله ان تنعموا الحرية التي عادت الى ربوعكم في هذا  
العهد السعيد فحافظوا عليها ولا تفرطوا في العناية بها حتى لا تعود الى  
الذبول فكفانكم ما حاق بكم من الخمول بسبب الانحراف عن صراطها  
المستقيم وهذه نصيحة خالصة امحضكم اياها يا وجوه العرب لثلا تقصيع منكم  
الحرية بتجاوز الحدود الذي يجعلها اباحة فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .  
وكفانكم كفانكم موعظة ما قاله مروان آخر الامويين حينما ضاع ملكه  
في الشام وفر الى واديه النيل فالتجأ هو واهله وشيعته الى كنيسة في  
قرية بوسير من صعيد مصر فلقته المسودة اي جنود بني العباس وشعارهم



السواد وكانوا في نفر قليل جداً بحيث كان من اسهل الامور على مروان ومن معه ان ييدهم عن آخرهم لو لا ان دولته كانت في ادبار ودولتهم في اقبال فلم يملوه حتى يطالع النهار فلجأوا الى شجر ونخل ثم ناولوه القنال فخرج اليهم وهو يقول : كانت لله علينا حقوق فضيعناها ولم تقم بما يلزمنا فلهذا ثم انتقم منا . ثم فكر في كثرة جيوشه بالشام فقال : اذا اقتضت المدة لم تنفع العدة . وذلك انه كان عند ما استنفل امر بني العباس استعرض جيوشه بالزفة فر به من العرب وحدهم ثمانون الف فارس على ثمانين الف فرس عربي . ثم احتزوا رأسه واخرجوا اكبر بناته من الكيسة وهي تترعد فقيل لها لا بأس عليك فقالت اي بأس اعظم من اخراجي حاسرة من حيث لم ار رجلا قط . ثم اجلسوها ووضعوا الرأس في حجرها . فصرخت واضطربت . فقيل لم ما حكمكم على هذا . قالوا كفعلهم يزيد بن علي حين قتلوه فانهم جعلوا رأسه في حجر زينب بنت علي ( صاحبة المقام المشهور في القاهرة ) ثم ارسلوا الرأس الى مدينتكم هذه فنصب على باب المسجد الاموي ثم بشوا به الى الكوفة فخر السفاح ساجداً لله وتصدق بشرة آلاف دينار

هذا الذي قاله مروان شبيه بمقولة هرقل حينما جاء اهل الاسلام واجلوا الاروام عن بلاد الشام . ركب البحر وهو ينظر الى الشام ويقول الوداع يا سوريا سلام عليك يا سوريا . ويشبه ايضا قول ام اي عبد الله آخر سلاطين بني الاحمر بفرناط حينما اجلاه الاسبينول عن تلك البقية الباقية للعرب في ديار الاندلس . فانه بعد ان سلم البلاد الى فرديند وايزابلا وخرج في حاشيته واهل بيته . اعاد نظرات كلها حشرات وارسل رائدا الطرف بزيد الاسف وهو يتلف على الحراء فتهاطلت دموعه على خديه فقالت له امه :

أبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحفظ عليه مثل الرجال  
ان الذكري تنفع المؤمنين لذلك اردت ان اسرد عليكم هذا الخبر  
الذي كان فيه ضياع الملك من دمشق ونزولها عن درجتها السامية التي  
لم تعد لها الى الآن لثلاث يتجاوز الناس حدود الحرية وقد اشرقت عليهم وعانت  
في هذا العهد النوراني المجيد فيقموا في شرايعهم كما وقع الاولون والعاقبة  
من اذا مرت به العبرة ازدرجوا قيلت له الموعظة اذكر .

فلقد بلغ ملك بني امية ما بين قرني الشمس ثم زال لانهم اساءوا الى  
الحرية التي نشروا اعلامها ورفعوا منارها حتى بلغت دولتهم من المجد اعلا  
ذراء فتقرب اليهم ملك الروم بارسال مائة عامل من مهرة الصنائع وارسل  
اليه مائة الف مثقال من الذهب الاحمر وباربعين حملاً من الآلات  
حينما اراد الوليد تجديد الروضة الشريفة والزيادة فيها فبعث بهم الى واليه  
عمر بن عبد العزيز فاستخدمهم وانتم تعلمون ورع عمر بن عبد العزيز  
الذي لا يشبهه ورع مع ما تعلمون من شدة الخلف بين العرب والروم على  
امتلاك آسيا الصغرى التي كانت بين الفريقين حاجزاً حصيناً يرد العرب  
عن امتلاك فروق وهي كانت ولا تزال مطلع الانظار .

ومما يدل على بلوغ الحرية في دمشق نهايتها دون ان يتجاوز حدودها ان  
معاوية كان يمد الاسمطة للعامة ويؤاكلهم وان الوليد بن عبد الملك بنى في  
مدينتكم دار الضيافة العامة وهو اول من فعل ذلك في الاسلام وذلك  
للتجيب الى الرعية بمخالطتها وتعرف احوالها وكان الخلفاء يسألونهم في العلم  
والسياسة بهذه الوسيلة وها هو التاريخ وها هي كتب الادب تخبرنا بكثير  
من الاصلاحات التي حدثت بهذه الوسيلة الشريفة التي كانت تربط الامة

بالخليفة وسرت من الامويين الى العباسيين فكان الرشيد يجالس الناس على المائدة فكانت حكومة المسلمين في الصدر الاول وفي ايام السلف الصالح اشبه شيء بالحكومة الديمقراطية اسي حكومة الامة بالامة كما هو الحاصل الآن في دولتنا العثمانية فلم يكن فيها من القاب الشرف ولا رتب الفخار بل كان الناس كلهم سواء فلا ترى ولا تعرف الا فلانا ابن فلان ولا يكون التعظيم الا بالكنية وهي من المفاخر التي استأثر بها العرب دون سائر الامم الى هذا الزمان فكانوا يقولون ابو فلان فان لم يكن له ولد قيل ابو فلان باسم ابيه هكذا كان الناس في ايام بني امية مهمابلفت درجاتهم وعلمت مناصبهم كما هو الشأن الآن في بلاد الاميركان التي هي بلاد الحرية الحقيقية باكل معانيها فليس منهم الا مستر فلان حتى رئيس الجمهورية فنازل من الوزراء الى كل ارباب الوظائف الى عامة الناس وكذلك الحال في بلاد سويسرة التي تتفجر منها ينابيع الحرية الصحيحة في اوربا فلا يمتاز فيها ولا في افيركا رجل باي لقب اللهم الا باللقب الذي يطابق رتبته في العسكرية فقط . فاما اول من تاقب من الخلفاء فهو عبدالله ابو جعفر وقد غلب لقبه حتى انني لو اكتفيت بهذه الاشارة عنه لما عرف من هو الا الاقلون واما اذ ذكرت لكم اللقب الذي اشتهر لرفتموه لانه اصبح له علما في التاريخ وهو المنصور ثاني الخلفاء من بني العباس ثم تغفلت الدول الاسلامية في الانقلاب فكثرت وتنوعت وتعددت حتى صرنا الى ماترونه الآن فصار الجوهر نقشاء اعراض براقه خلافة ضفطت عليه وطمست معالمه حتى كاد يضيع ان لم يقل ضاع فصرنا ولنا الانقلاب نتهافت عليها ونتطلبها من سبيل الحرام اكثر مما نتعلمها من سبيل الحلال بل اصبحنا وعدم الانقلاب

هو اللقب فيا حبذا الرجل منا الذي يشابه الحرف عند النحاة فيكون له العلامة له هو العلامة .

اما وقد تنبهننا من رقدتنا واخذنا ناسبب الرجوع الى الحياة .  
الى محو الرتب والقاتها كاتب مجيد في جريدة "شوراي ام" بالتركية في عاصمة الامبراطورية العثمانية فاستيحكم ان افول في هذا الموضوع :

فقد جاء الوقت الذي نجاهر فيه بضائرنا وامياتنا ونقول الحق .  
به فقد كان هذا العاجز يقول لكثير من اصدقائه في مصر انني والله احس ان اتخلي عن هذا اللقب الذي نالته بمجدي واجتهادي ولطالما جاعدت بالتأفف منه لا استكفافاً منه لانني اراه فوق قدرسي ولكن استكفافاً لكثيرين ممن حازوه او حازوا اعلانه وهم انما شروه بفصل الدراع لوي بعض المساعي المحمودة . كثيرين من اصدقائي وهم احياء يزرعون يشهدون لي بانني طالما تمسيت على الله ان يزول عني هذا اللقب لا بالتجريد فانه مشين ولكن بالتسليم فانه شريف بحيث ارجع الى اسمي احمد افندي او احمد بن ابراهيم او ابو ابراهيم احمد زكي فأتكني باسم والدي اذ قد جعلني الله في نعمة وافية من عدم الحصول على خلف لي ولكن الآن يجب ان نشير في محو الالقاب بطريقة معقولة مقبولة فلا نلغيها مرة واحدة من الحاصلين عليها لانهم ربما لا يرضيهم ذلك وهم ان لم يعبروا عن عدم رضاهم جهراً فربما يكون فيهم كثيرين لا يرضون به سرّاً ونحن في عصر الحرية ينبغي ان نحترم ارادة كل انسان وان لا يفتات البعض على البعض ولو في الالقاب . واحسن وسيلة هي ان لانسلك في هذا الموضوع شططاً بل نسير فيه سيراً

وسعاً وذلك في رأيي هو تخيير اصحاب الانقلاب في التنازل عنها فمن رضي فيها ونعمت ولا ريب ان الاكثرين يرضون التجرد من هذه الانقلاب التي قد ترهقهم عسراً اما الذين يريدون حفظها فامرهم اليهم . ولكن الدولة تقرر انها من الآن فصاعداً تلغي الرتب فلا القاب عندها منذ اليوم بحيث لا يأتي زمن طويل حتى تنقرض الانقلاب ويبقى الناس كلهم افندي اوسيد اوخواجه او شيخ او ابو فلان وتسبح الامة كلها سواء تحت هلال الدستور لا يتميز بعضهم على بعض الا بالعمل النافع للجموع فتكون الامة كلها راقية لان كل فرد يتطلب النبوغ ويسعى الي التفوق بكمه وجده وحسبنا ذلك فخاراً .

بهذه الوسيلة يزداد نوايا اهل الفضل في هذه البلاد فيكون لاهل العلم والعمل دلال على ارباب الدولة كما كان لامثالهم في ايام عز الاسلام فان الخليل بن احمد الذي ذكرته في صدر هذه المحاضرة كتب اليه سليمان بن علي الهاشمي يستدعيه لتعليم ولده بالنهار ومناذمته بالليل وبعث اليه بالف دينار ليستعين بها على حاله فاخرج للرسول زنبيلاً فيه كسربالية وقال : اني مادمت اجد هذه الكسر غني عنه وعن غيره ورد الالف دينار على الرسول وقال اقرأ على الامين السلام وقل له اني قد الفت قوماً والفوقي اجانسهم طول نهاري وبعض ليلى وقبح مثلي ان يقطع عادة عودها اخواته والي غني عنه وعن غيره ويكتب اليه بهذه الايات .

ابن سليمان اني غني في نعمة وفي غني غير الي لست ذا مال  
وان بين الغنى والفقر منزلة معروفة بمجديد ليس بالبلل  
سما بنفسي الي لا ارى احداً يموت هزلاً ولا يني على حال

والفقر بالنفس لا بالمال تعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال  
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتمل  
والخليل هذا كان يقسم الايام الى ثلاثة : معهود ومشهود وموعود ..  
وكان دائماً يتمثل بقوله :

يكفيك من دهرك هذا القوت ما أكثر القوت لمن يموت  
ولم ينفرد الخليل بهذه المزية الفاخرة في التكبر والدلال على اهل  
الدولة وارباب المال فامثاله كثيرون اذكر منهم من يحضرنى ذكره في هذا  
المقام فمنهم حماد بن ابي سلة دخل عليه مقاتل بن صالح الخراساني فاذا ليس  
في البيت الا حصير وهو جالس عليه ويده مصحف يقرأ فيه وبجانبه  
حزازيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها . قال مقاتل فينا انا عنده جالساً دق  
داق الباب فقال : يا صبية اخرجي فانظري من هذا قالت : رسول محمد بن  
سليمان قال قولي له يدخل وحده فدخل فناوله كتاباً فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن سليمان الى حماد بن ابي سلة اما بعد فصبحك الله بما صبح به  
اوليائه واهل طاعته وقعت مسألة فاننا نسألك عنها والسلام .  
فقال يا صبية : هلي بالدواة . ثم قال لي اقلب الكتاب واكتب : اما  
بعد ولنت صبحك الله بما صبح به اوليائه واهل طاعته . انا ادركنا العلماء  
وهم لا يأتون احداً فان كانت وقعت مسألة فأتنا وسلمنا عما بدالك وان  
اتيتني فلا تأتني الا وجدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا انصحك ولا  
انصح نفسي والسلام .

فيما انا عنده اذ دق داق الباب فقال : يا صبية اخرجي انظري من

هذا قالت : محمد بن سليمان قال : قولي له ليدخل وحده فدخل فسلم ثم جلس بين يديه . فقال مالي اذا نظرت اليك امتلأت رهبا قال : سمعت عن ثابت النسائي عن مالك ان رسول الله قال : ان العالم اذا اراد وجه الله هابه كل شيء فاذا اراد ان يكثر الكنوز هاب كل شيء . فقال اربعون الف درهم تأخذها تستعين بها على ما انت عليه قال ارددها على من ظلمته قال : والله ما اعطيك الا ما ورثته قال : لا حاجة لي فيها ازوها عني زوى الله عنك اوزارك قال فتقسمها قال فاعلم ان عدلت ان يقول بعض من ! يرزق منها ! يعدل ازوها عني زوى الله عنك اوزارك .

هذه السنة الصالحة انتشرت بين تلماء المشرق فازدانت به الاممة وكان لها شأن كبير لانهم كانوا يطلبون العلم العلم وقد انتشرت هذه السنة الحميدة في عامة امصار الشرق وشماعت ايضا في بلاد الاندلس حتى في اباء فقهاءها . فقد الفاحد العلماء الاندلسيين كتاباً في اللغة فباع ذلك مجاهداً العامري صاحب الجزائر جزائر ميورقة ومنورقة المعروفة الآن بجزائر البليارد فوجه للعالم بالف دينار وبكسوة وخلعة وتحف كثيرة وطالب منه ان يتكرم بوضع اسمه في صدر الكتاب وانه الفه برسمه . فرد المال وهو في حاجة الى اقله وقال : كتاب صنفته لله ولنفع الناس لا افرده لواحد منهم .

ويقرب من هذا مالك بن دينار فانه ترفع عن الملوك ونصح اللصوص . دخل اللصوص داره فلم يجدوا شيئاً يسرقونه . ولما هموا بالخروج قال لهم ماذا عليكم لو صليتم ركعتين فتابوا وتتابوا وقد كانت لهذه السجدة في مصر شأن كبير فلا احد منكم الا بمجادنة رحمة من هذا القبيل . فانتم تعلمون من هو شيخ الاسلام زكريا الانصاري فقد كان اهل الدولة يتسابقون اليه



ويقبلون عليه وهو عنهم معرض ايما اعراض . مع انه كان يقتات بقشور  
الطبخ الملقاة في الطريق ولا يكفيه النهار المدرس وليس لديه شيء من  
الدنيا يقتني به مصباحاً لنفسه فكان يأخذ الكرايس ويدرس بل نشوء  
القناديل المعلقة على ابواب البيوت .

وامثال شيخ الاسلام كثيرون في مصر وغير مصر يعملون بالعلم  
وربما كان في ايرادها ما يدعو الى الملل والسأم غير اني استمعيكم الآن في  
ذكر نادرين واقول نادرين لانه بعد ذلك السلف قد خلف من بعدهم  
خلف فصار شتم العلماء وترفعهم بعلمهم في هذا الزمان الاخير كالكبريت  
الاحمر بل هو اندر .

فالاولى نقضي على صلة الرحم ان اغتتم هذه الفرصة لاداعتها واست  
اخشى تكذيباً لها لان الذين رأوها او علموا بها علم اليقين لا يزالون احياء  
يرزقون وهم في مصر كثيرون . وذلك ان جدي لامي الشيخ ابراهيم سويدان  
حضر اليه برشيد والي مصر عباس الاول وقد انتهى اليه علمه وصلاحه  
وزدهه وانعطافه على المساكين فاعطاه مالا كثيراً فلم يرض فالح عليه وقال  
له اهل البطانة خذ هذا المال فانه لال وعمر يساعدك على نفع المساكين  
فامتل بشرط ان يضع الامير المال في كفه فرضي الوالي واخذ جدي المال  
فطاف به في الاسواق يفرقه بواسطة غلامه على هذا وذلك حتى فرغ المال  
كله ثم ذهب الى النبل فضل هذا الكم الذي لامسته دراهم الوالي .

واما الثانية فهي معلومة لكم جميعاً وهي واقعة بينكم هنا وبيننا في مصر .  
ذلك استاذ الشام على الاطلاق العلامة الشيخ طاهر الجزائري فهو يقيم بين  
طمرية العلم الجم والخلق الاشم . انا لا ادري كيف يعيش هذا الرجل في

بلد مثل مصر قد اشتد فيه الغلاء حتى شكاه منه الأغنياء وقد بذلت ما في وسعي كما يعلم الأستاذ كرد علي صاحب المقتبسين وامام المقتبسين ورب هذا البيت الكريم في ان ينال شيئا من الاوقاف الخيرية على ان يكتب عريضة لتدوي الحل والعقد وقد تلطفت معه كثيراً بواسطة رب هذه الدار فلم يرض الى الآن . فاذ اقول عن هذه البقية الصالحة . لا اقول سوى كلمة واحدة تخرج من صميم القواد بحب واخلص فليعش الشيخ طاهر الجزري هذه الحرية وهذا الشتم هما جرثومة من ذاك الماضي المجيد وقد دفنت في عصر الدستور النير ارضاً خصيبة فلعلها تتأصل في نفوسنا ونفوس الناشئين ليكون لقومنا ما كان للاسلاف من العز الذي ضرب رواقه في المشرقين وفي المغربين .

هذه الحرية هي التي جمعت الاخلاف من بني امية يحملون انكسار الشديدي والقول المر من العلويين ومن سائر الناس . لو فرضنا ان احتملهم العلويين كان من قبيل المداراة ومن باب المحافظة على الملك فماذا نقول عما سجله التاريخ من معاملتهم للعامة . افليس ابو صخر الشاعر الخزاعي المشهور بكثير عزة هو الذي كان يجاهر بالتشيع لملي وبنه وقد كانوا يسبونهم على المنابر باسم الخلفاء الامويين . افليس هو الذي قام في يوم من الايام فصعد المنبر في بيت الله الحرام واخذ باستار الكعبة وقال :

لئن الله من يسب علياً وبنه من سوقه وامام  
أيسب المطهرون اصولاً والكرام الاخوال والاعمام  
يأمن الطير والحمام ولا يأمن آكل الرسول عند المقام

فانزلوه من المنبر واخذوه ضرباً بالتمال وغيرها فقال :

ان امرأ كانت مساوئه      سب النبي لغير ذي عتب  
وبني ابي حسن ووالدهم      من طاب في الارحام والصلب  
اتروث ذنباً ان احبهم      بل حبهم كفارة الذنب  
ومع انه سب الامام جهاراً وفي الكعبة وضربه القوم خوفاً من اخلافة  
فقد دعاه عبد الملك ليستوزره ثم ازدراه لدمامته وقال تسمع بالعبيدي خسر  
من ان تراه فقال كثير : مهلاً يا امير المؤمنين فانما الرجل باصفريه قلبه مولد  
فان نطق نطق بيان وان قاتل قاتل بجنان ثم انشد :

وجربت الامور وجربتني      فقد ابدت عريكتي الامور  
وما تخفى الرجال عليّ ايني      بهم لاخو مثابته خير  
تري الرجل الخفيف فتزدريه      وفي الثوابه اسد مزير  
ويحبك الطير فتبتليه      فيخلف ظنك الرجل الطير  
وما عظم الرجال لم يزين      ولكن زينها كرم وخير  
بنات الطير اكثرها فراخاً      وام الصقر مقلادة زور  
لقد عظم البعير بغير لب      فلم يستغن بالعظم البعير  
فيركب ثم يضرب بالمرأوى      فلا عرف لديه ولا نكير

فناشده عبد الملك الاشعار في الاخوان ثم قال : ان كنا اسأنا اللقاء  
فلسنا نسيء الثواء . حاجتك . قال : تزوجني عزة فاراد اهلها على ذلك  
فقالوا : هي بالغ واحق بنفسها فقيل لها فقالت : ابعد ما شبب بي وشهري  
في العرب ما لي الى ذلك سبيل وله لها احسنت في الاتصال والاعتذار  
وتلطف فلم تذكر ان سبب امتناعها هو دمامة خلقه .

وبقي كثير مع تشييعه للطالبين مرغى المقام نافذ الحكمة على خلفاء بني امية

مع انه سيهم ولعنهم في البيت الحرام فان يزيد بن عبد الملك حينما جاؤا اليه  
باسارى بني المهلب امر بضرب اعناقهم وكلفت من حسن حظهم ان لامر  
صدر بحضرة كثير فقام وانشأ يقول :

فغفوا امير المؤمنين وحسبه      فما تحسب من صاحبك يكتب  
اساؤا فان تغفوا فانك قادر      واقتل حلم حبيبك مضرب

هذه الحرية التي اشتهرت بها الدولة الاموية في دمشق هي التي  
جعلت الناس احراراً في اعمالهم وفي اعتقاداتهم فقد كان كثير عدل يقول بالرجعة  
على مذهب المنون ويخالف الملة الاسلامية كما في ذلك كما كان يخالف  
سنة الدولة ويتشيع لعل ولكن الخلفاء عرفوا فضل الحرية فتركوا الناس  
يعتقدون كما يشاؤون ويكتفون منهم بتوحيد الكلمة من جهة السياسة .  
انني ايا السادة ارى الدين لم يخلق الا ليقرّب الخلق من الخالق فلا يمكن  
ولا يجوز ان يكون الدين سبباً في ابتعاد الخلق من المخلوق فالدين لله  
والامة اوطن فليتنا ان نتمسك بمرّة الوطن ليعود لامتنا فخارها السابق  
وتكون لنا منزلة سامية بين الخلائق . وقد بدت علينا علام هذه النعمة  
المباركة فالواجب يقضي بتعديدها وانماها ليكون السلم والمسيحي والاسرائيلي  
اخوة في الوطن فانهم اخوة في الانسانية ايوم آدم والام حواء افكون في  
هذا العصر الزاهر اقل احتمالاً وتسامحاً من اجلائنا الكرام في صدر  
الاسلام فقد وسعت صدورهم اهل الملل والحق ووضعوا ايديهم في ايدي  
بعضهم بعضاً فكان منهم سور منيع لحفظ الدولة وورع راية الوطن .

هذا صدر الدولة العربية قد وسع كثيراً من امثال كثير وقد كان  
يقول بالثناشخ والرجمة ومع تشيعه كان يخالف جمهور اهل الشيعة فكان

مخالفاً لاهل السنة ولاهل الشيعة ومع ذلك كان له في الدولة العباسية ذلك  
المقام الكريم . كان يقول بأمامة محمد بن الحنفية وانه احق من اهل البيت  
الحسين ومن سائر الناس وانه حي مقيم بجبل رضوى لا يموت . وكان يقول  
عن نفسه انه يونس بن متى بمعنى ان روح هذا الذي اتهمه النصارى ذات  
فيه فصار هو هو . واقد سأل يوماً ماذا تقول الناس عنه فقيل نعم ذلك  
الرجال فقال اني لاجد في عيني ضعفاً منذ ايام ( اشارة الى ان الرجال  
اعور كما يقال ) وحينما حضرته الوفاة كان يقول لا تبكوا علي فاني بعد  
اربعةين يوماً ارجع اليكم .

كل هذه الاقاويل لم تمنع الناس عن القول حينما مات هو وعكرمة في  
يوم واحد بعد الظهير : لقد مات افقه الناس واشعر الناس .  
لم يكن كثير وحيداً في القول بالرجعة والتمتع بالخيرية في البايع فقد  
تمسك بمنهجه بعده كثيرون منهم السيد الحميري الشاعر المجيد وهو ابو  
هاشم اسمعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة كان يقول ايضا بأمامة محمد بن  
الحنفية وانه لم يميت بل هو مقيم بجبل رضوى وقال في ذلك

الاقبل للوصي فديتكم نفسي	أطلت بذلك الجبل المقاما
اخر بمعشر والوك منا	وسموك الخليفة والاماما
فعادوا فيك اهل الارض طرا	مقامك فيهم سستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت	ولا ذاق له ارض عظاما
لقد امسى بمورق شعب رضوى	تراجعه الملائكة الكراما
هدانا الله اذ حزتم لامر	به ولديه نلتس التاماما
تمام امامة المهدي حتى	يروا آياتنا نترى نظاما

وكان الحميري يشرب الخمر جهاراً ويقول بالرجعة ليلاً ونهاراً . قال  
 لرجل تعطيني ديناراً بمائة دينار الى الرجعة قال ان وثقت لي بمن  
 يضمن لي انك ترجع انساناً انما اخشى ان ترجع كلباً او خنزيراً فيذهب مالي .  
 هذه الحرية في الفكر والاعتقاد كانت لذلك السيد الحميري في ايام  
 الامويين فلما دالت السولة وتغيرت الايام وانتقل الملك الى بني العباس بقي  
 الرجل على حريته في نحلته ولم يعارضه احد من اهل الدولة الجديدة لان  
 الحرية كانت شعار السولة العربية فان انتقل السلطان من بيت الى بيت  
 فالحرية ثابتة الدعائم هنا وهناك والناس بفضاهم لا بنهبيهم ورأيهم .  
 انظروا الى السيد الحميري ودلاله على اهل السولة الناشئة كما كان لامثاله  
 في السولة البائدة ذلك لما استقام الامر لابي العباس السفاح فخطب يوماً  
 فاحسن في خطبه . فلما نزل عن المنبر قام اليه السيد الحميري فانشد

دونكموها يا بني هاشم	فجددوا من آيا الطامسا
دونكموها فالبسوا تاجها	لا تعدموا منكم لها لابسا
دونكموها لاعلا كعب من	امسى عليكم ملكها نافسا
خلافة الله وسلطانه	وعنصراً كان لكم دارسا
لو خير للبر فرسانه	ما اختار الا منكم فارسا
والملك لو شور في ساسة	ما اختار الا منكم سائسا

فقال له السفاح: سل حاجتك فقال ترضى عن سليمان بن حبيب بن  
 للهلل وتوليها الاهواز فكتب له منشوراً بالولاية ودفعه اليه فأخذه وقدم  
 به على سليمان بالبصرة فلما وقعت عينه عليه انشده

ايتناك يا قرم لهل الرقاق      بخير كتاب من القائم

اتيناك من عند خير الانام      وذاك ابن عم ابي القاسم  
 اتينا بعهديك من عنده      على من يليك من العالم  
 يوليك فيه جسام الامور      فانت صنيع بني هاشم  
 فقال له سليمان شريف وشافع ووافد وشاعر ونسيب سـل  
 حاجتك فقال :

سأحكم اذ حكمتي غير مسرف      ولا مقصريا ابن الكفاة الاكارم  
 في ابيات طلب بها جارية فارهة جميلة ومن يخدمها وبدره ومن يحملها  
 وفرساً رابعاً وسايسة وتختاً من صنوف الثياب وحامله قال قد امرت لك  
 بجميع ما سألت ولك عندي في كل سنة مثله .

هذه هي الحرية التي جعلت هشاماً الخليفة الاموي يعطي الكيت وقد انشده  
 مائة الف درهم وقد كان الكيت مجاهراً بحب العلويين وبذم الامويين .  
 هذه هي الحرية التي اشرقت اليوم شموسها على دولة آل عثمان وهي التي  
 نرجو بها ارتفاع الدولة ومجد الوطن لا نفرق بين دين ودين ولا نعرف شيئاً  
 آخر سوى اننا نستظل كلنا براية الهلال .

نحذار حذار من التهاون بها او الاستتار في سبيلها حتي لا تعود  
 تلك الايام السود وما فيها من ظلم وظلام .

ان الامة العثمانية قد اثقلتها المظالم واخذت عليها يد الاستبداد حتي  
 كادت تقضي عليها ولكن العناية الربانية تداركتها بنفحة من نفحات الحرية  
 فعادت اليها الروح ودب في جسمها الاتعاش فظهرت بهذا المظهر البديع  
 الذي يعجب به من في الارض ومن في السموات . فاحرصوا يا رعاكم الله  
 على الحرية فانها ملاك السعادة .



اياكم ثم اياكم ان نقلب هذه الحرية اباحة فتدهور الامة في هاوية  
ليس لها قرار .

يقولون ان هذا الانقلاب سلمي لم تسفك فيه قطرة من الدماء . نعم  
ولكن المقدمات التي اوصلت الامة العثمانية الى هذه الداية الجيدة كانت  
محفوفة بالجس وانكس . بالتشريد والتجريد . بالاحراق والاعراق  
بالتيمم والتلطيم .

اقلم يكن في هذه الشناعات وفي تلك الدماء الزاكيات وفي ذلك العسائر  
الذي بلغ عنان السماوات ما يكفي لشراء هذه الحرية نتيجية باغلي الاثمن  
يا آل عثمان .

وفي هذا المقام اتقدم الى اهل الادب منكم وكلكم اهل الادب في  
تدوين تلك الحوادث التي هي اشبه بالخرافات لانها لا تكاد تدخل في دائرة  
المعقولات دونوها ولكن بالصدق والاخلاص اعرف المعاصرون انكم  
والناشئون بعدكم انكم اشتريتم هذه الحرية باغلي الاثمن ودونوا هذه التكت  
وتلك النواذر مع الامانة والصدق حتى لا تنعكس النتيجة فكل شيء جاوز  
الحد انتهى الى الضد . لا تكتفوا روايتها فان الذاكرة اصبحت في هذه  
العصور ضعيفة والمطالب كثيرة وانما هو التدوين عرفنا به مفاخر الاولين  
وان كان لم يصل الينا منه الا القليل . اصبحنا في عصر تشعبت فيه المعارف  
وكثرت اماننا الحاجيات فلا مناص لنا من التدوين الذي يحفظ  
الحوادث للدهور الآتية والايال المستقبلية .

نعم نحن في حاجة الى تدوين كل شيء اذ قد صار من المستحيل علينا  
ان نصارع الحفاظ الذين اشتهرت بهم حضارة الاسلام . بل اين لنا ان

نكون مثل عامر بن شراحيل او ابن ادريس الشافعي او ابن حزم الظاهري  
وامثالهم من يعدون بالالوف هذا عامر بن شراحيل كان يقول : ما كتبت  
سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بمحدث قط الا حفظته وما احببت ان  
يعيده علي . وما ادري شيئاً اقل من الشعر ولو شئت لانشدتكم .  
ولا اعيد ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان عالماً . وهذا التلميذ  
يقول

عليّ معي حيثما يمت ينفعني صدري وعاله لا بطن صندق  
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي او كنت في السوق كان العلم في السوق  
وهذا ابن حزم الظاهري الاندلسي احرق القوم تواليه فقال  
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي  
نصمته القرطاس بل هو في صدري  
يسير معي حيث اسنقلت ركائي

وينزل ان انزل ويدفن في قبري  
ومع ذلك فقد دون الناس من اجدادنا في كل فن وفي كل شيء حتى  
انا بفضل القليل الذي خلص الينا من مدونات الاقدمين عرفنا اموراً  
خصوصية لا يمكننا ان نبدي شيئاً مما يماثلها في عصرنا هذا فمثال ذلك اننا عرفنا  
ان السيدة سكيئة المدفونة بمصر القاهرة كان مهرها الف الف درهم ( خمسين  
الف ليرة فرنساوية تقريباً ) وعلمنا انها ولدت الزباب فكانت تلبسها  
اللولؤ وتقول ما البسها اياه الا لتفضحه . وكان مجلسها بالمدينة كعبة للادباء  
والشعراء واخبارها مهم اشهر من نار على علم وخصوصاً مع الفرزدق .  
هذا من الامور الخصوصية الداخلية واما الامور العمومية فقد علمنا منها

مثلاً أن الخليفة الاموي هشام كان اذا صلى النداء يجامع به شق فلول من يدخل عليه صاحب حرسه فيخبره بما حدث في الليل ثم يدخل عليه موليان له مع كل واحد منهما مصحف فيقعد احدهما عن يمينه والآخر عن شماله حتي يقرأ عليهما جزءاً ثم يقومان فيدخل المأجوب فيقول فلان بالباب وفلان فيقول ائذن فلا يزال الناس يدخلون عليه حتي انقصف النهار وضع الطعام ورفعت الستور ودخل الناس واصحاب المأجوب وكتبه قاعد خلف ظهره فيقوم اصحاب الخواص فيدأون في قراءة القرآن لا ونم والكتاب خلفه يوقع ما يقول حتي اذا فرغ من الصلاة وانصرف الناس صار الى قائلته فاذا صلى العصر دعا بكتابه فتأخره فيأخرونه من اريد الناس فاذا كانت العشاء الآخرة اقام الصلاة ثم اختلى بساير من رجال العلم والادب .

واقف انه بعد ان صلى العشاء الآخرة واقبل سماره كعادتهم وجاء الخبر بان خاقان ملك الترك خرج بارمينية فنهض سيف المالح وحلف لا يؤويه سقف حتي يفتح الله عليه .

بمثل هذا التدوين عرفنا ايضاً كيف كان الخليفة العباسي يجاس الناس ويشغل بامور الدولة فقد كان المنصور العباسي مثلاً يشغل صدر نهاره بالامر والنهي والولايات وشحن الثغور والاطراف والنظر في الخراج والتفقات ومصالح الرعية فاذا صلى العشاء نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والاطراف وشاور سماره وكان ولادة البريد يكتبون اليه كل يوم بسر الصنع والحبوب والادام وسائر المأكولات . ويجعلونه علماً بكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم وبما يرد الى بيت المال وعلى العموم بما يتجدد

من الحوادث في دائرة ادارتهم . فينظر في كتبهم بعد صلاة المغرب فان رأى تغيراً في الاسعار كتب الى العامل يسأله عن العلة ومتى ورد الجواب تلطف حتى يعود سعر ذلك البلد الى حاله . وان شك في شيء مما تقضى به القاضي كتب اليه في ذلك فان انكر شيئاً كتب اليه يوضحه ويلومه فان مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره فاذا مضى الثلث انشأ في قام من فراشه فتوضأ وتبوأ المهراب حتى يطلع الفجر فيعود الى عمله في الامس .

ومشى العباسيون على هذه السنة حتى ان المعتصم عند ما جلس مع سماره في اواخر الثلث الاول من الليل ومعه كأس يشربها قال له احد سماره : انه سمع من رجل قادم من الثغور ثغور الروم ان في عمورية امرأة مسلمة في الاسر قالت وامعتصماه نختم على الكأس وقام من فوره واخذ الجند حتى استولى على عمورية وخلص الاسيرة ثم شرب كأسه .

ومثلهما المنصور بن ابي عامر في الاندلس فقد بلغه ان بارض الجلالة اسيراً يستنجد به فقام من مجلس سمره لا يلوي على شيء حتى فتح تلك الحصون وخلص الاسير .

بهذه العناية من العلماء على طلب العلم ومن الرؤساء على حفظ بيضة الدولة كان للامة الاسلامية مقام كبير حتى اذا ما تولاهم التراخي فاهملت شؤونها سقطت الى الخضيض . اما وقد رأيناها وهي تأهب بفضل الدستور وفي ظل الهلال المنير لاسترجاع مجدها فقد وجب علينا ان نتعاون قبلًا وقابلًا على العمل فيما يرفع شأنها فبإعمال الافراد يرنى المجموع وترتفع منزلة الدولة .

وكيف لا نصل الى هذه الغاية من ايسر طريق وفي اقرب وقت وقد رجعت دولتنا الى السنة القديمة المهيبة تلك السنة التي قامت بفضلها الدولة العربية في ابهى المظاهر وابهر المناظر — تلك السنة ياسادتي هي سنة الشورى التي امر الله بها المسلمين وقامت بها دولتهم ففتت لها المشارق والمغرب فان الدين الاسلامي يأمر بالشورى فاذا نظرنا الى التاريخ نجد ان دولة الاسلام بعد ان ذهب صاحب هذا الدين الى الرفيق الاعلى قد قامت بالشورى وبالمبايعة من الجماعة فقد اتفقوا كلهم على ابي بكر ثم تسلسلت الحوادث وصارت الخلافة ملكاً عضوضاً يتوارثها الابناء او الاعمام او ابناء الاعمام في الشرق والغرب في دمشق وفي بغداد وفي القاهرة وقرطبة في المغرب الأقصى وفي القسطنطينية يتوارثونها بالبيعة ولكنها بيعة مزدوجة تكون أولاً من الخاصة الذين يتفقون على الخليفة ثم من العامة الذين يقرون على ما قرره الخاصة ولا نجد لذلك استثناء الا في دمشق فان عمر بن عبد العزيز بعد ان جاءته الخليفة عفواً تنازل عنها وقصة ذلك ان سليمان بن عبد الملك لما مرض كتب كتاب العهد لابنه ايوب ولم يكن بالنأ فردّه عن ذلك رجاء ابن حبة فقال له ما ترى في ابني داود فقال له بقسطنطينية وانت لا تدري احي هو ام ميت فقال فن قال رأيك يا امير المؤمنين قال ما ترى في عمر فقال اعلمه والله صالحاً فاضلاً خيراً فقال ان وليته ولم اول احداً من ولد عبد الملك لتكون فتنه ولا يتركونه فكذب له وجعل من بعده يزيداً اخاه ومختم الكتاب وامر بجمع اهل بيته فقال لم هذا عهدي فاسمعوا له واطيعوا وابعوا على من فيه ففعلوا . فجاء عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حبة فقال يارجاء قد كان لي عند سليمان حرمة وانا اخشى ان يكون قد اسند الي من هذا

الامر شيئاً فان كان فاعلمني استعف فقال رجاء والله لا اخبرك بحرف واحد فمضى . ثم جاءه هشام فقال لي حرمة وعندى شكر فاعلمني فقال لا والله لا اخبرك بحرف فانصرف هشام وهو يضرب يده على يده ويقول . فالى من . ثم جددت البيعة ومات سليمان . فقرأ رجاء بن حياة الكتاب فلما ذكر عمر بن عبدالعزيز قال هشام والله لا نبأعه . فقال له رجاء والله لنضرب عنقك . قم فابيع . فقام يحير رجليه ويسترجع اذ خرج عنه هذا الامر وعمر يسترجع اذ وقع فيه . ثم جيء براكب سليمان بن عبد الملك راكب الخلافة فقال عمر قربوا اليّ بغلتي ثم خطب فقال : ايها الناس قد ابتليت بهذا الامر من غير رأي كان مني ولا مشورة واني قد خلعت ما في اعناقكم من يمتي فاخاروا لانفسكم فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك يا امير المؤمنين تلي امرنا بالبين والبركة . فقال اوصيكم بتقوى الله خلف من كل شيء ليس من تقوى الله خلف وبعد ان اتم خطبته نزل فدخل داره فامر بالسور فهتكت بالثياب التي كانت قسطاً للخلقاء فحملت وامر ببيعها وادخل ثمنها في بيت المال . ولما بلغ الخوارج سيرته وما رذعن المظالم قالوا ما ينبغي لنا ان نقاتل هذا الرجل .

وقد حدثنا التاريخ بان عمر بن عبدالعزيز اشترى ملعية من ثوبم بمائة الف اسير فارضاهم وجعل لدولته سداً منيعاً دونهم فكانت ايامه كلها سلاماً في سلام فانظروا الى ما جرى في هذه الايام فقد قامت النمسا بالنهلم البوسنة والمهرسك غنيمة باردة وبغير ثمن فهل عندها مائة الف اسير او الف او اسير واحد فقط .

ولعمري ما كان اغناها عن الدخول في هذه الورطة التي اوقعت نفسها

فيها بلا طائل ولا فائدة معجلة او مؤجلة ظاهرة او باطنة لانها تحتل هاتين  
الولايتين بمقتضى معاهدة برلين فاي فائدة لها في هذا التملك الذي لا يرضى  
به حر عاقل او ذو ضمير حي ولذلك قابلتها الامة العثمانية بحرب سلية  
ولكنها كانت على النمسا شراً من امتشاق الحسام تلك هي المقاطعة التجارية  
التي نرى آثارها في طول البلاد وعرضها هذه المقاطعة ليست من  
مستحدثات هذا الزمان فان اول من سنّها هو نبي الاسلام عليه السلام .  
فقد غضب على رجل من اهل المدينة فامر الناس بمخافته فما كان احد يتعامل  
معه على الاطلاق ولا كان احد يقرؤه السلام حتى تاب واهتدى ففسى  
ان تكون النتيجة في هذه الايام الاخيرة مثل ما كانت في تلك الايام الاولى .  
وليست المقاطعة هي السنة الشريفة الوحيدة التي احياها بنو عثمان  
في هذا الزمان .

فاننا اذا تصفحنا التاريخ وجدنا ان الدول تقوم على ربوات من  
الجثث والمهمات واذا اقتصرنا على ذكر دول الاسلام نرى ان دولة الامويين  
قامت بالسيف والنار فعروب صفين وغيرها معلومة للغاص والعام وكل  
الناس يعلمون ان الحجاج قتل ١٢٠ الف نفس في توطيد دعائم الدولة  
المروانية . كذلك دولة العباسيين قامت على قتل الامويين وقد سفك ابو  
مسلم الخراساني دم ٦٠ الف انسان . وكذلك دولة الامويين في الاندلس  
قامت على اطلال الحرب وايشلاء القتلى . ومثل هذا وقع بمصر حينما  
دالت دولة الفاطميين فان صلاح الدين رحمه الله واكرم مثواه اضطر  
بحكم السياسة لارتكاب هذا الامر ولكنه تلطف فلم يدع للوم سبيلاً  
وذلك انه حبس الفاطميين والفاطميات في قصر كبير ومنع الرجال عن



النساء وصبر عليهم حتى قضوا نحبهم حنف انهم . وكذلك حدث في القاهرة  
حينما تبوأ محمد علي سريها فانه اخذ في مداراة الممالك واكتساب ثقتهم  
فلما اعيتته الحيل اضطر لبادتهم في وقعة القلعة المشهورة . هذه الامثال وقد  
ذكرت منها القليل تدلنا على صحة قولهم ان الملك عقيم وان تأسيس  
الدول لا يقوم الا على الدماء . حتى جاءت هذه الايام فرأينا دولة  
الشورى قد قامت بسلام على سلام في سلام فعلينا الف تحية وسلام .  
لعمري انها معجزة غريبة في بابها . نعم رأينا معجزة المعجزات فكيف  
لانصدق بما رواه لنا التاريخ من المعجزات .

بلاد الشام هي موطن المعجزات ففيها قام الانبياء . بلاد العرب  
كانت لها اكبر معجزة بظهور احمد . بلاد اوربا واميركا جاءنا بمعجزات  
العلوم والصناعات والفنون . بلاد اليابان في اقصى الشرق كانت لها في هذه  
الايام نهضة تفوق المعجزات . فلم يبق الا آل عثمان وكأنهم عجزوا عن  
المعجزات حتى اتونا بالامس بمعجزة هي نهاية ما يصل اليه اهل الارض فقيامهم  
باقامة دولة الشورى هو معجزة المعجزات .

لذلك حضرت اليكم لاهنتكم ايها السادات بمعجزة المعجزات . باعجوبة  
الاعاجيب وانني ارجو لدولتنا بقاء ليس له انتهاء والسلام عليكم ورحمة الله .



## القديم والحديث

لم يأت على هذه الامة دور مثل هذا اشتد فيه النزاع بين القديم والحديث وانهمز به القديم بضعف القائم به وقوة انصار الحديث . عتينا بذلك ارباب التقليد من يرون السعادة في الاكتفاء بما تعلموه من آبلتهم وورثوه عن اجدادهم من العلوم والآداب و يمدون ما عداها ضرراً يجب البعد عنه ومحاربته بكل وسيلة كما عتينا ارباب التجديد الذين يزعمون ان الاكتفاء بعلوم اهل الحضارة الحديثة وحدها كافية في رفع شأننا .

نشأت للامة ناشئة بعد ان كثر احتكاكنا بأوربا في أواسط القرن الماضي عادت القديم معاداة خرجت فيها عن طور العقل وذلك نكاية بما رأته من دعاة ذلك القديم وأكثره منال الجود واليلاحة والتموج الفساد وسوء التربية فقامت تزهد فيهم وفيما يدعون اليه تحمل عليهم حملاتها وتتحامل عليهم بتحملاتها وكذلك كان شأن انصار القديم مع دعاة الحديث يزعمونهم بكل كبيرة ويسلبونهم كل فضيلة ويطلعون بعلومهم بالاقليلاً ويمدون النافع منها بما لا يضر ولا يرفع

لا خلاف في ان ملكة الدين والآداب ضعفت في البلاد الاسلامية اضعف حكوماتها والعامل الرئيسي في كل البلاد هو السياسة اذا ضعفت يتبعها كل شيء فيجفل الحكماء والملوك منذ نحو الف سنة هو الدسيه رفع شأن المنافقين من العلماء الرسميين فصار العلم الديني يعلم المرء لا لينال السعادتين ويكون عضواً فيها في جسم المدينة الفاضلة بل ينجده به اغراض امراء السوء ويسولي على عقول العامة وتقبل يدها ويكره بالباطل وهذا ملحدنا بحجة الاسلام الغزالي واضرابه في عصره وبعده ان بنحوا على فقهاء السوء اتخاذهم على امراء السوء لانهم يتعلمون علوم الفقه والفنبا ليتقربوا بها فقط من السلاطين ويمجملوا من الدين سلاحاً يقاتلون به من يناصبهم في شهواتهم واهوائهم . ولقد فضل الغزالي في الاحياء وتهاافت الفلاسفة من يتعلمون الطب على الفقهاء وقال ان من يقولون ان علوم الدنيا تنال في الدين يعني على الدين .

شملت الامة زمناً بنفسها فضعت ملكاتها وكانت الحروب الصليبية وغارات التاتار من العوامل المنهكة لقواها ثم قام ملوك الطوائف وفرقوا الشمل بعد اجتماعه الى ان جاءت الدولة العثمانية وهي تاتارية لا تقيم للدينة وزناً ولا تعرف لعلوم العمران لثقلاً

ولا معنى قوتها بجدها وعلمها في ارفاف حدها وعظمتها يبطشها ويجدها باكتساح البلاد واخضاع النفوس لسلطوتها فحاول محمد الفاتح احد ملوكها ان يوصل من القسطنطينية دار علم كما هي دار ملك بحارة لدولة الجراكسة في مصر والشام . . . . .  
لذلك الاعطيات والهبات وانشأ المدارس وحبس الاوقاف ولكن ذلك . . . . .  
الا بدوامه حتى اذا مضى لسبيله عادت الحكومة الى زهدها في العلوم وقد كانت  
رسمية على عهد المفتي أبي السعود الذي سعى لجعل العلم وراثيا وصار ابن الدين . . . . .  
اباه ووظائفه ورواتبه وان كان اجبرل من قاضي جبريل . . . . .  
هو الجنابة الكبرى على الدين والدنيا والبلاء العمم على البلاد .

ومع ان الفرس والترك سواء في العجمة فالفرس اقدر من الترك في نافع  
اللغة العربية منذ القديم . . . . . والعربية لغة الدين لا يبرز سيف علومه من لم يعطها  
ولا يفهم الكتاب والسنة من لم يحكم بينها . . . . . وما تراه من حال علماء فارس اليوم  
واتقانهم العربية وارتقاء علومهم الشرعية والمخطاط العربية في بلاد الترك وضيق  
ملكه العلوم الدينية فيها لا يرجع الا الى ان ميل ابناء فارس الى احكام العربية  
قديم فيهم وان الترك بامرائهم المتبريرين جمدوا على فروع قليلة من الفقه والكلام  
وزهدوا فيما عداها فجنوا على البلاد جنابة كبرى

ولما ارادت الدولة ان تنهض وتنشبه باوربا واخذت على عهد سليم الثالث تنظم  
فنون الحرب والبحر والسياسة وما ينبغي لها من الطبيعة والرياضة والاجتماع اخذت  
روح الفيلسوف نرسية الى الاستانة ومنهاسرت الى الولايات ومصر فلم يبق انصار القديم  
بما رآه اولا واحترقوا ذلك السيل الجارف الآتي عليهم من اوربا وارتابى بعضهم ان خير  
ما يقابل به المتزددون ان يكفروا او يحرقوا او يضربوا او يحبسوا او يهددوا بالقتل  
او يقتلوا ولم يمدوا لذلك من العدد اللازمة لثب دعوتهم وحفظ ملكة الدين في  
القلوب لتسير مع علوم الدنيا كسفا الى كثف وجاهت ادوار اصبح الوزراء وولاة الامر  
الا قليلا من الطائفة التي تزعت ربة القديم فلم يبق عليها الا اسمه بل كان بعض المتطرفين  
في اخلاصهم يدعون سرا وجبرا الى عدم التأدب بأداب الدين معجبين بما هو مائل للبيان  
من فساد القائمين عليه والمخطاط المتبسين اليه .

وها قد اصبحنا بعد هذا النزاع بين علوم الدين والدنيا والامة شطرين شطر هو الى

البلاهة والغاوة وشرط الى الحق والثفرة وبعبارة اخرى نسينا القديم ولم تعلم الجديد . ومن الغريب ان معظم المستديرين بقبس العلوم الاوربية منا لا يرجعون الى آداب دينهم ويميلون في الظاهر والباطن الى ان يكون الدين فقط جامعة تجمع الامة على مثال الجامعات السياسية والجنسية واذما اتهم عن الحلال والحرام وعما شرعته الاذيان صغروا اليك خدودهم وقالوا لك ان الامة تعيش بمحدثها دون قديمها وان ذلك القديم ان لم يضربنا الاخذ به فهو لا ينفعنا والمائل لا يقبل الا على ما ينفعه ويعلي قدره

تلك هي شئنة انصار الحديث او الاحدة والزائدة الطيعيون كما يطلق عليهم المتدبثون وهذه حالة هولاء مع اولئك وستكون الغلبة لانصار الحديث اذا لم يبقه خصوصه بل شعنتهم التي صورة معقولة مقبولة وبين هذين الفريقين فريق ثالث اختار التوسط بينهما فلم يوطح القديم كله ولا الاخذ بالحديث بجملة بل اثر من يأخذ النافع من كل شيء ويضم شتاته وهذا الفريق المعتدل على قلبه لا يتاوه الغفلة من اهل الفريقين الآخرين مقاومة فعلية وعامتها غير راضين عنهم بالطبع لان اكثر الناس يحبون ان تكون معهم او عليهم ولا وسط بين ذلك .

ولقد كتب الينا احد علماء الشرقيات في برلين وهو من طالوا بلاد الشرق وسكنوا فيه زمناً وانقطعوا لدرس احواله الاجتماعية وعلومه الارثية كتاباً بالبريانية فيه انقبس وما يجب للمسلمين ان يقوموا به لقيام امرهم بعد ذلك السبات الطويل دل فيه :

اما الوسائل التي هي لها (الرحلة) فرأيتها تدور ابدأ على حث الناس على درس العلوم المدنية التي تركت في العالم الشرقي منذ نحو خمسمائة سنة وانقباس الآثار الافريقية الحديثة فيها واحياء الادبيات العربية وهذا مطابق بحسب اختباري للطريقة الصحيحة لسعادة الامم اذ لا فائدة من تقليد الاجانب وحده ولا فائدة من التنافي فقط بالآثار الشعبية (الوطنية) وحده بل الخير كل الخير في الاخذ من هنا وهناك وتعميم الدرس والبحث مع اضرام تلك الشعلة العظيمة التي هي ذات نور وذات حرارة وذات انبات واعني بها المبدأ الشعبي ولنا ان نسميه الشعبية على بشرط ان نفجده من الرائحة غير المقبولة

اجتهد الاسلام والعصرانية ان ينشأ آ جمعية تقوم بالدين وحده ليكون اصل

الشهادة بذلك الدين نظاهرين على الدين كله الا انها فشلا . وتقدم  
المسلمين بان الجامعة الاسلامية التي ستكون في وخر هذه السنة ان تأتي بما يرحو  
تقوية عروة الدين بل ستمتوي الاحزاب الشعبية وربما يتسع الخرق بين الجذات  
المذهب الديني . اما انا فاقول ان تقوية روابط المسلمين مع من حولهم من  
المنجية على وحدة الترية والاخلاق والعادات وعلى وحدة اللسان لا تحه - تنبيه  
الدين نفسه لان هذا الاجتماع من شأنه ان يدعو الى نمو عامة القوى فيزيد من  
الحياة الدينية اعتقاداً وعملاً كما يزيد من له ميل الى غير الدين قوة فيما اختاره  
فمن معطى كل دين ان يكون نصف منغليه مجتهدين مخلصين أكثر من ان يكون  
قانون غير مكتولين بشي واه

هذا ما كتب لنا به العالم الغربي الشرقي منذ اشهر نشرناه ليطالع عليه .  
والحديث فيعلم الجامدون على مسطور القديم ان لقيام لامرنا بغير الاخذ من مدينة .  
ويدرك انصار الحديث بان هذه المدينة الجديدة التي يهرثمهم يزخرفها وسفهاها لا  
تفهمهم ولنعم بني قومهم الا اذا رائقها ما يحسوها من علوم الاسلاف وآدابهم والام  
التي تنزع ربة قديما جملة واحدة وتنقل الى طور آخر دفعة قد ينكس عليها الامر  
ويتلوي عليها القصد ولم تنجح اليابان الا لكونها اقتبست المدينة الغربية ومرتجتها باجز  
مدنيتها وهذا سر قول العالم المشار اليه « لا فائدة من تقليد الاجانب وحده ولا فائدة  
من التناخي فقط بالآثار الشعبية » اي ماورثناه عن اجدادنا من التثبث باهذاب نوسية  
وذكر القديم والحرص عليه

ولنا في الغرب دولتان كبيرتان هما مثال في اقتباس الجديد والحرص على القديم .  
فقد شهدنا المانيا الى اليوم تجري في مدارسها وكلياتها على آداب النصرانية انتقمة فلا  
توسد التدريس فيها الا لرجل عرفت ترجمته وحياته مخافة ان يفسد عليها تربية بناتها  
فتكون مدينة دينية اما فرنسا فتاهضت الدين منذ زهاء مئة سنة وزادت مناهضتها له  
في السنين الاخيرة حتى تزعت لفظ الجلالة من المعاهد العامة واخذت تضيق الخناق  
على اهل الدين من حملة العلم والاقلام حتى صار المتدين مرأ يتجاهر بالاخلال جبراً  
ليأمن على معاشه ورزقه وسموا هذا حرية ولكن الله يحصى على الام ذنوبها كما لا يفل  
عن الافراد وها قد اخذت المدينة الفرنسية التي جهزت العيون في الزمن الماضي ترجع

التقوى وعلماء الاخلاق فيها يكون دماً علي انتابت شملهم وتراجع عمرانهم حتى روى بعض الاحصائيين ان عدد الفرنسيين سينزل في اواخر القرن العشرين الى ثلاثة ملايين لان المواليد اخذت تنقص عن الوفيات اما في المانيا فبفضل التربية الدينية والحرص علي الاخلاق قبل الحرص علي تلقين العلوم فان النفوس تزايدت سنة عن سنة بحيث خيف من تكاثر نسلهم علي البلاد المجاورة لهم مع ما هم عليه من المدنية الصحيحة والعلم بالصناعات والفنون ولا غرو فان من خلق الالماني ان يترك من القديم كل ما ينفع منه اما الفرنسي فيحرف منه النافع مع الضار وشتان بين الخلقين والمدنيتين وها هي النتيجة قد ظهرت للعيان هذا الآن

وبعد فان كل عاقل عرف تاريخ هذه الامة يرى الخير كل الخير في احفاظها بتدعيمها وضم كل ما ينفع من هذا الجديد علي ان تكون للدين والعلم حريتهما فتكون المعتقدات بآمن من طعن الطاعنين بها كما تجري المدنية علي الشوط الذي تستسبه واذا رأى بعضهم في بعض المعتقدات ما لا ينطبق علي روح الحضارة والعلوم المصرية فالاولى ان يطبقوا العقل علي النقل كما هو رأي كبار علماء الاسلام منذ القديم . واذا عجزت عقولهم عن ذلك فالاجدر بهم ان يأخذوا بعض القضايا بالتسليم ويتركوا العالم حراً يسير وحده دون ان يوقه عائق وما نخال وكل عاقل الا ويعتقد ان صحيح النقل لا يخالف صريح العقل والله اعلم



## التربية والامهات

في الاخلاق تثبت كاليات	اذا سقيت بماء المكرامات
تقوم اذا تمهدا الربى	علي ساق الفضيلة ثمرات
وتسمو للمكارم بانساق	كما انسقت انايب الفتاة
وتلثم من صميم الجدروحا	بازهار لها متفوسعات
ولم أر لفلانق من محل	يهلها كحفن الامهات
حفن الام مدرسة تسامت	بترية البنين او البنات

واخلاق الوليد تقاس حسناً  
وليس ريب عالية المزاي  
باخلاق النساء والامهات  
كثرت ريب سافاة الصفات  
وليس التبت يثبت في جنات  
كثرت التبت يثبت في الفلاة

\*\*\*

فيصدر الفتاة رجبت صدرًا  
نراك اذا ضمنت السفلى لوحا  
فانت مقر اسنى العاطفات  
يفوق جميع الواح الحياة  
اذا استند الوليد عليك لاحت  
تساوير الخنات مصورات  
لاخلاق الصبي بك انعكاس  
كما انعكس الخيال على المرأة  
وما ضرب بان قلبك غير درس  
تلقين الخصال الفاضلات  
فاول درس تهذيب السجايا  
فكيف نظن بالابناء خيرا  
وهل يرجى لاطفال كمال  
فما للامهات جهل حتى  
حشون على الرضيع بغير علم  
أثبن بكل طياش الحصاة  
فضاع حشو تلك المروضات

\*\*\*

أم المؤمنين اليك نشكو  
فلك مصيبة يأم منها  
مصيبتنا بجهل المؤمنات  
« نكاد نفص بالماء القرات »  
فأشقى المسلمون المسلمين  
فأخذنا بعدك العادات دينا  
وصدوهن عن سبل الحياة  
فقد سلكوا بهن سبل خسر  
تزلزلن به بمنزلة الاداة  
بجيت لزمان قمر البيت حتى  
بلا جنح واهون من شذاة  
وعدوهن اضعفن ذهاب  
بتفضيل الدين على اللواني  
وقالوا شرعة الاسلام تقضي  
تضييق به صدور الثائبات  
وقالوا الجاهلات اعف نفسا  
عن الفحشا من المتعلات  
تزلزلن الشم منه مزولات  
لقد كذبوا على الاسلام كذبا  
على ابناءه وعلى البنات  
اليس العلم في الاسلام فرضا

وكانت امنا في العلم بحراً  
وعلمها النبي اجل علم  
لنا قال ارجعوا ابدًا اليها  
وكان العلم ثلثينا فامسى  
وبالتريمر من كتب ضخمه  
ألم نر في الحسان الغيد قبلنا  
وقد كانت نساء القوم قدماً  
يكن لهم على الاعداء عوناً  
وكما من من أسرت وذاتت

\*\*\*

فماذا اليوم ضرّ لو التفتنا  
فهم ساروا بنهج هدى وسرنا  
نرى جبل الفتاة لها عفافاً  
ونحترق الحلائل لا لجرم  
ونزعمن قعر البيت قهراً  
لئن وأدوا البنات فقد قبرنا  
حجبناهن عن طلب المعالي  
ولو عدت طباع القوم لوّماً  
وتهذيب الرجال اجل شرط  
وما ضر العفيفة كشف وجه  
فدى لخلائق الاعراب نفسي  
فكم برزت بهم النواني  
وكم خشف بهمهم وظلي  
ولولا الجبل ثم لقلت مرّحي

بنقاد  
معروف الرصافي



## الشعوية

يقوى تفاخر اهل كل عنصر به سره واهل كل جنس بمجنسهم كما ان  
الجمجمة والعصية الجاهلية جاء لانه فكان من اعظم اصلاحه  
الجنسيات والقضاء على التفاخر الآباء والاجداد فساوى بين العريف  
والاحمر والاصفر والايض والاسود وكانت قاعدته العامة لا فضل لعربي  
الا بالتقوى

والظاهر ان دعوى الشعوية اى عدم الاعتماد بالعرب وتفذي  
دخلت بدخول اجيال كثيرة من الفرس والترك والبيط في خدمة  
فتشأت منها العداوات بين العرب اهل الدولة وبين المعجم كما كانت  
البلاد بين تركي وعربي كلما اشتد الاول في ارهاق الثاني

سألتنا استاذنا الشيخ طاهر الجزائري عن الشعوية فكتب اليه  
« اما الزمن الذي ظهرت فيه الشعوية فلا يحضر في فيه شيء » والوقوف على احوال  
الاشياء من اصعب المسائل وادقها الا ان الذي ظهر لي ان ذلك حدث بعيد عصر  
الخلفاء الراشدين لوجود الداعي الى ذلك وهو التفاخر بالجنس الذي هو من نادات  
الجاهلية التي اتى الدين بابطالها ومن نظر لمنزلة سنان الفارسي وصيهب الرومي  
وبلال الحبشي في اوائل الامة زال عنه الشك في هذه المسألة ولا يدخل سيفه هذا  
الامر بحث المؤرخ عن خصائص الاجناس مما يقصد به الوقوف على الحقائق فان  
هذا نوع آخر الا ان من بحث عن احوال الامم ووفى النظر حقته تبين له ان العرب  
في الجملة لا تسامهم امة البتة

« واظن انه لا بد ان تولف بعد حين كتب في خصائص الامم وكتب سيف  
خصائص البلاد كما ألقت كتب في خصائص اللغات وتجل من الفنون التي يعنى بها  
وتميز عن غيرها ولا نذكر بطريق العرض الا ان فن خصائص الامم تيسر المشاغبة  
فيه والمغالطة اكثر من غيره الا ان كل فن وضعت مقدماته ونقحت مسائله يبدو  
بسرعة عوار المغالط فيه » هذا وكما حدث بعد عصر الخلفاء امر المفاضلة بين العرب  
والعجم حدث امر المفاضلة بين المدنياتية والصحفانية وهما الفريقان اللذان يجمعهما  
اسم العرب ونشأ بسبب ذلك من الفتن ما يعرفه المولع بالاخبار ولم يزل اثر ذلك باقيا

في بعض الجهات الى ما قبل عصرنا وقد رأيت في بعض البلاد اناساً يقولون الى الآن نحن قيسية وآخرين يقولون نحن يمانية .»

هذا ما قاله استاذنا وفيه من كشف الغامض ما لم نظفر به في كتاب .  
والشعوي بالضم محقر امر العرب قال ابن منظور وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل الهجم حتى قيل لمحققر امر العرب شعوي اضافوا الى الجمع لغلبته على الجيل الواحد كقولهم انصاري وهم الشعوية وهم فرقة لا تفضل العرب على الهجم ولا ترى لهم فضلاً على غيرهم واما الذي في حديث مسروق ان رجلاً من الشعوب اسلم فكانت تؤخذ منه الجزية فامر عمر ان لا تؤخذ منه قال ابن الاثير الشعوب ههنا الهجم ووجهه ان الشعب ما تشعب من قبائل العرب او الهجم فخص باحدها ويجوز ان يكون جمع الشعوي كقولهم اليهود والمجوس في جمع اليهودي والمجوسي

قال شارح المفضل في شرح قول الزمخشري « الله احمد على ان جعلني من علماء العربية وجباني على الغضب للعرب وللعصية واني لي ان انفرد عن صميم انصارهم وامااز وانصوي الى لقب الشعوية وانجاز » والشعوية مصدر الشعوي بضم الشين وهو الذي يصفر شات العرب ولا يرى لهم على الهجم فضلاً اذ الفضل بالتقوى وهو منسوب الى قوله تعالى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم . وقال ابن الحاجب في شرح المفضل ايضاً ( ١ ) والشعوية بضم الشين قوم متمصبون على العرب مفضلون عليهم الهجم وان كان الشعوب جيل الهجم الا انه غلبت النسبة اليه لهذا القبيل ويقال ان منهم معمر بن المثنى وله كتاب في مثالب العرب وقد انشد بعض الشعوية للصاحب بن عباد يمدحه

غنيما بالطبول عن الطلول	وعن عنس عذافرة ذمول
فلست بتارك ايوان كسرى	لتوضح اولحومل فالسحول
وضب بالفلا ساع وذئب	بها يموي وليث وسط غيل
اذا نحروا فذلك يوم عيد	وان ذبحوا ففي عرس جليل
يسلان السيوف لرأس ضب	هراشك بالغداة وبالاصيل
باية رتبة قد متموها	على ذي الاصل والشرف الاصيل

(١) هو من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق .

اما لو لم يكن للفرس الا نجار الصاحب العدل الجليل  
 لكان لهم بذلك خير عز وجلهم بذلك خير جيل  
 فقال له الصاحب قدك ثم قال لبدع الزمان اجهه فاجابه مرتجلا  
 اراك على شفا خطر مهول بما اودعت رأسك من فضول  
 طلبت على مكارمنا دليلا متى احتاج النهار الى دليل  
 السنا الضاربين جزى عليكم فان الجزى اقعد بالتدليل  
 متى قرع المنابر فارسي متى عرف الاخر من الحبول  
 متى علفت وانت بها زعيم اكف الفرس اعواف الخيل  
 نغرت بل ماضتيك نغرا على قطان والبيت الاصيل  
 نغرت بان مأكولا ولبسا وذلك نغر ربات الحبول  
 نفاخرهن في خد اسيل وضريح من مفارقة رسيل

فقال الصاحب للشعوبي : كيف ترى فقال : لو سمعت ما صدقت ثم قال له :  
 جازتك جوازك ان وجدتك بمدى في مملكتي ضربت عنقك  
 وفد النعمان بن المنذر على كسرى (١) فوجد عنده وفود الروم والهند والصين  
 فذكروا من ملوكهم وبلادم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثنى  
 فارسا ولا غيرهم فقال كسرى واخذته عزة الملك يا نعمان لقد فكرت في امر العرب  
 وغيرهم من الامم فرأيت الروم كذا ووصف من حطم وجعل يثني عليهم ورأيت الهند  
 التي لها كذا وكذا ثم قال مثل ذلك في الترك والخرز والصين متى ذكر قبيلة اثني عليها  
 ووصف ما يفتخرون به ثم قال ولم ار للعرب شيئا من خصال الخير وجعل يصف شأنهم  
 وهو يحترم ويصغرم فقال النعمان : اصلى الله الملك وجعل يثني عليه ثم قال : الا ان  
 عندي جوابا في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فلن آمنني من  
 غضبه نطق به قال كسرى فانت آمن فقال النعمان اما امثك ايها الملك فليست تنازع  
 في الفضل لموضعها الذي هي به في عقولها واحلامها وبسطه حملها وبجوحة عزها وما  
 اكرمها الله به من ولاية ابائك وولايتك واما الامم التي ذكرت فاي امة هزتها بالعرب  
 الا فضلها قال كسرى : بما ذا قال النعمان بهزها ومنعتها وحسن وجوها

(١) كتاب الف با لابي الحجاج يوسف بن محمد البلوي .



قبيلته لما خفر من جواره وأنه ليلجأ إليهم المحروب من غير معرفة ولا قرابة تشكون  
 انفسهم دون نفسه واموالهم دون ماله . واما قولك ايها الملك انهم يثدنون اولادهم من اعدائهم  
 فانما يفعلونه من فعله منهم . الاناث انفة من المار وغيره من الازواج واما تحاربهم وأكل بعض  
 بعضاً وتركهم الاتقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من فعله من الاء .  
 اذا آنت من نفسها ضعفاً وتخوف نهوض عدوها اليها بالزحف وأنه انما يكون -  
 المملكة العظيمة اهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائرهم فيلقون اليهم امورهم ويتقادون  
 اليهم بازمهم

فاما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكاً اجمعين  
 انتفتهم من اداء اطراح والوطء والصف فمجب كسرى مما اجابه النعمان به وقيل : ان  
 لاهل لموضعك من الرياسة في اقليمك ولما هو افضل ثم كساه من كسوته وسرحه من  
 موضعه من الحيرة فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من  
 تنقيص العرب وتهجين احرامهم بعث الى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة وجماعة من  
 رؤوس العرب سمام فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم : قد عرفتم حال هذه الاعاجم  
 وقرب جوار العرب منهم وقد سمعت من كسرى مقالة تخوف ان يكون لما غدر واقتص  
 عليهم مقالة كسرى وما رد عليه فقالوا : وفقك الله ايها الملك ما احسن ما رددت عليه  
 وابلغ ما حجت به فرنا بامرك وادعنا الي ما شئت قال : النعمان انما انا رجل منكم وانما ملكك  
 وعزتك بمكانكم وبما يتخوف من ناحيتكم وليس شيء احب الي مما سدد الله به امركم  
 واصلح به شأنكم والرأي ان تسيروا بجاءتكم ايها الرهط ونطلقوا بكتاني هذا  
 الى باب كسرى فاذا دخلتم عليه نطق كل واحد منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير  
 ما ظن اوحده به نفسه ووصام بوصايا فذهبوا اليه وقد ساق القصة صاحب القصد  
 واوردها ابو الحجاج يوسف بن محمد الباي في كتاب الف با

ومن حجة (١) الشعبية على العرب ان قالت انا ذهبنا الى العدل والتسوية وان  
 الناس كلم من داية واحدة وسلالة رجل واحد واحتججتنا بقول النبي عليه الصلاة  
 والسلام : المؤمنون اخوة تشكفاً دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من  
 سواهم . وقوله في حجة الوداع وهي خطبته التي ودع فيها امته وختم نبوته : ايها الناس

(١) العقد الفريد الجزء الثاني من ٧٠

الجزء ١

(٦)

المجلد ٤

ان الله اذ مبعثكم بنجرة الجلجالية وغرهما بالآباء كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى . وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقول الله تعالى ( ان اكرمكم عند الله اتقاكم ) فايتم الاغتراف قلتم لا تساويننا وان تقدمنا الى الاسلام ثم صليت حني تصير كالخني وصمت حتى تصير كاوئنا ونحن نسمع ونحييكم الى اتغر بالآباء الذي نهاكم عنه نبيكم صلى الله عليه وسلم اذ ايتم الا خلافة واتما نحييكم الى ذلك لا تبلى حديثه وما امر به صلى الله عليه وسلم فنرد عليكم حجتكم في المنقصة وقول : اخبرونا ان قالت لكم الحجة هل تعدون اتغر كله ان يكون ملكا او نبوة فلان زعمتم انه ملك قالت لكم : وان لنا ملوك الارض كلها من الفراعنة والباردة والعائلة والاكاسرة والقيصرة وهل ينبي لاحد ان يكون له مثل ملك سليمان الذي سقرت له الانس والجن والطير والريح وانما هو رجل منا ام هل كان لاحد مثل ملك الاسكندر الذي ملك الارض كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها وبني رديما من حديد ساوى به بين الصدفين وسجن وراءه خلقا من الناس تربى على خلق الارض كلها كثرة لقول الله عز وجل ( حتى اذا فتحت بأجوج وأبجوج وهم من كل حدب ينسلون ) فليس شيء ادل على كثرة عددهم من هذا او ليس لاحد من ولد آدم مثل آثاره في الارض ولو لم يكن له الا مائة الاسكندرية التي اسسها سيف قعر البحر وجعل في رأسها مائة يظهر البحر كله في زجاجتها وكيف ومن ملوك الهند الذين كتب احدهم الى عمر بن عبد العزيز : من ملك الاملاك الذي هو ابن الف ملك والذي تحته بنت الف ملك والذي في مريطه الف فيل والذي له نهرا من ينبتان العود والقوة والجوز والكانفور والذي يوجد رجه على اثني عشر ميلا الى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئا اما بعد فاني اردت ان تبث الي رجل اعلمني الاسلام ويوقني على حدوده والسلام . وان زعمتم انه لا يكون اتغر الا نبوة فلان منا الانبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم ما خلا ارمية هودا وصالحا واسماعيل ومحمدا ومنا المصطفون من العالمين آدم ونوح وهما الثمران اللذان قرع منهما البشر فحين الاصل وانتم الفرع وانما انتم غصن من اغصاننا تقولوا بعد هذا ما شئتم وادعوا

ولم ترل للام كلها من الاعاجم في كل شق من الارض ملوك تجمعها ومدائن تنعمها واحكام تدن بها وعلقة تنعمها وبدائع تفتتها في الادوات والصناعات مثل صنعة

الدباج وهي ابداع صنعة ولعب الشطرنج وهي اشرف لعبة ورمانة القبان التي يوزن بها رطل واحد ومائة رطل ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق والقانون والاستطالاب الذي يعدل به النجوم ويدرك به علم الابداد ودوران الافلاك وعلم الكسوف لم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ويضم قواصمها ويجمع ظالمها وينهى سفهها ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ولا اثر في فلسفة الا ما كان من الشعر وقد شاركته فيه الأمم وذلك ان الروم اشعاراً عجيبية قائمة الوزن والمروض فما الذي تغفر به العرب لمي نعمة فائما هي كالذئاب العادية والوحوش النافرة يأكل بعضها بعضاً ويفتر بعضها على بعض فربما موثوقون في حلق الاسر ونساؤها سبايا مردقات على حقائب الاباء فاذا ادركن الصريح استنقذت بالعشي . قال يبيح يعيد العرب باختلافها شيء اسب واستلحاقها للادعياء

زعتم بان الهند اولاد خندف وبينكم قري و بين البرابر  
وديلم من نسل ابن ضبة ناسل ورجان من اولاد عمرو بن عامر  
فقد صار كل الناس اولاد واحد وصاروا سواء في اصول العناصر  
بنو الاصفر الاملاك اكرم منكم واولى بقر بانا ملوك الاكامر  
اتطمع في صهري دعيا بجاهرا ولم تر ستيا من دعي بجاهرا  
وتشتم لواما رهطه وقبيله وتمدح جهلا طاعرا وابن طاعرا  
وقال الحسن بن هانئ على مذهب الشعوبية :

وجاورت قوما ليس بيني وبينهم واواصر الا دعوة و بطون  
اذا ما دعا باسمي العريف اجبته الى دعوة مما عني يهون  
لازد عمات بن المقلب نزوة اذا افتخر الاقوام ثم تلين  
وبكر يرى ان النبوة انزلت علي مسمع في البطن وهو جنين  
وقالت قمم لا نرس ان واحدا كاحنفا حتى المات يكون  
فلامت قيسا بعدها في قتيبة اذا افتخروا ان الحديث شجون

قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب : واما اهل النسوبة فان منهم قوما اخذوا ظاهر بعض الكتاب والحديث فقصوا به ولم يفتشوا عن معناه فذهبوا الى قوله عن وجل : ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله : انما المؤمنون اخوة فاسلموا بين اخويكم -

والى قول النبي عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وما اخرها بالآباء ليس لعربي على عجمي فخر الا يستوي كلكم لا آدم وادم من تراب . وقوله المؤمنون تنكثوا دماؤهم ويسى بذمتهم ادفعهم وهم يد على من سولم واتما المعنى في هذا ان الناس كلهم من المؤمنين سواء في طريق الاحكام والمنزلة عند الله عز وجل والدار الآخرة لو كان الناس كلهم سواء في امور الدنيا ليس لاحد فضل الا امر الآخرة لم يكن سيف الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مقضول فامعنى قوله صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم كرم قوم فأكرمهم وقوله صلى الله عليه وسلم اقبلوا ذوي البهائم عشارته وقوله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم هذا سيد الوبر . وكانت العرب تقول لا يزل الناس يخفون ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا . تقول لا يزالون يخفون ما كان فيهم اشراف واخياف فاذا حملوا كلهم جملة واحدة هلكوا او اذا ذمت العرب قوما قالوا : سواسية كالستان الحمار وكيف يشري الناس في فضائلهم والرجل الواحد لا تستوي في نفسه اعضاؤه ولا تنكثوا مفاصله ولكن لبعضها الفضل على بعض والرأس انفضل على جميع البدن والعقل والحواس الخمس وقولوا القلب امير الجسد ومن الاعضاء خادمة ومنها مخدومة

قال ابن قتيبة : ومن اعظم ما ادعت الشعوية نفهم على العرب آدم عليه السلام ويقول النبي عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني عليه فانما انا حسنة من حسنته ثم نفهم الانبياء اجمعين وانهم من العجم غير اربعة هود وصالح واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام واحتجوا بقول الله عز وجل ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ثم نفخوا في الصور فاستمعوا له وان اسما عيسى لامة نسي هاجر قال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكن بها طنبيا ولا خباء ولا عك ومهدان  
ولا الحرم ولا نهد بها وطن لبعثنا لبي الاحرار اوطان  
ارض تبنى بها كسرى ساكنه فابها من بني النخلاء انسان

فبنو الاحرار عندهم العجم وبنو النخلاء عندهم العرب لأنهم من ولد هاجر وهي امة وقد ظفروا به هذا التأويل وليس كل امة يقال لها النخلاء من الاماء المهتنة في رعي الايل ومقها وجمع الحطب واتما اخذ من الفخ وهو تن الريح يقال غن السقاء اذا



تغير ريمحه فاما مثل هاجر التي طهرها الله من كل دنس وارتضاها لخليل فرشتا  
والطيبين اسماعيل ومحمد اما وجعها سائلة فهل يجوز للمحد فضلا عن مسلم ان يمس  
النجاء

قال بعض من يرى رأي الشعوية فيما يرد به على ابن ثيبة في تباين  
وتفاضلهم والسيد منهم والمسود اتنا نحن لا ننكر تباين الناس ولا تفاضلهم ولا  
منهم والمسود والشريف والمشروف ولكننا نزع ان تفاضل الناس فيما بينهم ليس  
ولا باحسابهم ولكنه بافعالهم واخلاقهم وشرف انفسهم وبعد همهم الا ترى انه من  
كان دنيء الهمة ساقط المروءة لم يشرف وان كان من بني هاشم في ذواتها ومن  
في آرومتها ومن قيس في اشرف بطن منها انما الكرم من كرم افعاله والشريف من  
شرفت همته وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام اذا اتاكم كرم قوم فكرمهم  
وقوله في قيس بن عاصم هذا سيد اهل الوبر انما قال فيه لسودده في قومه الذب عن  
حريمهم وبذله رفته لم الا ترى ان عامر بن الطفيل كان سيء اشرف بطن في  
قيس بقول:

واني وان كنت ابن سيد عامر      وفارسها المشهور في كل مركب  
فما سودتني عامر عن وراثة      ابي الله ان اسمو بام ولا أب  
ولكنني احمي حملا وانني      اذاها وأرمي من رماها بمنكب  
وقال آخر:

انا وان كرمت اوائلنا      لسنا نأكل الاحساب نكل  
بنفي كما كانت اوائلنا      بنفي ونفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة لاقضين بين العرب بقضية لم يقض بها احد قبلي ولا  
يردها احد بعدي اياما رجل رمى رجلا بلامه دونها كرم فلا لوم عليه وايا رجل ادعى  
كرما دونه لوم فلا كرم له . ومثله قول عائشة ام المؤمنين كل كرم دونه لوم فاللوم  
اولى به وكل لوم دونه كرم فالكرم اولى به . تعني بقولها ان اولى الاشياء بالانسان  
طبايع نفسه وخصالها فاذا كرمت فلا يضره لوم اوليته وان لومت فلا ينفعه كرم اوليته  
نوقال الشاعر:

نفس عصام سودت عصاما \* وعلمته الكرم والاقداما \* وجعلته ملكا هاما

وقال آخر :

مالي عطي وهمتي حسي ما انا مولى ولا انا عربي  
ان انتى منتم الى احد فاني منتم الى ادبي

روى ابو العيناء الهاشمي عن الفخذي عن شبيب بن شبة قال كنا وقوفاً بالمربد موضع البصرة وكان المربد مألف الاشراف اذ اقبل ابن المقفع فبشنا به وبدأناه بالسلام فرد علينا السلام ثم قال : لو ملتم الى دار نيروز وظلها الظليل وسورها المديد ونسيها العجيب فعودتم ابدانكم تمهد الارض وارحتم دوابكم من جهد الثقل فان الذي تطلبونه لم تفتشوه ومعا قضى الله لكم من شيء تناولوه . فقبلنا وملنا فلما استقر بنا المكان قال لنا : اي الامم اعقل فنظر بعضنا الى بعض فقلنا : لعله اراد اصله من فارس فقلنا : فارس فقال : ليسوا بذلك انهم ملكوا كثيراً من الارض ووجدوا عظيمًا من الملك وغلبوا على كثير من الحق ولبت فيهم عقد الامر فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ولا ابتدعوا باقي حكم في نفوسهم قلنا : فالروم قال : اصحاب صنعة قلنا : فالصين قال اصحاب طرفة قلنا فالهند قال اصحاب فلسفة قلنا السودان قال : شر خلق الله قلنا : الخزر قال : بقر سائمة قلنا : فقل قال : العرب قال : فضحكنا قال : اما اني ما اردت موافقةكم ولكن اذ فاتني حظي من النسبة فلا يفوتني حظي من المعرفة ان العرب حكمت علي غير مثالب مثل لها ولا آثار اثرت اصحاب ابل وغنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته ويتفضل بجموده ويشارك سيفه ميسوره ومعسوره ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة وينعله فيصير حجة ويحسن ما شاء فيحسن ويقتبح ما شاء فيقتبح ادبهم انفسهم ورفعتههم همهم واعلمهم قلوبهم والنتهم فلم يزل حياه الله فيهم وحياتهم في انفسهم حتي رفع لهم الفخر وبلغ بهم اشرف الذكر وختم لهم بملكهم الدنيا تلى الدمر واقتتحت دينه وخلانته بهم الى الحشر على الخير فيهم ولهم فقال سبحانه ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والماقية للتيقن فن وضع حقهم خسر ومن انكر فضلهم خعم ودفع الحق باللسان اكبت للجنان اه

اما عناية الاسلام باسقاط الجنسية قترام مائلاً من حسن معاملتهم للوالي فقد (١) ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مودة زيدكمولاه وقال ان قتل فاميركم

جعفر وامر رسول الله أسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا في امارته وكان امره على جيش فيه جلة المهاجرين والانصار فقال عليه السلام ان طعنتم في امارته ائبد طعنتم في اماره ابيه قبله ولقد كان لها اهلاً وان أسامة لها اهل . وقالت عائشة لو كان زيد حياً ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لايه . ثم مات أسامة عليّ وأنا وهو سيان فقال : كان ابوه احب الى رسول الله من ايكم . كانت احب الى رسول الله منك اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الزوجهات ان لا ينه عن أسامة اذى من غلط او لعب فكأنها تكرهته تنهوى منه ذلك رسول الله . فنهى عنه عليه وسلم بيده وقال له يوماً ولم يكن أسامة من اجل الناس لو كنت جارية لكانت وحايتك حتى يرغب الرجال فيك وفي بعض الحديث انه قال أسامة بن احب الناس اليّ . وكان صلى الله عليه وسلم ادى الى بني قريظة مكاتبه سلمان فكان سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي بن ابي طالب عليه السلام سلمان منا اهل البيت ويروى ان المهدي نظرايه وهداية بن حمزة في يده فقال له رجل : من هذا يا امير المؤمنين فقال : اخي وابن عمي عمار بن حمزة فلما ولي الرجل ذكر ذلك المهدي كالمأزح لعمارة فقال له عمار انتظرت انه يقول : ومولاي فانقض والله يدك من يدي فتسم امير المؤمنين المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب

زعم الياضي انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين مبارزة وبين يدي مسمع مولى له له بهاء ورواء ولعن فوجه جعفر الى مسمع مولى له ايتارعه ومجلس مسمع حافل فقال ان انصفني والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجه اليّ مولى مثل هذا واوماً الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضاً لما بكره وجهت اليه واوماً الى مولاة فمجب اهل المجلس من وضعه مولاة ذلك الموضع الذي تباعى بمثله العرب وقد قيل الرجل لايه والمولى من مواليه . وفي بعض الاحاديث ان المعتق من فضل طينة المعتق . ويروى ان سلمان اخذ من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر من تمر الصدقة فوضعا في فيه فالتذعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابا عبد الله انما يحمل لك من هذا ما يحمل لنا . ويروى ان رجلاً من موالي بني مازن بقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هذاب المازني وهو في ذلك الوقت سيد بني حميم فاطبة فظهر عليه المولى حتى اذن له في هدم

داره فادخل القبة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا كف عنه ثم قال يا عمرو قد  
 آريتك القعدة وسأريك العفو وقد كان في قريش من فيه جفوة ونبوة  
 كان تابعين جبير احد بني نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه الجنازة سأل عنها  
 فان قيل قرشي قال واقوماه وان قيل عربي قال واماداتاه وان قيل مولى او عجمي قال  
 اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت . ويروى ان ناسكا من بني  
 الحميم بن عمرو بن تميم كان يتول في قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي سنة فاما  
 المعجزة فمعه عبيدك والامر اليك

ومثل ذلك ما كان بعضهم يقولونه لا يقطع الصلاة الا ثلاثة حمز او كعب او  
 مولد وكنوا لا يكتفونهم . نكبي ولا بدعونهم الا بالاسماء والالقباب ولا يمتون سيفه  
 الصف معهم ولا يتقدمونهم في الموكب وان حضروا طعنا فاموا على رؤوسهم . ومن  
 الطعموا الاولى سنة وفضلته وعلمه اجلسوه في طريق الخبر لئلا يخفى غي الناصر انه ليس  
 من العرب ولا بدعونهم يصلون على الجنائز اذا حضر احد من العرب وان كان الذي  
 يحضر عزيزا وكان الخاطب لا يخطب المرأة منهم الى ابوها ولا الى اخيها ومنه يخطبها  
 الى موالها فان رضى زوج والارد فان زوج الاب والاخ بغير رأسي مواله فسم  
 النكاح وان كان قد دخل بها كان سفاحا غير نكاح

وذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الموالى والعرب ان الحجاج اخرج عليه  
 ابن الاشعث وعبد الله بن الجارود ولقي ماتي من قراء اهل العراق وكان اكثر من قتله  
 وخلفه وخرج عليه الفقهاء والمقاتلة والموالى من اهل البصرة فلما علم انهم الجمهور لا كبر  
 والسواد الاعظم احب ان يسقط ديوانهم ويفرق جماعتهم حتى لا يشلقوا ولا يشاقدوا  
 فاقبل على الموالى وقال انتم علوج وعجم وقراؤكم اولى بكم ففرقهم وفض جمعهم كيف  
 احب وصميم كيف شاء ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجه اليها  
 وكان الذي تولى ذلك منهم رجل من بني صفد بن عجل بن جليان يقال له سمراس وقال  
 شاعرهم

وانت من نقش العجلي راحته . وفرفشيتك حتى عاد بالحكم .

يزيد الحكم بن ايوب التميمي عامل الحجاج على البصرة .  
 ولقد اورد ابن بسام في النسيئة سيفه فخرج الايوب الى جعفر احمد الدودين

البتسي رسالة ابن غرسية يخاطب بها ابا جعفر بن الجزار في فضل الشعرية وذم العرب ابتدأها بقوله

يا ابن الاعراب ما علينا باس لم نجتك الا ما حكاه الناس  
وقال :

ولم اشم لكم حسبا ولكن حدوث بحيث يستمع الحداء  
وقال فيها في وصف المعجم

هم ملوكا شرق البلاد وغربها وهم مخوكم بعد ذلك سوؤدا  
حلم وعلم ذوو الآراء الفلسفية الارضية والعلوم المنطقية الرياضية حملة  
الاسترلوميثا والجومطريقا والعلة بالارتعاشا والانولوطيقا والقومة بالموسيقى والغلويتا  
والنهضة بعلوم الشرائع والطبائع والنفرة في علوم الاديان والابدان ماشئت من  
تحقيق وترقيق حسبوا انفسهم على العلوم الدينية والبدنية لاعلى وصف النافعة العبدية فعبثوا  
ليس بالسفاه كفعل نائلة واساف اصغر يشانكم اذ يزق خمر باع الكعبة ابو غسانكم  
واذ ابو رغانكم قاد فيل الحبشة الى حرم الله لاستئصالكم

والرسالة كلها على هذا النسق استغرقت مع الردود عليها سبع عشرة ورقة من  
الدخيرة ولولا غلبة التعريف الكثير عليها لاوردناها برمتها وقد رد عليها كثيرون من  
ادباء الاندلس في عصر كاتبها ومن جعلتهم المخاطب بها ابو جعفر وردودهم كلها الى  
السفاهة والبذاءة اقرب وكتابة ابن غرسية امنن وحججه اوضح .

وكتناود ان نشبع الكلام على الشعرية اكثر مما اشبعناه واكتفينا الآن  
بما لدينا من النقول الصحيحة ولعل احد مؤازريها يكشب في هذا الموضوع ليجلوه اكثر  
مما جلوناه وفوق كل ذي علم عليم



## اللسان

كل حرفٍ تمطي عليه جوابا      خطأ كان لفظه او صوابا  
 قتمن قبل الاجابة تسلم      من جواب يجني عليك عذابا  
 بين فكيك ليث غاب اذا ما      فبت جهلا في القلب انشب نابا  
 من يده عن دروية يقضب الغير      غط فتغدو اعداؤه اصحابا  
 مقول المرء مثل حاثوت عطا      رحوى ما قدم طعماً وطابا  
 فاذا ما اراد يقطر آريا      واذا ما اراد يقطر صابا  
 رب سهم ان اوترته اناة      فلعج القصد واستفاد الرغابا (١)  
 واذا ما رماه طائش فكر      يتعدى المني فقاد الصعابا  
 كم قتيل للفظه لو عداها      ما عداه برد الصفا جلبابا  
 غادرته تحت التراب اذا لم      تلفها غادرت بفيه الترابا  
 كان قبلا يسقى من المسك كأساً      صار يروى من الصديد شرابا  
 ابحا اللين الذي هو ذوالالب      مدة قد حل داخل القم غابا  
 قل لنا ما صنعت بالناس قدماً      فلقد قيل قد صنعت عجابا

\*\*\*

لفظ الكيس اللطيف انا من      ساد اهل العروش والاربابا  
 اوضح القلب كاشفاً ما حواه      مطفئاً فيه ثاراً لهابا  
 بكلام مثل الندى فاق في جلا      ب الاماني هاطلاً سكابا  
 مقطه في الساع خير ونمي      مرجع للشيخ العتي الشبابا  
 تجدد الملك والمملك في قب      ضة كني وما رجوت استجابا  
 اتقن الكل بانتفاني ومن تدا      فيه مثلي محبباً خلايا  
 بي بصي الملك الرعايا فتبدي      آي حب اذا دنا او غابا  
 ويسوس الشعب الوزير نهما      ز المرجى ويبلغ الآرابا

(١) لم ترد الرغاب فيها لما جم ولكنها وردت في الشعر قال ابو العتاهية  
 واسأل الله اذا نمت فقرأ  
 فهو يعطيك العطايا الرغابا

واخو الخمر الوسع بي اسند  
كم دعوت ابن خيشة في نعم  
كم منى دونها الثريا دنت بي  
في الاماني فامطرته سمها  
يكتمني فاخر السمس ثيابا  
لجنت قطفها الاكف اقتضابا

\*\*\*

واذا ما طلفت من حكماقي  
ودعوت العج الخمر ظلما  
واطرح الخلل الصفي قصيا  
وانخذت الرأي الضلال دليلا  
واجتلبت الالوف تلي الوقا  
ناطقات الكرات متقدات  
كم صباح تكس الزبار كستها  
وبنوها الفراع أمسوا يتم  
اترك المعلم الاغن وقد با  
فانا من ادير خمرآ وغسل  
وانا من تجيب شافي آفي  
وقصارى امرى مبين بيت  
من تحطى بي الروية اخطا  
خفيت شرقي المغاني الرحا  
واعتربت الحق المين كذبا  
بعد ما كان يستزيد اقترا  
وتركت الراضين عني غفيا  
مرويات مناصلا وحرها  
حاصدت كهولها والشبابا  
شرقي بردة الظلام اهابا  
يتلون حيرة واكتئابا  
ت بسماعي شر مسمى يابا  
تأ واجنى الزقوم والعابا  
انشر الميت او ابين الرقابا  
لنوي النبل مشرع ابوبا  
من حلتا لي نبح الصواب حابا  
امين شاهر حير الله  
دمشق



## الحاكي او الفنغراف

بقلم يحيى الفندي اسكندر المملوك

( نظم هذه الايات ونقشها على اسطوانة بصوته تلبية لاقتراح صديق له )

صوت السلام اميرك احياك      وبكشمة كولبس احياك  
ان الصحائف والمطابع والمدا      رس والمعامل زينت مغناك  
وكذا الزراعة والصناعة والتج      لارة عززت في نجمها مبدك  
سميت نصف الارض عن ثقة وقد      فاشرت كل الارض في انباك  
فهي اديس ألف الف تحية      وبها جنت من الفنون مذاك  
يكفيه ايجاد الفنغراف الذي      قد شاع بين العرب والانراك  
ألتي تنفخ البوق بعثة ميثنا      فاقاه من قبره الفناك  
وتصيد الاصوات من يجر الهوا      بشباكه كنصيد الاسماك  
فيحي يا ذنر ما يقال كسامع      ويعيده بلسانه كالحاكي  
هو صادق في نقل اخبار وفي      حفظ الكلام وليس بالافاك  
يتقلد الاصوات كيف تلونت      بفصاحة وهو الضحوك الباكي  
ونراه يطق باللفات كأنه      متلفن بالروح وحي ملاك  
وبدور كالنولاب وقت تكلم      فكأنه سيارة الافلاك  
وحمل حفظ الصوت شبه دماغنا      في شدة الاحساس والادراك  
ولسانه بعد الفكر ناطق      بمواطن القلب الشكور الشاكي  
هنا محبة مرنا واديس      مبدى العجايب فيه كل رجاك  
فلا زال بالمر الطويل ممتعا      ماشف الاذان صوت (الحاكي)



### سیر العلم والاجتماع حياة النبات

يرى اوسونكى احد كبار علماء روسيا ان حياة النبات تشبه بمجملتها حياة الانسان فلها مزاج وشهوات وميل وكراهة كالأدميين وكان علم الزراعة من قبل يرى ان النباتات عارية من هذه القوى فيكتفي الزارعون بزرعها وسقيها او بتغذيتها وذلك بوقايتها من اخطار رداءة الهواء وتحسين ما يلائم طبيعتها من الاجواء. ولكن هذا العالم رأى الآن ان لا سبيل الى الانتفاع من النباتات واستنبات الجيد منها الا بمعاملتها معاملة من يعقل ويمس وقد مثل لذلك بنبات البطارس ( الخشخاش ) والفطر والمخلب وقال انها تنقبض اذا اخذت ووضعت على قطعة من خشب مغطاة بالجلاتين واستدل من تأثير هذه النباتات على انها حساسة كالحیوان ومن رأيه ان النباتات تتأثر بالنور والهواء أكثر من جميع الحيوانات فمنها ما يتجه نحو الشمس ومنها ما يوجه وجهه قبل المشرق ومنها ما يغلغ نفسه عند الغروب ومنها ما يسهر في الليل وينام في النهار نوماً شبه بالموت. ومن انواع البقول ما ينام على سوقه ومنها ما يقي نفسه من حرارة اشعة الشمس بان تجعل اوراقها على صورة لا تضر بها للنور مباشرة وانا لثرى الازاهير في الاصاحي ( اواني الزهور ) توجه وجهها نحو النوافذ كما نرى الهندباء تنبأ بسقوط المطر ولا تفتح ونبات المستحية تخاف من الضجة بل قد يفسى عليها متى اطلق امامها مدفع. ومعظم النباتات تتأثر بالاثير والمورفين والكوكايين. وعلى هذا فقد استعجب العالم بان ارسطو كان على صواب في قوله ان للنباتات روحاً فقال ان معرفة ذلك من حال النبات يدعو الى احسان تربيته وتمهده فاذا فعل المزارعون الفلاحون وارباب الحدائق ذلك فهناك الغلات الجيدة في الكمية والكيفية.

#### المجموع العصبي

بحثوا في المؤتمر الطبي في جنيف مؤخراً في ضعف المجموع العصبي (نوراستينيا) واخبر فقال بعضهم ان المكثرين من تناول الماء اكثر عرضة لهذا الضعف من غيرهم. ومعلوم ان هذا الضعف لا يتناول القوى الطبيعية فقط بل يتناول القوى العقلية والحجاسة الادبية ويشعر المصابون باضطراب في الوظائف العضوية وجميع هذه الاسباب تؤثر تأثيراً مضيقاً في الجسم والعقل. وجري البحث فيما اذا كان الاعتماد على المنعشات

في مثل هذه الحال لا يفيد المصاب بهذا الداء اذا شفعها بتحسين اصول غذائه .  
لا شك ان المصاب بضعف الاعصاب يشكو من سوء الهضم في الغالب فمن الاحتياطات  
ان لا يعطى من الاطعمة المائعة والسائلة ما يهيج معدته وليس معنى هذا انه ينبغي  
حذف جميع المنعشات من طعمه وقد تبين ان الخمر على انواعها تضر بالمصاب بهذا  
الضعف كما ثبت ان الكثيرين من تناول الماء مصابون بالسوداء وسريعو الانفعال  
والسخط .

### الماء المقدس

لفت راهب ايطالى من المشتغلين بعلم الجرائم والطب الانظار للاخطار التي  
تحدث من اجران الماء المقدس في الكنائس فثبت لديه ان في كل مئة سنتيمتر من الماء  
المقدس في كنيسة القديس كروس في تورين مئة وخمسين الف جرثومة اذا اخذ  
الماء من سطح الجرن واذا اغترف من داخله يحتوي على ستة ملايين جرثومة . وقد حقن  
بهذا الماء حيوانات فكان سببا في قتلها بالسل او الخناق او غيرها من الامراض  
المضادة وقد بين الطرق الواقية من تناول الماء على الصورة المألوفة واخذ رجال الدين  
هناك يبحثون في واسطة تدفع الجرائم عن الماء لا بفصل الاجران بالسلياني فقط بل  
بالنظر في كيفية تناول الماء .

### طهارة برلين

اصبحت مدينة برلين بالنظر للارتهاء الذي ما زال متواصلا فيها وفضل العناية  
في تطهيرها ووقايتها من اظهر مدن العالم ان لم تقل انها اظهر مدينة في العالم فاصاب  
الصحة من هذه الطهارة حظ وافر فقد كُن معدل الموت فيها سنة ١٨٧٦ — ٢٩  
فاصبح سنة ١٩٠٠ — ٣٥ وصار هذه السنة ٣٨

### الحكم بالاعدام

نسمع انكثيرين من اصحاب الرأي يقولون حينما يلفهم ان الاشقياء كانوا  
لقلان فسلبوه متاعه وقتلوه شر قتلة لوفد الحكم بالاعدام لوقف الاشقياء عند حدهم  
ولما تجرأوا تلك الجرأة على قتل النفوس التي حرم الله قتلها قال احد نواب الفرنسيين  
ما جعل الاسافل يفتالون الكرام الا عدم الشدة في العقوبات وهانحن اولاد نمر به  
بالحرف الواحد: كل جمعية لها الحق ان تتخذ جميع الوسائل الضرورية لحفظ كيانها

واني لا اظن انه يمكن ان تعاقب المجرمين كافة لانه يوجد منهم من يستحيل وجود عقاب يناسب فقطاعة جرمهم واني لست من الذين يقولون ان السبب في كل الجرائم البؤس فلا محل لتلك الاعذار التي ينتحلها لم بعضهم قبل ان تلقي حكم الاعدام . ان تحقق من امر العقاب الذي يحل محله . قد لطف قانون السجون ولكن الجرائم لم تخف بل لا تزال في ازدياد وزاد على ذلك ان الجرائم التي ترتكب اليوم انقطع من التي كانت ترتكب امس نعم ان البشر ليسوا بمصومين وقد يفلطون ويصن سيرة التحقيق المتبعة اليوم بفرنسا والمرافعات القضائية تجعلنا نقول ان الخطأ اقل من السابقين . وارجو من زملائي ان يشملوا بنظرهم القوم الصالحين أكثر من ان يشتملوا به المجرمين . فالجاني الذي يدخل تحت جناح الليل الى بيت فيه أسرة آمنة مطمئنة شاعراً بيده مسدساً لا شك انه يستحق عقاباً على هذه الجريمة الفظيعة بالاشغال الشاقة المؤبدة فاذا لم يجز عليه الحكم بالاعدام فلا شك ان هذا الاثم يقتل كل من يقع تحت يديه كي لا يكون شاهداً عليه . الحكم بالاعدام وحده ككفيل بقل ايدي سفاكي الدماء فارجو من زملائي ان ينزوا هذه الفكرة بميزان النصفة ولا يسلبوا الهيئة الاجتماعية سلاحيها .

#### مزرعة المستقبل

جربوا الكهرباء على شواطئ البحر المحيط الهادي باميركا في تعهد المزارع وحراثتها وزرعها وحصادها فاستعملوا لذلك ادوات دافعة ورافعة تتحرك بشلالات مجاورة فتحدث منها القوة المطلوبة فاق ذلك بنتائج مهمة . ولئن كانت النفقة على هذا العمل تستدعي صرف مئات من الريالات الا انه بتوفرها ثلاثة ارباع ما ينفق في العادة على مثل هذه المزارع لاستثمارها واستنباتها فضلاً عما في ذلك من الاقتصاد في الوقت والذين يهيمون من المزارعين من كثرة النفقات والايدي العاملة في مزارعهم يعلقون الآمال الكبيرة على ان تكون الكهرباء اعظم عاملة في مزارع المستقبل .

#### العصاة في السويد

اتفقت المجتمعات كلها على ان الرياضة البدنية من اسلم الرياضات النافعة حتى ان بلاد السويد تعتبر هذه الرياضة اعتبارها للفروض الدينية وتنفضي على السكان عامة ان يعمدوا اليها فالرياضة البدنية اجبارية في المدارس على كل طفل منذ سنه

فتبث الحكومة باسائذة من قبلها الى كل مدرسة ليشرفوا فيها على تعاطي هذه الرياضة كما اتعا تقضي على كل تليذ ان يسبح سوا خلاف من الماء ام لم يخف كدسرة تكرو على العوم . والحكومة هناك تدفع للاطباء المنتشرين في الاقاليم المختلفة من البلاد روايت من خزانة لان ما يتناوله الطبيب في القرى من زينة لا يكفيه في معاشه . ومن العادة في البلدان المأهولة بالسكان ان لا يتناول الطبيب اجرة عيادته بل يترك معاشه لقمة زينة فيدفع له كل زبون بقدر طاقته بحيث يسمن كبسه بدون طلب ولا ابرام ويمش كالاغنياء او احسن .

### اللبن الحليب

استبان لارباب الاحصاء ان الغرام باللبن الحليب في العالم يزد ولا ينقص فقد بلغ ما يصرف كل يوم منه في العالم كله مليوناً وثلاثمائة وثمانين الفا وخمسة دنان منها خمسة الف طن في الولايات المتحدة . واللبن هو الغذاء الطبيعي المفندي والشافي والقيذ والبسيط .

### احترام الآراء

خطب ارنست لافيس في احدى المدارس الفرنسية في معنى احترام الآراء والمذاهب فقال ان القضاء والشرطة لم يحصلا الا لدفع الناس بعضهم عن بعض وان الاسباب التي تدعو كبار الرجال الى ان يتباغضوا بغضة شديدة جداً ترجع الى امر واحد الا وهو الاختلاف في الآراء السياسية والدينية وينشأ عن هذا الاختلاف احياناً بغض وكرهية . فالتناس يختلفون في العقائد فمنهم المحمد بعد طول التأمل ومنهم المؤمن الذي احب ان يموت على دين اجداده ومنهم المحافظ الذي يري بقاء القديم على قدمه في السياسة وان الاحتفاظ بالتقاليد من الضروريات في الحياة العامة ومن دافع عنها فيقوم بالواجب عليه وكأنه يدافع عن مصلحة الوطن نفسه ومنهم الثوري الذي لا يرى السعادة في غير اهراق الدماء وان الخير معقود بنواصي الفتن ولا تستقيم الامور بدونها اما انا فاقول انه من الممكن ان يتخالف الناس بدون ان تسوء حالهم وانه قد يتأتى لغصوم ان يجب بعضهم بقصاً ويحترم بعضهم بعضاً فاذا قدروا على ذلك فانه يجب عليهم ولا سبيل الى ان يعيش الناس بعضهم مع بعض في سلام الا اذا جعلوا التسامح رائد لهم واذا قضي على احد الرجلين ان يحكم عليه فن يفصل بينهما ؟ لاشك ان

القوة هي الحكم ولكن استعمال القوة في مصادر الافكار هو من الاغلاط التي تلوم المستقبل عليها ولكم حكموا بسقاط بعض الآراء في القدم فازالت على انتشارها الى اليوم ولكم حكم القضاة في الامور الدينية فعندنا نحن اليوم نحكم عليهم بل ننتم عند سوه حكمومتهم ولكم اقيمت التاثيل اليوم لرجال ذهبوا بيد القدر والقهر ورموا في النار فاصححت الساحات التي اعدموها فيها مزدانة اليوم بتاثيلهم التي نصبت لتمجيد . يقول قوم ليس اشق من ارادة المرء ان لا يعمل مع غيره ما لا يريد ان يعمل معه وان انصار الحرية اذا قبضوا على القياد يمنعونها غيرهم فيخالقون بذلك قاعدة الحرية كما يقولون ان الحكم بين المتناقضات ليس له الاحكام واحد يخضع له العالم بمرم صافرين ونعني به « العالم » ولكن من يدعون الى العلم يجهلون ماهيته فان المفصلة اكبرى في العالم هو انه يبحث دلى الدوام ورجا ضل في ابحاثه ضلالا بعيدا وتكن من فضيلة العالم هو انه يجد نفسه الاغلاط التي ارتكبها وانه يرجع عن الاوهام التي جاء عليه زمن فاعجبته واخذت بمجامع قلبه ثم يعود الى البحث وما موضوع بمشة الا الحوادث في الحوادث التي اكتشفها يتخذها الناس حججا وبراهين فبه ينظرون مثلا في حوادث تاريخ الارض والانسان التي ابرزها العلماء الى عالم الوجود خلال القرنين الاخيرين ويتناقشون بما تجدد لهم من هذه الحوادث في معتقداتهم الموروثة ويمزمون اما على رفضها او على قبولها ولكن العلم لا يكتب الغلبة للدين على آخر بل يأخذ في سبيله باحثا مستقصيا ولا يعرف احد الى اي طريق ينتهي به البحث وما عظمته وجماله وانسانيته الا بما يدور على معاطفه من الشك والريبة . ولا ارى مخلصا للناس من تمليل الاختلاف بين الناس الا بالحرية والتسامح والاكثر من المدارس التي لا تسمع فيها للباحث الدينية صوتا وان الحرية اذا لم تكن متصلة في الاخلاق لا تجدي فيها نفعا .

## النوم

كتب احد الباحثين في المجلة الباريزية بحثا في النوم وما ينبغي للانسان منه حتى يتجدد جسمه فقال ان النوم هو احد عوامل الكون وجميع البشر على اختلاف في اعمارهم يخاضعون له وان الرجل العادي يموت من قلة الهواء في خمس دقائق ومن قلة الماء في اسبوع ومن قلة النوم في عشرة ايام اما الاكثر من النوم فيميل في الرأس ثقلا

وفي الجسم كسلاً . قالت لعقيلة مريم ماناسين في كتاب لما نشرته حديثاً انه لا ينাম نوماً طويلاً الا من فرغ ذهنه وقل فكركه وان اناساً يستولون الى النوم عندما يتفرغون من مشاغلهم لان طبائهم مفتقرة بحيث يتعذر عليهم ان يجدوا من افكارهم الخاصة مادة يعتمدون بها وقد اكد سارنس من علماء الاخلاق ان ارباب السخافة ينامون طويلاً .

وقد سأل صاحب المبحث جملة من كبار ارباب العلم والفنون في فرنسا في معنى ما يلزم للرجل المفكر من النوم فكانت اجوبتهم متفقة في الجوهر وان اختلفت في العرض فقال احدهم : اني متى تعبت يستحيل علي ان اتماعى اي عمل كان فاراني مفتقراً الى الراحة . وعليه فالواجب ان ينام المرء ليعيش لا ان يعيش لينام وقال آخر : انني في حاجة لان انام ثمانى ساعات على الاقل ولكن كيفية النوم تنهم أكثر من كيمته ومن رأيي ان لا يعتمد طالب النوم الى استعمال المتوالت والتخدرات وقال جولد كلارمي احد اعضاء المجمع العلمي : اني في حاجة الى النوم كثيراً وبقل تعبي عندما انام واناام سبع ساعات على الاقل على اني اعمل بلذة ان تمت قليلاً او كثيراً وانا لا اشكو الا من الارق فان التفكير في اشغال الفد هي التي تورقني حتى السحر . وقال كورمون من مجمع العلوم : اناام من ثمانى الى تسع ساعات واثأثر لاقل حركة تحدث امامي وكثيراً ما اقضي الليل ساعراً كأنني ملسوع فان تمت ليلتي اتماعى عملي من الفد واذا افطمت في نومي لا احسن العمل ايضاً ومتي تمت لي ثمانى ساعات تكون صحي الى الاعتدال وقائ الاستد ديولا فوا : ان النوم كالغذاء فبعض الناس يحتاجون لطعام كثير وبعضهم يتبلغون بالقليل كما ان بعضهم ينامون طويلاً وبعضهم يكتفون بقليل من السهاد ومن القواعد العامة ان قلة النوم والارق يجلبان التعب ويقللان الميل للاشغال العقلية وعلى العكس في النوم الكافي والسهاد المصلح الموعض فانهما من شروط العمل اما انا فاناام سبع ساعات . وذكر آخر انه اذا نام يتضاعف عمله ويوجد عشر مرات عما اذا لم ينم وتسهل اموره وانه على ثقة من ان يلاذك الشاعر لو كان نام القدر اللازم له لجاد شوره أكثر وخذت آثاره فقد نلن انه يسره يقتصد وقتاً وفي الحقيقة انه اضاعه ويقال ان نابوليون لما انتهك السهر فواه نام في معركة وارتلوه وهو واقف .

وذكر الكاتب اسباب الارق فقال انها قد تكون ادية مثل الاهتمام بالاشغال والامنى للمستقبل واتعب العقلي وتعب الوجدان والحزن وبكيت القلب وقد يشأ

الاروق من امراض طبيعية صرفة وفي الغالب ان المرء يحرم النوم بتساهله لانه يحسن الاضطجاع على فراشه ولا يتخذ الاسباب اللازمة فلقد اهتمدنا الى افضل الطرق في الاكل وافضلها في الشرب ولم نعتد الى الطريقة المثلث في النوم فان اريدنا بهذا ان ننام فعليك ان تتخذ لك غرفة بعيدة عن الفجوة خالية من الانوار الصناعية والحيرانات والزهور والاثاث والبسط وان تكون معرضة كل التعرض للهوية حتى في الشتاء وان يكون الفراش مخفياً قليلاً من الرأس الى الاقدام بحيث ترتاح غير الاعضاء جيداً وان يتخذ الفراش من الصوف وتكون الخدعة لا رخوة ولا يابسة وان يرتاح من الغطاء الخفيف ومن الوسائل القليلة التضاعيف والنعومة وعليك ان تلبس ملابس يساعتين او ثلاث فالاولى ان لا تقفي الجفون الا بعد ان يتم الغضم على ان يبرد هالوبو ينصح للمشتغلين بالاشتغال العقلية ان يناموا بعد الاكل ومن رأيه ان يربح ترك الدماغ يستريح خلال الغضم . وخير طريقة يمد اليها الفيلسوف والشاعر في نومهما هو ان يقطعاً الليل شطرين وذلك بان يناما بعد العشاء حتى الساعة الواحدة صباحاً ( بعد نصف الليل ) ثم يأخذان في الاشتغال ثلاث ساعات قبل ان يعودا النوم وينبغي لهما ان لا يتخليا عن القيلولة في خلال ايام القيق ويفضل النوم منفرداً وعلى النائم ان يختار وسط الفراش ليناء هنيئاً وترتاح اعصابه وتبسط وان لا نهض وذراعه فوق رأسه كما يفعل بعض النساء تدللا لان ذلك مما يخالف نومهم الفسيولوجيا فاذا صدر النائم صرخة وجهه كثيراً يتعب اعصاب ذراعيه واعصاب صدره وينقبض عنقه ويهز نفسه فلا يمتد طويلاً وعليه فالواجب ان يكون الرأس واضئاً ما امكن حتى يسرب الدم الى الدماغ على صورة منتظمة وان يمتد الجسم كل يتمدد وان لا ينثني الساقان وان لا يشبك احدهما مع الآخر وان لا ترتفع الركبتان ولا ينفع النوم مستلقياً على الظهر ويؤكد بعض الاطباء ان هذا الضرب من النوم ينشأ عنه مرض النخاع الشوكي وربما كانوا مبالغين في تصورهم على ان النوم بالاستلقاء يحدث ارقاً مضيقاً او كابوساً او اضعاف احلام والنوم على الشق الايسر اصعب حالاً من الاستلقاء ايضاً لانه يوقف الهضم ويؤدي الى ضيق التنفس والاختناق والى حدوث حركات في القلب تضغط عليه وتؤذي . وعلى النائم ان لا ينام وبطنه منبسط فالافضل ان ينام المرء على جانبه الايمن لما في ذلك من النفع للجواس وعلى هذه الطريقة ينبغي لنا تمديد اولادنا وان تقتصر نحن ايضاً ان ننام مثلم .

واذا حدث لنا ارق فالواجب علينا ان نعد الى الطرق البسيطة لجلب الكرى الى الميرون وذلك بالمشي والاستحمام قبل النوم ولا ينبغي اخذ شيء من العقاقير والمخدرات لانها ضارة وتأثيرها موقت لا يلبث ان يزول هذا وتبقى كل انسان ان لا يفعل امر النوم فقد قال ليبسول ان في النوم لصحيحي الجسم قوة وفرحاً وللمريض شفاء وهناه .

### البنون والبنات

خطب الميوارنست لانيس احد اعضاء المجمع العلمي الباريزي في معنى وجوب المساواة بين البنين والبنات في احدى مدارس البنات في فرنسا قال ما محصله : علمت المدرسة انكن ايها الفتيات لم تخلقن لعشنة عيشة اصحاب القناطير المقتنطرة من المال بل هي تمكن استعمال ادوات العمل واعني بها الخراش والايرة وتعلمكن مبادي الاقتصاد المنزلي اي تدبير المنزل وليس من منزل مهسا كالت صغيراً الا هو محتاج الى ربة تدبر امره وتصلح شأنه وتقوم على تهيئته . فالنظام والنظافة والنزق والراحة كلها تدعو المرأة لان يزيد المكث في داره ويحل منزله محلاً رفيعاً من سوياء قلبه ومن حسن ادارة بيته وكان فيه اللطف والظرف يحسن هندام نفسه

وحسن تدبير المنزل هو من اكبر الدواعي لادخال النظام على ثروة البيت وان قلت ومعني التيام على تدبير المنزل التفكير للفرد والنظر في المستقبل ابدأ وحسن استعمال اوسائط التي تدفع اليوم عنا عوادي الحياة وتصرف عنا السوء . وهذه النرائع هي التي تعلمنها المدرسة . الا فاستمعن لقولي واليهبط علمكن بانه من مايت وان حصر الاوسعة المحككة ان يكون كبيراً . فالام المتوسطة الحال اذا قامت باواجب عليها وراعت قواعد الاقتصاد في دخلها وخرجها ونظرت ابدأ في روح المستقبل يتأتى لها في بلاد الديمقراطية ان ترفع ابناءها مكاناً علياً وتبيلهم من الرغائب ما كان قصباً وعندها لا يلبث ذات البيت الصغير ان يكبر بفضل السعي والانتكاش

لاكتفي المدرسة اليوم كما كانت امس بان تعلمكن القراءة والكتابة والحساب فان معرفة الاشارات وتقليدها وتبان وضع الارقام هو من الامور النافعة البسيطة تود المدرسة ان تفهم ما تقرأن وان تتعلمن فيما تكتبن وان تتعلمن في حساباتكن حتى تفهمن في حين ما يقال لكن وما تعلمن وما تعلمن



فالمدرسة تعلمكن واجباتكن وهي تعتقد كما تعتقد الانسانية منذ زمن طويل ان هناك شركاً وخيراً فالخير هو نتيجة عمل العامل وهذا العمل شريف في ذاته والمدرسة تعلمكن الجلال فهي تدرسكن تاريخ بلادكن وتملي عليكن؛ لتعلمن الوطني ما هي معاهدنا وثقافتنا وقوانيننا . ولقد رأى بعضهم ان تعليم البنات هذا القدر من التعليم ليس في لمن غناء ولكننا لو تابعنهم على آرائهم لظللنا بدل ان نخدم الى الامام متأخرين الى الوراء . واي بلاهة اعظم من ان تترك نصف الشعب الفرنسي جاهلاً ببلاده ونقغي بهذا الجاهل على النساء والامهات ان يخرجن من عداد ابناء الوطن .

المدرسة توسع دائرة ابصاركن بتعليمكن الجغرافيا فتدرسكن المبادئ اللازمة في تصور العالم والتواضيس الكبرى في الطبيعة وهي تريد ان تعرفن مكن الجبال البشري والقوم الفاصلة بين اقطاره وعرضه وطوله وقرب البلاد من الحرارة والبرودة . فتوحى بالمدرسة بل تجعل من ام واجباتها الضرورية ان ترفع الفتاة عن ذكاء الفتيات وتشركن ما امكن بتسهيل طرق التعلم في معرفة الاعمال العظيمة التي يقوم بها الفكر في جميع ضروب المعرفة وان تنبه فيهن الشعور بالآداب السامية وتعدهن الى الاطلاع على حقائق الحياة كما هي الآن .

المدرسة هنا لا تميز بين البنات والبنين فقد رأيت في كلية السوربون في احدى ايام الاحاد في هذا الربيع مشهداً اخذ بمجامع قلبي . شهدت مئات من العذارى الاوانس وقد تزين واخذن يشدن الاناشيد وكن عبارة عن ثييزات المدارس العالية في باريز اذن حفلة لاسراتهن ولعمري من كان يظن منذ خمسين سنة ان يكون لفرنسا مدارس عالية للبنات . كُتبت في سنة ١٨٦٩ امين سر الميودروي ناظر المعارف العمومية فحاول هذا الاستاذ الشهير العظيم وكانت آراؤه كلها صائبة سديدة ان يدرس مدارس ثانوية للبنات فوافقه بعضهم على ما ارجأى ولكن ما لبثت الفكرة ان انتشرت بين الناس بان الاخوات لسن كالاخوة في التساوي وان المذكر افضل من المؤنث كما جاء في كتب النحو التي فيها الرجال . فكان القوم يظنون انه يمكن ابنة قليل من التعليم وان هذا التعليم من خصائص الكنيسة فقط ان تعلمه ولذلك قاوم رجال الدين في انقاذ مشروع الناظر المشار اليه .

اقتت ايام وازمان فاصبح يجدد المدارس العالية للبنات ٤٢ مدرسة جامعة و .

مدرسة داخلية و٦٩ مدرسة ثانوية وبلغ عدد المتعلقات فيها ٣٠٨٣١ بعد ان كان اقل من النصف قبل عشر سنين وهم يؤسسون هذه السنة اربع جامعات اخرى وربما خمساً وتسع مدارس داخلية وربما عشرًا ولم يكن في اول سنة ١٩٠٣ غير ٣٠ مدرسة داخلية فزادت الى هذه السنة ثلاثة اضعاف .

النساء فقط هن المتعلقات في هذه المدارس يستعددن لهذا العمل الشريف الدرس والتربية الكثيرة فيعلمن ناصحات باخلاص ونشأة وانك لتجد مفتش المعارف والرؤساء ونظار الجامعات العلمية يمتدحون بلسان واحد المتعلقات والمتعلقات لانهن يتوفرن على تعليم البنات احسن تعليم بل اقول ولا اخشى من الحق انهن يعملن احسن من تعليم المعلمين من الرجال وقد كان الناس يقولون من قبل ان النساء لا يستطعن ان يفهمن العلوم ولا ان يعلمنها وها هن اليوم يتبحرن في هذه العلوم ويعلمنها كأحسن معلم .

الا وان في منافسة البنات للرجال في مضار العلم لا كبر دليل على صحة ما اقول فقد رأيتنهن ينصرفن الى الدراسة أكثر من الشبان فاصبحن بفضل السهر والدرس رصيفات في الكليات للاساندة من الرجال وقد خلفت المقيمة كوري زوجها في كلية العلوم الباريزية وكانت شريكته في اختراع الراديوه . كل هذا يدل دلالة صريحة ان النساء مستعدات كل الاستعداد للتعلم وان من حقهن ان يتعلمن . اعتقد صفار الفتيان منذ خلق العالم بان البنات من جنس غير جنسهم وان الرجال اسمى مقامًا واكبر عقلًا واقوى جثًا اذا قيسوا بالجنس اللطيف . وما قول الناس هذا من الجنس اللطيف اي النساء وهذا من الجنس القوي اي الرجال الا من الاوهام في المرأة نشأت من التروحش وما كتب للرجال من قوة العضلات وكانت الاناثية والمصلحة هما المساعدتين على انتشار هذا الفكر .

وها قد ضعف اليوم هذا الوم وانتشرت الحقيقة كالشمس الساطعة وما اسهلها وابسطها ولكن الحقائق البسيطة هي التي يطول عهد اكتشافها . الحقيقة التي اعنيها هو ان للبنات كالصبي ذكاء وان كانت الكفالات وادمال الذكاء في الذكور والاناث متفاوتة الدرجات فليس معنى ذلك ان الذكاء الانثوي اضعف من الذكاء الرجولي بل ان معنى ذلك ان كلاً من ذكاء الفريقين متم لصاحبه ليتألف من مجموعه ذكاءه الانسانية . والحقيقة بان للانثى كمال الصبي قلباً يحب ويفرح ويمحزون بل ان حظ البنات

من الاحزان في هذه الحياة اعظم واشد وفي قلوب الزوجات والامهات من نبات المستقبل مادة عظيمة من السموع سينموها في حياتهن المستقبلية . الحقيقة بان بنات النبات كمكظم البنين مضطرات الى الكدح لمعاشهن وأنهن يصعب عليهن السير في هذا السبيل ومغزى ذلك ان الواجب يقضي على البنات والبنين ان يجتمعن ذات يوم ليؤسسن معا أسرة جديدة ويحدث من هذه الحقيقة البسيطة ان البنات كن من مساويان في حقوق الانسانية فلا يسوغ والحالة هذه الى ان يعاملن معاملة البنين . سبيل اعداد الجنسين لجهد الحياة .

وبعد فان النساء لا يصبحن كلهن عالمات كما لا يكون المتجرفات فيهن بقدر المتجرفين من الرجال والعجرفة من الامور البشعة والنساء لا يحببن ان يكن بشعات كما انهن لا يتولين الاعمال كلها لما يقوم في وجوههن من منافسة الرجال منافسة شديدة ولان الطبيعة تقضي بان تكون للنساء صناعات خاصة بهن وللرجال كذلك فاذا جاء فيهن النساء المخرفات تضطرن الحال الى الاعتدال بيد ان الحقوق المخولة للنساء اليوم لا تكفي لتفجير طائفتهم الاجتماعية .

ولقد عنيت دائما في حياتي الطويلة ان اشوق افكار الشبان بل الاطفال الى الحياة وان اطعمهم على ما عساهم يطلعون عليه في حياتهم وارى الآن انه من الواجب ان القنهم بحبة حب الوقت اذا كان للوقت ثمن عديم . انا متشع بان الناشئة متى عرفوا بعد حين الوقت الذي عشائهم يعترفون له بالفضيلة الجميلة من انه عمل على تقوية كل نوع من انواع الضعف كضعف الولد وضعف المرأة وضعف الشيخ وضعف الفقير وضعف الماجز والزمن .

وهذا العمل الشريف الذي تمثله الازمان لا نلاحظه كما ان المتحاربين لا يلاحظون في ممعان الحرب كل ما يجري بينهم بل يرون من خلال التراب والدخان حركات لا يميزونها وهجمات واناسا يفرون وآخرين يركضون وغيرهم يسقطون وهذا الاضطراب العظيم يعدم عن تصور ماتم ومع هذا يتم في ساحة الوغى ما انصرف اليه المقاتلة وتحقق اعلام النصر على من كسب لم .

ولكن قوما يقولون ان انهائض الضعيف من كبوته يضعف من قوة الحاكم وسطوته ويرى ولاة الامر ان هذه السطوة ضرورية مشروعة وانها اذا فقدت فهناك القضاء

على المجتمع وعلى العالم . ولكن الناس لم يسمعوها هذه النبوءات الا عندما تمس آراءهم او عاداتهم القديمة اما انافا فتعتقد بان هذا المجتمع في تبدل ولن يزول فاذ ذهبت صورته يبرز في صورة اخرى .

### لغة البلاد

كانت اللغة البلجيكية الشائعة هي الافرنسية مع ان اكثر من نصف اهلها يتكلمون باللغة الفلامندية وقد علم من احصاء اخيرات ٢٧٤٤٠٠٠ من اهل البلجيك يتكلمون باللغة الفلامندية و ٢١٤٥٠٠٠ يتكلمون بالافرنسية و ٧٠٠٠٠٠ يتكلمون بكليهما والسواد الاعظم من السكان يطلبون فقط ان تكون اللغة الفلامندية اللغة الرسمية للنصف الشمالي من البلجيك وقد صرح النائب الحر الميوج جورج لوراند . انه يحق لكل فرد ان تدار شؤونه بلذته وان الموظفين وهم خدمة الناس يجب عليهم ان يتكلموا الامة بلغتها . قالت المجلة التي نقلنا عنها هذا الخبر وهذا من المعقول بمكان وهو الذي سيكون عليه القرار .

### الجامعة المصرية

افتتحت المدرسة الجامعة يوم ١٥ كانون الاول الماضي حساباً غريباً وهي المدرسة التي انشأها بعض رجال النهضة المصرية وجعلوا لها الاعانات الطائلة من ارباب الخبز لتعلم الناشئة تعليماً اورياً عربياً وطنياً . والدروس التي تلقى فيها الآن محاضرات على الحضارة الاسلامية يلقيها الاستاذ احمد زكي بك ومحاضرات على الحضارة القديمة في مصر والشرق الى ظهور الاسلام يلقيها الاستاذ احمد كمال بك ومحاضرات على آداب اللغتين الانكليزية والافرنسية يلقيها الاستاذان ملر وبوفيليه ومحاضرات على ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب وعلاقتها باوروبا يلقيها الاستاذ دي كويه .

### غرف القراءة

افتتح مساء ٢٤ ذي القعدة الماضي بضة عشر ادبياً من شبان دمشق واعضاء جمعية النهضة السورية غرضاً للقراءة مجانية ووضعوا فيها ما يلزم للراجمة والمطالعة من الكتب والمجلات والجرائد . وهذه الغرف من اجسن المشاريع الادبية في هذه الحضارة بعد اعلان الحرية .

## هجرة الاسبانيين

شغلت مسألة هجرة الاسبانيين رجال البحث فيها اذ رأوا ان عدد المهاجرين تضاعف في خمس سنين فكان الراحلون عنها سنة ١٩٠٠ سبب الاحصاء الرسمي ٦٢٤٨٣ فغدوا سنة ١٩٠٦ - ١٢٧٠٠٠ وهذا القدر فيه نظر لان كثيرين يفرّون بدون ان يأخذوا جوازاً من الحكومة فيسافرون سرّاً فراراً من وجه رجال الشرطة والذين يعودون من المهاجرين كل سنة هم نصف هذا القدر ومعظمهم من الجزائريين يعملون في الفلاحة اما المهاجرون الى اميركا فقلما يرجعون الى بلادهم وترى الآن ٢٠ مليون هكتار من الارض الاسبانية بوراً لا زرع فيها ولا صرع لقاء ٢٢ مليون قايمة للزراعة .

## جرائد الهند

تصدر في اقطار الهند ٧٧٤ جريدة يومية بتسع عشرة لغة مختلفة واكثر انتشاراً جريدة كوراليري تصدر في بومباي ويطبع منها كل يوم خمسة آلاف نسخة وفي كلكتا جريدة بازوموتي وهي اسبوعية يطبع منها خمسة عشر الف نسخة .

## الجنون في اميركا

يزداد فقد العقل في الولايات المتحدة بصورة مخيفة . ففي ولاية نيويورك سنة وعشرون الف وثلاثمائة وسبعة وخمسون مجنوناً وذلك واحد في الثلاثمائة واغلبهم من المهاجرين .

## بيان وايضاح

نهت في كلامي على الطالع السعيد (١) على نوع من الزجل سماه المؤلف بالبقية ولم ادر ان كان يراد به مطلق الزجل في ذلك العصر او نوعاً مخصوصاً منه ثم وقفت اخيراً على بيان واي لهذا النوع في كتاب الاقصى القريب لابي عبد الله محمد التنوخي وهو من مقتنياتي الحديثة احببت ان اتحف به المقتبس الاخر . قال عند كلامه على الموشعات والازجال ما ملخصه ومنها قريبات المصريين وبلقياتهم والفرقة بينهم وبين الزجل ان الزجل متى جاء فيه الكلام المعرب كان معيباً والبقية ليست كذلك فيجوز فيها المعرب وغير المعرب ولذلك سميت ببقية من البلى وهو اختلاف الالوان وتفاوت

البليقة القرية في ان البليقة لا تزيد على خمس حشوات غالباً وقد تنهي الى السج  
قليلاً والقرية تزيد كثيراً على حكم الزجل في ذلك وسميت القرية قرية من القرية  
وهي لعبة يلعب بها صبيان الاعراب انتهى . قلت وهذه اللعبة ذكرها صاحب القاموس  
وزعم صورتها الا انه سماها قرناً لا قرنة وانقلب سهل . احمد تيمور

قصيدة للمري

نشر المقتبس (١) قصيدة لامية لابي العلاء المري لا توجد بدوانه عشر عليها  
احد علماء المشرقيات في كتاب الواصف للصفدي وقد عثرت له على ابيات لامية ايضاً  
لا توجد بالدووان في كتاب التذكرة لابن العديم وهو من كتب دار الكتب الخديوية  
وهذه النسخة بخط ابن العديم نفسه ونصها :

قرأت بخط الشيخ ابي الفضل عبد الواحد بن محمد بن المطار الربيعي الحلبي على  
طهر كتاب انشد ابو العلاء المري في من تمل وصلب .

أبدّر دُجىّ غالته احدى الفوائل	فاصبح مفقوداً وليس بأفل
التمه المنايا وهو اعز الحاسر	خفى غرار الديف بأدي المقاتل
غلام اذا عابت عاتق ثوبه	رأيت دليه شاهداً للحوال
يمسح السك الزكي مرّجلاً	يرف على المتنين مثل السلاسل
سواء ديه سيف السوانج جراًة	ثنى عطفه او في رفاق الغلائل
ونزني العلياء ان حيل بينه	وبين ظفي اسيفه والعوامل
وعري من يرديه والسيف لم يكن	ليخضب الا من دماء الافاضل
أطلوئك من اعلى الفضاء محلة	نأت بك عن ضحك الثرى والجنادل
وليس بعار ما عراك وانما	حمال اتساع الصدر ضيق المنازل

انتهى

الا ان قول ابن العديم انشد ابو العلاء يحتمل انه اشدها لغيره وليست له  
ويحتمل عكسه على اني ارجح كونها له لما عليها من المسحة المعربة وقد عرضتها على الاستاذ  
الشيخ لاهم الجزائري فصوب رأيي فيها وزاد انه لم يعهد في الغالب ان ابا العلاء ينشد  
لفن العرب فالراجح انها من كلامه وقد اعجب بها كثيراً . القاهرة : احمد تيمور

## مطبوعات ومخطوطات

التربية الاستقلالية

أواخر القرن التاسع عشر

لألفونس اسكيدوس ترجمه عبد العزيز افندي محمد

وطبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٦ : ص ٤٦٦

هذا السفر من أجل كتب التربية عند الفرنسيين جرى فيه مؤلفه على أسلوب  
أميل القرن الثامن عشر لجان جاك روسو وصاغه في قالب رسائل ملهدة حرة. خزن  
أفكار ترقى في المرء ادب النفس وادب الدرس . وقد قد له رصيدة صاحب المنار  
مقدمة ذكر فيها غرض المؤلف وفائدة كتابه وكذلك فعل مترجمه الأديب . وكان  
نشر هذا الكتاب ثباتاً في اجزاء كثيرة من مجلة المنار فانفرد الآن ليجمع هذه الكتب في  
أفضل ما يتيه ارباب البيوت ويتلونه على صبياتهم وبنتهم ونسبهم منمنع في  
القاري والسامع ملكة التربية العممية وصورة من صور الآداب الحديثة في المدينة  
الغربية ففسى ان يتفهم بالفرع كما انتفع بالأصل وان يلبه العارفون لغت الأجانب  
منا الى تريب مثل هذه الاسفار النافعة .

دلال التوحيد

تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدميتي

طبع بمطبعة الفيحاء بدمشق ( ص ٢٠٧ )

عرف مؤلف هذا الكتاب بالهمة المالية في التأليف والنشر والنظر في الفنون  
الاسلامية واللسانية . وكتابه هذا حوى من ادلة الكلاميين والفلاسفة لابدين  
ما ندرح به حجج المبطلين والفسطاطيين ونحل به شبهات الجامدين من ماديين  
وقد التزم في حجاجهم جانب الادب والحكمة فلا يدفع الشبهة الا بالحجة ولا بدنع  
الباطل الا بسلطان الحق عازياً بعض الشواهد لاربابها مغفلاً الآخر على حسب الحال .

دوافي القطوف

في تاريخ بني الملووف

تأليف عيسى افندي اسكندر الملووف . طبع في المطبعة العثمانية في بغداد ( لبنان )

سنة ١٩٠٧ - ١٩٠٨ ( ص ٧٤٩ )

هذا المؤلف من كتاب العربية وشعرائها المجيدين ترجم وكتب كثيراً فعد من

جملة من خدموا الآداب العربية وقد اخص هذا التأليف بوصف أسرته الكبرى خاصة وبعض الأسر السورية ولا سيما المسيحية عامة والممثلة بتاريخ معظم اصقاع سورية قديمها وحديثها ومناشيئ سكانها واصولهم وعاداتهم وحواسنهم أخذاً عن الشيوخ مشافهة ومن بطون الدفاتر والكتب المطبوعة والمخطوطة مما يصعب وصول كل باحث اليه فجمع شتيتاً من الحوادث والنكوائن خد به تاريخ البلاد خدمة يشكر عليها وتاريخ الافراد هو تاريخ السياسة .

### تقرير جمعية العروة الوثقى

سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٧

في القطر المصري جمعيتان اسلاميتان قامتتا باجل الاعمال النافعة من تربية البنين والبنات احدهما الجمعية الخيرية الاسلامية في القاهرة والثانية جمعية العروة الوثقى الخيرية الاسلامية بالاسكندرية . وامامنا الآن تقرير الثانية الاخير وفيه ان عدد مدارس الذكور التي استبها كان في السنة الماضية ١١ مدرسة فيها ١٩١٠ اولاد ومدارس البنات ٦ عدد تليذاتها ٥٥٧ بنتاً وقد تبرع لها المحسنون في خلال السنة الماضية بالف جنيه بعضها من محسنين اليونان وغيرهم كما تبرع السيد موربونود وحده بالف ليرة فرنسية واعطى ورثة السيد تقولا آيت الى الجمعية الف جنيه وهي مما خصها من توزيع الخمسة آلاف جنيه التي كان اوصى بها لتصرف على الاعمال الخيرية في الاسكندرية وذلك عدا الاوقاف التي وقفت عليها وهي تساوي بضعة الوف من الجنيهات . وكان المرصد لتفقات التعليم ٥٦٤٦ فبلغت النفقات الحقيقية ٥٧٣٠ ج ٨١٦ م .

### رحلة الحبشة

لصادق باشا الملويد وتعرّب رفيق بك العظم وحقى بك العظم . طبعت بمطبعة الجريدة بمصر سنة ١٣٢٦ — ١٩٠٨ (ص ٣٣٥)

المؤلف والمحرران ممن اشتهروا بالآداب وخدمة الاقلام . والمؤلف هو احد افراد أسرة تعلم معظمهم التعليم المصري وبرزوا في الفنون التي احكموها . وقد كانت الحكومة العثمانية تدب في مهات سياسية فرحل الى جفوب مقر الشيخ السنوسي كما رحل الى كفرة وآسيا الصغرى والحجاز وآخر رحلاته رحلته الى بلاد الحبشة



في محنة من السلطان العثماني الى الامبراطور منليك الحبشي فلم يشأ ان يفتيح رحلاته في الطعام والشراب والسلام والكلام بل قيدها بالورق ونشر بعضها بالتبركية فعزى نسيبه ان لا يفتتح برحلاته الى الحبشة عند العرب فمر بها تعريفاً متفتناً وفيها وادب بلاد النجاشي وصورة مصفوة من تاريخها الحاضر والغابر واجتماعها واصول سببها وعاداتهم وادارتها وصلاتها ببلاد الاسلام ومشاهيرها امس واليوم بحيث جاء الكتاب مرجعاً لا يناء هذه اللغة وسوف تنفع به الاجيال المقبلة كما تنفع نحن الآن برحلات ابن جبير وابن بطوطة وغيرهما من رحالة العرب والعجم . وكتب الرحلات من انفع كتب العمران والحضارة وفي هذا الكتاب صور بعض المشاهير من الاحباش وغيرهم وبعض الرسوم والمصورات على نحو الرحلات الافريقية .

## تركيا الجديدة

لجيل افندي معلوف طبع بمطبعة المناظر في سان باولو من بلاد برازيل

( ص ١٥٤ )

كتاب اجاد مؤلفه في وضعه اتى فيه على اسباب الانقلاب العثماني وتاريخه وقسمه الى ستة كتب الكتاب الاول في اسباب الاضطرابات في الشرق والثاني في تغريب الشرقيين والثالث في التعليم والرابع في القانون الاساسي والخامس في الديانة السياسية والسادس ابقاء ام فناء . كل ذلك مكتوب بقلم يدل على ان المؤلف جولة في المسائل السياسية والاجتماعية وذوقاً في التأليف والتأثير في الافكار ومن رأيه ان الثورة الاخيرة في السلطنة كانت لقلب مبدأ لا للانتقام من شخص ولو كانت شخصية لفشلت لان كثيراً من ملوك بني عثمان تمكروا ولم يفتح من قتلهم فائدة للبلاد بخلاف هذه الثورة التي اشبهت ثورة فرنسا واميركا اللتين اريد بها قلب المبادي لا نقل السلطة من مستبد الى يد مستبد آخر

قال « ولا بد ان يعقب هذا الانقلاب السياسي الصغير ثورة ادبية عظيمة ضد المبادي القديمة كلها فيثور الابن على ابيه والمرأة على زوجها والخدام على سيده والرعية على كاهنها وشيوخها ورجال الدين على كتبهم وابناء اليوم جميعاً سيثرون على خرافات اجدادهم ويرزقون امام العالم امة جديدة مجردة عن كل علاقة مع الاجيال الماضية »

الفتاوى النظم

تأليف محمود افندي الجزاوي طبع بمطبعة « روضة جاني » بدمشق

سنة ١٣٢٦ هـ ( ص ٨٦ )

هي رسالة منظومة في قسم المعاملات من الفقه الحنفي فيها فوائد كثيرة لا يستغني عنها مستفت - ونظم المؤلف وسط ولعله ارق من كثير من منظوم الفقهاء والمحدثين والمؤلف احد مفتائي دمشق الذين نفاخر بهم لم يشتهر بالعلم اشتباهه بالفقه والحديث وله رسائل وكتب طبع بعضها وبعضها لم يطبع .

نخبة عقد الاجياد

في الصفات الجياد

تأليف الامير محمد باشا الحسي الجزائري طبع على نفقة المطبعة الاحلية في بيروت

سنة ١٣٢٢ ( ص ٣٠٤ )

هو كتاب موجز من سفر مطول بهذا الاسم ذكر فيه المؤلف نشأة الخليل وفضائلها وتكريمها والقول في حومها وانواعها والوانها واعضاؤها وصفاتها وتفضيلها واطوارها وخدمتها والاتفاق عليها وتأديبها وكيفية تسميها والسباق وما يتعلق به الى غير ذلك من الفوائد المهمة التي لا يستغني عنها في هذا الباب فتشكر للامير المؤلف هديته ونرجو ان ينسج على منواله معظم الاعيان والامراء فيصرفون شيئاً من اوقاتهم في خدمة الآداب والمعارف .

ابحاث باحث

نشر المسير لوسين بوفيا من المتخصصين من العلوم الشرقية والمعارفين بالعربية والفارسية والتركية كرامة اشار فيها الى ابحاثه ومقالاته في المجلات الافرنجية مثل مجلة العالم الاسلامي والمجلة الآسيوية ومجلة السجلات المراكشية والمجلة الاسبانية ومعظم هذه الابحاث مما اشتهر بين اهل الادب والعلم وقدره الباحثون حتى قدره فنثني على نشاط صديقتنا المشار اليه .

مجلات وجرائد

لم يكد النكاح الذي وضع على الافواه والالسن منذ زهاء عشرين سنة في السلطة

يرافع عن الناس بفضل القانون الاساسي حتى ظهرت جرائد ومجلات كثيرة بلغات مختلفة في قواعد البلاد بل في كورها الصغيرة . ومن الجرائد اليومية التي ظهرت في بيروت جريدة « الاتحاد العثماني » لمنشئها احمد افندي حسن طيارة من قدماء المحامين وجريدة « الثبات » لصاحبها اسكندر افندي الخوري ورئيس تحريرها خليل افندي زيبه من قدماء الكتاب وجريدة « الوطن » لمنشئها شبلي افندي ملاط ونقيب افندي شوشاني من الادباء الشعراء و« وحدة الاخبار » وهي اقدم جريدة سورية صدرت يومية ايضاً لمنشئها وديع افندي الخوري وحنا افندي الخوري و« بيروت » لصاحبها عبد القادر افندي الدنيا وامين افندي الدنيا صدرت يومية ايضاً و« الحديقة » للشاعر احمد عباس الازهرى ومديرها حسن افندي المطور و« المفيد » لعبد الغني افندي العربي من الادباء الكاتبين ومدير سياستها حسن افندي بيهم من قدماء الكتاب . وبهذه الجريدة اصبحت جرائد بيروت ولبنان اثني عشرة جريدة . وصدرت في حلب جريدة يومية لصاحبها حكمت نائلم بك اسمها « صدى الشهاب » نصفها العربية والنصف الآخر بالتركية . واصدر صاحب هذه المجلة جريدة يومية باسم « المقتبس » ايضاً في مدينة دمشق .

ومن المجلات الحديثة مجلة « المباحث » في طرابلس الشام لصاحبها جرجي افندي بني وصموئيل افندي بني من قدماء الكتاب المشتغلين بالآداب وهي مجلة ادبية سياسية فكاهية تصدر مرتين في الشهر وصدرت في بيروت مجلة « النهراس » وهي شهرية تبحث في الاجتماع والامران والعلم والادب والتاريخ والانتقاد والسياسة لمنشئها الشيخ مصطفى الزلازلي من الكتاب الادباء . وصدرت في بيروت مجلة « المنتقد » وهي عمرانية اجتماعية انتقادية فكاهية تصدر مرتين في الشهر لمنشئها محمد افندي بالمر ومديرها كل افندي بكداش . وصدرت فيها ايضاً مجلة « روضة المعارف » لصاحبها محمد علي بك البقاني ورئيس تحريرها الشيخ عبد الرحمن سلام الشاعر الاديب وهي تصدر مرتين على ادبية فكاهية . وصدرت في مصر عدة جرائد ومجلات ايضاً منها مجلة « الجامعة المصرية » وهي نصف شهرية لاصحابها محمود افندي شاهين ومحمد كامل افندي فيضي وعبد الله افندي امين وهما من ادباء القاهرة وهذه المجلة تنشر دروس الجامعة المصرية .

والتي يلاحظ على معظم هذه الصحف انها تكاد تكون متماثلة في موضوعاتها  
فلو تفننت كل واحدة وخلصت عباب موضوع يخالف اختها لتفقت البلاد نفعا أكثر  
وصادفت من الراجح والاقبال ما تستحق .

المنجد

اللاب لويس معلوف اليسوعي طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت  
( ص ٧٣٧ )

هو معلم عربي مدرسي موجز مرتب على الاسلوب الحديث مزين بصور بعض  
الحيوانات والنباتات والادوات والاعضاء قدم له المؤلف الاصطلاحات التي اختارها.  
وفيها فوائد كثيرة وكنا نود لو كان هذا المعلم اوسع مما هو عليه لثلا لقوته بعض اشغفه  
وان تكون بعض الفاظه معرزة بالشواهد الخفيفة لتكون انلق في الفهم . وقد تحرى  
المؤلف كما قال المحافظة على عبارات الاقدمين ما يمكن واشغل ذكر ما يمس حرمة  
الآداب من الكلمات المبدوءة انني لا يضر جهلها وقلنا افاد علمها . قال واذا شئت البحث  
عن كلمة فلان كانت مجردة طلبها في باب اول حرف منها وان كانت مزيدة اوفيا حرف  
مقلوب عن آخر جردها اوردها الى الاصل ثم اطلبها في باب الحرف الاول من . ولها  
الاصلية وقد جعل اول كل مادة في صدر السطر بين هلالين وعد اليمين نقطة . ريمة  
الشكل ولان كانت الكلمة من السخيل فنقطة مستديرة . والكتوب من اجود طبع  
عهد باللغة العربية واصغر حرف واوسط حجم حتى يسهل على الطالب نقله كما ينقل  
المعاجم الصغرى الانجليزية فشكر للمؤلف عنايته بخدمة اللغة والآداب ونرجو ان يكون  
مصنفه نفعاً للدارس والطلاب .





صفر سنة ١٣٢٧

### أيقاظ الرقود (١)

الى كم انت تهتف بالثريد وقد اعياك إيقاظ الرقود  
فلست وان شددت عرى القصيد تجد في نثيدك او مفيد  
لان القوم في غي بعيد

اذا ابقتهم زادوا رقادا وان انهمضهم قعدوا وثادا  
فسبحان الذي خلق العبادا كان القوم قد خلثوا جمادا  
وهل يحلوا لجماد عن الجود

اخطت وكاد يبيتي الكلام ملاما دون وقته الحام  
فما انتبهوا ولا نفع الملام كان القوم اطفالا نيام  
تهز من الجباله فيمهود

اليك اليك يا بغداد عني فاني لست منك ولست مني  
ولكني وان كبر التجني بمر علي يا بغداد آني  
اراك على شفا هول شديد

تتابعت الخطوب عليك تترى وبدل منك حلو العيش مرّا  
فهلّا تعبين فني اغرا اراك عقمتم لا تلدين حرا  
وكنت لك لاه ازكي ولود

(١) قصيدة لمعروف اتخذه في الرضا في العالم الاجتماعي الشهير نظمها لما ارسلت

المولة حملة على القصيم من بلاد نجد واصحابها ما اصحابها منذ بضع سنين

اقام الجبل فيك له شهودا وسامك بالهوان له السجودا  
مضى تبدين منك له جحودا فهلا عدت ذاكرة عهدا

بين رشدت ايام الرشيد

زمان نفوذ حكمك مستعر زمان صخب فيضك مستدر  
زمان العلم انت له مقر زمان بناء عزك مشعر  
وبدر علاك في سعد السعود

برحت الاوج ميلا للخصيف وضقت وكنت ذات نلى عربى  
وقد اصبحت في جسم مريض . وكنت باوجه العز يرض  
فصرت باوجه اللذل سود

ترقي العالمون وقد هبطنا وفيه درك الهوان قد انحططنا  
وعن سنن الحضارة قد شحطنا فقطنا يابني بغداد قطنا  
الى كم نحن في عيش القرود

ألم تك قبلنا الاجداد تبني بناء للعلوم بكل فن  
لماذا نحن يا اسرى البائس اخذنا بالتهقير والتدني  
وصرنا عاجزين عن الصعود

كان زحل يشاهد ما لدينا لذلك احمر من حق علينا  
فقال موجه لوما علينا لو افي مثلكم اميت هينا  
اذا لثضوت جلباب الوجود

ركبت في الجهانة وهي تعشي وعشتم كالوحوش اخس عيش  
أما فيكم ففى للعز عيشي تبارك من ادار بنات نعش  
وعفدكم باصفاد الركود

حكيمه في توفيقكم جد يا فصرت كالسها شعبا خفيا  
الانجروث في مجرى الثريا تروم بدورها فلکا قصيا  
فتبرز منه في وضع جديد

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبد بها اشارت  
فلا احدا دعته ولا استشارت ركل حكومة ظلمت وجارت  
فبشرها بالتزيق الحدود

حكومتنا تميل لباخسها بجائبة طريق مؤسسيها  
فلا يفررك لين ملاسيها فهم كالسار تحرق لاسيها  
وتحمن اللواظر من بعيد

لقد غص القصيم بكل نذل وامي من تخاصمهم بشغل  
فريقا خططي غني وجبل كلا الخصمين ليس له باعد  
ولكن من لتكيد المرید

اليهم ارسلت بفداد جندا ليهلك ثم عن عبث ويندس  
لقد ابن الرشيد اضاع قصدا فلا يا ابن الرشيد بلغت رشدا  
ولا بلغ السعود ابن السعود

مشوا بفكر كون بعزم ساكن ورثة طاهم تبكي الا ما كن  
وقد تركوا الحلائل في المساكن جنود ارسلت للموت لكن  
بذلك الجوع لا فلك الحديد

قد انفروا بانحال بوال مائة في السهول وفي الجبل  
يمجدون المسير بلا نعال بحال اللواظر غير حل  
وزي غير مازي الجنود

مشوا في منهج حبلوه نهجا يجوبون الغلا فجأ نهجا  
الى حيث السلامة لا ترجى في طهي على التبن تجو  
على عبث نى موت لميد

وكل مذموا للبيت اما نودع نهله زوجا واما  
وضم وليده يد وشما كي الولد الوحيد عليه لما  
غدا ييكي على الولد الوحيد

تقول له الخيلة وهو ماش رويدك لا برحت اذا انعاش  
فعدك من يحصل لي معاشي قتل ودعه بادي الشاش  
وكلتكمو الى الرب الودود

عساكر قد قضاو عرا يا وجوعا بحيث الارض تبتلع الجوعا  
الى ان صار اغنام ربوعا لثرفت الجوع مرتضيا قنوعا  
بقد لواحاب من الجلود

هناك قفوا وما فتحوا بلادا هناك باسرم قدودا نقادا  
هناك خيرة عدمو الرشادا هناك لروهم فقدوا انقادا  
هناك عروا هناك من البرود

انادهم ولي شجن مهيج واذكرم فينبعث انشيج  
ودمع محاجرهم بدم مزيج الا باها الكين لكم اجيج  
ذكا بخشاي عندم الوقود

سكنا من جهالتنا بقاا ييجور بها المؤمر ما استطاعا  
فكدنا ان نموت بها اريانا وهينا امة هلكت ضياعا  
تولى امرها .....

ايا حرية العصف ارحمينا فاننا لم نزل لك عاشقينا  
مضى تصلين كيا تطلقينا عدينا في وصالك وامطاي  
فانا منك نقتع بالوعود

فانت الروح تشفين الجروحا يهريج فقدك البلد انفسها  
وليس لبلدة لم تحو روحا وان حوت القصور او الصروحا  
حياة تستفاد مستفيد

اقول وليس بعض القول جدا لسلطان تجر واستبدا  
تعدى في الامور وما استعدا الا يا ايها الملك المفدى  
ومن لولاه لم نك في الوجود

انم هن ان تسوس الملك طرفا اقم ما تشتهي زمرا وعزفا  
اطلا نك الزمة خل عرفا سم البلدان مها شئت خدفا  
وارسل من تشاء الى اللحد

فدتك الناس من ملك مطاع ابن ما شئت من طرق ابتداع  
ولا تخش الا الله ولا تراع فهل هذي البلاد وى ضام  
ملكك او الهاد سوى عبيد

تنعم في قصورك غير دار اعاش الناس ادم في بوار  
فانك لم تطلب باعتذار وهب ان المالك في دمار  
اليس جاء قصورك بالمثيد



جميع ملوك هذي الارض فلك    وانت البحر فيك ندى وهلك  
فاين لهم علاك وذاك افاء    لئن وهبوا النقود فانت ملك  
وهوب للبلاد والنقود

### التجارة والاسلام (١)

يا كرام الشام اراني كن هو في المنام يتنقل من امر غريب الى امر  
اغرب وكل ما لراه من هذه المظاهر يزبدني في كل ليلة سروراً على سرور  
حتى لا يكاد يوجد موضع لزيادة السرور . رأيت في هذه الليلة مشهداً حافلاً  
ومثالاً يدل على الوطنية الحقيقية في هذه المعاهد فلذلك لم اتمالك ان ابتداء  
كلامي بالاشارة الى حكمة من رجل نديم وهي انه جمع احد الرجال  
اولاده واوصاهم بالرمز لانه وجد الاشارة افضل من كل عبارة فقدم لهم  
اعواداً من اغصان الشجر واعطى لكل واحد منهم عوداً وقال له واقسم هذا  
خسكان ما سهل عليه من كسره . ثم ضم الاعواد بعضها الى بعض واعطاها  
للقوي من اولاده فالثاني فالثالث فالرابع فكانت النتيجة سلبية فقال بهذا  
الاتحاد يكون نيل المراد . لذلك احبيكم بوجود هذه العاطفة عاطفة الوئ  
والاتحاد التي تربطكم بعضكم ببعض وما اقترق عضو الا وكان مشلولاً والاتحاد  
ممدوح وبدائته مع الجماعة .

من دواعي السرور التي رأيتها في هذا البلد الامين انني اجتمعت بنفر من  
الخاصة ثم بالعامه امس واليوم اجتمعت بالوسط وهم التجار وخير الامور  
الوسط اجتمعت بهؤلاء في نادي التجارة وهي اساس الملك وركن العمران

(١) وهي محاضرة ارتها ليلة الاربعاء في ٢١ ذي الحجة في المنتدى التجاري

يذيقني احمد زكي بك واستملاها منه صالح افندي قنبا

ولا اطيل الكلام في فوائدها فكلكم ادرى بها مني وتعرفون مزايها . على  
 التجارة قامت الامم وارتقت الممالك حتى قيل في الامثال : اذا كان مجد العالم  
 بكراريسه فجد التاجر بكيسه ولكن مجد العالم لا يكون له شأن في ترقية  
 الوطن الا اذا امدد التاجر بكيسه . العلماء قوم يشتغلون بالعلم ولو اشتغل الناس  
 كلهم بالعلم لكانوا في غير هذه الدنيا او من غير هذا العالم اذ الفائدة من الورق  
 المكتوب ان لم ينضم له الورق المضروب وما الفائدة في الطماير ان لم تؤيدها  
 الدنانير . ألم تروا ان سيد الخلق كان تاجراً وان كثيراً من علماء الاسلام  
 اشتغلوا بالتجارة والعلم لما في التجارة من سعادة الدنيا وحياة الامم وما في العلم  
 من سعادة الآخرة . اذ انظرنا الى المسلمين رأينا الخلفاء وارباب الدولة منهم  
 يتجرون بامعة الدنيا ايكسبوا قوتهم من الحلال لان التجارة هي المكتسب  
 الحلال الصافي من كل قدر .

تعلمون ان علوم العرب قد اخنت عليها الزمان ولكن بقي لنا شيء قليل من  
 ذلك البحر الزخار . كان ابن جبير الاندلسي وابن حوقل البندادي  
 والمسعودي يطوفون البلاد للتجارة والمكسب ويدونون كل ما يشاهدونه  
 من المعارف ليفيدوا ابناء جنسهم بكل ما استفادوه من التجارة . بهذه  
 الوسيلة تلقى العرب في ايام مجدهم اطراف الدنيا وارتقى لديهم العلم ولذلك  
 كان للاسلام ذلك المظهر البديع في الدين والسياسة الذي ضمن له كل  
 درجة في ارتقاء العالم

ما هي الاسس التي قامت عليها الحياة ؟ هي الزراعة والصناعة والتجارة .  
 فالزراعة اول مصدر حقيقي لمعيشة الانسان حتى اخذ في التخصر وتخصر  
 ولكنها كانت قاصرة فجاءتها الصناعة فاشتغلت بما تنتجه الارض من اخيرات

واستحصلت منها خبرات اخرى صناعية . بقيت هذه الحالة في دور الطفولية في ادوارها الاولى فجاءت التجارة وصلة بين الزارع والصانع سبباً في تقدم العلوم وارتقاء المدارك وحسب التجارة فضلاً أن سيد البشر وفي العرب والعجم قد اشتغل بها كما ذكرنا

ليست كل البلاد زراعية بل منها ما هو جبل او واقع في سفح البحر فلا يمكن ان تثبت لها الارض شيئاً وزى الانسان في مكان كهذا ليس للزراعة فيه اثر ومع ذلك يعيش بفضل التجارة ولهذا يمكن الانسان ان يستغني عن الزراعة والصناعة ولا يمكنه الاستغناء عن التجارة لانها تنقل له محصولات الزراعة والصناعة من البلاد التي تمتاز بهما ولكن اذا بارت التجارة عدمت الزراعة والصناعة فالتجارة والامر على ما ذكر سيدة المعاش .

كان تجار الشام ملوك التجارة وأعني بالشام تلك البلاد التي يحدها من الشرق العراق ونهر الفرات ومن الغرب البحر الابيض المتوسط ( بحر الروم ) ومن الشمال بلاد آسيا الصغرى المعروفة عند العرب بارض الروم ومن الجنوب بادية الشام او بادية السجاسة او بادية النفود ولا ادري معنى النفود فأغتم الفرصة لفهم معنى هذه الكلمة :

رأيت في كتب الافرنج وخرائطهم تسمية هذه البادية ببادية النفود قائلين ان النفود مناه الرمل ولكي يبحث في هذه الكلمة وحورتها وقلبها فلم اعثر في كتب اللغة على اسم يوازي هذا الاسم الذي هو شبهه بالعربي وقله جغرافيو الالمان والانكليز

وكلامي يسمعه بالطبع كثير من التجار الذين تمر قوافلهم بتلك البادية

فصلى ان يحققوا (١) معنى هذه الكلمة حتى لا يقال ان الافرنج يأتوننا بكلمة عربية ولا نعرف معناها

وبهذه المناسبة اقول انا نجد لبلادنا مصورات باللغة الافرنجية والامة العربية وانما نظرنا للعربية نجدها كلها مترجمة عن الافرنجية وربما كان المترجم يخرج في بعض الاسماء فيتركها .

في احد دروسني اردت ان اشرح للتلاميذ حالة بلاد العرب عند ظهور الاسلام فرأيت خرائط مصر ودار السعادة كلها خلواً من اسماء البلاد الا ما كن لذلك دعوت تلاميذي لان يتلافوا هذا النقص ويستعينوا بالنسب ابقاه لنا مثل ابن خرداذبه والاصطخري والمسعودي لنسد هذا النقص حتى اذا قرأنا شيئاً عن اخبار العرب عرفنا مواطن القبائل والشعوب وقلت لهم ان الذي يساعدنا على العمل الاكبر لهذا المقصد ان نسأل التجار وتلاميذ الجامعة الاسلامية الكبرى وهي الازهر الذين يأتوننا من سائر البلاد الاسلامية فانهم اذا سألوا اهل العلم والتجار الوافدين الى مصر يمكننا ان نرسم خريطة وافية لبلاد العرب كافة احسن من التي عملها الافرنج واضاعوا في سبيلها كثيراً من الاموال والارواح ثم نعمل خريطة لبلاد العراق والشام واتمنى من الذين يهمهم ذلك ان يستعينوا باهل البلاد سواء كانوا من اهل العلم

(١) «المقتبس» مثل الشيخ عبد الله الاحمد الرواف النجدي تزيل دمشق في هذه الايام: هل لكلمة النفود استعمال بين العرب ؟ فاجاب : نعم : النفود في لغة اهل نجد ومن يخاطبهم من القبائل هو كل رمل متراكم ويسمونه ايضاً بالاحقاف . يقال فلان في النفود ويسته او جماله في النفود يعني الرمال المتراكمة الكبيرة قال هكنا يستعملونها منذ القدم الى الآن ويتكلمون بها ، وكثيراً ما رأينا السياح الاجانب مثل هويت الفرنسي وغيره بطولفون البلاد وبهم كتب واوراق وخرائط يشتون فيها ما يلقونه عن كثب منهم من العرب .

او التجار لانا بمجرد انقطاعنا عن طلب العلم والكسب قد نزلنا الى الحضيض ووقفنا في طريق الجحود بينما كان الافرنج يكتون  
 انا اذا اردت ان اعرف مواقع دمشق لا اقدر على ذلك الا بالخرنوب  
 الافرنجية واما خرائط مصر ودار السعادة فكلها خلو من ذلك . هذا  
 نقص يجب ان نتعاون على سده حتي لانكون عالة على الافرنج لا في المبدء  
 فقط بل في مواقع بلادنا

اول خريطة رسمت في العالم رسمها نفر قليل من اهل الشام وهم القينيقيون  
 وبلادهم جزر صغيرة متواصل بعضها ببعض ولم يكن لديهم قوة غير التجارة  
 فلكوا بها العالم كله ووصلوا في ذلك الزمان المظلم الى مضيق جبل طارق  
 وونه الى بلاد الانكاز وهم اول من عرف تلك البلاد وقد ملكوا منها  
 كثيراً كما اسسوا كثيراً من البلاد في اسبانيا وكانت لهم المستعمرات في  
 صقلية وغيرها . ثم نزحوا الى تونس واقاموا في قرطاجنة تلك المدينة الكبيرة  
 ولقد كانت هذه المدينة تاج ملك القينقيين والذهب تارة لها وتارة عليها .  
 اولئك هم آباء الشام حتى دار الدور وغار منهم الروم واليونان فاتوا ايضا  
 بطريق التجارة والملاحه وصاروا يأخذون املاك القرطاجنيين وحينئذ  
 تقدمت رومية وازالت اثرهم من الوجود لكنا لانسى ان انيال بفضل التجارة  
 مر من الجزائر ومراكش الي اسبانيا ومنها الى فرنسا فايطاليا ووقف حتى  
 صاح الرومانيون ببعضهم : مالكم قاعدون والعدو على الابواب وحينئذ  
 لم يتمكن انيال من اتمام مقصده ولو كانت عنده السفن الحربية لكان  
 محققاً وتوحيه ولكنه ابعدها كثيراً ولم يأت المدد فلذهب فريسة اقدامه الهائل  
 ولأشك انه نخر لاهل الشام لانه قينيقي وقينيقيون من الشام

دار الزمان دورته وجاء للهند العرب فابتدأت تجارتهم بانهم سرحوا وكانوا يقصدون  
التوسع والتوسع في الملك بواسطة التجارة ولذلك كان الخليفة العباسي يمدد  
اهل الهند اذا اقفلوا باب التجارة امام تجار بغداد والشام .

ذهب فريق من اهل الكوفة الى الهند بقصد التجارة واقاموا فيها  
لكل الهنديين حرفوا اسم الكوفيين وسومهم ( كوكل ) وكذلك اتاها  
جماعة هربوا من الحجاج ايام تحييره على الذين يرغبون في مناوأة السلطة  
المروانية وذلك انه اجلى قرأ من قریش وكان فخر قریش قبل النبوة  
بالتجارة كما قال تعالى ( لا يلاف قریش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ) فلما اجلأهم  
ذهبوا عن طريق البحر الى الهند فسمأهم اهلها بالتوائت ( التوتية ) ويقوا فيها  
زمناً طويلاً حتى انتشروا انتشاراً هائلاً وهم الذين اسسوا الاسلام هناك .  
فالتجارة اذن فضل كبير في انتشار الدين الاسلامي ايضاً . كان التجار يذهبون  
الى شطوط افريقية فيرى اهلها من حسن معاملتهم وعظم اخلاقهم ما يزهدهم  
في دينهم رغبة في اتحال الاسلام ولذلك لم ينجح كثير من التصارى كما نجح  
تجار الاسلام . فالتجارة هي اساس العمران والتاجر اساس نجاحه الامانة  
والصدق في الاخذ والمطاء .

لما دالت الدولة في دمشق وانتقلت الى بغداد اختار للنصور الموقع  
التجاري لبناء العاصمة الكبرى وهي بغداد التي قال عنها علماء العرب : ان  
العراق سره الدنيا وبغداد سره العراق فبغداد سره الدنيا  
كان كرسي الدولة العباسية عندلول قيامها في الكوفة ثم صار في الهاشمية  
ثم في الانبار لكن الخليفة رأى عاصمة بلاده في موقع غير تجاري فاراد ان  
يجعلها في اعم مركز تجاري لتكون مضمونة البقاء على الملوك ولذلك ارسل

اليس ليقتوا على الجهة المطلوبة فاختاروا البقعة التي اقيمت فيها بغداد قائمين  
 الخليفة : « هنا تجتلك الميرة من المغرب وطرائف مصر والشام عن طريق  
 القرات وتجتلك في السفن من الصين والهند عن طريق دجلة . وتجتلك  
 الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة وتجتلك الميرة من ارمينية  
 فما فوقها عن طريق ارباب وانت بين انهار لا يصل عدوك الا على  
 جسر او قطرة فانما قطعت الجسر واخربت القناطر لا يصل اليك عدوك  
 وهو محتاج لعبور دجلة والقرات ومما خندقان طيعيان لبلدة امير المؤمنين . »  
 فامر بمحشر الصناع والقلة من الشام والموصل وفارس وانكسوفة وواسط  
 والبصرة واختار قوماً من لعل الدين والعدالة والمعرفة والهندسة فوكل  
 اليهم امر المال وكان فيهم الحاج بن اربعة المهندس وابو حنيفة ابن ثابت  
 الفقيه ( واما اخار ابا حنيفة لان للنصور اراد ان يولي ابا حنيفة القضاء  
 فامتنع فصره فامتنع فحلف انه لا بد ان يولي عملاً ولذلك امره بان  
 يتولى الطوبى والبن لير . بسمه ) وامر بتخطيط المدينة كلها فلما تم تخطيطها  
 بالرماد اقبل يدخل من كل باب ويمر في طرقاتها ورحبها فواها واقية بها  
 تميل اليه النفس فوضع اول حجر يده قائلاً : بسم الله وبالله والارض لله  
 يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال للعمال : ابنوا على بركة الله .  
 وعند البناء امر بطيخ الطوبى الاحمر ( الآجر ) وكان يعد على يد ابي حنيفة  
 بالملابن فاستدعى لعلك وزيره جعفر البرمكي وقال له ما رأيك في هدم  
 ايوان كسرى لجلب اخاضه واستعمالها في البناء فاجابه الوزير : انه رأي  
 غير صائب لان الايوان من آثار الفرس وهذا البناء الذي تقيم الان من  
 آثار الاسلام ينبغي ان لا يدخل فيه آثار لغيرهم . فقال له الخليفة : اخذتك

النرة لقومك وحننت الى الهجم فاردت ان تمنعني عن ذلك . ولم يبا بقول وزيره وارسل فعلة ففقدوا بمضه واتوا به الى بغداد فحسبوا النقة فوجدوها تزيد بكثير على استحضار ادوات جديدة . ولذلك رأى الخليفة ان الاولى جلب الطوب الاحمر الجديد وحينئذ استدعى جعفر ثانياً وسأله في ذلك قائلاً : اريد ان اجلب الاحجار من الجبال لا من انقاض الايوان فاجابه الوزير : لا تفعل ذلك يا امير المؤمنين بل ثار على ما باشرت به لئلا يقال ان ملاك الاسلام عجز عن نقض ما بناه ملوك الاكاسرة » رأى المنصور ان الكلام صواب ولكن لا يمكنه العمل به لان المدينة تجارية اقتصادية فلم يسمع قول وزيره .

استمرت دولة العرب على هذه الحال من الترفي في العلم والتجارة في آن واحد والتجارة من فرنسا وروسيا وبريطانيا الى الهند وغيرها كلها عن طريق بغداد حتي دالت البوالة منها وانتقلت الى الاندلس فكان للتجارة فيها رقي عظيم لكن اهلبا اصبحوا بعد مدة مثل الاعواد التي ذكرتها لكم فدالت دولتهم بسبب التفرق والاقسام

قامت على انقاضهم دولة اسبانيا وسعت حتى رقيت بما اكتسبته من علوم الشرقيين وكذلك اخذت في الترفي دولة البورثقال وليس في وسعها التوسع في الملك فهجم ارباب الاقدام فيها على المخاطر ولما كانت الهند اعظم محل تيماري بما ترسل من البهارات والابازير والفلل والافلوية الى بغداد واوروبا اراحوا ان يذهبوا اليها ليستعمروها وتولفت عندهم رغبة جديدة في ان يصلوا الى الهند عن طريق آخر لان الاسلام في المغرب الاقصى ومهمر واخزون لم يلبسوا لذلك استغنوا عن طريق البر وسلكوا طريق



البحر فاكشفوا طريق رأس الرجاء الصالح وتملكوا بلاد موزامبيك وزنجبار ووصلوا الى الهند وعاملوا تجارهم قائلين لم لا تريد سوى الفلفل بهذه الوسيلة صار لهم مع اهل الهند معاملة قوية لكن تفرق تجار الهند جعل لهم عليهم كلمة فاستغاثوا بملوك مصر وآل عثمان فلم يجيبوهم لان العداوة كانت متأصلة بين السلطان سليم والنوري ملك مصر

وذلك ان النوري ارسل طائفة من الجند الى الهند على سفن ( وبسمونها اغرية ) صنعها في السويس فلما وصل قائده الى اليمن حدثت بينه وبين اهلها مناوشات اضطرته لان ينسب الوظيفة التي ارسل اليها وهي اتقاذ البلاد من البورتنغال فبقي في اليمن وفي اثناء ذلك كانت القاهرة في اضطراب شديد انسأها الهند ايضاً لهاربها مع السلطان سليم وانتصاره في واقعة ( مرج دابق ) التي قتل فيها النوري واستولى هو على حلب ومصر والشام ثم اشتغلت الدولة العثمانية بمحاربة السلطان اسماعيل الصوفي ونسيت الهند فكانت هذا التفرق والاضطراب اعظم وسيلة لامتلاك البورتنغال تلك البلاد الغنية برببتها ومحصولاتها

رأينا بلاد الهند فتح على يد التجار كما امتلكها الانكليز اليوم بواسطة التجارة ايضاً لما أصبحت انكلترا ملكة البحار واهلها ملوك التجار .

في ذلك الوقت قامت اسبانيا التوسع دائرة ملكها فرأت انها لا يمكنها طلب الهند من طريق البورتنغال والمنافسة التجارية اساس الاستعمار فقام غريستوف كوياب وجري في البحر من جهة الغرب ليملك بلاد الهند . بهذه الوسيلة اكشف اميركا وسماها الهند الغربية . وارقت اسبانيا حتى كانت كلتها هي العليا خضوعاً في امام شارل كالب فأنها اغتنفت وقدمت اليها الاموال

من جهات الدنيا ولكنها تضعفت اخيراً باخراج المسلمين وبتراخي فاعلمها  
 التكاثر حتى دخلت في عداد اهل المقابر . في هذه الآونة كانت اوروبا جارية  
 نحو التمدن والشرق قد أدخل الى النوم والسكون الى الموت والجحود .  
 وهنا اذكر لكم كلمة عن تمدن الاوربيين :

كانت اوروبا في منتهى الوحش حين كانت بغداد في اوج الحضارة  
 حتى ان تجار العرب لما ذهبوا لاستحضار البخور شل سويج وصفوا اهلها بانهم  
 وحوش عراة لا يسترون عوراتهم الا بقطع من الجلود ( ذكره القزويني في  
 آثار العباد واخبار البلاد ) هنا وصف احد سياح العرب تلك الدولة التي  
 هي اليوم في ارق درجات الحضارة .

تنبت اوروبا من رقبتها باختلاطها مع العرب شرقاً في الشام وغرباً في  
 الاندلس فجمعت الزبدة والخلاصة اثناف من مدينة اليونان والرومان وضمت  
 الى ذلك ما اخذته من احتكاكها بالشرق ايام الحروب الصليبية فتولدت لديها  
 الحضارة . دخل احد امرائها في زمن الحرب الصليبية احد الحمامات في  
 فلسطين ( صور او صيدا ) فاستعمل معه الحمامي الثورة فاستعجب الامير  
 من ذلك وخرج في الحال فأتى بامرأته وقال له افعل معها كما فعلت مي .  
 في تلك الايام كان تعليمهم ' مبيناً على لسان العرب مثل كتب ابن سينا  
 والقاراني وابن رشد وغيرها مما ترجوه الى لغاتهم .

كانت هذه الحركة اول مبدأ لترقيتهم بعد ان كانوا عبيداً قليل من  
 السادة وكانت اوروبا ملكاً لافرانس الملوك . كان السكان عبيداً لهؤلاء  
 السادة فاذا بيعت الارض بيعت رجالها وحيواناتها وكل شيء معها حتى  
 كان للسادات حق التفتيد اي ان لا تزف العروس حتى يأخذها الرئيس

فباختلاطهم باهل الشرق دفعوا هذه الوصمة عنهم وقامت لديهم شبه حكومات ابتدائية في تلك البلاد ثم عثروا على مصنفات اليونان فصاروا يأخذون عنها مباشرة بعد ما كانوا يأخذون عن العرب واستمروا على هذه الحالة لكن عبت عليهم نعمة من الافكار الصائبة التي اكتسبوها من المسلمين فآخذوا بالتجارة مع القوم ودرس علومهم باتقان غير ان ضغط الملوك وخصوصاً الباباوات باسم الدين كان سبباً لتفرقهم على بعضهم ان كان التصب آخذاً منهم مبلغاً عظيماً . ومع ذلك فقد اوجدت شدة الضغط افراداً نوابغ كسروا قيود الاستعباد وفكروا اغلال الجود مجاهرين بالحرية فكان من اجل ذلك ما كان من امر ديوان التجري القيسي وواقعة القديس رثاوس بن البروتستانت والكاثوليك وواقعة صلاة العصر في صقلية حيث قام الناس بعضهم على بعض . ولذلك اضطر ارباب الافكار الحرة وهم البروتستانت الى المهاجرة من المانيا وفرنسا الى انكلترا وهولاندة حيث نشروا العلوم ووسعوا دائرة الافكار فترقت بهم البلاد واقاضت المعارف منها على باقي بلاد اوروبا . سعى القوم وراء العلم والمعارف كثيراً فكان ذلك اسهل طريق لتأصيل دعائم التمدن بينهم حتى ان غاليله لما قال يدوران الارض وانكروا قوله وحكموا عليه بالاعدام قدم الى النطع والسيف وهو يقول : ومع ذلك تدور . وكذلك قام في ايطاليا ( جوردانو برونو ) فاحرقوه بانار لانه نشر افكاراً حرّة واما اليوم فكم له في بلاد اوروبا من تماثيل لانه كان من الذين سموا في تفكيك الرقاب من ربة الجهل والعبودية

ثم قام ميرابو بنشر الافكار الحرة بين الشعب حتى ان الملك ارسل من قبله الى هذا الحزب رجلاً يقول لم ( اخرجوا من هذه الدار ) فاجابوه

نحن هنا نواب الشعب بارادته فلا نخرج الا بأطراف الحراب وكذلك قام  
 (دانتون) وكان يخطب بالقوم ويقول : من اراد الغفر فعليه بالجرأة  
 والاقدم ثم بالجرأة والاقدام وليكن شعاره على الدوام الجرأة والاقدام — جاء  
 فولتير وروسو فاقاموا هذا الصرح العظيم فوق ذلك الاساس المتين وكانت  
 احدى الجمعيات العلمية حينئذ اقترحت وضع كتاب في الاجتماع وال عمران  
 جاعلة مكافأة كبيرة لمن يسبق في هذا المضمار ويمجد في التأليف فألف عندها  
 جان جاك روسو كتابه ( عقد الاجتماع ) الا أنه لم ينل الجائزة المعينة  
 وإنما اخذها رجل آخر لاغراض في النفوس لكن الافكار لم تستنر الا بهذا  
 الكتاب ولذلك اسبل الدهر ستره على ماسواه .

انتشرت بهذه الوسيلة روح الحرية في فرنسا فكانت سبباً لتقويض  
اركان الاستبداد ورفع منار الحرية على تلك البلاد وصار كل واحد يقول  
ما يريد لان الافراد اصبحوا احراراً في اقوالهم وافكارهم وبذلك بلغت  
اوربا ما نراه اليوم من التقدم المدهش وخوارق الاعمال .

انتشرت الحرية من فرنسا الى امم اوربا فترتب على ذلك وجود المجالس  
 النيابية وهي حكومة الشعب بالشعب التي كانت السبب لرقى دول اوربا  
 كلها . وهم اليوم على هذه الدعامة الاسلامية فالحمد لله الذي اعاد لنا الشورى  
 في هذه الايام . في تلك الآونة انفسح المجال امام التجار وبات لهم طريقان  
 طريق من الشرق وهو طريق رأس الرجاء الصالح وطريق من الغرب وهو  
 طريق اميركا لكن بعد الشقة وظول المدة التي تزيد عن سبعة عشر يوماً  
 الجأهم الى فتح ترعة السويس فكانت كبر مهد للتجارة وترقيتها على ما نشاهده  
 اليوم بالبيان .

ولكن لدينا طريق اعم واكثر فائدة وهو طريق بغداد فتى تمت السكة الحديدية في هذا الطريق تمود لنا التجارة . والسكك الحديدية في الارض كالشرايين في الجسم فاذا لم يمر شريان في البلد كان ذلك سبباً لهدم الحياة فيه وكلما انتشرت السكك في البلاد كان فيها زيادة الخير . من اجل هذا ارجو من اهل الشام وخصوصاً التجار ان يسعوا في هذه البلاد التي هي من اغنى اقطار الدنيا على الاطلاق ولكن تفقها السكك الحديدية وانشدهم ان يهبوا للتعاون على تأليف الشركات الوطنية حتى تبقى ثروة البلاد في البلاد ولا يتمتع بها الاجني وانتم منها محرومون . اوائل من اهل الشام ان يضعوا الميامين بعضها في بعض لنقل خيرات البلاد الى البلاد وبذلك ترقى دور التجارة والصناعة وتنال كثير آمن الفوائد دون ان يشترك فيها الاجني الا بما لا مندوحة عنه

رأيت القسم الاعظم من التجارة هنا بيد الاهلين فحذار حذار ايها الكرام من ان تذهب من ايديكم وعليكم بالسعي في اصلاح طرق المواصلات كيلا تكون بيد الشركات الاجنبية .

نحن نسمع في مصر ان التفاح في الشام يعطى بصورة طلف للدواب لما في سبيل قلبه من الصعوبة ، نسمع ذلك ونأسف كل الاسف لاننا نستجلبه من البلاد الاخرى بقيمة غالية . فاذا اصلحت طرق المواصلات تجدون مورداً للرزق واشباعاً وبه تنالون الفوائد الجسام وتعيدون للشرق مجده ان شاء الله



## الجباية في الاسلام (١)

## العشر

العشر: لغة جزؤه من عشرة وجمعه اعشار وعشور وفي اصطلاح الفقهاء ما اخذ عن ارض العشر واما ارض العشر « فكل (٢) ارض اسلم اهلها عليها وهي من ارض العرب او ارض النجف ففيهم وهي ارض عشر بمنزلة المدينة حين اسلم اهلها وبمنزلة اليمن وكذلك كل من لا يقبل منه الجزية ولا يقبل منه الا الاسلام او القتل من عبدة الاوثان من العرب فارضهم ارض عشر وان ظهر عليها الامام لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر على ارضين من اراضي العرب وتركها في ارض عشر حتى الساعة : واما دار من دور الاعجم ظهر عليها الامام وتركها في ايدي اهلها فهي ارض خراج وان قسمها بين الذين غنموا فهي ارض عشر وكل ارض من اراضي الاعجم صالح عليها اهلها وصاروا ذمة فهي ارض خراج » واما ارض الحجاز ومكة والمدينة وارض اليمن وارض العرب التي افتتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزداد عليها ولا ينقص منها لانه شيء قد جرت عليه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وختمه فلا يحل للامام ان يحوله الى غير ذلك « كذا فسواد العراق وارض الشام وارض مصر وغيرها مما فتح الاسلام على عهد ائمة فهي ارض خراجية يجب عليها الخراج غير ان بابا يوسف رحمه الله جوز للامام « الخليفة » ان يصير الارض الخراجية عشيرة فقال « فكل ارض اعطىها الامام مما فتحت عنوة ففيها الخراج الا ان يصيرها الامام عشيرة . . . الخ » ومن ثم يتضح ان الخليفة يحق له ان يحول ارض العراق وارض الشام وارض مصر وكل ارض خراجية الى اراض عشيرة .

واما مقدار العشر الشرعي فهو واحد من عشرة عن محصول الاراضي العشيرة التي تسقى بماء المطر او بماء الانهر سخا « سقيا » او نصف واحد من عشرة عن محصول الاراضي العشيرة التي تسقى بالمدلول او بالدولاب « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء او سقيت العشر وفيما سقي بالغرب او السواني والنضوح نصف عشر » .  
 واما العشر النظامي فقد جاء في المادة الاولى من نظام الاعشار الصادر في ٩ حزيران

( ١ ) راجع ما نشره في الجزء الرابع من المجلد الثاني من مجلة المقتبس ( ٢ ) الخراج

لأبي يوسف

سنة ٣٢١ ما تعريه بالحرف « يؤخذ العشر عن المحصولات الارضية » ولم يعرف بهذا التعريف لان ما كان يؤخذ من العشر حينئذ اثني عشر وثلاثة وسدين سائتيا من المائة عن المحصول وهذا لا يعبر عنه بالعشر وكانت الدولة عقيب التتطيات الخيرية تحجب العشر واحداً من عشرة باسم الخزينة ثم اضافت عليه واحداً من المائة باسم المنافع — من اجل الاشغال العمومية — ونصفاً من المائة باسم المعارف فصار العشر يومئذ ١١٥ من المائة وفي سنة ٣١٣ مالية ضمت الدولة نصفاً آخر باسم خزينة فبلغ العشر اثني عشر :

١٠٥	الخزينة
١	باسم المنافع
٥٥	باسم المعارف
<hr/>	
١٢	

فكانت هذه الزيادة من اجل سد العجز المالي يوم اخذت الجوايس لتكاثر والاستعداد لشهد وطأنة وفي سنة ٣١٦ صدرت الارادة السنية قاضية باخذ ستة في المائة عن بدل العشر يعني ان تؤخذ الستة عن الاثني عشر من المائة فبلغ العشر يومئذ ١٢٠٦٣ اثني عشر وثلاثة وسدين سائتيا فصار هذا الكسر سبباً لشدة ظلم ملتزمي الاعشار اذ اصبحوا يأخذون ثلاثة عشر في المائة تفادياً من تشويش الحساب على زعمهم وبعد ستمين اصدرت نظارة المالية امراً عاماً مبنياً على ارادة سلطانية قاضياً باسقاط ١٣ سائتيا من العشر تخفيفاً عن الاهالي ودفعاً لتشويش الحساب فاصبح العشر اثني عشر ونصفاً عن المائة وهذا عبارة عن الثمن ولذلك لو اردنا ان نعرف العشر نظاماً لقلنا ان العشر النظامي ثمن اي واحد من ثمانية من عامة المحصول وبعد اسقاط الثلاثة عشر سائتيا حارت الدوائر الرسمية في توزيع هذا النقص على حصص الاعشار وذلك وضعت دائرة الدبون العمومية « دستوراً » قاعدة من اجل حساب الحصص فعمته نظارة المالية في جميع دوائرها كي يطبق العمل عليها وهذه صورتها :

مليم	سائتيم	عدد تام	
٦٠	١٧	٧٩	حصة العشر القديم
٠٠	٩٦	٣	الضم الجديد الذي وضع سنة ٣١٣
<hr/>		<hr/>	
٦٠	١٣	٨٣	حصة العشر القديم والجديد معاً ١٠٥٠ — ١٠٠

حصة التجهيزات العسكرية ( المعدات الحربية )	٤	٩٨	٤٠
حصة المتاع والمعارف	١١	٨٨	٠٠
	١٠٠	٠٠	٠٠

وبذلك صارت بدلات الاعشار تحال دفعة وتوزع على هذه القاعدة مثلاً لو احييت قرية يبدل قدره اربعمائة الفاً يوزع على نسبة الحصص المذكورة اعلاه وهذه اقسام من المائة فلذلك يجب ضرب القسم يبدل القرية وتفرق عدد من حاصل الضرب من اجل المائة فيظهر مقدار الحصة وهذا مثاله :

العشر القديم	الضم الجديد	التجهيزات العسكرية	المتاع والمعارف
٧٩٤١٧٦	٣١٩٦	٤٩٩٨٤	١١٦٨٨
٤٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٤٠٠٠٠
٣١٦٧٠٤٤٠٦٠٠٠	١٥٨٤٦٠٠٦٠٠	١٩٩٣٦٠٦٠٠٠	٤٧٥٢٦٠٠٦٠٠

#### المجموع

العشر القديم	٣١٦٧٠٦٤
الضم الجديد	١٥٨٤
التجهيزات العسكرية	١٩٩٣٦
المتاع والمعارف	٤٧٥٢
يبدل عشر القرية	٤٠٠٠٠٦٠

وهذه الاربعون الفاً هي اثنا عشر ونصف عن محصول القرية اي ثمن محصولها فها نحن نظارة المالية عن هذا المستور او هذه القاعدة لو جمعت هذه الاثني عشر ونصباً على هذا الزبيب

العشر القديم	١٠
العشر المضموم	٠٠٦٥
الملف والمناقص	١٦٥
التجهيزات	٠٤٥
	٢٦٥

فكرت ملياً فلم تجل لي الحكمة في المحافظة على ذلك التشويش وعلى ما ائذن ان هذا التشويش اما حفظاً لاحكام الارادة النية لو لم تصدقني يراد به حفظ زيادة ووردت احدى الحصص والله اعلم .



عرفنا المشر فيما سلف تعريفاً لغوياً وشرعياً ونظامياً واليك المشر وحالة تنازله  
وازالاه وجبايته وضرره الذي ثن منه اذمة المثنائية .

يؤخذ المشر عن عامة الحصول بموجب القانون الا من الحطب والنجم وما فسد  
بعد زوال الطراوة من الخضر والبقول كالحبازة والباقلان والخس والكراث والنبات  
واما ما حفظ بالمخ او الكيس بماه الملع احضر فيؤخذ عنه المشر ( اي الثمن )  
اختلف الائمة الفقهاء في حوز حد المشر عن الخضر فيجوز ابو حنيفة رضي الله  
عنه ( ١ ) « على انه عند ابي حنيفة يجب المشر في الخضروات ويخرج عنها يوم الحصاد  
اي القطع — ابن عابدين »

وقد خالف ذلك الامام ابو يوسف فقال حدثنا الوليد بن عيسى قال : سمعت  
موسى بن طلحة يقول لا صدقة في الخضر الزينة والبطيخ والتشاة والخيار . وعن علي  
رضي الله عنه انه قال ليس في الخضر زكاة البقل والتشاة والخيار والبطيخ وكل شيء  
ليس له اصل . وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال ليس في البقول  
زكاة وافي الغاية « لا يجب المشر فيما كان الادوية كالوزر والعليلج »  
ومن هذه العبارة يظهر ان واضع النظام راعى القولين ولكنه لم يترك ما وجد  
منه ربكاً محملاً للزينة ولو كان فيه رحمة امة .

وقد يجب المشر في كل ما اخرجه الارض فالعشر الشرعي الحقيقي هو كاذكر  
في الكتب الفقهية قال وحدثنا ابان بن ابي عياش عن انس بن مالك عن النبي صلى الله  
عليه وسلم انه قال فبأسقت السماء اوسق سيم المشر وفيما سقي بالقرب ( دلو ) او السواني  
او النضوح نصف العشر اه كتاب الخراج

وفسره بقوله انما جمل المشر في الاية ونصف المشر في الدالية لمؤنة الدابة  
والسائبة :

« يجب المشر في الاول ونصفه ١٠ : رفع اجرة العال ونفقة البقر وكري  
الانهار واجرة الحافظ ونحو ذلك ( در ١٠ ) . ل في الفتح لا يقال بعدم وجوب العشر  
في قدر الخراج الذي بمقابلة المؤنة بـ ١٠ : ر في الكل لانه عليه الصلاة والسلام  
حكم بتفاوت الواجب بتفاوت المؤنة . - مؤنة كان الواجب واحداً وهو العشر  
دائماً في الباقي لانه لم يزل المشر ١٠ : مؤنة والباقي بعد رفع المؤنة لا مؤنة

فيه فكان الواجب دائماً العشر لكن الواجب قد تفاوت شرعاً فعملنا انه لم يمتد شرعاً  
عدم عشر بعض الخارج وهو القدر المساوي للثمن اصلاً اهـ « حاشية ابن عابدين .

فقد فهم مما تقدم ان صاحب الشرع عليه السلام نظر الى حالة الزراع وفرض  
عليهم العشر بالنسبة لربيعهم الحقيقي ولا يخفى ان الارض التي تشرب بالبلو والدولاب  
ليست كالارض التي تشرب من الانهار سيما ( يعني سائياً ) او من ماء المطر فالاولى  
تحتاج الى عمل ودرام أكثر من الثانية ولذلك عد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم  
نصف عشر الاولى بمثابة عشر الثانية اهـ

وقد اعتبروا الضم على العشرة امراً لازماً مشروعاً لاحتياج الحكومة من اجل  
المعدات الحربية وتمهيد الطرق وانشاؤها وتعميم المعارف على انهم خصصوا نظارة  
ومستقدمين من اجل المعدات الحربية ليموهوا على الامة زاعمين انهم بمعلم هذا يدخرون  
هذا الضم للمعدات الحربية ويدفعون عنه سوء الاستعمال فبهذه الهيات !

اتدري ما ذا كانت النتيجة ؟ لم تكن الا تزييد الضريبة على الامة وايجاد  
وظائف للمقربين والمتهمين وصرف الواردات في غير ما وضعت له ومن اغرب  
تصوراتهم ظنهم ان حصة التجهيزات اذا دخلت الخزينة تبعث قانون الفوضى في  
نظارة المالية فكانت الحكومة ارادت ان تعترف بجهزها عن تنظيم امورها الياتها وحفظ  
ايرادها من سوء الاستعمال .

واما حصة المنافع فلم نزولاً نسمع بانها صرفت في تمهيد الطرق او الجسور واما  
ما صرف على الطرق والجسور فهو من بدلات العملة المكلفة التي كانت مأكلاً للولاية  
والمتصرفين والقائمقامين والمهندسين .

واما حصة المعارف فكان القسم الاعظم منها يصرف لاولئك الجواسيس الذين  
تصدروا على كراسي العلم ليمنعوا الجرائد والكتب المفيدة وبلقبوها بذلك التعبير الذي  
ترنم لذكره القرائن وهو ( مضرة ) كأنهم كانوا نافعين ! ويصرفون هذه المبالغ  
على السفاهة والبذخ . ويحتجون بمجواز هذه الضمان بما يوجد في الضرائب من الضمان  
في بلاد الغرب وقد فاتهم ان تحميل اعظم الضرائب على عاتق الفلاح ظلم وضرره في  
عمران البلاد واضح . اشترت الى ان الشرط في وضع الضرائب حفظ النسبة بين ايراد  
الاشخاص الحقيقي فان حسبنا ريع الفلاح السالم الفينا ربه اقل من ثلث ما تأخذه الحكومة  
باسم العشر وزد عليه ان بذاره وبقره ولباسه وموثته قد استدانها بقاتضى يتجاوز

الخطة والعشرين اذا ماقلت الخمسين في المائة فاي ارض تضمن لفلاننا التمس هذا  
العشر القاشش وهذا الفائض المدهش ؟

### تلازم العشر -

يُعلم العثمانيون كافة ان العشر يؤخذ بطريق البذل الا في بعض الالحاح كحاران  
تدفعه للحكومة عيناً وبذل الاعشار يباع مزايده وللزايده والاحالة لوقات محدودة  
تحدددها مجالس الادارة وعندما تطرح بدلات الاعشار للزايده تستدعي الحكومة  
شيوخ القرى وتكلفهم بوضع بدل عشر قريبهم بزيادة عن بدلها السابق فان اجابوا  
تخلصوا ورجعوا الى قرىتهم وان ابوا واعتذروا لقلة المحصول عندهم ضربوا واهينوا  
وادخلوا السجن وهذا العمل مغفور في نظر اولي الامر لان به تزيد واردات العشر .

ولا ينكر ان بعض الاهالي ايضا يسمون في تخفيف بدل الاعشار فيمضون حقوق  
الخرينة فان كان في قريبهم ربح تهاجم عليها : . مون وان كان فيها خسارة أُجِلت  
على اهلهما بالكفالة المتسلسلة بالرغم من انوفهم : . ل قضاء وسيف كل مركز متصرفية  
او مركز ولاية . في جميع انحاء المملكة العثمانية اعيان من ارباب النفوذ يلتزمون ضميمهم  
ويغتنصون بقرى عدوها من مستمراتهم وعندما يضع هؤلاء اختناهم في قائمة المزايده  
لا يستطيع احد من الملتزمين ان يزيد عليهم فان زاد حل به البلاء لان ذلك الوجهه  
يستطيع بسيطرته ان يسجحه او يتهمه بجنابة فيتوب عن الالتزام هذا اذا صادف من  
يرحمه ويخلصه من ذلك الاقتراء .

وارباب النفوذ لا يتمدس بمضهم على بعض لانهم تقاسموا الغنيمة وكل منهم  
رضي بما اختص به واعتاد الملتزمون ايضا ان يتقاسموا القرى او يتشاركوا في بدلات  
القرى التي ترجح ربحا عظيما ومنهم من جعل السفه مسلكه قتراء يهدد الذين لا نفوذ  
لم ولا سيطرة عندهم في التزام ضميمهم وياخذ منهم دراهم معدودات تحت اسم حق  
السكوت لئلا يزيد على بدلها وخوفا من ان يصير البذل قانونا يطلب الزيادة عليه في  
السنة الآتية وقد يلتزم ملتزم بدلات اعشار قرية من اجل دين له على اهاليها على امل  
استيفاء ديونه حتى ولو كان محصولها لا يعادل بدلها .

والهارة والشطارة التي تطلب من القائم مقام والمتصرف او والي الغيرة على تزيد  
بدلات الاعشار ولو كانت فيه ظلم الاهالي وخرابهم وقد تبلغ قرى الاهالي فوق  
بدلها الحقيقي وربما يدفعون ٢٠ في المائة ويرضون بهذه الخسارة لما صادفوا انتهاء الاحالة

من الضغط والتضييق والضرب واما المتوسطون فيكون بدل بلادهم مستدلاً ولكن قرى ارباب النفوذ تحال باجنس الاثمان فقريبة يبلغ بدلها مائة الف قرش مثلاً تحال عليه بخمسة او عشرة آلاف قرش فالفقراء يظلمون والاعنياء والرجوه وار باب النفوذ يظلمون الخزينة وبأصاكون حقوقها فان نظرنا الى انحاء المملكة باسرها نجد ما تنقسمه بين اولئك المستبدين ولذلك نجد ما خسرت الخزينة بسببهم اعظم مما تستوفيه بالقرب والجنس من اولئك الفقراء المدقعين .

### جباية العشر

بعد احالة الاعشار يتهاجم الملتزمون كى اختلاف طبقاتهم الى القرى ويستخدمون الاشقياء والمحكومين والفارين من وجه الحكومة ويغذونهم آلة لجباية حقهم من العشر ولما يصل الملتزم في جنوده الى القرية يجمع الخضر والشيوخ ويهدم بان يترك لم قسماً مما يترتب عليهم من العشر على شرط ان يهدروا البسيتين والصحاريه والكروم واخضر اصعاف اثمانها الحقيقية ولذلك ترى انغلاق يدفع عن بسائنه وكرومه وخضره نصف ما اخذه من الثمن اذا لم تقل كنه ويسطون الملتزم دقته بما رفع قبل الاحالة ويتفقون معه على اعطائه ١٤ من المائة بدل ١٢٦٥ وهو العشر النظامي والباقي عوضاً عما اكله الدواب ويسمونه اطعمية وتلفية وهذا القدر يختلف بحسب رضا الشيوخ ومن البلاء المبرم اذا صاروا شركاء فى الملتزم يتحكم فى الاهالى تحك التروء ولذلك تدخل المملكة سيرة حرب داخلية ايام الاعشار فيفتح باب الرزق للمعاشم فيعذبون الزراع حينئذ انواع العذاب وان احييت القرية على الاهالى فالبلاء الاعظم يأتيهم من شيوخهم ووجوههم والمطلع على احوال الفلاحين ايام الاعشار وما يقاسونه يعلم منه وما فصلناه ان احالة بدلات الاعشار على هذه الصورة مضرة بالاهاى وانزينة ايضاً .

### مضرات الالتزام

صاحب المال اى الفلاح يسمح كالحكوم عليه ريثما تحال القرية وبأني الملتزم فلا يستطيع الاكل من ماله ولا اطعام دابته فيينا هو يعرف انه مكلف بدفع العشر للحكومة التي قلعت بحفظه وحفظ ماله وعرضه يرى نفسه محكوماً عليه لرجل مثله من افراد الرعية وهذا ما يصعب على الطبع والاحساس ولما كان اخراج النقة متوقفاً على الاحالة والمساعدة من الملتزم وقد تمضي شهور ريثما تجرى الاحالة فيضج على الزراع

السعر وربما يخسرون الوقت وقد تنقص البيادر في هذه البرهة بسبب اكل الدواب والمصافير والطيور وهذه لاثماً كل سوى الجبوب ولا ترجع على القمح والشعير شيئاً ومن غرائب الالتزام ان الفلاحين يجبرون على نقل الغلة من مسافة ساعة بحسب المادة ٩ من نظام الاعشار وهناك اناس من اصحاب النفوذ اهل البطالة ينظرون موسم الاعشار ليلتزموا قرية او قرى باعتبار قيم اراضي آبائهم وهو لا فلما تجد سيئ قلوبهم رحمة فيستبدون بالاهاالي ويظلمونهم ظلماً لا مزيد عليه والاهاالي لا يستطيعون الشكوى فلورقماس احدهم واشتكى من تعدى عليه وغصب ماله الذي احزره بعرق جبين بين شدة الحر وزمهرير البرد كان البلاه عليه من الحكومة ومن ذلك الملتزم .

وان ارادت الحكومة ان تجبي الاعشار بنفسها ( امانة ) تحتاج الى استخدام مأمورين ويصعب عليها ان تجد مستخدمين صادقين يحفظون حقوقها وتكون مد سلت على الامة اناساً يظلمونها ويسومونها سوء العذاب ويخونونها معاً فتكون حينئذ ظلمت الاهاالي واضاعت ايرادها .

وقد يستحسن بعضهم تلازم الاعشار لما فيه من الزيادة من سنة اخرى وفاته ان كان ثمة زيادة فذلك من شدة الضغط او من نتائج التبرقيات التي اخذت تنتشر رويداً رويداً وان حالة الفلاح احسن من قبل ولا تنسى ان الزيادة بجانب النقص والخسارة بجانب الربح وخلاصة الكلام ان تلازم بدلات الاعشار واحالته على ما ذكرنا وجبايته مضر بالاهاالي وبييت المال ايضاً .

### ماذا تفعل الحكومة ؟

تجعل العشر ضريبة على الاراضي ( لا تخميساً كما يظن الناس ) واليك التفصيل :  
 ' اما اراضي الحجاز والمدينة ومكة واليمن وارض العرب فكلها عشرية لا يجوز تحويلها الى غير ذلك ولا يزداد عليها ولا ينقص منها لانه امر جرى عليه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمه فاصبح امراً دؤبياً « لانه ثبت ذلك بالكتاب والسنة والاجماع والمقول اي يفترض لقوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده فان عامة المفسرين قالوا انه العشر او نصفه وهو يحمل بينه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سقت السماء ففيه العشر وما سقي بقرب او دالية ففيه نصف العشر . » الخ حاشية ابن عابدين ص ٥٣ « وعد العشر من العبادة » قال ابن عابدين في حاشيته اذا ادى بنفسه فله

ثواب العبادۃ واذا اخذه الامام يكون له ثواب ذهاب ماله في وجه الله تعالى - بدائع « وفي البرازية لا يحل الاكل من الثقل قبل اداء الخراج وكذا قبل اداء العشر الا اذا كان الملك عزيزاً على اداء العشر » وقد عد العشر زكاة او صدقة اه . فاهل تلك البلاد المباركة الذين عرفوا بالتدين والحفاظ على اليهود والاقوال لا يتأخرون عن اداء العشر الشرعي بل اتما يأتون به الى بيت المال ليحل لم الاكل من المحصول فيجب احتياجه العشر فيها كما وضعه صاحب الشرع عليه السلام ولا يجوز تحويله او تزويده او تنقيصه وتجب العناية بتضم اهلها ان العشر فرض ديني لا يجوز اكله والحيلة فيه . واما ما كان في الاهالي من الخيانة فهو من سوء تأثير الاستبداد وظلم المأمورين وفساد اخلاقهم .

واما ارض الشام وارض مصر وسواد (١) العراق وغيرها فارض خراج يحق للامام ان يجولها الى ارض عشرية ويضع عليها العشر كما يشاء وقد سبق ذكره غير ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما مسح سواد العراق سأل عماله على الخراج حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف « فقال لعلكم حملنا الارض ما لا تطيق فقال عثمان حملت الارض امرأى له مطيقة ولوشئت لاضقت وقال حذيفة وضعت عليها امرأى له هي مستحقة فقال : انظرا لا تكونا حملتا الارض ما لا تطيق اما لئن بقيت لارامل اهل العراق لادعين لا يحتجبن في احد بمدي » فتأمل ومن هذا يتضح ان الامام لا يجوز له ان يحمل الارض بقرض فتنها من العشر او الخراج .

هل يجوز جعل العشر الجلوي الآن ضريبة على اراضي الخراج ؟  
جاء في كتاب الخراج ان عمر رضي الله عنه مسح سواد العراق فبلغ ستة وثمانين الف جريب واثم وضع على جريب (٢) الزرع درهماً وقليلين وعلی الصكرم عشرة دراهم وعلى الرتبة خمسة دراهم وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وعلى جريب القصب ستة دراهم وعلى جريب الحنطة اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين وعلى جريب النسيم خمسة دراهم وعلى الخضر من غلة الصيف على كل جريب ثلاثة دراهم ومن حريب القطن خمسة دراهم وبناء في كتاب الخراج ايضاً ان عبد الملك بن مروان

(١) الخضرة اشجاره وكثرة زروعه حاشية ابن عابدين (٢) الجريب ميكال مقداره اربعة اقدرة والقيس ١٤٤ ذراعا فالجريب ٥٧٦ ذراعا اه

احد خلفاء بني امية حمل الاموال على قدر قربها وبعدد ما فجعل على كل مائة جريب  
 زرع ما قرب ديناراً وعلى كل مائتي جريب ما بعد ديناراً وعلى كل الف انسل كرم  
 ما قرب ديناراً وعلى كل الف اصل ما بعد ديناراً وعلى الزيتون على كل مائة شجرة ما  
 قرب ديناراً وعلى كل مائتي شجرة ما بعد ديناراً وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم  
 او اليومين واكثر من ذلك وما دون اليوم فهو في القرب وحملت الشام على ان ذلك  
 وحملت الموصل على مثل ذلك « فتبين ما تقدم ذكره ان الخراج كان عبارة عن ضريبة  
 مقطوعة على الارض تنوع بالنسبة للايراد الصافي وقد سبق ان ارض الفرس والعراق  
 ومصر وغيرها كالاناضول والروم ايلي وطرابلس الغرب ما افتتحه المسلمون عنوة كانت  
 اراضي خراجية وقد جوز الامام ابو يوسف تحويلها لاراضي عشرية وجوز زييد  
 مقدار العشر وتنقيصه فيها فيتضح لك ما تقدم وما تقتضيه المعطية العلة ان تحويل  
 العشر الجاري حتى الآن الى ضريبة عادلة تطرح على الاراضي الخراجية على شرط ان  
 تطابق حملها وتكون متناسبة مع الربح الحقيقي جائز بل واجب .  
 ما هي القاعدة في تحويل العشر الى ضريبة ؟

تألف لجنة قوامها رجال من لم خبرة بفن الزراعة واقتدار بتخمين الثمن ومحبين  
 مهندسين وبرايسهم رجل ذو خبرة واطلاع على احوال البلاد والملاحين دارس في  
 المدارس العالية ويشترط في الجميع ان يكون ممن تحلى بشرف النزاهة والصدق  
 والاستقامة فيتمولون في انحاء الولاية ولهم حصون قوة انبأت الاراضي ويقسمونها الى ثلاثة  
 اوارب اقسام اعلا واوسط وادنى وضعيفة ( يعني قلما تعطي ريعاً ) ثم يظرون في  
 بدلتها اعشار عشرين او خمس عشرة سنة عن قرية ما على شرط ان ينظروا الى  
 حقيقة البدلت السابقة فان كانت للاهالي فلا شك بانهم يجدون بدلتها فاحشة  
 فيجب عليهم التخفيف وان كانت لارباب النفوذ فلا شك بانهم يجدون بدلتها نالعة  
 فيجب عليهم التزديد وربما وجدوا قرية من قرى الاهالي محفوفة من الغدر الفاحش  
 لانفاقهم وتيقظهم كما انهم يجدون بعض قرى الاعيان منالومة لتجاوز بعض ارباب  
 النفوذ اولغضب اولي الامر عليهم ثم يقسمون مجموع البدلت على عشرين او خمس  
 عشرة سنة وبعد ذلك يوزعون خارج القسمة على حسب درجات الاراضي من حيث  
 قوة الانبات وهكذا يفعلون في الولايات التي هي من الاراضي الخراجية ولا بد من

النظر الى نوع الاراضي ان كانت شجرة او غير شجرة وبجب تفريق الاراضي التي تسقى بماء المطر او بماء النهر سبباً من الاراضي التي تسقى بالبلو او الدولاب وتفريق الاراضي القريبة من المدن والمرافق «الاساكل» عن الاراضي البعيدة . وخلاصة الكلام يجب على اللجنة ان تحمل الارض ضريبة تطبيقها ولا تتجاوز عشر محصولها فان فعلوا اراحوا الامة وتزايدت واردات الخزينة ودخلت تحت قاعدة الانتظام وخفف الظلم وصار ايراد الدولة معلوماً فلا تخطي في تنظيم ميزانيتها وان ظلم رجل بضريبة فله ان يراجع ويدفع ظلمه والآن قد فتح باب العدل فلا يبقى مظلوم على غدره ان شاء الله .

#### منافع الضريبة على الاراضي

يعرف الانسان ما عليه من الضرائب فيحسب مصروفه على اراضيهِ وريعه الحقيقي فيسعي في عمارة اراضيهِ ليخفف عنه الم الضرائب ويضمن ربحاً عظيماً فان وصل الى مرغوبه عمر الارض فتممر البلاد وان خسر ترك الزراعة وانصرف الى التجارة وعلى ما ظن ان الحكومة الدستورية ستسعى في تخفيف الضرائب عن عائق الامة واخص منها ضرائب الزراع واذا خفت عنهم اغنتهم وجعلتهم يتزوجون ويعملون الولائم ويكتسبون ويصرفون المبالغ في اللبس والفرش فيزيد ربح التجار وارباب الصناعة فتروج التجارة والصناعة وتكثر ثروة الامة فتزيد واردات البلاد مع واردات الخزينة واكرر قولي ان الحكومة لا تنفي الا بنفى الامة والامة لا تنفي الا بشخفيف الضرائب . وحيث ترى فلاحنا قد اصبح حراً وتخلص من استبداد الملتزمين ومن اسرع في اخراج محصوله وادرك الاسعار في غلاتها ربح الارباح وصار في رغد من العيش وهذه النعم لا تفجدها في تلزم بدلات الاعشار وكفى بذلك عبدة .

شكري السلي





## عبث الوليد

ابو تمام حبيب الطائي وابو الطيب احمد بن الحسين المثني وابو عبادة المجتري هم الثمراء المعول على شعرهم في المولدين جمعوا الى جزالة الالفاظ وحسن السبك معاني الحضارة واساليب الحكمة ولذلك كانت دواوينهم من جملة ما يقضى على طالب الادب ان يتدارسها ويستظهرها وكانت ما اوصى بثلثه ضياء الدين بن الاثير صاحب النخل السائر كل مشتمل بالنظم والنثر لانها حوت عامة المزايا اللغوية والادبية . ومن اجل هذا ترى هذه الدواوين قد خدمت اجل خدمة منذ القدم ولا سيما ديوان ابي تمام وديوان ابي الطيب فنظر فيهما مشاهير اللغويين والعلماء وتمازرتما الاقلام بالشرح والنقد الا ان ديوان ابي عبادة المجتري لم نسمع بان احداً من العلماء تصدى لتقدمه غير ابي الملاء المري .

فان هذا العلامة الحكيم اللغوي ابي ان يغفل كلام المجتري من وضعه على محك انتقاده بعد ان الف في ديواني الطائي والمثني كتابين مستقلين دعا الاول ذكرى حبيب والثاني معجز احمد . فالف في الثالث كتاباً سماه عبث الوليد (١) قال في مقدمته : اثبت ما في ديوان المجتري ما اصلح من الفلظ الذي وجد في النسخة المكتوب في آخرها انها بخط طغر بن عبد الله الصجلي وانما اثبت ذلك ليكون مولاي الشيخ الجليل ايوام الله عزه كأنه حاضر للقراءة ولم يمكن اثبات جميع الاغلاط لان اكثرها غير محيل وقد وصل بذكر شيء ما جرى اليه ابو عبادة من الضرورات وما يجنبه امثاله بوالله التوفيق .

قال ابو الملاء في الكلام على قول ابي عبادة :

اذا تشاكلت الاخلاق واقتربت دنت بمسافة بين الصبح والعرب

اذا وقعت بين في هذا الموقع فالاختيار خففها وكذلك ترفع اذا وقعت في موقع وقع كما جاء في الكتاب العزيز لقد تقطع بينكم . اكثر القراء على الرفع ويجوز النصب فقال قوم يكون الاسم مفعلاً كأنه قال لقد تقطع الوصل بينكم وقال قوم ضمير ما كأنه

(١) ان النسخة التي نمتد عليها هنا هي نسخة استنسخها احمد بك في يوم غزاة كتبه

عن نسخة دار الكتب المصرية

قال لقد نقطع ما بينكم وحسن حذف ما ههنا كما حسن حذف لا اذا قيل والله افعل اي والله لا افعل قال امرؤ القيس :

كلاً بين الاله يجمعنا شيء واخواننا بني جُشما

اي لا يجمعنا . وهذا البيت ينشد بخفض بين ونصبها

بديروني عن سالم واديرم وجلدة بين العين والانف سالم  
فالخفض على الاضافة والصب وعلى تقدير ما

وقال المعري في مكان آخر : وكان في النسخة هذه الايات التي اوصا

يا أمنا ابصرني راصب يسير في مسخر لاحب

والايات الثلاثة منها مذكورة في امالي قوم من العلماء المتقدمة ويجوز ان يكون غلط بها على ابي عبادة فنسبت اليه او ظننها بعض الناس من شعر العرب فالحقها يرجح عنهم والبيت الثالث الثابت في هذه النسخة لا يوجد في الحكاية المتقدمة وقد اختلف في اشيء من هذا الجنس وربما حسد بعض فنسب شعره الى المتقدمين ليؤكد ذلك وينقص من قدره . وحكي بعض الكتاب انه رأى كتاباً قديماً قد كتب على منبره انشدنا احمد بن يحيى ثعلب من الجاذر في زي الاعارب . وذكر خمسة ابيات من قول هذه القصيدة وهذا كذب قبيح واقتراء بين . وتما فعله مفرط اخذ قليل الخبرة بفضن الصواب غرضه ان يابس على الجهال . وقد دلت ابيات ابي عبادة التي سبق في صفه الذئب لبعض العرب ويجب ان يكون ذلك كذباً مثل ما تقدم في حديث البائية التي لا يابى العلي . وقد نسبوا الايات التي في صفة الذئب الى عبد الله بن ابيس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بني القريظ راشد بن وبرة ولا ريب ان ذلك من الرواية التي يرويها اصحاب اللغة يجيئون باليتين الاولين فيجملونها من قول جريرة ثم يقول فاجابها امها :

الحسن ادنى لوتأبىته

على ان هذه الايات بعيدة من نمط ابي عبادة وان كان الشاعر المغزى يجوز ان يأتي بكل فن من القول .

وقال المعري في الكلام على بيت المجتري الذي هو

والحدود الحسان يهين عا ا - ابر الريح طلقا وورده

جلنار من اطراف كلام اله . هو اسماً موحداً في انكلاء القديم . يجب

ان يكون المراد به جل نار اي ما عظم من الجرم ثم كثير في كلام العامة حتى جعلوه كالاسم الواحد وأجروه بحرى الاسماء العربية غير المركبة - والشعراء المولودون يسمون الرءاء فيقولون كأنه جلتار ورأيت جلتاراً ولو اضافوه وقالوا جل نار لكانت اقيس ولو انهم جعلوه بمنزلة حضرموت لوجب ان يقول هذا جلتار ورأيت جلتار ومرت بجلتار فلا يعرفون ولم يأخذوا به في هذا المنهاج بل ادخلوا عليه الالف واللام فقالوا الجلتار واجتروا على توحيدهم فقالوا جلتارة فأجروه بحرى تمر وتمرة وقال بعض المحدثين :

غدت في لباس لها اخضر كما تلبس الورق الجلتارا

ولا اعلم هذا الاسم جاء في شعر فصيح وانما هو فقط محدث وكأنه في الاصل جاء على معنى التشبيه شبهوا حمرة الجمر بحمرة النار ثم تصرفوا في نقله وتغييره (١) وقالوا في تحمية الطعام الفارسي يدياج وزعموا ان نير بالفارسية رمان وفارس نشطق بالياء كأنها انب والالف كأنها الياء فيجوز ان يكون نار في جل نار من هذا النحو فكأنهم اردوا جل الرمان ويجوز ان يكون جل بلسانهم في غدير هذا المعنى على ان انتمموا الاختصاص بالعربية وصارت فيها حروف كثيرة من كلام العرب وهم يسمون الفارسية الاخضرة النهرية وتدين بشكوك بها اليوم قليل نفتقر اليهم الملوك في تقدير سير المتقدمين .

وقال في كلامه على بيت :

اسند صدورهم ملات بوقدة في المائلات كأنهن المسند

اشبه ما يجعل المسند ههنا ان يكون في معنى خط حمير لان مذهب الشعراء سيف ذلك معروف واياه قصد ابو عبادة كما قال ذوؤيب :

عرفت النياز كركمة المواة يزيها الكاتب الحيري

وكأنوا يسمون خطهم المسند وسموا هذا الخط العربي الجزم لانه جزم من ذلك الفن اي قطع وقد يحتمل ان يعني بالمسند الحديث السند اي هذه المنازل قد صار حديثاً بذلك .

وقال في الكلام على بيت :

بغضون دون الاختياف عيونهم وفوق السراط للعظيم المؤمر

(١) كسبت على الحاشية هذه العبارة : هذا تطويل بغير طائل فانه معرب ككفار

ومعناه بالفارسية زهر الرمان اه .

الاشتيايم كلمة لم يذكرها المتقدمون من اهل اللغة فاذا سئل من ركب البحر عنها قال البحرىون الذين يسكنون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيايم فان كانت جذه الكلمة عربية فهي الانتعال من شام البرق لان رئيس المركب يكون علماً بشوون البروق والرياح ويعرف من ذلك ما لا يفرقه سواء فكأنه سمي بالمصدر من اشتيم كما قيل رجل زور وهو مصدر زار ودنف وهو مصدر دنف وفي البحر سمكة تعرف بالاشتيايم وهي عظيمة ويعوز ان يكون سميت برئيس المركب كأنها رئيسة السمك واذا اخذ بهذا القول فهمزة الاشتيايم همزة وصل وان قطعت فقد جرت عادة ابي عبادة بقطعها في المصادر كثيراً فهو ضرورة وان وصلها صار في البيت زحاف قد جرت عادته باستعمال مثله وان كانت الاشتيايم كلمة اعجمية فالله الف قطع كالف ابريسم وابرهيم ونحو ذلك . وقال في قوله :

ان اتبع الشوق ازراء عليه فقد جافى من النوم عن عيني ما جفا  
قوله ازراء عليه ردي<sup>٢</sup> وانما المعروف ازريت به وزريت عليه وقد عابوا على ابن دريد قوله في رسالة الجهرة الى الازراء على علمائنا وقد حكى بعض اهل اللغة ازريت عليه وليس معروف وانما النصيح ازرى به كما قال الاعشى :

فان تعهدي لامري<sup>٣</sup> لمة فان الحوادث ازرى بها  
ومثل هذا ما صححه الجعفي في قوله : اذا استقلته جرد الخيل فقال انها غير مستعملة وانما المعروف اذا استقلت به ويقولون استقل القوم اذا ساروا غير متعمد وانما اراد بقوله استقلته اقلته ولو قال اقلته لاستقام الوزن ولعل ابي عبادة كذلك قال : كما انكر عليه لفظة البرطيل الذي تستعمله العامة في معنى الرشوة وقال انه لا يعرف في الكلام القديم وكذلك وردت لفظة الاطروش في شعر الجعفي فاصورها المعري وقال انه لا اصل لها في العربية وقال في :

اخواله للرسامين بفارس وجدوده للتبعين بموكل  
يروى للرسامين على الجمع وكذلك التبعين ويروى بالتثنية والجمع اشبه لانه قال .  
اخواله لجمع وكذلك قال جدوده فان تكون الاخوال والجدود للموكل كثيرة اشبه من ان تكون للملكين وموكل اسم موضع باليمن ويقال انها دار مملكة حمير وهو مفتوح الميم والكانف وكذلك تنقل اهل اللغة وكان ابو عمرو الزاهد يقول الموكل قبة الملك فان كان ذلك شيئاً فديماً سمعة فقد يجوز ان يكون حمل على ان هذا الموضع يقال له موكل وهو

مقر مملكة القوم والذي يتهم به ابو عمرو يتخرج كثير منه على هذا النحو وكأن تبة الملك تسمى موكلًا لانه يقدم فيها ويكل اموره الى الخدم والحشم وقدم هذه البلاد رجل بين اهل بخران ممن يسكن البادية فصيح ينتمي الى زبيد من يذبح فسمع فني في الكتب ينشد هذه القصيدة فلما انتهى الى قوله بموكل كسر الكاف فقال البخري بموكل وكذلك حكاه اهل العلم .  
وقال في كلامه على :

وكنازي بعض الندى بعد بعضه فلما اتجمعتا دفعتا الى الكل  
كان المتقدمون من اهل العلم يتكبرون ادخال الالف واللام على كل وبعض  
وروى الاصمعي انه قال كلاماً معناه قرأت داب ابن المقفع فلم ارفها حتى اذا في موضع واحد وهو قوله : العز اكبر من ان يحاط بكلمة فخذوا البعض وكان ابو علي الفارسي يزعم ان سيويه يحذف ادخال الالف واللام على كل لانه لفظ بذلك ولكنه يستدل عليه بغيره والقياس يوجب دخول الالف واللام على كل وبعض وقد اشد بعض الناس قول صحيح عبد يتي المسحلس :

رأيت النني وافقير كليهما الى الموت يا في الموت للكل معدا  
هذه نموذجت من كتاب عبد الوليد وقد وقع في ٩٤ ورقة وحوى فوائد لغوية وادبية قلما يعثر عليها في الكتب المتداولة وقد جاء في آخره ثم الاملاء المعروف بمبث الوليد وهذه السمة موقوفة بين امرين اخدهما ان يراد غيث الوليد الذي هو الجيتري والاخر ان يعني الوليد الذي هو الضني وكوب الرجل مسني بالوليد يحتل هذه التسمية .

## وصف الأسطول

كلا زعت طيمة قطر وحف بضروب النعم الصناغي والطيرجي تتفتق السن ابتائه  
 قبح وصفه والبل الى رباعه ولذلك تجد للشاميين في وصف اقليمهم من الاماديح مالا  
 يجده العراقيين وما تجده للانديسين لاثراء لادباء المصريين . والانديلس فيمن البلاد  
 التي زعت بنفرتها وتاهت بفطرتها ولذلك ترى شعراءها وكتابتها اشبه بالاوريين في  
 عفتهم الادبية لهذا العهد يطبقون بوصف مائتة عليا بصارهم وما كانت تقع الا على اثرسيف  
 لفخضارة وشيء من العمران واذا قد اضطرتهم الحال ان يفرحوا غمرات البحار كالتيثيقين  
 ليلام عزم والبربطانين في ايامنا كان لهم من اساطيلهم ما وصفه شعراؤهم فيما يلي .  
 قال ابن هاني: وصف الاسطول :

معطفة الاعناق نحو متونها	كأنيبت ابدس الحواة الافاعي
اذا ما وردنا الماء شوقاً لبرده	صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
اذا عملوا فيها المجاذيف سرعة	تزي عقرها منها على الماء ماشيا
وقال ابو عمرو يزيد بن عبد الله اللخمي	الاشيلي الكاتب
ويا للجواري المشآت وحسنا	طواثر بين الماء والجو عونا
اذا نشرت في البحر اجتعة لها	رأيت به روضاً ونوراً مكما
وان لم تهجه الریح جاء مصالفاً	فدنت له كها خضياً ومصما
محاذف كالحيات مدت رؤوسها	على وجل في الماء كي تروي الظما
كما اسرعت عبداً اتامل حاسب	بقيض وسط ينشق العين والظما
في الهدب في اجفان الحمار اوطف	فهل صمت من غنم اوبكت دما

قال ابن البار وقد اجاد ما اراد سيف هذا الوصف وان نظر الى قول ابي عبد الله

الجن الحداد وصف اسطول المعتصم بن صادق

هام صرف الردي بهام الاعادي	ان سمع غموم لما ابياد
وتراوت بشرعها كميون	داًبها مثل خائفها سهاد
ذات جذب من المجاذيف حاك	جذب بالك لفسه انساد
حم فوقها من البيض نار	كل من ارسلت عليه رماذ
ومن الخط في يدس كل رد	الف خطها على البحر صا

قال وما احسن قول شيخنا ابي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيد انشدني  
وكأنما تكن الاراقم جوفها من عهد نوح خشية الطوفان  
فلذا رأين المايطح فتنفت مع كل خرق حية بلسان  
قال ولم يسبقهم الى الاحسان واتما سبقهم بالزمان علي بن محمد اليايدي التوم  
في قوله

شرعوا جواتها مجاذف اتعبت شادي الرياح لها ولما تعب  
تصاع من كسب كما تفر القطا طورا وتجتمع اجتاع الروب  
والبحر يجمع بينها فكانه ليل يقرب عقربا من عقرب  
ونكى جواتها اسود خلافة تحتل في عدد السلاح المذهب  
وكأنما البحر استعار بزعم ثوب الجمال من الريح العجم  
ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع

ولما جناح يستعار يطيرها طوع الرياح وراحة المتطرب  
يطوبها حذب اليباب مطارة في كل لح زاهر مغلوب  
يسمو بأخر ذي الهواء منضب عريان منسرح الذوابة شوذب  
تنزل الملاح منه ذوابة لورام يركبها القطالم يركب  
وكأنما رام استرافة مقعد لسمع الا انه لم يشهب  
وكأنما جن ابن داودم ركبوا جواتها باعصف مركب  
سجروا جوام بينهم فتقاذوا منها بالسن ملرج مطلب  
من كل مسجون الحريق اذا انبرى من مجما نضلت انضالات الكوكب  
عريان يقدمه المخان كأنه صبح بكر على غلام غيب  
ومن اولها: اعجب بأسطول الامام محمد ومحسه وزماته المستغرب  
لبست بالامواج احسن منظر يبدو لعين الناظر العجب  
من كل مشقة على ما قابلت اشرف صدر الاجدل المتصب  
ومنها جوفه تحمل موكبا في جوفها يوم الزمان وتستجلى بمركب  
وقال ابو عمر القسطلي

فعل الموج بين بني حيل يطيرهم الى الصوب ابن ماء  
اغرة جراح من صباح يعرف فوق جنح من صبا

واخذته اسحق بن خفاجة قتال  
وجارية ركبته بها فلا يما  
اذا المله الطمان يوقى خصرها  
وقد ففر الحمام هناك فاه  
قال شري ولا يجهل بحسن هذه العبارة الصقيلة المرأة وقال ابن الابار وقد قلت ان في ذلك  
يا حبذا من بنات الماء ساجية تطفو لما شب اهل النار طفت  
تطيرها الريح غروبانا باجنحة الحمام البيض للاشراك تزوده  
من كل ادم لا يلقى به جرب فما تركه بالتحار يهشوه  
يدعي غرابا ولتقتله سرعته وهو ان ماء وتساين جوه جوه  
وقال عبد الحميد بن وهب وصف الاسطول

يا حسنا يوما شئت زفافها بنت انقضاء الى الخليج الازرق  
ورقلا كانت ابكة قصورت لك كيف شئت من الحمام الاورق  
حيث للغراب يجر شملة غجر وصكاه من شرة لم يهق  
من كل لابس الشباب ملأه حسب اقتدار الصانع الملتق  
تهدت لها الايمان ان شوا هذا استأجره فلتفتحت في التمس  
من كل ناشرة قوادم اجنح ونى معانها وهادق سودق  
زاربته نيرا الاسد وهي صوامت وزحفن زحف مواكب في مازق  
ومحاذفه تحكي اراقه ربوة نزلت لتكرع من غدبر متاق

وقال القسطلي في اسطول انشاء المصور بن ابي عامر من قصيدة

تحمل منه البحر بجرأ من القنا يروع بها امواجه وهورل  
بكل محالات الشراع كلتها وقد حملت اسد الحقائق غيل  
اذا ساقت شأو الرياح تخيلت خيولا مدى فرسانين خيول  
مضائق تزيح الرياح فان وقت اطافت باجلد التمام فيول  
ظباء فلاة ما لهن مفحص وورق حمام ما لهن هديل  
سوا كره في اوطانين كان سما بها الموج خيث الراسيت تزول  
كما لهم الآل الموداج بالفضى غداة استقلت بالخليط حمول  
اراقم تحوي ناعم السم ملها بما حملت دون العدة مقيل



## العربية والتركية

أصبحت الأمة بعد سقوط دولة بني العباس بتطور غريب في العلم والآراء لما عاينته من أهابل الحروب والفتن . ولما قامت الدولة العثمانية . فجمعت تحت لوائها الاقطار المختلفة نظرت الى الاقطار العربية من الوجهة السياسية ولم تكن بها ولا يغيرها من الوجهة العلمية الاجتماعية شأنها في عامة ادوارها واقطارها . ولم يبد عن ذلك الا مصر فكانت اشبه بمملكة مستقلة حتى بعد استيلاء العثمانيين عليها . وبعد ان قامت الدولة تأسس لها مدارس في البليجة والولايات لتعلم العلوم الحديثة واستبدل النور بالظلمة والعلم بالجهل فاه محمد علي . وآلي مصر ففرغ القطار المصري من الممالك في الظاهر ومن الدولة في الباطن . وانما فيه مدارس عربية وتوفر بدلالة جماعة من مستشاري الفرنسيين النباه على ترجمة التكتيب العلمية من اللغات الاوروبية فانفتحت اللغة العربية في مصر فقط . وثقلت كثر العرب عنها ياخذون علومهم . وموطن الطباعة والكتب والمحرف وبنواها يستضيفون . وذلك لغناها العظيم وتاريخها المجيد القديم .

بقى الامل في نهوض العربية فحسور في مصر لان الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن ونجد وطرابلس وتونس والجزائر وما كثر امست في محذور . وقد أنشئت في تونس وسورية بعض المدارس والمطابع تدرس بالعربية وقطع اللازم من الكتب العربية لكنها لم يمض على تأسيسها بضع سنين حتى اطلقت شعلتها بما اصاب سورية من بلاد المراقبة وما اصاب تونس من الاحتلال الفرنسي . والمراقبة واحتلال الغريب ما يقتل روح العلم ويترج حياة النهضة القومية . وقد اوشكت مصر ان تصاب بضعف لغتها لما احتلها الانكليز لولا ان قامت الامة وطلبت جعل العربية لغة المدارس الابتدائية والثانوية فلم تر الحكومة بدا من احياء طلبها .

اما هذه الديار فكان اول ما انصرفت اليه الرجوع بعد اعادة القانون الاساسي العثماني مسائل التعليم فالتركية لبنان الدولة الرسمي تريد ان تعلم جميع الناصر العثمانية ليحيي منهم في المستقبل مزيج وبلد وتقوى وحديثهم السياسية . وقد نشرت نظارة المعارف في بنائها ولم تشهد فيه ذكر العربية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية بل قالت ان تعلم العلوم بالتركية للذكور والانثى والصغار والكبار والعرب والترك

والروم والارمن والبلغار والارناؤد حتى ان البنادي البسيطة التي سمحت بتعلمها من العربية تدرس في كسب الفها اترك باللغة التركية . فادرك بعض الباحثين في احوال البلاد والناصر ان غرض الحكومة من هذه الخطة ( تريك ) العرب وغيرهم . وهو عمل اذا كان نافعا من حيث السياسة فلا تقع فيه من حيث الاجتماع والعلم خصوصا بعد ان رأينا اصغر الشعوب الاوربية تحافظ على لغتها الاصلية محافظتها على اعراضها واموالها وارواحها .

لا بد للحكومة ان تجعل التعليم اجباريا في المملكة فاذا جعلته باللغة التركية ولم تراخ حالة كل قطر ولغة اهله تسوء الماقية ولا تأتي الشجرة التي تريد غرسها الآن ثمرة جنية بل يكون شأن البلاد العم في العلم والفكر ومن لم يعلم العلوم بلغته هيئات ان يأتي منه عضو فيد أمتة وبلاد . واذا فعلت الدولة ذلك الآن فيكون في عهدها الدستوري اعظم منها في عهدها الاستبدادي وتكون حكومة مصر ارفع باهل مصر من حكومتنا بنا لانها منا فينتظر عن يدها الكثير وتلك ليست منهم وكل شيء تأتي به يعد كبير .

وبعد فان كانت الحكومة المثانية لم تنشط اللغة العربية في الماضي مع انها لغة الدين والآداب والحضارة فهي لم تضع العقاب في سبيلها مباشرة ولحسب النطقة الفظيمة التي ارتكبتها ولا يفقرها لما التاريخ هو ان القائمين باعبائها منذ البدء جعلوا اللغة التركية لغة الدولة الرسمية خلافا لما جرت عليه دول الاسلام السالفة كدولة المصمدة البربر في الغرب الاقصى والادني ودولة الجراكمة في مصر والشام ودولة آل سلجوق التركية في العراق والجزيرة ودولة بني بويه الفارسية ودولة آل ايوب الكردية في مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها من الدول التي طرحت لغتها وعمدت الى اتخاذ اللغة العربية لغة الحكومة والدولة فصكان الجراكمة والبربر والغرس والاكرد والأتراك يتخلون عن لغاتهم مختارين ولا يستعملون في الرسمية غير العربية لغة البيان والعلوم اما الترك فجروا على غير سنة الدول السالفة فلم يروا من المصلحة تعلم لغة عامة المسلمين في مشارق الارض ومقاربها واكتفوا بلغة ملققة بدوية ما يروحوا يتوفرون منذ قرون على اصلاحها وهيئات ان تكون كما يحبون .

ولما جاء السلطان سليم فاتح مصر والشام وكان على شيء من المعرفة بعص

العربية كما بعسن الفارسية والتركية أحب ان يتلافى الغلط الذي سارت عليه دولته وان يجعل اللغة العربية لغتها الرسمية أسوة بالدول الاسلامية البائدة فقام عليه بعض ضعاف العقول من اهل دولته وارادوه على الدول عن رأيه مخالفة ان تدثر لغتهم بل غطسوا من ان يعلموا لغة غيرها فكان عملهم هذا من جملة السدود التي حالت بين آل عثمان وبسط ايديهم على الممالك الاسلامية المجاورة لم واللغة العربية عظم رابطة بين المسلمين .

ولقد كانت الدولة ولا تزال تعلم في مدارسها الرسمية العربية كما تعلم الفارسية وذلك لان التركية مزيج من هذين اللغتين وبدون معرفة قليل من اللغتين لا يتأق لتركى ان يكتب كتابة صحيحة في لغته فكان شأنها من بعض الوجوه شأن المدارس في اوربا لا تزال الى اليوم تعلم اللاتينية واليونانية لانهما اصل لغات اوربا وان كانتا بادتا او كادت . ولكن مدارس اوربا اخرجت كتاباً بهذين اللغتين ولم تهتم من مدارس الحكومة العثمانية كثيراً بالعربية او الفارسية . هذا والتركية ليست لغة دين ولا لغة علم ولا لغة حضارة قديمة ولا مدنية معروفة كالعربية التي شهد اهل الارض باحاديث اهلها وحضاراتهم . ومن التريب انه لم ينبغ في الدولة العثمانية كاتب عربي من اصل تركى على حين نبغ ويشغ من الفرس والاكرد وغيرهم اناس يؤلفون بالعربية فقصيهم عرباً خلصاً . وانك لتقرأ الجملة في كلام ابن كمال باشا وكاتب جلبي وطاشكوبزلي وغيرهم من الاتراك الذين عاتوا القلم العربي وعدوا في المصنفين ما لا تقرأه في كلام الراغب الاصفهاني وابي بكر الخوارزمي وحجة الاسلام الغزالي بل ان هؤلاء على منشاأهم الفارسي كانوا ائمة الانشاء العربي .

اذا تعلم ابناؤنا اليوم على الطريقة التركية لا يلشون ان يجيئوا انواكاً ويتقنوا التركية كاتري ابتائشاً وبذلك لا يخدمون ابناء لغتهم ادنى خدمة وقد رأينا معلم الذين تعلموا من ابناء سورية والعراق في المدارس الرسمية لا يحسنون التكلم بالعربية العامية فضلاً عن ان يكتبوا سطرين صحيحين بلغتهم بل رجاأيتهم يمزجون المصطلحات التركية وبعض اللفاظ التركية بينا هم يكلمونك بالعربية فكان شأنهم في هذا شأن اكثر البرابسة والجزائريين من سكان المدن يكلمون بيرية تكاد تكون اقرب الى الافرنجية لما خالطها من الالفاظ الافرنجية والاسبانية والعلانية :

وقد رأى بعض العقلاء ان احسن حل لمسألة اللغة العربية في المدارس الرسمية واسلمه عاقبة على اجيال الدولة المختلفة هو ان يجعل تدريس العلوم المادية كلها باللغة العربية كالطبيعات والرياضيات والفلك والكيمياء والطب وان تجعل العلوم السياسية كلها باللغة التركية كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والحقوق والاجتماع وبذلك لا يقع حيف على العرب وهم نصف الدولة او يزدون ولشعبهم افضل لغات سائر العناصر العثمانية - والمستقبل كفيل بحل هذه المسئلة العلية .

## ضراء العلماء

بلد الإصلاح بدأى بده غريباً لا يأنس به الا ذوو الاستعداد الفطري للبداءة العالية وابناه العلم والتهدب من رجال الامة والبقية الباقية منهم يتأهضه اما يدافع جهلهم ونقصهم او لعدم انطباقه مع ما يتزعمون اليه من التقاليد التي وجدوا عليها آباءهم ولهذا تفرغوا قبل ان يدرج من عهده قوتان متناقضتان : الواحدة تسمى لاثامه والاخرى تعمل على تلافيه ويساعد الثانية في الغالب مال ودخول في مملك فطم البنين وجاءه متبسط الغلال ...

بين هاتين القوتين تشهر حرب شعواء يضطرب لها فلك الإصلاح ولا بد ان تعجلى وقد ازهى الحق الباطل لان القوة الحقيقية بجانبه - وقوة الحق حركة كبرى سبغ ميدان تنارع البقاء

الا وان انصار الباطل كانوا وما زالوا في كل عصر ومصر يوقظون الفتنة ويضرمون جذوة الثورة يقومون بدعوى الغيرة على الدين مرة وخدمة النفع العام تارة اخرى وما يريدون بذلك كما يشهد الحق الا منافعهم الشخصية فهي قبله املهم التي يولون شطرها وكعبة اميالم التي يسوقون نحوها مطاياهم ومهمهم .

وليس اضرب شيئاً على العلم والدين من هؤلاء فيتلهم كد سوق العلم وراحت بضاعة الجهل المزجاة وهم بما يخلقونه من الاوهام مثابوا الدين بالفتح صورة مشوهة يقرمها الناظر فرار السليم من الاجرب وتحموا للدين بحبالا واسما امام الاغيار فلخذوا يسبقونه بالسنة حداد وينزلونه في غير آلتزلة التي وضعها السلف الصالح أيام كانوا على يضاء نقية لا يضرهم من خلفهم اذا كانوا هم المهتدين .

منيت الامم الاسلامية جمعا . يمثل هؤلاء منذ ثلاثة عشر قرناً أو يزيد . يدانه مع وجود هذه العظيمة بين ظهور انبياءهم وارتفاع جبلتهم وضوضائهم وعملهم على ادخاله شعاع الاماني الذهبية في مهب تلك العواصف لم تعد رجالات توفرت على الاخذ بتأصر الحق وسلبت قرارها رغبة في شد ازره ممن تمحضوا للعلم الخالص واغترفوا من معينه وشلا فكانت القوة بجانبهم : الغيور بها اعداء الله الالهة وبكافونهم والعلبة لهم وان تأبى عليهم الجموع الكثيفة وتحلفت امامهم الصفوف كالبنين المرصوصين من فجمعهم جامعة الجبل تحت لواء الحسداتيم .

\*\*\*

شهد شيخنا التاريخ منذ نشأ الفكر البشري هذه الاعمال البربرية ولم تزل صفحة ندية بعد فلم يحف ما اريق من السماء في سبيل نصرة الحق ولم يتغير ما ادرف من الدموع الصافية المصدر والمورد على تلك العقول الرصينة التي بينا ترصد فضاء السماء الفسيح اذا بها تفحص اعماق هذه الارض ويحتشد في استكناه اسرار الحياة المطوية على كتل تلك الطبقات الصماء . وها هو قد حشد في صدره الوقوف موفقة من ذهبوا ضجة الجبل والحسد ما لوجع وأفرد موفقات خاصة لا خرجت للناس بمجملات ضخمة سيف « محكمة التفتيش الاسلامية الكبرى »

وليس بالزر القليل ما نال الائمة المصلحون من التكبيلات التي يسود لها وجه الانسانية فكف كفر من هو اشد تمسكا بدين الله واتوا على من هو اعظم اعتصاما بمجمله المتين وحكم بالزندقة على من كان يحارب الدهريين وضل من كان يجاهد في سبيل الشرك واضطهد من كان يعمل فكره للاجتهاد والعمل في كتاب الله وسنة رسوله .

وباليتهم وقفوا عند هذا الحد فلم يتخطوا دائرة الانسانية بتمثيلهم عباد الله الملهون اقبح تمثيل وضربهم بالاسواط حتى تثل الاطراف او تعتل احدى الاعضاء فيفقد وظيفتها وسلخهم جلودهم وحم احياهم مما لم يمهده نظيره الا بين ظهري الامم العريقة في الوحش والعجبة .

واما بالآن كثير من امثال تلك الحوادث في بطون عدة من التواريخ التي تضم تراجم مشاهير المشاركة والمخاربة آت على شيء منها مقتصر على رجال الفريق الاذل ممن ذاقوا الارز ولقوا من معاصرتهم الا لافي لقاء بث فكره اصلاحية او القيام بمشروع جديد

ليعلم ان التاريخ هو الحشر الذي ينسل اليه الناس من كل حذب وانه لايفلت احداً دون ان يتناقشه الحساب :

هذا مالك بن انس ( ١ ) سعي به الى جعفر بن علي بن عم ابي جعفر المتصور فدعا به وجرده وضربه سبعين سوطاً ومدت بداه حتى انخلع كنفاه وذلك جزاء قوله الحق حين سئل عن مبايعة محمد بن عبدالله بن حسن وقولم له : « ان في باعنا مبايعة ابي جعفر » فقال : « انما بايعتم مكرهين وليس علي مكره يمين » فاسرع الناس الى محمد فسمى به ففصر بذلك .

قال صاحب الفلاكة : « ثم لم يزل بعد في علو ورفعه كلما كانت تلك السياط حلياً تغطي بها » . وهذا ابو حنيفة الثمان الفقيه الكوفي ضربه يزيد بن عمر بن هبيرة الفرازي وكان امير العراقيين مائة سوط وعشره اسواط وكل يوم عشرة اسواط ايضاً وذلك لما اراده لفضاء الكوفة ايام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فابي وبقي على الامتناع وبجبه قنوفي في السجن في احد القولين . وقيل : ان سبب سجنه الابدعي ما ذكره الزمخشري وهو من كبار الخفية في تفسير آية « لا يزال عهدي الظالمين » ان ابا حنيفة رحمه الله كان يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليها وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المسمى بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه . وقالت له امرأة : اشرت على ابي بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال : « ليتني مكان ابنك » وكان يقول في المتصور واشياعه : « لو ارادوا بناء مسجد وارادوني علي بناء آجره لما فعلت » اه . وحينئذ يعلم الباحث المدقق ان سبب سجنه امر سياسي .

ومثله احمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي امر المعتصم بضربه فأخذ وحجبه بالعقابين والسياط وضربه ضرباً مبرحاً حتى اشمى عليه وغاب عقله ثم امر باطلاقه الى اهله فقتل وهو لا يشعر وذلك انه ابى ان يقول خلاف ما يعلم او يعتقد حين اجلسه المعتصم ودعاه الى القول بخلق القرآن فامتنع وقال للمعتصم « ما قال ذلك ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وان القرآن علم الله ومن علم ان علم الله مخلوق فقد كفر » . فنظره احمد بن ابي دؤاد وغيره وانكروا عليه الآثار التي اوردها وقالوا للمعتصم :

(١) اعتمدنا في هذه القول علي كتاب ( الفلاكة والمخلوكون )

« هذا كفرك واكفرنا » وقال له اسحق بن ابراهيم نائب بغداد : « يا امير المؤمنين ليس من تدبير الاخلاق ان تخلي سبيله ويقلب خليفتين » فمعد ذلك حي واشتد غضبه وكان ما كان .

وكذلك يوسف بن يحيى البويطي صاحب الامام الشافعي كان الشافعي يسأل عن الشيء فيجيب عليه فاذا اجاب قال : « هو كما اجاب » وقال عنه الشافعي : « هو لساني » حمل الى بغداد في ايام الواثق بالله من مصروفي عنقه غل وفي رجله قيد وبين الفل والقيد سلسلة حديد فيها طوق وزنه اربعمائة رطلاً وارادوه نكلى للقول بمخلى القرآن فاشتد ومات بالسجين في يومه .

وضم الى هؤلاء الائمة من اساطين العلم والعمل من لم يرفعوا لاعمال المفسدين وأسا ولم يقيموا لها وزناً وليس ما اصابهم من المصائب باقل ما نال هؤلاء كلب نبيية والغزالي والتسائي وابن رشد وابن حزم فقد حمل حسد الجبهة الاغمار من معاصريه الاخير ان تألبوا عليه وكادوه واستنظروا عليه بالامراء فاحرقوا كتبه الثمينة ومصفاته وفي ذلك قال :

فان تحرقوا القوطاس لا تحرقوا الذي تقسمه القوطاس بل هو في صدري  
يسير معي حيث استقلت ركائي وينزل ان اتزل ويدفن في قبوري الخ .  
وانك تبرى العجب العجيب حيناً تأني علي تراجم المشاهير وما تجد في غشونها من الحن والاحن التي قصد من ابقاعها بهم غمط فضلم والخط من كرامتهم ووضعم امام سبيل شهرتهم الجارف سوراً من الجود ارككانه التمصص الاعمي ودائمه الجبل المطبق .

ولقد انفت ضراء العلماء والوقعة بهم الى الطعن بالمذاهب وقيام طائفة على اخرى كلما لاح لها من الفرصة بارق . ومن ذلك قيام الاكابر على محمد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (١) الملقب بلقب ابيه جمال الاسلام وحسبهم له فانهم خامموه واستنظروا بالسلطان عليه وعلى اصحابه وصارت الاشربة مقصودين بالاهانة والمنع عن الوعظ والتدريس وعزلوا من خطابة المجمع وتبع من الحنفية طائفة أغربوا سيفه قلوبهم الاعترال والنشع فغلبوا الى ولي الامر الازراء بمذهب الشافعي عموماً وبالأشربة خصوصاً قال السبكي : « وهذه هي الفتنة التي طار شررها وطال ضررها وعظم خطبها

وقام في اهل البثة خطيبها فان هذا الامر ادى الى التصريح بلعن اهل السنة في الجمع وتوفايف سبهم على المنابر وصار لابي الحسن الاشعري بيا اسوة يعلي بن ابي طالب رضي الله عنه واستمل اولئك في الجامع فقام ابوسهل في نصر السنة ثياما موزكا الخ . . .  
ومما يجدر ذكره في هذا الباب من المتأخرين الشيخ عبد الغني التالبي فان اهل الشبام تألبوا عليه، ووصموه بوصمات لم تكن من الشيخ رحمه الله في شيء . وما دعا اولئك الرعاع الاحسد من منزلة الشيخ حتى اضطروه الى مغادرة دمشق والسكنى بالصالحية حيث دفن ثمة . وفي ذلك بقول من قصيدة مطلعها :

يا من تكلم فينا بالذبي فيه وقت في كف ضرغام وفي فيه

الى ان قال :

بقعد مجتد الغيور الحق ملته	هيهات انك تغير من اباديه
وان جهلت فما بالكفر يمزو	جبل لذي الشرع والشيطان يطنيه
دم في غثوثك مقتونا فسوف ترى	من الذي منه قبح الفعل يرديه
ولا تقل اي جاهر للضعيف يرى	فان لليت ربا سوف يحميمه
يا مستنجين اعراضا محرمه	بسوء ظن وتلبس وتوبه
أهكذا ملة الاسلام تأمركم ؟	أم قد سلكتم عن الاسلام في تيه ؟
تبأ لكم ولن قد عاد بجمعكم	والعبد مولاه في الاعداء يكنيه

ويعد فلان انثاريخ يهيد نفسه والحوادث لا نفتأ لتعاقب على عمر الايام وان الحال  
حسوة من الماضي وان طرأ عليه من مؤثرات التجديد ما ادخله في طور جديد ولا يخلو  
كل عصر من شذمة نفاق واختلاق حتى في هذا العصر يمترضون كل عمل نافع يقوم  
به المصلحون في مصر وسورية والعراق وبينهم فيما يطلبون تلكم الرعاع الذين هم اتباع  
كل ناعق .

الا فليعلم اولئك الاغرار ان موت المصلحين في سبيل نصره الحق بحث ونشور  
وان رمي الآخرين بالكفر والزندقة هو حياة لم وذكرى . ولقد كانت لاولئك الجبهة  
الاعمال حياة مادية ولكن كانوا يفرعون منها الحنظل ويموتون في كل يوم ساركا .  
وكانت لهؤلاء العلماء المصلحين شحلة حياة مادية اطلقاها الحسد فغلت محلها حياة  
ادبية مملوءة ضياء ونورا . . .  
دمشق : صلاح الدين القاسمي



## شرف الموسيقى

كل شيء يشرف ويوضع بشرف القائمين به ووضاعتهم وكل علم يشرف ويوضع على نسبة اعتبارية من فائدة نتوقع منه وغاية تكون وراءه وصناعة الموسيقى هي من إمارات الظرف تمدد عند الام الحديثة المتحضرة من الفنون الجميلة كما كان يعمدها العرب إبان حضارتهم من الكاليات .

قال ابن خلدون والفناء يحدث في العمران اذا توفرت وجاوز حد الضروري الى الحاجي ثم الى الكالي ونفنتوا فحدثت هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من فرغ من جميع حاجياته الضرورية والمهمة من المعاش والمزول وغيره فلا يطلبها الا الفارغون عن سائر احوالهم نفنتا في مذاهب المذوذات وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر زاخر في امصارهم ومدنهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان ملوك الفرس اهتمام باهل هذه الصناعة ولم يكن مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ويحاجهم ويفنون فيها .

قال واما العرب فكان لم اولاً فن الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية لم يزل هذا شأنهم في بداوتهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبهم عليه وكانوا من البداوة والفضاخنة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشده في ترك احوال الفراغ وما ليس بتافع في دين ولا معاش فتهجروا ذلك كثيراً ما ولم يكن المذوذ عندهم الا ترجيع القراءة والقرن بالشعر الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفق بما حصل لهم من غنائم الام صاروا الى فضاورة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ واقترب المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالي للعرب وغنوا جميعاً بالبيدات والطنابير والمعازف والمزامير ومع العرب لمعينهم للاصوات فغنوا عليها اشعارهم . وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب خاثر مولد عبيد الله بن جعفر فغنموا شعر العرب ولحنوه وجادوا فيه وطار لم ذكر ثم اخذ عنهم بمعد وطبقته وابن سريج وانظاره وما زالت صناعة الفناء تتدرج الى ان كملت ايام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي و ابراهيم وابنه اسحق وابنه حماد .

قال وكثير ذلك ببغداد وابصار العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموسليين

غلام اسمه زرياب اخذ عنهم الغناء فاجاد فصرفوه الى المغرب غيرة منه فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس فبالغ في تكريمه وركب للقائه واثني له الجوائز والاقطاعات والجرايات واحله من دولته وندمائه بمكان فلورث بالاندلس من صناعة الغناء ما نفاقلوه الى ازمان الطوائف . وطأ منها باشبيلية بجز زاخر وناقل منها بعد ذهاب غضايرتها الى بلاد الغدوة بافريقية والمغرب واتقسم على امصارها وبها الآن منها صبابة على تراجع عمرانها وثناقص دولها . وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كالية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهو ايضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجع .

وقال ابن خلدون ايضا : ولقد عذلت يوما بعض الامراء من ابتداء الملوك في كلفه بتعلم الغناء وولوعه بالآوتار وقلت له ليس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقتال لي افلا ترى الى ابراهيم بن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المنتخبين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا تأسيت بآبيه واخيه او ما رأيت كيف عمد ذلك ابراهيم عن مناصبهم قسم عن عذلي واعرض .

هذه زبدة تاريخ الغناء او الموسيقى في العرب وطرف مما كان من عناية ملوك الاسلام بها ايام الحضارة ولقد انتشرت بعد حتى صار يتعلمها بعض اهل العلم من غير تكبر وشرفت باقبال الكبراء عليها بحيث لم تكن في شرفها دون غيرها من العلوم . فقد ذكر ابن ابي اصيبعة ان الفارابي المعلم الثاني وصل في علم صناعة الموسيقى وعملها الى غاياتها واتقنها اتقاناً لا مزيد عليه ويذكر انه صنع آلة غريبة يسمع منها الحناأ بديمة يعحرك بها الانفعالات وله كتاب الموسيقى الكبير الله للوزير ابي جعفر محمد بن القاسم الكرخي وكتاب في احصاء الايقاع وكلام له في النقلة مضافاً الى الايقاع كلام في الموسيقى .

ويحكى ان الفيلسوف الذي يضرب عليه للطرب هو من وضعه وانه كان اول من ركب هذه الآلة تركيبها المجهود اليوم .

والف يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب في الموسيقى فكشف رسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الاشخاص العالية وتشابه التأليف ورسالة في المدخل الى صناعة الموسيقى ورسالة في الايقاع . رسالة في الاخبار عن صناعة الموسيقى . ومختصر الموسيقى في تأليف النغم وصنعة العود الله لاحمد بن المصمم ورسالة في اجزاء .

جبرية الموسيقى • والفتاح أحمد بن الطيب السرخسي العالم الحكيم كتاب الموسيقى الكبير ولم يعمل مثله كما ألف كتاب نزهة النفوس ولم يخرج باسمه • وكتاب اللوح والملاحى ونزهة الفكر السامى فى الفناء والمنفنين والمنادمة والمجالة وأنواع الاختبار والمخ صنفه الخليفة •

والفتاح ثابت بن قررة كتاباً فى الموسيقى ورسالة الى علي بن يحيى المنجم فيما لمر بأثباته من ابواب علم الموسيقى ورسالة الى بعض اخواته فى جواب ما سأله عنه من أمور الموسيقى • وكان أبو بكر محمد بن طليل من فلاسفة المسلمين فى الأندلس يأخذ رواتب كثيرة مع الأطباء والمهندسين والكتّاب والشعراء والزماة والاجناد وغيرهم ويقول لو تفق عليهم علم الموسيقى لانفقتهم عندهم •

وكان ابن باجة الفيلسوف الأندلسى على جلالة قدره متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود قال ابن سعيد ابن ابن باجة فى الموسيقى بالمغرب بمنزلة ابي نصر الفارابى بالمشرق واليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التى عليها الاعتماد • وكان ابن يونس النخعي المشهور بضرب بالعود على جهة التأديب • وكان أبو الجعد بن أبي الحكم من الحكماء المشهورين يعرف الموسيقى ويلعب بالعود ويحيد الفناء والإيقاع والزمر وسائر الآلات وعمل ارغناً وبالغ فى افتائه • وكان أبو زكريا يحيى اليباسى من أفضل العلماء جيد اللعب بالعود وعمل الارغن أيضاً وحاول اللعب به وكان يقرأ عليه علم الموسيقى • وكان أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى العالم الرياضى الطيب متقناً لعلم الموسيقى وعمله جيد اللعب بالعود • وكان أبو الحكم الأندلسى الطيب الشاعر يعرف الموسيقى ويلعب بالعود • وكان الحرث بن كلدة الثقفى أحد أطباء العرب يضرب بالعود تلم ذلك بفارس واليمن • وكان قسطا بن لوقا البلجيكى العالم الفيلسوف إرباً فى علم الموسيقى • وكان أمين الدولة بن التليذ يحب صناعة الموسيقى وله ميل الى أهلها • وكان صفى الدين عبد المؤمن بن فاخر العالم المغنى عالماً بالموسيقى • وكان نجم الدين بن المنفاح المعروف بابن العالة لان أمه كانت عالة بدمشق وتعرف بنت دهن اللوز فاضلاً فى الأدب والطب وله معرفة بضرب بالعود استوزره الملك مسعود صاحب آمد وحظي عنده • وكان نضر الدين بن الساعاتى الفلكى الفيلسوف الطيب خدم بني أيوب وتوزر للملك العادل والملك المعظم • وكان بنادم هذا ويلعب بالعود • وكان رشيد الدين بن خليفة الطيب العالم اعرف أهل

زمانه بالموسيقى والمذهب بالمود والطيبهم صوتاً ونعمة حتى انه شوهد من تأثر الانفس عند سماعه مثل ما يحكى عن ابي نصر الفارابي فكثير اعجاب الملك المعظم به جداً وبعد ذلك اخذه اليه واستمر في خدمته .

وذكر ابن خلكان ان ابا بكر محمد بن زكريا الرازي الطيب المشهور كان في شبابه يضرب بالمود ويغني فلما التحق وجهه قال كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يشغرف فنزع عن ذلك واتبل على دراسة كتب الطب والفلسفة .  
وكان ابو الحسين علي بن الحماره آخر فلاسفة الاندلس آخر من برع في الالحان وعلمها وهو من اهل غرناطة قال في نفع الطيب واشتهر عنه انه كان يمدد الى اشعراء فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عوداً للفناء وينظم الشعر ويلحنه ويغني به فيطرب سامعيه . وكان الفاضل ابو الحسين بن الوزير ابي جعفر الوقيشي آية في الفنون والموسيقى والتأليف وشيخه في هذا الفن ابو الحسين بن الحسن بن الحاسب كان ذا ذوق فيها مع صوت يدع اشعى من الكأس للخلج قال ابو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافي :

ومطارح مما تجس بنائه      لحناً افاض عليه ماء وقاره  
يشي الحام فلا يروح لوكره      طرباً ورزقاً بنيه في منقاره

وكان محمد بن احمد بن ابي بكر القرموطي المرسي من اعرف اهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفاً طبيباً ماهراً يقرئ الامم بالسنتيم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلمها ولما تغلب الافرنج على مرسية عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود قاله في النسخ .

وعلى الجملة لم تكن صناعة الموسيقى بالمنزلة التي يصورها اهل جيلنا من الغضاضة والضممة بل عرف بها اناس من اهل العناية والعلم وما كانت كل من تعاطي صناعة الفناء عارياً من سائر العلوم فقد كان اسحق بن ابراهيم الموصلي نديم الخلفاء وشيخ الفناء ومع هذا كان من العلماء باللغة والشعر واخبار الناس وله يد طولى في الحديث والفقه والكلال وكان المأمون يقول لولا ما سبق لاسحق على السنة الناس واشتهر بالفناء لوليته القضاء فانه اولى واعف واصدق واكثر ديناً وامانة من هؤلاء القضاة ولكنه اشتهر بالفناء ونظ على جميع علومه مع انه اصغرها عنده .

ومثل هذا ما وقع لقاضي اشبيلية ابي بكر بن القاضي ابي الحسن الزمري فانه

كان كثير العرب بالطريق لم يكن من يلعب به مثله في يده قال فكانوا يقولون أبو بكر  
 الزهري الطريقي فكان اذا بلغني ذلك اغتاط ويصعب عليّ فقلت في نفسي لا يد  
 ان اشتغل عن هذا بشيء غيره من العلم لانت به ويحول عني وصف الطريق  
 وعلمت ان اتقه وسائر الادب ولو اشتغلت به عمري كله لم يخسني منه وصف انت به  
 فمدت الي ابي مروان عبد الملك بن زهر واشتغلت عليه بمسئلة الطب وكنت اجلس  
 عنده واكتب لمن جاء مستوصفاً من المرضى الرقاق واشتهرت بعد ذلك بالطب وزال  
 عني ما كنت اكره الوصف به وهذا هو السبب والله اعلم في اخفاء كثير من اهل الوفاق  
 والعلم انهم عليّ جئت من علم الموسيقى والصرب على العود وغيره من انواع الملقود ولولا  
 النقية لانتهي اليها اسما كثير ممن لم تبلتنا عنهم سوى اخبار العلوم المتعارفة عليّ ان  
 الشرف كله اعتباري ولا مانع من الفناء والظنين اذا لم يتبعهما التلغيم بمجاء السفاهة  
 والريذة .

اما الملوك والامراء الذين عنوا بالموسيقى قديماً فأكثروا ان يحصوا منهم يزيد  
 ابن عبد الملك ومسلّة بن عبد الملك وابو عيسى بن الرشيد وعبدالله بن موسى الهادي  
 وابراهيم بن عيسى بن جعفر المنصور ومحمد بن جعفر المقتدر والموكل والمهدي والمؤيد  
 وطحمة الموفق والطائع والمقتدر وابن المعتز وغيرهم من الملوك المتأخرين والله اعلم .

## قوى النساء

كتب باولو لمبروز العالم الايطالي مقالة في المجلة الباريزية قال فيها ماتوريه :  
 حكم الناس منذ قرون بان الرجل من الجنس القوي والمرأة من الجنس الضعيف .  
 فجميع مظاهر النشاط والثبات والقوة الطبيعية من امتيازات الرجل - عضلاته كالقولاذ  
 ويحمل السيف ويحارب ويتسلق الجبال الخطرة ويتجشم الجوارح في اشد اتوائها  
 ويرى الموت وجها الى وجهه .

اما المرأة اللطيفة المزاج فانها ترى ان قسم ساق زينة بعد منها قوة فهي التي  
 ينمي عليها وهي جالسة عليّ الكرسي وتصرخ مذهورة اذا رأت عتكوتاً او فارة .  
 فلذا يسأل السائل من اين تيمت قوتها اي جوارح شعاعها ومقاومتها ورباطة جأشها

على ان المرأة في الغالب تظهر بمظهر النخبة والاخلاص وسلامة العقل وانكار النفس والمفاداة وكل ما يعرف به الانسان الخارق للعادة .

القوة والثبات الطبيعية هما اساس القوة الادبية وشرط لازم لهما وقد ابان التاريخ والاحصاء والبحث بان المرأة ليست دون الرجل في المقاومة الطبيعية للامراض والاولاج والانتاب فلما نرى النساء المتوحشات البربريات يتمن بأشق الاعمال فيجترن الارض ويطنن الحب ويحملن الانتقال بينهن مرضعات ارحاملات .

ومن الغريب اننا نرى الضعف في النساء والقوة في الرجال عند بعض الشعوب المتوحشة على صورة مكوسة فترى المرأة عندهم تضع ولدا فلا تلبث ان تهض وتولى في الحال اعمالها على حين يبقى زوجها في الفراش كالنفساء وهذا ما دل على مضائها الغريب .

وانا نرى النساء في بلاد الهرسك يقرن بالسكر بدل البقر كما نراهن في بلاد الالب يتقلن احمال العلف عوضا عن البقال .

وليس من رياضة معها صعبت واقتضت صاحبها من الجراءة والثبات والشجاعة الا قامت به المرأة بنشاط وبرزت في مضاميره اي تبرز . فتراها تركب الخيل وتسبح وتلعب بالديف وتركب المراجعة وترتاض في الجبال وكل ذلك ما يقتضي له عدا اعصاب من حديد ومقاومة فائقة حضور ذهن وحذر واحتقار للموت اي مالا يمكن القيام به الا اذا انفتحت القوة الطبيعية مع القوة الادبية .

وهناك احوال كثيرة لا ندعوها رياضة لما يقتضي لها من النشاط والشجاعة والثبات في المرأة ونعني بذلك اكتشاف البلاد الجديدة لما فيها من المخاطر وما ينبغي لسخولها من الجراءة . ومن الناس من يظن ان مجد الاكتشاف لا يحوزه الا الرجال على حين هناك عدد كبير من النساء المكتشفات والباحثات اللاتي لم يهبن الاخطار واستمن بكل ما ينبغي لنجاح .

فقد رأينا العقيلة كودزو طافت مع زوجها اقطار غويانا الموبوءة واجتازت نهر البرازيل المأهول بالهنود ومات زوجها سنة ١٨٩٩ فلم تكن اقل منه شابة على السباحة وحدها . وليفتكشون وهو اعظم ساحل افريقي في عصرنا كانت ترافقه زوجته في اكثر رحلاته وهي التي انقذته من الهلاك في شونيانكا وقضت كالا بطل وهي لا تريد ان تتأدرو في الزامبيز . وقد اكتشف بكير سنة ١٨٦٤ نهر البرت نيازوا وكانت زوجته اكبر

مساعدة له بجراتها ونشاطها . وصحبت جوزفين بيري زوجها سنة ١٩٠٢ الى القطب الشمالي وهي على قلة ما لقيته من الرفاهية في تلك الرحلة استطاعت ان تربي لها ولدا . ورافق كود راموسين اخواته سيف رحلته الى غروانلاندا . وطاف بوتاتين الرومي واجفاني الجري . زوجتيهما في آسيا الوسطى وكانت زوجة الثاني باريزية الاصل وانثوية . فكتب لها لادن نمرود الى اوربا فوضعت لها كتابا بديما في رحلتها اما زوجة الاول فبقيت ابدا في الآخر وقضت وهي لا تخاف دركا ولا تخشى .

وان ما حدث لريتهارد زوجة تالانج البشر كان من المدهشات حقيقة فقد كانت ترافق زوجها مع ولدها في بلاد التبت وكانت سياحتهما خطرة وشاقة من وراء الغاية . ولقد دامهما لصوص من اهل التبت بالقرب من لاهاسا فهرب جميع من كانوا معهم . وبعد ان بقي البشر كلتاه مع زوجته في السياج خرج قاصدا احد المساكن القريبة يطلب معونة من فيه وظلت زوجته في انتظاره فلما نفذ صبرها عرفت ان اللصوص قتلوه وعندئذ قامت تسير وحدها عائدة من حيث اتت مع زوجها وهي تتوقع الموت في كل دقيقة وبعد اربعة اسابيع قضتها ماشية في صعوبات وآلام لا تصدق بلغت مدينة « قانسين لو » ناجية هي وطفلها .

هذا ولا تشارك المرأة الرجل في مخاطر الرحلات والوحدة والحياة المؤذية والجائيد والحروب والخوف بل ان لها في الدفاع عن حياض البلاد يدا طويلة يدعوها الى ذلك حبها لوطنها اولادها . فقد عرفت جارت دارك الحاربة الفرنسية المشهورة بايامها الفر المحجلة كما عرفت كاترين سفورزا في القرن الخامس عشر سيف ايطاليا فانها بعد ان رأت زوجها يذبح تحصنت في قلعة فوري وقاومت حصار تبصر بورجيا فانها ثلاثة اسابيع وبقيت في مقدمة رجالها ليل نهار راجلة وراكبة وهي لم تترك سلاحا ولما اعيتها الحيل ارادت ان تقتل نفسها بنسف الحصن ولكنها بقيت حية مع زمرة من اصحابها وعادت تقاتل بين اشلاء القتلى الى ان اسرت وعندها صاحبت اني اسلم نفسي للملك فرنسا .

والتاريخ لا ينسى نساء مدينة سين وقد ضيق الحصار عليها الملك شارل كان فهبين يتألفن ثلاثة توابير مؤلفة من بنات جنسهن خاصة لا يقل عددهن عن ثلاثة آلاف فابست قائدة التابور الاول لباسا بتفصيلا وقائدة الثاني لباس حريز احمر والثالثة اكتت بالياض . وبمثل هذا قامت حنة هاشيت يحميها نساء بوفي للدفاع عن

مدينين وبجائين ووبس عرست حياتها لخطر تعباً في قاربها المخاطر اللازمة سان  
لومر خلال حرب انتحال الملك الاسباني .

ولكن من امرأة اشتهرت باقدامها وشجاعتها بحيث يكاد يتكر عليها المرء ما يصدر  
عنها وهي التي عرفت بالضعف ووصفت بكثرة التأثر وكان الذي يحملون في الغالب  
على تخم المهالك تصيب ديني او كراهة للظلم او حب للحرية يقيمون ويتقدمون . وعلى  
هذا رأينا شارلوت كورداي فادت بنفسها وقتلت مارات الظالم وحدها ولما سئلت عما  
انت اجابت « ان حب الحرية علمي اسباب الوصول الى الظالم لاقتله . » وقالت :  
« ما اتس بلاد كفرنسا يجب فيها من امرأة نفاذي بحياتها دفاعاً عن بلادها . »

ومن النساء صاحبات القوة الادبية يخرج اولئك الروسيات بالثلاث مخليات عن  
ثروتهن وواحتهن ورقاعتهن في قصورهن الآمنة الواحدة منذرات على انفسهن الدعوة  
الى الثورة . يعرف الناس اسم صوفيا بوروفيسكايا التي مشت الى المشتقة هادئة دون  
ان يدعوطها الضعف ساعة . ويذكرون فيراسولتش التي قتلت القائد تريوف  
جلاد العديدين في روسيا وبرأتها محكمة المحلفين فافرت بانها كانت تؤثر ان يحكم عليها  
لانها تكون اذ ذاك آمنة من انها عملت ما تقدر عليه للدفاع عن حقيقتها . وقضت  
الثلاثة فيراستير الديمة الطلعة المحبة الى النفوس ست سنين وهي روح جميع المكائد  
التي حدثت في روسيا فتجاز البلاد من اقصاها الى اقصاها وهي تحمل قذائف في مشدها  
وتتخي متوارية عن انظار رجال الشرطة ولا تقاذ اوراق ومستندات محظورة . وقد  
سجت هذه الفتاة الفتاة التي خلقت للحركة والاضطراب والشجاعة والثورة عشرين  
سنة في سجن شلوسبورج وخربت منه بحماستها الاولى ومراميتها التي طالما سعت  
لحماستها .

ويرى العديون ( نيبيست ) ان من الاخلاق التي فطر عليها النساء فكانت من  
لومهن الادبية انهن اذا سجن والرجال في الحبوس او تقين الى سبيديا يمشن  
اكثر من الرجال ولا يأسن كالرجال على حين يموت الرجال او يقتلون او يمحون  
لا قليلا ويتضيقن من وحدتهم ومن يعدم الى الابد عن عالم الاحياء .

ولعل احدهم يقول ان لثال هؤلاء النساء من من التادرات يوزنن عاطفة الحب  
والعقادة والمخلومة وانه قد بنشأ مثلهن . وكما ترى في النساء من التابقت في الادب  
فجورج ساند واليصاليت برونيك وجورج اليوت وبشير ستاف ومدام هومفري وارده



كلهن من الادبيات اللاتي يقلن امثالهن في الرجال على ان النساء والرجال ايضا الذين اشتهروا بقوام الادبية وافكارهم السياسية لا يبيضن الا في مجتمعاتهم او في دور يكون فيه مستوى الكارم والآداب راقياً جداً .

وقد اظهر البحث ان نصف النساء من الشجاعة على جانب عظيم اذا تمت فيهن هذه القوة اتين بالاعاجيب ولكن من ينظر الى النساء نظراً مجرداً من التدقيق يراهن الى الوفاء والضعف والجبن والتعلق باهداب الامور السافهة والا لاعيب الصبيانية .

والفرق عظيم بين القوة الادبية في الرجل وبينها في المرأة فالرجل ينشأ على ذلك بالفطرة او بالتربية ويبقى كذلك معها شقيت حياته او سعدت يده ان الرجال الاقوياء من حيث الطبيعة بل من حيث الادب هم اندر مما تتصورهم . والمرأة لا تفتى بقوتها الادبية عندما تكون حياتها سعيدة او عادية الا ان الحاجة اذا مست واصابها شقاء وبؤس ومرض في أسرتهما ينقلب كيانهما في الحال ويصبح المتوسطات والرغوات منهن قويات شديداً يقاومن المصاعب اي مقاومة ويطعن صدور الموانئ بسلام قد يكون غير ماض ولكن له من نار الحمية الموقدة ما يشعل غراره ولا يطفأ اواره .

ولكن شهدنا النساء يأتين من ضروب الشجاعة حين الحاجة ما لم يخطر ببال فحسب وآياتها عقائل كان ازواجهن على جانب عظيم من سوء الاخلاق والشرعة بمعن وكمن صابرات على الاذى حتى اذا فقد بمولتهن ثروتهن وسبقوا الى السجون والمطابق بمطعن طليهم وبأخذن في الاتفاق عليهم من كدمن وعملهن .

ورأيت امرأة اخرى كانت شرسة الطباع ثناً كد زوجها وتسي عشرته فلما اضاع ماله راحت وهي في سن الاربعين تراجع دروسها التي تعلمتها في صباها وتقدمت لتبيل شهادة التعليم واخذت منذ ذلك الحين تصرف على زوجها واولادها من كسبها القليل وتعمل اعمال المطبخ والبيت يدها وتشتغل من الصبح الى المساء وكانت من قبل لم تنزل لتبيل يدها بالماء ولا لترفع ثيابها بنفسها اما زوجها ففي سنين يعيش من كدح زوجته يلعب الزمان ويدخن الدخان ولا يفارق داره الا للزعة .

ورأيت امرأة اخرى كان زوجها احد رجال الادارة وكانت مرفهة تعيش عيش الاميرات فأصيب زوجها بالروماتيزم فاخذت تمرسه وتعتقه بنفسها ثمانية عشرة سنة ليل نهار حتى انها لم تنزع عنها لباسها خلال العشرين سنين الاخيرة لتكون على مقربة من سرير زوجها وتقوم بخدشته حتى القيام بل انها قصت

بعض الستين الاخيرة ولم تخرج الى الشوارع حتى صار منظر المركبات والقطارات في عينها غريباً . كلها ذات يوم وأنا اعجب بها فقالت لي انها لم تسأم قط لانها ادركت انها تقوم بواجب وكانت كل ساعة من ساعاتها ولها ما يشغلها فيها وانها لم تمرض منذ اخذت في تمريض زوجها وكانت تشتبط عندما ترى زوجها يشكرها بعينيه عنايتها به قالت وكنت سعيدة ان اتوفر على الحالة حياته فلما قضى نحبه لم يبق لي مطعم في الحياة واسفت عليه كثيراً وان ادركت ان آلامه انتهت بالموت .

وغريب امر النساء في مفاداتهن بكل عزيز عليهن في سبيل ما يوطدن النفس على القيام به فاذا انصرفن اذهابن الى عمل من مثل ما تقدم يهدت في الملاذ والبتن والبنات ويفين ان جالمن ظل زائل واننن يضمن حياتهن بمفاداتهن ولكن ما يلذهن هو ان يقتنين فيما صرفن وكذهن له وليس الرجال كذلك ولعلمهم يؤثرون الانصراف الى عمل عام أكثر من الميل الى عمل خاص .

اعرف أسرة غنية كان لها ابن كف بصره فارادت ان تعجبه برفيق فاخترت له ابن بستانها وجعله له ترباً يقدوان ويروحان مما قد رسا الحقوق مما وصرفا على هذه الحال منذ كان الاصحى ابن عشرين الى ان صار ابن اربع وعشرين سنة ولما انما دراسة الحقوق افتتحا لها مكتب محاماة وقضائية سنتين ولكن ابن البستاني ضاق ذروعه من تحمل صاحبه وانفصل عنه وان كان مايب السرية ولم ينس ابادي أسرته عليه قائلاً ان السأم اصابه فلا يتحمل عشرة صاحبه .

كما اعرف رجلاً غنياً فقد زوجته وهي تضع له ابنة فلم تحدهه نفسه يوماً ان يعنى بتربية هذه مع انه كان يحبها حباً جاك وما ذلك الا لان الرجل بما فيه من قوة اديية يأتي من الاعمال ما يزيد بنتائه الاجتماعية أكثر مما تقوم به المرأة مع شخص . وعلى ذلك فالواجب على الرجال ان يشفقوا على النساء اذ لراؤهن يعشن في الاحايين عيشاً طيباً . المرأة لا تنزع بها نفسها الا ان تكون خادمة خاضعة تقوم بوظائفها اليومية المحدودة ولكنها حين الحاجة يكون شأنها ان تنقل فتكون ملكة . وليس غير المصائب تحملها على تعيين كيانها فعلى الرجل ان يجتهد في حال يؤسها وسعادتها .

## سير العلم والاجتماع

## الحروب الاسلامية

قال احمد زكريا استاذ الحضارة في الجامعة المصرية ان الحروب الاسلامية كانت استعمارية اكبر منها دينية : ان الحرب الشرعية هي التي تقام لاعلاء كلمة الله وليس المراد من اعلاء كلمة الله الدعوة الى الاسلام بالسيف فان هذا لما لا يكون ابداً وانما المراد منها ما عرف سيفه تاريخ صاحب الشريعة الاسلامية وبعض خلفائه وذلك ان الذين بقي على الدعوة اليه بالحسنى ولكن زعماء المشركين وسائر الممالك وتشنذ كبر عليهم ان يدبوا لدين جاء به يتيم عربي ويسوي بين الملوك والسوقة ويسبق للخليفة الثاني ان يأمر مثل جيلة ابن الابهيم ان يرفع رأسه خلف من اجلاف العرب ليثار لنفسه فيلجعه كما لجمه . كبر عليهم الاذعان فقاوموا القائمين بنشره وشنوا عليهم الغارات يريدون صدمهم عن سبيل الله وشفاء نوره ويأبى الله الا ان يتم نوره فجاز للمسلمين وتشنذ بل وجب عليهم ان يذودوا عن حياضهم ويذبوا عن اعراضهم والا لكانوا اخساء جبناء فاعاد المسلمون لاعدائهم ما استطاعوا من قوة ومزرباط الخيل وصدوا هجماتهم وانتقموا لانفسهم من آذاهم وكذلك الله يفعل بالمعتدين : فكانت تلك الحروب لدفع من يقب سبيل المسلمين فيمنعهم من نشر دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة لذلك سميت حروباً شرعية وحقق لها ان تسمى كذلك .

ولا يفهم من قول المسلمين للمحاربين : الاسلام او الجزية او الحرب : ان حربهم اياهم كان لهم على الاسلام فان الذي اضطر المسلمين الى الحرب انقام المحاربون انفسهم فلما كانت تشدد الازمة على المحاربين كانوا يحقنون دماءهم من المسلمين الذين نصرهم الله بقوة حقهم وبدم اعتداءهم الا على من اعتدى عليهم وكان حق السماء باحد امرين اما الاسلام ليصيروا اخوانهم واما الجزية التي لا بد منها لامة مغتوبة في كل عصر من العصور والا لو كانت هذه العبارة « الاسلام او الجزية او الحرب » لجل الناس على الاسلام بلا خيدوم بين الجزية والاسلام ولم يرضوا منهم دون الاسلام شيئاً .

ان الذي يتأمل في مشير الحروب الاسلامية بايدي الامر يعلم علماً ليس بالظن ان المسلمين لم يحاربوا الا من اراد صدمهم عن سبيل الله لمحاربهم وانقامه فمن ذلك ان

اول الغزوات كانت مع قريش فتركها وتترك سائر غزواتهم كذلك لما هو معروف من امر قريش وايضا لما النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واخراجهم من ديارهم . ونذكر من بعد ذلك غزوة بني قينقاع من يهود المدينة . فقد حاربهم المسلمون لنقضهم العهد بعد غزوة بدر الكبرى . وعتكهم حرمة سيده من نساء الانصار ثم غزوة بني غطفان ولم يخرج المسلمون لقتالهم الا بعد ان علموا ان بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا بولاية دعشور الحارثي للاغارة على المدينة ثم سرية عاصم بن ثابت الانصاري وكانوا مع رهط عضل والقارة الذين خانهم ودلوا عليهم هذا لاقوم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبدالله بن انيس . ثم سرية المنذر بن عمرو وم سبعون رجلاً بسمون القراء اخذهم طامر بن مالك ملاعب الاسنة نظمهم في هداية قومه وايمانهم فلم يرح قومه جواره وقتلوا القراء ثم غزوة بني الضير من يهود المدينة وذلك لنقضهم العهد والقائهم صفحة على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه لما كان في ديارهم . ثم غزوة دومة الجندل ولم يخرج المسلمون لقتالهم الا لما علموا ان في ذلك المكان اعراباً يقطعون الطريق على المارة ويريدون الاغارة على المدينة . ثم غزوة بني المصطلق وهو لاء ممن ساعدوا المشركين في احد ولم يكتفوا بذلك بل ارادوا جمع الجروع للاغارة على المدينة . ثم غزوة الخندق وكانت مع الاحزاب الذين حاصروا المدينة . ثم غزوة بني تربيطة من يهود المدينة لنقضهم العهد واجتماعهم مع الاحزاب ثم غزوة بني لحيان لقتلهم عاصم بن ثابت واخوانه الذين حزن عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم غزوة الغابة لاغارة عينة بن حصن في اربعين راكبا على لقاح للنبي صلى الله عليه وسلم كانت ترعى الغابة . ثم سرية محمد بن مسلمة الى القصة (موضع) لما بلغ المسلمين ان بذلك الموضع ناس يريدون الاغارة على نعم المسلمين التي ترعى بالهيفاء (موضع) ثم سرية زيد بن حارثة لما كسب بني سليم الذين كانوا من الاحزاب يوم الخندق . ثم سرية زيد كذلك للاغارة على بني ثعلبة الذين قتلوا اصحاب محمد بن مسلمة . ثم سرية زيد كذلك للاغارة على بني فزارة الذين تعرضوا له . ثم سرية عمر بن الخطاب لما بلغ المسلمين من ان جماعة من هوازن يظهرون العداوة للمسلمين . ثم سرية بشير بن سعد لما بلغهم من ان عينة بن حصن واحد جماعة من غطفان مقيمين بقرب خيبر للاغارة على المدينة . ثم سرية غالب الذي يقتص من بني مرة بفدك لانهم اصابوا سرية بشير بن سعد . ثم غزوة موته وكانت لتعرض شرحبيل بن عمرو النخعي للحرث بن عمير الازدي . رسول النبي صلى الله عليه وسلم الى امير بصري يجعل كتاباً وقتله اياه ولم يقتل رسول

للنبي صلى الله عليه وسلم غيره حتى وجد على ذلك وجدا شديدا . ثم سرية عمرو بن العاص لما بلغهم من ان جماعة من قضاة يتجمعون في ديارهم وراء وادي القرى للاغارة على المدينة . ثم سرية علي بن ابي طالب لما بلغهم من ان بني سعد بن بكر يجمعون الجوع لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين . ثم غزوة خيبر لان اهلها كانوا اعظم عرض الاحزاب . ثم سرية عبد الله بن رواحة لما بلغهم من ان ابن رزام رئيس اليهود يسعى في تحريض العرب على قتال المسلمين . ثم سرية عمرو بن ابية الضمري لقتل ابي سفيان جزاء رسائه من يقتل النبي صلى الله عليه وسلم غدرا . ثم حرب العراق لما ارتكبه كسرى عندما ارسل اليه كتاب عرض فيه عليه الاسلام فانه مزق الكتاب وكتب الى باذان امير له ياتين يقول له بلغني ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستدبه فان تاب والا فابعث الي برأسه يكتب الي هذا الكتاب ( اي الذي بدأ فيه بنفسه فقال من محمد الخ ) وهو عبدي فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم مع فارسيين وبعث بهما يأمره ان ينصرف معها الى كسرى فقدموا اليه وقالوا له شاهنشاه بعث الى الملك باذان يأمره ان يبعث اليك من يأتي بك وقد بعثنا اليك فان ابنت هذكت واهلكت قومك وخربت بلادك فليس بعد ذلك عذر للمسلمين في امته انهم عن حرب الفرس . وخصوصا وقد كان للعرب ثارات كثيرة في ذمة الجحيم ثم غزوة تبوك لما بلغ المسلمين من ان الروم جمعت الجوع تريد غزوهم في بلادهم . وقد اعقبها فتح الشام والقسم الاعظم من دولة الروم .

هذه بعض الغزوات الاسلامية بادي الامر مردناها غير مرتبة ومنها يرى الفاري ما قصدناه من ذكرها وهو ان الحروب الاسلامية لم نتم لحل الناس على الاسلام وانما اقيمت لاسباب اخرى تجلت فيها باجلى بيان . غير ان ناسا من يحيطون من قدر الاسلام ويقعون فيه يقولون ان الاسلام لم ينتشر هذا الانتشار في مثل هذا الزمن الوجيز الا بالسيف فهو دين توحش وهجى وحجتهم في ذلك غزوات النبي صلى الله عليه وسلم والحروب الاسلامية ورأى ناس من المسلمين آيات في القرآن تحض المسلمين على قتال المشركين والكفار والمنافقين واثال هذا كقوله تعالى ( يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وما اوام جهنم وبئس المصير . وقتالوا المشركين كافة واعلموا ان الله مع المتقين . قاتلوهم يعذبهم الله يا بديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم قاتلوهم حتى لا تكون

فتنة ويكون الدين كله لله . وانتلوم حيث تفتنوم واخرجوم من حيث اخرجوكم . ) ولم يفكروا في سياق الكلام ومواضعه واسباب نزوله فظنوا ان القتال شرع في الاسلام لحمل الناس على الاعتقاد به فكان ذلك الظن اكبر جرم على ذلك الدين الحنيف الذي تنزه عن مثل هذه الخشونة وتلك القسوة وذلك ان الامور الاعتقادية لا تقبلها الناس الا بالبرهان لا بالقوة والسلطان فمن قبلها منهم مكرهاً مرغماً لا بطمئن لها قلبه واذن لا فائدة من قبوله اياها . وانما كان يمرض المسلمون لمن آذاهم بسبب الامور العنصرية المدنية او بسبب ظهورهم بدين جديد كانوا يدعون الناس اليه بالحسنى والموعظة الحسنة وليس عليهم هدى الناس وانما الله يهدي من يشاء فمن آمن بالله فله ايمانه ومن كفر فعليه كفره وليس لهم تولى احد من سلطان . هذه حال المسلمين مع من يدعونهم الى الاسلام ولكن رؤساء بعض المدعويين ضنوا برياضتهم على الزوال وابوا الا ان يصدوا المسلمين عن مبدل الله التي تسهل على مروسيهم وعبادهم الفرار من مظالمهم الى قضاء العدل والاحسان .

غير ان هذه الحروب قد افادت الامة العربية الاسلامية فوائد جمة من اجلها الغنائم التي اغتنت المهاجرين عما فقدوه بالهجرة والانصار عما ذهب في اكرامهم اخوانهم المهاجرين فقتل بذلك العرب عن غزو بعضهم بعضاً وعن اثاره الفتن الداخلية فلما قدروا عن الحرب هنية اثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم امتنع كثير منهم عن دفع بركة فاستباح ابو بكر رضي الله تعالى عنه قتالهم فردم الى الاسلام عنوة وراى ان يتم بعد ذلك ما اراده النبي صلى الله عليه وسلم من غزو الفرس والشام ليشغل العرب عن التفرق والمقصومات والنزاع الداخلي والرجوع الى التفرق ديناً ودنيا فانفذ جيشاً أسامة ليضرب الاعداء بالعرب فان ذلك خير من ان يضرب بعض العرب ببعض اذا لم يشغلهم بحرب غيرهم وكذلك رأى عمر رضي الله تعالى عنه من بعده فدوخ بجيوشه وابطالم خاله والنسب وابي عبيدة وعمرو الاعداء وفتح البلاد لتكون موارد خير للامة العربية وليرفع عن تلك البلاد التي فتحها الاسلام ظلم الرومان والفرس الذي بلغ اذ ذاك اشده كما كانت حاله في فتح مصر واسرها معروف وابلح له ولابي بكر حرب الروم وفتح بلادهم ما ابلح للنبي صلى الله عليه وسلم من قبلها وهي التراث التي للمسلمين عند الروم ومعلوم ان المسلمين لما فتحوا مصر وغيرها لم يحاربوا الا اهل الدولة وهم الروم وذلك لامرين اولهما اخراجهم من تلك البلاد وذلك كان خيراً للمحكومين وقد كان اهل

مصر والشام يساعدون العرب على الروم وكذلك اهل العراق على الفرس . وثانيهما انتفاع العرب بالبلدان التي فتحوها انتفاعهم في الحضارة والمعيش والعلوم وغيرها . لاجل ذلك يمكننا ان نقول ان حروبهم كانت استعمارية ويتضح ذلك باجلى وضوح في حروب من بعد عمر من الخلفاء والامراء . يظهر ذلك لمن ينظر نظراً سطحياً الى اسباب هذه الحروب وماجرته من الفتوح التي اوجبت نشر الدين وتعميمه بالمخالطة ومظاهر انفضاله والكمالات التي امتاز بها المسلمون في ايام السلف الصالح والصدر الاول وقد دون المسلمون في تلك الايام الخوالي كل دقيقة وكبيرة مما يتعلق بهذا الموضوع ولا نرى فيها امراً واحداً يدعونا الى القول بخلاف مذهبنا وهو ان الحروب كانت حروب مسلمين لا حروب اسلام وانها كانت حروب توسع في الملك واستعمار للبلدان .

### الشمس وطول الحياة

للشمس دخل كبير في اطالة العمر فقد ثبت ان الاعمار تطول في الامتداع شمسة اكثر من غيرها كما هو الحال في بعض قرى سويسرا واشتهرت مقاطعة لوكارنو على بحيرة ماجور ومقاطعة لوكارنو ومقاطعة ماجليازو على نهر تيسين في سويسرا . في البلاد الشمسة وقد تطلع الشمس في بعضها ٣٣١ يوماً في السنة ولذلك ترى اهل هذه المناطق فيها اطول الناس عمراً واختارها المترفون لقضاء فصل الشتاء وزيارتها من اعظم المساعدات على طول حبل الحياة في الشيخ وكثير في اهل مقاطعة تيسين يبلغون اثنى ستة من العمر اما ابناء التسعين والثمانين فهم من الحوادث العاذية والاستثناء بالشمس من افضل انواع الوقاية للصحة .

### تعليم الزوج

اقام احد اساتذة كلية هوفارد باميركا الحجة على من يقول ان تعليمي غير قابل للتربية فقال ان المهمة التي بذلت في سبيل تعليمه منذ اربعين سنة قد انتهت باحسن النتائج حتى جاء من الزوج اطباء واساتذة وقضاة ومحامون وطابعون وغيرهم ممن يسعون السعي الحثيث لانهاض بني جلدتهم بحيث قل فيهم عدد الاعميين الى النصف .

### اعمال المرسلين

تتمتع اعمال المرسلين من دعاة الدين المسيحي كل يوم امتداداً غريباً ولا سيما دعاة

للبورتاندية منهم فقد كانت انكلترا مبعث المرسلين بما يدره عليهم اهل الخير والفسار  
الذين من الاموال الطائلة واليوم اخذت الولايات المتحدة لنفسها في هذا السبيل  
فقرسل بيشيرها الى الهند الانكليزية خاصة فالاميركان ينفقون على ١٣٥٠ مبشر  
في الهند وحدها . وبجسب الاحصاءات الاخيرة بلغ عدد المبشرين للولايات المتحدة  
٦٥٠٠ ولانكلترا ٨٠٠٠ ولاوربا كلها ٣٠٠٠ اما الرهبان والراهبات فقد كانوا في  
اوربا على عهد فولتر ستمائة الف فقط وما ندري عددهم الآن .

#### دار الصناعة في انكلترا

ثبت ان دار الصناعة في بورثوث هي اقدم واعظم دار صناعة في العالم كلفت ٤٠٠  
مليون فرنك فقد صرف لارتفاع بنائها زهاء الف الف الف جرة وبلغ علوها ٦٠٠  
قدمه تكفي وعظم عمارة حربية لا تبلغ ثلث ارتفاعها . فيها من الآلات والآلات  
الكهربائية ما لا يوجد في غيرها كما ان فيها ١٨ الف عامل يستغنون ٤٨ ساعة في  
الاسبوع اي ٢ ساعات في النهار ويتفكرون عن العمل فتهرب كل سبت أو الاثنين .  
والعامل الذي يغيب ١٤ يوما في السنة يطرد . وقد دفع للعملة سنة ١٩٠٧ ثمانية  
عشر مليون فرنك وليس للعملة انسر او مئتين يرقبها شيء . العمل لا ملاحظ خفيف  
ياقي من حين الى آخر فمن رأى احده في عمله اعطاه جائزة ثمانية . ومع مكنة هذه  
الآلات تضطر ذراتها ان تصرف بعض عمتها حيناً وقد فاضت مرة ككثرتها ان  
تبع سلاح مئة باوجة فصرفت المعمل اربعة آلاف عامل دفعة واحدة حتى لا يعطيه  
ورتيه بدون عمل وناضبا بمحقوقه فيلزم ان انجورية الانكليزية شركة مساهمة  
فلا سبيل ان جابة عليك الا ان رضي كل انكليزي ان تقعدوا وتأخذوا مشاهيركم  
بدون عمل . ولكل فرد في هذا المعمل عمله الخاص ومديره نائب اميرال دار الصناعة  
يوزثوث وهو في ممهله كالمثلث في قصره . وتقدر انكلترا ان تستغني البدرجة الخيرية  
في هذا المعمل في ستين على ان المانيا لا تقدر على ان يجاد مثلها في اقل من ثلاث وفرنسا  
في اقل من خمس .

#### كهربائية الانسان

كل قوة في حاسة من حواس الجسم البشري فيها شيء من الكهربائية لا تدرک  
حق الادراك الا بالآتين حساسين جداً وهما الالكترسكوب والالكتروميتر وقد  
اخترع احد علماء الالمان آلة جديدة تفوق تلك الآتين بتأثيرها وتعرفها بالمجاري



الكهربائية في عمل القلب البشري خاصة وبهذه الآلة يتأتى تشخيص طبيعة مرض القلب .

### آلة الكذب

اخترع عالمان من علماء النفس احدهما الماني والثاني اميركي آلة سموها البسيكومتر الكهربائي اذا وضعت على الانسان يتبين بها كلاء المرء صدقه من كذبه . وتتركب هذه من كالفانوميتر وآلة خاصة لتفيد اختلاف الافكار والاحساس والكالفانوميتر مناط بمصباح يرتفع لمبهه وينخفض على حسب قوة المجرى الكهربائي وبقاس ارتفاع هذا اللييب بواسطة مرآة تعكس الاويرب . فاذا اريد اختبار درجة صدق الرجل توضع احدى يديه على عمود من الزنك والاخرى على عمود من النحاس فينشأ من ذلك مجرى كهربائي يختلف تأثيره باختلاف قوة الاحوال النفسية التي تحدث في الشخص المختص بهذه الآلة فاذا كان يكذب اي اذا فرط منه تناقض بين الفكر المفكر فيه وبين الارادة التي تغير ذلك الفكر يقوى المجرى ويدر ارتفاع الفاييب على شدته .

### بندقية جديدة

لبنادق مكسب الجديدة خاصة نافعة وهي انه يكاد لا يسمع لها صوت عند اطلاقها ومما سمع فلا يسمع الى مسافة اكثر من ١٥٠ قدماً وقد اظهرت التجارب ان هذا الاختراع يعدل في حالة الحركات المسكوبة اكثر من البارود بلا دخان فيصعب به معرفة مواقع نزول الاعداء كما انه يخدع قطاع الطريق والصوص فيتمكن القاتل بهذه البندقية التي يمكن ان يكون منها سدس ان يطلق النار في شارع ولا يحس به رجال الشرطة على ان الصياد ينفع من هذه البندقية اذ انه يقتل برصاصة قميصة واحدة بدون ان يفرغ اخواتها فتفر . وبهذا صبح ان نقول ان فن اطلاق الرصاص آخذ بالانقلاب وهذا الانقلاب له عوائق وله منافع ويصعب في الدنيا ايجاد خير محض .

### عمرات كريت

نشرت مجلة العالم الاسلامي الباريزية مقالة في هذا المعنى قالت فيها ما تعريه : يبلغ سكان جزيرة كريت ٣٠٣٥٤٣ ساكناً منهم ٣٣٤٩٦ من المسلمين وكان من نتائج ثورة سنة ١٨٩٦ — ٩٧ ان هاجر المسلمون زرافات من الجزيرة فنضرت كريت من حيث الامور الاقتصادية كثيراً فقد كانت عدد المسلمين فيها بحسب احصاء سنة ١٨٨١ — ٧٣٣٣٤ فنزل عددهم بحسب الاحصاء الاخير الى ٣٣٤٩٦ ولا يزال

المسلمون يهاجرون منها ومعظمهم من الزواج اذا غادروا الجزيرة يبيعون املاكهم او يخطون عن اراضيهم تاركينها يورث حاملين معهم رؤوس اموالهم وقد بلغ ما اباعه المسلمون من المسيحيين من الاملاك منذ سنة ١٨٩٨ الى ١٩٠٢ - ٩٤٤٢٦٤٣٦ فونكاً على حين بلغت الدرام التي اقترضاها المسيحيون لابتياح هذه الاراضي زهاء ستة عشر مليون فرنك . وكان تزول الجيش العثماني والاسطول العثماني ايام ارتفاع علم الحلال عليها يوسع على الجزيرة فينتفخ فيها نحو ٩٥ الف ليرة عثمانية مسانحة فتتغير حكومتها اخر بيجارتها كثيراً وكان مداخيل الجزيرة قبل الاستقلال تصروف فيها على حكم العهد العثماني وربما صرفت فيها مداخيل غيرها من الولايات ايضاً ثم انت الجزيرة لم تبيع تدفع ما عليها للديون العمومية وشركات الفنايات في المنفعة العثمانية . وترسى المسيحيين الكريتيين ناقلين من الحكم الاستقلالي لانه اضربهم اضراراً امانية واقتصادية والمسلمين ناقلين لما يلحقهم من الاضطهاد في عهد الحكم الحالي ومنذ اصبحت الجزيرة مستقلة لم ترتق خطوة الى الامام حتى ان حظ ولاية بميدة من ولايات الاناضول العثمانية ارقى من حظ كريت من حيث الزراعة والصناعة والتجارة والادارة .

#### الهند الشرقية الهولندية

يقدر عدد المسلمين في جزائر جاوه بـ ٢٧٠٧٨١٠٦٧١ وفي صومطرا بـ ٣٥٧٥٤٠٠٠ وفي بورنيو بـ ٩٨٥٤٤٠ وفي سيليب بـ ١٠١٤٠٠٠٠ وفي بانكا واعمالها بـ ٨٦٥٤٠ وفي ريواعمالها بـ ٩٣٤٣٤٠ وفي بيلينسون بـ ٤٢٠٠٠ وفي اصهان واعمالها بـ ٧١٢٠٤ وفي ترنات وغانة الجديدة واعمالها بـ ١٠٨٣٤٠ وفي نيور واعمالها بـ ٣٤٦٥٠ وفي بالي وكومبوك بـ ٣٦٨٤١٨ منهم كلهم ٣٣٩٣١٦٠١ من الوطنيين و- ٣٣٨٦٠ من العرب و٧٥٣١ من الصينيين و٥٠٦١ من الهنود وغيرهم و٧٧٤ من الاتراك والسوريين وهكذا فقد بلغ عدد سكان جزائر الارخبيل الهندي التي يحتق عليها العلم الهولندي اربعين مليون نسمة وبلادهم كنز ثمين لاهل بلاد القاء ( هولاندة ) وسيكون مستقبلها زاهراً عندما يتم تنظيم شؤونها فتأمل كيف يستولي عدد قليل متعلم كالامة الهولندية على عدد كبير مشوحش كسكان جزائر ذلك الارخبيل .

## مطبوعات ومخطوطات

## الاجوبة المرضية

تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي طبع بمطبعة روضة الشام بدمشق ص ٣٧  
 هذه الرسالة وضعها المؤلف جواباً عما اورده كل الدين ابن الهاء علي المستدين  
 بشيوت سنة المغرب القبلية ولما بهض المعامرين يتكرونها علي بعضهم اذا نشاوا بهض  
 المتقدمين علي عصرهم علي حين ان ذلك مألوف معهود منذ القديم فقد ناظر — كما قل  
 مؤلفنا المتوفى بقدره — الامام الشافعي الامام محمد بن الحسن وحاور الكوفي بشر  
 المرسى وغيرهم وحاور البيهقي الطحاوي وابن حزم الاشاعرة وغيرهم والناصري امام المؤمنين  
 والطبري الطائفي والثوري الرافعي والاسنوي الثوري وشس الائمة الكردي انزي  
 وابن عبد الهادي السبكي وابن حجر العسقي والسيد السعد وآخرون وازادي الجوهري  
 وابن الاثير الصافي وابن عباد وابن ابوالخديج ابن الاثير وابو حنيفة ابن مالك والمازني  
 ابن عبد السلام ابن الهلاج واهل الجبل يري ونقل الله الرعي ابن مالك والباربر  
 ابن المنير الزمخشري وزين الرب الشاذلي والديوطي السخاري وان الجوزي  
 والمؤلفات في هذا الموضوع لا تحصى

## اسباب الانقلاب العثماني

مؤلفه محمد روجي بك الخالدي ومصححه السيد حسين وصفي رضا طبع بمطبعة  
 المنار في القاهرة سنة ١٣٢٦ ص ١٨٢  
 مؤلف هذا الكتاب من افاضل سورية عاني صناعة التلم والدياسة ورسالته هذه  
 تدل علي علو كعبه في تاريخ النولة الاخير وحين مراقبه للثركة الاحلامية التي قلم  
 بها احرار العثمانيين ووصفها اوجز وصف يرسخ في الاذنان  
 تحفة الانام

للشيخ عبد الباسط الفانوري طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت ص ٢٨٦  
 هو مختصر في تاريخ الاسلام فيه مقدمة في اصل العرب واحوالها قبل الاسلام وبعده  
 وسير اخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين والملوك العثمانيين وغيرهم بملء مختصرة

وكلام المؤلف في الغلب بالملوك المتأخرين من بني عثمان يرفع الثقة من كلامه كله  
فسمى ان يرفع الطابع تلك المباحثات من آخر التاريخ في طبعة ثانية  
اعينم تذكر للعثمانيين الاحرار او الحرية والمساواة والمبعوثان

لمؤلفه الشيخ عبد الله العلي

طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٦ من ١٩٠

كتاب وضعه مؤلفه لما رأى كثيراً من العامة يسأون عن مجلس النواب  
«المبعوثان» الشوري هل هو شرعي ام لا وعن الحرية هل هي موافقة للشرع الشريف  
ولتزيين من قال بان الاسلام وجد وبجانبه سلطة مطلقة مستدلاً على كل نوع منها  
بآيات كثيرة من الكتاب . وما جاء فيه — وهو مما نقله نموذجاً على اسلوبه — في  
باب المساواة وبين المسلم واليهودي والنصراني في انهم بشروا من التمسك من كل  
منهم بالارومات غلط جاء في الكتاب الكريم خطاباً للعرب ( ليس بامانيكم ولا امانتي  
اهل الكتاب ) الموسويين والمسيحيين انما ( من يعمل ) من الطوائف الثلاث ( سوءاً )  
يحجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ومن يعمل من الصالحات من ذكر او  
انثى ( من الطوائف الثلاث وهو مؤمن بالله ورسوله ) فاولئك يدخلون الجنة ولا  
يظلمون فيها ) واورد آيات كثيرة استنبط منها اموراً من هذا القبيل . وقال في  
حرية المساواة بين المسلم واليهودي والنصراني في الحكم عليه اوله بالحكم الشرعي :  
المساواة في الاحكام الشرعية المحكوم بها على الناس على اختلاف عناصرها هي  
شرعية الله تعالى في كتابه وهي منتهى في خلقه جاء في سورة النساء انا انزلنا اليك  
الكتاب بالحق لنحكم بين الناس ) جميعاً المسلم وغيره ( بما اراك الله ولا تكن للخائنين  
الخائفين لك ( خصياً ) بل انهج منهج المساواة في الحكم الشرعي بالصدق والعدل .  
وهكذا الم المؤلف بانواع الحرية والمساواة والادري على اسلوب عصري لا يستند  
فيه الا الى الكتاب واستنتاجه من الآيات الكريمة دل على بعد غوره وحسن الامعان  
بمعانيها وتطبيقها على حالة الزمن فتنبى على المؤلف لفضله وغيره ونحث كل من يخامرهم  
الشك في الحكم الدستوري ومخالفته لروح الاسلام ان يفتنوا كتابه ويصفوه  
ويصفوا الشريعة المدنية والشريعة الدينية

# المقبر

أيار ربيع الأول سنة ١٣٢٧

## وداع وعتاب

للسلطان السابق عبد الحميد

الله أكبر فالظلام قد علموا  
لقد هوى اليوم صرح الظلم وانقضت  
وحصص الحق في عز وفي ظفر  
ثارت له عصبته كانت مشردة  
من كل اروع في حيزومه حنق  
عبد الحميد استمع منهم مناقشة  
غادرت امتك المنكود طالما  
اطلقت فيها سيوف النادرين وقد  
الله الله يا راعي القطيع فقد  
حملتنا ما تنوء الراسيات به  
فكم شكونا ولم نسمع شكائنا

لاي منقلب يفضي الالى ضلوا  
اركانه وتولت امله القدم  
يحفه خادماه السيف والقلع  
وقد تهددها الارهاق والعدم  
في نفسه عزة سيفه انه شم  
فظالما صبروا بل طالما كفتموا  
تفض مقلتها ان عدت الامة  
كانت بحبك بعد الله تعصم  
لاقت مصارعها في رعبك النعم  
كيف الصنيع وانت الخصم والحكم  
وكم دعونا وحظ الدعوة الصمد

ولي نعمتا قل لي اما يطلت  
فلو رقت امير المؤمنين بنا  
محافظ الحرمين اعدل فهل انت  
ام حج حجاج بيت الله في دعة  
وليته فاسقا<sup>١</sup> لم يرع حرمة من  
كم استجاروا عليه فازدريت هم  
رب الملال اجب هل كنت تحبه  
ماذا فعلت باحرار البلاد وما  
حتى قسمهم شطرين فازدحت  
مزقت شملهم في كل ناحية  
ويا سلالة عثم اما اتصلت  
اين المطاريف ارباب العزائم من  
شادوا لك العزة القساء من قدم  
كانت لم دولة بالسيف ناعضة  
حصدت مازرعوا فرقت ما جموا  
ملكتنا فرأينا منك طاغية  
يبرون عندك اوفرعون قد غفرت  
حجاج عصرك بل تولى المقاسيلا  
قد اخترعت ضروبا للفظالم والتكيل  
خليفة الله قد خالفت ما امرت  
به الشريعة والتزيل والكلم

وسيرة الخلفاء الراشدين بها  
 ركب مركب جوز ليس يقبله  
 دمرت بيتك يا هذا فانت اذن  
 حشدت زمره فغارين كم سلكوا  
 المخلصون تولوا منك وانهمزوا  
 ا مرفت في نهب بيت المال فاستابت  
 عصاة ثقلت في الناس وطأنهم  
 اخترتهم واختار المرء شاهده  
 خانوك لما رآوا منك الحياة في  
 حبست آلتك حتى بنفسهم هلكوا  
 حاولت اطفاء نور الحق وهو لا ي  
 طال الزمن على جور تعالجه  
 ضيقت دارتهم في الارض فانسمت  
 قد جمع الظلم منهم كل مفترق  
 وكما نام عنهم رهطك انبثوا  
 وعند ما اكتملت الموثب عدتهم  
 سلوا عليك سيوف العدل مرهفة  
 شقوا بها في جلايب الدجى شققاً  
 وطالبوك بحق كنت هاضمه  
 فادوا بارواحهم حباً بامتهم  
 قد كان ما كان والرحمان ناصرنا  
 خير الموعظ لا للسلام لو فهموا  
 بمن يخلفه في قومه الصنم  
 عدو نفسك لو قد مسك الهم  
 واستنزفوا ثم لا قيدوا ولا غرموا  
 والخائفون على ابوابك ازدحموا  
 منه الجواسيس ماشوا وما غتموا  
 صموا عن الحق في اغراضهم وعموا  
 ياليتهم رفقوا بالخلق او رحموا  
 بينك والمرء موصوم كما يسم  
 كأنما لم تكن قريبي ولا رحم  
 نشور افواهه ان سد منه قم  
 وعيل صبر الوري واستخوذ السقم  
 والمرء مستبسل ان عضه الالم  
 وشد ما استتروا في الامر واكتتموا  
 يدبرون وان لاحظتهم جحشوا  
 توكلوا واستفخروا بالذي عزموا  
 كأنها شهب في الافق او رجم  
 بشت له الارض وانجابت به الظلم  
 وحاكموك الى البتار واختصموا  
 فلتعي تلك السجايا النر والشم  
 فالعدل متعصر والجور منهزم

دبرت فتنه سوء تستعيد بها      من مجدك الباطل الفرار ما هدموا  
 مجد كبير طوته ظلمة كثفت      ثم انجأت فاذا ما تحتها ورم  
 كروا بعزيمة حر جاء متصراً      لنفسه واستباحوا منك ما احترموا  
 فانزلك عن العرش الرفيع وما      كانوا يريدونها لكنهم رغبوا  
 تأتي الشريعة ان تبيك حافظها      وانت بالفدر والاغواء متهم  
 فاليوم تعلم عقي من يخون ومن      يطنى وتدم اذ لا ينفع الندم  
 هبطت من قمة الابدان منحدراً      كهخرة حطها من شاق عرم  
 ففي هبوطك عاد الملك مرتفعاً      وفي هلاكك كل الخلق قد سلوا  
 كانت باقبالك الاقدار عتبة      فاصبحت بعد ما ادبرت تبسم

دمشق : ف



## السلطان عبد الحميد امة خارج

فلما جاء في الملوك من ترضيك اخلاقه واعماله لضعف التربية الدينية  
 والمدنية ولان الملك يسكر فيقتضي له عقل كبير يحسن به صاحبه التصرف  
 ويراعي فيه حقوق الخالق والخلائق . ولذا ندر في ملوك بني عثمان والملك  
 متسلسل فيهم منذ زهاء سنة قرون من تأهل بالفعل للجلوس على عرش  
 السلطنة فقد رأيتهم وفيهم الاخرق والاحق والمتك والمسرف على نفسه  
 والسفاك ولكن لم يأت فيهم على التحقيق مثل السلطان الخامس والثلاثين  
 عبد الحميد الثاني

قول فيهم وما خلقنا ان تقول في غيرهم من ملوك الاسلام بل وفي الامم



الآخرى فقد تدبرنا تراجم الوف من الملوك والعلماء ولم نشهد لعبد الحميد مثيلاً في أخلاقه وأعماله . بلى رأينا يشبه الناصر لدين الله العباسي تجسسه وحرصه والحاكم بامر الله الفاطمي بهذيانه وتلونه والحجاج بن يوسف التقي ببطشه وسفكه والسلطان ابراهيم العثماني بسفاهته واسرافه . ومن جمع في شخصه هذه الصفات مجسمة كان جديراً بأن يدعى طاغية الملوك والسلطانين .

تولى عبد الحميد زمام السلطنة وكيلاً عن اخيه مراد الخامس لمرض طراً على عقله وكتب على نفسه عهداً دفعه لمدحت باشا ناشر اعلام الحرية في المملكة العثمانية ثم ارسل على ما يقال من احرق دار مدحت باشا وحرق العهد في جملة ما حرق واخذ يستجلب قلوب اكثر اهالي الاستانة مدة وكانته حتى اجتمع الصدر محمد رشدي باشا ومدحت باشا فقررا دعوة رجال الدولة الى الباب العالي لانظر في توسيد السلطنة الى عبد الحميد اصالة فاجتمع نحو الف شخص من الكبراء وقرروا ان جنون السلطان مراد مطبق لا يرجى ان يفيق منه فافتى شيخ الاسلام بجل امامته وببيع لعبد الحميد الذي اظهر اولاً بأنه يميل الى الحكم الدستوري ومنع القانون الاساسي ثم سلبه واقفل بحاس الامة واتعب مدحت باشا في مهانة اخلاقه وكان اول عهد نكثه معه انه اخذ على نفسه ان يعين لرئاسة كتاب الماين نامق كمال بك الكاتب الشاعر الشهير وضيا بك رئيس المايينة فعين غيرهما ثم اخذ يدس الدسائس ونفى مدحت باشا ثم ارسل به الى الطائف فمجن في حبسها مدة ثم امر بمخنقه .

واخذ السلطان يكثر من التضييق على اخيه السلطان مراد وعلى سائر افراد الأسرة السلطانية ولا سيما ولي عهد السلطنة السلطان الجديد محمد خان الخامس الحالي ويشرد كل من عرف بالانكار عليه من الوزراء والعظماء

فالتي بذلك الرغبة في تهوّن قواد المملكة ورجال سياستها فامجروا يسبيرون على رغباته وكل من خالفها ولو في سره اقتصاء وسجنه وعذبه وكلما مضت سنة على ملكه يزداد مرافاً على هذه القبال ويبالغ في الاحتياط لنفسه وغداً يتولى كل امر بقلته ويعد ارباب الوجدان من رجال الدولة ويستفيض عنهم باناس من يصطنعهم وما يصطنع الا الاسافل من كل جنس من اجناس الدولة لعلهم بانهم يفادون بكل مبدؤ في سبيل نصرته على الباطل حتى آلت ازمة الدولة في العهد الاخير الى ابدية السفلة من اعوانه الجبناء الطفلة الا قليلاً.

واذ كان مفطوراً على الطمع ونحسب ان المال يعمل كل شيء اخذ يملك الاملاك باسمه على خلاف عادة الملوك والسلطين فكان كلما سمع بان في اقليم كذا اراضي من املاك الدولة يحتال لاخذها بلان ان كانت من الاملاك الاميرية او ثمن طغيان كانت فلافراد ثم الف الشركة الخيرية لتسيير السفن في موافق الاستنثة وشركة اخرى لحسابه بين البصرة وبنداد وفتح في العاصمة مخازن لبيع البضائع ومعامل لصنع السجاد وغيره وضارب بالاوراق المالية وهكذا اصبح عبد الحميد تاجراً مزارعاً مضارباً لا يهتم بشيء من امر الملك الا اذا كان تهريباً من جواسيسه الذين كثروا في العاصمة والولايات كثرة ضاقت بها خزينة الامة وكلهم امناء وان اخطأوا فلهم الاجر وان احسنوا فحدث ملئت ان تحدث عما ينال عليهم من انعامه واحسانه . حتى لقد قل جداً في عمله من لم تجسس له لاسيما بعد ان رأى الناس ان الترقى في الوظائف لا يتأتى في الاغلب الا من طريق الجاسوسية وهذا استنزل غضب عقلاء الامة واحرارها وكان كلما بالغ في الضبط

عليهم واشتد في ارهاقهم واعنائهم بنحو عددهم بنحو الميل الى التعلم . فكانت مدارس الدولة ولاسيما العالية منها على شدة المراقبة عليها شدة لا ينصور العقل اكثر منها وعلى اصدار ارادته تنرى لجمال المعارف صورية لاحقيقة - منبعت تلك الشعلة التي قضت على استبداده الذي لم يكده يعهد له مثيل في تاريخ الامم فزحزح المتخرجون فيها اسس الحكومة المطلقة المدمرة واقاموا مكانها على التقوى اسس الحكومة المقيدة المعرة

عرف عبد الحميد ان بالمدارس والمطبوعات تستنير العقول فيقول  
الراضون عن حكمه فانشأ يضيق الخناق على المدارس حتى حفر ان يعلم  
فيها التاريخ وعلوم السياسة والاجتماع لانها ترقى العقل وتلغ الاذهان  
وتدعو الامة الى سبل الرقي والامان

ورأت المطبوعات منه ومن اعوانه الجهلاء خصوصاً يكنى في نعمتهم انهم اعداء  
كل فكر وارثاء وتجديد حتى اصبح ما يطبع تحت السماء العثمانية في الثلاثين  
الاخيرين من حكمه عبارة عن كتب خرافات وزهد وتلفيق او اماريح  
كاذبة له ولا رباب المظاهر او اموراً عادية لا ترقى عقلاً ولا تزيل جهلاً .

ووصلت المراقبة على المطبوعات في ايامه الى درجة من الهزل لم تصل اليها  
في امة مغلوقة على امرها فرقت من المعاجم كثير من الالفاظ كالعدل  
والمساواة والقانون الاساسي والجمهورية ومجلس النواب والخطبة والديناميت  
والقنابل واصبحت الجرائد ابواقاً تضرب بتقديسه وتاليه والعياذ بالله او  
تكتب في التافه من الاخبار والافكار . جرى كل هذا بريا به ورضاه  
لا كما يزعم بعض من يريدون ان يتجملوا له الاعذار الباردة من انها  
كانت من عماله ووزرائه وهو لا علم له بما يأتون .

كثرت في الايام الحميدية انواع المواقف كطال عهده يشند في اعنات من يخالف له فكراً او يعرض له في الاصلاح امراً حتى صار بعض العتلاء من عماله يتظاهرون بالبله او يتقطعون عن الخدمة لان سلطانهم لا يرضيه الا ان يكونوا على قدمه في الظلم وار تكلم المنكرات . ولقد نصح له بعض سفراء الدول منذ بضع سنين ان يكف عن شروء بعض العمال لان استرسالهم فيما يما يسقط شأن المملكة ويضر بمستقبلها فقال لهم وماذا اعمل مع من ذكرتم وهم يحبونني ويتفانون في خدمتي ابي انهم في حل من عمل ما ارادوا من السلف في لامة ماداموا يظهرون له الحب ويخدمون اغراضه

اشتهر عبد الحميد بالتحقق الشديد والحرص الاكيد والحدة المتناهية والاحتياط الذي ينطلي على ضحاف القول فيقولون انه الدهاء والحكمة . وكانت هذه الاخلاق بادية عليه قبل ان يولي امر الامة حتى قال نابوليون الثالث فيه يوم رآه مع عمه السلطان عبد العزيز في باريز ان هذا الفتى سيبي منه داهية باقمة فاهو الا ان قبض الله له المجلس على سرير آل عثمان حتى صحت فراسة نابوليون فيه بل يتر في هذا الضمار

كان السلطان عبد الحميد يحب انهم ادا اكثر من عبد الحميد لان هذا كان يدعو عليه الحب منذ الصغر ولما ترعرع شرع بتجسس لعمه السلطان عبد العزيز على اخوته وآل بيته لينال منه الاحسان ويغلوف في كشف مورات اخيه مراد خاصة وكانت تقاريره للسلطان عبد العزيز متصلة كتقارير جواسيسه في عهد سلطنته ولطالما كدره السلطان عبد العزيز على تشاغله بالسفاسف ويكني في بيان الفرق بين اخلاق الساطات مراد واخلاق السلطان عبد الحميد ان الاول كان يني في صباه بالشعر والموسيقى ودرس

مدينة اوربا وتاريخها على حين كان اخوه لاهم له الادرس السحر والطاسيات وضرب المنديل واخذ الفأل ويتقرب لذلك من المشايخ والبله والدجائين مضى ثلث قرن على الامة العثمانية وهي تفتى في سلطانها فناء جنون لافناء عقل وكنت اذا خلوت حتى بخاصته وصنائمه يتحدثونك من تلاعبه واخلاقه ما تسأل الله معه السلامة وتسجل على فساد اخلاقنا أكثر من فساد احكامنا واعمالنا وكل منهم يورد لك من اسباب اضطراره الى الصبر على هذه الخدمة ما هو العجب العجيب

فبالامراف في مال الامة استمال عبد الحميد قلوب الاغنياء من تزيوا يري العلماء  
وهم جاهلون فكانوا يكذبون على الله والناس وذكرون لهم من صفات سلطانهم ما هو الزور البحت واذا فتح المنصفون افواههم بانقداسكتهم وحرموا انكار النكر عليهم وبالجناسيس اطاع على الدقيق والجليل من نيات الامة وما كانت يهتم الا للامور الصغيرة ولا سيما ما كان منها متعلقاً بشخصه امامه ان  
البلاد وترقية معارفها وصناعاتها وزراعتها وتجارتها فلم يكن لما قيد في سجل  
اعماله .

وكفى في عدم احتفاله بامور الرعية واصلاح البلاد انه انسلخت عن جسم الدولة في ايامه المشؤومة بلغاريا والروم ايلي الشرقية ودوبروجة في رومانيا والجبل الاسود والبوسنة والهرسك وانضمت بعض الاولية للصرب واليونان تساليا وايروفرانا ولفرنسا تونس ولروسيا القوقاس وباطوم واردهان وقارص ونال الجبل الاسود استقلاله وانفصلت قبرص وكريت او كادتا واحتل الانكليز مصر وهكذا انفصل من جسم الدولة نحو ثلثها بمدد النفوس والعمران

ماتاً تسد عنها الامن سينات العود الحميدي وتزع سلطة الحكم من الباب العالي وكانت من قبل فيه على شيء من العقل والقانون وانتقالها الى الملايين يبت بمصالح الامم المتحصين والجواري والجواسيس والدجالون والمرشون والمتاحون والطبعون بطابع السياسة الحميدية .

قد كانت الوظيفة تقوى الرتب والوسمة ومظاهر التكريم تباع بالزاد كما يباع القار والدار ويتنمى في الاغلب من لا يهتمهم الا حظوظ انفسهم واملاء جويهم ويطونهم حتى هلكت البلاد ليقتني عبد الحميد والمنفنون لرغائبه واقتصر الفلاح والصانع وهما مادة حياة الوطن واغتنت تلك الطائفة الفاسدة من الموظفين الذين سماهم غلادستون كبير وزراء انكارترا جماعة من الاصوص تألفوا في صورة حكرمة .

ولكم كان عمال عبد الحميد سبياً في اوراق دماء الارباء وتزع روح الحياة الوطنية من الناس وما تنس لانفس سياسة الملايين في المذابح الارمنية والحروب النجانية والكربية وغيرها من الوقائع الاهلية التي بها السلطان الشقاق بين ابناء هذا البيت الواحد وفرق مجتمع القلوب عملاً بالقاعدة الباردة « فرق تسد » ولوعقل الجري على قاعدة « اعدل تسد » .

نعم كانت المدارس تمنع تلك القوة التي قضت على السلطة الحميدية بل على السلطة الاستبدادية في السلطنة العثمانية . وناشئة الامم الذين كان يحترقهم السلطان الخلع ونفوسهم بالمال ويطعمهم بالراتب والرواتب هم الذين دبوا بسلاطين العقل اسباب الانقلاب الاخير في المملكة وغلبوا سلطان الجهل فكان يوم ١٠ تموز الماضي مبدأ سعادة العثمانيين وتاج الايام وغرة الشهور والاعوام .

كان الصدر محمود نديم باشا يقول للسلطان عبد العزيزات بعض الوزراء يخوفونك بالامة وما الامة الا كن- تراهم يمشون هناك (واشار الى جماعة من فلاحى الاناضول) ومثلهم لا يميز ولا يعقل فاصنع ما بذاك فانتهي الامر بخلع ذاك السلطان وقتله . وكان احمد عزت باشا العابد يحقر للسلطان عبد الحميد امر الامة ويزين له البطش ويقول له ان المسلمين لا يعرفون غيرك خليفة وسلطاناً ورأياً صديقاً فاحكم فيهم بحكمك فهم عبيدك لا ينازعك في التصرف فيهم منازع الاحرار افراد طائشون . صم اذتك عن سماع خيالاتهم ودعهم يعوون ولا يضر عواء الكلاب بالسحاب . اما حكومات اوربا فامر هالى التفائل ان اتحدث كلمتين لاقبل ان ابدفها وما دمن متخاذلات فتمن في مأمن . وهكذا جرى السلطان الخلع في دوره الاخير على هذه السياسة الخرفاء فكانت سبباً في نزع السلطة الاستبدادية من يده يوم ١٠ تموز الماضي وانزاله عن العرش يوم ١٤ نيسان

بش الناس من الخلاص من جور هذا السلطان الابجته ولكن تلك النفوس الكبيرة من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي التي احتك مع ثام اعضاء بالاوربيين وبلادهم قطعة من اوربا ابت ان تضع ملك بني عثمان بالاهمال والتواكل فاضطرت عبد الحميد الى اعلان القانون الاساسي في الصيف الماضي مرغماً ولما لم تلج نفسه لما جرى وانتشأت تحدته باعادة البور السالف لتكون الاحكام طوع امره ونهيه وهو الحاكم المتحكم في الاموال والاعراض والارواح يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل اخذ يوقد نيران الفتنة بين الامة يقول لها ولا جانب انت العثمانيين لا يليق لحكمهم الا الحكم الاستبدادي ثم احتال للتفريق بين عناصر الدولة اولاً واغواء بعض الخوذة من رجاله

بالمال ليثروا دعوته فتألفت جمعيات عناصر بعد اعلان الحرية ولكل منها  
 تزعمة خاصة . يريد الارمن توسيع الاختصاص « المأذونية » او الاستقلال  
 النوعي بعبارة اخرى والعرب ينادون بان الترك غمطوهم حقوقهم وهم يريدون  
 ان يشاطروهم الوظائف او ينفصلون عن الدولة وبعض الارمن يودعون  
 الى مثل دعوة الارمن . ولما رأى السلطان ان الامة انتهت لهذه الترهات  
 وقام العقلاء بحاربونها شرع يسلك سبيلاً آخر ويحرك عامة المسلمين باسم  
 الدين بواسطة جمعية الفها في الاستانة دعت نفسها بالجمعية المحمدية تنال  
 بالشريعة الاسلامية ولا تريد القانون الاساسي لانه يزعمها مخالف  
 للاسلام ومن قواعده الحرية والحرية ليست من شأن الدين المحمدي .  
 وهكذا الفت لهذه الجمعية فروع في الولايات تبيع العامة باسم الدين وتربطهم  
 بالسلطان وذلك على يد زعانف كان للمال الذي بذله تأثير عظيم في  
 نفوسهم ونفوس النواغا .

كاد عبد الحميد لامته بتدبير الفتنة المحمدية بل بالفتنة العسكرية  
 فقصت جنود الاستانة اقليلاً بما بذله لهم من الذهب الوهاج ولم ير اعوانه  
 الذين اثاروا الجند واسطة لاصاعة رويتهم احسن من اسكارهم فاسكروهم  
 ليلة الفتنة وفرقوا عليهم الذهب الكثير الذي جمعه من دماء الفقير ليقوموا  
 بالمطالبة باعادة الشرع المحمدي او يوقدون نيران مذبحه عامة يقتل فيها الحرار  
 الامة اولاً ثم الاقرب فالاقرب من رجال الاصلاح والتجديد ولو وفق  
 عبد الحميد لاستعادة سلطته الاستبدادية وقت له مكيدته الشيطانية لما  
 هلك في هذه الفتنة الاهاية في انحاء السلطنة اقل من مليوني رجل كما  
 وقع في ثورة فرنسا الاولى



ولكن الله اراد لهذه الامة الخير وقبض لها من رجال الدستور المتفانين سيف الاحتفاظ به من كان اخلاصهم الداعي الأكبر في نجاحهم فقامت بعض ولايات الروم ابلي على ساق وقدم تطلب التطوع في الجندية للدفاع عن الدستور وهب جند القياق الثاني والثالث ابي ادرنة وسلايك - ومنهما انبعثت جذوة الحرية اول مرة - وزحفوا في جموع المنطوعة على الاستانة بقيادة البطل المغوار محمود شوكت باشا الفاروقي البغدادي فاستولوا على المواقع الحربية في العاصمة في اسبوع وقبضوا على المنتقضين والمصاة من الجند المشاغب وخلصوا السلطان عبد الحميد مدير تلك المكاييد بفتوى من شيخ الاسلام اثبت عليه فيها قتل الانفس البريئة ومخالفة الشرع وحرق كتب الاسلام والاسراف في مال الامة وبايعوا باتفاق مجلس النواب والاعيان لولي عهده السلطان محمد الخامس وساقوا ذلك الذي عبث بمصلحة الثمانين الى قصر الاتيني في ضاحية سلايك ليحري عليه ما جرى على كل سلطان مخلوع خان امته ودولته بدون ان يحقوا به اهانة . فحق للدولة والامة ان تدعو بدوام نصر الجيش العثماني المظفر لانه كان سبب حياتنا اليوم ولعللنا كان هذا الجيش سبب رفع هذه الدولة العلية كما كان في بعض الادوار بسبب خفضها

اعلن جيش الدستور الاحكام العرفية اي عطلت القوانين الموضوعية وجعلت العاصمة تحت الاحكام العسكرية وبنما يستتب الامر لجيش الفاتح محمود شوكت باشا ويفتك بن اضاعوا دينهم ودينام بمالاة السلطان المخلوع على رغائبه فشنق كثيرون ممن كان لم ضلع في تشويش نظام الامة واهاجة الدامة باسم الشريعة وحكم على بعضهم بالاشغال الشاقة وعلى البعض

الآخر بالنفي وهكذا تمت القصة لكلمة الحق على الباطل وكتب البقاء للحكم  
التياني في السلطنة آخر الدهرات شاء الله

فكرنا ملياً في امر عبد الحميد و اردنا ان نضيقه في الترجمة فإراً يناله مزية  
يذكر بها ويرحم . بلى وجلفاه حسوداً يحسد حتى خصيانه واشق خبر  
يقرى اليه ان يعلم بان في احدى اطراف مملكته علماً ينفع الناس بعلمه فيجتال  
عليه ليأتي به الى الاستانة ليدفنه حياً فان لم يقدر فلا يسر عليه من  
التقول عليه وتزوير حيلة للانتقام منه والحط من كرامته . وكان اذا عز  
لا يلحق غباره غرود وفرعون واذا ذل . ذله يكون للادنياء غالباً ينسى منزلته  
ومقامه . وكان يلذه جداً ان يشهد الشقاق مستحكما بين حشيتيه ويأتي  
بينهم العداوة والبغضاء . وفي ايامه كثر اختلاف النساء الى قصره  
حاسرات متبرجات بدعوى انه خليفة وللخليفة ان ينثر الى المحارم ولا حرج  
عليه وعليهن ولهذا اخترع لمن وسام الشفقة . ولعل بعض من درسوا  
الاخلاق الحميدة عن أمم يكتبون كتاباً مفصلاً فيها ليقرا الاخلاف عن  
الاسلاف ما فعلته في ذلك المخلوع قلة التربية والعلم وفساد الفطرة والله اعلم



### في سلايك

لقد سمعوا من الوطن الايننا	فضجوا بالبكاء له حيننا
وتأثامهم لتصرته ققاموا	جميعاً للدفاع مسلمينا
وثاروا من مراضهم اسوداً	بصوت الاتحاد مزججينا
شباب كالصوارم في مضآ	يرون وكالشموس منورينا

سلايك القناه حوت ثراء هم قفقت عن الوطن لديونا  
لقد جمعوا الجموع فن نصارى ومن هود هناك ومسلينا  
فكانوا الجيش ألف من جنود مجندة ومن متطوعينا  
ترام فيه يتحدين عزما ومام فيه يتحدين ديننا  
هي الاوطان تجمل في بنينا اخاء في محبتها رصينا  
وتتركهم اولي انف كبار يرون حياة ذبي ذل جنونا  
وان الموت خير من حياة يظل للرء فيها مستكينا

\*\*\*

مشوا والواليدات مشيمات خرجن وراءهم والواليدونا  
يقطن وهن من فرح بوايك وهم من حزنهم متبسمونا  
على الباغين متصرين سيروا وعودوا للديار مظفرينا  
ولا تقوا الدين قد استبدوا وراموا كيدنا وتخونونا  
فان لم تنقذوا الاوطان منهم فليتم يا بنين لنا بنينا  
قد هاجوا على الستور شرا بدار الملك كي يستبدونا  
هم الاشرار باسم الدين قاموا فعاثوا في المواطن مفسدنا  
فاتركوا من الستور (شورى) ولا بقوا لتفتمه (طينا)

\*\*\*

وكم قد قلن من قول شجي لم فتركهنم متبيحنا  
ومذحان الوداع دنون منهم قبلنا الصوارم والجفونا  
وما انسى التي برزت وقالت وقد لغتوا لرويتها الميونا  
الا يا راحلين للحرب قوم لثام ضيموا الوطن الثميننا

خذوني للوغى معكم خذوني ممرضة للجرحاكم خنونا  
وان لم تفعلوا نخذوا ردائي به شدوا الجروح اذا دميئا

\*\*\*

ولما جد جدم استقلوا على ظهر القطار مسافرينا  
فطاروا في مراكبهم سراعاً باجنحة البخار مرفرينا  
وظل الجيش صبحاً او مساء تسير جوعه متابعينا  
فلم يصبرم الاسبوع الا وهم يربى فروق خنيمونا  
هنالك قف مرتعلاً اليهم لا بصر ما اوئل ان يكونا

\*\*\*

وباخرة علت في البحر حتى يوتر جريها في البحر إثرأ  
فتترك خلفها خطاً مديداً بوجه البحر يمكث مستبينا  
ركبت بها على اسم الله بحراً غدا بسكون لجته رهينا  
فرحنا منه ننظر في جمال يمز على الطليقات بيونا  
ومرأى البحر احسن كل شيء اذا لبست غواربه السكونا  
كأنك منه تنظر في سماء وقد طلعت كواكبها سفينا

\*\*\*

أتينا دار قسطنطين صبحاً وقد فتحت لم فتحاً مينا  
وظل الجيش جيش الله يشفي بمجد سيوفه الداء الدفينا  
فارهت انفس الطاغين حتى سقام من عدائه المنونا  
ورد الخائبين الى جزاء احلهم المقابر والسجوننا

وحطوا قصر يلدز عن سماء  
واصبح خاشع البنيان ينضي  
خلا من ساكنيه وحارسه  
هو من عبد الحميد به هوى  
ونزل عن سرير الملك خلماً  
فسيق الى سلايك احتباساً  
ولكن كيف راحة مستبد  
يرام حول مكنه سياجا  
وموت المرء خير من مقام  
له فأنحط اسفل ساقطينا  
عبوثاً عن تطاوله عمينا  
فلم ترفيه من احد قطين  
الى درك الملوك الظالمينا  
وافرد لا نديم ولا قرينا  
له كي يستريح بها مصونا  
غدا بديار احرار مجينا  
ويجزات ينم لم عبونا  
له بين الذين سقوه هونا

\*\*\*

لقد تقض اليمين وخان فيها  
وقد كانت به البلدان تشقى  
فكم اذكى بها نيران ظلم  
وكان يدير من سفه رحاها  
وقد كانت به الايام تمضي  
ولما ضاق صدر الملك يأسا  
اتى الجيش الجليل له منيلاً  
واضحى سيف قائده المفدى  
حماه من العداة فكان منه  
فذاق جزاء من تقض اليمين  
شقاء من تجبره مهينا  
وكم من اهلها قتل المئينا  
بمجبنة ولم يرها طمينا  
شهوراً والشهور مضت سنينا  
وصار يردد الوطن الايننا  
فصدق من بني الوطن الظنونا  
على الدسور محتفظاً امينا  
مكان الليث اذ يحمي العرينا

واسقط ذلك الجبل قهراً واتباه بصارمه البقينا  
فقرت اعين الدستور لنا وشاعت لوجه التمردينا  
معروف الرصافي



## الحماية في الاسلام

### الصدقات ورسم التعداد

لما كانت الحكومة متعمدة بحفظ راحة الامة وحياتها ومالها وعرضها حتى لما ان  
تأخذ من الامة اجرة خدمتها وقيلها بما تحدث به نحوها بلسم ضرائب وتكاليف اميرية  
غير ان الحكومة المطلقة حكومتها قليل ارجاع الدستور الى احكامه اعتبر الضرائب  
من حقوقها الاستعبادية وعلى ذلك يت قواعدها واستعملت اسس ضريبة كانت واذا  
ازالت ضريبة من ضرائبها ظفرت واحسرت عملها كرمها على الرعية وكانت الاراضي  
يومئذ تعد من جملة الغنائم التي تخمها السلاطين والامراء ولذلك ادعت الحكومة العثمانية  
ان جميع الاراضي ملك لبيت المال الا ما كان ملكاً صريحاً فقسمت الاراضي على  
خمسة انواع وهي اراضٍ مملوكة وارضٍ موقوفة وارضٍ اميرية وارضٍ متروكة  
واراضٍ موات .

فاما الاراضي المملوكة فهي التي تصرف بها ملكها كيفما شاء فيبيعها ويهبها ويرهنها  
ويوصي بها ويجوز لها الى بناء ودخول وكروم من غير ان يستأذن فيها احداً وتجري عليها  
احكام الشفعة وغيرها من احكام الملك وهي على اربعة انواع : النوع الاول الرضات  
في القرى والاراضي التي عدت من ثمة السكنى . النوع الثاني الاراضي التي الرزق  
من الاراضي اميرية وجعلت ملكاً مهيماً على انواع وجوه الملكية الصرفة وهي ملكها  
على المساغ الشرعي . النوع الثالث الاراضي المشربة . النوع الرابع الاراضي الخراجية  
فرقة هذه الاراضي الاربعة بملك ملكها وهي كالا موال والعروض يرثها الورثة الشرعيون  
وتوقف وترهن وتجري عليها الجبة والشفعة ومثل احكام الملك كما هو مصرح في مجلة  
الاحكام الشرعية والكتب الفقهية .

واما الاراضي الاميرية فهي التي أُحيلت ولوشت للاشخاص على شروط ان تبقى رقبها ليت المال كالاراضي والمروج والمحال التي يقال لها «يايلاق» منزل صيني و«بشلاق» منزل شتوي والحراج التي تركت للاحتطاب والمراعي اما المنازل الصيفية والمنازل الشتوية والغابات والمراعي والبيادر التي تركت لقرية او قري متعددة او قسبة فهي من الاراضي المتروكة .

واما الاراضي الموقوفة فهي قسمان القسم الاول الاراضي المملوكة التي وقفت على الوجه الشرعي ويقال لها اوقاف صحيحة فجميع احكامها تابعة لشرط الواقف والقسم الثاني الاراضي الموقوفة من الاراضي الاميرية التي وقفها السلاطين العظام او وقفت باذن سلطاني فهذه كالاراضي الاميرية في جميع احكامها ولم يمش الوقف الا على اعشارها ونافعها الاميرية .

واما الاراضي المتروكة فهي قسمان القسم الاول : الاراضي التي تركت للناس كانه كالطريق العام والاسواق والمراعي والمساجد والمنزهات والميادين العامة . والقسم الثاني الاراضي التي تركت لاهالي قرية او قسبة او لاهامه الاهلين في القرى او القصبات المتعددة كالمراعي والمنازل الصيفية والمنازل الشتوية والحراج للاحتطاب .  
واما الاراضي الموات فهي الاراضي الخربة التي لم تحرث ولم تزرع وبعيدة عن اقصى العمران .

ولو نظرنا قانون الاراضي ومعاملات الطابو وما تجري عليه المعاملات لوجدنا الحكومة العثمانية تدعي ان جميع الاراضي الخراجية والعشرية والاميرية والوقفية ( ما عدا الاوقاف الصحية والاراضي المملوكة ) والمتروكة والموات كلها ملك بيت المال وليس لمصرفها الا التصرف بها والانتفاع منها غير انها سمحت بتناقلها على حسب قانون الانتفال ولم تحدد مدة التصرف والانتفاع بها فاجابت على عمرانها وهذه الاسباب عدت الانتشار وفراش الاملاك اجرة اراضيها وملكها لا اجرة خدمتها للشعب وعلى هذا النظر انشأت القواعد والقوانين على ان اكثر البلاد واخص بالذكر منها سورية لم تقسمها الحكومة العثمانية عنوة بل ان اهليها استقبلوا السلطان سلباً بالترحاب واقروا له بالملك لما كانوا يرونه من ظلم ملوكها حينئذ .

واند ابنت في المقدمة ان مؤسسي الدولة الاسلامية لما فتحوا البلاد وصلحوا اهليها تركوا الاراضي بايديهم واقتصروا على الخراج اجرة اقيام على ذمتهم ومن هنا ينفع ان

الاراضي السورية والعراقية اراض خراجية اي من الاراضي المملوكة الا ما ملكه غزاة المسلمين في صدر الاسلام وتقاسموه ايام الفتوحات الاسلامية وبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان السبب في جعلها اراضي اميرية لان اصحابها ماتوا بلا وارث واصبحت محولة فملكها بيت المال وجعلها اراضي اميرية على ان العاقل يستبعد موت اهالي العراق قلبية واهالي سورية طراً وما شاكله با عن غير وارث يرثهم فتخدو الاراضي محولة باجمعها ولم يكتب لنا المؤرخون عن ذلك شيئاً ولذلك اعتقد ان اراضي سورية والعراق وما شاكلها من الاراضي الخراجية اراض مملوكة يجب ان تكون ملك صاحبها ولا يعني التفصيل هنا لئلا ابعد عن الموضوع وسبب ذكر انواع الاراضي تمهيداً لشرح ما قيل من جواز اخذ الضريبة عن الموالي

وذلك ان الحكومة العثمانية لما كانت مالكة لرقبة الاراضي والغنم والدواب ترمي في بقعة من تلك الاراضي التي تنبت عشباً وان محصول الاراضي الاميرية تدفع العشر من محصولها بدل الايجار وجب على من رعى الارض ان يدفع عشر العشب والكلاء بدلاً من ايجارها خيراً ان الشب تأكله الدواب وان الدواب تثر ولها ريع وثمرها وربعها يتوقفان على الرعي فقد لزم اخذ عشر العشب ضريبة على الموالي وطليعه رفع العشر ومنت الضرائب عن المراعي على ان المراعي والبيادر والحراج المتروكة للاحتطاب ومحال الاسواق والطرق العامة عدت من الاراضي العمومية المتروكة للرعية التي لا يجب اخذ ضريبة عنها الا ما كان مقيداً بالنقتر الخاقاني بان يدفع ضريبة وما كان من الاماكن التي تمد « يا بلاقا » او « قيشلاقا » وخمسة لقرية او قرى متعددة فتؤخذ على ذلك ضريبة يقال لها يا بلاقية وقيشلاقية بحسب قانون الاراضي

يبدن الموالي التي ترمي في المراعي العمومية والتي لم تكن عليها ضريبة والتي ترمي في المنازل الصيفية والمنازل الشتوية وما شاكلها بل حتى التي ترمي في اراضي صاحبها تدفع ضريبة التعداد وقيل ايضاً لما كان جميعين عشر العشب صغاراً وان يؤخذ العشر ممن رعى الارض بصورة ضريبة على الموالي فجعلوا في يادي الامر رسم التعداد عشر الدواب اي نهجة عن كل عشر ناعج او شاة عن كل عشر شياه فلواردان نعرف ضريبة الموالي على حسب هذه التفصيلات لقنا انها عشر العشب غير ان السبب الحقيقي في اخذ هذه الضريبة غير ما ذكرناه لان الاصل في دعوى ملك الارض ناسد وعلى ذلك يكون انتمزع فاسداً



ولما كانت الحكومات تحمل الامة ما تحتاج اليه من نفقة وتأدية ديون وأرادت ان توزع تلك النفقات والديون على ضرائب متنوعة ليحفظ حملها على الامة جعلت على المواشي قسماً بدعوى ان المواشي واصحابها تنفيذ من خدمة الحكومة في حفظها من الضلوة والنهب واليك التفصيل :

لو كان لرجل ارض لا تعادل قيمتها أكثر من الف قرش وليس عنده سوى عشرين رأساً من الماعز وحبناً ، يدفعه للحكومة سنوياً حسب الجدول الآتي ليبلغ مجموع ما يدفعه ستمائة وثمانية وثلاثين قرشاً صحيحاً

### الجدول

غروش	
٠١٠	خراج اراض اذا كان متساهلاً
٠١٢	خراج النار
٢١٢	عشر الاراضي اذا كانت مقبلة
١٠٨	رسم تعداد الماعز مع ورق طوابع
٠٥٠	رسم كرك ملايه وملابس عائلته
٠١٦	بدل طريق
٠١٠	رسم باج بقر او خيل
١٠٠	اطانة غير مقننة على الاقل
٠٥٠	مخارية الحفار
٠٥٠	رسم دخان اذا كان يدخن دخاناً مهرباً
٠١٠	ورق طوابع
٦٣٨	المجموع

فلو افحصنا مقدار الربا والكوائض المتلاحشة التي يدفعها صاحبنا هذا لعيننا السر في بؤته مدينياً ابد السهر وابن ارادت الحكومة ان تأخذ من كل فرد من الرعية ما اصابه فاللو ظلمت من صاحبنا هذا مثلاً (٦٣٨) قرشاً دفعة واحدة لطار عقله ومصرف ذهنه الى الامتناع واستعد للصبيان واذا استعدت النفوس لتلك قلت في وجه الحكومة وشقت عضا الطاعة ولكن لما كانت هذه الضرائب موزعة بين ان تؤخذ من الافراد مباشرة تحت

بسماء منوعة وبين ان تؤخذ بالواسطة كرم الكوس «كرك» والنخن والمخ فلا يشعر بنقلها احد وهذه الحكمة في اخذ غريبة المواشي ولهذا تؤخذ هذه الغريبة تحت اسم خدمة الحكومة لحفظها من التعدي والنهب واللب وهذا ما اصاب المواشي من نفقات الحكومة ودونها وبهذا ارى ان الراعي والاراضي للامة لا للحكومة لان الحكومة هي الامة فلا فرق بين الامة والحكومة والخزينة هي خزينة الامة ويظهر مما تقدم ان للحكومة ان تطرح ضريبة على الماشية

بقي علينا ان نبحث في كيفية تلك الضريبة لتكون عادلة :

سمى الامام ابو يوسف رضي الله عنه الضريبة المذكورة بالصدقات اي الهدقة في المواشي فقال «سمعا حديثنا عن الزهري عن سالم بن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتابا في الهدقة نقرنه بسيفه او قال بوصيته فلم يخرج به حتى قبض صلى الله عليه وسلم نعمل به ابو بكر حتى هلك ثم عمل به عمر قال فكان فيه في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة (٤٠ - ١٢٠) ناذا زادت نشأتان الى مائتين ناذا زادت ثلاثة شياء الى ثلاثمائة ناذا زادت في كل مائة شاة شاة وليس فيها شيء حتى تبلغ المائة وفي خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شاة وفي عشرين اربع شياء وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين فان زادت ففيها حقة الى ستين فان زادت ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت ففيها بنتا لبون الى تسعين فان زادت ففيها بنتا لبون الى مائتين فان زادت ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون ولا يجمع بين منفرد ولا يفرق بين مجتمع » اه

ومن علي رضي الله عنه وابراهيم انضي والبي «حيقة انه اذا كثرت الابل ففي كل خمسين حقة وكذلك انهم اذا كثرت في كل مائة شاة شاة وليس في اقل من ثلاثين بقرة من البقر السائمة شيء ناذا كانت ثلاثين ففيها تباع جذعة الى تسع وثلاثين ناذا كانت اربعين ففيها مائة ناذا كثرت في كل ثلاثين تباع جذعة وفي كل اربعين مائة ونعل معاذ في اليمن مثله واما الخليل فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تد غوت لأمتي عن الخليل والريقى» وقال ابو يوسف قد رويانا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقله الينا رجال معروفون انه «قال تجاوزت لأمتي عن الخليل والريقى» وقال عن سفيان بن عيينة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «تجاوزت لكم عن صدقة الخليل والريقى» وقال

ابو يوسف ثانياً الأبل والبقر العوامل وليس فيها صدقة وشرط ابو يوسف في اخذ الصدقة شروطاً فقال « واما ما يؤخذ في الصدقة من الغنم فلا يؤخذ الا التي تصاعداً ولا تؤخذ في الصدقة حزمة ولا عمية ولا عوراء ولا ذات عوار فاحش ولا نخل الغنم ولا الماخض ولا الحوامل ولا الر بي وهي التي معها ولد تربيها ولا الأكيكة وهي التي يسمتها صاحب الغنم ليأكلها ولا جذعة فما دونها فان كانت فوق الجذع وما دون هذه الاربع اخذها المصدق وليس لصاحب الصدقة ان يتخير الغنم فيأخذ من اخيارها ولا يأخذ من شرارها ولا من دونها ولكن يأخذ الوسط من ذلك على السنة وما جاء فيها ولا تؤخذ الصدقة من الأبل والبقر والغنم حتى يحول عليها الحول والمز والضأن في الصدقة سواء . فتبين مما تقدم ان الشارع عليه الصلاة والسلام نظر في قيم المواشي الحقيقية ويراها الحقيقي لتكون الصدقة متناسبة مع الايراد الحقيقي ثم ان الصدقة (او رسم التعداد) هي شرعاً واحد من اربعين اي اثنان ونصف من مائة فلو نظرنا الى ربع الغنم وربع البقر وربع الأبل وحسبنا الصدقات لم نجد تفاوتاً بين قيم الصدقات مثلاً فقد جعل عليه السلام شاة على الاربعين شاة وشاة على الخمسة من الأبل فإذا حسبنا قيمة الاربعين شاة وجدناها نحو اربعين ليرة بسكة زماننا ووجدنا قيمة الخمسة من الأبل المتوسطة بحسب السوق نحو الاربعين ليرة فتكون الصدقة في الأبل والضأن ليرة من اربعين على ان الشارع لم يأخذ الصدقة من دون الاربعين شاة والخمس من الأبل رحمة بالمقراء اهـ

واما رسم التعداد النظامي الذي قام مقام الصدقات الشرعية فقد كان من قبل واحداً من عشرة ثم انقلب الى ائتمن فصار اربعة قروش صحيحة عن كل دابة من معز وضأن فان كان عند رجل مائة وعشرون رأساً من الضأن وجب عليه دفع اربعمائة وثمانين قرشاً صحيحاً رسم تعداد وتسعة وعشرين قرشاً صحيحاً ونصفاً للجهيزات العسكرية وقرشاً صحيحاً ثمن ورقة سكة حجاز ونصف قرش ثمن طوابع فتبلغ الصدقة عن المائة والعشرين رأساً (٥١١) قرشاً صحيحاً اي نحو خمس ليرات ونصف ريال مجيدي واما الصدقة الشرعية في هذه المائة والعشرين فهي شاة متوسطة لا تعادل قيمتها ليرة فصار رسم التعداد ستة اضعاف الصدقة الشرعية في الضأن واما الماعز نعل المائة وعشرين رأساً منها كذلك (٥١١) قرشاً صحيحاً وهذا بمقام شاة من الماعز المتوسط وثن الماعز المتوسط لا يتجاوز الثلاثة ربات اي ٥٧ قرشاً صحيحاً فيكون رسم التعداد عشرة اضعاف الصدقة سيف الماعز وهذا منتهى الظلم فقد اتفق لنا ان الفرق بين الصدقة الشرعية والضريبة الرسمية

عظيم جداً وكنا ذكرنا في المقدمة انه يجب على الحكومة ان تستوفي رسم التعداد عندما يكبر ثلثها ويبيعه صاحبها ليدفع الرسم من ريع ماله غير ان القانون الجاري حتى الآن يجبر اصحاب المواشي على دفع الضريبة في آذار او نيسان او قبل آذار حينما تكون الخراف والحملان صغيرة لا يتباع فيضطر صاحب المواشي الى الاستدانة بارياب فاحشة فيكون تحمل الضريبة مضاعفة ضريبة التعداد وفاتضها فيصبح رسم التعداد عشرين ضعفاً من الصدقة الشرعية وهذه الضريبة الفادحة دفعت الاهالي الى الاحتيال وتهريب الغنم والماعز لانهم استكثروا الرسوم واعتقدوا انها ظلم صراح لا صدقة شرعية فاثار هذا التهريب طمع القائمقامين والمتصرفين ومأموري المال فصاروا يبيعون مأموريات التعداد بدرام معدودات ولا يخفى على اولي البصيرة ان مأمور التعداد الذي لا تزيد اجرتة على اربعمائة قرش لا يدفع خمسين ليرة من اجل ان ينال تلك الوظيفه الا اذا كان يعتقد تحصيل مائة ليرة والمائة لا تؤخذ الا من افراد متعددين فيضيق على الخزينة أكثر من مائتي ليرة وعلى ذلك نفس المملكة باجمعها تجدد الحكومة قداسات مبالغ تعادل ما اخذته فوق الصدقة الشرعية ولم ترجع الا شيئاً قليلاً غير انها حملت الامة اثقال الضرائب والظلم هذا اذا صرنا النظر عما يذبحه الموظفون من الخراف فتنصر الامة بمبالغ غير مشروعة بسبب انحراف الحكومة عن احكام الشريعة انحرافاً كلياً

ولما كانت القاعدة المشنومة تزيد واردات الخزينة باي صورة كانت من اجل ان تصرف على بذخ الظالمين في الاستانة وكان بعض القائمقامين والمتصرفين يخشون لنقص عن البذل السابق انشأوا يضيقون على مستقدي التعداد ليأتوا بزيادة الواردات يحملون الفقراء العاجزين ما يتقصونه عن الاغنياء فنبلغ ضريبة اغنام الفقراء اضعاف اضعاف ضريبة اغنام الاغنياء وارباب السطوة والصولة ولهذا فقد نقص رسم تعداد الانعام على توالي الايام نحو اربعمائة الف ليرة في المملكة كما انه قل الخيول وهجر الغنم اصحابها وقل اعتناؤهم وقلت المواشي فارتفعت اثمان اللحم والسمن وضاق امر الحاش ولو زلت الضريبة الى حد الصدقات وقررت الحكومة بين الضأن والماعز وعدلت في رسم تعداد البقر والايل المسومة لنفس الاهالي وهاتت عليهم الضريبة واعتقدوا انها فرض ديني فلا يخشون ولا يهربون مواشيهم بسبب قلة الضريبة واداء الفريضة ليجتهد في تكثير الغنم والماعز واصلاحها لكثرة ريعها ووفرة ارباحها فيكثر السمن والصوف والشعر تسهل المواد الصناعية الابتدائية ويخرج ذلك الى المالك

الاجنبية فستفيد الخزينة من تمتع التجار والصناع ورسم الكرك (المكوس) ويرخص  
السمن والحم فتتسع على الناس معاشهم وتقوى على العمل اجسامهم وقد وقعت عند  
هذا القدر ريثما يتم النظام الجديد وسأعود الى البحث اذا دعت الحاجة والله الموفق  
شكري السلي



## ضراء العلماء

٢

بين هذا الجليل الناشئ نقر لم يكتب لم الوقوف على حضارة المشرق وآدابه بل  
غاية ما وصلت اليه انماهم من البحث والتدقيق أخذهم بفتاء العلوم الغربية الحديثة فقط  
فراحوا وهم ثملون بمخالة تلك المثالة يهرفون بما لا يعرفون زاعمين ان المشرق وحده منبعث  
الاعمال البربرية كما ان البعض حتى من علماء المغاربة يصورون الشرقي ذلك «الغرا مجرد»  
والعربي ذلك الذي يخوض بحاراً من رمال محروقة واشعة الشمس المذابة قطراتها تنصب  
عليه فتصهر رأسه في فضاء صحاري جرداء تكاد لا تنتهي...

ولو تبياً لذلك العربي ما تبياً للغربي من التربة والبيئة ( المحيط ) وتكاثر الوسائل  
والوسائط ما كان مدعاة للتأثير في اخلاقه وافكاره وخيالاته وقوته العقلية وطبيعته  
الحيوية الخ... لاستعاض عن ظلال الخيام التي كان يستقصر في زواياها<sup>(١)</sup> بدود  
الكيمياء ذات الپنيان الغضم والمامل الكبيرة وكانت له خفاف الانهار مياة تنقيوه  
ظلالها الخضراء.

ولقد رأينا العرب لما اختلف عليهم موارث التربة والبيئة وأنشأوا يدوخون الممالك  
ويعصرون الامصار أمة ناعضة بلغت في الحضرة والتحصن شأواً بعيداً وضربت في المدينة  
والقمرات بسهم وافر - ونبع بين ظهرانهم من النعاة من القوا في العلم والاجتماع  
والاديبلت على اختلاف ضروبها فبرز الكندي وجابر الكوفي والطوسي وابن رشد وابن

(١) جابر الكوفي الكيمائي العربي المشهور

سينا وأبقراط وأين أي أحيمة وأسمقدي في الرياضيات والطب والخلفه والقراني والرازي وأين حزم وأين بلجة وأين خلوص والمخني والمغربي في الاجتماع والطربخ والاخلاق والشعر وأخذ العطاء من الامراء يسرقون في انشاء سعد العلم في بغداد وبميرقد والشام والإفطار الأخرى وعهدوا وظيفة التعليم الى من تأقت شهرتهم في العلم في ذلك العصر مما يدل على نهضة علمية كبرى تشأت في المشرق في من آثار القلتين بها أطلال بالية ومن نتائج قرائهم بقايا ملكت بها مكشبات المشرق والمغرب على كثرة ما عداها من عوادي الايام

ألا وإن الام تدير في نقدتها وتأخرها على نواميس علمة قد لا تختلف في الغالب إلا بقدر الاستعداد الفطري وتأثير الاقليم . وما يصح ان يقال عن تلك الام من الاعمال البرية ان هو الا امر طبيعي لا بد من وقوعه بين أي شعب أسف للاضطراب في العلم واخذ لجمود في الدين

\*\*\*

مر على أوروبان ادوار الظل والظلمات ما جعل لنا التاريخ من آثارها في الأم الغريبة ما يصح ان يكون عبرة همدية وذكرى سوء . وذلك في الغالب يرجع الى عوامل ثلاثة كانت ثلة الظل لما فهم عنها من سقوط وصعود : الملوك ورجال الكنيسة والنبلاء . أما النبلاء : فلم يفرعنهم في الأعم الأغلب من حالم سوى انهم كانوا يسمون وراء تأيد نفوذهم ونيل مشيبتهم وملذذاتهم بأية طريقة كانت سواء دعا سعيهم هذا الى اهراق دماء الشعب وابتناء امواله واكتساح الاراضي الشاسعة من مستعمراته او الى مقاومة الملوك اذا آسوا منهم ما لا ينطبق على ما يزعون اليه من حب السلطة والجلال التي كان دينهم وديندهم حتى اتبع لم نفوذ قوي كان لهم عوناً في ثمة ما تذرعوا به من انتراخ لحفظ سلطتهم واحرازهم ميزة على غيرهم من بني البشر حتى في المحاكم وسائل القضاء .

وأما الملوك : فان استثمارهم في الملك واغراقهم في البذخ والترف حملهم على مباحثهم في الارهاق والعنف واتيانهم كل امرئكم لطلردة قادة الافكار من رجال الامة فكان الملك يذيب ايامه ولياليه التي كان يجب ان يقضيها فيما يعود على الامة والوطن بالصلحة العلية في اختراع صنوف الحيل والسماسن تارة وفي احلام الموبقات مرة أخرى فمن طنطنة اقتداح الى إراقة ابتسامات بين وصيف وبنا وكثيراً ما كانت الحرب بالباب والسultan في لب

وما ساعدكم على علم هذا غلة الشعب والتخادم من اعتقاده بالملك والقيصرية والاقبال والاكرسة اتم الحق الارض والامرون في الظلمين اكد صلاحتهم اذ لم واعلم - فكان الشعب مغلول اليد وانكسر والسان ليس له من الامر شيء الا الطاعة العمية - ونوق هذا كله منه كان يرى في هذه الطاعة خيراً يصيبه او ثواباً يله - ولم يكن من الشعب الغفل الا ان وسجهم بالاقبال السلاوية ووصفهم بسلطة صلت الوبوية واما رجال الكنيسة : فكانوا يفتنون ايضاً حفظاً لسلطتهم واستبقاء لعزيز جبروتهم في اضطهاد العلم والماء . وتم لم ذلك بما اسدلوه على الابصار من السيف المبرقشة التي هي ليست سوى خيالات خداع وتغل وتلق وتلاعب قالوا عنها انها الدين وليست منه في شيء حتى كان منهم ان كانوا يسمون المالك ويرزعونها ويخضعون من المالكين يشاؤون ونوا كما قال احمد شيب بك حكام اوريا المطلقين ( ديكتاتور )

غضب مرة الاب ( هيلدي بران ) على هنري الرابع واصحابه فخرهم جميعاً حتى اضطر الامبراطور هو وزوجه الى ان يقصدوه ليختر لم سبائهم تقطع جبال الاب في ايام الشتاء وقد ارتدى فيضاً ايضاً أعد الجرمين ووقف أمام القصر الذي كان جالساً في صدره ذلك الاب ثلاثة ايام وهو يرتجف من صلابة القرو اخيراً اذن لها بحضور فتبيل بين يديه وقبل قدميه وهكذا استطاع ان يظهر بمظهر المعز<sup>(١)</sup>

وان اعمال رجال الكنيسة في محكة الفتيش لا تكاد تحي آثارها من صلف الوجود فقد كان الغرض من اشاء هذه المحكة مقاومة العلم والفلسفة عندما خيف ظهورهما في تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا واطاليا . وفي مدة ثمانية عشرة سنة من سنة ١٤٨١ - ١٤٩٩ حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصاً بان يحرقوا وهم احياء فاحرقوا وعلى ستة آلاف وثلاثمائة وستين بالشق بعد التشهير فشهدوا وشتقوا وعلى سبعة وتسعين الفا وثلاثة وعشرين شخصاً بقويات مختلفة فنفذت ثم احرق كل توارق بالبرية<sup>(٢)</sup>

وقد قرر جمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يلحق كل من ينظر في فلسفة ابن رشد وطلق الدومينكان يفتنون من ابن رشد ولعنه ولحق من ينظر في كلامه شيئاً من الضاعة والعبادة . قال الاستاذ الشيخ محمد عبيد : « لكن ذلك لم يمنع الامراء وطلاب العلوم من »  
(١) عن « الحرية الدينية » في التركية — ل احمد شيب (٢) الاسلام

كل طبقة من تلك الوسائل الوصول إلى شيء من كتبه وتحلية العقول ببعض افكاره» ثم قال : « واهتفت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب اهل اوربا ما خيل لكل من يلح في ذهنه شيء من نور الفكر اذا نظر حوله والتفت وراءه ان رسول الشؤم يتبعه وان السلاسل والاغلال اسبق الى عنقه ويديه من ورود الفكرة العلمية اليه »

هذا ولا تنس ما كان للحروب والثورات باديء بدء من التأثير السيء في الحركة العلمية في المدارس فالثورة الفرنسية دعت الى الغاء دار الفنون الذي ظل يختلف اليها الطلبة منذ زمن مديد . والنيت بالقرار المؤرخ في ١٠ آذار عام ١٧٩٤ كلية باريس وثلاث وعشرون جامعة في الولايات الاخرى وصودرت اوقافها واملاكها وان حروب النار الشعواء اغارت على الجامعات التي اُنشئت في مدينة (نوفوغوردو) و(كرسون) و(موسكو) من بلاد روسيا لما فتحتها النار بمجد سيوفهم .

ولما دب في بولونيا ديب الحياة وقامت تطالب باسترداد حريتها انشأت الحكومة الروسية تنذرع بكل جليل وثقله لصد هجماتهم وأول ما بدأت به إغلاق الجامعات والمدارس ومن ذلك جامعة ( فارسوفيا ) الشهيرة التي اغلقت عام ١٨٣٢ وظلت كذلك موصدة سنين واعواماً . وانه وان أذن للجامعات بعدئذ ان تفتح ابوابها يد انه لم يعد يراعى فيها اصول الحرية في التربية والتعليم في حال من الاحوال

وانك ترى الجامعات والمدارس بعد ما توالى على اوربا من الازمات العلمية والفكرية في حالة النزاع والاحتضار وإدارة وتعلماً . فاما ما كان من امر التعليم فأنها كانت تسلك الخطة التي كانت متبعة في القرون الوسطى وكان المتطفلون على موائد العلم يتصالحون الرتب العلمية على رؤوس الاشهاد ولم يكن من المعلمين الحقيقيين من يستطيع ان يدرب التلاميذ على اصول التربية الحديثة وان كان يوجد فائهم كانوا يتقاضون مرتباً زهواً يسيراً .

\*\*\*

في ذلك الزمن الذي اشتدت فيه الازمة كانت اوربا تنمخض بالثورات السياسية والدينية . بيد انها لم تستطع ان تضع حملها الا بعد ان نبغ فيها فريق من اهل العلم والادب فبدأوا يحدون بما في طوقهم وطاقتهم وراء مكافأة أولئك الخونة المارقين ومنافحتهم في القلم واللسان ليستردوا لبني البشر حقوقهم المنصوبة فكان فيهم العلماء والحكام والادباء والقصاصون والشعراء امثال نيوتن وبأكونديكارل وهيكو وفولتر



ولامارتين وتولستوي ولوك وفيتشي وكانت وميرا بو وموليير وغيرهم من رجال الاصلاح وكذلك كان بين هؤلاء من رجال الاصلاح الديني كثيرون ومن اشدّهم جهاداً وجلاداً « لوثيوس » زعيم المنحرف البروتستانتي في البلاد الاوربية والاميركية جماء .

فسد هؤلاء الغطاء العجيز في تربية الشعب وتعليمه واغتنت النفوس بما يتجدد سيفه البلاد من الاوضاع وما ظهر في عالم المطبوعات من المصنفات العلمية والادبية واكتسبت بما اكتسبته من الحلل القشبية ميلاً خاصاً من القلوب فتهاقت الناس عليها وهم في اشد الحاجة الى ما يحيي ما تلتخ على صفحات الافكار من الشوائب المبهمة . وكان اول انقلاب وقع في نظام الأسرة ( العائلة ) والمعتقدات . وغثل هذا الانقلاب باكل مظهره في المبادي . والانكار وطم الشعب حتى العلم انه مضمون الجانب مبيض الجناح وان الملوك والامراء باجمعها ليست سوى اجراء له وانتذر نزع الى استرداد حقوقه بما مزج زوجه من قوة الحرية في القول والعمل

\*\*\*

شعر الملوك ورجال الكنيسة لما آنسوا من الشعب ميلاً الى الاصلاح ورجاله بالخطر الذي يهدد سلطتهم المطلقة فأخذوا يضيغون على مظالمهم الاولى ضروباً من الجنائيات واغتيالات . ألا وان قصر الباستيل والآلة المدعوة المقتلة ( كيلوتين ) ومحكمة النفقش وفيافي سيبيريا وسراي التويليري <sup>(١)</sup> اعظم شاهد على ما اتوا به من القضايع والفيجائع لمنافضة العلماء والحكماء ورجال الاصلاح :

هذا « لافوازيه » العالم الكيماوي المشهور الذي عني بهذا الفرع من العلم عناية خاصة واكتشف عناصر جديدة لم تكن معروفة من قبل ووضع نواميس علمة ابان فيها ما خفي تعليله على المتقدمين حتى دعي ( واضح الكيمياء الجديدة ) — هذا الرجل على فضله وطوكبه في العلم وخدمته الانسانية جماء حكم عليه بالاعدام وسبق الى ساحة القتل حيث ذهب فحمة الجهل والفدر واغنيانة

وهذا « غاليله » العالم الايطالي الفلكي المشهور عقدت من اجله جلسات متوالية في ايطاليا ضمت أهم رجال الكنيسة وغيرهم واجمعوا بخروجه عن اوامر الدين سيفه قوله

(١) هي اشبه بقصر بيلدز في عهد السلطان عبد الحميد المخلوع كانت مقراً للملوك

فرنسا في باريس واحرق في مايو عام ١٨٧١

بحركة الارض ثم حكموا عليه بالاعدام فالتفت الى الجمهور وهو جذل فرح وقال : « هي تدور ولوق ذلك هي كروية »

وكذلك « داني » حكيم ايطاليا وشاعرها امر الكردتال « بورجينو » عام ١٣٣٩ باحراق بعض مؤلفاته في بولونيا جبراً وطلب اخراج جسده من القبر واحراق عظامها انتقاماً منه على الخلاء ثم لم تحض على هذه الاحكام عشر سنين حتى شرع الشعب الايطالي بمنزلة هذا الرجل في سنة ١٣٥٠ قررت جمهورية فلورنسا ان تدفع مبلغاً من النقود الى ابنة له راضية تدعى « بريس » وفي عام ١٣٩٦ قررت ان يبنى له ضريح ويقام له تذكرو في فلورنسا على انهم ما زالوا يحاولون بذلك الى اوائل هذا القرن فاذنوا له ضريحاً وقد احتفلوا بافتتاحه في ١٤ تموز عام ١٨٦٥ وهو تذكرو مضي ستائة سنة من يوم ولادته ومثله « فولتر » حكيم الادباء في فرنسا نظم قصيدة مجابها لويس الرابع عشر ملك فرنسا لحكم عليه بالسجن فحين في الباستيل سنة نظم اثنا عاصيدة ستمائة التماهد ( السج ) ورواية دعاها ( اوديبوس ) قالوا انها احسن ما كتبه من حيث شرح العواطف الحقيقية وذلك عام ١٧٦٨ ثم اطلق سراحه بدعوى انه مريض يحتاج الى تبديل الهواء سفي ( بلومبار ) فصار وقد عول على ان لا يعود الى فرنسا ولكن قلعه في عزيمه فناد الى مثل ذلك فأعيد الى السجن مهاناً بالحرب والكم عام ١٧٢٦ نلبث هناك ستة اشهر ثم ائنيق سراحه والتمأ الى انكسرا لعله يخلص من دسائس الفرنسيين

ولقد كتب مقالات فلسفية قيل انه تعرض فيها للدين والسياسة فاحرقت بامر مجلس الامة ( البرلمان ) واضطر الى مغادرة باريس خوفاً على حياته وقد ذهب بعضهم الى انه لمهد لان الكهنة لم تأذن بدننه على المادة المألوفة وان احد ابنا اخيه كان رئيساً لدير فأخذت اللجنة سرأ الى ذيره وذننها في الكنيسة وفي سنة ١٧٩١ نقلت اللجنة الى البائثيون مدفن الملوك والعظماء والكبراء

وكذلك « روسو » قتله تل من نبال الطعن والاحتقار ما لا يكاد يحظر على بل وما ذنب هذا الرجل الكبير — كما قال احد حكماء فرنسا — سوى انه خالف سنة اهل النظر في عصره وفي اعتقادهم في اصلاح المجتمع الانساني على الرجال ومطالبهم ايام فيه بان وجه خطابه الى القوائنات والاطفال وهو امر هداة اليه ما فطر عليه من جودة الطبع وذكاء التريجة » ثم قال : « وان اردت ان ابين لك كيف خدم روسو الاحتفال خاصة بما نشره في كتبه من الانتصار لم قلت ان ذلك انما كان بما القته تلك الكتب

في توماس التمرنيس من يدور الثورة وحياتها به لها  
ومثله «لوثيروس» المصلح الديني الالمانى فانه قام بالدعوة الى ما صرح عن المسيح  
طبق ما ورد في الانجيل خارباً بذلك الاوهام التي تملقوا فسلطوا بها عرض الحائط .  
واول ما تلعفه هو مسألة الثوران ولم يرداعياً للابوة فالتى الرتب الروحانية وشركات  
الدنيا والقاعدة التي تغول الرهبان عدم الزواج ظهرياً

وحملته طيبة الحال على ان يدعي ويثبت مدعاه بان كنائس الكاثوليك جماء تناقض  
احكام الدين المسيحي على خط مستقيم وقد دعا الامبراطور «شارلكن» المجلس العام في  
المانيا الى الائتلاف فالتزم وطلب المجلس بأكثرية الاصوات احراق «لوثيروس» وقد  
كاد يقع ذلك لولا انه اقام سنة كاملة في دارنبورج مخفياً عن اعين الرقباء واتم خلال  
هذه المدة ترجمة الانجيل الذي كان شرع يترجمته بلدي. بدءاً واحداث انقلاباً كبيراً  
في الادبيات الانكليزية والافكار

وبلغ بالتيسين التصب في اسبانيا على عهد سكيون الثالث مبلغاً هفا حده ولم  
يكن منهم الا ان اجدوا عامة من كانت تهزم ارجحية الوطنية ايام كان القسم الاعظم  
من واردات الحكومة مخصصاً لمندوق الكنيسة . وان شعور التصب قد بلغ في اوربا  
اشده حتى كان الرباء اذا فشا نسب الى الموسويين ومن ثم ترى هؤلاء المساكين يستهدفون  
لضروب الايذاء والجفاء ما الله به عليم

وبعد نان سلطة العلم لا تقاوم ومن قلوبها كان خليفاً بكل اذى يلحقه ان لم يكن  
علجلاً فأجلاً . وصوت العلم النافع — كما قال رنان — كثيراً ما يتفاضل امام مجمعة  
المهاجرين وقحة الدجالين ولعلم صوت متى سكن ضجيج تلك الظواهر يظل ذاك الصوت  
يسمع فلا يعود احد يسمع غيره » قال : « ومن اجل هذا ترى المجمع العلمية على كثرة  
شكوى اهل الافكار النحلة منها فائزة بفضل الغلبة لانها حارسة حسن الترتيب الحقيقي  
وهي قليلة ولكنها مفتحة وليس تغير العقل سلطة تقي »

وان رجال الاصلاح كلما اغرقوا في الدعوة اليه صموا آذانهم عن جلبة الوشاة والمثالبين  
ولم يفتلوا بما ينزل بساحتهم من الكوارث وانهم ليمدون ما يصيبهم من افة واحترار  
شرقا لم وغرباً كما قال ذلك الكاتب الفرنسي : « كل قبضة من الوحل تلقى في جبهة

صاحب حنطة في أكليل من القحار « وقد سقى من سقى من هؤلاء المصلحين الى  
القتل وعلى شغلهم تلوح ابلامة السرور ولسان حالم يقول كما قال لازوروس : « نحن  
نموت الآن لان الشعب نائم ونموتون انتم غداً متى استيقظ الشعب »

\*\*\*

هذه آثار الادوار السوداء وتناجها ولقد كانت للام الشرقية من آثار مثل هذه  
الادوار حظ وافر ولو لم يزل فيهم من القوة بقية ومن الذكاء النماء لأودت بحياتهم  
الاودية منها والمادية . وبما يقوي آمال رجال الاصلاح ويشد عزائمهم ما رأوه من  
نهضة المشاركة في هذه القرون الاخيرة فقد تناولت الحركة الاصلاحية الشمس  
المشرقة (اليلمان) فافارس فالامة العثمانية مما يدل على ان الاستعداد كامن في نفوس  
البشر الترية تظهره والاممال يحثيه

ولا بدع اذا قامت تلك الاقوام بنهضة حديثة اهتزت لها الارض من اقصاها الى  
انصاها وهم الذين كانت لهم فيما مضى حضارة مخمضة نخمة قضت عليها التوايمس الطبيعية  
بالاندثار والفاء وقبضت من رجال الغرب من عني بامرها فبرزوا بها وبرزوا . وما على  
الام الشرقية اليوم الا ان تطرس على آثار الغربيين في العلم والاجتماع وتأخذ  
بالامور المحقولة من حضارتهم ومدنيتهم ليكتب لها عمر مديد وتاريخ مجيد . . .

صلاح الدين

دمشق :

القاسمي



## الرتب والأوسمة

كانت الرتب والأوسمة العامل الأقوى في إفساد الاخلاق على عهد الحكومة الاستبدادية الماضية فاستعملها الظالم ذريعة لرفع من شاء ولو كان ضيعاً وتصفير من اراد ولو كان كبيراً وفي تقلد الأوسمة ونيل أعلام الرتب كم خربت بيوت وشتت شمل أسر وأهملت وكانت أقل الوسائط إليها وأقربها تناولا إن يمدد من يرغب في التشرف بها إلى التجسس على الأحرار وإيجاد السبل لأرهاب من يطالب الحكومة السالفة بإصلاح المختل ومداواة المعتل .

ومن نظر في التاريخ يجد الألقاب عند العرب والأفرنج من بقايا القرون الوسطى قروناً الممجيبة والاضلال . فنشأوا عند العرب كما قال ابن الحاج في المدخل الترك فاتهم لما تغلبوا على الخلافة سموها هذا شمس الدولة وهذا ناصر الدولة وهذا نجم الدولة إلى غير ذلك فتشورت نفوس بعض العوام عن ليس له علم بتلك الأسماء لما فيها من التعظيم والفخر فلم يجدوا سبيلاً إليها لعدم دخولهم في الدولة فرجعوا إلى أسرار الدين فكانوا أول ما حدثت عندهم هذه الأسماء إذا ولد لأحد مولود لا يقدر أن يكتسبه بفلان الدين إلا بأسر يخرج من السلطنة فكانوا يعظمون على ذلك الأموال حتى يسمى ولد أحد بفلان الدين فلما إن طال المدى وصار الأمر إلى الترك لم يبق لهم بالتسمية بالدولة معنى إذ أنها قد حصلت لم فاتتقلوا إلى الدين ثم فشا الأمر وزاد حتى رجعوا يسمون أولادهم بنهر ما يعطوه على ذلك ثم انتقل إليه بعض من لا علم عنده ثم صار الأمر متعارفاً متعاهداً حتى أنس به العلماء فتواطأوا عليه . قال أبو بكر الخوارزمي

مالي رأيت بني العباس قد فقروا من الكنى ومن الألقاب إربوا

ولقبوا رجالاً وعاش أولهم ما كان يرضى به للحشى بواباً

قل- الترام في كفى خليفنا هذا فاتفق بين الأقسام القبا

أما في الغرب فكانت الرتب العلية والجندي في القرون الوسطى تباع ببيع العروض والمعار ينفخها الملك لمن يريد من حاشيته أو لمن يرى هو ورجاله أنه قام بخدمة لإلاده .

وربما ورثها عنه ابتداءً واحفاده من بعده علي نحو ما أصبح اولاد العالم في العهد الاخير في هذه البحار يرثون وثائقه ومقلمه كما يرثون ارضه ومثله وتطلق عليهم التلب هي العجب العجيب واسماء ما اتزل الله بها من سلطان كأن يقال لاجل الجاعلين انتم العلماء المحققين وللخالم المارق ناصر السنة والدين.

الرتب علي النحو الذي يبعد في الشرق والغرب اليوم لم يكن لها ما ياتلها في الدولة اليونانية ولا الرومانية وناية ما في الامر ان الظاهر في الالعب الاولية في آئنة كان يذكر بالمحمدة ذكرأ يورثه الشرف هو واهل بلاده ويتال جائزة مزية وكذلك من كتب له النصر علي اعداء رومية ولكن لا يرث ابتداءً زاهله ما كان هو ابا عنترته وداعية فخرته ولما انتشمت حكومات الغرب الفيت الرتب من معظم الممالك الاوربية ولا يزال لها اثر في بعضها ولكنه ضئيل لا ينم عن شرف ولا ينبي عن فضيلة ورجع الناس هناك او كادوا الى عادة السذاجة التي كانت عليها دولة العرب ثلاثة قرون وأكثر فكان يدعى الكبير باسمه او بكنيته ولم يكن للالعب سرق معروفة

كان يراد بالرتب والاوزمة وعلام التشریف في الاصل تحريك نقوس الناس الى مباراة بعضهم بعضاً في طلب الكمال والمجد الحقيقى لان من واجبات الحكومة ان تنشط العامل وتأخذ بيد صاحب الكفاءة ليكون مثلاً صالحاً لغيره والرتب والاوزمة من الامور التي قد تساعد علي هذا الشأن ولكن المتأخرين من اهل الغرب شاعداً كما شاعدا المتأخرون في الشرق ايضاً رداءة تلك الطريقة فاسقطوا بعض تلك الرتب والاوزمة وبقي غيرها عضواً اثرياً من حكومات القرون الوسطى يدل باصرح يلين علي ان من الصعب جداً علي حكومة لما بعض التقاليد وان كانت غير معقولة ان تنسها جملة واحدة اللهم الا اذا كانت الحكومة الولايات المتحدة لم تبين اصول حكومتها علي اقتباس غيرها بل جعلت فيها العلم قائداً والعقل مرشداً ورائداً ولذلك تساوى بها العمل الصلوك مع رئيس الجمهورية في الالعب والتشریف

قال احد علماء القرنينس : ومن الواجب الاقتصاد في منح الاوزمة والالعب وان يتوخى المنع بها ان لا يهبها الا لمن يستحقها ممن لا ينكر عليهم استهالهم لها ابعد الناس عن معرفة الحقيقة ومن الخطأ الفادح ان يذهب بعضهم الى ان عدد الراضين يزيد بمضاعفة علام الشرف اذ الامر بخلاف ذلك وكما خفضت المطالب والقيود درجة زادت التساوي الطويلة المريضة وما انت بصاحبها في هذا المطلب الا كأنه يتقاضى

حقاً او امرأ مشروكاً وكما زاد اعطاء الادوية وقت الحكومات في شر أعمالها فتصعب في ذلك بين امرين اما ان تعطى الناس لاختلاق علم اولن لم علم واقتدار ولكنهم يعرفون بالاختلاق السهلة وكلا الحالين قبيح والنجس - وما حال الشيب اذ ذاك الاحال الاطفال في المدرسة يطعمون الى المكافآت المدرسية ويمرصون عليها أكثر من طموسهم الى التقدم الحقيقي

قلنا ان الظاهر في الالعب الاولية بآتية كانت تعلم له الجوائز وكذلك الظاهر في البراوا المجرى يمازى احسن الجزاء في رومية ويقطع اوسمة اشبه باوسمة هذه الايام علاوة على المكافآت المالية ومنها تعيلت للجنود وكاليل من ورق الزيتون وكاليل من اغصان البلوط واشورة وقلائد من انتهب والفضة تملط في الصدور او في قرون صغيرة تعيل في اطراف الحوزة



ولم تكن ترفع عن الاعواء والاقلام في البلاد الميثانية كاتم الاستبداد والمجر هذه السنة حتى قام علاء الميثانيين يكتبون في اسقاط الرتب والادوية لان في اسقاطها رفع شأن ارباب الكفاءات وتوعوا تلك الاساليب وفي مقدمة الكتابين المثيرين من المدرسة الملكية العالية في الاسكندرية وفي من ارقى مدارس الدولة فقام من تعلموا فيها وفيهم الولاة وكبار العمال وتخرجوا عن رتبهم مختارين فائلين ان الرتب من قبل الاميازات الشخصية المحلة بقاعدة الاملاوة وان البلاد الشورية لا يجوز ان يكون فيها فريق من الناس محكوماً بفريق آخر من اجل هذه الاميازات الوهمية الناقصة

وبعد فانه لا اثر لهذه الرتب الشخصية في البلاد المتقدمة ولا وجود لها الا في بلادنا وفي بلاد ايران على اننا نصد هذه الاملاة قد حلت حلاً نهائياً لان مجلس الامة معصم على الظانها بناتاً وبما ان آخر الشيء يذهب الى ارائه احببنا ان نبحث في نبتة من تاريخها ليقى حسرة في قلوب عشاقها المولمين بوضع الترتيب على الصدور وفوق العمام كان الرومانيون واليونانيون يوجهون النياص لغير طبقة العسكرية ولكن لا يوجهون طليهم رتباً شخصية - اما العرب فكانت الرتبة عديم هي التفضيل والارادة الشخصية وكانوا يوجهون الرتب العسكرية عند الحاجة موقتاً

(١) من مقالة في مجلة الملكية التركية بقلم علي سيدي بك وتحرير شاكر

اندي الخليلي

وانا اذا تصفنا التاريخ نرى النبي صلى الله عليه وسلم عين وزيره ورفيقه في الفار  
يا بكر الصديق رضي الله عنه جندياً في الجيش الذي عقد لواءه لاسامة بن زيد وكان  
هذا ابن أمة ولكن خبرته في امور الحرب وشجاعته اهله لقيادة جيش فيه مثل الي بكر  
الصديق ونرى عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد وجعله تحت قيادة ابي عبيدة الجراح  
وكان جندياً في جيش خالد بن الوليد لما عهده عمر في ابي عبيدة من التأني والاحتياط  
في امور الحرب

وابخذت الحكومات في القرون الوسطى باوروبا على عهد الاقطاعات توجه الرتبة  
والاقلاب على الامور بين الملكيين قياساً على رتب الرهبان فرتبة فارس ( شافلية ) كانت  
شخصية ولها درجت معينة وليس عند الانوريين اليوم رتب شخصية توجه بالاناء بها .  
كانت الدولة العثمانية في اول امرها توجه لقب « باشا » بمعنى الاخ الأكبر على من  
يخدم الدولة والدين خدماً فائقة ولقب « جاويز » و « اغا » على من يخدم خدماً صغيرة  
ولما اصبحت الامور العسكرية والملكية والعلية في زمن السلطان اورخان ومن يليه من  
السلطين احدثت بعض رتب خاصة بالناسيب لا يتجاوز عددها الاربعة وهي ( خوجكانلي )  
( قيوچي باشليق ) و ( ميروانلي ) و ( الوزارة ) ولا يتجاوز اصحاب هذه الرتب السبعين  
او الثمانين في الغالب فرتبة الوزارة كانت توجه على الصدر الاعظم وعلى ( توقيص ، ديوان  
مهايون ) وعلى ( دفتر دار الشق الاول ) يعني ناظر المالية وتوجه نادراً على عامل الولايات  
الكبرى المنهية وتموا اقدار رجال الدولة ( خواجكان ) و ( قيوچي باش ) وتوجه رتبة  
( ازوم ايلي بكاريكي ) التي كانت لها صبغة رتبة عسكرية على المتخرجين من اصحاب  
رتبة ( ميروان )

كان لقب ( ساداتلو ) خاصاً بالسلطان الى عهد سليمان القانوني وبخاطب الصدر  
رجال الدولة بلقب ( عزتلو ) ومع هذا كله كانت الرتبة توجه وقتئذ في مقابل خدمة  
هامة . وفي سنة ١٢٤٨ أدخل بعض التغيير في الرتب والاقلاب فتوجه رتبة ( اولي )  
مع لقب ( ساداتلو ) على ( كخندايكي ) ناظر الداخلية او مستشار الصدارة اليوم وعلى  
( رئيس الكتاب ) وهو ناظر الخارجية وعلى ناظر ( الفريجات ) وتوجه الرتبة الثانية  
مع لقب ( عزتلو ) على ( امين القوسانة ) و ( امين دار المدافع ) وعلى ( الباش جاويز ) يعني  
ناظر العدلية والقبطية وامثالهم . والرتبة الثالثة مع لقب ( رعتلو ) على مكتوبي الصدارة  
والبكلكجي والامدجي . والرتبة الرابعة مع لقب ( ثوتلو ) على اناء المكوس وبقية



رؤساء المأمورين . والرتبة الخامسة مع لقب ( حميلو ) على مديري الاقلام وبمميزها  
وقسمت بعد ذلك الرتبة الثانية والثالثة الى قسمين وبه اول منها على رجال الباب  
العالي والثاني على ارباب البياقة من مأموري الولايات وقد أُمحلت منذ ربع قرن  
فروع الرتبة الثالثة كما أُمحلت في زماننا رتبة ( خواجكان ) و ( قيو جي باشي ) و ( الخامسة )  
وفي سنة ١٢٥٥ سمي القسم الاول من الثانية متميزاً وقسمت الرتبة الاولى الى قسمين وسمي  
القسم الاول ( اولى اولى ) بالاضافة مع زيادة ( حضر تاري ) على الاقلام و ( المشار اليه )  
بين المبارجت وسمي القسم الثاني ( اولى ثاني ) وبالنظر لشكائر سواد اصحاب الرتب  
الاولى وتجاوز عددهم الاربعين شخصاً احدثت في سنة ١٢٦١ رتبة ( بالا ) مع لقب  
( عطوفتلو ) ليكون خاصة بالرجال المحلين والممتازين على شرط ان لا يزيد عدد اصحابها  
على السبعة اه



## اسبانيا والعمران العربي

نشر المسيو كاباتون من علماء المشرقيات بحثاً ضافياً في مجلة العالم الاسلامي الباريزية  
جاء فيه ما تعريه : كتب لاسبانيا من دون سائر بلاد اوربا ان تكون مبعث اشعة  
التمدن الاسلامي وكشف اللغة العربية على حين ليست هذه الشبه الجزيرة متصلة من  
حيث موقعها الجغرافي بالشرق الاسلامي مباشرة كما هي حال الممالك البلقانية واليونان  
مثلاً . واقرب البلاد بها مساساً واقربها منها هي بلاد افريقية التي كانت منذ قرون  
ثانوية في القشور الاسلامي فتغللت اسبانيا مكانة عظمى في تاريخ الاسلام أكثر مما  
جاور آسيا الصغرى من بلاد الطونة واليونان التي لم تشهد من الاسلام الا العهد الموض  
في التوحش الكثير الفتن القليل المنافع وتعني به عهد الاتراك على حين ذاعت اسبانيا  
اجمل جهود الاسلام واخصبها واعني به عهد العرب فتأصلت مدينتهم في اسبانيا واظهرت  
فيها اي ازهار

فتح طارق بن زياد وموسى بن نصير اسبانيا من سنة ٧١١ م الى ٧١٤ وكانت مستعدة  
لهذا الفتح لان الفوضى كانت رافعة عليها اعلامها غاستولى العرب على عروش تلك البلاد

من ملكها ورود يك الذي هلك في المعركة وظهر الاشرف وزجال الدين من الاسبانيين من الجبل والنذالة شيئاً كثيراً فهربوا من اشبيلية وقرطبة عندما سقطتا في ايدي العرب ولم يفكروا في الدفاع عنها وبلغ بهم الخوف في طليطلة ان بعضهم هرب الى غاليسيا ومن رجال الدين من لم يبقوا الا في رومية لانهم كانوا يخشون على حياتهم واموالهم على ان حكومة اسبانيا اذ ذاك كانت مكروهة من العبيد واليهود لان هؤلاء كانوا مضطهدين . خديج العبيد يادوي . هذه الدولة الاسبانية قبل دخول العرب ثم قل اخلاصهم لها حتى ان قرطبة سلمها للعرب واهب من العبيد وقت على ايديهم خيانات اخرى . وكان اليهود أكثر غرراً على حكومة اسبانيا الغريبة ولا يأتى تقدير عدوم بالثديقي بل هم فيما يظهر عنصر مهم للغاية اتشربوا في قرطبة واشبيلية والبيرة وغرناطة وطليطلة وغيرها من المدن ولا سيما لوسنا

وكان اليهود في الاندلس على جانب عظيم من الفنى وحسن معرفة بالتجارة وارق دلياً من جيرانهم واستحكمت بينهم الصلات حتى اصبحوا حكومة وسط حكومة تخاف الملك ورجال الدين الكاثوليك من امتداد سلطانهم واخذوا يضطهدونهم بقتل شديد فربى الخوف والاضطهاد في نفوسهم البغضاء وحس الانتقام . وفي سنة ٦٩٤ قبل هجرة طارق والعرب بسبع عشرة سنة دبر الاسرائيليون مكيدة بمعاونة قبائل البربر اليهود من اهل افريقية وكادوا يستولون على زمام المملكة الاسبانية . فاكثفت المكيدة التي دبروها واخذ المسيحيون ياملون الاسرائيليين بمعاملة العبيد الارقاء وكاد يقضى على النصر اليهودي عندما بدت خلاص الفاتحين من العرب . اعتبر اليهود العرب مخلصين لم فاطمان المسلمين اليهم وأخذوا ياملونهم بمعاملة حلفاء لم وكلما كان يفتح العرب مدينة يمحطون نصف حاميتها من اليهود والنصف الآخر من المسلمين ولم يستثن من ذلك الا مدينة مالقة حيث قصر اليهود فلم يتدخلوا فيها

وكان لليهود شأن واعي شأن مع العرب فكان من يناله اضطهاد المسيحيين على اوائل الفتح الربى يدخل في الاسلام ويحرر من قيود اليهودية . ثم اصبح اليهود حلفاء المسلمين يتدبرون باراضيهم واموالهم وحريةهم في عبادتهم وضدت لهم مكانة في تنظيم شؤون اسبانيا ولا سيما في غرناطة التي ازهرت بمساعيهم وضدت تسمى في اواخر القرن العاشر مدينة اليهود ثم حدثت مذبحة سنة ١٠٦٦ قتل فيها من الاسرائيليين اربعة آلاف رجل في غرناطة وحدها

ولم يكن المسيحيون الاحرار في الاندلس مثل العبيد واليهود من اعوان الفتح العربي بان كانوا خصومه ومع هذا كانت تزام على حالة حسنة مع الفاتحين ممنعين بحريتهم المذهبية ومحتفظين بالقسم الاعظم من كنائسهم وكثير منهم دانوا بالاسلام سياسة او اعتقاداً لا سيما وقد رأوا المسلمين نالوا النصر المؤزر الباهر . والسبب في تسامح العرب مع نصارى اسبانيا ان مركز العرب كان الى الثقل وكلمتهم مختلفة وذلك لان العرب والبربر يكره بعضهم بعضاً . ثم ان العرب بطبيعتهم مفتورون على التسامح الديني وكان النصارى وحدهم يدعون الجزية حتى اذا اخذوا يدينون بالاسلام لورث خزائن الحكومة العربية لغلة الجزية الواردة اليها . ثم ان المسلمين اخذوا يتزوجون من الاسبانيات .  
اللاتي كن بجهلن اعظم صلة للامتزاج بين الفاتحين وخصومهم

وكانت تجري على سادات الاسبانيول احكام الاسلام فيختلطون باشراف العرب ومن ظل محتفظاً بدينه منهم نسي ميادئه فصار يحجب نساءه كالمسلمين ويقندي بازياهم والبستهم وعاداتهم في مآدبهم ورفاهيتهم وخلاعتهم ويزم في اللغة اللاتينية ويمتد في تعلم اللغة العربية وادابها ويسعى في نيل وظيفة في الجيش الاسلامي او التعلق بخدمة الخليفة او احد رجاله .

ولقد كان القشتاليون والليونيون والنافاريون من سكان شمالي اسبانيا المسيحيين يأتون بكثرة للانخراط في خدمة الخليفة المنصور وكان هذا موثقاً بان حب الكسب هو الذي يحمل هؤلاء على الاخلاص له أكثر من اشراف العرب الطائشين فيجري دليهم لذلك الارزاق والجرايات الوافرة . ويشملهم برعايته . واذا شجر اختلاف بين مسيحي ومسلم من جنده يعطي الحق غالباً للمسيحي . وكانت ايام الاحاد ايام العطلة بدل الجمع . ولما انقسمت بلاد الاندلس بين الطوائف امسى ملوك المسيحيين يتزوجون من بنات الامراء المسلمين فقد تزوج الفونس السادس بزيادة ابنة امير اشبيلية . واب اسبانيا على ما كان بين النصرين المسيحي والاسلامي في الاندلس من الاختلاف الذي لادناص منه قد اصبحت مدة قرنين ونصف اي منذ الفتح العربي الى زوال الخلافة الاموية (٧٧٤-١٠٣١) تحت السلطة العربية والمدنية العربية برضاها لا بالرغم منها وقد مزجت تلك المدنية بالمدنية الاسبانية اللاتينية واليهودية التي كانت هناك قبل الفتح الاسلامي وكان ذلك بفضل العقل العربي . . .

من الظلم ان يقال ان اسبانيا كانت قبل اغارة العرب عليها في حالة الجمعية فقد

كانت المدينة اللاتينية زاهرة فيها بفضل رجال الدين فاصبحت اشبيلية بواسطة أسقفها القديس ايزيدورس مركزاً علمياً قوياً كالتأثير لم يقو الفتح العربي على زعزعته وانتقلت مدرسة اشبيلية التقاليد اللاتينية من الحركة الشرقية فاصبحت البيع والاديار محال الاعتقادات والمعارف ولا سيما طليطلة وقرطبة واشبيلية فكان يدرس فيها علم العروض والآداب اللاتينية مع علم اللاهوت . وعلى الرغم من سعي الاساقفة انتشرت المدينة العربية بسرعة وكادت تقضي على الوطنية الاسبانية وانحلت تلك المدينة الاصلية حتى ظلت معاهدها حتى القرن العاشر الى القرن الثاني عشر مائة الانحلال والنزبت

دان كثير من الاسبانيين بالاسلام فلخذوا يتناسون اصولهم ويستعربون بحضارتهم واخلاقيهم وانشؤا يتكلمون بالعربية بفصاحة لا غبار عليها وتمكنوا من آداب العرب حتى صاروا خلفاء يختارونهم فيما بعد عمالاً لاداراتهم وامناء لمشورتهم واسرارهم اي في جميع الوظائف التي تقتضي ان يكون لصاحبها معرفة واسعة باللغة العربية ومعنى قبل احدم مدينة الفلصحين لا يلبث ان يعترف بانها ارقى من غيرها

كانت مدينة العرب في اسبانيا محسوسة في الامور المادية وذلك بما استملوه من الوسائل الزراعية لاصحاب الاراضي البور في اسبانيا بالاساليب العلمية التي اتخذوها لديها وهي اساليب ان لم تكن اختراع العرب فهم الذين اكلوا ثمراتها وحسنوا استفادتها كما انهم اسسوا معامل للحرير والجلود والبور وغزل الصوف والقطن والكثبان والقصب واقاموا ما لا يحصى من البنايات العمومية من مثل الجوامع والحمامات ومنها ما يستدعي العجب لآدم بامرهما حتى بعد ثمانية قرون من تأسيسه مثل جامع قرطبة وقصر الحمراء في غرناطة . ثم خدموا العمران بتخطيط المدن الآهلة بالسكان الفنية الرباع التي لم تسترجع بعد العرب ما كان لها في ايامهم من الحضارة وما برحت انقضاء ما فيها من جمال رائع وصناعة محكمة ولا سيما في قرطبة وغرناطة شاهدة ابد الدهر بذلك المدينة باعثة على التأسف لزمانها

ثم ان العرب فاقوا من تقدمهم في شبه جزيرة الاندلس بعلوم الطب والنبات والفلك والطبيعات سواء كان بالمعاملات او بالنظريات فكيف لا يبرزون في علم البلاغة والفلسفة والشعر وهي العلوم التي كان لم القدح المثل فيها . وقد اجتذب حب هذه الحضارة حتى المسيحيين ومنهم من تنلس الاحقاد والمبادئ وما انقضت ثلاثون سنة على الفتح حتى اصبح الناس يفسحون الكتب اللاتينية بحروف عربية كما كان يفعل

اليهود بخطوطاتهم العبرية وما مضى نصف قرن الا وقد دعت الحال الى ترجمة التوراة والقوانين الكنائسية الى اللغة العربية ليتمكن رجال الدين انفسهم من فهمها

ولقد اتخذ المسيحيون اللغة العربية ترجماً لهمواطفهم وقلوبهم حتى شكوا الفاروق القرطبي صديق الشهيد الوجيه كمال دوزي في كتابه تاريخ المسلمين في اسبانيا من ان المسيحيين في الاندلس قد انطوا في حبهم للعربية حتى صاروا يحبون تلاوة قصائد العرب وقصصهم ويدرسون كتب علماء الاسلام وفلاسفتهم لا يريدوا عليها بل ليحلوا بها منقطعهم . قال وكيف السبيل الى ايجاد رجل من العامة يقرأ التفاسير اللاتينية على الكتب المقدسة ومن منهم يتدارس الانجيل والانبيا والرسل ومن الاسف ان جميع صفار المسيحيين الذين اشتهروا بقراءتهم لا يعرفون غير العربية وآدابها فهم يقرؤون الاسفار العربية ويتدارسونها بنشاط لا مزيد عليه ويقنعونها بالاثبات العالية يؤلفون بها خزائن نفيسة ويذكرون في كل مكان ان آداب العربية مما يعجب به واذا حدثتهم بالكتب المسيحية يجيبونك بازدياد ان هذه الكتب غير حرة بالفاتح . واي الماعظم من ان ينسى المسيحيون حتى لغتهم ولا تجد في الف واحد منهم من يستطيع ان يكتب كتاباً مناسباً باللغة اللاتينية الى صديق له وانت اذا كلفت احدهم ان يكتب بالعربية تجد جمهوراً يعبرون عن افكارهم بهذه اللغة على صورة بدئية وقد ينظمون من الشعر العربي ما يفوق بما فيه من الصنعة شعر العرب انفسهم

والوم في قصور الاسبانيين عن شأو العرب ان الحضارة الاسبانية اللاتينية قد نصب معيها وذهبت نضارتها على حين كانت الحضارة العربية على اشد نفوذها على عهد خلفاء بني أمية في الاندلس ولا سيما زمن عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم الثاني وفي ايامهما كان الاويون في ايبان عزم .

فكان في قرطبة وسكانها نصف مليون نسمة ثلثمائة مسجد جامع واحواض ماء وحدائق وفيها الاسكاف المزروعة المفروسة والحداثق الانيقة وعلى نحو فرسخ من قرطبة قصر الملك الزهراء ودائرة الحرم منها تسع ثمانية آلاف امرأة فكانت قرطبة تنازع بغداد الاولى بهيجتها ونضارتها

وقد عرف عبد الرحمن الثالث اذكى ملوك عهده جنائلاً وأكثرهم استنارة واغنام

وكان في خزانته عشرون مليون ذهب (كذا) - بصفاته المتساهل في اجاباب الشراء، ارباب الموسيقى ومشاهير العلماء يقتدي في ذلك باسلافه عامة - وان المتوسطين من هؤلاء الخلفاء يلدرون النفقات الطائلة على اناس لم في الاسكندرية والقاهرة ودمشق وبغداد وكل الهم ان يوقفوه على الحركة العقلية فيعثون اليه بام المصنفات واجمل الآثار - مثال ذلك ان امبراطور القسطنطينية لم يراحم من ان يهدي مصفاً بديعاً من ديوز كوريد مكتوباً بالذهب وقد حملة مع راهب عهد اليه بتعريبه للملك استجلاً بالرضاه فاق الحكم الثاني اياه بولعه بالآداب والكتب النادرة فكان يغص قصره بالسخاخ والمجلدين والنقاشين وبلغت فهرست كتبه بحسب رواية معاصريه اربعة واربعين جزءاً وكل جزء عشرون صفحة وقال آخرون ان في كل جزء خمسين صفحة - ولم يكن فيها غير اسم الكتاب ووصفه - وقد قرأ الحكم هذه المصنفات وشرحها وحشاها وعلق عليها تعليقات تدل على طول بابه في تاريخ الادب العربي - وبذل لابي الفرج الاصفهاني من علماء العراق خمسة آلاف دينار ليغص الاندلس بتأليفه وهو عبارة عن دائرة معارف حوت اخبار الشراء والمفنين - وكان العلماء من اسبانيا وغيرها ينهلون على قصره فيحسن فيه لقاءهم ويفرق عليهم الاحسان واشتهرت كلية قرطبة في العالم بلسره وان لم تكن معروفة بانها مهد رسمي للطفاء اكثر من جميع الكليات العربية - وكان عبدالرحمن الثالث والحكم الثاني يحميان العلماء فيها من تعصب المنتظمين في العبادة - فأتى الجامع الاعظم الوف من الاندلسيين والاجانب من كل البلاد لاشتهاره بانه معهد علمي وذلك من مدينة الاسنائة الى جرمانيا حيث كان هروستا يحج بقرطبة وهو في ديوره - وفي ذاك الجامع كان ابو بكر بن معاوية القرشي يقرئ الحديث النبوي وابو علي القالي البغدادي يلى اماليه المشهورة الغنية بالثكالت اللغوية والشعرية المأثورة عن العرب القدماء وابن قوطية اعلم نحوي في عصره يدرس النحو

ورأى الحكم قبيل وفاته ان من الصعب على من بعده نشر المعارف بين الفقراء فأنشأ في قرطبة سبعة وعشرين مدرسة يتفق على مدرسيها من ماله - ولئن كانت هذه المدارس الصغرى كالكليات لا تنطبق على ما نريده منها اليوم فكانت المدارس الابتدائية لتعليم القراءة وتفسير بعض آيات من القرآن ومع هذا كانت تشهد بما فطر عليه رعاياه من حب المعارف والتعلم

وان ذهب الخلافة من الاندلس سنة ١٠٣١ م وتقامها بين ملوك الطوائف سواء

كانوا من اشراف الأسر العربية او حذاق البربر لم يقف عثرة في سبيل هذه الحية بل كانت شأن عامة ملوك الطوائف. شأن أولئك الامراء في ايطاليا على زمن النهضة يحاولون ان يبرروا مظالمهم بحمايتهم للعلماء ولاسيما للشرقاء الذين كانت امدادهم واهل بيوتهم عند العرب ذات شأن كبير حتى كان اعظم الخلفاء في بغداد وبمشق يحاول ان يسلمهم لئلا يسلوهم ويحسن اليهم ليمدحوه .

وتقدمت اشبيلية في تلك القصور الخالصة المتحصنة فكان المعتضد ابن عبد الله القاضي ابي انقسام محمد مؤسس الدولة العبادية من الامراء الظالمين المتهاككين يمدح الورد في جرح أعدائه انكثار ويسرح طرفه بالنظر الى هذه الحديقة ويدمن الخمر ولكنه ينظم انقول الرقيق ونعم الادباء وظل ابنه المعتد المحبوب الذي هلك في غارة المرابطين احد المشاهير ينظم الاغاني في الادب الاسباني العربي وقد اعطى من اجل يشين فدين لعبد الجلال الف دينار . وكان ابن عمار رفيق صباه وحاجبه زمناً شاعراً ايضاً وسلاوي مولاه بركة الشعر ورشاقته وكانت رومايكا السلطنة المحبوبة التي استولت طول حياتها على عقل المعتد وقلبه مشهورة يديتها وهكذا كانت غاية هؤلاء المفتونين الطرفاء من الحياة ان يدمسوا ويترفعوا ولو لم يضيفوا اليها محبة الآداب والصنائع الفكرية لكانت حقيرة ومريرة .

وقد ناست مملكة المرية على صفرها مملكة اشبيلية وكان ابن عباس الوزير الجبار زهير ( ١٠٢٨ - ١٠٣٨ ) يفاخر ببيانه المبرأ من العيوب وما اقتناه في خزائنه كتهبه التي تبلغ اربعة الاف مجلد اكثر من مفاخرته بفناء العظيم بالنسبة لعصره . ذكر المنتصم الذي طرده المرابطون كما طردوا اعتمد بانه احسن الملوك العلماء واعلم سيف بلاد الاندلس فكان سخاؤه على الشرعاء متناهياً حتى وهب ابن شرف قروية بزمته ليت من الشعر قاله . وكانت قطعة من الشعر او قصيدة من المديح الرقيق تخطر على ناظمها المعطاياء وهو يرغب في سماع الاهاجي ولاسيما اذا دلت على صناعة وخت من ربه بالبحر ولذا كان الادباء يهرعون الى قصره يمدحونه ويرمونه بمطالبتهم التي لا تطاق تخف اليه في المرية ذاتها من الشرعاء يتبعهم اتاس دجروا اليه من البلاد الاخرى ومن جللتهم ابو الوليد النحلي الذي اغدق عليه المنتصم عطاياء فضحك منه ولكن المنتصم عفا عنه لا بالخط من قدره بل انه اتبع المعفو بالاحسان والاندام . ومثله ابن شرف وابن اخت غانم من مالقة وهو ابن اخت القوي المشهور غانم غرناطة وابن الحداد من قادش الذي اشتهر بانه اعظم شاعر اندلسي

وكان في الاندلس مثل ابي عبيد البكري ابن احد ملوك الطوائف وهو اعظم جغرافي عربي في اسبانيا وكان له ايضا حظ وافر من الشعر وله صدقة اكيذة مع المعتصم وكان هذا اوج جميع أمرته يتعاطون الشعر ولا سيما ما كان منه في الغزليات والخرجات وما زال غزل ابنه وابنته ام الكرام معروفًا الى اليوم عند كل من اخلعوا على الآداب العربية .

رمخت قواعد الحضارة العربية منذ القرن الحادي عشر الى القرن الثالث عشر وبرزت العقول على ما كان من القوضى السياسية في جميع اسبانيا الجنوبية بحيث تؤثر تأثيراً شديداً حتى تلى اعدائها اللدء اي الامراء النصارى في شمالي اسبانيا . فنشر هنا استعمال اللغة العربية بكثرة حركة فرسان ليون واراغون الذين كانوا يذهبون للغزو مع المسلمين . وما كان يراء ملوك نافار وغاليسيا وليون واراغون من ضرورة الاتحاد مع جيرانهم في الجنوب ( العرب ) فكانوا يؤدون اليهم الجزية على عهد خلفاء الاندلس وغدا العرب على عهد الفونس السادس ملك غاليسيا وقشتالة وليون ونافار بعض اقطاعاته فكان في قصر الفونس السادس ملك اهل الديزين كما كانوا يسمونه اناس من المدققين في اللغة المطلعين كل الاطلاع على دقائق اللسان العربي بحيث تسهل عليهم مكتبة امراء الطوائف من المسلمين فقد كان السيد كبادور يجيد التكلم بالعربية لا فرق بينه في العقل والاخلاق وبين مسلمي بلاتية . ولما دخل الفونس السادس الى خليطة سنة ١٠٨٥ وكانت هذه المدينة عاصمة الوزغوت القديمة قوي نفوذه من وراء الغاية باستيلائه عليها ولم يأت عملاً يضر بشهرتها بالعلوم الاسلامية وفيه عهد تعهده في هذا الشأن وكان تقص المهد من المألونات في عصره لان المسيحيين في الشمال ما زالوا متوحشين ينفعون من الاحتكاك بالعمر العربي انهم في اخلاقه اراقبي بعقله وسار خلفاؤه على قدمه . فاول مدرسة أنشئت في خليطة اوائل القرن الحادي عشر هي عربية اشتهر امرها على عهد ملوك قشتالة اي زمن ابي عبدالله محمد بن عيسى المغامي واحمد بن عبد الرحمن بن المطور الانتصاري وغيرها من الاساتذة ومن هذه المدرسة نشأت تربية الاسبانيين على مناهج العرب . وفي سنة ١١٣٠ انشأ ريمون رئيس اساقفة خليطة في هذه المدينة مدرسة للتراجمة وبها رمخت اللغة العربية والافكار العربية فيها . (البحث حلة)





## تاريخ الافر والملوك

هو اوسع تاريخ عربي اشتهر الايام لصاحبه ابي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة عشر وثلاثمائة قال ابن خلكان سيف ترجمته هو صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان اماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله وكان من الائمة المجتهدين لم يقلد احداً ٠٠٠ وكان ثقة في نقله وتاريخه اصح التواريخ واثبتها

هذه خلاصة حال هذا العلامة الكبير وقد اصابه ما اصاب كبار العلماء في الاسلام من الخط من شأنه وايدائه قال ابن الاثير وفي هذه السنة (٣١٠) توفي محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ بينداد ومولده سنة اربع وعشرين ومائتين ودفن ليلاً بداره لان العامة اجتمعت ومنعت من دئنه نهراً وادعوا عليه الرض ثم ادعوا عليه الاحاد وكان علي بن عيسى يقول والله لو سئل هؤلاء عن معنى الرض والاحاد ما عرفوه ولا فهموه هكذا ذكره ابن مسكويه صاحب تجارب الامم وحاشا ذلك الامام عن مثل هذه الاشياء واما ما ذكره من تعصب العامة فليس الامر كذلك وانما بعض الخنابلة تعدوا عليه ووقعوا فيه تبهيم غيرهم وتلك سبب وهو ان الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يعنف مثله ولم يذكر فيه احمد بن حنبل فتيل له في ذلك فقال لم يكن نقيماً وانما كان محدثاً ناشئاً ذلك على الخنابلة وكانوا لا يحصون كثرة يبغداد فشبوا عليه وقالوا ما ارادوا

حسدوا انفق اذ لم ينالوا سعيه فالتاس اعداء له وخصوم  
كصراثر الحسنة قلن لوجبه حسداً وبغضاً انه لديم

وقال الامام ابو بكر الخطيب كان الطبري احد ائمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرنثه وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه احد من اهل عصره فكان حائظاً لكثاب الله عارفاً بالقرآن بصيراً بالمداني تقيماً في احكام القرآن عالماً بالسنة وطرقيها صحيحها وسقيمها نامحياً ومنسوخها عارفاً باقاريل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الاحكام ومسائل الحلال والحرام خبيراً بايام الناس واخبارهم وله الكتتاب المشهور في تاريخ

الام والملوك والكتاب الذي في التفسير لم يصنف مثله وله في اصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واخبار من اقليل الفقهاء وتقرء بمئات حفظت عنه وقال ابن خزيمة حين طالع كتاب التفسير للطبري ما اعلم على اديم الارض اعلم من ابي جعفر ولقد علمته الحنابلة وقال ابو محمد عبد الله بن احمد القرطبي بعد ان ذكر تصانيفه وكان ابو جعفر ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يعدل في عمله وتبينه عن حق يؤوله لربه وللمسلمين الى باطل لرغبة ولا رغبة مع عظيم ما كان يلحقه من الاذى والشاغل من جاهل وحاسد ومهدد واما اهل الدين والورع فغير منكرين عمله ونضله وزهده وتركه الدنيا مع اقبالها عليه وقناعته بما كان يريد عليه من قرية خلقها له ابوه بطبرستان بسيرة

يعدهذا التاريخ من المطولات بل هو اطول واجمع تاريخ للقرون الاولى الثلاثة وقد كان مؤلفه يريد ان يوسع فيه اكثر مما توسع - في عرض على تلاميذه قبل الشروع في تأليفه انه يريد ان يملئ عليهم تاريخاً فقالوا له كم يكون حجمه فقال ثلاثون الف ورقة فقالوا تقضى الاعمار ولا يستوفى مطالعة فقال - حسي الله ماتت المهم واملاه في ثلاثة آلاف ورقة كما انتهى البناء

بلغاه تاريخ ابن جرير مأخذاً للمؤرخين وذاللي التوسع في الوقوف على احوال القرون الراقية في الامم وقد كبر حجمه بالاسانيد والروايات على طريقة المحدثين الا ان الحوادث باقية من خلال سطوره تنال بادنى نظر - مثال ذلك ما رواه في الجزء الاول من الكلام على خلق العالم نقلاً عن الاسرائيليات فانه بعد ان نقل الموضوعات كلها قال ان مع ما روي عن رسول الله (ص) بمبحث يوم المظالم قبل ان يصل الى هذا الكلام ان ما اورده وعني به هو الحقيقة التي لا شائبة فيها

وتاريخ ابن جرير مرتب على السنين مثل تاريخ الكامل لابن الاثير وتاريخ بي الفداء والمسعودي وغيرهم ومن تطويعه في سرد الكوائن يستفيد المطلاع اشياء كثيرة فينتفع الكاتب من حسن العبارة وجودة سبكها ويقف على تعابير فضيحة قد لا يعرفها وليست مألفة لهذا العهد والشاعر يتعلم ضرورياً من الشعر والمقاطيع على اختلاف العصور خصوصاً والشعر كله مشكول كما شكلت الآيات القرآنية والكلمات التي ربما تلتبس بل يستفيد الجندي كيفية تهيئة الجيوش في تلك الاعصر ويتعلم المكاييد والباحث في الاجتماع يقع على فوائد مهمة

وفي هذا الكتاب قصائد نظمت على البسطة لشعراء مشهورين وغيرهم ومطالبت  
 قبلت في المناسبة واشتدت بدواع خاصة وفيه رسائل الخلقاء لعالم ورسائل العالـ  
 خلقائهم ومعظمها في الغاية المجازاً وبياناً ينسج متعل آليان والمطالبت والشعر على مدواها  
 وفيه من الحوادث كقتل الحسين وشيخته مثلاً ما لو جرد لكان قصصاً تاريخية حساسة  
 فمن ذلك كلام جليان بن غليان احد زعماء الخوارج قاله لاصحابه : انه والله ما بقي على  
 الفهر باق وما تلبث الليالي والايام والسنون والشجور على ابن آدم حتى تذهب الموت  
 فيفارق الاخوان الصالحين ويدع الدنيا التي لا يبكي عليها الا العجزة ولم تزل ضارة لمن  
 كانت له حماً وشجناً فانصرفوا بنا رحمكم الله الى مصرنا فلما ات اخواننا فلندعهم الى الاسر  
 بالمعروف والنهي عن المنكر والى جهاد الاشراب فانه لا عذر لنا في القعود وولانا طلبة  
 وسنة الهدى متروكة وثارنا الذين قتلوا اخواننا في المجالس آمنون فان يظفروا الله بهم  
 نعمد بمد الى التي هي احدى وارضى واقوم ويشفي الله بذلك صدور قوم مؤمنين وان  
 تقتل فان في مفارقة الظالمين راحة لنا ولنا باسلامنا أسوة

وقال زياد لما استعمله معاوية على البصرة وخراسان ومجستان والهند والبحرين وعمان  
 فقدم البصرة سنة ٦٥ والسبق بالبصرة ظاهر فاش غطب خطبة بترأ لم يحمد الله فيها  
 وقيل بل حمد الله فقال: الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله المزيد من نعمه اللهم كما  
 رزقتنا نعماً فالهمنا شكراً على نعمتك علينا اما بعد فلن الجهاد الجهاد والصلالة العمياء  
 والفجر الموقد لاهل النار الباقي عليهم سعيها ما يأتي سقلاؤكم وبشتمل عليه حكماءكم من  
 الامور العظام يثبت فيها الصغير ولا يغطي منها الكبير كانت لم تسمعوا بأبي الله ولم  
 تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعقاب  
 الالام لاهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول اتكونون كن طرفت جنبه الدنيا  
 وسدت مسامحه السموات واختار القانية على الباقية ولا تذكرون انكم احدتم في الاسلام  
 الحدث الذي لم تسبقوا به من ترككم هذه المواخير القصيرة والضعيفة المسلوقة في النهار  
 المبصر والعدم غير قليل لم تكن منكم نهاية تمنم القنوة عن دمج الليل وغارة النهار قربتم  
 القرابة وباعدتم الدين تمتدرون بشير العذر وتفتنون على المختلس كل امرئ به متمكذب  
 عن سفيهه صنيع من لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً ما انتم بالحكماء ولتعد انتم السقاء  
 ولم يزل بهم ما تروون من قيلمكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم اطرقوا وراءكم  
 كدوساً في مكانس الرب حرم على الطعام والشراب أسويعا بارض هبما واحراقا اني

رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح اوله لمن في غير ضعف وشدة في غير جبرية وعنف  
 واني اقسم بالله لا اخذن الرلي بالولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والعصيح منكم بالسقيم  
 حتى يلتقي الرجل منكم اخاه فيقول اني سعد فقد هلك سعيد او تسقيمي في قناتكم ان  
 كذبة المنبر تبقى مشرورة فاذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من بيت منكم فانا  
 ضامن لما ذهب له اباي ودخل الليل فاني لا اوتي بمدح الا سفكت دمه وقد اجلتكم في  
 ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع الي واياي ودعوى الجاهلية فاني لا اجد احدا  
 دعابها الا اخطمت لسانه وقد احدثتم احداثا لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن  
 غرق قوما غرقته ومن حرق على قوم حرقاه ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ومن نبش  
 قبزا دفنته حيا فكفوا عني ايديكم والسنتكم اكشف يدي واذاي لا يظهر من احد منكم  
 خلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت يتي وبين اقوام احن فجعلت ذلك  
 دبر اذني ونحت قديمي فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان مسيئا فليزج عن  
 اسائه اني لو علمت ان احداكم قد قتله السل من بغضي لم اكشف له قناعا ولم اهلك له  
 ستر حتى ييدي لي صفحته فاذا فعل لم اناشره فاستأنفوا اموركم واعتنوا على انفسكم قرب  
 مبثس بقومنا يسر ومسرور بقومنا سيئس . ايها الناس انا اصحبا ساسة وعنكم  
 ذادة نسوكم بسلطان الله الذي اعطانا وتذود عنكم بفي الله الذي خولنا فلنا حليم السمع  
 والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بتمامكم واعطوا اني  
 مهما قصرت عنه فاني لا اقصر عن ثلث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو اتاني  
 طارق بليل ولا حابس رزقا ولا عطاء عن ابائه ولا مجرا لكم بقتا فادعوا الله بالصلاح  
 لا تئتمكن فانهم سائسكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي اليه تاوون ومق تصلحوا يصلحوا ولا  
 تشربوا فلوكم بغضهم فيشد لذلك غيظكم ويطول له حزركم ولا تدرکوا حاجتكم مع انه  
 لو استغيب لكم كان شرا لكم اسأل الله ان يعين كلامي على كل واذا رايتوني أنفذ فيكم  
 الامر فافتدوه على اذلاله وأيم الله ان لي فيكم لصري كثيرة فليحذر كل امرئ منكم  
 ان يكون من صرطاي اه

تملت هذه الخطبة على طولها لانها مرآة ذاك الزمان وعلامة على استحكام ازمة  
 الاحكام في رقاب الامة ولأن فيها من الشدة واللين والتفنن في اساليب التأثير ما  
 لا يستغنى قول مثله اليوم الا لانس من رجال الغرب ممن مروا على الخطابة ودربوا عليها  
 فكانت ملكة البيان فيهم طبيعية هذا فضلا عما حوت من البلاغة والفصاحة . وزياد هو

الذي وطد الملك لمعاوية ويزيد وقتل الحسين واشتد في استئصال شأفته وكان يقول  
لوضاع حول بني وبين خراسان غلت من اخذه وكتب خمسمائة من مشيخة اهل البصرة  
في صحابته فرزهم ما بين الثلاثة الى الخمسمائة فقال فيه حارثة بن بدر الغدافي

ألا من مبلغ عني زياداً      فنعم اخو الخليفة والامير  
فانت امام معدلة وقصد      وحزم حين يحضرك الامور  
اخوك خليفة الله ابن حرب      وانت وزيره نعم الوزير  
تصيب على الهوى منه وبأقبي      محبك ما يحسن لنا الفهمير  
باسم الله منصور معان      اذا جار الرعية لا تجور  
يدرك على يدك لما ارادوا      من الدنيا لم حلب غزير  
ونقسم بالسواء فلا غني      لنضم يشتكك ولا فقير  
وكننت حياً وجئت على زمان      حيث ظاهر فيه شرور  
نقاسمت الرجال به هواها      فما تخفي ضفائنها الصدور  
وخاف الحاضرون وكل باذر      يقيم على المخافة او يسير  
فلما قام سيف الله فيهم      زياد قام ابلج مستير  
قوي لامن الحداث غر      ولا جزع ولا فاف كبير

وبما ورد فيه من الشعر وهو ما نوره مثلاً ما قالته هندابنة زيد بن مغرمة الانصارية  
وكانت تشيع ترثي حمز بن عدي من زعماء الشيعة وقد قتله معاوية بواسطة عامله زياد

ترفع ايها القصر المنير      تبصر هل ترى حمزاً يسير  
يسير الى معاوية بن حرب      ليقتله كما زعم الامير  
تجبرت الجبابر بمد حمز      وطالب لما الخورق والسدير  
واصبحت البلاد لما محولاً      كأن لم يحيمها من مطير  
الا يا حمز حمز بني عدي      تلتفتك السلامة والسرور  
اجاف عليك ما اردي عدياً      وشيخاً في دمشق له زئير  
يرى قتل الغيار عليه حقاً      له من شر امته وزير  
الا يا ليت حمزاً مات موتاً      ولم يفر كما فر البعير

فان يهلك بكل زعم قوم من الدنيا الى هلك يصير  
ومن خطب الحسين خطبة خطبها اصحابه لما احيط به وقام اصحابه يدعونه للمطالبة  
بجده قال : ايها الناس ان رسول الله ( ص ) قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم  
الله فاكثراً لمهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ( ص ) يعمل في عباد الله بالاثم والبدوان فلم  
يسير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله ان يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد أروا  
طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالقي  
وأطروا حرام الله وحرموا جلاله وأنا احق من غير وقد انتهي كتبكم وقدمت علي رسلكم  
يحبكم انكم لا تسلموني ولا تحذوني فان تمتمت على يمتكم تصيبوا رشدكم فانا الحسين  
ابن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ( ص ) نفسي مع انفسكم واهلي مع اهلكم فلكم في  
اسرة وان لم تفعلوا او نقضتم عهدكم وخطمت يعني من اعناقكم فلم يري ما عهد لكم بنكر لقد  
فعلتموها باي واخي وابن عمي سلم والمفرد من اغتربكم لخطبكم اخطأتكم ونصيبكم منعم  
ومن نكث فانا ينكث على نفسه ويسخي الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
ومن جملة فوائده ما ذكره في حوادث سنة ٧١ ان عبد الملك بن مروان لما قتل  
مصعبا ودخل الكوفة امر بطعام كثير فصنع وامر به الى الخورنق وأذن إذنا عاما فدخل  
الناس فاجذوا مجالسهم فدخل عمرو بن حريث الخزوي فقال الي وعلى سريري فاجلسه  
معه ثم قال اي طعام اكلت احب اليك واشهى عندك قال عناق حمراء قد أجيد  
تمليها وأحكم نفعها قال بما جنت شيئا فأين انت من عمرو بن راضع قد أجيد سمطه  
وأحكم نفعه اختلجت اليك رجله فاتبعها يده غذي بشريجين من لبن وسمن ثم جاءت  
الموائد فاكلوا فقاتل عبد الملك بن مروان ما الله عشنا لو ان شيئا يدوم ولكننا كما  
قال الاول

وكل جديد يا أميم الى بلى وكل امري يوما يصير الى كان  
فلا فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمرو بن حريث من هذا  
البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يجيب فقال عبد الملك  
وكل جديد يا أميم الى بلى وكل امري يوما يصير الى كان  
ثم اتى مجلسه فاستلقى وقال

إعمل على مهل فانك ميت  
فكان ما قد كان لم يك ادنفي  
وأكدح لنفسك ايها الانسان  
وكأن ما هو كان قد كان

ومن فوائده سأل المهدي يوماً كاتبه ابا عبيد الله بن زياد بن ابي ليلى عن اشعار  
العرب فصنعتها له فقال احكمها قول طرفة بن العبد

ارے قبر غمام بجبل ماله      كعبز غوي في البطالة مفسد  
ترى جثوتين من تراب عليهما      صفايح صم من صفيح مصد  
ارى الموت يهنا الكرام ويهطلي      عقيلة مالي القاحش المتشد  
ارى انبيس كنزاً ناقصاً كل ليلة      وما تنقص الايام والهرم ينفد  
لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتي      لكما امول المرخي وثيابه باليد  
وقوله

وقد ارانا كلانا مً صاحبه      لوان شيئاً اذا ما فاتنا وجعا  
وكان شيء في شيء نفرقه      دهر يكر على تفريق ما جمعا  
وقول لييب

الا تسألان المرء ماذا يحاول      انصب ليقضي ام خلال وباطل  
الاكل شيء ما خلا الله باطل      وكل نعم لا محالة زائل  
ارى الناس لا يدرونه تقدرا مرم      بلى كل ذي رأي الى الله واصل  
وكقول النابغة الجعدي

وقد طال عهدي بالشباب واهله      ولاقيت زوعات تشيب النواصي  
فلم اجد الا - وان الا مصابة      ولم اجد الاهلين الا مثاوي  
الم تعلمي ان قدر زنت محاربا      فمالك من اليوم شيئاً ولا ليا  
وكقول هذبة بن خشرم

ولست بمفراح اذا الدهر سرعني      ولا جازع من صرفه المتقلب  
ولا اتخي الشر والشر تاركي      ولكن مني احمل على الشر اركب  
وما يعرف الاقوام للدهر حقه      وما الدهر مما يكره من محب  
والدهر في اهل الفتي وتلاذه      نصيب كثر الجازر القشعب

وكقول زيادة بن زيد ومثل به عبد الملك بن مروان  
تذكر عن ثعلبة ابيهم فارعوى

وان امرأ قد جرب الدهر لم يفت      فكل من عجز به الدهر لم يفت

فانما يعلم الدهر والايام الاكلية شرعيبه      فوفاة الحيات في فرائق جعيبه

وكل الذي يأتي فأنت نسيبه      ولست لشيء ذاهب بنسيب  
 وليس بيده ما يجي كقبيل      ولا ما مضى من مفرح بقريب  
 وكقول ابن مقبل  
 لما رأيت بدل الشباب بكت له      والشيب ارذل هذه الأبدال  
 والناس مهم الحياة ولا ارى      طول الحياة يزيد غير خبال  
 واذا انتفرت الى النخار لم تجد      ذخراً يكون كصالح الاعمال

كتب سفيان بن ابي العالمة احد قواد الحجاج وكان يث به لقتل بعض اعدائه :  
 اما بعد فاني اخبر الامير صلحه الله اني اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بمخاضتين فقتلتهم  
 فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم فبينما نحن كذلك اذ اتاهم قوم كانوا ذيباً عنهم فحملوا  
 على الناس فهزموهم فنزلت في رجال من اهل الدين والصبر فقاتلتهم حتى ضررت بمن  
 القتل فحملت مرثناً فأنتي بي بابل مهروذ فها انا بها والجند الذين وجههم الي الامير  
 وافوا الاسورة بن أبجر فانه لم يأتي ولم يشهد معي حتى اذا ما نزلت بابل مهروذ اتاني  
 يقول ما لا اعرف ويعتذر بشير العذر والسلام فلما قرأ الحجاج الكتاب قال من صنع  
 كما صنع هذا وابلى كما ابلى فقد احسن ثم كتب اليه : اما بعد فقد احسنت البلاد  
 وقضيت لذي عليك فاذا خف عنك الوجع فأقبل مأجوراً الى اهلك والسلام وككتب  
 الى سورة بن ابجر : اما بعد فيا ابن ام سورة ما كنت خليقاً ان تجتري علي ترك عهدي  
 وغذلان جدي فاذا اتاك كتابي فابش رجلاً بمن معك صلياً الى الخيل التي بالمدان  
 فليخف منهم خمس مائة رجل ثم يقدم بهم عليك ثم مرهم حتى تلق هذه المارقة  
 واحزم في امرك وكد عدوك فان افضل امر الحرب حسن المكيدة والسلام

ومع ان الحجاج معروف بالشدة فاقراً ما يلي تعرف انه للشدة تارة وللين اخرى :  
 كتب اليه شبيب احد قواده : اما بعد فاني اخبر الامير صلحه الله اني خرجت فبين قبلي من  
 الجند الذي وجهني فيه الى عدوه وقد كنت حفظت عهد الامير الي ورايه فيهم فكنت  
 اخرج اليهم اذا رأيت الفرصة واحبس الناس عنهم اذا خشيت الورطة فلم ازل كذلك  
 ولقد ارادني العدو بكل ارادة فلم يصب مني غرة حتى قدم علي سعيد بن مجالد رحمة  
 الله عليه ولقد امرته بالعودة ونهيتهم عن الجملة وامرته ان لا يقاتلهم الا في جماعة الناس  
 عامة فصاني وقيل اليهم سيف الخيل فلبدت عليه اهل المصريين اني بري من رأيه  
 الذي رأى واني لا اهوى ما صنع ففصيب فاصيب تجاوز الله عنه ودفع الناس اليه فنزلت



ودعوتهم اليّ ورفضت لم رايي وقالت حتى سرعت لمجلي اصحابي من بين القتل فما  
 اقتت الا وانا على ايديهم على رأس ميل من المعركة فلما اليوم بالمدائن في جراحة قيد  
 يموت الرجل من دونها ويأتي من مثلها فيمثل الامير اسلمه الله عن نصيحتي له ولجنده  
 وعن مكايدي عدوه وعن موقي يوم اليأس فانه يتبين له عن ذلك اني قد صدقته  
 ونصحت له والسلام . فكتب اليه الحجاج لما بعد قد اتاني كتابك وقرأته وفهمت  
 كل ما ذكرت فيه من امر بعيد وعجلته الي عدوه قد رغبته بعجله وتوءدتك فلما  
 عجلته نثتها فثبت به الى الجنة ولما توءدتك فانها لم تدع القرصة اذ امكنت وترك  
 القرصة اذا لم تمكن حزم وقد اجهت واحسنت البلاء وأجرت وانت عهدي من اهل  
 السمع وانظنته بالنصيحة وقد انصحت اليك حيناً " بن ابي داود ويك ويالج جراحك  
 ويشت اليك بالتي درم فانفقها في حاجتك وما يدوبك والسلام  
 هذه نموذجت من فوائد الكتاب المتع ولو اتبع المقام لاقتضاه اكثر مما اقتضا  
 فان استيعاب الكلام على اثني عشر مجلداً لا يتأتى في بضعة صفحات



## مطبوعات ومخطوطات

### الاشتقاق والتعريب

تأليف عبد القادر افندي المغربي

طبع بمطبعة الملل بمصر سنة ١٩٠٩ من ١٤٦

صاحب هذه الرسالة من بلده الكتاب ومصنفه هذا يبحث فيا يمرض لغة العربية  
 من ثنائيات كلماتها بواسطتي الاشتقاق والتعريب وان هذا الاخير طينتي في لغتنا  
 وفي غيرها من اللغات وان استعمال المغرب لا يهبط من قدر فصاحة الكلام . وقد  
 افاض في الاشتقاق والقلب والابدال والنحت وشروط التعريب ومميزات السنة  
 والكلام بالمولد والحديث افاضة اتى فيها بعض الشواهد على مقصده . فنتي عليه التناء  
 الطيب لنتايت بهذا الموضوع وباليته رجع الى ما قاله الباحثون في هذا الفن واستشهد

(١) حيان بن ابي داود الكنتاني من بني فراس وهم بالمجرون الكي وغيره

تأيداً لقوله بكلام البلاشين ولاسيما علماء المشرقيات الذين بحسب الحسن بحث في أصول اللغات  
لاسيما السامية فيها

### تاريخ النصرية

للميورنى دوسو

هو المستشرق الفرنسي العالم صاحب كتاب لغة الصفا وغيره من المصنفات المفيدة وله جلد  
على التأليف وأكثر ما يكتب يتعلق ببلاد الشام وسكانها قداماتهم ومحدثيهم . وقد  
كتب كتاباً في تاريخ النصرية وديانتهم فظهر له بعد التحقيق أنهم شيعة اسلامية فساء  
قوله به عنهم فرد عليه بان اصلهم مسيحيون وهذه كانت بين الفريقين نقطة اختلاف  
وصف دوسو بلاد النصرية وهي جبلية يحيط بها من الجنوب نهر الكبير ومن الشرق  
والشمال نهر العاصي ومن الغرب السهل وجبل النصرية يمتد من نهر الكبير الى حوالى  
م.يون والزاوية التي تهبط بين نهر الكبير من الشمال والعامي يطلق عليها اسم جبل  
الأكرد والنصرية ضاربون ايضاً في انطاكية حيث اشتهروا بصناعاتهم وسعة عيشهم .  
وبين سكان الجبال والسهل من التناقض ما يدهش . ذلك ان قلة فائدة العمل في  
المخاضات الجبلية اورثت النصري الكسل والجبل فعلش من خلة وقية ومن السلب  
والتهب على حين غدا في انطاكية ملاكا وتاجراً مستعداً لانواع الصنائع ودلى شيء  
من الفنى وفتح له في مرسين وطرسوس واذنة اعمالاً رابحة ناجحة . وفي بلاد النصرية  
بعض قرى الارمن حوالى القدس وفي جبل النصرية ايضاً بقايا الاستعمارية القديمة  
النازليين اليوم في مصبات وقسموس وماوالا

وم يكتسمون نفوسهم فراراً من الجندية ولذلك لا ثقة بالاحصاء نعددهم مائة  
وثلاثون الفا في سورية ويبلغ عددهم اذا اضيف اليه النازلون في تلك المدن مائة  
وخمسين الفا وهم قلائل اذا نسبوا الى البلاد التي يشغلونها وهي اوسع مجالاً من سائر  
ما يشغله الشيخ والشعوب الراحلة في سورية . وفي رأي المؤلف ان عددهم ايام ارتفعتهم  
كان عشرة اضعافه اليوم . قال وهم بادية قاثمون على الفلح والحراث وقلما يسكنون المدن  
دع عنك انطاكية وجسر الشخور واللاذقية

قال وخبط الناس في اصل النصرية حتى ادعى بعضهم انهم اخلاط من الوطنيين  
اخذوا مع الفرنجة في القرن الثاني عشر والثالث عشر فزعموا ان نصيري اصله من

نصراني وهو اسم تصغير . وهذا رأي رنان وقد رده المسودوسو بالبرهان القاطع قائلاً  
ان الرأي الشائع اليوم في الاندية العلية ان اسم النصيرية اتي من محمد بن نصير ويقول  
ستانيسلاس كويارد المؤلف المشهور ان الديانة النصيرية نشأت كالاسماعيلية في اواخر  
القرن التاسع على يد الامام الحادي عشر من الشيعة حسن العسكري وكان مقبلاً في  
سامرا بالقرب من بغداد . فالديانة النصيرية كان لها اذاً اصل مشابه لديانة الاسماعيلية  
فدعا وجه الشبه بين الفرقتين الى ان اخطأ اهل التأليف المسلمين بجزمهم ان الديانتين  
محدثتان جوهرأً وغرضاً مع ان بينهما احياناً ومساكنات

وقصارى القول فقد فصل المؤلف احوال هذه الطائفة تفضيلاً شافياً كشفوا بها قول  
العلماء من مسلمين وافرغ فذكر فيه اسم مائة وخمسة عشر مؤلفاً ومصدر أذكرت النصيرية  
فاستقى المؤلف من بواردها ثم اتبعه بفصل في مسكنهم واصلهم ومنشأهم منذ المهد  
الروماني الى ايلنا ثم اشجع الكلام على عاداتهم واخلاقهم . هكذا علماء الغرب يعنون في  
بلادنا فإين هم منا وابن هؤلاء من علمائهم فشكراً لفضلهم ويض اياهم

### ارشاد الاريب الى معرفة الاديب

المعروف بجميع الادياء او طبقات الادياء لياقوت الرومي

عني بنسخته وتصحيحه الاستاذ د. س. مرجليوث

طبع بمطبعة هندية بالموسكي بمصر سنة ١٩٠٩ من ٤٣٨

لناشر هذا الكتاب ومعلق حواشيه . الاستاذ مرجليوث من علماء المشرقيات الانكليزيين  
فضل على الآداب باحياء هذا الكتاب النفيس بعد ان كاد يأتي عليه الغفاء كما ثبت له  
الفضل باحياء غيره من آثار العرب وقد توسع ياقوت الرومي صاحب معجم البلدان في  
ترجمة بعض من خدموا الادب العربي الى عهده وذكر من نكاتهم واخبارهم وشؤونهم  
ونظائهم ما هو مرآة الحياة الاجتماعية والادبية والعلية في الاعصار الستة الاولى للإسلام  
واختصر في تراجم بعضهم على القدر الذي عرفه منهم واشتهروا به بين الناس وفي هذا  
الجزء بقية من اول اسمائهم الف الى من اول اسمائهم جم وعدد المترجمين فيه ١٦١  
ومنهم على شهرتهم وخدمتهم للآداب من لم نظفر لهم بترجمة فيما بين ايدينا من كتب  
الطبقات والتراجم مثل احمد بن يوسف بن صبيح كاتب المأمون . وبطبع هذا الكتاب  
ونشره بين الناس ثم سلسلة مهمة من سلاسل التاريخ العربي وسيكون كله في سنة

اجزاء تشر منہما الآن اثنان - وفق الله القام بفسرهما واعاد علي خدمة القروع التي  
اخفقت فيها لخدمة العلم والاداب

ديوان رستم  
طبع بالمطبعة الادبية في بيروت  
ص ٤٠٠

اسعد الله رستم بمن ولما بنظم الشعر الفكاهي المصري وقد افرد منظوماته في  
ديوان خاص فجاء مجموعة آدب وظرف وفكاهة - والظاهر ان الناظم توخى في منظوماته  
الالفاظ الطيبة ليحكم ايراد النكات والفكاهات ولئلا يستعصي فهمه حتى على الطبقة  
المتحلة من ابناء الامة على حين ان في صميم اللغة العربية كما علم الناظم من الالفاظ الجزلة  
المتعلقة ما فيه الفناء دون كبير عناء

رحلة الى اليمن سنة ١٨٦١

نشرها بالافرنسية الاب انتناس ماري الكرملي  
طبع اولاً في مجلة الاتروپوس ( الانسان ) في النمسا  
في رحلة رحلها الخواجه ميخا يوسف البخار البندادي الى اليمن ولقي فيها ما يلاقيه  
ارباب الرحلات في البلاد الشرقية عادة وهي لا تغفل من فوائد اجتماعية وغيرها في  
خصائص البلاد والشعوب

الحرية في الاسلام

تأليف السيد محمد الحضر بن الحسين التونسي  
طبع بالمطبعة التونسية ببيع سوق البلاط بوس سنة ١٣٢٧ - ١٩٠٩  
وعدد صفحاتها ٦٤ ص

هذا الموضوع من اجل الموضوعات المثقفة للمقول ذكر مؤلفه حقيقة الحرية والشورى  
والمنسواة والحرية في الاموال وفي الاغراض وفي الهناء وفي الدين وفي خطاب الامراء  
واجاد في كيفية الاستخراج من الكتاب والسنة وتاريخ السلف والتعليق على حقائق العصر  
مما دل على عراقة في احوال مصر وتمكنه من احكام الشريعة وهو من المدرسين  
يطلع القضية الاعظم له حظ وافر من الاثاء والتاريخ

## محاضرات

ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب  
باعتبار علاقتها بأوربا وخصوصاً بإيطاليا للسنور جويدي

طبعت في مجلة الجامعة المصرية أولاً ص ١٠٩

هذه الرسالة في موضوع جليل يكاد يكون بكرة بالنسبة إلينا القاه الاستاذ الشيخ المؤلف على طلبة الجامعة المصرية بلغة العرب وهو ايطالي الجنس والمثلاً معدود من اهل الطبقة الاولى بين المستشرقين الاوربيين . وهذه الدروس هي اربعون درساً كلها جنية فوائد نستدل منها على خدمة العرب لهذه الفنون الجميلة فنشكر له ولاصحاب مجلة الجامعة المصرية التي تنقل إلينا زبدة دروس العلماء في كلية هي اول مفخر من

مفاخر مصر .



## بلاغته الغرب

نحن اليوم في دور مثل صفحة البحر يريد ان لا يترك فروقاً بين اجزاء الناس ولا مميزات في منازعهم وان لا يدع سمواً في الشعوب ولا انخفاضاً . فهو معمل عظيم الادوات منوع الآلات يعمل ليل نهار ليبرهن للادوار القاهرة أنه هو اول ما تغلب بالعمل على اشاعة السوء والامحاء والتعارف واطراح التباين والتباعد والانقسام . فالبحار والكهرباء قد قضيا على استئثار القطر الواحد زرع وحرثه وضخته واشتركا أطراف الارض كلها بالارتفاع مما يخرج ابيه كما شاول به التمتع بثمرات الطبيعة والناس في الاقطار الاخرى لسد حاجهم

والتباعدة والصحافة كالبحار والكهرباء . فنقلان غمار العقول ومئات التكمير من ارض الى ارض وتشبه انه من شعب الى شعب كما يتوصل زميتالى ما ربه من القضاة على التحالف . على هذه الطريقة تجري روج مصر في تحصارها ولكن كثيراً ما يكون اماناً بالهاجرة فيها بين البحر والصحراء وفي وجه القطار والفاخرة فيما بين البر والبحر وسجل ودور الطباعة والصحافة في نقل التفكير من دماغ الى آخر فحمة فرائض المفقون بامر هذا

المعمل في القدم والحديث ان لامندوحة لم من حفر ترعة في البرزخ بين البحرين ونقب  
نفق في الجبل بين البرين وفتح منفذ الترجمة بين الغنمين

وان الانسان ليلذل لكثرة ما يراه من تفكيرهم وموازنتهم وحسابهم ومقايستهم  
عند اختيار البرزخ ليخفروه ترعة والجبل لينقبوه نفقاً والمصنف او القطعة ليقبلوها  
من لغة الى لغة . وبعد اصحاب الانبياء الاختيار دليلاً على الريب وميزاناً له

امامي الآت كتاب ( بلاغة الغرب ) وهو مجموع ما اختاره محمد الفندي كامل  
سجاج المصري من مشهور الافرنسية ومنظومها ونقله الى العربية مصدراً للقطع  
بشيء من تاريخ حياة اصحابها وقد جاء فيه غرض مما كتبه هيكل ولاه ارتين والفرد دي  
موسى واندرى شينيه ودوفيي وكوبه وروستان ودوده وتيوفيل غونيه وكورنيل ورسين .  
واني اشكر لحمد الفندي كاملاً وكل من يصرف وقتاً في نقل شيء من العلم والادب  
الى لغتنا وفتح مغزٍ في لغتنا بين جاراتنا من الامم ولكي تنتقد عليه تسميته الكتاب ببلاغة  
الغرب في حين انه لم يرفع لنا فيه الستار لاجل بعض ادباء الفرنسيس ودييات هو لا  
غير ادبيات الالمان والروس ولا تكفي . كما اني اتعجب كثير من اغفاله بالترك وتلوير  
وزولا والأخوان غونكور وغيرهم من زعماء مذهب الحقيتين ( ريلز ) وصرفه صفحات  
الكتاب جزئاً للادباء الخياليين ( روه ) انبست ( مع اننا في زمان اسرج فيه الى الهبوط  
من ثريا الخيال المزوق الى ثرى الحقيقة المريرة وان يتلم القصصين : ندنا من زولا  
والخبراء من كوبه والمؤلفون من تلوير كيف يصرفون الاشهر الطويلة والليالي الليلا  
الباردة في اعماق المائج وزوايا التصوير واعراف المعابد وابواب الخانات ليقفوا على  
مراثر طبقات الهيئة الاجتماعية ويطلعوا الامة على ويلاتها وادائها وجروحها كما هي  
لا سيما وهم يريدون ان تكون وهم خلف منضداتهم مرتاحون يتلاعبون بالمقول كما تشاء  
السياسة طوراً ويفشون الذراء بما توحى بهواؤهم تارة

وفي الكتاب غير انتصاب تراجم المشاهير واغفال البحث في مذاهبهم الادبية تاهل  
لقوي في المفردات والتراكيب مثل استعمال مرصع والصحيح مسرح وصحبة والصواب صبيحة  
ومواضيع بديل وموضوعات واثباته اسم الفرد موسى كما يستعمله الفرنج دوموسيه وقوله  
مذهب المحققين واحسن ان تقول مذهب الحقيقين وقوله قبل قطعة الدرس الانخير  
لافونس دوده وقد دعاني لكتابة هذا وكان الاولى ان يقول الى تعريب هذا وقوله  
المؤلف الرئيسي وهذا التعبير لا تعرفه العرب وتأنسه الرأس بقوله رأسه الصلحاء

وقوله حارب ضد لويس برتبارت حيث كان يقال ناضل عنه وتكريره كلمة هذا سيف  
قوله يتلأأ في كبدهما ؛ ر ( هذا ) المولود الذي اخاره القادر ليتبض على صولجان  
( هذا ) الملك الفخم فإكان ( لهذا ) الشعب الصارخ الا ان صحت واستكان لظهور  
( هذا ) المولود

والكتاب جيد المطبع يقع في مائتي صفحة . بحب الدين الخطيب

### كتاب خصائص الالة العربية

في اصول العربية للامام ابي الفتح عثمان بن جني . هذا الامام من اشتهر بالاجادة  
بالأليف راشر مؤلفاته هذا الكتاب وهو كتاب تعرض فيه لاصول العربية على نحو  
اصول الانكلام واغقه اربان فيه ما اودعته هذه اللغة من خصائص الحكمة ونيطت به من  
علام الاتقان والصنعة وقد قال في اثنائه : ان هذا الكتاب ليس مبنياً على حديث  
وجوب الاعراب وانما هو مقام القول على اوائل اصول هذا الكلام وكيف بدى والميم  
في . وهو كتاب يتسهم ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء والفلسفين والحقاة والكتاب  
والتأديبين تأملاله والبحث عن مستودعه فقد وجب ان يطلب كل انسان منهم بما ينادوه  
ويأمن به ليكون لهم سهم

وقد الفه بعد ان اناف عمره على الشئين كما اشار اليه عند قوله : ومن شريف حديث  
هذا الخاطر اني كنت منذ زنه ن خويل رأيت رأياً جمعت فيه بين معنى آية ومعنى  
قول الشاعر

وكننت امشي على رجلين معتدلاً نصرت امتي على اخرى من الشجر

ولم اثبت حينئذ شرح حال الجمع بينهما ثقة بحضوره متى استحضره ثم افي الى الآن  
وقد مضى لي ستون اعاني الخاطر واستبدت واعانيه واتورده على ان يسمح لي بما كان رأيه  
من الجمع بين معنى الآية والبيت به وهو مغيص منأب وغنين به غير مط  
والكتب مشتمل على ابواب شتى يصعب ايرادها لكثرتها وهالك شيئاً مما اشتملت عليه  
بعض الابواب سم له علاقة بنهل الآداب ذكر في باب القول على اجماع اهل العربية حتى  
يكون حجة : اعلم ان اجماع اهل البلدين انما يكون حجة اذا اعطاك خصمك يده ان لا  
تختلف المصوص والمقيس على المصوص فاما ان لم يعط يده بذلك فلا يكون اجماعهم  
حجة عليه ثم قال الا اننا مع هذا الذي رأيناه وسوغنا تركه لا نسمح له بالاقتداء على

مخافة الجماعة التي قد طال بحثها ونقدم نظرها وتتالت اواخر على اوائل وانحازاً على كلاكل ٠٠٠ الا بد ان يتاهضه اثنان ويابته غرناثا ولا يخلو الى سانخ خالطه ولا الى نزوة من نزوات تفكره فاذا هو حذاها على هذا المثال وباشر بالعام تصفه اعضاء الحال امضى الرأي فيما يريه الله منه غير معازبه ولا غاض من السلف رحمهم الله في شيء منه فانه اذا فعل ذلك سد رأيه وشيع خاطره وكان الصواب مثنة ومن التوفيق مظنة وقد قال ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ما على الناس شيء اخر من قولهم ما ترك الاول للآخر شيئاً وقال ابو عثمان واذا قال العالم قولاً متقدماً للتعلم الاقتداء به والاتصاف به والاحتياج بخلافه اذا وجد الى ذلك سبيلاً وقال الطائي الكبير

يقول من تطرق اسماعه كم ترك الاول للآخر

وقال في باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ واغفلها المعاني : ان لم ان هذا الباب من اشرف فصول العربية واكرمها واعلاها وانزهها واذا تأملته عرفت منه وبه ما يوفقك وتذهب في الاستحسان كل مذهب بك وذلك ان العرب كما تعنى بالالفاظ وتصحبها وتهذبها وتداعيا وتلاحظ احكامها بالشعر تارة وبالخطب اخرى وبالاستمباع التي تلزمها وتتكلف استرارها فان المعاني اقوى عندها واكرم عليها وانجم قدراً سيف نفوسها ذل ذلك عنايتها بانها ظلت ذنبلها كانت عنوان معانيها وطريقاً الى اثار اغراضها وراميتها الصلحها وبالغوا في تحييدها وتحسينها ليكون ذلك اوقع لها في السمع واذهب بها في الدلالة على القصد الا ترى ان المثل اذا كان مسجوعاً لسانه حفظه فاذا هو حفظ كان جديراً باستعماله ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس به ولا انفت لمستعمله واذا لم يكن كذلك لم تحفظه واذا لم تحفظه لم يطلب انفسها باستعمال ما وضع له وحجي به من اجله . وقال لنا ابو علي يوماً قال لنا ابو بكر اذا لم تفهموا كلامي فاحفظوه فانكم اذا حفظتموه (٩) وكذلك الشعر النفس احفظ واليه اسرع الا ترى ان الشاعر قد يكون راعياً جافاً او عبداً سقيفاً تنبو صورته وتجم جملة فيقول ما يقول من الشعر فلاجل قوله وما يورده عليه من طلاوته وعذرية مسمعه وما يصير قوله كلما يرجع اليه ويقاس به الا ترى الى قول العبد الاسود

ان كنت عبداً فنفسي حرة كرماء  
او اسود اللون اني ابيض الخلق

وقول نصيب

موت ولم املك سواي ونحوه  
قيص من القوي يبيض بذيقه



## وقول الآخر

اني وان كنت صغيراً سني وكان في العين نبر عني  
فان شيطاني امير الجن يذهب بي في الشمر كل فن  
حتى يزيل عني التظني

فاذا رأيت العرب قد اهلحوا الفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوها  
عزوبها وارفعوها فلا ترين ان ائناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ بل هي عندنا خدمة منهم  
للمعاني وتنويه بها وتشريف منها ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحسينه وتكوينه ونقديسه  
وانما المبني بذلك منه الاحتياط للوعى وعليه وجوازه بما يعطرنشره فلا يمتزجوه كما  
قد عد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويفض منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه  
فان قلت نانا نجد من الفاظهم ما قد نمنوه وزخرفوه ووشوه ودبجوه ولستنا نجد مع ذلك  
تجده معنى شريفاً بل لا نجد قسداً ولا مقارباتاً الا ترى الى قوله رحمه الله

ولما قضينا من دنى كل حاجة وسمع بالاركان ما هو مباح  
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الاباح

وقد ترى الى علو هذا اللفظ وما به وصقاله وتلاصيح الخالصة ومعناه مع هذا ما تحتته  
وتراء انما هو لما فرغنا من الحجج ركبنا الطريق راجعين وتحدنا على ظهور الابل ولهذا  
نظائر كثيرة شريفة الالفاظ رفيعة المشروفة المعاني خفيضة قبل هذا الموضوع قد سبق  
الى التعلق به من لم ينعم النظر فيه ولا رأى ما رآه القوم منه وانما ذلك لجفاء طبع الناظر  
وخفاء غرض الناطق ثم افاض في بيان معاني البيتين

وقال سيفه باب ارادة العرب للاغراض التي نسبها اليهم حدثني المثني شاعرنا وما  
عرفته الا صادقاً قال كنت عند منصرفي من مصر في جماعة من العرب واحدم يتحدث  
فذكر في كلامه فلاة واسعة فقال يحمر فيها الطرف قال آخر منهم بلغته سراً من الجماعة  
بينه وبينه فيقول يحار يحار الا ترى الى هداية بعضهم الى بعض وتبنيه اياه في الصواب



## سیر العلم والاجتماع

## ادب السعادة

كتب رئيس تحرير المجلة الباريزية مقالة في هذا الموضوع قال فيها ان السعادة مادة حياتنا وقائد لها وهي تنزيا باشكال متنوعة وانا اذا رأينا ما يذله اهل الارواح الشريرة من المهم يترامى لنا ان رغبتهم في ان يعيشوا في شقاء ولكن اذا امتعنا في استقراء ما لم نراهم يرمون الى نيل سعادة ارقى . الغاية العلمية من العلم الادب والغاية الخاصة تخليص الحقيقة من الحوادث والعواطف . المرء مدين بكل ما فيه للأجيال الغابرة وهذا دين عليه يجب عليه اداؤه ان يأتي بعده وتأتي الرء فروض عليه ان يقيم بها نحو الاموات ونحو الاحياء وهذا واجب يستحق عليه في اعماله وافكاره فقد نال الاختيار ان سعاده ليست النتيجة سعادة مشتركة فهو مخلوق على مثال الاجيال السالفة وهو تابع للانسانية التي تحيط به . اذا عاد المجتمع الى عهد اللصوصية واخذل نظامه نال سعادة المرء الخاصة تضمحل في السعادة الاجتماعية وكل احتياط صحي ياتي المرء يفد المجموع كما ان صحته متأثرة بما يقوم به المجموع من اساليب الصحة العلمية . والاشدلة كثيرة على ان التكاثر مشترك والعلاقة مؤكدة بين مصالحنا الخاصة ومصالح المجموع فليس لامرئ حق ان يستمتع بالخيرات التي هي ثمرة عمل الآخرين دون ان يساعد بنفسه وعلى قدر طاقته على رفع منار السعادة وعلم الامن والسلام .

ليس الادب او الاخلاق الا بعض فكرتنا نستطيع ان نصوره او نقبله على الصورة المألوفة من اعنصره . يقول بعضهم ان الاخلاق غريزية في المرء وليست كسبية ولو صح قولهم كانت الاديان والتربية لغوا لافائدة ما . ولكن على الناس ان يفلقوا المعابد والمدارس ايضا . نعم ان السعادة متأثرة بشعورنا الادبي والذكاء . والسعادة بغير معنى على خلاف متوازن يتجلبان انهما عتشانها . وهما مختلفان جوهرأ وعرضا فالذكاء لا يؤثر في السعادة الا بالواسطة وذلك تعجز عن حياتنا بسلاح ماض وبالآثار في اخلاقنا وميولنا قال اغوست كوت مؤسس الفلسفة الحسية ان كالتنا الادبي يعيننا على سعادتنا الحقيقية مباشرة من دون ادنى ريب اكثر مما يعيننا غيره . وقال الفيلسوف ديكارت

صاحب الفلسفة الحديثة: كل من عاش عبثة لا يوبخه عليها وتجداته ولم يقصر في القيام بكل ما يراه احسن ( من الفضائل ) ينال عن سعيه جزاءً وفقاً وتواثيه . السعادة

قال الكاتب متى ادركت الانسانية ان سعادتنا واننا لسنا سعداء لان لنا ارادة في السعادة تنهار حواشيها الوف من الاوهام التي تعوقنا عن كمالنا الادبي وتقف عثرة في سبيل سعادتنا . وما شقاؤنا الاثرة اساءتنا فهم معنى الحياة فنفسر غيرنا دون ان يخطر لنا ايال ان شقاء غيرنا ضرر بنا . فالخسد مثلاً مصدر الثقات من الاجتماعية وهو ضرر بنا انفسنا . والخير والحب وهما منبع سعادة الغير ينفعان من ياتيهما قبل كل الناس . حياة العائلة المؤسسة على الحب والاحترام المتبادل تنفع اعضاها واهي نفع . وانا حينما التفتنا نرى العبر قائلة بلسان حالها ومقالها باننا من المتعذر ان نستمتع بسعادة شريفة دائمة دون ان نبتنع بها القرييون منا وكما امتد ميدان حياتنا وشرفت مبادئها وغواتيها يزداد التكافل بالسعادة فقد قال افلاطون ان السعادة علم فن عمل الشرهو ممن لا يعرف الخير وهكذا الحال في السعادة فان الشقي هو الذي يجعل كيف يقدر ان يكون سعيداً

### التسمم بالتدخين

جرب الدكتور سرج جبرو وسكي تجارب كثيرة ليبين ان التدخين يحدث في جسم الانسان آثاراً تسمية وذلك بان حقن الحيوانات تحت الجلد وفي الدم بالنيكوتين وقد استعمل لذلك جهازاً تمكن بواسطته من ان يضع الارانب ست او ثمانى ساعات في اليوم في مكان محكم السد يدخل اليه بمنخضة دخان اللقافة (سيكاره) فكانت تظهر في غضون الاسبوع الاول على الحيوان آثار القلق ويزيد فيه افراز السع والبصاق وبعد امتصاص الدخان كان يستولي على الحيوان الضعف والبلادة وتثاقل مشيته وفي الاسبوع التالية تزول هذه الامارات وتحل محلها قلة القابلية للطعام . وقد مات عند انتهاء الشهرين ارباب ودل الفحص المجري (الميكروسكوبي) لقلبيهما على تلف الجسم من فعل الدخان . على ان الاخرى قاومت خمسة اشهر وظهر فيها فساد الدم ونزل وزنها الى النصف وهذا اثبت تجارب الطبيب الموما اليه ان الحيوانات تعتاد التدخين ولكن فساد نسيج قلب الحيوان معادل لما يحصل في الانسان

## الاستحمام

قال احد الباحثين في مجلة الحياة البيئية ما تعريبه : يتطلب التبرج والزينة ان تصرف العناية في الطهارة خاصة وتكون متناسبة مع السن والمزاج والجنس على حين ان حفظ الصحة يتطلب ان تخلف هذه العناية باختلاف الامكنة والازمنة والحرارة . والحمام اللطيف جميع ما تقتضيه الزينة من انواع العناية واكثرها بساطة وطبيعة فهو الذي يؤثر تأثيراً سريعاً في الصحة . وبالحمام رغبة لا تفكر مزايها وذلك لان المسام اذا فتحت بالحمام تسرع حركة الدم وتعمل في الحال في الجلد بان تنزع عنه القشور التي تغطي بشرة جسمنا .

وتختلف تأثيرات الحمام بحسب درجة الحرارة او البرودة في الجو كما تختلف الاحتياطات عند الخروج باختلاف المناخ وذلك لان الحرارة تشد الجسم والبرودة على العكس تضيقه

الحمامات الباردة مقوية ويجب ان يغتسل الجسم كله بسرعة وقد يحدث من الدخول في حمام بارد بعض الضرر وذلك عند ما يتغمس المرء في الماء بالتدرج لتدفع البرودة بالحرارة نحو الاشراف فتصل الى السماغ مثلاً . ويقال بوجه عام ان الحمام البارد اذا نفع الاحداث وقوى بنيتهم فلا يليق بالشيوخ ولا بارباب الصدور الضعيفة لان رد الفعل لا يتم فلا يتأق ان تعود الحرارة الا بصعوبة

اذا اريد الاستحمام بالماء البارد يجب على كل حال ان يكون الجسم مستريحاً والمضم تماماً كل التواء ورشح البدن لا يكون كثيراً من المشي . واذا بلغت الحرارة درجة لطيفة يمكن ان يبقى فيها المرء نصف ساعة او ثلاثة ارباع ساعة ولا يجب ان يتجاوز المسحوم هذا القدر من الوقت . وعلى المسحوم عند ما يخرج من الحمام ان يحتاط بتشفيف بدنه وذلك جسمه كله لينزع منه الرطوبة ويوقع عن الجلد الاجزاء الصغيرة التي تسفرج منه بفعل الماء . واذا شعر بانه يزد يبغي له في الحال ان يدلك جسمه بماء البيون او ببعض الازوايح الاخرى وخطية لاغادة الرشح فحسب ان يزن عضلاته تمريناً خفيفاً .

ومن الحكمة ان يستنع المسحوم عن تناول الطعام حال خروجه من الحمام لان الحرارة تنتقل من وسط الجسم الى الاطراف فتترك الحواس الهاسمة تجاليع من جزه من القوة اللازمة للقيام بوظائفها

واذا ناسبت الحمامات الباردة الدمويين او السمان من الأشخاص فقد تضر المستعدين للهزال . وعلى الجملة فانها قلما تنفع من عودوا الرخاء والجلوس . ومن الاحتياطات لا يستعملوا كذلك الا باشارة الطبيب

الحمامات الحارة تزيد العرق واذ قل تعيده كما كان وتلين الالياف . والواجب ان يستعمل الحمام بحسب الحالة الصحية واذا اكثر منه بضعف الجسم وينعب ويعد للنزلات

ابا الحمامات الفاترة او الحارة فلا يقتضي لها الاحتياط بقدر الاحتياط للحمامات الباردة والاحتياط فيها مطلوب عند الخروج منها ويحسن بعد الحمام السخن ان يقعد المرء في فراشه بعد ان يكون قد نشف جسمه بمناشف غير ندية وحارة وذلك لان ما يحدث امرأه كثيرة هو التعرض لفعل الهواء الخارجي

ومن القواعد التي تجب مراعاتها ان يستريح المستحم قبل الحمام البارد وبعد الحمام السخن والواجب ان يعنى بذلك الجسم عند الخروج من الحمام حتى لا يتضرر الجلد ويقتلص من الثرات القشرية التي ابقاها الاستحمام على الجسم . واذا لم يسع المرء ان ينام بعد الحمام فلا اقل من ان يرن جسمه قليلاً فيشر في الحال بتأثيرات هذا الاحتياط ويتنفع الجسم من ذلك احسن نفع

تنفع الحمامات البخارية في البلاد التي يشدد بردها في اهلجة الرشح البطني . النادر وضروي في الاقاليم المعتدلة الاستحمام بالماء الفاتر لينزع من البشرة الثرات التي تنبعث من الجسم . وفي الاوقات الرطبة يحسن ذلك الناشف . ولما كان الرشح في البلاد الحارة يكاد يكون منوacula فمن الضروري ان تكون الحمامات على درجة اقل من درجة حرارة الجو ليحدث بذلك التوازن في الاخلاط ويسكن هيجانها العادي

واذا لم يساعد الحال والمكان على استيفاء شروط الاستحمام فالواجب ان يستعاض عنه بفسل بعض البدن بماه حار او بارد بحسب الموسم وقد لا تستوفى من هذا الاعتقال الشروط الصحيحة الناشئة من الحمامات ولكنها تكفي في صيانة الجسم

والاشخاص الذين يعمون احياناً بما ينال من الدم على رؤوسهم يجب عليهم ان يستعملوا استحماماً تلياً ويفسلوا ارجلهم ويتأقلم الاستمساخه عن الاول والثاني بفسل

ايديهم بالماء المثلج . وهذا الدواء على سهولته نافع في امراض الاسنان لا للطاعنين في السن بل لصغار الاولاد

### المختلوات

يحظر عليك ان تضع اصبعك او طرف مظللك في عين جارك  
كما يحظر عليك ان تضع اصبعك في انفك حتى ولو كان يحك  
لا تنظف امام الناس انفك ولا اذنك ولا اسنانك ولا اظفارك  
لا تدعس على رجل جارك ولا على ثوب جارتك  
لا تجلس على طرف كرسيك ولا تتهزله  
لا تعيث بهذب ثوبك ولا بازارارك  
اذا صالحت فلا تصاغ باصبع واحد بل بجماع راحتك مفتوحة  
لا تدخل الى قاعة الاستقبال ومعك مظللك ولا معطفك ولا مشيمك

### غلظ الشعر

تختلف شفاة الشعرة من واحد من عشرة من الميليمتر الى اربعين . وقطر خيط الحرير كما تخزجه الدودة هو نحو خمسة ملم من الميليمتر وخيط العنكبوت هو ارق من هذا بخمس اوست مرات وليس هو عشرين من الميليمتر ويمكن ان تحاط الكرة الارضية بطيرة من خيط العنكبوت . كما ان قفحة واحدة من المسك تعطر غرفة مدة عشرين سنة . وفي جسيما ٢٠٣٠٤٠٠٠ من المسام .

### اثقل تمثال

اثقل تمثال من البرونز تجده في بطرسبرج وهو تمثال بطرس الاكبر ثقله زهاء الف طن .

### الطول البشري

تبين من التجارب التي صنعت لاختبار طول قامات الرجال والنساء ان من يولد في الرقيم او في الشتاء اكبر قامة من يولد في الفصولين الآخرين والبنات الطويلات القامة يلدن في آب اما البنون فاطولم قامة من ولدوا في تموز واصغرهم من ولدوا في تشرين الثاني

## التفنى في التعليم

ورد في قصة لديكنس ان احدى الملمات كانت تكرر على تلميذاتها كلمات « برون » « بريسم » « بوتاتويس » ليمدون شفاهن المنضجات بعضا على بعض ويبدو الظرف على افواههن . وقد توسعت الآن احدى العقائل في هذه الطريقة وقامت تدعي انها تستطيع ان تعيد القبيحة من النساء مليحة وان تصير الملاح العجيبة الاعاجيب فاست لهذه الغاية في انكثرتا مدرسة اخذ الطالبات ينهلن عليها انبيالاً وقد قسمتها صفوفًا فجعلت صفًا لتعليم البنات كيف يلقين نظراتهن الفتانة ويسحرن بها الالباب وصفًا لتعليم البنات تحريك انوفهن تحريكاً جذاباً خلافاً وصفًا لتعليم الشفاء على الحركة ومعنى اتم الفتيات التعليم في هذه الصفوف ينتقلن الى صف ارق حيث يعدن نظرة اجمالية على كل ما تملن فيأتين فائنات ساحرات

## النوم الضروري

كلما امكن ترك الاولاد ينامون كثيراً كان انفع لصحتهم . ويؤخذ من البحث الذي تم في بلاد السويد ان الاولاد الذين لا ينامون القدر الكافي من النوم تزيد امراضهم جزئين من خمسة اجزاء . فعدل ما ينبغي من النوم للطفل الذي يذهب الى المدرسة اثنتا عشرة ساعة لمن كان في الرابعة من سنه واحدى عشرة لمن كان في السابعة وتسع ساعات لمن كان بين الرابعة عشرة الى العشرين

## ارجل الصينيات

كنا نسمع بان من جمال الفتاة الصينية ان تكون صغيرة الرجلين وان القوم هناك يستعملون لتصغيرهم اقوالاً مخصوصة وقد ذكرت الصحف ان حكام ولايات كينغ مو وكينغ مي وكينغ هوي وان كان هوي من الولايات الصينية قد اصعدوا ياناً يحظرون فيه على النساء ان يعصبن ارجلهن قائلين ان ذلك مما يمس حنان قلب الام والفتيات يضمن الحياء اذا تكلفن الجمال ويعجن ضعيفات غير قادرات على العمل ويعصبن فقيرات . وقد وعد اولئك الحكام بمكافآت للصينيات اللاتي يعدلن عن تصغير ارجلهن

## اسماء الاقشة

سميت كثير من الاقشة في بلاد الافرنج باسماء المدن التي حاكنتها اول مرة فعندهم

نوع من القماش اسمها دماس نسبة للمشرق حيث كان ينسج الحرير منقوشاً بنقوش بارزة . وعندما قماش اسمه كاز نسبة لفزة في فلسطين وآخر اسمه اندرينوبل نسبة لادونه في الروم اليلى والموسلين وهو الشاش الرفيع صنع لأول مرة ايضاً في مدينة الموصل فنسب اليها وانكاليكو قماش صنع لأول الامر في مدينة كاليكوت من بلاد الهند فنسب اليها

### انقضاء العالم

نشر احد علماء الطبيعة مقالة في مدة بقاء الارض او انقضاء العالم ومضى صحت الارض لسكنى الحيوانات والنباتات فقال ان من السهل ابدأ السؤال عن هذه الاسئلة ولكن الصعوبة في الاجابة عنها فقد كان النظام الشمسي في البدء عبارة عن كتلة عظيمة من الابخرة المتأججة او متطاداً ضخماً من الغاز حامياً يدور بحركة فوق نفسه . فجمد البرد في انقضاء النجوم الاصلية وانفصلت السيارات من الاجرام الموجودة في الوسط واخذت السيارات تبرد على الولا . بقدر اجرامها لبرد الاصفر ثم الاكبر . وقد طال امد كل سيارة وغت على توالي الازمان فجمدت الارض وتماسك سطحها السائل وعلى هذه الصورة نشأت القشرة الارضية ويهنا هنا ان تعرف عمر الارض او عدد السنين التي مضت على تكوينها والاعوام التي تفصل العصر الحالي من العصر الذي ظهرت فيه على سطحها الاحياء الاولى ولا سبيل الى ذلك الا على وجه التقريب . واذا كان عمر الارض مرتبطاً بعمر الشمس كان من الواجب ان نعلم اولاً الحدود التي يجب ان نحصي فيها وجود الشمس فقد حسب علماء الهندسة كمية الحرارة التي اذخرها ثقلص السديم الاول في السيارة الوسطى وحققوا قوة الحرارة الحالية وما يفقد منها كل سنة واستنتجوا من ذلك مقدار الزمن الذي وجدت الشمس فيه . وبحسب ما حسبوا تبين ان الشمس موجودة منذ خمسة وعشرين مليون سنة على الاقل او منذ اربعين مليون سنة على الاكثر . ورأى الطيحي نوكب بحسب النور الحاضر ان الكوكب يصغر الى نحو النصف من قطره في خمسة ملايين من السنين على اكثر التقدير وانه بعد عشرة ملايين سنة يكاد يكون له قشرة فيعمل اذ ذاك ان تصلح الارض للاحياء على الوجه الذي نعرفها به

واذا كانت جرم كرتنا الارضية اصغر من جرم الشمس ٣٥٥,٠٠٠ مرة فظاهر ان الارض بردت قبل غيرها وثبت لعالم آخر اسمه ويليام طومسون بالتفصيل الرياضي



ان الارض جمد سطحها منذ عشرة ملايين من السنين او منذ خمسة عشر مليوناً على التقدير الاكثر فيرد تاريخ اصل الاحياء على الارض الى اثني عشر مليون سنة وبالجملة فان لنا ان نستنتج من هذا ان الارض موجودة منذ خمسة وعشرين مليون سنة على الاقل وان الاحياء الاولى التي عاشت على سطحها قد ظهرت منذ اثني عشر مليون سنة والغالب ان الكائنات الحية الحاكمة تنقضي ايامها بعد عشرة او اثني عشر مليوناً من السنين — وعلى هذا تأخر ايام الدنيا بعيدة بعد ويجب ما تقدم تكون الارض الآن قد قضت نصف حياتها ٠ مضى اثنا عشر مليوناً من السنين وبقي ما يقرب منها بعد وبذلك نطمئن على مستقبل الجنس البشري

### جمال النساء

مقياس الجمال في الامم اذواقها ومعطياتها فمن الجمال في اوربا ان تكون اسنان النساء بيضاء وفي اليابان يؤثرون من اصفرت اسنانهن وفي الهند يصبغنها بالحمر وفي بوكارات بالسواد والنساء في غروانلاندا يدهن وجوهن بمادة زرقاء صفراء والتاتاريات مهبا يلفن من الجمال الطبيعي يرين انفسهن بشعاع ان لم يبيضن وجوهن على مرأى من الناس على حين ترى الاوريات اذا وضعن الحمر على وجوهن يخفين امره ولا يكدن يظهرنه وفي فرنسا يفضل من النساء المشوقات القددود وفي البلاد العثمانية يؤثرون السيئات المكنتزات كما يفضلون من استدار وجهها اما الفرنسيين فيفضلون الوجوه المستطيلة المتناسبة ٠ ويفضل اليونان من النساء من صفرت جبهاتهن اما الفرنسيين فيطلبون ان تكون جبهات النساء عالية مكشوفة ٠ الناس في اوربا يفضلون الشعر الاسود او الاشقر او الاسفع ولكن سكان جزائر ماريانا يفضلون من ابيض شعرها من ربات الجمال ٠ وعلى هذا فلا ييسر لامرأة ان تتفق الامم على جمالها لان ما يراه قوم حسنة قد يراه غيرهم سيئة فبما ان مقسم العقول والارزاق

### الآثار العربية

اهدى المسبود كورد مانس مكتبة الامة في باريس مجموعة مؤلفة من ٨٠ كتاباً من المخطوطات العربية والفارسية والتركية كان اهدى بشاه من المخطوطات والمسكوكات العربية الى تلك المكتبة نفسه ٠ بافكتيت مجله العالم الاسلامي مقالة في هذه المناسبة قالت فيها ان هذه المخطوطات لاتروق المشتغلين بالعربية من المستشرقين ممن يرون ان المصنفات

التاريخية الشائعة هي وحدها تحتوي على بعض القوائد مدلوعين الى ذلك بعامل فهمهم لها من دون سائر مخطئته ايدي مؤلفي العرب وزاعمين ان ما بقي من الاديان الاسلامية عبارة عن احاديث ملفقة وهذيان ليست حرية بنظر رجل تمكن من الطريقة القويّة في المعارف وان مثل هذه الكتب لا يقبل عليها ويصرف اوقاته فيها الا من تبلد ذهنه او اختل شعوره فاذا كان التاريخ الاسلامي هو من الفروع المهمة جداً في الآداب الشرقية فان سائر فروع العلوم كالفقه والنحو (واكثر مجموعة المسيود كوردماش منها) ربما لا تقل عنها شأنًا لانها ليست وحدها التي تصور حالة العقل في الرجال الذين اتوا قبل ثلاثة عشر قرناً من الهجرة النبوية وكيف كانوا يفكرون ويذهبون في مذاهب الامور الذهنية والروحية لاجرم ان المناظر السياسية منذ بضع سنين ولا سيما منذ ثمانين سنة قد قبلت الا ذكر الاسلاميّة ظهراً لبطن واخذ رجال الاسلام يزينون لابناء دينهم الرجوع الى الروس التي انفس فيها اجدادهم بحيث كادوا يفرقون وتمزقوا عن الخليفة التي نالهم بما قرأوا فيها من الافكار على ان النظر الصحيح يقضي بان المهندسين الذين مددوا في بادية بلاد العرب خطوط السكة الحديدية من دمشق الى المدينة قد اتوا بعمل انفع مما اتى الزحف شرعي وجميع شراح الكافية لابن الحاجب الا ان الافكار الحديثة توشك ان تؤدي بالاسلام الى طرق مخالفة للطرق التي سار عليها الى اوائل القرن الرابع عشر من الهجرة ويمكن ان يكون المجمع الاسلامي بعد مائة وخمسين سنة واعني به الجيل المفكر المذهب من المسلمين مخالفاً لمجتمع الذي عاش على عهد عبد الحميد خان الغازي وناصر الدين شاه قاجار كما يختلف نحن معاصر الفرنسيين اليوم عن اجدادنا زمن لويس الخامس عشر وربما كان اختلاف المسلمين اكثر

كان المسلمون الذين عاشوا في بلاد ماوراء النهر الى اواخر القرون الوسطى على عهد اخلاف تيمورلنك قد ورثوا التمدن اليوناني وبلغوا بالعلوم الى درجة عجيبة من الكمال ثم لم يلبثوا ان ضعف امرهم وتخلوا عن هذا التراث العلمي وانصرفوا جملة الى الفقه والنحو فكان ذلك مبدأ سقوط الام الاسلاميّة

ومهما كانت الطرق التي سيجري عليها اهل الاسلام في ظل العلم والدستور اليوم فانهم ولا جرم يخالفون المسير الذين عاشوا في ظل الاستبداد كل مخالفة ولا يتأني الا ان الوقوف على فكر العالم الاسلامي قبل مضي زمن وتصفح الكتب التي يستعملونها في تعليم ناشتهم وطريقة الرجال الذين عاشوا على عهد الخلافة الدينية او خلافة السلاطين الذين حاولوا احياء نهضة بغداد

وهكذا فإن هذه الكتب التي تشهد بفضل مؤلفيها وبعنابهم الفاتحة التي بذلوها في وضعها وهي تساوي بأسلوبها وتعليقها أقل مما تساوي بدلالاتها على الحركة العقلية سيف مدينة كانت الحائكة المحكمات على العالم زمناً ونعني بها مدنية الاسلام . ومكانة هذه الكتب لا تسقط ابد الدهر حتى ولو ادى الارتقاء العلمي الاسلامي الى طرحها والاستعاضة عنها بمصنفات تؤلف على غير نمطها وعلى اسلوب يغير اسلوبها ولا سيما متى انصرفت النفوس عن دراسة علوم اللسان واللفظ الى علوم يكون نفعها عملياً ظاهرة .

لا جرم ان علوم المسلمين ودرسها تشبه ما كان لما منها في عهد الحكومات البائدة وان من عانوها واثقوها اذا تعلموا جميع دقائق النحو العربي وتجروا في فقه السنة والشريعة لا يتأقلم بذلك ان يقفوا على مطالب الحياة الاجتماعية والعالم الخارجي

وبعد فان كتب النحو العربي التي هي مصنفات تامة في بابها يجب الرجوع اليها اذا اريد التعمق في هذه العلوم وفهم فكر العربي وهي تشبه كتبنا التي كانت مستعملة سيف المدارس قبل اصلاح بورويال<sup>(١)</sup> . وربما زهد المسلمون في الاعتماد على الطريقة القديمة والكتب القديمة في هذه الفنون لان بعضهم يرى ان الالفية والاجرومية قبلاً تستدعي انتباه ذهن الطلبة وذكرة فاتحة لاختيار طريقة تشبه طريقة الكتب التي نعول عليها في دراسة اللاتينية وغيرها من اللغات وربما لا يمضي وقت طويل الا وتحسن طريقة دراسة الآداب العربية كما تحسنت عندنا في الغرب . على اية لا يعد ان نقل الرغبة في هذه الدروس اللسانية كان درس الفقهية التي كانت الدروس المعول عليها فقط في العهد الماضي ولا سيما في البلاد العثمانية والفارسية ويعتبر القوم علوم الدين واللفظ التي كانت موضوع اهتمام المتفقهة والمتصوفة من علوم الترجمة لان القارئ عليها اناس كانوا في الجملة مراعاة لمصالحهم اصدق انصار عروش السلاطين الذين يدعون الخلافة عن الله في الارض . وكيفما كان الحال فانه لا يتأقلم الوقوف على الفكر الاسلامي في كتب ألف على النسق الاوربي وسارت في اسلوبها على نسق الخطط الغربية كما انك لا تسقط على الفكر الياباني قديماً من مراجعة الترجمات الانكليزية والفرنسية التي تعين رعايا ميكادو واليابان من اجياز ابواب المدارس الحربية في مملكة الشمس المشرقة .

(١) هو دير لنساء البرنارديات بالقرب من شفرز في مقاطعة سان ايواز الفرنسية  
نزل فيه سنة ١٦٣٥ علماء اعتزلوا العالم واتقطعوا الى تأليف المصنفات البديعة وقد خرب هذا المعهد العلمي لويس الرابع عشر سنة ١٧٠٩

ولا يتيسر درس الحضارة الاسلامية التدمية بغير الرجوع الى هذه الكتب في الفقه، معالماته وعباداته والنحو ومتعلقاته . تلك الكتب التي يجعلها علماء المشرقيات لانها على غير اسلوهم . ولانها من بقايا القرون الوسطى على حين ان نشوء الدروس الذي وقع في الغرب منذ عهد النهضة قد صير الكتب المكتوبة باللاتينية باقلام اساتذة علم الكلام معقدة غير مفهومة ان لم يصرف فيها المرة وقتاً طويلاً

وفي المجموعة التي اهداها المستشرق المشار اليه عدة كتب مشهورة منها قطع من القرآن ربما كانت بخط ياقوت المستمعي الخطاط الشهير وقطعة من كشف الزمخشري وقطعة من تفسير القرآن للبيضاوي من اوائل القرن الرابع عشر وقطعة من الحديث من القرن الثالث عشر ونسخة قديمة جداً من مقامات الحريري وكتاب سيفه القراءات فارسي وشرح كافي ابن الحلاج بالفارسي

وقد ضلوا بهذه المجموعة في سمرقند وهي تمثل صورة من صور علم الفقه والكلام عند الساريين والتاجيكين في بخارى وسمرقند وكشف وبعبارة اخرى صورة من صور علوم المسلمين في التركستان الروسي والتركستان الصيني وبها يمثل الناصر حالة المعارف عند من كانوا يعيشون في تلك الانحاء من المسلمين لان جزءاً كبيراً من الكتب التي تألف منها هذه المجموعة قد نسخت هناك

وليس في هذه المجموعة الا كتب خاصة بطائفة مذبذبة من طوائف المسلمين الى حد معلوم والتسخ الحديث من كتب الفقه والنحو تدل على ان معرفة اللغة العربية التي هي اساس الدروس الاسلامية في اقصى دركات الاضطهاد في تركستان . على ان هذا الاضطهاد يرد الى ابعد من ذلك العهد لانه وجد في عهد التيموريين في الكتب والمكتوبات على الامصار من الاغلاط الفادحةما يستدل منه ان معرفة اللغة العربية هو احط من ذلك العهد مما هي عليه اليوم في فارس حيث اصبح طلاب الفقه دعي ذلك المجتهدين ولا سيما في النجف وكر بلا اساتذة في اسرار علوم الصرف والنحو

وهذه النسخ بالاجمال استنسخها اناس لم يعنوا بها حق العناية وليس لم فيها ذوق حتى ان بعضها لم يكتبوا عليه اسماء واسم مصنفه لجهلهم في القالب . وهذا الجبل وهذا الاممال يكفينا لبيان الاسقوط المريع الذي صيب به ذلك الشعب الذي يسكن تلك الاقطار التي كانت فيما غير مهد العلوم والآداب اه



# المقنن

٢٢٢٢ ربيع ثاني سنة ١٣٢٧

## المقيم المتعدد

للشيخ الامام ابني الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي  
عليه الرحمة

هو كتاب جليل نادر الوجود توجد منه نسخة عند بعض طلبة العلم في بغداد . اوله  
لما كانت العربية تنقسم قسمين احدهما الظاهر الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل  
غير ظاهره . والثاني المشتغل على الكنايات والاشارات والتجوز . وكان هذا القسم هو  
المستعمل عند العرب نزل القرآن بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله . فكأنه قال  
عارضوه باي القسمين شتم ولو نزل كله واضحا لقالوا هلا نزل بالقسم المستعمل عندنا .  
وفي وقع في الكلام اشارة او كناية او استعارة او تعريض او تشبيه كان اجلي واحسن .  
قال امرؤ القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في احشاري  
فثبه النظر بالسهم فخلا هذا عند السامع . وقال ايضا

فقلت له لما تملى بصلبه واردف اعجازاً ونآء بكلكل  
فجعل ليل صلباً وصدرأ على جهة التشبيه . واحتشد ايضا شعر آخرين من شعراء  
الجاهلية واطال في الكلام واطنّب . ثم عقد فصولاً في مطالب شتى

منها فصل في بيان عادة العرب في تكرير الكلام واستشهد على ذلك بنشور ومنظوم من كلام فصاحتهم وخطابهم

ثم قال فصل وقد تأتي العرب بكلمات الى جانب كلمة كأنها معها وهي غير متصلة بها وفي القرآن (يريدان يخرجكم من أرضكم) هذا قول الملاء فقال فرعون (فماذا تأمران) واورد شواهد أخر من القرآن ومن كلام الفصحاء والخطب في الكلام

ثم قال فصل وقد تجتمع العرب شيئين في كلام فتد كل واحد منهما الى ما يليق به وفي القرآن (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) فيقول الرسول (الا ان نصر الله قريب) وهو فصل طويل

ثم قال فصل وقد يحتاج بعض الكلام الى بيان فيبينونه متصلاً بالكلام ومنفصلاً وجاء القرآن على ذلك فمن المتصل (يسألونك ماذا احل) لم قل احل لكم الطيبات) واما المنفصل الخ وذكروا عدة شواهد من القرآن وغيره

ثم قال فصل وقد تذكر العرب جواب الكلام مقارناً له وقد تذكره بعيداً عنه وعلى هذا ورد القرآن فان المقارن من الجواب فكقوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون قل انمو) واما البعيد فارة يكون في السورة كقوله تعالى (ما لهذا الرسول الا آية جوابه بعده باثني عشرة آية وهو قوله تعالى (وما ارسلنا قبلك من المرسلين) الآية

ثم قال فصل في ذكر اقسام الخطاب في القرآن . الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجهاً خطاب عام . الله الذي خلقكم . وخطاب خاص (أكفرتم) . وخطاب الجنس (يا ايها الناس) . وخطاب النوع (يا بني آدم) . وخطاب العين (يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) . وخطاب المدح (يا ايها الذين آمنوا) . وخطاب القم (يا ايها الذين كفروا) . وخطاب التكرامة (يا ايها النبي) . وخطاب الاهانة (فانك رجيم) . وخطاب الجمع بلفظ الواحد (يا ايها الانسان ما غرك بربك) . وخطاب الواحد بلفظ الجمع (وان عاقبتهم فاعتبوا) . وخطاب الواحد بلفظ الاثنين (التيما في جهنم) . وخطاب الاثنين بلفظ الواحد (فمن ربكما يا موسى) . وخطاب العين والمراد به التثنية (فان كنت في شك) . وخطاب التثنية وهو على ثلاثة اوجه احدها ان يخاطب ثم يخبر (حتى اذا كنتم في الفلك فوجرين بهم) . وامايتهم من زكوة يريدون وجه الله فالولئك هم المضطرون وكره اليكم الكفر والفسوق والمعيان اولئك هم الراشدون) . والثاني ان يخبر ثم يخاطب (فالما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم، وسقامهم بهم

شرباً طهوراً ان هذا كان لكم جزاء) والثالث ان يخاطب عيناً ثم يصرف الخطاب الى الغير . (انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله) على قراءة  
ثم قال فصل في ذكر امثال القرآن وذكر اثنين واربعين مثلاً منها وبين ما اشتملت  
عليه من البلاغة والفصاحة والحكم بما لا مزيد عليه

ثم قال فصل في الحروف الزوائد والنواقص وذكرها مسائل لغوية مفيدة تمس  
اليها حاجة اللغوي وطلاب علم العربية

ثم قال فصل في المقدم والمؤخر وذكر ما يجب تقديمه في الكلام وما يجب تأخير  
في النظم والنظر وهو بحث لم تظفر به يد غيره من المحققين

ثم قال فصل واعلم ان لغة العرب واسعة ولم التصرف الكثير قترام يصرفون في  
اللفظة الواحدة بالحركات فيصّلون لكل حركة معنى كالحمل والحمل والروح والروح  
وتارة بالاعجام كالنضج والنضج والقبضة والقبضة والمضضة والمضضة وتارة يقلبون حرفاً  
من كلمة لا يتغير عندهم معناها كقولهم صاعقة وصائمة وجذب وجذب وما الطيه وايطيه  
وربض وربض وابيض في القوس وانضب . ولعمري ورعيلي . واصمعل واصمعل .  
وعميق ومعيق . ومسبب وبسبب . وليكت الشيء . ولبكته . واسير مكيل ومكبل .  
وسحاب مكفهر ومكرف . وناقع ضمزر وضمزر اذا كانت سنة . وطريق خلّس وطلم .  
وقفا الاثر وقاف الاثر . وقاع البعير الناقه وقماها . وقوس عطل واعط لا وتر عليها .  
وجارية فتين وقبت قليلة الزأ (كذا) . وشرخ الشباب وشخره اوله . ولم خنزوز .  
وعاث بيعث وعثى يعثى اذا افسد . وتغ عن لقم الطريق ولقم الطريق . ويطبخ ويطبخ .  
وماء سلسال وسلاس وسلسل وسلسل اذا كان صافياً . وديم فاه بالجر  
ودمه . وفئات القدر وثقاتها اذا سكن غليانها . وكبكت الشيء . وكبكتها اذا طرحت  
بعضه على بعض .

ثم قال فصل ومن سعة اللغة وحسن تصرفها ان العرب تضع للشيء الواحد اسماً من  
غير تغير يعتريه فيقولون السيف والمهند والصارم ويغيرون الاسم بتغيير يعترى فيقولون  
لن نزل في الركي فلاّ اللوماّ ثمّ وللمستقي من اعلاها ماتح فالتاء المجعّة من فوق لن فوق  
والياء المجعّة من تحت لن تحت وتضع العرب للشيء الواحد اسماً تختلف باختلاف محاله  
فيقولون لمن انحسر الشعر عن جانبي جبهته اتزع فاذا زاد قليلاً قالوا اجمع فاذا بلغ  
الانحسار نصف رأسه قالوا اجلى واجله فاذا زاد قالوا اصلع فاذا ذهب الشعر كله قالوا

احص والصلح عندهم ذهاب الشعر والقرع ذهاب البشرة ويقولون شفة الرجل ويسمونها من ذوات الخف المشفر . ومن ذوات الطلف النعمة ومن ذوات الحافر الخجفلة ومن السباع الغطم . ومن ذوات الجناح غير الصائد المتقار ومن الصائد المتسر ومن الخنزير الفنتسية .

ويقولون صدر الانسان ويسمونه من البعير الكركرة ومن الاسد الزور ومن الشاة القص ومن الطائر الجوجو ومن الجراة الجوشن وللرأة الثدي وللرجل ثدوة وهو من ذوات الخف الخلف ومن ذوات الطلف الضرع ومن ذوات الحافر والسباع الطبي وللانسان الظفر ومن ذوات اغف التسم ومن ذوات الطلف الطلف ومن ذوات الحافر الحافر ومن السباع والصائد من الطير المقلب ومن الطائر غير الصائد والكلاب ونحوها البرثن ويجوز البرثن في السباع كلها والمعدة للانسان بمنزلة الكرش للدرابة والحلبة لصله للطائر ثم قال فصل المراهق من الغلمان بمنزلة المعصر من الجوارى والكاكب منهن بمنزلة الخروز منهن . والكهل من الرجال بمنزلة النصف من النساء . والقارح من الخيل بمنزلة اليازل من الابل . والجهل من البقر والشادن من الغباء كالناهض من الفواخ . والبكر من الابل بمنزلة الفتى من النساء . والقلوص بمنزلة الجارية . والجلل بمنزلة الرجل . والناقعة بمنزلة المرأة والبعير بمنزلة الانسان . والغرز للجهل كالركاب للفرس . والغدة للبعير كالطاعون للانسان . والهالة للقمير كالدارة للشمس . والبهيرة في القلب كالبعير في العين .

ثم قال فصل وتفرق العرب في الشهوات فيقولون جائع الى الخبز قوم الى اللحم عطشان الى الماء حيان الى اللبن قرد الى التمر خصم الى الفاكهة شبق الى التكاثر ويفرقون في اسماء الاولاد فيقولون لولد كل سبع جرو ولولد كل ذي ريش فرخ ولولد كل وحشية طفل ولولد الفرس مهر وفلو ولولد الحمار جشم وعو ولولد البقرة مجمل ولولد الاسد شبل ولولد الظبية خشف ولولد الفيل دغفل ولولد الناقة حوار ولولد الثعلب الجرس ولولد الضب حمل ولولد الارنب خرقي ولولد النعام رال ولواد النذب ديسم ولولد الخنزير خنوس ولولد اليربوع والفارة درص ولولد الحية حربش ويقولون البيض للطائر والمكن للضب والمازن للتمل والسر للجراد والصواب للتمل ويفرقون في المنازل فيقولون بيت من مدر وبجاد من وبر وخباء من صوف وفسطاط من شعر وخيمة من غزل وقشع من جلود . ويفرقون في الاوطان فيقولون وطن الانسان وعطن البعير وعرين الاسد ووجار



الاسد والضبغ وكناس الوحش وعش الطائر وقرية النمل وكور الزبابير وناقض اليربوع  
ويقولون لما يصنع الطائر عَليّ الشجر وكرفان كان عَليّ جبل او جدار فهو وكن فاذا كان  
في كني فهو عش فان كان عَليّ وجه الارض فهو اُخوص والاوصى للنام خاصة ويقولون  
عدا الانسان واحضر الفرس وارقل البعير وعسل الذئب ومنع الطي وخف النعام  
ويقولون طغر الانسان وصبر اغرس ووثب البعير ونقر العصفور وطمر البرغوث وبقرون  
في الضرب فيقولون للضرب بالراح عَليّ مقدم الرأس صقع وعَليّ القفا صقع وعَليّ الوجه  
صك وعَليّ الخد يسط الكف لطم وبضها لكم وبكلنا اليمين لدم وعَليّ الذقن  
والحنك وهر وعَليّ الجنب وخز وعَليّ الصدر والبطن بالكف وكو وبالركبة زين وبالرجل  
ركل وعلى كل ضارب بمؤخره من الحشرات كالعقارب يلسع وكل ضارب منها بفيه  
يلدغ ويفرقون في الجماعات فيقولون كوكبة من الفرسان وككبكة من الرجال وجوقة من  
الغلمان ولمة من النساء ورعيل من الخيل وصرمة من الابل وقطيع من الغنم ومرب من  
الغلباء وعرجلة من السباع وعصابة من الطيور ورجل من الجراد وخرشم من النحل  
ويقولون في الامتلاء فيقولون بحر طام ونهر طافخ وعين ثرة وانه مفعم ومجلس خاص باعله  
ويقولون في اسم الشيء اللين فيقولون ثوب لين وريح لذن ولحم رخص وريح رخاء وقراش  
وثيد وارض رشة ويفرقون في تغيير الطعام وغيره فيقولون اروح اللحم وأسن الماء وخنز  
الطعام وسنخ السمن وزنخ الدمن وقتم الجوز ودخن الشراب وصدا الحديد ونفل  
الاديم ويقولون يدي من اللحم غمرة ومن الشحم زهمة . ومن البيض زهكة . ومن  
الحديد نهكة . ومن السمك ضمرة . ومن اللبن والزبد شثرة . ومن الثريد مرده .  
ومن الزيت قتمة . ومن الدهن زخمزة . ومن الخل خمطة . ومن المسل لؤقة . ومن الفاكهة  
لؤجة . ومن الزعفران ردة . ومن العجين ورخة . ومن الطيب عبقة . ومن الدم ضرجة  
وسلطة وسطلة . ومن الرجل لثقة . ومن الماء بللة . ومن الحماة زفطة . ومن البرد صردة .  
ومن الاثنان قفضة . ومن المداد وحدة . ومن دهن البذر والنقط غنمة ونسمة . ومن  
البول قتمة . ومن العذرة طفسة . ومن الوسخ ورنه . ومن العمل محلة .  
ويقولون في الوسخ فاذا كان في العين قالوا ارمص فاذا اجف فهو عمش . فاذا كان  
في الاسنان فهو حفر . فاذا كان في الاذن فهو اف . فاذا كان في الاظافر فهو تف .  
فاذا كان في الرأس فهو حزار . وهو في باقي البدن درن .  
ويقولون في الكشف عن الشيء من البدن فيقولون حسر عن رأسه وسفر عن

وجبه واقرعن نابه . وكشر عن اسنانه . وابدى عن ذراعيه . وكشف عن ساقه وهتك عن عورته .

ويفرقون في الرياح فاذا ومنت الريح بين ريحين فهي نكباء . فاذا وقعت بين الجنوب والصلب فهي الجرياء . فاذا اهبت من جهات مختلفة فهي المناوئة . فاذا جاءت بنفس ضعيف فهي التسيم . فاذا كانت شديدة فهي الماصف . فاذا قويت حتى قلت الخيام فهي الهجوم . فاذا حركت الاشجار تحريكاً شديداً وقلمتها فهي الزعزع . فاذا جاءت بالهلب . فهي الماصب . فاذا هبت من الارض كالهمود نحو السماء فهي الاعصار . فاذا جاءت بالهبرة فهي الهبوة . واذا كانت باردة فهي الجرجف والمصرصر . فاذا كانت مع بردها ندى فهو البليل فاذا كانت حارة فهي السجوم . فاذا لم تلقح ولم تحمل مطراً فهي العقيم .

ويفرقون في المطر فاولة رش ثم طش ثم طل ورذاذ ثم نضح ثم نفخ ثم هطل ثم تهتان ثم وابل وجود فاذا احيا الارض بعد موتها فهو الحيا . فاذا جاء عتب الحمل او عند الحاجة اليه فهو الغيث . فاذا كان صفار القطر فهو الققط . فاذا دام مع سكون فهي الديمة . فاذا كان عاماً فهو الجداء . فاذا روى كل شيء فهو الجود . فاذا كان كثير القطر فهو الحطل والتهتان . فاذا كان ضخماً القطر شديد الوقع فهو الوابل

ويقولون هيجبت السبع وشابت الابل ونققت بالغنم وساسأت بالحمار وهاهأت بالابل اذا دعوتها للملف وجاءت بها اذا دعوتها للشرب واشليت الكلب دعوة اسدته ارسلته

ويفرقون في الاصوات فيقولون رغا البعير وجرجر وهدر تيقب ونطت الناقة وصهل الفرس وحمم ونهم الفيل وشيق الحمار ومحل ومصحح البغل وجاءت البقرة ذخارت وثاجت النجعة . وثنت الشاة ويعرت . ونم الظبي ونزب . ووعوع الذئب . وضج الثعلب وصنعب الارب . وعوى الكلب ونبح ومأت السنور ومأت الفارة . وهت الافى . ونقى الغراب ونفب . وزق الديك وصقع . وصقع النسر . وهدر الحمام وهدل . وغرد الكاء وقبح الخنزير ونقت العترب . وانقضت البفادع ونقت ابضا وعرفت الجن .

ثم قال فصل للعرب خاص وعام فاليفض عام والفرك خاص . النظر الى الاشياء عام والشيم للبرق خاص الصراخ عام والواعية على الميت خاص الذنب للحيوان البهيم عام

والذي ياتي للفرس خاص السير عام والسرى الليل خاص الحرب عام والاباق للعبيد خاص  
الرائحة عام والقتار للشواء خاص

ثم قال فصل ومن جملة المسلم للعرب انهم لا يقولون مائدة الا اذا كان عليها  
الطعام والا فهي خوان ولا العظم عرق الا ما دام عليه لحم ولا كأس الا اذا كان فيها  
شراب والا فهي زجاجة ولا كوز الا اذا كانت له عروة والا فهي كوب ولا رضاب  
الا اذا كان في الفم والا فهو بصاق ولا اريكة الا لسرير عليه قبة فان لم يكن عليه قبة  
فهو سرير ولا ربطة الا اذا كانت لفقين والا فهي ملاء ولا خدر الا اذا كانت فيه  
امرأة والا فهو سر ولا لمرأة طعينة الا اذا كانت في الهودج ولا قلم الا اذا كان مبريا  
والا فهو انبوبة ولا عين الا اذا كان مصبوغا والا فهو صوف ولا وقود الا اذا انقذت  
فيه النار والا فهو حطب ولا ركية الا اذا كان فيها ماء والا فهي بر ولا للابل راوية  
الا ما دام عليها الماء ولا للدلو مجل الا ما دام فيها ماء ولا ذنوب الا ما دامت ملأى  
ولا نفق الا اذا كان له منفذ والا فهو سرب ولا للسري نيش الا ما دام عليه الميت  
ولا للغانم خاتم الا اذا كان عليه فص ولا رح الا اذا كان عليه زج وسان والا فهو قناة  
ولا لطيفة الا للابل التي تحمل الطيب والبزخاسة ولا حمولة الا للتي تحمل الامتعة  
خاصة ولا بدنة الا للتي تحمل الثغر ولا ركب الا لركبان الابل والا حضة الا اذا كانت  
حمراء ولا يقال غيث الا اذا جاء سيفه ابانه والا فهو مطر ولا يقال عش حتى يكون  
عيدانا مجموعة واذا كان تقب في جبل او حائط فهو وكن ووكر

ثم قال فصل ونقول العرب في الامر وهن وفي الثوب وهي وفي الحساب غلت وفي  
غيره غلط وفي الطعام يشم وفي الماء ثغر وحلا الشيء سيف في وحلي في عيني الخ  
وهكذا جميع فصول الكتاب كلها غرر بل قلاند در وهو نحو اربعائة صفحة  
والصفحة على ربع الورق تفيد الله تعالى مؤلفه برحمته ورضوانه  
بشاد

محمود شكري الالوسي



## بعدالين

لقد طوحتي في البلاد مضاعا  
فبارحت أرضاً مملأت حقايمي  
عنت كلّ بغداد عتب مودع  
إضاعتني الأيام فيها ولودرت  
لقد ارضعتني كل خشف وانني  
وما أنا بالجلاني عليها وإنما  
واعملت اقلامي بها عريّة  
ولو كنت ادري انها اعجوبة  
ولوشئت كآبت الذين انطوا بها  
ولكن هي النفس التي قد آبت لها  
أيت عليهم ان أكون بذلة  
على اني داريت ما شاء حقدّم  
واشقى الورى نفساً واضيعهم نهى  
تركنت من الشعر المديح لاهله  
وانشدته يحلو الحقيقة بنهني  
وارسلته عفواً لجاء كما ترى

طوانح جاءت بانخلوب تباعا  
سوى حبا عند البراح مثا  
امضته فيها الحادثات قراعا  
لن عليا ان أكون مضاعا  
لاشكرها ان لم تتم رضا  
نهضت خصاماً دونها ودفاعا  
فلم تبد اصفا لها وصفا  
تخذت بها السيف الجراز يراعا  
على الحقد صاماً بالمداد فصاعا  
طباع المعالي ان تدعو طباعا  
وقاوي الضواير ان تكون ضبا  
فلن يحمد نفعاً ما آتيت وضاعا  
ليب يداري في نهاء رعا  
وزمت شعري ان يكون قذا  
ويكشف عن وجه الصواب قناعا  
قواني تحتاب البلاد سراعا

\*\*\*

وقفت غداة البين في الكرخ وقفة  
ادع اصحابي وم محدثوني  
ادعهم في الكرخ والطرف مرسل  
وادعم رأسي بالاصابع مطرف  
وكنت اثن البين سهلاً فذاني  
واني جبان سيف فراق لبعني

لما كريت نفسي تطير شعاعا  
وقد ضقت بالبين المثل ذراعاً  
الى الجانب الشرقي منه شعاعاً  
كأن برأسي يأمم مداعاً  
شرى البين في مالزاد وباعاً  
وان كنت في غير القراق شجاعاً

كآني وقد جدّ الفراق سفينة  
 فالت بها الارواح والبحر مائج  
 فخصني من هزة في اندمًا  
 فانا الا قومة واغناء  
 أيت وما اقوى الموم بمضجع  
 والمو بذكرام على السيركا  
 هم القوه اما الصبر عنهم فقد عصى  
 لقد حكومي في الامور فلما كن  
 فاست ابالي بمدان جدّ بينهم  
 سلام على وادي السلام وانني  
 له الله من واد تكاسل اهله  
 زآهم عبيدًا فلست بدائم  
 جرى شاكراً صنع الطبيعة انها  
 وما نس لانس المياه بدجلة  
 ولوانها تسقي العراق لما رمت  
 وما وجدت ريح وان قد تلوت  
 ساجري عليها السمع غير مضجع  
 واذكر هاتيك الرباع بمسما  
 الاسانة

اشالت على الريح المجوم شرعا  
 وقد اوشكت الواحها انداعي  
 ترق هضبا زلزل وتلاعا  
 ومسر اذاعته السمع فذعا  
 تصارعتي فيه الموم صراعا  
 هبطت وهاداً اوعلوت يفاعا  
 واما اشياقي فموم فاطعا  
 لانطق الا آمراً ومطاعا  
 زجرت كلاباً ام قمعت سباعا  
 لاجعل تسليمي عليه وداعا  
 فباوا عطاشا حوله وجياعا  
 ولم يحجر بين المجدبات مشاعا  
 ابانت يداً في جانيه مذاعا  
 وان هي تجري في العراق ضياعا  
 به الشمس الا في الجنان شعاعا  
 ميا به الا قرى وضياعا  
 وانذب قلعا من هناك فقاعا  
 فحمت على شصط المزار رباعا  
 معروف الرصافي



## النقل والناقلون

للتأليف طريقان طريقة الاعتقاد على من سبق لمؤلف ونقل كلامهم ليدعم به قوله ويؤيد رأيه وطريقة بدء رأي المؤلف ببشرة دون لاستشهاد باقوال غيره مهما بلغت من المكانة . والطريقة الاولى هي الطريقة الحميلة المقتمة التي تبقى على الدهر ويصعب ان يطرق اليها الخلل لا اذا ظهرت نصوص كثيرة صحيحة تختلف ما استشهاد به الكاتب .

نقد رأي ديكارت الفيلسوف الفرنسي ان ليس في درس مذاهب الغير ولا سيما في الفلسفة كبير امر وان الاجدر ولو ببعض 'رباب العقول ان يبحثوا عن الحقيقة بما فيها من الاسرار الخاصة دون الاحتفال بالمذاهب الاخرى التي ذهب اليها غيره في هذه المسألة يدان بعض شينغ نلغة ديكارت نفسه يرون ان هذا البحث على خلوه من فائدة فذل لانه يسلب من العقل حرية في تقديره لاتيئه قدرها

ويرى الفيلسوف كوزين الفرنسي غير رأي ديكارت بل انه على سبيل ضرورة درس المذاهب الفلسفية السابقة حتى تدرج الى ان مزج الفلسفة بتاريخ الفلسفة ومن رأيه ان الطريقة الفلسفية الوحيدة الجديرة بهذا العصر ان يدرس المؤلفات لمذاهب كلها ويتبين بين المذاهب التي ظهرت الى اليوم على مشهد العقل البشري من المذهب المتناقضة .

ثم عاد ديكارت ايضا فنقل ان لمصنفاتي يصفهم جماعة قد تكون في كماله دون التي يصفهم فرد واحد وتدرج من ذلك الى ان قال ان العنوة التي تألفت على التوالي من آراء كثيرين قد يكون حفظها من الاخذ بطرف من لحق قل من العنوة التي هي ثمرة فكر واحد .

ومن العدة عند مؤلفي التريين اذا ارادوا الكتابة ان يطالعوا جميع ما يمكنهم مطالعته في الموضوع الذي يريدون انطوض فيه فيطلع الاذني ما كتبه لافرنسي والابيطالي والروسي والانكليزي والاميري وشيره غيرهم لتكون كتبه مؤيدة بشواهد الصحيحة ولذا قرأ سبنسر فيلسوف الانكليز في القرن التاسع عشر ١٧٣ كتابا قبل ان يكتب كتابه العدل . وهكذا كل مؤلف في الغرب اليوم

وبعد فما كل قول ينقل ويستشهد به حجة لتأييد الكلام وانما ينقل قول يكون قائمه قدوة والا فاما من قول الا وقد قيل كما قال كثير من الحكماء . وقد نشأ من نقل اقوال كيفما اتفق اختلاف كثير حتى ان الباحث اذا دقق النظر يرى ان تلك الاقوال ترجع الى قول او قولين من يعتد بهم ولو امكن لكل مؤلف ان يسلك طريقة الجاحظ في قوله : « انما احكي لك من كل نخلة قول حذقهم وذوي احلامهم لان فيه دلالة على غيره وغني عما سواه » نكاث نهج السيل الاقوم

ومن نقل كل ما يقال ترى في كتب التاريخ والمثل والنحل اقوالاً ذا بصمت عنها لم تجدوها الا عند بعض ادنى العوام فكراً ولو عين المنقول اليه اسقط موقع القول من النفوس لكن بعض الناقلين تصورهم في النظر ينقلون كل ما يقال بدون تعيين المنقول عنه ولو عينوا المنقول لاسقط الاشكال . وكثيراً ما يتصد الحذاق منهم المغالطة ليوهمو الناظر ان في المسألة اختلافاً وهو محل دقيق جداً يغلط فيه النحوي العالم على ان يضم يرى ان لا ينقل من قول الحذاق الا قول له موقع في النفس ومن ثم يقول الغائل وليس كل خلاف جاء معتبراً الاختلاف له حظ من النظر

وان ارباب النقد ليعثون في كل قول عمن قاله ليعلموا درجة النائل في نفسه ودرجته في اعتداء الناس به وبذلك تظهر له الحقيقة في اجلي مظاهرها وقد قال حجة الاسلام الغزالي قولاً قاله كثير من قبله « لو سكت من لا يعلم قل » الخلاف في العالم »

سأنا ذات يوم احد العلماء العرفين عن السر في اختلاف المذاهب والمذاهب المنقولة فقال : وربما نجد في كتب المثل والنحل أسماء غرق لها اقوال غريبة يصعب عليك بعد التبع الشديد ان تعرف في اي عصر وجدت واين وجدت وكيف وجدت وفي اي قطر يوجد منهم الناس وان زعم الزاعم انقراضها يسر عليه اثبات زمان انقراضها واغرب من ذلك صعوبة معرفة ترجمة رجل من حذاقها فذكر ثروة من هذا النوع يمد صحافة من الناقل . والذين لم كتب في هذا المقام منهم النائل غير الناقص ومنهم المحرو لعلية الهوى عليه ومنهم من لم تنتشر كتبه عندنا ولو وجدت كتب الجاحظ ومن نحاخوه كابن ابي الحديد في هذا الباب مثلاً لكفيها المؤنة في ذلك نعم يقال ان الجاحظ قد يسلك طرق التزوير كما سجل عليه ذلك بعض معاصريه من ابتداء نخله كابي جعفر الاسكافي لكن تزويره الجاحظ تمويه عاقل ذي بصيرة اذا موه يكاد يظهر الحق من خلال تمويهه وقد يصرح بغير ذلك في موضع آخر فالعاقل ذو البصيرة ينتفع بكلامه كيف كان

قال ومن يخلط في نقله كالطبيب الذي ينقل كل قول لا يعود احد بهتد بهتقوله وكذلك النحوي وغيره وهذه القاعدة تكاد تكون عامة لا تختلف في كل فن فند نقل ابن ابي الحديد ان الجاحظ الف كتاباً سماه كتاب العثمانية انتصر فيه للخلق انراشدن الانه اظهار فيه ما يشعر بالنصب لما اقتضته طينة البصرة على زعم بعضهم فتصدى له من ابتداء فخله الامام ابو جعفر الاسكافي فنقض كتابه واطلق لسانه في الجاحظ اخلاقاً لم يقع نظيره من المضادين للجاحظ في الخلة فمن ذلك قوله: القول ممكن والدعوى سهلة سيما على مثل الجاحظ . . . قوله لغو ومطلبه صحيح وكلامه عيب ولم يقول الشيء وخلافة ويحسن القول وضده

قال قاضي القضاة عبد الجبار في كتاب سبقات المعتزلة نقض الاسكافي كتاب الجاحظ في العثمانية في حياته فدخل الجاحظ اوراقين ببغداد فقال: . . . هذا الفانم السوادى الذي بلغني انه تعرض لنقد كتابي و . . . جعفر جالس فخنق منه حتى لم يره وكان ابو جعفر علوي الرأي محقة منصف قليل العصية ألف سبعين كتاباً في علم الكلام .

وقصارى القول نه لا ينقض الاكلام الثقفت والمغفرة الاستسبس به وتقوية او اصر اكلام به وقد ينقض كلام بعض الضعفاء لئكة فيه او لمعة تراء منه . . . والكتابة بدون استشهاد باقوال الائمة والعلماء بهما بلغت درجة صحتها لا ينفك اليها عند المحققين ولو سوت من الاآي كل عقد تدين





## التمييز في الالبسة

لبس اغرب من هذا الشرق ترى فيه الاختلاف في الافكار كما تراه في الاديان بل تراه في اختلاف الهواء والماء . وقد وفق الغرب الى توحيد البسة اهله في القرون الاخيرة اما الشرق فلم يزل في تخالفه في ذلك على نحو ما كان عليه في القرون الوسطى قرون الظلم والهمجية

اختلاف المشاركة في البستهم قديم فند كان للنضاة وللجناد وللعلماء والعامة ائسة خذعة بهم بل كان اللباس تابعاً للاقاليم فابن الحجاز يلبس ما لا يلبسه ابن الشام وهكذا تجد لو طفت الاقاليم ودرست المدنيات .

وكان لاهل الندة في الاسلام لباس خاص بهم وهو من التحكمات السياسية التي دء اليها العرف لا الدين وليس في الدين ما يدل على تمييز المسلمين بلباس خاص فند اشـرط الخليفة الثاني في كتاب الجزية الذي كتبه لاهل الندة ان يؤخذوا بلبس الفيار وهو علامة لهم كالزئار ونحوه ولما تبسط الفاتحون في مناجي السلطان كان من جملة واجبات المحتسب كما في كتاب نهاية الزية في الحسبة ان يأخذ التميمين بلبسه فان كان يهودياً على على كتفه خيطاً احمر او اصفر وان كان نصرانياً عمل في وسطه زئاراً او على سيفه حلته صليباً وان كانت امرأة لبست خنـفـين احدهما ابيض والاخر اسود واذا عبر الذي الى الحمام ينبغي ان يكون سيفه حلته صليب او طوق من حديد او نحاس او رصاص ليختبره من غيره .

وفي كتاب الطراج لابي يوسف ان لا يترك احد منهم يشبه بالمسلمين في لباسه ولا في مركبه ولا في هيئته ويؤخذوا بان يجمعوا في اوسائهم الزنارات مثل الخيط الغليظ يعمده في وسطه كل واحد منهم وبان تكون فلانسهم مضربة قل وان عمر بن الخطاب امر عماله ان يأخذوا اهل النمة بهذا الزي اي ان تكون قلايدهم طوالاً مضربة وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كتب الى عامل له فلا يلبس نصرانياً قبا ولا ثوب خز ولا عصب وقد ذكر لي ان كثيراً من قبلك من النصارى قد راجعوا لبس العامة وتركوا المناطق على اوساطهم واتخذوا الجمام والوفر وتركوا التخصيص ولعمري ان كان يصنع ذلك فيما قبلك ان ذلك بك لضعف وعجز ومصانعة

وفيها اعلنا عليه من الكتاب اشارات طافية لاختلاف ازياء التمييز في العصور الاسلامية وما هذا الاختلاف في الحقيقة ناتج الا من التحكم البارذغالاً . قال ابن الاثير في حوادث سنة ٢٣٥ ان المتوكل امر اهل النمة بلبس الطيالة الصليبة وشد الزنابير وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين في مؤخر السروج وعمل رقعتين على لباس ماليكهم مخالفين لون الثوب كل واحد منهما قدر اربع اصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم تلبس ازاراً صليبا ومنعهم من لبس المناشق وامر بهدم يعهم المحدثه وبأخذ العشر من منازلهم وان يجعل على ابواب دورهم صور شياعين من خشب ونهى ان يستعان بهم في اعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم وان يظهروا في شعائهم صليبا وان يستعملوا في الطريق وامر بتسوية قبورهم مع الارض وكتب في ذلك الى الآفاق .

وقال الذهبي في حوادث ٣٩٨ وفيها هدم الحاكم كنيسة القيامة بالقدس وكانت فيها اموال وجواهر ما لا يوصف واُزِمَ النصارى بتعليق صلبان كبار على صدورهم واليهود بتعليق مثل رأس انجيل على صدورهم وكان الصليب رطلاً بانمشقي من خشب ومثال رأس العجل كالدقة ووزنها رطل ونصف وان يشدوا الاجراس في رقابهم عند دخول الحمامات قال والزه الحاكم صاحب المغرب والحجاز ومصر والشام امر النمة بالصليان في اعناقهم والبس اليهود العامم السود نكابة واحدة لبني العباس قال ابن خلدون وفي سنة اثنتين واربعمائة امر الحاكم النصارى واليهود الا الخياصة بلبس العثم السود وان تحمل النصارى في اعناقهم الصليان ما يكون خوله ذراعاً ووزنه خمسة ارجال وان تحمل اليهود في اعناقهم قرامي الخشب على وزن صلبان النصارى وان يكون في اعناق النصارى اذا دخلوا الحمام الصليان وفي اعناق اليهود الجلاليل لتمييزوا عن المسلمين قلنا وكان في الحاكم لثة وجنة يأمر اليوم بأمر فينهي عنه في الغد

وذكر الذهبي في حوادث سنة سبعمائة ان النصارى واليهود البست بمصر والشام العامم الازرق والصفو واستمر ذلك . سنة ٢٣٤ الزم النصارى واليهود بيفد بالختيار ثم تقضت كنائسهم ودياراتهم واسلم منهم ومن اعيانهم خلق كثير منهم سديد الدولة وكان ركناً لليهود .

وردى لسان الدين بن الخطيب ان اسمعيل بن فرج الخورجي من ملوك الاندلس اشتهر في اقامة الحدود ورافقة المسكرات وحظر تجلي القينات للرجال في نولائم وقصر

طربهن عليّ انبسهن من الناس واخذ لليهود اللعة بالتزام سمة تميزهم واثارة تشهرهم وليوفي حقهم من المعاملة التي امر بها الشرع في الخطاب والطرق وهو شواش (جمع شاشية) اصفر . وذكر صاحب المحجب في سيرة ابي يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن انه امر في آخر ايامه ان يميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم وذلك ثياب كحلية واكام مفرطة السعة تصل الى قريب من اقدامهم وبدلاً من العائم كلونات عليّ اشنع صورة كأنها البراديع تبلغ الى تحت آذانهم فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب ولم يزالوا كذلك بقية ايامه وصدر آمن ايام ابنه ابي عبد الله الى ان غيروه ابي عبد الله به ان توسلوا اليه بكل وسيلة واستشفعوا بكل من يظنون ان شفاعته تنفعهم فامرهم ابي عبد الله بلباس ثياب صفر وعمائم صفر فهم عليّ هذا الزي الى وقتنا هذا وهو سنة ٦٢١ واما حمل ابا يوسف عليّ ما صنعه من افرادم بهذا الزي وتمييزه ايام به شكه في اسلامهم وكان يقول لو سمع عندي اسلامهم لتركتم يخطلون بالمسلمين في انكسهم وسائر امورهم ولو سمع عندي كفرهم لقاتل رجالهم وسبب ذرارهم وجعلت موالهم فيئاً للمسلمين ولكني متردد في امرهم ولم تتعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قام امر المصامدة ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب يبعة ولا كنيسة انما اليهود عندنا يظنون الاسلام ويصلون في المساجد ويقرؤون اولادهم القرآن جارين عليّ ملتنا وسنتنا والله اعلم بما تكنه صدورهم وتخبر به بيوتهم اه

وقال ابن ابي اصيبعة: حدثني الشيخ موفق الدين بن البوري الكاتب النصارى قال لما فتح الملك ناصر صلاح الدين يوسف بن اوب الكرك اتى الى دمشق الحكيم موفق الدين يعقوب بن سقلاب النصارى وهو شاب عليّ رأسه كوفية ومخففة مخففة وهو لا بس جوخة ملوطة زرقاء زي اطباء الفرنج وقصد الحكيم موفق الدين بن المطران وصار يخدعه ويتردد اليه لعله ينفعه فقال له هذا الزي الذي انت عليه ما يمشي لك به حال في الطب في هذه الدولة بين المسلمين واما المصلحة ان تغير بك وتلبس عادة الاطباء في بلادنا ثم اخرج له جبة واسعة عذابة وبقياراً مكحلاً وامره ان يلبسها

قال ياقوت في معجم الادباء في ترجمة اسعد بن المذهب ما يأتي : كان المذهب ابو المعروف بالخايم مرتباً عليّ ديوان الاقطاعات وهو عليّ دين النصارى فلما علم اسد الدين شيركوه في بدء امره بمصر انه نصراني وانه يتصرف في (عمله) بلا غيار نهاه وامره بشيار انصارى ورفع اللوابة وشد الزنار وصرفه عن الديوان فبادر هو واولاده فاسلموا عليّ

يده فافهم علي ديوانه مدة ثم صرفه عنه فقال فيه ابن النروي  
 لم يسلم الشيخ الخطير لرغبة في دين احمد  
 بل ظن ان محاله ياتي له الديوان سمد  
 والآن قد صرفوه عنه فدينه فالعود احمد  
 ولما امر شيخ كوه النصارى بلبس النياز وان يعموا بغير عذبة قال عمارة انيني  
 يا اسد الدين ومن عدله يحفظ لنا سنة المصطفى  
 كفى غياراً شد اوساطنا فوالذي يوجب كشف النقاب  
 هذا ما كان عليه الاختلاف في الازياء بين أهل الرنس الواحد وكثيره كما ترى  
 ناشي من ملوك او نقباء منعبين تعصب ظاهراً مثل المتوكل والحاكم باسم الله وه يسمع  
 بان رجال الجند في الاسلام مثل الرشيد والمأمون وصالح الدين ونور الدين تحكموا  
 هذه التحكمات والله اعلم



## الجغرافيا والعرب

لم يترك العرب ايام حضارتهم فرعاً من فروع العلوم النافعة في قيام مجتمعاتهم الا وتوفر  
 انفراد منهم عليه . وعلم الجغرافيا هو احد تلك العلوم ولم يكن لهم به عهد في الجاهلية  
 كالشعر والرواية والادب والخطب واذا ذكروا بعض اسماء البلدان المجاورة لهم فاقاموا  
 يذكرونها بالعرض لا تشعر بمعرفة ولا تنم عن اشتغال  
 . وكان من اول الكتب التي نقلوها الى لسانهم كتب بطليموس اليوناني في الجغرافيا  
 ومن اول الاعمال الجغرافية العلمية التي تمت علي يد ثلثتهم هو ان المأمون امر محمد بن  
 موسى بن شاكر واخويه احمد والحسن بتحقيق شلوط خط نفث الابرار لمرعة محيط الكرة  
 الارضية بالقطب فقاموا احد خطوط الطول في سهل سنجار ثم اعادوا المقياس ذاتاً في  
 وطقت الكوفة فثبتت لديهم كروية الارض وعرفوا محيطها  
 قال ابن خلدكان في ترجمة بني شاكر : وكانت لهم مهم غاية في تحصيل العلوم القديمة  
 وكتب الاوائل واتبعوا انفسهم في شأنها وانفذوا الى بلاد الروم من اخرجها لهم

واحضروا النقلة من الاصقاع الثلثة والاماكن الجديدة بالبدل السني فافظروا بحجاب الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم المندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقل - ولم في الحيل كتاب عجب نادر يشتمل على كل غريبة ولقد وثقت عليه فوجدته من احسن الكتب وانتهى به وهو محمد واجد - وما اختصوا به في ملة الاسلام واخرجوه من القوة الى الضعف وان كان ثوبلب الارصاد المتقدمون على الاسلام قبله فعلوه ولكنه لم يقل ان احداً من اهل هذه الملة تصدى له وفعله الامم وهو ان المؤمن كاف وبهرى بعلوم الاوائل وتحققوا رأى عليها ان دور كرة الارض اربعة وعشرون الف ميل كل ثلاثة اميال فرمح فيكون المجموع ثمانية آلاف فرمح فيحسبوا وضع طرف جبل على اي نقطة كانت من الارض وادروا الحبل على كرة الارض حتى انتهوا بالطرف الاخر الى ذلك الموضع من الارض والتي طرفا الحبل فاذا مسخا ذلك الجبل كانت طوله اربعة وعشرين الف ميل فلما المؤمن ان يقف على حقيقة ذلك لبس النبي موسى الذي يجوز عنده فقالوا انهم هذا قطبي وقال داوود ملك من تملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبره هل يقر ذلك ام لا فسألوا عن الاراضي المتناوبة في اي البلاد هي قليل لم صحراء سفيل في غاية الاستواء وكذلك وطلت الكوفة فدخلوا منهم جماعة ممن بشق المؤمن الى اقوالهم ويكرهون الله معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا الى سفير وجازوا الى الصحراء المذكورة فوقوا في موضع منها فدخلوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات وضربوا سبعة ذلك الموضع وتداً فدخلوا عليه جبالاً بطولاً ثم مشوا الى الجهة الشمالية على استواء الارض من غير انحراف الى اليمن واليسار حسب الامكان فلما فرغ الجبل نصبوا في الارض وتداً آخر ودخلوا فيه جبالاً بطولاً ومشوا الى جهة الشمال ايضا كقطبهم الاول ولم يقل ذلك عليهم حتى انتهوا الى موضع اخذوا منه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الارتفاع الاول درجة فحسوا ذلك القدر الذي يقبضونه من الارض بالجبال فبلغ ستة وستين ميلاً وثلاثي ميل فعملوا الفلك على كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون ميلاً وثلاثين ثم عملوا الى الموضع الذي مضوا فيه في الزمان الاول ودخلوا فيه جبالاً فخرجوا الى جهة الجنوب وداً على الاعتدالية وعملوا كما عملوا في جهة الشمال من نصب الاوتاد وشد الجبال حتى خرجوا الى الجبال التي اشتملوا في جهة الشمال ثم اخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالي قد يقبض عن ارتفاعه الاول درجة فضع حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك

وهذا اذا ولفس طبعه في علم الخربة يظهر لم حقة ذلك ومن المعلوم ان عدد درج  
الملك ثلاثة وستون درجة لان الملك مقسوم بالتي عشر برجا وكل برج ثلاثون درجة  
فكون الجمة ثلاثة وستون درجة فطريقا عدد درج الملك في سديوسين ميلا أي التي  
هي حصة كل درجة فكانت الجمة اربعة وعشرين الف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ  
وحيث حقق لا شك له فلا غار بنوموني الي المأمون واخبروه بما صنعوا وكانت موافقا  
لما رآه في الكشيد القديمة من استخراج الاولئ طلب تحقيق ذلك في موضع آخر فسيرم  
الي ارض الكوفة وفسلوا كما فعلوا في سبيلوا فتوافق الحسابان فعمل المأمون صحة ما حوره  
القدماء في ذلك

فاما ما قاله صاحب وفيات الاعيان بنعمه وليس العمل لاثبات كروية الارض هو  
العمل الوحيد الذي قام به المأمون فقد قال المسعودي صاحب مروج الذهب في كثر  
الفتية والاشراف وهو ما الله بسطاط مصر سنة ٣٤٥ هـ ورأيت هذه الاقاليم  
مصورة في غير كتاب بالوان الاصباغ واحسن ما رأيت من ذلك سيف كتاب جغرافيا  
المربنوس وتفسير جغرافيا قطع الارض وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون اجتمع على  
صحتها عدة من حكاة اهل عصره صور فيها العالم بانلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره  
وغائره وسكانه الام والمدن وغير ذلك وفي احسن مما تقدمها من جغرافيا بطليموس  
وجغرافيا غاريدس وغيرهما

قال السنيور جويدي الايطالي "وليس حكاة العرب هم الذين عنوا دون غيرهم من  
الامة العربية برسم صورة الارض بل ان امراءهم كذلك ومنهم امير المؤمنين المأمون  
الخلقة النبلي فانه انهم برسم الارض وبذل قصارى جهده في ابرازها جميعا من العراق  
من حكاة دولة زهاء ستمين حكاة على ما قيل تاجعوا على تكوينها واحكامها حتى فصلت  
بذلك ما تقدمها من الصوراه ولقد عرف المتطونان من جملة اسباب الفتح معرفة طرق  
الهدان والامصار فقد ذكر المارخون انه قام الملاحون المدعوون بالمفرورين في القرن  
الاول للجمرة وافلقوا من ابيونة عاصمة البرتغال اليوم بغية الوصول الى ما وراء بحر  
الظلمات من الاطراف الغربية او لاكتشاف الجزائر الاميركية قبل ان يكتشفها كولبس  
وفي البعثات التي سبقتها اطلقها الى القاصية كبحنة الوائق الملبني لاكتشاف سواحل  
(١) محاضرات ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها باوروبا  
وخصوصا بايطاليا

يحرر أخيراً ويثبت المقتدر بالله عام ٣٠٩ إلى البشار للدعوة الإسلامية فيها وأخذ أحد أعضاء البعثة أحمد بن فضلان بعلميات مفيدة عن تلك البلاد وفي الحملة التي وصلت إلى بكين بعد فتح كاشغر سنة ٣١٧ وتسمين الهجرة لدعوة المسلمين إلى الإسلام في كل ذلك أكثر دليل على تقدير العرب لهم رسم الأرض أو الجغرافيا أو علم تهويم البلدان ولقد كان علماء الحديث من أشد الناس عناية بالجغرافيا لتمييز النسب إلى البلدان والفرق بين الرجال وساقط رؤسهم وهذا هو الحب الذي دعا أرباب المعاجم أن يذكروا أسماء الأمصار والقرى . ومن راجع باب العشر والخارج في مطولات الفقه علم ما بين الفقه والجغرافيا من التعلق .

كتب أحد الخلفاء إلى حكيم من حكماء عصره حين فتح الله البلاد على العرب من العراق والشام ومصر وغيرها يقول : أنا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد أن ننبأ الأرض ونسكن البلاد والأمصار فنصف في المدن وأهويتها ومسكناتها وما تؤثره التربة والأهوية في سكانها فكتب إليه ذلك الحكميم بجزائرها الطيبية . وكتب عمر ابن عبد العزيز إلى أحد عماله أن يصف له جزيرة الأندلس لأنه علم أن المسلمين نزولاً فيها في بلاد يحيط بهم الأفرنج من أكثر الجهات ولا بقاء لهم في تلك البلاد . ولما اجتمع ابن خلدون ببيروت سنة ٨٠٢ هـ في دمشق سأله هذا عن بلده والمغرب الأقصى فذكر له ابن خلدون ما حضره وطلب منه أن يؤولف له مختصراً وجنباً يصف له بلاد المغرب كلها أقاصيها وأدانيها وجبالها وأنهارها وقراتها وأمصارها فكتب له في غربته اثني عشرة كراساً في وصف المغرب

وأجمع تعريف للجغرافيا يستدل منه على موقعها من نفوس العرب واتصالها بعدة علوم لم ما قاله ياقوت في مقدمة معجم البلدان : ومن ذا الذي يستغني من أولى البائتر عن معرفة أسماء الأماكن وتصحيحها وضبط اصقاعها وتقييمها والتأني في الافتقار إلى ثلثها سواسية وسرد ذرونها على الأسن في الخفايا علانية لأن من هذه الأماكن ما هي مواقيت للحجاج والزائرين ومما للصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ومشاهد للولاء الصالحين ومواطن غزوات سرايا نبينا المرسلين . ولتخرج الآية من الخلفاء الراشدين وقد فتح هذه الأماكن صلحاً وعدوة وأملقاً وقوة ولكل من ذلك حكم في الشريعة في قسمة الفيء واغتيا الجزية وتول الخراج واجتيا المقاطعات والمساكنات وإنالة التسويات والاقطاعات لا يسم النقباء جهلها ولا تعدد الأئمة والأمراء إذا ظفهم

في طريق العلم حزمها وضبطها لانها من لوازم فنيا الدين وضوابط قواعد الاسلام والسليخ  
فلما اهل السير والاختيار والحديث والتواريخ والآثار لحاجتهم الى معرفتها امس من  
حاجة الرياض الى القطار غب اختلاف الانواء والمشي الى العافية بعد رأس. بن الشفاه  
لانه معتمد عليهم الذي قل ان غلومته صحة بل وجهة بل سطر من كتبهم واما اهل  
الحكمة والفتيم والطبيب والتعظيم فلا تقصر حاجتهم الى معرفته عن قدمنا فالاطباء  
لمعرفة امزجة البلدان واهوائها والتعظيم للإطلاع على مطامع النجوم وانوائها ذ كانوا لا يحكون  
على البلاد الا بظواهرها ولا يقضون لما عليها بدون معرفة اقاليمها ومواضعها ومن كمال  
الطبيب ان يتطلع الى معرفة مزاجها وهوائها وصحة او سقم منبتها وماثها فصار حاجتهم  
للا يضيظها ضرورة وكشفهم عن حقائقها فلسفية ولذلك صنف كثير من القدماء كتباً  
سموها جغرافيا ومعناها صورة الارض والى آخرون كتباً في امزجة البلدان وهوائها نحو  
جالينوس وقيله بقراط وغيرهما واما اهل الادب فلهذا حاجتهم اليها لانها من ضوابط  
الفنوي ولوازمه وشواهد الفكري ودعائه ومعتمد الشاعر في تحلية جيد شعره بذكرها  
وتزيين عقود لآتي نغمة بشعرها فان الشعر لا يروق ونفس السامع لا تشوق حتى يذكر  
جاهز وزرود واللحناء وعبود ويقفن الى ومال رضى فيلزمه تصحيح الاسم واين صقع  
وما أشفاقه وزهده وقره وحزنه وسهولته فانه ان زعم انه واد وكان جبلاً او سبيل وكان  
حجرًا او خمرًا وكان نهراً او نهر وكان قرية او قرية وكان شعباً او شعب وكان حُرّاً  
او حُرّاً وكان روضة او روضة وكان صفاً او صفاً وكان مستنقعا او مستنقعا وكان  
جداً او جداً وكان سبعة او سبعة وكان حرة او حرة وكان سهلاً او سهل وكان وعراً  
او وعراً شرقياً او شرقياً وكان غربياً او جنوبياً وكان شمالياً سفل قدره وتزكته وأرضه  
ويرى انه صخرة وجعل امرأة ويرى انه امرأة واستخف وزنه واسترذل واستغفل فقله  
واستجمل انه

٥٨ وبعد فقد تشب في علم العرب بن الجغرافيا اناس لم يزالوا يذكرون كما يذكر الانفراد  
فن قدمائهم ابو موسى الخوارزمي وعبد الله بن خرداذبة وابن واضح المينقوتى وابن الفقيه  
المعداني وحميد بن زائدة وقدامة بن جعفر والجبالي وعلي بن فضال وابو دلف مشعر  
وابو زينة البلخي وابو اسحق الاصطخري وشمس الدين المقدسي وعلي بن الحسين  
المسعودي وابو الريحان البيروني وابو عبيد البكري وابو سعيد الاسمي وابو عبيد  
والسيرافي والاعشيري ومحمد بن احمد المعداني ومحمد بن ابي بكر الزميري والشريف



الأديبني وابن فضل الله العمري ومحمد بن المازني ومحمد بن علي الموطلي وإليهم عبد الله بن شداد وأبو محمد الميمني وأبو عبد الله ياقوت الحموي وذكرنا ابن محمد بن القزويني وابن سعيد المغربي وشمس الدين الخطيب الري السعدي والملك أبو الفداء حنا بن سحابة وابن بطوطة وابن الوردي وابن أبي عمير وكان آخرهم من يستعد بالقولم فقد جاء في القرون العاشر للهجرة وبعد ذلك انقطع منه العلوم الجغرافية من المسلمين بزهدهم. وفي كل علم مولفة الجهل وإن صادف أن جاء من اشتغل بالجغرافيا بعد ذلك العهد فيكون ناقلاً عن مصنفات أولئك الأعلام أو مختصراً لبعضها شأن العرب في القرون الثلاثة الأخيرة وفي جميع ما كتبوا فقد فقدت منهم مائة الألف والاختراع وصاروا نقله عما دبره والله أعلم



## ديوان خالد الكاتب

في جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية في دمشق ديوان خالد الكاتب ابن يزيد كتب سنة ١١١٠ هـ بقلم يحيى الدين الدمشقي السلطي وهو في ٨٨ ورقة تغلب عليه السبعة ومرتب على حروف الهجاء رتب لناظمه ولم يترده بنفسه فيما يظهر. قال على قافية الباء.

يا أيها الممرض يا ذا الذي	هب لأهوى دني بطول التنب
أما تراني دققاً دائماً	وجداً بين صارفتي واحتجب
يا واحداً في الحسن طال الهوى	والشوق إذ طال إليك الطلب
صبت للعبد على أن لي	قلبا قريحاً بك نافي الذنب

وقال أيضاً

القلب مني على شوق وتغيب	ورقة قرحت في قلب مكروب
لا والذي ذهبت بالنفس لحظته	وما يرى (١) من حسن ومن غيب
ما طول شوقي ولا حزني ولا كدي	إلا على معني من بعد تغيب
كم كمن الصبر من صبر يفوقه	مسدد عدم المشاق مخضوب

وقال ابنه  
يا ولدي اذهب الى طابك على دفت غريب  
خبرني عن النمل الذي يورثه الحب السكتيب  
يظن القاسم ان الاني من الحين الى حبيب  
يا بني بعد قوتك في ثرا وضعنا في كتيب  
وقال ابنه

فلو أن هذا كان من قبض عيرته  
كان ربيع الزهر بين مدامي  
على أنني لم أهلك إلا مودعا  
وقد قلت لما لم أجد لي راحة  
ومعظم الديوان في الغزل قال في غاية النال

البسمة السقم حتى ملّ عاقده  
 ثم لا أرقظ غلب الم علقده  
 وياح بالسر لما ذاب أكثره  
 رف المذلول له حتى بكى معه  
 وقال انفض

القلب يحسد جميعي لئلا النظر  
يقول قلبي ليني كما نظرت  
العين توارثه مما قشقه  
هذان خصمان لا أرضي بحكماهما  
والله اعلم

ولما رأيت الدم غاص الى الحشا  
وان فؤادي من دموعي في بحر  
نشرت الى عيني لاما فيها  
فايقنت ان الدم تحتهما يجري  
فلولا استبان الدم في مفر الحشا  
تغير انهار السموم من الصدر  
على ان قلبي ينشف البقع خرو  
واين يتما الدمع في وجه الجور  
فانهم بمط شره في النزول والسيب  
واكثره من اربعة ايات ومن شره في الهدى  
قوله يدح الحسن بن وهب الكاتب

يا وجه احسن من يمشي على قدم  
 اما وخدين يستفي الورد مائهما  
 وفي نسبة تمنح الدنيا من الظلم  
 ومعه كما دارت رأيت نبها  
 من جوهر الخط اسعدنا بلا قلم  
 الى ان قال في المديح

مذهب في باب الملك أسرته  
 من بيت دهنة الاشراف في شرف  
 في ذروة من بلا المز باذنه  
 امدى البرية في خطب واصوبها  
 قال جامع الديوان وهذا آخر ما وجد في ذيله عن نسخة أخرى تدعى الباقية  
 يا تارك الجسم بلا قلب  
 يا مقرداً بالحسن الفردني  
 انك عيني ابصرت ثنته  
 حبيبك الله لا بي كا  
 ان كنت احوالك فداوتي  
 منك بطول الشوق والحب  
 نهل على قلبي من حب  
 انك في ذلك بي جسي

وشعر خاله الكاتب كما تراه منسجم هو الى شعر المؤلفين اقرب منه الى شعر العرب  
 الذي يحوي غفلة اللفظ وجزالة التركيب وقد استفدنا من ترجمة خاله الكاتب انه  
 كان مغرمًا بالعبارة وبينه وبين معاصره الى تمام الطائي ملاحاة وشؤون وعلاصته حياته  
 كما في فوات الومينت للكافي انه خالدين يزيد ابو الهيثم الكاتب البغدادي اصله من  
 خراسان وكان احد كتاب الجيش ولاء ابن الزيات الاعطاء ببعض الثغور فخرج لسمع  
 في طريقه منشداً يتشد

من كان ذا شمين بالشام يطلبه  
 فبكى حتى سقط مفتياً عليه ثم ابقى واختلط عقله واتصل به ذلك الى الواسط  
 وبطل قال ومن شعره

عش فحبيك مريماً قاتلي  
 ذاغر الشوق بقلبي دغف  
 والهو ان لم تصلني وانصلي  
 فيك روالنم يجسم ناطق  
 وبها ما بين وجد وطني  
 تركاني كالتغيب الماين  
 وبكي العاذل لي من رحمة  
 فبكائي بكاء اللال

ومن شعرة أيضا  
عشج خياقي يوزد مكانه خدود أخيفت بتقصن الى بعض  
زواج وتدل الراح في حركاته كمثل النسيم الرطب في الفصن العنبر  
وتوفي خطه في جدول البعيرين والمائتين

## مصالح الأبدان والانس

قد بطن بعض من لا عهد له بحالة العرب أيام حضارتهم انهم كانوا كعرب البادية  
اليوم لا يكادون يعرفون الامور الصحية ولا تدبير البدن وانهم كانوا يسبرون متشعبين  
بفكر القضاء والقدر ان حكموا قالوا قضاء وان عاشوا قالوا قدر . والحقيقة ان القوم كانوا  
على عناية أكيدة بعلوم الصحة وبما بقي من كتبهم القليلة المحفوظ بعضها في دور الكتب  
في الشوق والغرب والمطربوع بعضها يدل دلالة كبيرة على ذلك واغرب سبيل للاشراف  
على بحارها بالعرب بدبير الصحة ان يرجع الناري الى كشف المظنون فميرى الكتب التي الفت في  
هذه الفن بل الى تراجم الاطباء في القرون الماضية الاولى للاسلام وقرأ سيرة طبقات  
الامام لابن ابني اصبعية اسماء الكتب التي منقوها في تدبير الصحة فقط

وقد علمنا في خزانة كتب السيد ابني الطير عابدين من جلة فقهاء دمشق ان كتاب  
مصالح الأبدان والانس لابي زيد البلخي وله الجفراني المؤرخ المشهور في القرن  
الثالث . والعلامة مقتطعة من كتاب كزلب تقليم عليها الصحة فاحينا نقله للمختصين  
لان معظم ما تكلم به من المصالح كأنه كسبه في هذه الأيام قاله الجواب :  
تذكر مقتضية على سبيل الاختصار والاختصار : من كتاب ابني زيد البلخي رحمه الله  
تعالى المسمى بمصالح الأبدان والانس فمما يقع فيسط المهد يدو يطويه وان كانه مذكرا  
غير محمول مسئول للفظ غير متداول الا لاملأ الى المهد يدو لفظ ونقص في الاطراف  
به مائة لفظ والله العوفيل والاعانة

## باب الحاجة الى تمهيد الاجسام وما في ذلك من استدالة

### الصحة

ان الجسد يحتاج في تعاقد اركانه وتماسك اجزائه الى تمهيد شديد وتفقد يبلغ والنفع في ذلك بن اثره عند من دق نظره . ومثاله ما نراه من حال الفوس في الاطفال وانه يتدرج على ترتيب يخفى عن الخس الى ان يبلغ غاية النام والشباب ثم يولى تولية تلطف عن الادراك حتى يجتمع فيه من احوال الانتفاض والانتعاش ما تكون جملة محسوسة وان لم يحسن تفصيله فذلك منفعة التمهد ومضرة الاعمال في غفائهم ما اولاً ثم ظهورهما اخيراً .

## باب في تدبير الاهوية والبلدان

كما يسافر الناس لطلب المعاش فلذلك يجب ان يسافروا لطلب المذازل المحموده والبعد من الاهوية الفاسدة الملة فان بعض الحيوان قد يفعل شبيهاً بذلك مثل اجناس الطير القاطعة واصناف السمك المثقلة والهواء كالركب ابدأ من طبيعة الماء والتراب اللذين ير عليهما واختلاف احوال سكان البلاد في صورهم واخلاقهم يتولد عن اختلاف هذه الاصول التي هي التراب والماء والهواء ، وعلى حسب ذلك يجب ان يرغب الحكيم في اصلاح ما يفسد منها . وافضل المساكن ما كانت تربته عذبة طيبة غير مشوية ولم تبعد الشمس عن سمت رؤوس اهلها وكان عاليًا في انحاء الارض وذرى الجبال ليتنوع هوائه ولا تحتج فيه بخارات المياه وانفاس الحيوان . ويكون ماؤه سميحاً من منافع طيبة حرمة التراب ، وتكون مجاريه بارزة للشمس وحركته شديدة ومسافته من مبداه الى منتهاه بعيدة ولا يكون بقرب المنزل تربة فاسدة او مياه اجنة من بطنائع وتفاعم وقد يوجد في المواضع الخربة من الارض ثقاوت شديد يجب معه الحرص على طلب الاصلح واذا دفعت الضرورة الى نزول بلد هوائي فاسد اصح بالجنور الموصوفة وجلب الماء للشرب من المواضع السليمة والانتقال عنه اصح ، فأما السلطان فتنبه في بلاد ملكه يجمع ثروتاً من الملهة منها سرور التنزه ، ومنها تخير الاصوب في تدبير الاجسام ومنها توزيع مراعاته على كل حد من حدود ملكه ، والهواء اقوى اجسام هذا العالم تصرفاً وتصرفاً لما يلاقه وهو الذي يؤدي القوى من الاجسام السبابة الى الارضية ويوصل

قوى ما يمر عليه الى ما يصل اليه كاصاله الاصوات والروائح التي لو سكن لعدمت، ويجب ان يكون المين في الصيف بازاء مهب الشمال، والجلوس في الشتاء بازاء مهب الجنوب وفي الفضلين بازاء مهب الصبا فهي موصوفة بطيب التسم ولا سيما في السحر ويحتنب مع ذلك ملائمة كل ربح عاصفة، وانما خست الصبا بالحركة في البحر لاقبال الشمس من ناحيتها فترقى اجزاء الهواء بحرها فيتبدد ويطلب مكانا اوسع فيحدث التسم المتخذ، ولان الشمس تعطي كل ما تلاقيه في اول النهار قوة عجبية . واما الدبور فيجب اجتنابها في جميع الاوقات والاحوال . ويجب ان يجلس الجلوس عاليا عن مهب الهواء الجاري على وجه الارض المشوب بالابخرة فانها تكدر الهواء المتنفس فيختر البدن ويفتره ويضعف قوة الحفظ وينقصه، وتستوطن العلالي والمتار الا ان ينعم منها صميم الحر والبرد فيتموض عنها الأسرة والقرش المنضدة قياسا على ما قد نقرر من أن المواضع الجبلية أصح مزاجا وانقى هواء من السهلية . . .

### باب تدير الاكثان والملابس

واجب على الانسان توقيه جسمه الحر والبرد من غير مبالغة في ذلك تكسب الترفه وتجلب الضرر عند ايسر تغيير من العادة وتزنى ادم الجسم والحرارة اوصى اهلاكا (٢١) . والبرودة اشد مضادة وبذلك يهلك الشتاء النبات ويحوج الحيوان الصامت الى الاستئثار بدل الانتشار ويجب ان تكون مساكن الشتاء مفرقة عن سنن الرياح منحصفة لميظان لتكون احصن . . . تخلل الهواء واسعة ريفية السمك ليكون للبخار والانفاس ودخان الوقود والمصابيح مجال فيها فانها ان تكاثرت انعكست الى المسام فكانت لها بشس الغذاء وهذه الصفة في التوسعة وتلطية السمك تلزم في الصيف والشتاء، ويجعل مساكنه مضيئة ما امكن فان النفس تنزوي من الظلمة وتستوحش قياسا على الليل والبارد وبما خرج الى قراءة كتاب في الظلمة فلم يكن الا باكره البصر واكرهه بكله وبشدة، والظلمة مضرة باليسر فان قوام النظر للهواء المعتدل . وشدة الغوء يضره كشماع الشمس راتصال الظلمة يبطله كما اصاب من طالت مدة سجن الحبس . ويجب ادفاء بيوت الشتاء بالانار التي يستوي في احمائها جميع اجزاء البيت لتستوفي لذة الدفء من جميع الجهات كدمل الحمام فان اخذت مقادير السخونة اضرت بحسب خروجها عن الانظام والاعتدال . الا ان يحتاج ان يسخن بعض اعضاءه فيجري ذلك بحرى العلاج ويتندي ويدخل سيفه

اول البرد الى الاروقة ثم الى المراضع التي تليها ثم يتدرج الى المواضع الغامضة بحسب  
زيادة البرد كحال الدخول الى الحمام في الشتاء فان لزوم الدريج بين الاضداد  
واجب ، ويتجى برد الخريف أكثر من انقائه برد الربيع لان ذلك مقبل وهذا مول ،  
واعدل الثياب القطن ولذلك لا يصيبها السوس ولا تسرع اليها الآلة وهي ملابس  
الشتاء والكتان للصيف لبرده ولتنشيفه العرق بيبسه ، والصوف قوي الحرارة مضر  
بالابدان التي تكثر حرارتها ويجب ان يختار من الملابس ما كان ناعماً لثقله حاسة  
المس ، ويكون في الشتاء خفيفاً لينع البخار الخارج من الابدان من النفوذ فينكس  
اليها فيكون به الدفء وهذا حقيقة الدفء وبه تدفأ الأوبار أكثر لان الكثافة فيها  
أوفر ، واحتقان الابخرة في اثنائها اعظم ، وثوب الصيف متخلخل شفاف بضد ذلك الا  
ان يكون خامياً بارزاً في الصيف فيحتاج الى لباس كثيف ليوقي جسمه الحر ، ومن كان  
محروراً واضطرب الى الورق فليجنب الثقل الطويل الشعر كالشعر ، وليجنب ما كان  
ضاماً للبدن كله كالآلية ونحوها ، وليتصر على ما يدفعه الظهر فهو اشد ما في البدن  
برداً الا ان الاعضاء التي فيها الحرارة كالقلب في البطن دون الظهر ولذلك  
يكون ابتداء الامراض فانه موضع حساس ، وللصفراء هناك تسلط ربما آذاه لصوق الوريه  
بل يجتهد ان يصل الى هذا الموضع روح الهواء ما لم يضره ، او يخالف عادته ويتوق  
ملافاة الريح فان الحرز من البرد فيها لا يمكن في الهواء الساكن فان اضطرب الى ذلك  
استكثر من الدثار وتلثم وسد مغزيه ولم يستنشق من الهواء البارد بل ينفس من كذا وما  
يستره ، وان كان ممن مشي مشي فحفظ جوفه وان لم يكن ممن مشي ركب دابة كثيرة  
الحركة محوجاً له الى الرياضة وذلك بدنه وقتاً بعد وقت فان الحركة تقاوم البرد ودليل  
ذلك ما تشاهده من جمود الماء الواقف قبل الجاري ولا يباشر السفر في هذه الحال ،  
الا بعد ان يفتدي غذاء خفيفاً غير تام ويحصل فيه كالثوم والخردل ، وانغم من ذلك  
كله الشراب الموصوف فانه يسخن الدم في عروقه ، ويخاف للصيف المساكن النسيجة  
الكثيفة المحيطان التي للرياح الهابة فيها محترق وترش وينضج الجسد بملء الورد ويروح  
عنه فاما السراييب والمواضع العميقة فيجنب البتة فان اهويتها غليظة تكسل وتفتت واذا  
جلس في الخيش استعمل عن سطح الارض بالاسرة وما يجري مجراها واحتال لوصول  
الهواء من اعالي البيت ليخفف عنه ثقل الهواء الثقيل المنحصر فيه ويكون الاستكنان في

الخبث في وقت الظهيرة لا قبله ولا بعده ويستعمل الاطعمة الحارة في الشتاء فعلاً ومزاجاً والاطعمة الباردة في الصيف

### باب تدبير المطعم

من اخذ من الغذاء قدر حاجته من غير زيادة عليه ولا نقصير عنه دامت له الصحة، وكان مثله كالمصباح يمد من الدهن بما لا يتقطع عنه فيطفيه ولا يغمره فيفترق واقوى الاغذية غذاء اللحم، ولذلك صارت السباع التي تغذي به اقوى من غيرها والام التي تنفرد باستعماله اشد بطشاً وأكثر غناء في المصاولة من سواها كالانراك ومن اشبههم وافضل المحتدل الذي لا تغلب عليه كيفية من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة كالحجم الضأن ولذلك صار الانسان لا يميل و صار يطيب بكل صنعة وبكل طعم يضاف اليه، ويخص بهذه القضية لاعتدال مزاجه، وخيره لحم الفتي منه وان يجنب ما صغر كالاجنة وما قرب عهده بانتاج فانه يكون لزجاً مواداً للكبد والفساد. ويجنب الضاني القمل اليابس ويتصد السمان دون المهازيل والخصيان دون النعاج، فان الولد يمس جرحها ودون الفحول فان السفاد يؤبس لحمها وكلا المتعنين يأخذ صفوا اجزاء الحيوان ويختار للاكل الرقية ولحم الاضلاع والكثف والمواضع المتوسطة للجد. ويجنب الرأس وكل ما فيه والانحاذ وما يليها فان لحومها غليظة ثقيلة بطيئة الانهضام والاعضاء ذوات الاسماء والهيئات ولا خير فيها كالقلب والكبد والطحال والامعاء والكروش انها ليست لحمًا خالصة ولحم الطيور بالحكم الام اخف من لحوم المواشي وربما ثقل بهنما بالحكم الاخص ويبنى ان يقصد ما الاسرع انهضاماً، والحيوان الماء كالبطة والغرائق غليظة زمة بطيئة الانهضام ولا خير في السمك لاصحاب الابدان الباردة الرطبة وقد يتبع الطري منه المحرورين ويقصد منه المتوسط بين الصغير والكبير ولما كان في المياه العذبة دون ابحار والاحام والمفرج منه كالقديد من اللحم ولا خير فيهما فانهما كالشيء الذي ذهب صفوه ولزابه وبقي اثقل واغظ مافيه، واما الالبان فتناسبة اللحم في جوعها لان اصلها الدم وتصحها اللطافة وسرعة الاستحالة فللطفها صارت غذاء للسنار الذين تضعف قوامهم عن الهضم ولاستحالتها صارت اجزائها تتميز سريعاً كالزبد والسمن وامكن ان تغذ اصنافاً كثيرة من الاغذية والاقتصاد عليها ليس بمحمود الا لمن جرت عادته بها وان جعلت اداً ما او في الطيف فان طبيعتها عند ذلك تتمتع بطبيعة ما يكون مخلوطاً بهسا والحوضه



فساد عارض في اللبن كما يمرض مثله في الشراب فليجنب الصادق الحموضة منهما ما أمكن .  
وياض البيض غذاء ثقیل وخیم وصفته غذاء شرب كثير التغذية، وأفضله النيمبرشت  
والذي ينضم من الحبوب ويستحيل منها الى الدم اقلها والباقي الفاضل عن المضم أكثرها  
وهي في ذلك مخالفة للحم لانه مناسب للدم بجوهره سريع الاستحالة اليه ، وينبغي ان  
يجنب منها ما طبعته تولد الرياح فكل ما يتولد الرياح عنه ردي بغي الانضمام ،  
واجود الحبوب للاغتذاء السمين وما تنهى ادراكه ولم يكن جفا ولا عنيقا عفا كالقني  
من الحيوان بين الاطفال والمسان ويعتمد لبابها ، ويجنب قشورها ، فان القشور تولد  
كيوما غير محمود ، والفواكه قليلة الغذاء ومن افضلها التين والعنب ، وهما مع ذلك اذالم  
ينمضا ولما امراضا رديئة والاكثر من جميع الفواكه ومن هذين النوعين ردي لا سراع  
العفونة اليها في المدة واستحالتها الى الكيفيات الرديئة ويجنب قشورها فرجا لصق القشر  
بالمادة والامعاء فسر فيه بحر كل ما كان جفا وقدما عفا من جميع اصنافها والبقول  
لا يكاد ينضم منها الا ما كان مطبوخا لانها عادمة النضج في جميع احوالها الا انها في  
اول منبتها اللطيف ويجب ان يجنب أكلها بالجملة كل معني بحفظ الصحة فان دعت شهوة  
او ضرورة للفرد (٩) ناه يقوي المعدة والهندباء ناه يعني الدم ، واغس فانه يرطب  
ويقمع الصفراء وهم جرما له حرارة وحدة الا ان يطبخ في جملة الطعام

### صنعة الطعام

احكام صنعة الطعام احد قوانين حفظ الصحة لان الطبيعة تستبهي قسمره وقوام  
الطعام منبنيان نوع الغذاء وصنعه وقوت الصنعة اخر من رداءة النوع ، لان الردي  
النوع قد ينقله احكام الصنعة الى ان يلتذ ويشتهي . والجيد النوع قد يجري امره  
بالضد فيقل ميل الطبيعة اليه وتيلها منه وما فاته جودة الصنعة حل من الطبيعة محل  
الدواء المستكره لا الغذاء المشتى وربما ولد امراضا لتفارق الطبيعة منه وقلة احتوائها  
عليه ويطغى من الانتفاع بقوة الشهوة ان الضار قد يصيرها نافعاً بمجودة الاستمرار له  
واستيلاء القوة عليه حتى ان المرضى ربما اشتبهوا شيئا رديئا فاصلحت قوة الشهوة فساد  
مزاياه فقل لذلك الاستمرار به ، واسو ج الناس الى هذا الباب من اعتاده ومرنت  
حاسة الشم منه عليه وارتاضت مذاقته به والحفاة الطبع اقل حجة الى التدقيق في هذا  
الباب اولاً لحفاء التركيب ، وثانياً لقلة العادة في الارياض لمعرفة الطيب وغيره فقليل.

الصنعة كثير غنيم ، وثالثا ان كثرة حركاتهم تجود هضم معدم حتي يستمروا من اغيز  
الطير ومن اللحم ما ناله الاثمام ولا يستفرون بشيء منه بل يتاسبون الحيوانات الصائمة  
في أكثره وأولى الأشياء بالثقة فيه الخبز لانه اصل الغذاء والراتب منه واصوب ما  
يستعمل فيه المبالغة في انضاجه فان القليل النضج منه يولد في البدن اخلاطاً غليظة وادواء  
خيثة ، والخبز انشكار أكثر حرارة واسرع هضماً لحرارة نخالته

والحواري ايضاً انهضاماً واذا انهضم كان أكثر غذاءً وافضل جوهرآ وبالجملة فكل  
ما فاتته النضج فالأفة فيه على البدن عظيمة جداً ولا يتناول منه الحار لوقته فانه بمثابة ما لم  
يدرك ولا اليابس فانه بمثابة القديد وكلاهما اذا اصابه الماء سيف المدة انتفخ وربما كما  
يصيبهما اذا صب عليهما الماء خارجاً عنه ، بل ما كان مخبوزاً ليومه او غده ثم اللحم ومن  
التدبير فيه انضاجه ويتجاوز ذلك لئيم ضعفت معدته الا ان يهرأ له تهريئة ، فاما من  
قوي هضمه كرجال الحرب فالصواب ان يتناولوا من اغيز الطير ومن اللحم المشوي ما لم  
ينته نضجه ليشول لم اللحم الصلب الكثير المحتمل للألم فان اختار احمجن وتهريئة اللحم  
يقلل قوتهما ، وما كان من الحيوان رطباً كالسمك والحملان الرضع شوي ليقول رطوبته  
وما كان مستأ طيف ليقول رطوبة الطبع بيوسته ، والشواء يؤبس الطبع والطبخ يبله ، وما  
عمل بالكانون اخف مما عمل بالتنور ، لان التنور يفهمه فيرجع اليه البخار فيكسبه ثقلاً  
ووخامة واغباب شواء التنور اصح ويستعمل بعد شوق اليه ، وشهوة له تمين على هضمه  
ويطيب الطبخ بلبالب البصل والخمص وما بينهما دون قشورهما وجملة جرمهما وبالجملة  
فاللب من كل شيء أكثر نفعاً واقل ضرراً من القشور ، ويحتمل الأشياء الحريفة كالخرادل  
والثوم فربما لدعت الآت الغذاء وقرحتها كما تفعل في ظاهر البدن قلت وهذا الخئين فيه  
قول يدل على انها تفرح الظاهر وتعفن الباطن واذا انهضمت الأشياء اللذاعة احدثت  
في الكيموسات كيفية حادة خريفة مضرة جداً لان الذي تفعله استحالة كيفية الدم اضر  
مما تفعله كيته ويجب ان يحتمل التي منها حتماً واصح الاطعمة ما لم يقلب عليه طعم فان  
الطعم الغالب يدل على الكيفية الغالبة واشد الطعوم مشاكلة للدم الحلاوة ، ولذلك تشدد  
شهوة الصبيان لها لانهم في سلطان الدم والحلو الاصلي كالتمر والصل اشد تحضيناً للدم  
واحراراً له من الحلو الدسم كالقودج ونحوه وهذه المركبة اقل غائلة في تنوير الحرارة  
لان الدسومة تقاوم تلك السورة الا انها أثقل على المعدة لمكان الدسومة وشرب الماء  
على الحلو الاصلي اتفق من شربه على المركب لان الماء يمازج الاصلي فيكثر حلاوته ويعدله

ولا يمازج اللحم فيعقب لذلك تخمًا ، والاصحح في تناول الحلو استعماله عبا وبعد الشوق الشديد ثم الاقلال وقصد اللطيف كالمحمول من السكر الطبرزد والوز والحامض يفتق الشهوة الا انه اقل غذاء من الحلو وهو مضر بالعصب ، ويعقب المزال والخفافة ، واصحح المحوضات الحلى فان فيه تحليلاً وتلطيقاً ، والمالح معين على الهضم ويعتبر ذلك من تأثيره في الاشياء التي يطيب بها فيدفع القوة والفساد عنها وهو يتوب عن الافاريه الحارة مع سلامته وقلة غائلته ، ويحجب أكل الطيبخ الحار الذي في بنية غليانه ولم تقارفه الاجزاء النارية فانه كالشيء الذي لم يدرك ، والغاب والفساد ردي لا خير فيه . . . .

### اوقات الاكل

اصحح اوقاته وقت الحاجة اليه وتجنب استعماله بالمادة سيئة وقت يعينه في كل يوم او بالمساعدة او بالشهوة الكاذبة فانه يحدث احراضاً خبيثة والغذاء والعشاء به لمان العامة ويجب ان يخفف الغذاء لئلا يتقل البدن عن التصرف في المعاش ويستوفوا العشاء لان النوم به فبعين على هضمه فليل خاصة في شرب الهضم ليست ليوم النهار الا ان العشاء ربما اضر بالرأس والعين لان قوة الهضم تحدث اجرة كثيرة ، فلما الملوك فصدروا نهارهم مشغول به فانهم وهم يستكثرون مع ذلك من الاوان فلا يبق فيهم لطفة لاكلة اخرى ، بل الواجب ان يستقبلوا الليل بعد النوم الذي يعين على هضم الغذاء وهم في نهاية الجمان والنشاط للسهر والمواظبة وان دعت احدهم نفسه الى اكلة ثانية وليس ذلك بمصواب له فليحذر اللحم واللحم ويقتصر على الخبز فان الخبز لا يكاد يعرض منه تخمة ولا يتقل الا ان يفرط في الاكثاره ، ويجعل ادمه في هذه الحال من المحوضات والمفروحات وليحذر كل الحذر ويتوق كل النوق اكله بين شربين فانه مجرب الضرر ولا يكاد يستعمله مسلم من

### مدير الطعام

الحكمة اصل الطب . وقلة الأكل افضل العلاج ، وحد ذلك ان يمكك عن الأكل وقد بقيت من الشهوة بقية تدعوه الى الازدياد ، فان الطعام يربو ويتفزع في المعدة بعد اكله فاذا املت به ولم يترك فيها فضاء لرتوه احدث الكثرة ووجب اخذه وتولت عنه الامراض الرديئة ، ومن ضعف هضمه ، جعل اكله دفعات وخفقه واقتدى به بتدبير الطبيعة في تقريبها غذاء الاطفال وتقليله في كل مرة ، وينبغي ان تكون الجرأة

عَلَى الْأَكْلِ فِي الشِّتَاءِ أَكْثَرَ لَمْ يَزَامِ الْحَرَارَةُ إِلَى غُورِ الْبَدَنِ وَيَسْتَعْمَلُ فِي الصَّيْفِ خُذَ ذَلِكَ وَيَقْصِدُ فِي زَمَانِ الصَّيْفِ اللَّطِيفَ مِنَ الْأَعْذِيَةِ كَالْبُورَادِ

### ترتيب ألوان الطعام

يَجْعَلُ الْأَخْفَ قَبْلَ الْأَثْقَلِ وَلَا يَبْتَدِي<sup>١</sup> بِالدَّسُومَةِ فَتَفْتَرِ الشَّهْرَةَ وَتَلَطِّخَ الْمَعْدَةَ بِلِ يَتَدَمَّ الْحَادِضُ بِالْخُلِّ فَاتِهِ يَحَالِلُ أَجْزَاءَ مَا لَاقَاهُ فَيَفْتَقُ الشَّهْوَةَ وَيُمْكِنُ مَا سَوَاءٌ وَلَا يَقْدَمُ الشَّيْءُ الْخُلُوفَانِ الطَّبْعَةَ لِمِلْهَا إِلَيْهِ تَسْتَوِي عَلَيْهِ فَنَقْطَعُ بِهِ عَمَّا سَوَاءٌ وَلَا يَبْتَدِي<sup>٢</sup> بِالشَّوَاءِ فَإِنَّ الْقُوَّةَ الْهَاضِمَةَ إِذَا تَعَلَّقَتْ بِهِ قَرَّهَا فَاقْتَصَرَتْ عَلَيْهِ فَلَمْ يُمْكِنِ الْأَسْكَشَارُ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَهُ وَمَنْ كَانَتْ مَعْدَتُهُ بَارِدَةً لَيَجِبُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْمَفَاكِيَةَ بِعَدِ الطَّعَامِ بِسَاعَةِ جَيِّدَةٍ لِيَلْحَقَ خَفَافَةُ الثَّقِيلِ الْمُنْهَضِ قَبْلَهُ

### صفات الأكل

يُجْتَنَبُ تَعْظِيمُ الْقَعْمِ وَسُرْعَةُ الْأَكْلِ • وَإِنْ لَا يَخْلُطُ فِي الْأَحْمَةِ فَإِنَّ فِي هَذَا الْأَدَبِ فَوَائِدَ أَوْهَا أَنَّهُ ابْلُغْ فِي الْأَسْتِيفَاءِ مِنَ الطَّعَامِ وَأَهْوِنِ عَلَى الْمَضْغِ الْجَيِّدِ وَابْعَدْ مِنَ الْكَلَامَةِ لِأَنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَى مَعْدَتِهِ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ مِنَ الطَّعَامِ تَسْتَوِي عَلَيْهِ الْقُوَّةُ الْهَاضِمَةُ وَتُمْكِنُ فِي الْمَضْغِ ، وَالْقَعْمُ الْمُنْتَابِعَةُ تَقْرُبُ هَذِهِ الْقُوَّةَ وَتَنْصَحُ الْمَعْدَةَ فَيُولَدُ عَنْهَا الْغَوَاقُ وَالْجُشَاءُ الْمُوْذِي الْمُسْتَبِجَ وَكَذَلِكَ حَالُ الْمَاءِ فِي امْتِصَاعِهِ وَالْعُدُولُ عَنْ عِبِهِ وَتَأْنِي الْأَكْلِ ابْعَدِ مِنْ مِثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَتَأَوَّلُ أَغْذِيَتَهَا بِالنَّهْمِ وَالشَّرْهِ وَاحْرُجِي إِنْ لَا يَسْتَنْذِرُ الْإِنْسَانُ وَتَعَاثُ الْإِنْفُسُ مَوَاكِلَتَهُ ثُمَّ إِنْ كَانَتْ عَنْدَهُ دَعْوَةٌ أَوْ جَمَاعَةٌ كَانَ تَأْنِيهِ امْكِينَ لَمْ فِي تَنَاوُلِ حَاجَتِهِمْ فَمِنْ رَزَقِ هَذِهِ الْعَادَةِ وَالْأَفْلَاحِ نَفْسُهُ عَلَيْهَا ، وَيُجْتَنَبُ الْأَكْلُ عَلَى خَالِ انْزِعَاجٍ مِنَ النَّفْسِ بَعْدَ أَوْ حَزَنٍ فَإِنَّ الطَّبْعَةَ لَا تَقْبَلُ حِينَئِذٍ غِذَاءً بَلْ يَجِبُ التَّشَاغُلُ عَمَّا يَرْضُ أَنْفُسُ وَمَا يَنْسِيهِ ثُمَّ يَتَنَاوَلُ الْغِذَاءَ بَعْدَهُ وَيَسْرِ نَفْسُهُ بِمَجَادَّةِ الْمَوَاضِينِ ، وَهُوَ أَنْفَسُ لِلنَّادِمِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ مَعِينٌ عَلَى نَجْوِ الْغَدَاءِ وَلِلَّذِي كَانَتْ الْمُلُوكُ لَا تَتَامُ وَلَا تَشْرَبُ وَلَا تَأْكُلُ إِلَّا عَلَى سَمَاعٍ مِثْلَ أَوْ حَدِيثٍ مَتَّعَ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنَ مِنَ النَّوْمِ بَعْدَ الْأَكْلِ فَلَا بَدَّ مِنْ اضْطِجَاعِهِ أَوْ تَكَاةٍ فَإِنَّ الْإِنْدَاءَ أَبَدَ وَالْقَعْدُ تَعَبٌ وَالتَّعَبُ يَمْنَعُ مِنْ تَمَامِ الْمَضْغِ الْبَاقِي الْأَسَى



## اسبانيا والعمران العربي

«نقطة ما في الجزء الماضي»

دثرت المدينة الاسلامية الباهرة لا بايدي المسيحيين الذين كانت تخشى بأمرهم بل  
بصنع اناس من المسلمين انفسهم فسفوها نسفاً واعني يوم الرباطين . ولم يلقي امره  
العرب في الاندلس الى هؤلاء الافريقيين النساء المتبررين الذين حملوا الى الاسلام  
روح تعصيم النبت من ضيق عقول الجلاء الا بعد ان اوجسوا خيفة على حياتهم وزاد  
سوء ظنهم في المواعظ . هلك المعتضد ونفسه تده بالشر الذي يجروه على بلاده واخلاقه .  
وبينا كانت الفونس السادس ملك طليطلة اذا هو قد اصبح مدكاً على اشيلية وقرطبة  
وغرناطة وغدا الاندلسيون مهددين من جهتين فرأوا ان يستسلموا لاداء دينهم من  
المرابطين ليدفعوا غارة المسيحي عنهم وهو عدوم القديم .

وفي سنة ١٠٨٦ هزم يوسف ( بن تاشفين ) وعصاياته الافريقية الفونس السادس  
في وقعة الزلاقة شرمزية وفي سنة ١١٠٠ كتب لهذه المصائب ان تطرد عامة ملوك  
الطوائف او تقتلهم وفي عام ١٠٢٧ استرجعوا مدينة سرقسطة وخضعت اسبانيا كلها  
لملك مراكش .

وان الثلاثة الملوك من المرابطين الذين استولوا على الاندلس منذ سنة ١١٠٠ الى  
١٤٤٥ هم يوسف وطلي وتاشفين كانوا على شجاعة فيهم ضماط المديارك موسومين  
بالتعصب لا وقوف لم تكن الفقة بل ولا على آداب العرب فاحذوا بقهرض القضاة  
يفسطدون الشعراء وال علماء والفلاسفة باسم الدين حتى اضطر هؤلاء ان يصمتوا وان  
يفروا بانفسهم الى بلاد اعدائهم القدماء ملوك قشتالة وتزولا مدينة طليطلة حيث توفروا  
على تخرج النصراني بطونهم من احكام الزرقى ما كان يقصمهم لحاق بالمسلمين

ومن الغريب انه لم ينشأ على عهد عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني على كثرة حرصهم  
على المعارف علماء مشهورون وفلاسفة عظام في البلاد الاندلسية المستعربة . وعلى العكس  
كنت ترى الفلاسفة يكثرُونَ في عهد الشدة ايام اخذ المتعصبون من اهل الدين  
يطاردون كل من يجرأ في ارض الاندلس على مخالفة مذهب مالك . نعم كانوا يبقون على

حين غرة من اولئك المتطعين ويبيرون اسبانيا العربية بعداً لم يلقه المسلمون ايام كانوا مشاركة صرغاً . فجاء الاندلس امثال ابن بلجة وابن الطفيل وابن زهر ولا سيما ابو الوليد ابن رشد الذي تخرج باين بلجة وانتمى الى ابن الطفيل وصحب ابن زهر هذه الفلسفة التي انتقد عليها بعد غلواها من الابداع قد كان لها شأن عظيم في حضارة القرون الوسطى بل كانت واسطة النقل الى الغربيين الذين اضاعوا حتى الاسم من معارف اليونان على ما تلقوها عنهم مدرسة الاسكندرية وبفضل هذه المدرسة تسنى لهم الفلسفة والأدب ( علم الكلام ) في القرون الوسطى في الغرب ان يحصل التقاليد المدرسية بأداب النهضة

كان للشرعاء مكرم بين الناس بما فطروا عليه من التصورات فكانوا على طبيعتهم الشرقية لا يأثرون ما يخاف روح الاسلام وكان الملوك بما فهم من الاستبداد الطبيعي والاعراض السياسية يمتنون بالفلسفة . هذا الى ما هنالك من حقد المتطعين والمتفهمين وما جبل عليه الشعب الاسباني من اخلاق التعصب وكان الاسبانيون بالتحلم الاسلام يزدون المسلمين تعصباً الى تعصبهم

وكان عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني من التسامح على جانب مع العلماء . ولقد اتهم المنصور حاجب هشام الثاني بالفكر الفلسفي فلم يدفع عنه هذه التهمة الا بتكبير مسجد قرطبة ونسخ القرآن بيده وادرار الهدايا والمطايا على العلماء والفقهاء وتخريب خزائن كتب الحكم الثاني لأنها كانت عبارة عن كتب فلك وفلسفة وجغرافيا وطب فاحرقت وباحرقها . بادت الى الابد كنوز لا تقدر بثمن ونال لقاء ذلك رضا المتطعين فخلل له الجو في قصره واخذ يستغل بالمدرسة التي يحضرها على الناس ويشتد في الاذكار عليها . وما اتاه من هذا النيل سياسة قام به المرابطون مدفوعين اليه بهامل من الاعتقاد وتابل من مزجهم فكما احرق سنة ١١٥٠ كتب ابن سينا في بغداد باسم الخليفة رأينا ابن بلجة يحسن بدعوى المروق من الدين ويضطر ابن واهب من اشبيلية ان يتخلى عن دروسه الفلسفية اثناء على حياته ويقتل ابن حبيب من اهل تلك المدينة لانهاء بالفلسفة . ويضطهد ابن الطفيل حتى يضطر الى الاعتراف جهلاً بإيمانه الصحيح ومعتقداته الخالية من الشوائب . وهكذا انتفضي زهاء قرن وانكسب تحرق في اطراف اسبانيا الاسلامية وجهاً بيد ان ذخر من الآداب العربية

حاول السلطانان الاولان من الموحدين وهما عبد المؤمن ويوسف وكانا يميلان الى

الحرية ان يحققا من نصب عائلتهما ومن تشدد المتطمين من المصوفة حتى حظر عبد المؤمن احراق الكتب على غوما كان يفعل المرابطون لابطادتها واحسن معلنة ابن الطفيل وابن زهر وابن بلجة - واخذق يوسف وكان اعلم امراء عصره على ابن الطفيل من اهل الشيعة الكثير وقرأ عليه فلسفة ابن رشد وفوض اليه ارق الناصب ومنه نصب القضاء في اشبيلية ثم الله طيعاً اول في قصره (١١٨٢) ووسد اليه منصب قاضي القضاء في قرطبة على غوما كان ابيه وجده - والاض عليه يتقرب المصور بالله ما كان له من اسلافه وزاد عليه ولكن ارادة شخص ولو كان ملكاً لا تقوى على صد هجمات تيار الرأي العام ولا سيما في عصر كان فيه سلاطين الموحدين مضطرين الى انصرام جذوة النصب في نفوس رعاياهم المسلمين من الاندلسيين لما كسوة ملوك قشتالة واراغون الذين كانوا على الدوام يتقدمون الى الامام

وفي سنة ١١٩٦ بعد وفاة الاركوس التي كتب فيها النصر للمصور على الفونس التاسع صاحب قشتالة قويت شوكة الحزب الديني في القصر السلطاني ونكب ابن رشد على شيخوخته نصبة هائلة تناولت كثيرين من العلماء والاطباء والشعراء بل والتقياد متهمين بجرية الفكر والخروج عن مقصد الجماعة - وطرد العلما ابن رشد على اشبع صورة من الجامع الاعظم في قرطبة وكان ذهب اليه لاداء الصلاة مع ابنه عبدالله الذي كان من اعظم عمال تلك المدينة ونفي الى مدينة لوسنا اليهودية - وفي غضون ذلك صدر امر من المصور يحظر فيه على مراكش واسبانيا درس الفلسفة المفردة والعلوم وما يتعلق بها ولم يستثن من هذا الحظر الا الطب والحساب وميادى الفلك - وعهد بتنفيذ امره الى ابن اخ ابن زهر وكان فيلسوفاً كحاله فصده بالامر والخوف رائده - ثم ان ابن رشد نال الرضا من سلطانه قبل موته بربع سنين وعاد المصور بثور على دراسة ما كان يحظره على أمته من العلوم ولكن بعد ان ضربت الفلسفة الاسبانية الحرية ضربة لا يبرح كسرهما

واذ طردت العلوم الاسلامية من بغداد ومراكش واسبانيا لم يبق لها غير مصدر واحد تلجأ اليه في طليطلة حيث طلبت حماية الدول المسيحية التي هي الله اصنامها وكان سبقها الى تلك العاصمة كثير من المسيحيين والاسرائيليين من اهل الاندلس فزعوا اليها لتحيي حياتهم ومعهم اهلهم - واذا كان المرابطون والموحدون متعصبين بالقطرة اضطروا ان يتظاهروا بالنصب سياسة ايضاً فكانوا يعيشون في جهاد دائم لمقاومة المسيحيين من

سكان الشمال الذين لم يكونوا دينهم في الانقراض بحماسة التعصب ايضاً للدفاع عن كيانهم في بلادهم ولم يراوئك المرابطون والموحدون وسيلة الى بث دعوتهم في نفوس ابتداء دينهم احسن من اثاره روح التعصب في جمهور العامة المانع وليس من سبيل الى اقتناعهم الا بتحصين دينهم لم واضطهاد غيره من الاديان . فلا عجب من ثم اذا عومل نصارى الاندلس باقصى الشدة وخربت كنيستهم وصودرت اموالهم وغدوا على اللوام مهددين في حياتهم . ولما عيا صبرهم استنصرخوا النفوس السابغ المعروف بحبه للحرب والضرب فالتصم من نهجهم على غزو المسلمين في عقر دارهم ولكن بدون طائل اذ قاسى مسيحيو الاندلس من تلك الغزوات ضروب التكبات قتل بعضهم او نفي الى الريقية (١١٢٥) على صورة متوحشة بحيث هلكوا باسمهم قبل ان يلفوا منتقام

وجرى استئصال شأفة النصارى سنة ١١٣٦ على اقصى وجه حتى لم يبق منهم باقية في الاندلس ومن نجوا من الموت والتشريد لجؤا الى قشتالة . وهكذا اسدى المرابطون والموحدون لنصارى الشمال معروفا عظيماً غير متوقع بما توفر على القيام به من السف حق تقصوا العهد الذي كان عقد بين اسبانيا الجنوبية والمسلمين العرب وقبوا الشعور الوطني والتمس الديني في الاندلسيين وجمعوا بين الاسبانيين من سكان الشمال ومن سكان الجنوب بما بينهم من اواصر الجنس والدين فقاموا قومة رجل واحد في وجوه المسلمين موفين الى ذلك بحج الانتقام المتأصل بين الاسلام ومن يخافه . وما كان الاضطهاد الذي نال اهل الصناعات الوديعين من المغاربة بعد خمسة قرون الاجواباطال التفكير فيه ودعت اليه قسوة المرابطين والموحدين وكان نتيجة تعصب مماثل لتلك التعصب ورأي سلمي مشابه لتلك الآراء وان كان الى الصراحة اقرب

ولم يلبث امتزاج الشعوب الاسبانية على اختلاف العناصر والدين ان انت اثر الثورة المطولة فلنهارت قوة الموحدين في رقعة لاس تافاس دي تولوزا (١٢١٢) وسقطت قرطبة (١٢٣٨) واشبيلية (١٢٥٤) وبلنسية ومرسية في ايدي الاسبانيول وغدا هذا الاسم بعد حين جامعة دينية أكثر مما هو جامعة جنسية لان جميع من لم يرتدوا عن الاسلام دخلوا في سواد العرب البوير وامتزجوا فيهم اي امتزاج . وان المغاربة الذين رضوا بان يعيشوا في الاندلس عيش التثبت الى القرن السابع عشر ليصعب عليهم ان يبرهنوا على أنهم من دم الفريقي ثم انه يعتذر على الاسبانيول ايضاً ان يذكروا انسابهم لان بعضهم مخضرمون خلاشون فيهم الهنم العربي وقليل منهم برى الهنم دم البوير



إبان الفتح وآخرون أصبحوا أفريقيين صرفاً عند زوال ذلك السلطان وخفوق راية الاختلاف على ربوع الأندلس الإسلامية

ومما قوى أمل المسلمين في المستقبل وزادهم نشاطاً كثرة عديدهم فقد طرد منهم فرديناند الثالث بعد دخوله اشبيلية زهاء ثلثمائة ألف مسلم من أهل هذه المدينة فخرجوا من اشبيلية إلى قرطبة وجيان وبلنسية وغرناطة حيث بقيت دولة بني نصر مائتين وخمسين سنة أيضاً وعلى هذا كانت غرناطة آخر ملجأ للعمرات العربي ازهر أي ازهار عندما أوشك بالانقراض فرأت حدائق الجمراء البهجة كبار الشعراء والمؤرخين من العرب أمثال محمد بن الخطيب وابن خلدون يجتازانها هما وابن بطوطة الجغرافي العظيم

كان من نتائج وقعة لاس نافاس دي تولوزا ان حررت اسبانيا من رقي العبودية للمسلمين وادرك ملوك قشتالة ان ليس من العقل مقاطعة الماضي القديم وانهم في حاجة بعد الى ان يجعلوا من تعليمهم القدماء ومنافسهم الالاء ( المسلمين ) محالو الفونس العاشر خليفة القديس فرديناند الثالث وكان اوسع ملوك عصره مدارك ابن يميل لاسبانيا المسيحية ما عمله العرب لاعلاء شأن الاسلام وذلك بالاخذ باحسن ما سلف الحضارتين ومزجهما بالحضارة الاسبانية

فأسس سنة ١٢٥٤ في اشبيلية مدرسة عامة لاتينية عربية وحفظ لمدينة مرسية رونقها العربي الصرف واستدعى الى عاصمته العلماء من جميع الملل والاجناس ليؤسس مدرسة طليطلة الثانية وقوامها اختيار احسن المعارف النافعة وهي اقرب الى التسامح من المدرسة الاولى اذ كانت تجمع الى التقاليد اللاتينية الحضارة العربية والعلم العبراني . وذلك لان الاسرائيليين على سعة آمالهم في احكام صلات التآلف بينهم وبين مسلي الأندلس وما عرفوا فيه من مرونة الاخلاق قد عوملوا اسوأ معاملة وأوذوا في انفسهم كما آذى المرابطون والموحدين نصارى تلك البلاد . فقتل الاسرائيليون ونفوا ومن سعدم ان لجؤا الى ارض ملوك قشتالة واراخون الذين احسنوا استقبالهم وكان لهم سبيل بلاطهم شأن مهم أواخر القرن الخامس عشر فكان منهم ابناء الخزانة ومستشارون واطباء للملك . وبلغ صدهم في طليطلة أيضاً زهاء اثني عشر ألف شخص . وظل اليهود الى ذلك الحين اقدر التراجمة على نقل الحضارة العربية وبما ترجم منها الى لغتهم فنجت اثنان آثار تلك الحضارة لان الموحدين والمرابطين اخذوا بيدون كتبها عامة . وكان زان بن زأكوت ويهودا هاكوهن والريان زاك م الذين نقلوا لالفونس العالم معظم كتب

التاريخ والفلسفة والفلك عند العرب مع الشروح التي طلقها عليها الشراح . واتى دهر  
 غلن فيه ان الفونن العاشر سيجي اسبانيا بعد موتها

ظهرت الكنيسة انها تطمع في تصير المسلمين بالبرهان فوضع احد الرهبان الدومينيكيين  
 واسمه رامون مارقي اول معجم عربي باللغة الاسبانية سنة ١٢٣٠ وفي سنة ١٢-١٣١١

امتدح البابا كلبان الخامس في احدى الجامعات الدينية من انشاء كرمي لتعليم العربية في  
 مدرسة سالامنكة . وفي اواسط القرن الثالث عشر كان الدومينيكيون مثالا لغيرهم

بانشاء مدارس لتعليم اللغات الشرقية ليقف رهبان من اهل الغيرة على لغات غير ابناء  
 دينهم ومعتقداتهم وبخاصة وبجادوم . وقد انشأ يعقوب الاول صاحب اراغون

مدرسة مثل هذه في ميديمار اكراما لثلاثة عشر راهبا فرنسيسكانيا واخذ الجمع الديني  
 في طليطلة يتفق على طمعة من الرهبان مؤلفة من ثمانية اشخاص ينقطعون الى دراسة

اللغة العربية ليقاوموا الفقهاء والمشايع بسلاحهم . وعلى هذا التقليد ظلت الجمعيات  
 الدينية ولا سيما الفرنسيسكان الى القرن الثامن عشر في اسبانيا هي القائمة بدعوة

الاستشراق اي درس آداب الشرق ولغاته وتاريخه

كانت وطنية الاسبانيين متشعبة بروح السخط وحميتهم قائمة على التعصب وعدم  
 التسامح وسياسة ملوكهم الى الشدة ولذلك نالوا ما طمحت اليه نفوسهم من استتباع المسلمين

بدراسة علومهم وقد نشأت من هذا الاحتكاك حضارة ذات قلب وابدال مركبة من  
 حضارتين مهمتين بنائهما ثم اسفل الاسبانيون بمقوله المرة الشديدة المروضة واصبحوا

مصدر حضارتهم ومقرري مدنيهم

اعترفت اسبانيا بما هي مدينة الحضارة العربية بما حفظته لها في مدارسها من الشأن  
 حتى بعد ان تحورت من قيودها . كان في سالامنكة التي استجفت ان تجمل في مصاف

باريز واكسفورد وبولونيا احدى المراكز العلمية الاربعة في الغرب سبعون حلقة للتدريس  
 وربما بلغ عدد طلبتها سبعة آلاف في القرن السادس عشر ولم تنل هذه الشهرة

الطائرة أولا الا لكونها بتأثير العلم العربي اقلت على اساس معقول لتعليم العلوم الطبيعية  
 والطب التي كانت الى ذاك العهد منشأة بتجارب تافهة وعمليات مضحكة من نحو السحر

والطعنات . ولم يكن في سالامنكة في اواخر القرن الثالث عشر على عهد البابا  
 بونيفاس الثامن غير خمسة وعشرين حلقة للتدريس منها حلقة ليونانية واخرى للعبراية

وثالثة للغزية

ولقد اصبحت هذه الحركة الخمرة المباركة بضررة شديدة عندما عاد ملوك الكاثوليك فاستولوا على غرناطة سنة ١٤٩٢ واستصفوا ارض اسبانيا وابدوا آخر مملكة اسلامية من شبه جزيرة الاندلس . ومنذ ذاك العهد أعلنت حرب لا على دين اصحاب تلك البلاد ونفي بهم المسلمين بل على جنسيتهم ومدنيتهم . وقد جرت المادة بان تلقى تبة هذا العمل على رجال الدين من الاسبانيين ممن كانوا في الحقيقة متقنين في تنفيذ هذا العمل وذاهبين بفضل الرجع فيها قاموا به من القرائع على ان هذا الحكم لا يخلو من غلو ووضوح المسؤولية في غير موضعها وذلك لان ملوك الكنيسة مثل شارلكان وفيليب الثاني وفيليب الثالث الذين نسب اليهم الفخار بهذه الاعمال هم اليوم يروون بالقسم الاعظم من العار . فكانت الشدة فيهم متبحة عن رأي سياسي كاذب أكثر مما هي عن تعصب ديني يواد بها التوسع في الملك على وجه ضئيف . قطع الاسبانيون بمد الوحدة السياسية والملكية التي نالوها بالصبر عليها قروناً ان يغموا اليها الوحدة الادبية المتناهية في الطيال وهي التي كان يتصورها لويس الرابع عشر بفكره القاصر وانتهت بفسخ الامر الصادر في نانت . وكان الفكر السائد منذ عهد فرديناند الكاثوليكي الى فيليب الخامس بين جميع حكومات اسبانيا ان يعملن كلهن على تطبيقه على ضفاف المغاربة بالشدة التي جرين عليها في الازمان السالفة فكان يقاوم امراء المسلمين في الاندلس مقاومة ليس بعدها مقاومة . ومثل ذلك كان يجري على الاسرائيليين بصورة أكثر شدة ولكن لا تكاد يشعر بها لان اليهود كانوا عبارة عن طائفة اقل من المسلمين وكان الغضب والاحقاد الشخصية تصب عليهم في الفترات متقطعة ثم زاد التعصب الاسباني وعجل بالقضاء على كل مخالف . وأكد فرديناند وايزابيلا للمغاربة في غرناطة والاندلس بانهم في حل من البقاء في ارض اسبانيا وان يكونوا احراراً في دينهم على شرط ان لا يدعوا اليه وان تحمل جميع مساجدهم كنائس كاثوليكية . ولما قضى نهبه الكردينال بدرو سكوتزال دي مادوزا سنة ١٤٩٥ قام الكردينال كسينس دي سينروس ورئيس اساقفة طليطلة ومن قدماء الاساندة ومن الشاهدين على ما قالته ايزابيلا وحاكم اقليم قشتالة بنقض العهد الذي تم مع المسلمين رثاء ونفاقاً . وكان هذا الرجل معروفاً بسعة نظره وقوة عارضته في العمل بكل رأي يراه صواباً ليدعو على العمياء لتأييد الحكم المطلق للقيام بالبابوي او للحكومة الملكية

وانشأ القوم بعد ذلك لا يكتفون بدعوة المسلمين الى النصرانية بل يتطلعون الى

تمديد او طردم فجري تعميد الوف في اشيلية وطيطة وقرطة وغرناطة من اولئك  
 الباحثين من المسلمين من اضطرتهم المصلحة والخوف واحترام التغلب وحس الارض  
 التي ولدوا فيها ان يرضوا بتغيير معتقدهم وقلوبهم منكرا عليهم اعمالهم ثم تكفل ديوان  
 التفتيش الديني بمراقبتهم لتبين له طهارة اعتقادهم . ومنذ سنة ١٥٠١ - ٢ طرد  
 من قشتالة ومملكة غرناطة كل من ظنوا محافظين على الاسلام ولم بعد اللوميين  
 والفرنسيين من حاجة لتعلم العربية ليمكنوا بها من مجادلة الفقهاء وتخلوا عن علومهم  
 لانها انسدت افكارهم وزهد المسيحيون في علوم المسلمين اذ قام في اذهانهم انها خطيرة  
 عليهم . ولذلك رأينا الكردينال كسينس عندما اسس اواخيا سنة ١٤٩٩ كلية الكلاسي  
 هنار استنكح ان يضيف الى دروسها حلقة لتعليم العربية مع انه نسج في تأسيسه على  
 منوال مدرسة سالامنكا وجعل فيها حلقتين لتدريس العبرية واليونانية فرأى ان تكون  
 هذه المدرسة الجامعة لتلقي علوم اللاهوت وان تبث الدين الذي يريد الملوك والبابا ان  
 يروه طامعا موطداً للنظام من اقمى اسبانيا الى اقاصها . وكان اعظم استاذ في سالامنكا  
 في القرن السادس عشر فري لويس دي ليون شاعراً لاهوتياً وفيلسوفاً مستشرقاً يحسن  
 اللغة العبرية كل الاحسان ولكنه يجهل العربية .

صدر امر الكردينال كسينس سنة ١٥١١ بعد ان احرق في ساحات غرناطة كمية  
 من الكتب العربية ولا سيما من المصاحف المخطوطة ان تباد كتب العرب من بلاد  
 اسبانيا عامة فتم ذلك بغيرة عمياء مدة نصف قرن ولولا تلك المترجمات الى العبرية  
 واللاتينية لقفى على الحضارة العربية يحملتها التي امتد رواقها على اسبانيا مدة ثمانية  
 قرون ولم يبق له فيها من اثر . وكاد ديوان التفتيش الديني على ما اخذ به نفسه من  
 اباداة كل اثر للعرب ان يجعل طامعا لتنازل تلك المخطوطات العربية التي حفظت في خزائن  
 كتب الاسكوريال لولا ان تطف الماركيز فيلادا وحال دون احراقها . اما منحصرة  
 المغاربة الذين دانوا بالهرانية مكرهين فلم يكونوا يستطيعون ابداء أسفهم الا سرا وفي  
 الكتب العربية المكتوبة بالعجمية اي الاسبانية المكتوبة بحروف عربية دليل على تعلق  
 اولئك المنصرمة بقديمهم

ولم يحرق فيليب الثاني سنة ١٥٥٦ على منحصرة المسلمين حمل السلاح فقط بل  
 منعهم من استعمال اللغة العربية وارادهم على ان تنزع من اسمائهم اتركيب العربية  
 ومن اجسامهم الالبسة الشرقية لهدل بذلك الى انه يريد مزجهم في سواد ابناء المذهب

الكاثوليكي . ثم ان قدماء المسيحيين من الاسبان كانوا كل حين يحترقون اولئك المنتصرة على نحو ما كان العرب قديماً ايام غزيم يزدورث بالمولدين ولما ضاقت صدور المفاربة انقضوا على الحكومة فشتت شملهم في اودية البوجاراس<sup>(١)</sup> وبعد مقاومة شديدة نفي اولئك المنتصرة او سجنوا في اواسط بلاد اسبانيا واصبحوا امراء (١٥٥٨)

سبح المسلمون في اسبانيا سوء العذاب لمحاولوا ثانية ان يشقوا عصا الطاعة على عهد فيليب الثالث وعندها نفوا آخر مرة وعددهم نحو مليون نسمة على صورة قاسية مخيفة . ولم يبق اذ ذاك من الحضارة العربية واللغة العربية غير ذكرهما البعيد واصبحتا مزدرياً بهما . وهنا لا يسعنا الا الاعتراف بان الاسبانيون علموا الكتب والناس على نحو ما جرى المرابطون والموحدون وكانوا يفتنون أكثر لو لم يستعضوا عن المدينة التي قفوا عليها بمدنيتهم التي كانت اذ ذاك في اوائل انبلاج فجرها فان تغالفت النتيجة فالطرق اليها سواء في اللوم والتفريع

ومما لا يقبله العقل لولا انه حقيقة ان اسبانيا التي كان للمدينة العربية عليها ايادي يضاء قد بلغت بها الحال الى ان تناستها بالكلية . فكان يزهد خلال القرن السابع عشر والثامن عشر بالمرء في تعلم اللغة العربية في ارض اسبانيا ولم يكن له اثر الا اذا كان على طريقة سرية فردية وغدا الاطلاع على العربية نقصاً ورجاً انهم من تعلمها بالاحقاد ولم تبق مدرسة تزيّنك لزهنة الفرنسيين في اشبيلية من اساليب تعلم العربية الاثراً ضئيلاً فكان يكتفي الطالب منها ان يلفظ الاسماء المستعملة ليذهب بعد الى الرقبة وآسيا داعية للتصراية ومن كان يجب التقدم منهم في معرفتها بمجذوباً بما حوت من الآداب الغنية لم يبلغ شوطاً كبيراً في معرفتها اذ لم يكن يراها احد عنوان مجد لاسبانيا الكاثوليكية في عصره

ومن العدل ان يقال ان اسبانيا كانت منذ عهد فيليب الرابع الى شارل الثالث تفتبط في المسائل الشاقة سواء كان في شؤونها الداخلية او الخارجية فلم يترك لها المصطناع السياسي والعلمي وقتاً ولا قوة لدرس العربية والتفرغ لبحث في تاريخ الحضارة الاسلامية وقد اوشكت على عهد شارل الثالث ملك الفلاسفة ان تعود العربية وأدبها الى ما كانت

(١) هي اودية سيرانيا فاذا لا يزال فيها الى اليوم آثار قرى المفاربة سيفه بويرون

وكايلرا وبليانييرا

عليه من الحياة في اسبانيا وان كان بعض الاسبانيين الى اليوم ينكرون على هذا الملك افكاره على انه كان له في اسبانيا الحديثة شأن اقل من فيليب الثاني وان كان مثله في مكانه وسلامته فيليب الثاني وشارل الثالث هما الملكان الكاثوليكيان اللذان بلنا بمملكة اسبانيا اوج الفخار اما شارل كان فهو اوروبي أكثر منه اسباني وان كانت اسبانيا بلد أمه . وبأثار ذنبك الملكين يثر في كل خطوة من يزور شبه جزيرة اسبانيا . فقد بلغ من جرأة شارل الثالث ان ضرب الماعى ضربة ادخلت اسبانيا في الحياة الجديدة التي اخذ شعوب الغرب يستمتعون بها فاراد وهو مشغول القلب بماضي بمملكته شغل بهشتيها ان يعيد الى اسبانيا عهد الآداب العربية فاستدعى لذلك رهباناً موارنة من سورية وافق عليهم التفقات المائلة ليعلموا الاسبانيين لغتهم الاصلية الثانية . وكان هذا العمل من الصعوبة بحيث لم يكف عصر شارل الثالث (١٧٥٩ — ١٧٨٨) لانتمائه هذا مع ما وقف في سبيله من الاوهام والعثرات حتى اذا مضى لسبيله انقطع العمل الذي قصد اليه . بيد انه يحق للنصف الثاني من القرن الثامن عشر ان يباهي باساتذة متكئين من اسرار العربية امثال التصيري وكامرومان والاب بلانكري وكوندو وفري باتريسيو دولانور وغيرهم

جرت حروب نابوليون الويلات والاضطرابات على شبه جزيرة الاندلس وانقطع على عهد فرديناند السابع كل عمل يراى به احيا العلم على نحو ما بدأ به شارل الثالث . ولما تولت الملك ايزابيلا الثانية قوت النهضة وخلصت النيات لتجديد ودخل الاصلاح الى تلك الكليات القديمة التي كانت تسكع في ديجور الباطل والعاطل الا ان مسألة تعلم اللغة العربية كانت في الدرجة الثانية بالنسبة لما شرع فيه من اصلاح التعليم سنة ١٨٤٥ على يد المسيو جبل دي زارات وبفضل هذا عادت العربية تدرس في الكليات رسمياً . ولما استلمت الحكومة الاسبانية سنة ١٨٥٧ زمام اصلاح التعليم من دون رجال الدين او الملك ار الاشراف ريجت اللغة العربية حتى كادت تعود اليها حياتها التي كانت لها في شبه جزيرة الاندلس منذ القرن الثامن الى القرن الخامس عشر ثم ان فقد اسبانيا لستمراتها في اميركا وآسيا ضاعف حركتها العلمية وطحت بها آمالها السياسية فخر استثمار افريقية اي مراكش

فاخذت معرفة اللغات والآداب العبرية والعربية من تلقاء نفسها تدخل سيرة قائمة دروس التعليم العالي واصبحت المجموعة النفيسة من المخطوطات العربية الموجودة في

مكتبة الاسكوريال ومكتبة الامة ومكتبة المجمع العلمي التاريخي ميداناً للتحريين من الاسبانيين يبحثون فيه ما شاؤوا ويضاف الى تلك الاسفار الثمينة المجموعة النادرة جداً من المخطوطات العربية المكتوبة بحروف عربية التي احتفظت بها رهبنة الكنيسة الكاثدرائية في طليطلة. ودع عنك تلك النفائس التي اقتنتها بضمكبة العالم كايانكوس وما اقتناه الاستاذ كودرا في رحلاته الى مراکش وتونس

وعندنا ان المستشرق كايانكوس الفضل في اذه خط للمشتغلين بالعربية في اسبانيا طريقاً مهيماً فقام على اثره زمرة من العلماء وفي مقدمتهم المحترم الدكتور فرنسيسكو كودرا الذي احتفل بيوبيله احتفالاً دل على عواطف اهل العلم الاسباني. وقد أصبحت مدنيته من مدن اسبانيا كيف اللغة العربية ونعني بهما مجربط (مدريد) وغرناطة فنبغ في مجربط الدكتور كودرا استاذ الكلية الوسطى والدكتور فرناند ايكوزا والاب لازكانو الذي اخذ يبحث في اللهجة السورية في دير الاسكوريال وهو العمل الذي بدأ به في بيروت. وغير هؤلاء العلماء بالشرقيات وقد انضم الى هاته الزمرة الفيور تاناس من الفتيان اخذوا على انفسهم الجري على آثارهم لاتمام العمل الذي بدأوا به ونقوية روابطه مثل الكاهن المسيو ميكل اسرين استاذ اللغة العربية في الكلية الوسطى والاستاذ ريبا استاذ كلية مرسطة الذي يدرس في مجربط حضارة المغاربة والعبرانيين والمسيو آلفا مدرس اليونانية والعالم المشهور بالعربية والمسيو فيف عضو المجمع العلمي التاريخي والمؤرخ الاثري المحقق والمسيو كوزالفو خازن كتب السجلات الوطنية والمسيو فيلانا الذي قضى شطراً مهماً من حياته في مزغان والدار البيضاء وطنجة

وقد كانت غرناطة فيما مضى مثل مجربط اليوم عاصمة الاندلس فحق لها ان تكون مركز الدروس العربية. وكان الدكتور فرنسيسكو جانيه سميونه هو الذي رفع مقام هذه اللغة وعد تحصليها فرضاً رسمياً على الطلاب في غرناطة. مات مؤخراً وهو مشهور بابحاثه البديدة في الجغرافيا والتاريخ واصول اللغة والآداب الاسبانية الاسلامية واخصى في حل اعطوط العربية ومثله الدكتور ليوبولد اكويلاز والدكتور ماريانو كاسبار ريمرو وامتازت اشبيلية بابحاثها الكثاية المتعلقة بغرناطة وهو الفرع الذي يبرز فيه الاستاذ الماكرو كارديانس ولكل من مدينتي برشلونة وسالامنكة صفان لتدريس اللغة العربية وآدابها كما ان لبرشلونة وبلنسية منذ سنة ١٩٠٨ صفين لتدريس العربية العلمية وتجند مثل هذين الصنفين في مالقة وقادش وبالمادي ولورقة وتيريف في قناريا

ولا يسعنا ان ننسى ما اصدره كل من الدكتور كودرا والدكتور ريبرا تاراغو من الاثر النفيس بهم المكتبة العربية الاسبانية فانهما لم ينشرا منذ سنة ١٨٨٢ الى ١٨٩٢ اقل من عشرة مجلدات في اصول اللغة والتاريخ والجغرافيا والآداب والنقود العربية في اسبانيا . وما لا يصح السكوت عليه ما نشر بهم مجموعة الدروس العربية بمساعي الدكتور ماريانو دي بانو والدكتور ميكل اسبين والدكتور بوفس والدكتور ماريانو كاسبار والتشيط النور الدكتور كودرا وقد بلغ ما نشره حتى الآن سبعة مجلدات وانك لتجد في اسبانيا ميدانا عجيبا للدرس وذلك لان المخطوطات والكتابات كثيرة فيها على الرغم مما اصابها من التلف منذ القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر كما نقرأ ذكرى الحكومة العربية في كل حجر يقع نظرك عليه بل في كل وجه يمتنع طرفك بمرآه وتجد العاملين المدربين على العمل كثارا فلا يعوزك الا ان تدعوم فيستخرجون منك الدقائق والكثير . ولولا الصفات الشخصية التي فطر عليها المشتغلون بالعربية من الاسبانيين بالنظر لانفرادهم وقلة معرفة الحكومة لم وجهل الامة قيمة ما يشتغلون به لما كان للعربية في اسبانيا ذلك المقام المحمود فقد رأينا الحكومة تتشدد في توسيد تدريس العربية في الكليات اذا خلت من مدرسيها فتقتصد بذلك رواتب المدرسين او تعهد بالتدريس الى اناس غير متمكنين منها حق التمكن كما فعلت في سالامنكة وريشونة ووددت التعلم فيهما الى مدرس اللغة العبرية . والمعلوم ان العلم كلما ارتقى احتاج الى اناس متبحرين وخصائيين . والاختصاص في فن يفتح له صاحبه السبيل فيبذل جهده في نقطة واحدة وبذلك يبرع ويزدهر





حالة المسلمين الاجتماعية<sup>(١)</sup>

أيها السادة

ان من يلقي نظرة على التاريخ الاسلامي ويرى ما كان عليه المسلمون في القرون الاولى من عزة الجانب وقوة السلطان وحرية الافكار واتحاد الكلمة وما هم عليه اليوم من وهن العقيدة وضعف الزعامة والخلال الرابطة قد نالت منهم الاهواء وقتك فيهم داء الشقاء تدوب نفسه حسرة وأسى ويتشوق الى الوقوف على ما اصاب المسلمين فبدل من حالهم ونزل بهم من مستوى العظمة الى حضيض الضمة والمهانة وهم اليوم اعز من سلفهم نفراً وأكثر مالاً وارق عيشاً وهذا كتاب الله وسنة رسوله وهما الاساس المتين الذي قامت عليه قوة الاسلام ومنهما قد انبثق نوره واضاءت محبته جيلان بين ظهرانيهم بكرة وعشياً . وهذه معاهدم العلمية تخرج في كل عام من رجال الدين وحملة الشريعة وارباب الاحكام ما يربو عدده اضعاكاً مضاعفة على ما تخرجه قرون كثيرة في اول الاسلام ليت شعري كيف لا يذهل قارئ التاريخ بما وصلت اليه حالة المسلمين وهو يرى ان الاسلام قد ظهر بتعاليمه السامية ومبادئه العالية فاشرق نورها على الفئدة قوم لم يسبق لهم عهد بالمدنية ولم يعرفوا بين الامم الاجتهاد النورية وعبادة الاوثان وشرب الفارات وشغل العيش وخشونة الطباع اللهم الا بعض اخلاق كريمة كالكرم والوفاء ونحوهما مما لا يعد ركناً رئيساً تستند عليه الامم في نهضتها فما لبث ان حرر الافكار من عقالمها وبثت الهمم من مراقدها واتشأ منهم نشأ جديداً فلم تكن عشية او صباحا حتى تجلت عروس تلك المدنية العربية في ثوبها القشيب جامعة بين قوة السلطان وصوله العلم بين التسامح والشدّة فسمروا الارض واحيوا فيها موات الفضيلة وبلغوا شأواً عظيماً من رقة الشعور وصفاء العقل فكنتهم ذلك من اللطف بالامم حتى وقفوا على خفيات أخلاقها وعاداتها وكشفوا ما كان مستوراً عندها واستفجروا من كنوز مغارفها ودقائق حكمها ما ظهر فضله على الارور بين بعد عدة قرون من البشة النبوية

(١) محاضرة القاها محمد افندي المهدي في النادي الاسكندري في مصر مساء الجمعة ٢ حزيران

نم لم يمض جيل حتى اخذت ذوله العلم تعائق دولة الاسلام في جزيرة العرب وما فتحه المسلمون من الامصار فينبغ فيهم الحكيم والطبيب والفيلسوف والمهندس والمخترع والفقيه والمحدث والسياسي المحكم والاصولي البارع والامام العادل فأخذ هؤلاء يجرون الآفاق بقود ورفط طلائع تملك الدولتين اينما حلوا حل معهم ما استفادوه من صنائع الفرس والآريين وعلوم المصريين والرومانيين بمد ان هذبوه وغسلوا عنه ما تراكم عليه من الاوضاع يا بدي الرؤساء في الامم حتى غدا بفضلهم ابلج ناصحاً يخال في حلقة عربية تدهش الناظرين وتزدي بكل شيء في الملبين

وان ديتاً هذا شأنه في تربية الشعوب وتهذيب النفوس لجدير بان لا يقف باهله تيار الرقي والتي كلما نالت الايام وسرورها على التمسك ببادئهم ونهجوا منهجه القويم . فما هو هذا الداء العضال الذي مني به المسلمون فتقاعسوا عن اللحاق بالاسلاف وتقطعت بهم السبل ويرج بهم داء الفشل

ارجع البصر معي ايها السامع الكريم وانظر الى ما وصلت اليه حال المسلمين . انك لا تجد اقليمين متجاورين واناسيتين في اقليم او قرينتين في ناحية اويتين في قرية واهل احدهما مسلمون والاخر غير مسلمين الا وتجد المسلمين اقل من غيرهم نشاطاً وانتظاماً في جميع شؤونهم الحيوية والعمومية واقل من نظرائهم في كل فن وصنعة واعظم اهمالاً واكثر خمولاً واكثر شقاءً واحقر نفوساً واتس حالاً حتى توم كثير من حكماء الامم الحية لينصفوا التاريخ ان الاسلام والنظام ضدان لا يجتمعان وعدوان لا ياتلفان

ايها السادة

ان علينا لواجباً كبيراً وفرضاً محمداً امام الله ورسوله والناس امام الشرف والتاريخ لا نخرج من عهدته ولا نبأ من تيمته الا اذا وجهنا جل عنايتنا وصرفنا اوقاتنا وقلنا شبة يراعنا بحثاً وتنقيباً حتى نصل الى تشخيص هذا الداء ومعرفة جراثيمه واعراضه وما يستأصلها من الدواء الناجم وهذا افضل جهاد تثاب عليه من الله والتاريخ واثم الجهاد هذا الجهاد لذلك رغب في ان يكون هذا البحث الجليل موضوع محاضرتي اليوم طرقة مستعينة بالله وبما اوتيته من العلم فالقول:

اختلف الباحثون من العلماء في منشأ هذا الفتور فذكروا اسباباً كثيرة كلها فروع ترجع الى اصل واحد الا وهو الانحراف عن جادة الكتاب والسنة وتلمس المدى من

غيرهما نجت علينا كلمة القرآن « أن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم شي » . « أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . « ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضحكا ونحشره يوم القيامة اعمى » قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتك آياتنا فتسيتها وكذلك اليوم نفسى » . وعند ذكرنا سيئة المقدمة ما كان عليه العرب قبل الاسلام من الاعراق في البداوة لم يتلغوا بشيء من العلم والترف ولم يشموا رائحة العلم والصلحة فما كادوا ينفسون عنهم غبار الوثنية حتى ظهر من ابرم ما قصصناه عليك . وذلك ان الدين الاسلامي كما انه يدعو الناس الى توحيد الله والايمان بما بعد الموت من عالم الغيب يدعوهم ايضا الى الايمان بهالم الشهادة والسير على سنن النكون قد اطلق لم عنان الحرية وطالبهم بالتفكير فيما خلق الله من عالم السموات والارض قد وضع لم قانونا جامعاً لقروب الهداية متكفلاً لم ان هم اتبعوه ونصروه باصلاح شؤنهم في هذه الحياة الدنيا قد احسنت اصوله على قاعدة جلب النافع ودرء المفاسد والارشاد الى انه الدين القيم القطري الملائم لاصلاح النفوس بالاخلاق الفاضلة واصلاح شؤن البشر الاجتماعية باقامة العدل واتباع الطريقة المثلى في كل شيء . « سنة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله »

فهم السلف الصالح هذا الاصل من القرآن فامتدوا بهديه ولم يحيدوا عنه قيد شبر عالمين ( ان من اقام هذه الاركان كلها كان هو المسلم الكامل ومن هدمها كلها كان ملحداً في دينه ومن كان اقرب اليها كان خطئه من السعادة بمقدار سببه منها ) وان ليس بعد القرآن والسنة الا الضلال والعمى كما قال تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »

تفرع ايها السادة عن هذا الاصل الويل امراض شمتت من عقدة الاملاوم وشوهت من محاسنه فاول جرثومة سرت منه الى المسلمين رجحان كفة الدياسة الكاذبة على كفة الدين الصحيح لحاجة في نفس بعض الامراء المستبدين كانت الحكومة الاسلامية في احكامها نياية اشتراكية (ديموقراطية ) كما نطق بذلك القرآن الكريم وارشدت اليه السنة وظلت كذلك زمن الخلفاء الراشدين الى ان وقع التنازع بين علي ومعاوية للتفخ بنوأمية ذلك ذريعة حول مجراها وقيد معالمها بوجعها مدكاً عضوضاً يملكه فرد يستبد به كيف شاء فرداً ينطرق الى الامة داء الفل ووجد الضعف منفذاً الى قلوبهم ووجد الابرياء من بدمهم مع توالي الايام مجالاً فسيحاً من صدور اولئك الذين نصبوا انفسهم قادة للدين

وسموا أنفسهم حماة الشريعة فوضعوا لذلك اصولهم في التشيع والاختلافات في اصول الدين وفروعه فاشتغل بها الناس وصدفوا عن الكتاب والسنة وولوا وجوههم شطر البدعة وذهبوا شيئاً متباينة مذهباً متباعدة سياسة ومشرّباً كل طائفة تجادل عن نفسها وتدعو الى كتبها ولو ادى ذلك الى تكفير الاخرى فخرج الدين عن حضارة اهله وتحول عن بساطته واتسع الخرق وانحلت الرابطة الاسلامية بل والقومية وفشت المنكرات وانطمست معالم السنن وتحكم التقليد لانه اثر من آثار التشيع بل ركن من اركانه

( التقليد )

التقليد وما ادراك ما التقليد التقليد هو قيد الاحرار ومجن الدول وهادم الافكار وعدو الشرائع ومبيد الامم وجيش الاستعباد

كتب الاسلام ملة سمحاء ليلا كنهها رواضحة المسالك معروفة الواجبات مهلة المأخذ ينفعها الاعرابي الخلفي من ثم الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يبرح من مجله الا وقد خالطته بشاشة الاسلام واشرب في قلبه التوحيد كما قال تعالى «ما جعل عليكم في الدين من حرج شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعهم اليه»

عجباً كيف يرضى المسلم العاقل ان يغار اعز شيء وحبه الله وهو العقل بفعل التقليد والاستسلام ويلقي بنفسه في براثن الجلود والله قد امره بان يكون على بصيرة في دينه فقال تعالى «قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني» انما ضل من اخلد الى التقليد بعد ان تبين له الحق كمثل رجل اراد ان يسلك طريقاً مستقيماً واضح المسالك لا عوج فيه فوسوس اليه الشيطان قال: هل ادلك على طريق آخر هو اقرب الى غايتك فانصاع له فأخذ يقوده كالاعمى في طريق مظلم كله تعاريج وعبوات فلما ان توسطاه قال اني بريء منك وتبرك بيقظ في ديجور حالك لا يدري اين يذهب «كألاخرج يده لم يكذب يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»

انفى الله باللائمة والتقريع على اهل الجلود من المقلدين في كثير من آي القرآن قال تعالى بعد ان احتج على المشركين وبن ان لا حجة لديهم في عبادة الاوثان (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون . وما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ) فقد احتج على المقلدين

بأنه يجب عليهم اتباع النظر وما هو امدى ولم يعتزهم بالتقليد فدل على انه عذر غير مقبول عنده ولو كان التقليد عذراً لاحد امكن جميع المشركين معذورين عنده

كان الصحابة والتابعون يأخذون اصول الدين وفروعه من القرآن وما ثبت من السنة يحكمون العمل والفتنة في تفهمها واستنباط ما لا يجدون فيه نصاً صريحاً وانت

اختلوا في شيء رجعوا فيه الى ذنبك الاصلين كما قال تعالى (فان تنازعتم في شيء الآية) فهناك يرفع الخلاف ويرجع المخطئ عن خطئه ويظهر الحق كما وقع لامير المؤمنين

عمر بن الخطاب مع ابي بكر رضي الله عنه في قتال اهل الردة وهذا هو الاجتهاد الذي كان سائداً في السلف الصالح من الائمة وكان هؤلاء نظروا الى المستقبل من طرف خفي فانكروا اشد الانكار على من يأخذ بأرائهم في الدين قبل ان يعرف مصدرها من الكتاب والسنة فقد روي عن ابي حنيفة انه قال لا يحل لاحد ان يأخذ بقولنا لم يعلم من اين قلنا وقال الشافعي اذا صح الحديث فهو مذهبي ولكن خلف من بعدهم خلف وقف بهم جمود الفطنة وقصور الهمم عن اتباعهم وتقليد اعمى فجمعوا مذاهيبهم اصولاً يرجع اليها واخذوا بفتنات في فرض المسائل واستنباط الاحكام من تلك الاصول فتشعبت الآراء وكثرت الاختلافات واتسعت التأليف في الفقه واصول الدين على غير اسلوب فصيح من اللغة العربية لا يحاطها القاري الارموزاً او احاجي يتعاضى فهمها على العربي الصميم يمضي الطالب وأسفاه زهرة العمر في تحصيلها فلا يخرج من تلك المضائق الا وقد حشر في غيولته ضروباً من الاصطلاحات والمسائل متشاكسة متنافرة لا تروي من ظلم ولا تشفي من غلة وان فهم القرآن والسنة لاسهل بكثير من هذه الشروح والحواشي لان كلامها جري مبين لم يتلوث بالجمجمة ولم يتدنس بسقم التركيب والآراء فن تعلم العربية تلمحاً صحيحاً يسر له الفهم منهما فلا يعاني عشر معشار ما يعانيه في تلك المعجمات (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

ثم لم يكفهم ذلك حتى هجروا على الله واسموا فاصدوا باب الاجتهاد واسدلوا بظنهم الامة وبين كتابها ستراً من الاوهام وحرموها لذة النظر والتدبر في معجزاته فاصبح لا يتلى الا في الآمات وعلى القابر (تبركا) يتأكل به اناس من النكسالى يتغنون به على قارعات الطرق وابواب المساجد يحرفون الكلم عن مواضعه ويشتمون به بشماتة قليلة لا قبس ما يشتمون من هنا ايها السادة اتقسم هذا الدين فرقتان فريق اطاعت نفسه الى القديم فهو يريد ان يرجع بالناس القهقري يحمل اهل القرن الرابع عشر على ان يخلقوا باخلاق اهل

القرون الوسطى ويخذوا حذوم في احكامهم وآرائهم ومدببتهم فلا يشخطوها قبح شبر يكابر في المحسوسات ويجادل في الحق ويكرسنة الله في خلقه من ان لكل عصر طورا من اطوار الحياة يأخذ قسطه من النمو والارتقاء بحسب استعداد اهل ذلك العصر ولذلك كانت نصوص القرآن خصوصا ما يتعلق منها بالآلاء والاخلاق التي هي اكبر معجزاته مجملة يتناولها اهل كل زمان بقدر ما وصلوا اليه من الرقي

وفريق رأى من وعورة المسلك وصعوبة الفهم في كتب القوم ما يقطع زباط القلب دون الوصول الى الغاية وان كثيرا منها على تشبته وتشويشه لا ينطبق على مقتضيات العصر الحاضر ولا يأتلف مع مدنيته فخرطوا في امر الدين واهملوا مجد آباءهم وذهبوا بآله. ون الاصلاح من غيرهما فصدوا بهرج المدنية الاوربية وصبت اليها نفوسهم حتى اصبح الدين ضربا من التهوس وصمة من سمات التأخر وساعدهم على ذلك ما رأوا من نظام الغربيين طرفة منهم قد خرجوا من ورطة التقليد الاولى ووقفوا في شر منها فلم يكن من جراء ذلك الا انهم قلبوا اوضاع مبانيهم وغيرها من ازيائهم وبدلوا من هيئات ما كانهم وملابسهم وآتيهم وتنافسوا في اهم يسبق الآخري احكام نظامه الى ايجاد ما يكون في البلاد الاوربية وتوغلوا في الامراف والبذخ وانسابت ميازيب الثروة من ايدي الشرقيين الى جيوب الغربيين لجلب ما تستدعيه تلك المدنية من الضروريات والزخارف فكسدت بذلك اسواق المصناعات الوطنية ومات اربابها لانها اصبحت رثة بالية لاتروق في اذواقهم ولم تجد معضدا من مواسرهم ومراهم لتنهض من خمولها وتضارع اختها في الغرب كما فعل اهلها ابان رقيهم فخلص من شر ما يضره لتالمستقبل من الفقر المدقع ان دام هذا السبات لاث ما قريناه من المدنية الكاذبة لم يتم على اساس متين . نعم اننا لانكر ان في الامة الاسلامية كثيرا ممن تعلموا في اوروبا فوقوا على اسباب حياتها وحملوا اليها شيئا مما تعلموه ولكن قل ان ترين من هؤلاء مهندسا معتريا او طبيباً مكتشفا او عالما اخلاقيا او اصوليا مشرعا وهنالك اناس لاسعون وراء الثروة وينكولون على الوظائف ومن كان هذا شأنه فاحال ان يعمل لخير بلاده

قرر علماء الاخلاق والباحثين في اطوار الاسم ان المسلمين في كل امة المنتحلين اطوارا غيرها يكونون سلما لتطرق الاعداء اليه ويصكونون بما وقر في قلوبهم من تعبد الدين قلدهم واحترام من لم يكن على مبادئهم ولو كانوا من ابناء جلدتهم واولادهم وعشيرتهم فيستهيئون بجميع اعمالهم ويحتقرون امرهم ويسخرون منهم وبهذا وامثاله وهنت الرابطة

التومية وانحلت عقدها وفقد التضامن الذي عبر عنه عليه الصلاة والسلام بقوله «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» مثل المؤمنين في تضيادهم وتأزرهم كبطل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وكفى بذلك مدعاة للتهقير والانحطاط ولكن يلوح من بين هذه الناجية الذين تهذبوا بنور العلم وعركتهم يد الحوادث بصيص من الامل يجعل الامة لتطلع الى مستقبل باهر كما قال فيهم بعض الفضلاء: «أرى في شجرة الاسلام التي جفت اورقاً خضراء فلا ادري اعي بقية مما مضى اوباكورة للمستقبل (البدعة في الدين)

## ايها السادة

أرايت لو ان طبيباً وصف لاحد المرضى علاجاً رأى فيه شفاءً فحدد الصيدلي ما يحتاجه ذلك الدواء من العقاقير وبالتالي مقاديرها وكيفية تركيبها تخالف الصيدلي امر الطبيب واحذ يزيد وينقص في المقادير كيف شاء حتى جعلها سمّاً زعائماً لا دواءً نافعاً انكم ولا شك تحكون على هذا الكيماوي اما بالجهل في صنائه واما بالغش والخيانة وانه من اكبر العالمين على نفسي الامراض وازهاق الارواح بسبب ما يرتكبه من الغلط في تلك المهمة الشريفة

ولكم مثل الذي يتدع في الدين ويفتري على الله الكذب لان القرآن والسنة والله هما شفاء لما في الصدور قال الله تعالى «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة» وزنا الكتاب ثباتاً لكل شيء» فالذي يتدع في الدين انما يحارب الله ورسوله ويصيب كبد الاسلام بسهم مسموم

يا حسرة على الاسلام ظهرت بوادر هذه البدع في ابان الاسلام فكان قادة الاسلام يحاربونها بسلاح القرآن يدحضون الحجة بالحجة وبقرون البدعة بالسنة الى ان تمكن حب التقليد من النفوس وقل الاشتغال بالتفسير والحديث واهمل التاريخ فاختلط الخابل بالتابل وراجت سوق الاحاديث الموضوعة وازدهجت بها بطون التاليف لاسيما ما يتعلق منها بالزهد والرفايل والحث على القناعة بالسير والكفاف من الرزق وامانة المطالب النقيسة كحب المجد والرئاسة والاقدام على عظام الامور ودب الى الامة داء الواكل واسترسلت وراء الاوهام وعلق بالقلوب كثير من ادران الشرك وظهرت الهجوة في حديث «لتبعن سنن من فلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر قبط تبعتمهم» اليس ما نراه اليوم من تعليق الآمال بقبور الصالحين وتشديد الاصرحة ونبذ القباب

والمساجد عليها والخالي في زخرفتها ونذر النذور لها وشد الرحال لزيارتها مما ينتقد كثير من الناس انه من اعظم القربات كان في صدر الاسلام ضرباً من الشرك بل هو الشرك الذي جاء الدين بمحوه

ان القرآن والسنة لم يتركاً باباً من ابواب الشرك الا واوصداه بالف حجة وبرهان وخلياً بين العبد وربه يتاجيه ويرفع اليه حوائجه كيف شاء ومتى شاء لا يحتاج في ذلك الى وسيط او وسيلة اللهم الا ما شرع لنا من وسائل الاعمال الصالحة كما فسر الرسول بذلك الوسيلة في قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة

نرى كثيراً من جهندی بهم يتهاونون على هذه المهلكات تنافت الذباب على الطعام ويقنسون ما يلقى في الاضرحة من النذور كأه ميراث ورثوه عن الاجداد والآباء ويؤولون ما ورد في ذلك من النصوص القطعية كحديث : لعن الله زائرات القبور والتخذين عليها السرج . لا تخذوا قبوري من بعدي وثأ يعبدا . لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى

ايها السادة هذه هي امهات البدع التي الصقت بالاسلام ولولا انه دين قوي قام على اساس متين لانغى اثره من الوجود لكثرة ما رزى به من امثال هذه الامراض الفتالة

#### (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

لم ارَ ديناً فكدين الاسلام خول لكل فرد من افراد الامة الاشراف على الشؤون العامة والقيام بامر الارشاد والنهي واطلق لم عنان الحرية في مباحرة هذين الاصلين بحسب ما تستدعيه حالة الامة . قال الله تعالى : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقومون الصلوة . فقد نعت الله المؤمنين بانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذي لم يقم بهما لا شك انه خارج من هيئة المؤمنين

كان خطباء المساجد هم من القائمين بهذه الوظيفة يمزجون مصالح الامة بالمواعظ والارشادات فكانت خطبهم تغلغل بالنفوس ما لا تفعله السوف . هذه كتب الادب قطالها ان شئت تجددها مشهورة بمطلب السلف من الامراء وغيرهم على نحو ما تسمعه اليوم عن الفريين في دور نوابهم ومجالس اعيانهم كم نهت شعوراً واحيت ايماناً وامانت سيقاً واصلحت موبجاً وهذبت نفوساً وسقت نظماً . انعكست القضية فاصبح خطباء المساجد



الا قليلاً من اجهل الناس يقولون ما لا يفعلون ويتكلمون بما لا يفهمون من سقط القول فلا تسمع الاسم كما سمع الكهان واني يوم ثر العوظ اذا كان لا يتجاوز اللسان (احتياجنا الى العلم)

ايها السادة: ما اشبهنا في حياتنا الاجتماعية بالحيوانات الاليفة او الطيور الداجنة التي يجدها ربه في الاقفاص تنتظر منه فضالة من طعام او رشفة من ماء فان هو منعها ذلك هلكت جوعاً وظلماً اذ ليس لها من الحول والقوة ما تفك به قيود الامر فتخرج الى الفضاء آمنة مطمئنة يأتينا رزقها رزداً من كل مكان

وأسفاه - سبقتنا الام شوطاً بعيداً فاصبحنا في مؤخر الرحل كقذح الزاكب عالة عليها في كل حاجتنا الادبية والمادية حتى فيما يتوقف عليه فهم كتابنا الكريم من الحكمة العرفية والعلوم الكونية - يربك هل تجد فيما يدرك عنك طواريء الغايات وتدفع به غوائل الحر والبرد بما تذود به من سلاح ولباس وما تسكنه من قصور شاهقة وواكواخ حقيرة وما تحتلجه من آتية طعام وشراب وموائد واخشاب وحرائر واطالس وفرش ومقاعد ومصاييح ومطابخ وحلي وجواهر وتقود ومعادن وما يحتاجه الزارع في زراعته والكاكب في كتابه والكاوي في حانوته - هل تجد في كل ذلك بدأ اصانع شرقي اللهم الا اذا كان مكارياً او سماراً او عاملاً بسيطاً او تاجراً لا يربح من تجارته الا اليسير لا يدري اين صنعت ولا كيف صنعت

جهلنا حقائق الاشياء فلا نعلمها الا امانتي وانحصرتا على ما يتعلق بملافة الانسان مع ربه وحكمنا على ما عدا ذلك بالاعدام وحرارنا امله وازهقنا روح التقدم واطفأنا مصاييح المرفان في الازمان

اين منا المورخ والباقي؟ اين منا الطبيب والكيماوس؟ اين منا المهندس والطبيعي واللغوي والاديب والمطفي اين منا عالم الاخلاق والحكيم والفلكي وعالم الزراعة نعم ان لدينا منهم قفراً ولكن هم دون الحلبة وقليل منهم العابلون

دعانا دامي الاصلاح فارشدنا الى مواقع الضعف منا وان لا نجاهة الا بجسارة الام الغريبة وارث نلقح جذور هذه الترية العقيمة علنا نعمل فنسترجع مجد آبائنا الاولين اساتذة الغرب فتعق به دعاة السوء من كل جانب ان قد خالفت الدين افتراء منهم على الله وما كانوا مهتدين

يا قومنا هذا القرآن حجة على الشعوب الاسلامية بما فرطوا من امر الدين والدنيا

ننلى عليكم وفيها من اسرار الكون وعجائب المخلوقات ما لا سبيل لنا الى فهمه الا اذا اخذنا نصيبا من هذه العلوم

قال الله تعالى «ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء لآيات لتقوم بهقلون» «وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون» هذه الآيات وامثالها تسجل علينا العار واتنا لسانا من العقلاء في شيء اذ العقلاء هم الذين لتغذى ارواحهم بمعرفة ما ابدع الله في الكائنات وما ذرا في القرات من مباحج الآلاء والحكمة العاقل من تدعوه لذة النظر الى الشوق والولوع في حوز المعارف والعلوم

يا قومنا هذه هي ازمنا وهذه جراثيمها التي لا تزال تغز في جسدنا وتفسد من اعضائنا وتميت من مشاعرنا فهل لنا ان نكشف الغطاء عن ابصارنا وبصائرنا فنخرج الى عالم النور فنحيا حياة طيبة

يا قومنا لا دواء لنا من هذه الادواء الا بالعلم ولا علم الا بالتربية والتربية مفقودة عندنا نسمع نبهة للعلم وجلبة للدارس ونهف فلان واخذ فلان الشهادة فاذا سرنا في الشوارع او بين دور الوطنيين نرى ما تذوب له الاكباد نرى فلانا امة الغد من ذكور واناث كقطعان الغنم يتلاكمون ويتلاطمون ويهيمون بكلمات الفحش والفجور قد صبغتهم الاوساخ وشوهت من محاسنهم الامراض اليس هذا بدليل على ان امة الاسلام لا تزال في اقصى درجات الانحطاط مسخنا نصوص الشريعة الفراء فاذا دعانا داعي الاصلاح ان لا سبيل للرقى الا بتعليم المرأة صوبنا اليه سهام الطعن وقتلنا كذبا واقتراء ان ذلك مخالف للدين

افلا تنبهنا الحوادث وتوقفنا العظاات وهانحن قد شخضنا امراضنا وعرفنا اسباب تأخرنا فلم لا نعمل على ازالة هذه الاسباب فنفق من رقودنا ونهب من سيئاتنا ونخلص من هذه القيود ونسبح في فضاء الحرية نستبدل بهذا الخور عزيمة وبالدل عزاء بالاستكاثرة شهامة وبالنفرق وثاما وبالجهد علما

يا قومنا ان العلم كنز مفايحه الاخلاق وحاجتنا الى هذا الكنز شديدة فلهلموا نهذب من اخلاقنا ونحو اثار الرذيلة من بيننا ونحافظ على عاداتنا علنا ان نفتتح هذا الكنز المغلق فنكون خير امة اخرجت للناس



## مطبوعات ومخطوطات

### شرح ديوان طرفة بن العبد

للشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي طبع بمطبعة وادي فزان (روسيا) سنة ١٩٠٩

(١٩ ص)

طرفة بن العبد أحد فحول شعراء الجاهلية الذين يستشهد بصحة عريتهم وديوانه هذا قليل الجرم جم النغم وهو مرتب على رواية يعقوب بن السكيت وأشار الشارح إلى ما أخذه من تعليقه بقاء بين قوسين ونبه على ما لم يروه الشنقيطي في شرح السنة ومن شعر طرفة:

واعلم طمًا ليس بالظن	د دل مولى المرء فهو ذليل
وان لسان المرء ما لم تكن له	حصاة على عوراته الدليل
إذا قلت فاعلم ما تقول ولا تقل	هانت عمر لم تدرك كيف تقول
وان امرأة لم يعرف يوما فكاهه	من لم يرد سواها للجوهر
تعارف ارواح الرجال إذا التقت	ه عدو يشقى وخليل

ومنه:

قد يبعث الأمر العظيم صممه	حق تظل له السماء تصبب
والظلم فرق بين حيي و	يكر تساقبها المنايا تغلب
قد يورد الظلم المبين آ	مها يخالط بالنعاف ويقشب
وقراف من لا يستفيق د	يعدي كما يعدي الصبيح الاجرب
والاثم داء ليس يبرى ب	والبربر ولا ليس فيه معطب
والصدق إلهه اليبس المرخمى	والكذب يأتمه الذني الاخيب

### الملع في أصول الفقه

لأبي إسحق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦

عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعماني

طبع بمطبعة السعادة بمصر (٩٥ ص)

الشيرازي هو مدرس النظامية ينفد رجل اليه الناس من الامصار كما قال الحافظ السمعاني وكان يضرب به المثل بالفضلة وكان عامة المدرسين بالعراق والجبيل تلاميذه واصحابه صنف في الاصول والفروع والخلاف والجدل وقد اشتهر كتابه هذا الملع سيف معظم البلاد حتى قال فيه الرئيس ابو الخطاب بن الجراح :

اضحت بفضل ابني اسحق ناطقة صحائف شهدت بالعلم والورع  
بها المعالي كسلك المقد كامة واللفظ كالدر سهل جل ممتع  
رأى العلوم وكانت قبل شاردة فغازها الاملي الندب في الملع

وقد طبع الكتاب بمراجعة نسختين جيدتين منه في المكتبة الظاهرية بدشق ناربخ احداهما ٥٧٤ والآخرى في العام نفسه وقد علق عليه الاستاذ جمال الدين القاسمي تعليقات نافعة تدل على فضل اطلاع منها ما علقه في صنعة المفتي والمفتي قال : قال برهان الدين التقي في علم اللغة اخلاص باول فروض الاجتهاد وقد احسن الشيخ ابو المعالي فيما علق عنه من الاصول حين بين مواد العلوم ومقاصدها وحقائقها وجعل مادة الفقه الاصول القطعية وهي الكتاب والسنة والاجماع وجعل اللغة مادة لهذه المادة قال لان الشريعة عربية فلا بد من القيام بها ليفهم عن الله مراده فاللغة اصل الاصول ومادة المواد فكيف يكفل فقه من اخل بها

### ثلاث رسائل

الاولى المنظومة الموسومة بواهب المشاهد سيف واجبات القائد لمؤلفها هبة الدين السيد محمد علي وهي ٣١ ص والثانية رواضع الفيوض في علم العروض للفاضل الموما اليه وهي قريبة المأخذ من الفوائد في ٤٢ ص والثالثة من اعتناوات الامة لبهاء الدين المعالي صاحب الكشكول وهي موجزة وافية بالفرض وقد جاء فيها بشأن الخلافة عند الشيعة ، انصه : « نعتقد ان خليفة من بعده علي امته بالنص الجلي في يوم الغدير وغيره امير المؤمنين وسيد الوصيين علي ابن ابي طالب عليه السلام وبيده ولده الحسن ثم الحسين ثم علي زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم علي الرضا ثم محمد الثاني ثم علي الثاني ثم الحسن العسكري ثم محمد المهدي صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ينص كل سابق علي لاحقه وان جميع الانبياء ووصيائهم معصومون من جميع الذنوب والسهو والتسيان وسائر النقائص وان محمد المهدي عليه

السلام هو مشهور عن الناس كخضر والياس الى ان يؤذن له في الظهور فيلأ الارض  
قسماً كما ملئت جوراً وظلماً اه « قلنا ومن الشيعة سرت الى السنة عقيدت المهدييه  
المنتظر راجع ما قاله ابن خلدون في احاديث المهدي في المقدمة

### خلع السلطان عبد الحميد

خليل افندي اغوري طبع في مطبعة الاصلاح بدمشق

سنة ١٩٠٩ (ص ٨٠)

ذكر كاتب هذه الرسالة السبب الذي حمل الاحرار على خلع السلطان العثماني السابق  
وطرفاً من سيرته وسياسته وقد رأينا فيها بعض امور كانود لو عزاهنا ناعلمها الى مظانها  
مثل قوله (ص ١٥) انه منذ عشرة اعوام نوت بريطانيا الجلاء عن القطر المصري  
واحضر سفيرها في الاسنانة الاوراق الرسمية وعرضها على الصدر الاعظم فابي المخلوع  
كل الابهاء وقام رجال الما بين المتلفون مدعين ان الانكليز يدسون الدسائس للدولة العثمانية  
وان الانكليز الى الآن لا يتأخرون البتة عن اخلاء مصر اذا رضيت العولة ان ترسل  
جنودها الى هناك للاستيلاء على القطر . ولو صح مثل هذا الخبر لكتبت فيه المجلدات  
فضلاً عن المقالات . الكتاب شاعد بادب كاتبه حري بالمطالعة

### مجلات جديدة

العمدة — مجلة دينية علمية اخبارية تصدرها البطريركية الانطاكية الارثوذكسية  
في دمشق مرتين في الشهر ومعظم القسم التاريخي والادبي بقلم عيسو. افندي اسكندر  
معلوف احد المنشئين المشهورين . وقية اشتراكها في دمشق ريال ونصف وريالان في  
المالك العثمانية وخمسة عشر فرنكاً في الخارج .

العصكوش — مجلة علمية فنية سياسية لصاحبها ومحررها بشير افندي رمضان من  
فضلاء الكتاب تصدر في بيروت في غرة كل شهر وفي الجزء الاول منها مقالات ناعمة  
منها التأثير القطري بالانسان والاقتصاد والتماوي الكهربائي واختراعه والحفريات سيف  
يايل وغير ذلك من الموضوعات الملهمة المفيدة . وقية اشتراكها ريالان في بيروت  
وريالان ونصف في سائر الولايات وخمسة عشر فرنكاً خارج البلاد العثمانية

الحسناء — مجلة نسائية علمية ادبية تاريخية اخلاقية اجتماعية لمنشئها جرجي افندي  
تقولا باز ويساعد في تحريرها نخبة من الكاتبين والكاتبات وهي تصدر مرة في الشهر

وفي الجزئين اللذين طالعتهما منها عدة ابحاث نسائية مفيدة منها ترجمة مدام دي ستال ومدام رولان وهما العقيقتان اللتان اعدتا الافكار للنهوض قبيل الثورة الفرنسية الاولى ومقالة في المرأة والدين الى غير ذلك من الفوائد المنزلية والدينية وصاحب هذه المجلة معروف عند معظم قراء العربية بمقالاته ورسائله في الاخلاق والاجتماع . وقيمة الاشتراك بالهساء عشرة فرنكات في بيروت واثنا عشر فرنكا في الخارج  
لتروج لرصيفاتنا الجديديات فجلحا يكثر من سواد احوانها واتصارها ويضع بمسطورها ومنشورها وفق اربابها الى اثاره المقول وبث روح المدنية الصحيحة



## سيرة العلم والاجتماع

### الغلام الرتب

صدر امر نظارة الداخلية العثمانية ان تكون التشريعات يوم ١٠ تموز شرقي اي يوم ذكرى مرور حول كامل على اعلان القانون الاسلمي في المملكة العثمانية باللبسة السوداء على عادة الام الديمقراطية وقد صدعت اكثر الولايات بهذا الامر وبذلك اقرت الدولة بانها الفت الرتب التي ظالما كانت السبب في افساد اخلاق الامة ابلم كانت الدولة العثمانية دولة استبدادية

### قانون المتشردين

وضعت الدولة العلية نظاماً للمتشردين واخذت تطبقه في العاصمة والولايات وبموجبه يضرب المضربون في المجتمع الانساني بالعصي وذلك لاث طبعة البلاد نفتغي الضرب الآن ولولا هذه العقوبة المحسرة لا يؤثر القانون اثره المطلوب في بعض طبقات الناس

### شاه ايران

قويت شوكت الاحرار وظفروا بشاههم الظالم المستبد محمد علي شاه بعد ان خضبوا ارض فارس بذمائمهم فانزلوه هذا الشهر عن عرش الاكسرة وجعلوا مكانه بكره الشاه

احمد وهو في الثالثة عشرة من عمره ويطلع الشاه محمد علي قاجار والسلطان عبد الحميد العثماني منذ ثلاثة اشهر ابان الفرس والعثمانيون بانهم اقوياء في العقل اشداه في العمل يتكرون على الظالمين في سرهم وجهرم وان الاخلاق اليوم ارقى منها بالامس اذ لا عمل بلا خلق واعداد عامة المعدات في الوصول اليه

### استعمال السكر

ثبت ان الاكثار من السكر يزيد في القوة العضلية من ٢٦ الى ٣٣ في المئة وقد أكد بعض اطباء الجند من الالمان ان السكر يسكن الغلأ والجوع ويؤخر التعب ويمكن استعماله للجنود السيارة ولراكبي الدراجات والارتفاع به . كما اثبت بعضهم ان اعطاء خيول الحوافل والهجلات الصغيرة سكرأ يقتصد به كثير من طعامها . وهناك اناس من الباحثين في صحة البطون اثبتوا ايضا ان ليس من خواص السكر في الاشربة والمربيات والهجبات لذة في الطعم فقط بل هو مادة من المواد التي يحتاج اليها في التغذية . وقد نال الدكتور لاندوزي ان خمس قطع من السكر تورث الجسم من الكالوري ثلاث مرات ما تورثه قطعة من ضلع غنم ثمنه قرشان . وكان معدل ما يتناوله الفرد في البلاد الراقية ١٣ كيلو غراما في السنة على حين اثبت الاختبار انه يمكن للفرد ان يتناول سبعة اليوم من خمسمائة غرام الى كيلو غرام وبالجمله فان الاكثار من السكر انفع في العجوة من الاقلال منه

### صحة الاسنان

اثبت الاختصاصيون في علم الاسنان ان الناس الذين تناسب ثديايم مع ناباتهم واضراسهم يقل عذوم شيئا فشيئا حتى في الملوك انفسهم وهم القلاء في التيام على العجوة ومنهم الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا وادوارد السابع ملك انكلترا فان استنابهما غير متناسقة في وضعها . وهذا الاختلال في وضع الاسنان لا يغير صورة الوجه ويحصلها بشعة فقط بل يحدث ارتباكات معدية تنشأ من قلة مضغ الطعام ويجب التوقي من ذلك ولكن الوثاية لا تفيد في الاكثر الا في زمن الصبا . وقد وضعت الفطرة الاسنان على نظام خاص لينطبق بعضها على بعض فاذا جاءت نائمة او متداخلة تشوهه نظرا لغم واضرت بصحة الجسد . ومن الايوين من يساهل في أخذ الولد الى طبيب الاسنان فيزيد آلمه ومنهم من لا يعنون بصحة الفم فينخر السوس الاسنان ويضر بها اي ضرر

وقد ارتأى الدكتور جاريه ويت من يوستون ان من المنهج الطرقي في حفظ صحة الفم ان يزور الطبيب اولاد المدرسة ليجت عن اسنانهم وابان في محاضرة له في هذا الباب ان الفم مستنبت الجراثيم الباثولوجية وغير الباثولوجية يفعل فيه الاعتدال المناسب والرطوبة وثرات الطعام وقال ان الضناهل بصحة الاسنان ادى الى ان كان في المئة من اولاد الالمان ٨٤ الى ٩٥ لم اسنان عاطلة وعمت البلوى في الاسنان الرديئة في اميركا حتى لا تكاد تجد اميركيا في الستين من عمره ممتعا بلسانه كلها او لا يشكو منها . ومن الناس من يعمدون الى قلع اسنانهم عند اقل عارض يعرض لها ويستيقضون عنها باسنان صناعية حتى في السادسة عشرة او الثامنة عشرة من اعمارهم بحيث كان طب الاسنان صنعة راجعة في اميركا وغيرها واخفى اربابها فاصبح عددهم يزيد كل يوم . قال الدكتور المشار اليه وان النساهل بالاسنان مرض اشد فتكا من الاوبئة والامم لانهلاك الا من اسنانها

### المطبوعات الالمانية

نشر في المانيا من تموز ١٩٠٧ الى تموز ١٩٠٨ نحو ثلاثين الف تأليف الماني تابع القسم الاعظم . في برلين ويلها ليبسك على ان هذه المدينة كانت تكون فيها اعظم سوق للكتب في العالم اما اديبورغ التي كان يسميها الانكليز مدينة الكتب فافخرين فقد كانت تسقط من مكانتها

### تبادل الاولاد

قامت فئة منورة في بعض بلاد اوربا تنفق في تعليم ناشئها فرأت ان من خير ما يقوي ذهن التلميذ ويزيد في اختباره وتثله ان يرسل به الى مملكة اخرى فالانكليزي يبادل ابته مع الفرنسي والفرنسي يرسل بابته الى صاحبه الالمانى وقد أخذ هذا المبدأ ينمو حتى بلغ عدد من ارسلتهم فرنسا من شبانها هذه السنة الى خارج بلادها بواسطة جمعية مقايضة الاولاد الالوية ١٧٥ طالبا ارسلت ثلثهم الى المانيا

### فلسفة تولستوي

كتب المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق ومحرر مجلة اوتلوك نصف فلسفة الكونت تولستوي الروسي فقال انه رجل نابغة وقصصي كبير كما تشهد به رواياته المختلفة التي اثرت تأثيراً حاداً في اهل عصره ولكنني اشك فيها اذا كان تأثيره



كبيراً بين رجال العمل من الوجهة الفلسفية والادبية - ولست أنكر ان فلسفته تؤثر بعض التأثير في الناس الذين يلزمون محادهم ولا يخطون دائرة مكتبهم - وان كانت قد اثرت شيئاً في اهل العمل فإتماً كان ذلك للشر لا للخير على اني لا اخن ان فلسفته تجدد محلاً رحيماً في صدور رجال العمل بل الذي اراه انها استولت على اذهان ضعاف العقول وصغار الاحلام - والاقوياء العقول قد يستفيدون شيئاً من تعاليم تولستوي الادبية ولكن بشرط ان يكونوا على درجة من قوة العقل والارادة تمكنهم من بذل تعاليمه السخيفة او المضادة للادب - ثم ضرب الامثال على خطأ فلسفة تولستوي فقال :

ان تأثير فلسفة تولستوي في الذي يندفعون معها ويسيروا في يارها من رجالنا انما هو تأثير مضحك في الغالب فان بعضهم كتب منذ زمن وجيز كتاباً في مسائل اميركا البلدية قال فيه ان عيوبنا الادبية والاجتماعية ناشئة بعض الشيء عن خطيئة المذهب الحربي - ولما كتب الكاتب هذه العبارة لم يكن تحت تأثير ما يقع امام عينيه وما يحضره بذهنه - وانما كان متأثراً بالقول تولستوي ومذاهبه التي لا تطبق البتة على الحياة الاميركية فان المذهب الحربي عامل من عوامل الخير او الشر في معظم البلاد الادبية ولكنه في اميركا كية عاطلة لا يعتمد تنظيم البوليس الوطني لتأييد الأمن والنظام - ان اكل لحم الغنم امر يخص بالتدقيق فقط ولكن المبشرين الاولين في شمالي اوربا رأوا ان اكله محبة لفرر عظيم لان القوم كانوا يأكلونه مذبوحة للوثن فحرموا اكله - والحق يقال ان عيوبنا الاجتماعية ليست أكثر طاعة بالمذهب الحربي منها باكل اللحم اغليل المديح للصم !!

وكان آخر عندنا ينظم القصائد الطوال في الدفاع عن المهدوية وجهته في ذلك الدفاع انه احتجاج على الحرب ويندشها طبقاً لتعاليم تولستوي - والمهدوية كما تعلم شراً رأى الناس من اسباب اراقة الدماء والظلم والفساد والتعصب وكانت عاقبتها المباشرة يقتل نصف السكان في البلاد التي نكبت بها وترك النصف الآخر في حضيض البؤس والمهانة - فدفاع تولستوي وتلاميذه عنها اعظم دليل على سوء مذهبه الادبي وما سيف حبياته مرشداً ادبياً من الخطر على العقول والآداب التي حلتها من الجريفة

### الساعات في إيطاليا

بلغ عدد الساعات التي دخلت إيطاليا ثمانية ملايين ونصف مليون ساعة التي معظمها من سويسرا . فاستجلبت إيطاليا سنة ١٩٠٧ ٢١٥٩٧ ساعة ذهب منها ٢٠٢٠٠ من سويسرا وبلغ الوارد إليها في السنة الماضية ٥٩٥٦٩٢ منها ٥٦٦٩٢ من سويسرا

### تجارة البيض

بلغ ما تخرجه الولايات المتحدة كل سنة من البيض ٨٦٢٠٥٤٦ طنًا تستفرضها من ٢٣٣ مليون دجاجة وتخرجه ألمانيا ٢٧٠ ألف طن تستفرضه من ٥٥ مليون دجاجة وتخرجه فرنسا ٣٠٠٠٠٠٠ طن تستفرضه من ٥٠ ألف دجاجة وما تخرجه انكلترا ٢٥٠٠٠٠ طن تستفرضه من ٢٥ مليون دجاجة ويجمع الكيلو من البيض من عشرين بيضة على اث ايراد الدجاجة الواحدة يختلف بحسب الاقاليم .

وثبت في الاحصاء ان البلاد العثمانية تبث الى الغرب كثير آباءح البيض ومعه حتى ان ما تستورده فرنسا وحدها من بلادنا يبلغ مساهمة اربعة آلاف طن

### حكم صغيرة

يقول اوجين ماريو : الحرية احترام حقوق كل فرد والنظام احترام حقوق المجموع قالت العقيلة رولاند : من يعمل ولا يرجع الى مبدأ كمن ينظر الى ساعة وقد وضع ايدها كمنها اتفق . وقال لا بروير : من الحقائق ما يكتب له الظفر وتكتب له المبالغة ايضا حتى تصبح كاذبة . وقال : من الامور ما لا يطلق فيه الاعتدال الشعر والموسيقى واخطاب العام . وقال موتسكيو : من يتكلم بدون تفكير اشبه بصياد يصيد بدون ان يتوجه جيداً للغرض . وقال بلين : المفوج جزء من اجزاء الدمل

### اصل الفواكه

يعرف كل نبات في بلد بانه اصلي فيها لا دخيل عليها اذا رأيت منه اصنافاً بريئة ثبتت من تلقاء نفسها ولم تعلمها يد بشرية . فانثوتوت الافرنجي ( فريز ) دخيل على جميع البلاد التي بنبت فيها الآن والحييد منه في انكلترا التي به من فوجنيا سنة ٦٢٩ والتوت الشوكي ( فرامبواز ) هو من ثمار البلاد المعتدلة في اوربا ودخيل على قارة آسيا والمشمش لم يأت من ارمينية كما توهم بعض علماء النبات بل جاء من الصين ولكنه كان

بريا حاصفا وقد عرف من تاريخ الشمس انه كان معروفا لليونان والرومان منذ التي سنة .  
والخروج عرفه الرومان واليونان ايضا ولكن توهم بعضهم بان اصله فارسي والحقيقة انه صيني  
ولاحل الصين فيه اساطير . والكرز هو من فصيلة الكرز العام ( كرويته ) ثبت على  
ضفاف بحر الخزر . والذراق وتبلغ اجناسه ثلثائة جنس والجنس الاول منه خاص بارض  
الاناضول والقفقاس والروم ايلي . والاجاص واجناسه كثيرة ايضا وروي منه حنف  
يروي في الاقاليم المعتدلة من اوربا وفي آسيا الغربية . والسفرجل منشأوه في جنوبي  
شرقي اوربا وبلاد القفقاس واقلهم بحر الخزر . والتفاح على انواعه يثبت في اوربا  
والقفقاس وما وراء النهر وفارس والتفاح هو احد الفواكه القديمة المعروفة اذ كانت  
الشعوب قبل التاريخ تستعمله بكيات وافرة . واللوز انتقل الى اوربا من سلاسل  
جبال لبنان ( جبل الشيخ وجبل قلمون وجبل الآكام ) وما وراء بلاد القفقاس وبين  
النهرين وفارس وتركستان . والتين لم يمتد علماء النبات الى معرفة بلاده الاصلية والغالب  
انهم من اقاليم البحر المتوسط ولا سيما سورية وكذلك الذنب لا يعرف منشأوه لانه ثبت  
انه قديم الاستعمال جدا بين البشر وهو حديث العهد في جنوبي اوربا وشمالى افريقية  
وغربي آسيا واصل الجوز من اقاليم القفقاس والمعجم وشمالى الهند . والبرتقال اتي على  
غالب الظن من جنوبي الصين وكوشنشين وازنزل الى اوربا في القرن السادس عشر  
والليون جاء من الهند ودخل الى ايطاليا حوالي القرن الثالث او الرابع للمسيح



## تموز الحرة

اذا اتقصى مارت فاكر خلفه الكوزا  
اكرم بتموز شهراً ان عاشره  
شهر به الناس قد اضعحت محرومة  
سل اهل باريز عن تموز تلقى لم  
كانت لم فيه لما ثار ثارم  
وان تموز شهر قام فيه لنا  
في شهر تموز صا فلما وعدت

واهل بتموز ان ادركت تموزا  
قد كان للشرق تكمريما وتعززا  
من رق من كان يقفوا اثر جنكيزا  
بيما به كان مشهودا لباريزا  
بسة هدت البستيل موززا  
على القلاع لواء العز موززا  
بيض الصوارم بالستور نجيزا

هي للمساواة عمننا فما تركت  
 امت لنا قسمة بالملك عادلة  
 كدامن الجور عرياناً وليس لنا  
 حتى نهضنا الى العلية تقدمنا  
 ان تلقهم تلق منهم في الوعى جبلاً  
 قوم اذا طمعوا في حومة اتخذوا  
 قنا على الملك الجبار نقرعه  
 حتى تركناه في هيباء معضلة  
 انا لآبى على الطاغى نهضنا  
 ونأكل الموت دون العز نهضه  
 لا عاش من لا يخوض الموت مرتفعاً  
 راعت صلاتك دار الملك فانهت  
 حتى ضلت وهي في تموز ناكسة  
 فالشاه في شهر تموز هوى وكذا  
 يا شهر تموز لا راعتك رائنة  
 يا شهر تموز قد زينت رايثنا  
 من لي بانجم هذا الافق انظما  
 او انحت الماس اقلاماً معرضة  
 واجعل الجو في تموز امده  
 الامتانة في ١٠ تموز ١٣٢٥

فضلاً لبعض على بعض وتميزنا  
 حكماً وكانت على علاقتها ضيزى  
 من قائدين ولم نملك عكازنا  
 عصابة برزت في الجهد تبريزا  
 او مجتهم للابايا هجت راموزا  
 فصاعهم من قوف القوم لالشيزى  
 بالسيف منصلنا والرمع مزوزا  
 القت غراماً على الطاغين مأزوزا  
 حتى نهوت في الميجاء تهوزا  
 كضفتنا الثمر يريئاً وسهريزا  
 بقاءه بعصي القلب موكوزا  
 من ذاك طهران تخشى امر تبريزا  
 رايات شاه رماه الخلع مبنوزا  
 عبد الحميد هوى في شهر تموزا  
 ولا لقيت من الاحداث ارزيزا  
 بالعدل توشية فيها وتطريزا  
 قصائد فيك مدحاً او اراجيزا  
 امدها ذهباً في الطرس ابريزا  
 طرساً اجادته كف النور تبرزيزا  
 معروف الرصافي



# المقنن

جمادى الاولى وجمادى الثانية ١٣٢٧

## اكبر الاشياء في العالم<sup>(١)</sup>

أعلى جسر طبيعي في العالم هو جسر صخري بين ولاية فرجينيا (الولايات المتحدة) علوه مائتا قدم  
 أكبر مبلغ من الاوراق المالية المستعملة في العالم هو في الولايات المتحدة فسكان هذه الجمهورية العظيم يستعملون ٧٠٠٠٠٠٠٠٠ من تلك الاوراق في حين ان مملكة روسيا العظيمة تستعمل منها ٦٧٠٠٠٠٠٠٠٠  
 أكبر شركة لغاماة الحياة في العالم هي شركة (موتشال) في مدينة نيويورك (الولايات المتحدة) رأس مال تلك الشركة يبلغ ١٠٨٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار  
 أشهر جسر في العالم هو في قلعة (سيمونا) على مسافة ميلين من ميلان فاذا اطلق فيه عيار ناري تراجع صدها ستين مرة  
 أكبر بركان في العالم هو بركان (اتنا) دائرة قاعدته ٩٠ ميلاً وعلوه ١٠٠٠ قدم  
 وقد انفجر لأول مرة في سنة ٤٧٤ للمسيح  
 أكبر شجرة في العالم هي في اباله (توكرا) في (كليفريا) علوها ٢٧٥ قدماً ودائرة محيطها ١٠٦ اقدام

(١) هذا الفصل وما يجمعه تحت هذا العنوان عربيته عن الانكليزية وهو فصل من مئات فصول كتاب ضخيم يقع في ثمان مئة صفحة سيظهر بالعربية في المستقبل

أكبر صحراء في العالم هي (شارا) في شمالي افريقية . طولها ثلاثة آلاف ميل وعرضها ٩٠٠ ميل ومساحتها مليون ميل مربع

أكبر ماسة في العالم هي (براغوا) في بلاد البرنغال وزن ١٨٨٠ قيراطا وقد وجدت في برازيل سنة ١٧٤١

أطول رجل في العالم هو يوحنا هال من انكلترا . طوله تسعة اقدام وستة قراريط . وطول كل من يديه سبعة عشر قيراطا وعرض كل منهما ثمانية قراريط ونصف القيراط

أعلى عمود تذكاري اقيم في العالم حتى اليوم هو في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة علوه ٥٥٥ قدما

أعلى بناء اقيم في العالم هو برج ايفل<sup>(٢)</sup> في باريس عاصمة فرنسا علوه ٩٨٩٥ قدما وتم بناؤه سنة ١٨٨٩

يعمر كل من الغراب والاوزة مئة سنة . والحدأة او طير الرخم ٥٩ سنة والبيغاء ٦٠ وابو حوصل ٥٠ والقنبرة ٣٠ والمصفور الدوري والباشق ٤٠ والطاووس والكوكاري والغرنوق ٢٤ سنة

أعظم جبال في العالم هي شلالات (نيفاغارا) في الولايات المتحدة علوها ١٦٥ قدما . اما اعلى جبال في العالم فهي في كليفرنيا فياها تسقط على علو ٢٥٥٠ قدما

أقدم مدافن في العالم هي مدافن ملوك مصر القدماء التي يرد تاريخها الى اثني سنة قبل المسيح . اما مدافن رومية القديمة ففيها نحو ستة ملايين من رفات الاموات . واما مدافن باريس القديمة ففيها ثلاثة ملايين من تلك الرفات

أكبر عدد من الماشية حبي في الى مدينة واحدة في العالم في سنة واحدة هو ما استاقوه الى مدينة شيكاغو في سنة ١٨٨٤ وقد بلغ عدد الابقار التي جلبت الى تلك المدينة في تلك السنة ١٨٧٤٠٩٨٤ وعدد الخجول ٣٠٠٢٢٣ وعدد الخنازير ٥٦٤٠٠٦٢٥ وعدد الاغنام ٧٤٩٠٩١٢ وعدد الخيول ١٥٠٦٢٥ وقد شملت تلك الماشية تسعة آلاف قطار كل . منه مائة من احدى وثلاثين مركبة . فاذا قطرت كل تلك القطر والمركبات يبلغ طولها ٢١٤٦ من الاميال

(٢) المغرب . في نيورك اليوم بناية عدد طبقاتها ثلاث واربعون طبقة يقال انها اكمل بناية في العالم

أكبر مزرعة في العالم للغلات هي في الجنوب الغربي من ولاية لوزيانا مساحتها شمالاً وجنوباً مائة ميل . وقد كلف تسييجها ٥٠٠٠٠٠ دولار  
أكبر عقد في العالم هو (أكودكت) في واشنطن . فهو يزيد عن عقد (شاستر) في انكلترا بمشرين قدماً وأطول من عقد (نولي) باثنين وتسعين قدماً ومن جسر واترلو في لندن بمئة قدم . أما علو عقد واشنطن فمئة قدم

أوسع معادن العالم هي المنهارة (فيربرغ) (سكسوني) عرفت في القرن الثاني عشر للميلاد . وقد امتدت وهاليزها الغربية في سنة ١٨٣٥ الى مئة واثنين وثلاثين ميلاً وعمق عمود قائم في معدن في العالم هو في (بريزلام) وهو معدن رصاص عمقه ٣٢٨٠ وعمق معدن نحاس عمقه ٣٥٤٢ (بلجيكا) عمقه ٣٥٤٢ قدماً . علي ان ليس له اسطوانة كاسطوانة معدن الرصاص المتقدم الذكر . وعمق نقب او ثقب او حفرة في الارض هي بأرني (بوتسدام) في انكلترا . عمقها ٥٥٠٠ قدم . وعمق اسطوانة معدن نحاس عمقه ٣٦٠٠ (بوتسدام) في انكلترا . عمقها ٥٥٠٠ قدم . وعمقها ١٨٠٠ قدم ومن هذا العمق العظيم يستخرج يومياً ما يملأ اربعائة (كار) (١) بضع كل منها (اربعة طنات) (٢) من الفحم الحجري وعمق معدن فحمي في الولايات المتحدة هو المدعو (بولجانت) في (فرجيناسي) في ولاية نيفادا . وأولاً مسطحاتها ٢٧٠٠ قدم

أكبر جسر حجري على وجه البسيطة أنجز في ايار سنة ١٨٨٥ في (لغافغ) في الصين بناء مهندسو الصين وهو يقطع جون البحر الصيني طوله نحو ستة اميال وله ٣٠٠ عقد طول كل منهما سبعون قدماً وهو اعظم بيتان شيده الانسان (ومع ذلك ترانا زودري بتلك الامة الوثنية العظيمة)

أكبر جسر حديدي في العالم هو ذلك الجسر الذي يقطع (فرث ناي) في (سكوتلاندا) طوله ١٨٩١٢ قدماً . وأكبر جسر خشبي في العالم هو ذلك الجسر الذي يقطع بحيرة (بونشارتين) على مقربة من نيواورلين . طوله ٢١ ميلاً وعلى جسر في الولايات المتحدة هو المبني فوق نهر (كينزينا) على مقربة من (برادفورد) بنسلفانيا في سنة ١٨٨٢

أكبر ثور في العالم هو في ( فيلادلفيا ) ( الولايات المتحدة ) بلغ وزنه ٤٩٠٠ (بوند)<sup>(٥)</sup> وأكبر بقرة بلغ وزنها ٣٢٩٦ بونداً .

اشهر وأكبر واجمل بناية للعبادة في العالم هي كنيسة القديس بطرس في روما . موقعها في شمالي غربي رومية وقد بنيت على هيئة الصليب اللاتيني . طولها ٦١٢ قدماً ونصف قدم وعلوها ٤٤٨ قدماً وعرضها ١٥٢ قدماً ونصف وقطرها ١٦٣ قدماً أما وزن جرسها ما عدا المطرق او المطرقة فنحو ٣٧ قنطاراً وقد أسست في سنة ٤٥٠ الميلاد وعاش ومات فيها ٤٣ بابا

أكبر بيان شيدته يد الانسان على الغبراء هو هرم مصر مساحة قاعدته ٧٦٢ قدماً وعرضه ٤٨٦ قدماً وهو يشغل ستة افدنة من الارض وقد قدر العارفون من المهندسين نفقاته بثلاثين مليون ليرة انكليزية وانه بني نحو سنة ٢١٧٠ قبل المسيح او في عهد ابراهيم الخليل وانه تقاضى نحو عشرين مليون قنطار من الاحجار النخية وان تلك الاحجار قد جلبت من مقلع عظيم من البلاد العربية على مسافة نحو سبع مئة ميل

أكبر وانفس قصر في العالم قصر اللورد ( يوث ) في انكلترا يشغل مساحة من الارض قدرها ثلاثة افدنة . وقد بني على نسق بناء قدماء الفوطيين وبلغ طوله مئة وعشرين قدماً وتقدر نفقاته بثمانية ملايين دولار

أكبر جسم مائي بارد في العالم هو بحيرة ( سوبيريور ) طولها ٤٠٠ ميل وعرضها ١٨٠ ميلاً ومساحتها ٣٢٠٠٠ الف ميل مربع وعمقها ١٢٠٠ قدم ومساحتها أكبر من مساحة ( نيوز انكلترا ) وهي تملأ عن سطح البحر ٦٣٦ قدماً

أكبر آلة لنقل الآلات في العالم هي آلة شركة المركبات الكهربائية في (بولمان) على مقربة من شيكاغو (الولايات المتحدة) وقد اجتهد امبراطور برازيل ان يشتريها فلم يفلح . اما علوها فاربعون قدماً وقوتها توازي قوة ١٤٠٠ حصان ولها اسطواناتان طول كل منهما اربعون قدماً

أكبر قارب في العالم هو قارب ( سولانا ) المستخدم اليوم بين (بنيسيا) ومرفأ (كومتا) طولها ٤٦٠ قدماً وعرضها ١٦٦ قدماً وعمقها عشرون قدماً وله ثمانية مراحل من بولاد وثلاث دفات

(٥) عبارة عن ١٥٠ درهماً فيكون وزن الثور ٧٣٥٠٠ درهماً او ١٠٢٠ رطلاً وكسور



أعلى بناية في العالم بعد برج (ايفل) وبناية مرصد واشنطن ودار البلدية في (فيلا دلفيا) الولايات المتحدة هي بناية كنيسة (كولوغن) علوها ٥١١ قدماً وطولها كذلك وعرضها ٢٣١ قدماً . أسست في ١٥ آب سنة ١٢٤٨ وكل بناؤها في ١٤ آب سنة ١٨٨٠ اي بعد أكثر من ٦٠٠ سنة من عهد وضع حجر زاويتها  
كان الباحثون يظنون ان اعلى جبل على وجه البسيطة هو جبل (ايفرست) اما اليوم فقد بدا فساد ذلك الظن . فجبل (هيكولس) أعلى منه فهو اي هيكولس يعلو عن سطح البحر ٣٢٧٦٣ قدماً وبعلاو ايفرست عن سطح الاوقيانوس الهندي ٢٩٠٠٢ من الاقدام وقد أكدته القبطان (لاوسون) في سنة ١٨٨١ سيفه جزيرة (بابوا نيوجينيا) .

أكبر ولاية في الولايات المتحدة هي تكسس وهي تحتوى على ٢٧٤٣٥٦ ميلاً من الارض الخشبية وتسع عشرين مليوناً من الناس ولا يمتدشون فيها بهذا العدد أكثر من احتشاد سكان اسكوتلاندا في الزمان الحاضر وقد تدر انها تسم كل سكان الكرة الارضية وانه يصيب الواحد منهم اربعة اقدام من الارض

اطول انهار العالم هو نهر (ميسوري) في الولايات المتحدة . طوله ٤٣٠٠ ميل ويجري مساحة ١٧٢٦٠٠٠ من الاميال المربعة . واوسع نهر في العالم هو نهر (امازون) في برازيل طوله ٤٠٠٠ ميل ويجري ٢٣٣٠٠٠٠ من الاميال المربعة

أكبر ديوان للمجارك في العالم هو في (نيواورلينس) له ١١١ غرفة وعلوه من قاعدته الى قمة اطار عمره ثمانون قدماً ومن قاعدته الى رأس قمته ١٨٧ قدماً ومساحة هذه وحدها ٤٩ قدماً مربعا وعلوها ٦١ قدماً وذلك الديوان مبني من الرخام والاشباب النفيسة ويقدر ان يكلفه بأربعة ملايين وتسعمائة دولار

أكبر تزل في الولايات المتحدة ورعباً في العالم هو تزل (بالاس) في سافرنيسكو كلفيريا وهو مؤلف من تسع طبقات وقد كلف ثلاثة ملايين دولار ونصف مليون دولار (واحترق في حلة ما احترق من القصور والنور الشاهية في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٥ وسبق ذكر ذلك في مقالة للحرب في حريق وززال سافرنيسكو نشرت في الجزء السابع من سنة المقتبس الاولى)

أجمل ملعب في العالم هو في باريس عاصمة الفرنسيين . وهو مبني من الحجر الناعم الصلد الجميل وارضه مرصوفة بالرخام وهو يشغل سنة افدة من الارض (الاسكالا)

من ميلان ففيها أكبر محل للجلوس . وأما دار الخطابة في شيكاغو التي تم بناؤها في سنة ١٨٨٩ ففيها سبعة آلاف مقعد للجلوس

أكبر مجلد عرفه الإنسان منذ الخليقة حتى اليوم هو كتاب الملكة فيكتوريا المنقولة الى رحمة ربها في سنة ١٩٠١ وهو يتضمن التهانئ التي وردت عليها يوميلها ويبلغ سمكه ١٨ قدماً ويزن أكثر من عشرة أرطال

أكبر كاس للفحم الحجري في العالم هو في ( ادوارد شيل كوليرين ) في بنسلفانيا الولايات المتحدة وهو يحضر من الفحم الحجري ما يملأ أربعائة كازاً ( مركبة ) في كل عشر ساعات

أعظم علو بلده انطاد هو ٣٧٠٠ قدم او نحو سبعة اميال وكان ذلك في ه تشرين سنة ١٨٦٢ في « ولغرافيتسن » في انكلترا

أطول سلك يرقى مفرد في العالم استخدم لاجل رسالة برقية فقط هو في الهند . فقد مدفوق نهر كسيتوا بين « يزورا » و « سيكتوكوم » اما طوله فأكثر من سبعة آلاف قدم وهو يمتد من قمة جبل الى قمة جبل آخر وطو ذينك الجبلين نحو التي قدم

أكبر تمثالين في العالم هما في اليابان احدهما في « نارا » وعلوه ثلاثة وخمسون قدماً وتسعة أقدام وكان اول نصب أقيم في القرن الثامن على انه تهم فها بعد وجدد في سنة ١٢٢٣ واما الآخر فهو نصب « كامار كورا » وعلوه ٤٧ قدماً

« الحرب » اقول ومن هذا يظهر ان المقاربة الذين ما زال صغار العقول منهم وكثيرو الدعوى الفارغة بينهم يشتمون بانوفهم على المشاركة ويقولون في المخطاطهم وجهلهم كل كلمة عوراء ان الشرق سبقهم في نصب التماثيل بمئات السنين كما سبقهم بكثير مما يفخروننا به في هذا العصر

أكبر منارة في العالم هي في « سدني » استراليا . فقوة نورها توازي قوة نور مئة وثمانين الف شمعة . وتشاهد تلك المنارة على مسافة خمسين ميلاً في البحر . وثاني منارة في العالم بكبرها وقوة نورها هي في باليس « اندوستراي » وقوة نورها توازي قوة نور مئة وخمسين الف شمعة . اما منارة « سان جوزف » كلفر بنا فقوة نورها توازي قوة اربعة وعشرين الف شمعة . واول منارة أنشئت في العالم كانت في جزيرة « فاروس » القائمة على نهر الاسكندرية

أكبر بلاطة رصفت في دار للسكن هي في دار ولیم فاندربلت الثري الشهير في

مدينة نيويورك • وقد جليت من قضاء «بايك» في إنسلفانيا (الولايات المتحدة) وكلف نقاشا لنيويورك تسعة آلاف ومئتي دولار أما أكلافها كلها فبلغت سبعة وأربعين ألف دولار •

اعظم ملاك الاراضي في العالم هو «ولسن ودنفهام» فله من الاراضي في المكسيك وغير المكسيك مليون ونصف مليون فدان «آسكر» وكلها صالحة للزراعة

أعظم وزر «قلعة او حصن او معقل» للفتون الحربية هو وزر «غبرلتن» فهو شغل صحراً ناتناً خارج البحر طوله نحو ثلاثة اميال وعرضه ثلاثة ارباع ميل ويصلو عن سطح البحر ١٤٣٥ قدماً وجهته الشمالية عمودية في حين ان جهته الشرقية ملامى بالاحادير المربعة • ويحده من الجنوب المكان المعروف برأس «يوريا» وتحذره في غريبه اقل منه في شرقيه ويفصل بينهما وبين البحر مضيق وتلك القلعة من القلاع التي هزأت ونهزأت بحملات الجنود البواسل وقنابل مدافعهم المائلة ويبلغ عدد الجنود فيها في زمن السلم سبعة آلاف جندي

أكبر كهف مجري في العالم هو في مقاطعة «ادمونسن كتيكي» في الولايات المتحدة وهو على مقربة من النهر الاخضر ونحو ستة اميال من مدينة «كاف» وثمانية وعشرين ميلاً من «بولن كرين»

أكبر جرس في العالم هو ديدريود هست على مقربة من «قانتن» في الصين • طوله ثمانية عشر قدماً ومحيط دائرته خمسة واربعون قدماً وهو واحد من الثمانية الاجراس العظيمة التي سكبت باسم الامبراطور «يانغ لو» في سنة ١٤٠٠ للمسيح وقد كلفت ثمانية نفوس في اثنا: صبها وحفر على ذلك الجرس العظيم ثمانية واربعون حرفاً صينياً

تؤلف قصة صينية شهيرة

أكبر آلة لرفع المياه في العالم هي تلك المضخة «الطليحة» المشهورة سيف «فردسفل» إنسلفانيا • الولايات المتحدة • فهي ترفع في الدقيقة سبعة عشر ألف وخمسمائة «غالون» «مكيال انكليزي يسع عشر ليبرات او ١٤٤٠ درهماً من الماء» أما قطر دواليبها ذات الدفع فهو خمسة وثلاثون قدماً ويزن كل منها مئة وستين قنطاراً وطول قضيب محذاها اربعون قدماً وقطر اسطوانتها مئة وعشرة قناريط وقطر قبضتها ثمانية عشر قناريطاً

أكبر مدفع في الولايات المتحدة هو في معقل «هملتن» في مرفأ نيويورك العظمي • طوله ٢٤٣ قناريطاً • وقطره الاعلى ٦٤ قناريطاً وقطره الادنى ٣٤ قناريطاً وقطر ثقبه ١١

قبراطا ويبلغ ما يحشى من البارود مئتي «بوند» وتزن قبلته التي «بوند» أكبر مطرق بخاري في العالم هو لشركة العمل الحديدي في بيت لحم (الولايات المتحدة) .  
فقرة ضربته او صدمته توازي ثقل خمسمائة قطار وهذه المطرقة لاجل صنع السباتك  
الذهبية التي تزن الواحدة منها من اربعمائة الى ستائة قطار

اعظم مدينة شاهدها الانسان منذ عهد اقلية حتى يوم الناس هذا هي مدينة لندن  
او عاصمة بريطانيا العظمى . فهي تشغل سبعة ميل من الارض وعدد سكانها نحو ستة  
ملايين نفس . منهم أكثر من مليونين من الاجانب من كل ناحية من نواحي الكرة  
الارضية المعمورة . وفيها من الكاثوليك الرومانيين أكثر من كاثوليك رومية ومن اليهود  
أكثر من يهود فلسطين ومن الايرلنديين أكثر من سكان «دوبلن في ايرلندا» ومن  
الاسكتلنديين أكثر من سكان ايدنبرغ ومن اهالي ولس أكثر من سكان «كاردف»  
ومن الزارعين أكثر من سكان اقضية ديفون وواروكشير ودورهام

وتلد فيها نفس كل خمس دقائق وتموت نفس في كل ثاني دقائق ويحدث بيويا سبع  
حوادث في شوارعها التي تبلغ ثمانية آلاف ميل ومدل كل من تلك الشوارع اربعون  
ميلاً ويبني فيها خمسة عشر الف بيت سنوياً

والمعدل السنوي لزيادة السكان في لندن من طريق الولادة فقط هو ٩٠٠٠ نفس  
تجد في مرفأها يرمي ما يزيد على الف سبعة وعشرة آلاف ملاح . وفي لندن حوادث  
للشروبات الروحية يبلغ طولها اذا بني كل منها الى جنب الآخر ثمانية وسبعين ميلاً .  
ويقف كل سنة امام دكة القضاء من سككها ثمانية وثلاثون الف سكك وتفتح ابواب  
الحوانيت فيها نهار الاحد على مسافة سبعين ميلاً

وللندن نفوذ بين في كل صقع من اصقاع العالم . ويوافيها من الرسائل سنوياً  
٢٩٨٠٠٠٠٠٠٠ رسالة ويمر يومياً على «منطف «شافاه» فيها خمسون قطاراً . ويسير  
في نفقها تحت الارض ١٢١١ قطاراً كل يوم . ويركب في مركبات شركة الحوافل  
«اومنيوس» فيها كل سنة ستة وخمسون مليون راكب

والغريب ان الخطر في السير في شوارع لندن أكثر منه في الدفر في القصر او  
السفائن البحرية بين نيويورك وليفر بول في سنة ١٨٨٦ قتلت المنقلات او المركبات  
١٣٠ نفساً وتضرر ٢٠٠٠ في شوارع تلك العاصمة

اما عدد كل فرقة من رجال الحانطة في لندن وساقطة المنقلات والعملة في ادارة

البريد رقم ١٥٠٠

وتتفق لندن سنوياً على النور « الكاز » ثلاثة ملايين دولار . وعدد جرائدها اليومية والاسبوعية ٤٠٠ .  
اما تاريخ تأسيس لندن فيرجع الى سنة ٢٨٣٢ للعالم اي انه انقضى على اول بناءة بنيت في لندن ٣٠١٥ علماً هيما لندن نظيفة وصالحه للشرب ومعدل الموقد فيها قليل جداً « اشكلن نبراسكا » الولايات المتحدة  
يوسف جرجس زخم



## حقوق البشر

من المجال ان تأمن غوائل المستقبل ودوالي الزمان وتقلب الاشرار وتلاعب الفجار اذا لم تغرس في قلوب ابناء الامة محبة الوطن الحقيقية . وتعرفهم حقوقهم وواجباتهم بالهيئة الاجتماعية ونزقي شعورهم وعواطفهم بحيث يتطعمون على عزة النفس واباء الضم وسجرة الفضيلة واحترار الرذيلة . فيصيحون بذلك على امة السباع عن مصلطة الامة والوطنين دفاع البطل المستبسط الذي يرى في شفاي السيف وشرب كما هو الخنزير خيراً من الصبر على اللذ . والرضى بالعار واحتضام الحقوق ولا سبيل للوصول الى هذه الغاية البشرية الا بالمعلم والتربية . اربط بالمعلم جماع العلوم الصحيحة التي تدبر لواعدها على المبراجين القامحة واريد بالتربية تهذيب الناشئة على مقتضى الحكمة والعقل تهذيباً يندب بروج الخرافات والاباطيل نقيماً ويقيها في الم فذل . واول شيء ينبغي ان يحصل نصب اعين المصلحين تعليم الامة حقوقها الحقيقية واخص بالذكر حقوقها الاجتماعية التي كانت بمثابة الاساس لادبهم ودينهم والرفعة من الاجوام .

شعار الانسان الحرية . وهي التخلص من قيود الامر المادي والاقتصادي . ولا يجوز ان يطلق انسان على من عدم هذه الحرية وكان في امكانه نيلها .

الامر الادبي اشد تأثيراً وامر فعلاً من الامر المادي . وهو ان يكون الانسان تابعاً لآراء غيره مقلداً له في افكاره وحركانه تقليداً اعمى لا يعين المصحح من الغلظ ولا يعرف الخفيث من الطيب . . وما ابعد الحرية عن اناس اذا سمعوا بهادياً رادي سيف الامواق تحموا بجهولهم ونظروا عليه واذا تبع ذلك الخادس واجد بهم تهمه جميعاً

وم لا يدرون الى اين يذهب بهم ذلك المتادي إلى ذرى جنات النعيم ام الى اسفل دركات الجحيم . . .

وسيف قصة ( اعطه جملة ) عبدة وذكرى تبين لنا معنى الاسر الالهى يائناً لا يدع مجالاً للشك والريب !

مالنا ولهذا اليس الجبل رقاً موبهلاً واسراً مخفلاً . . . واعظم مراتب الجهل جهل الانسان حقوقه الاجتماعية ومن كان في غفلة عنها فهو حيوان مسعور يستقله الآخرون بالخص. الاثمان . . . في عنقه جبل الاسر مشدود الوثاق وفي رجله قيد النل والموان ثم ان من عرف حقوقه ولم يكن في جنته دم حار يدفعه للذود عن حياضها عندما تمسها ايدي الظلمة القسمة فهو دون مرتبة الحيوان !

ولا يقيم على ضمير يواد به الا الاذلان غير الخلي والودد  
هذا على الخائف مربوط بروته وهذا يشع فلا يوتي له احد

ما هي الحقوق المقدسة التي يجب على كل فرد معرفتها ؟

ايك سبعة عشر بنداً تضمن حقوق البشر وابتداء الوطن لظلمها خمسة اعضاء من مجلس التأسيس الذي انعقد ايان الثورة الكبرى في فرنسا سنة ١٧٨٩ وقد تلاها امام المجلس الخطيب الطائر الصيت « ميرايو » في اليوم الثاني عشر من شهر آب وقوبلت بالقبول والاستحسان في اليوم السادس والعشرين من ذلك الشهر وهي الآن فاتحة دستور الحكومة الجمهورية في فرنسا . . . ومن تأملها يجدها وقد جمعت فروع من حقوق البشر وواجباتهم وما اجدر ابتداء وطننا ان يحفظوها بالحرف ليعرفوا مكانهم من هذه الهيئة المجلبة وما هي : « ١ » يلد الانسان حراً ويظل حراً . والانس متساوون في الحقوق لا امتياز لاحد

على الآخر الا بالاعمال التي تعود على المجتمع بالنفع الشامل والخير العام . . .

« ٢ » الغاية من كل اجتماع سلبى صيانة حقوق الانسان الطبيعية التي لا تسقط بمرور الايام وكرور الاعوام . وهذه الحقوق هي :

الحرية .

الملك .

الامان على النفس .

الدفاع عن النفس .

« ٣ » الامة اصل كل سلطة وسيادة . . . فليس لفرد من الافراد اوهيته من الميآت

استعمال سلطة لم تخوله ايها الاله

«٤» الحرية هي القدرة على اي عمل لا يضر بالغير ويسوغ لكل فرد من ابناء المجتمع التمتع التام بحقوقه الطبيعية التي تنتهي حدودها عندما يتعدى حدود حقوق الآخرين وحدود الحقوق لا تضمن الا بنص القانون

«٥» ليس للقانون ان يحظر الا الاتصال التي تضر بالهيئة الاجتماعية . كذلك لا يجوز لاحد من البشر مطلقاً ان يمنع امرأاً لم يحظره القانون كما انه لا ينبغي ان يجبر احد على عمل شيء لم يأمر به القانون

«٦» القانون مجموع ارادة الامة . ولكل فرد من ابناء الهيئة الاجتماعية الحق الصريح بالمشاركة في وضعه اما بالاصالة واما بالارسال نائب عنه . ومن الواجب المنضم ان يكون حكم القانون عاماً شاملاً سواء في القصاص والعقاب او الحفظ والحماية . وبما ان جميع الناس متساوون في نظر القانون فمن البديهي ان تفتح ارباب الماذهب والمراتب وتخدم الدولة العامة لابناء الوطن كافة على السواء كل بحسب استعداده وكفاءته لا يمتاز بعضهم على بعض الا بالفضيلة والدراسة والمعرفة

«٧» لا يجوز بتاتاً تهمة احد او حبسه او توقيفه الا في الاحوال المهيئة في القانون وعلى الطرق المصرح بها فيه

والذين ينفذون اوامر عرفية او بتوسطون في تنفيذها يذانون قسطنهم من العتاب . .  
غير انه يجب على كل من يدعي باسم القانون تلبية الدعاء في الحال ومن يمتنع عن الاجابة يعد من المجرمين .

«٨» لا ينبغي ان يوضع في القانون الا العقوبات الضرورية التي لا بد منها . ولا يجوز ان يعاقب احد الا بنص قانون قد سن ونشر وطبقت احكامه على الاصول قبل حدوث الجرم .

«٩» الاصل براءة التهمة . فكل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية يعد بريئاً التهمة الى ان يثبت جرمه . فإذا دعت المصلحة لألقاء القبض على احد قبل المحاكمة وثبوت الجرم فعلى القانون ان يمنع كل شدة وقسوة لا تقيدان في معرفة ذلك الرجل

«١٠» لا يؤخذ احد اصلاً عن آرائه وافكاره ولو كانت فيما يتعلق بالامور المذهبية والمسائل الدينية . الا اذا كان التظاهر بثقل هذه الآراء والافكار يحل بالراحة العامة التي تكفل بها القانون

« ١١ » حرية بث الأفكار والآراء من أجل حقوق الإنسان وأئتمنها، فكل فرد من افراد المجتمع الحرة الكاملة بان يكتب ما يشاء وينشر ما يشاء ويحكم بما يشاء غير ان سوء استعمال هذه الحرية دافع للسؤال والمواخذه على مقتضى الشروط المصرح بها في القانون

« ١٢ » لا بد من قوة عامة ( يريد بها الجند ) لصيانة حقوق الناس وإياد الوطن وهذه القوة معدة لحفظ منافع الامة جمداً لا لحفظ منافع للذين اتبعت بهم ادارة هذه القوة . . .

.. « ١٣ » لا غنى عن تكاليف عامة لادارة تلك القوة وتدير شؤون الملك . ومن الواجب ان توزع هذه التكاليف على جميع ابناء الوطن كل بحسب قدرته واستطاعته « ١٤ » يحق لابناء الوطن البحث في لزوم هذه التكاليف وتحقيقها اما بالاصالة او بالتبابة . ومن حقوقهم الافرار عليها ومراقبة صرفها في وجوها وتحديد مقاديرها ومدة دواها وتصيين طرق جبايتها . . .

« ١٥ » من حقوق الهيئة الاجتماعية مراقبة العمال ومناقشتهم الحساب فيما يأتونه من جميع الاعمال

« ١٦ » اي هيئة اجتماعية لا تمان فيها حقوق الانسان ولم توزع فيها القوى العامة « التشريعية والعدلية والاجرائية » فليس لها دستور

« ١٧ » للملك حق جليل لا يقبل المنصب لذلك لا يزعم من اعد ماله بتاتاً . واذا مست المصلحة العامة لاستملاك بعض الاملاك فمن الواجب ان تكون ضرورية يعطى ثمنها لصاحبها

• صروج •





## مصالح الابدان والانفس

تابع ما في الجزء الماضي

### القول في الشراب

الطعام عامته جسم ارضي يحتاج الى ما يرقق اجزائه ويهيئه للقوة الهاضمة وحقيقة الشراب هو الشيء الذي اذا طبخ صار حبيبه بخاراً بلا ثقل كالماء فلما ما يبقى له ثقل او ينقع منه شيء اذا طبخ فهو بالطعام اشبه ووفق الاثرية التي يكثر استعمالها السكجيين الصلي لان فيه قوى الصل والخل ولها الجلاء والتحليل ، وعلى هذين المعنيين مدار افضل المعالجات فان الاشياء التي تحفظ الاجسام وتمنع من العفوة والفساد هي الخل والعسل والمخ والصبر فقد اجتمع في النكجيين شيان من هذه الاربعة

### القول في المشومات

كما ان الماء ليس ينفذ بنفسه ، وانما هو مركب للغذاء كذلك الهواء لا ينفذ الا بما يستصعبه من الرائحة الطيبة وكذلك وقع المشوم في باب حفظ الصحة ويجب للحكيم ان لا يترك الانزعاج بالروائح الأرجة وان يجعل استعمالها عاباً لان للمشومات قوى مفرطة في الحرارة والبرودة وربما غررت مداومتها فلان حاسة الشم اذا انغمست في الروائح الطيبة كانت عنها وقتوت للنشأ منها كالعطارين والديباغين في القيدن ولا يدني المشومات الى انفسه اذناه كثيراً لثقله الكيفيات بل يفر له المجلس وثيابه ويجمع من المشومات رطبة كانت او يابسة طبايع مختلفة لتكون اقرب الى الاعتدال واعرن على الاستكثار فان التركيب الذيما يستعمل في الاطعمة وانفع ما اعتزل في الادوية كالأرباج ونحوها

### القول في النوم

من كان ارجط بدناً كان النوم عليه اغلظ والمشايج اكثر نوماً الا ان وطول نومهم ليست بحسنة فيضعف لذلك نومهم واضطرب وهو من الاقوات الطبيعية الا ان الاكثار منه يرخي البدن ويخرج الوجه ويكلى الجوارح ويملا الاعضاء فضولاً ويغير الحركات وربما كان سبباً لعمولة الإخلاط واضعف الحفظ والفهم والذكاء ، والحاجة اليه في الصيف

أكثر لظلة الحرارة وليس فيه ولطول نهاره وكثرة التعب يحركات اليقظة فيه وهو في الربيع مستلذ وفي الصيف علاج ويجب ان لا يلحق المره نصف الليل الا وهو قائم فهو حقيقة الليل واستحكام الظلام وان امتد به السهر قليل في السحر وقبل طلوع الفجر فان اتصال اليقظة ليلاً ونهاراً ليس بصالح واليوم في اول النهار خطأ لانه وقت الانتشار وحركة الحيوان فالـيوم فيه تنكيس للامور الطبيعية عن جهاتها وكذلك آخر النهار ، لانه ينقص نوم الليل ويفسده والليل افضل الاوقات للنوم ويحمد النوم عند الفم والغوف لانه يقلل الحرارة التي يهبجها ، وتقدير زمان نوم الحكيم ، الثلث من جميع ساعات الليل والنهار ولا يلزم شكلاً واحداً في النوم وربما اضطر الى غيره ولا يوقظ الانسان بازعاج فان نفسه تفرج واعضاءه تسترخي عند نوم ، فكل شيء من الانعزال الطبيعية فيجب ان يكون الانتقال منه الى ضده بتدرج وترتيب وليكن النوم بالليل على فراش وثير والجلوس بالنهار على مقعد وطي

### فصل في الباء

ينبغي تجنبه في حالي الخواء والامتلاء وحال الامتلاء اسلم ، وفي حال الفم والحزن وان تكون التي تواقع محركة النفس بنشاط او غضب فان ذلك يوجب ذكاء المولود وليجنب مجامعة العيلة والفاخرة النفس والمسترخية البدن والمغالبة بالنوم فان ذلك يوجب بلادة المولود ..

### القول في الحمام

وهو من اشرف مرافق الابدان ومعاون الصحة لانه يجمع الماء الحار ، والهواء الحار فيفتح المسام ويخرج الرطوبة الفجة المتولدة عن فصول الاغذية التي مقامها في البدن مؤدي الى العلل والاسقام وهو يجمع الى نقاء البدن من داخل نقاءه من خارج وتنظيفه من الادران وفيه كذا نفسانية لان النفس مجبولة على حب الزينة والتظافه وكلما كانت الطف كان هذا الطبع عليها أغلب ، ففيه لذتان للنفس والجسم ، وأكثر نفعه لاصحاب الابدان المقلقلة ، وربما ضر اصحاب الابدان المستقيمة لانه يذير الابخرة ثم يمنع الاستحمام من خروجها الا باطالة مكث في الحمام يحل القوة ويكرب ويضعف ويجب اجتنابه في الصيف او تقليل البث فيه جداً واصلم الاوقات له الفداة لانه بعد ثقل النوم وبرده ورطوبته ، وليجنب على الامتلاء فانه يشوش ما في المعدة والجسم محتاج الى التسكين في

ذلك الوقت ليم فهمه وربما احدث خبراً عظيماً ، ويهجر بعقب الجماع والتعب والاستفراغ وهيجان الاعراض النفسانية ولا يستعمل الغذاء بعد الخروج منه ولا الركوب والتعب الا بعد راحة او نومة لانه يشور الاخلاط . فقهر يك البدن قبل ان تستفر طبيعته فزارها صار يخوف العاقبة ، ويجب استعماله غياً فانه ادوم للذمة واعدل لنفعه

### القول في الحركات الرياضية

الرياضة من اشرف العلاجات وقد رى اصناف الحيوان تستعملها وتختلف في الطيران والمشي غير طالبة اشيء من مأكل او مشرب غير الحركة فقط . وقد ترى الماء الجاري بعيداً من الفساد . والراكذ كثير العفونة ولذلك صار المترفون يدفعون الى امراض مزمنة كالنقرس وغيره ، والانسان خلق خلقاً متحرراً مشاء بالطبع فاذا عطل نفسه مما خلق له اذاه ذلك الى المرض ولا يسرف في الحركة فان افراطها اسرع في توليد الامراض ، والملوك احوج الى الرياضة من العوام لكثرة تودعم ولاختلاف الاطعمة والاشربة عليهم ، فاما العوام والسوقة فهم في رياضة دائمة ، وافضل الحركات حركة المشي وحركة الركوب دونها ويجب ان يحرك البدن على الدابة ، ومن الحكمة ان ينزع الانسان في القوس الشديدة نزعات كل غدوة ونعم الرياضة لاهلها اللعب بالصوالة ويجب ان يبدأ الانسان بالرياضة ثم الاستحمام ثم السكون ثم الاكل ثم النوم ثم الشرب ، ومن لم يتبها له المشي والركوب ، فالكلام والحادثة فقد قيل ان الكلام الكثير يزل البدن ومن اجل ذلك يؤمر صاحب المرض الحاد بالاقلال منه ، ونجنب الحركة بعد الغذاء وفي وقت اشتداد الحر لان غلبة الحر تحال القوة الفريزية

### القول في التغميز

هذا احد المعاون في حفظ الصحة ولا سيما بعد التعب والحركة والخروج من الحمام ومن الدليل على الانتفاع بالتغميز اخراجه الاجرة وتفتيحه المسام استعداء الطبيعة الحل لابرار البخار الذي يحتقن داخل المسام واستعمالها التلطيف والتناوب لذلك ولا سيما عند حركة الجلي واستلاء البدن من الفضول والتمرخ لئلا يكون التغميز يخرق بل يرفق ولا في حال استلاء

### القول في السماع

يجب ان يميل الملك من السماع الى ما يوقر ويرزن دون ما يخفف لئلا تقع الابصار منه على ما ينقص الهيبة وان مالت نفسه الى ذلك كان في حال خلوة

## القول في الادوية

الادوية كلها مضادة للطباع والقوة شجاعها فذلك يجد البدن بعد الاستفراغ ما يجده المستريح من التعب ، وفصلها في الابدان اذا كثرت كفعول الصابون يتي ويخلق وهي ان وافقت فضلة اخرجتها والا اخرجت الرطوبة الغريزية فكانت ضررها بذلك عظمياً والابدان المستحضفة التي لا يسهل خروج الابخرة منها احوج الابدان الى المداواة . . . . .

## فصل في الحرارة

لا تجوز المداواة في صميم الحر لان الغريزية تضعف في عمق البدن وتبرز الى ظاهره فلا يجوز ان يجمع عليه الضعف من هذا الوجه . والضعف بالاسهال والحرارة اذا ثبتت في ظاهر البدن جذبت الاخلاط الى خارج . والدواء يجذبها الى داخل فتجري بينهما ممانعة وتتعطب الطبيعة ولا يؤمن معها مقصرة شديدة ولا في صميم البرد لان الاخلاط جامدة عسرة الحركة فربما كانت في مجاذبة الادوية لها تصبح واضرار بالآت الغذاء .

## فصل في العلاج

يجب ان يكون العلاج بما يدخل في باب الغذاء اكثر منه بما يدخل في باب الدواء لان الغذاء شكل ، والدواء ضد . وان يختار الاسلم منها وان كانت نفعه اقل ، فتدبرك التصغير اهور من تدارك الافراط وتدارك الحمية قبل الدواء يومين او ثلاثة ويحتمل اللحم لانه يملأ الاوعية وغيره مما يولد السدد والحامض لانه يخشن . فربما احدث الدواء بعده مصحبا بل تسهل قبله الاغذية الخفيفة الدسمة الخفيفة لتليو المجاري وتسلسلها ويشبع الدواء بحمية ايام لتثوب الى البدن قوة ويحتمل بعده التقليل فان الشيء الضار على النماء . . . . . نقاء اشبه ضرراً

## فصل في اخراج الدم

يحتسب الانتفاع باخراج ما له كيفية زديئة من الدم يكون الاستقرار باخراج النقي الجوهري منه واذا تباع في جوف العروق لم يشب الا اخراجه بالقصد واذا كان في خارج العروق نعت به الحجابة والسبي والشيخ يضعفان عن القصد والاكمل عام النفع لجميع البدن والقيفال لإعلام واليايليق لاسفله ويجب اخراج الدم على ثلاثة وجوه اما

غلبة الكمية بغير كفاية فاسدة وعلامته ثقل البدن وحكة ليس لها لدغ شديد او لفساد الكيفية بغير كمية فيكون مثل الماء الذي يغلي على النار ، وعلامته حرقة الجسد ويثور لداعه او تغلب فيه الكمية والنكية فيمكن منه المغونة والاسهالة وعلامته مجاوزة الاعراض التي ذكرناها الى توليد الامراض . والحمايات والاورام ، والصنف الثاني يخرج منه القليل وربما اغنى فيه التسكين والاول اكثر والثالث يخرج منه كل ما تحله القوة ويقدم الفصد قبل الدواء لان الاغلاط الاخر متشبهة بالدم فرجا اغنى اخراجه عن المسهل وليكن الاقدام عليه وقت استحكام قوة البدن ويمتنع بعد الفصد من الاغذية التي تولد السدد والكيموس الردي كالبقول والفواكه ويحسب على حال خواء او امتلاء او خمار او جماع او تحرك بعض الاعراض النفسانية

### القول في حفظ صحة النفس

ينبغي للعاقل ان يشعر نفسه ان الدنيا مبنية على الشوائب والتكدير فلا يطلب منها ما ليس في طبيعتها ويستعمل التغافل وترك الاستقصاء ويروض نفسه على احتمال صغير ما يصحبر فانه تمرين على احتمال الكثير ومن التدبير البالغ ان يعرف الانسان وزن نفسه ومبلغ استقلاله وقوة قلبه فيكون ما يحاطر في طلبه ويفرله من مآربه بحسب احتماله فان راحة القلب وطاينته مع الاقلال خير من ضده مع ضده والانسان يقبل من غيره اكثر مما يقبل من نفسه ولذلك يجب ان يكون مع الملك طيب لاخلاقه كطبيب الجسم يذكره ويمطه في اوقات الخوف والغضب

### فصل آخر في الخوف

الخوف هو ابعد واسهل والفرح لما هو اقرب واشد فلذلك كان الخوف مقدمة للفرح والجزع اشد الحزن فهو من الحزن كالفرح من الخوف

### فصل في الغضب

ينبغي للعاقل ان لا يفارقه من قد اطلق له وعظه وبذكيره في اول احتياج الغضب عليه وان يتصور ان الغضب كالتار او الماسريع الاطفاء واخرها كثير الضرر فليقتصد تمنع غضبه من لوله كما يكبح الفرس في اول جملته وليتذكر فضيلة الحكم وشرف التكلم وما حازه الحكماء من حسن الذكر ويفكر في ان شدة الانتقام وسرعة المؤاخذه تنفر قلوب اعداءه وتكسب الاحقاد والضغائن وتسد طاعة المحبة وتنقلها الى طاعة الرهبة والدين

يطيعون الرئيس بالحجة حراسه من حيث يعلم ( ولا يعلم ) والذين يطيعونه بالرهبة يحتاج الى الاحتراس منهم وما احسن قول بعض الملوك ( ما غضبي على من املك ولا غضبي على من لا املك ) ويجب ان يفكر في انه لا يكاد يعاقب الا على ما فيه جنس منه ومن عاقب على ما يأتي مثله او بعضه فليس بمنصف وبذكر نفسه حرمت المنسوب عليه ووسائله او ما يرجو من مستأنف خدمته وما يستخلصه الحلم من طاعته ومناصحته ويجب ان لا يقع بصره على من اغضبه الى ان يسكن غضبه

### فصل في الخوف والفرع

ليس شيء يخاف منه الانسان كخوفه على نفسه من التلف والالم ومنه شيء لا يكون على البديهة لرفعة الطبع وسرعة استجابة النفس وهذا لا حيلة في دوائه ويجب ان يفكر الخائف في قولم اكثر الزرع باطله فان الحكماء شبهت الامور المخوفة بالضباب الذي يتولد على وجه الارض فيشغل الانسان من بعد انه جسم كثيف ليس فيه متنفس ولا عمل للبصر فاذا انقضى اليه وجده شبيها للهواء الذي فارقه وشدة الخوف ربما اذهل عن الحيلة للتخلص مما يخاف فيكون الخوف داعية ما يخافه الانسان والمائل لا يستجيز مثل هذه الحال ويجب ان يفكر في ان الخوف والجزع من خور النفس وانهما خاصة للصبيان والنساء فيغضب على نفسه من ان لا يكون فيها من الجلادة والصرامة ما ينفي هذا العار عنه فليس شيء يبلغ في التشجيع من قوة الانفة . وبفكر في ان الخوف فعل الفر الذي لا يعرف حقائق الاشياء ولذلك خوف الصبي أكثر وخوف من لم يشاهد الحروب والقنل اوفر ولو قد تحقق الصبي من حال الأشخاص التي يفزع بها ما تحققه البالغ العالم لما خافها وقل أكثره لما وخوف الصبي والجاهل كخوف الطير من الشبح الذي يتصعب لما على الزرع ولو تحققت كيمته لاقدمت عليه وكنتمار الخيل من الأشخاص التي لم يألفها حتى تؤنس بها فالبلغ الادوية في ازالة الخوف الاستكثار من العلم والمعرفة بمخائيق الاشياء وتوريد حاسة السمع والبصر ملازمة ما يهول ويجب ان يخرج اولاد الملوك الى معارك الحروب ليهون عليهم الاحوال فان الاطباء الذين يباشرون الكي والبطوال الملاحين الذين قد تمرنوا على الرياح العواصف والامواج العظام يقل ارتياحهم لما يشاهدون من ذلك ولذلك يرتاع الانسان للرض اول ما يناله ثم يتوبه دفعات فيألفه فيقل استجاشه منه والجاهل تزوجه الكسوفات والعالم العارف بأسرها وحسابها قليل الارتياح منها وهذا مثل لغيره

## فصل في الحزن والجزع

الجزع اشد الحزن وهو كالنار الملتته والحزن كالجر الباقى بعد سكون الهم وكأن نفس الانسان التي هي نور بدنه وضياء جسده في حال الغم والحزن . شمس كسفت وهو يفعل ضد المسرة فان وجه المسرور مستبشر بهي مشرق والحزن لغوت محبوب كما ان الخوف توقع مكروه والحزن ابدأ لما مضى والخوف لما يستقبل والحزن الجهول السبب يرجع الى الاعراض البدنية وتولده عن كدر الدم او برده ومن ادو به التفاسية احداث السرور بالمحادثة والمؤانسة وينبغي للمحزون ان يتذكر ما بقي له من قيمته (٢) فان ذلك يسليه عن المقتود . تصور كثرة الامسى له في ذلك سلاوة ويتصور ان الحزن ينل كل يوم وينقص فان التفكير في ارتفاع المكروه ونقصانه يعقب مروراً عاجلاً .

## القول في الوسواس

هذا منه جنس من قيل الطمع وما يقع في المولد وهو الزم واسلم من الغريب الطاري والوسواس على نوعين نوع فيما يرمى ونوع فيما يخشى فالذي يرمى كالمتستر بمسحوقه فلا يعرف غير صياغة الاماني فيه والاشتغال عن أكثر اعماله به . والذي يكون فيما يخشى فانه يوم الانسان الشىء يخافه وهو بعيد عنه مقام الغريب منه . فلا يزال نصب وهمه فكأنه يلاحظه ومتى اراد الاشتغال بغيره طفرت نفسه اليه . ومن شأن من هذه حاله انه اذا عرض له امر من الامور يمكن ان يتصرف على وجهين لم يذهب وهمه الا الى ما هو اصعب واخوف دون ما هو اسهل وارضى ومن الاعوان على ازالة هذه الافكار ترك الافراد فان الوحدة تهيج الفكر لا سيما اذا كانت النفس ذكية رقيقة الطبع . وإنما تحمد الوحدة لدى سلطان يخلو بالفكر في تدبيره او لعالم يخلو باستنباط حكمة او لناسك ينفرد بمناجاة ربه وما خلا هذه الوجوه من ابواب التفرد مذموم . وعلى ان الله عز وجل خلق الانسان يحب الأتس والاجتماع مع اهل جنسه فليس يسد ذاك عن هذا الطبع الا من عرض له نقص في طباع الانسانية وناسبة السباع وهو خلق موجود في الحيوان الذي طبعه افضل واسكن كبهائم الانعام والطيور وضده موجود في السباع من الصنفين ولذلك قيل ان الواحد شيطان ويحجب الفراغ كتجنبه الوحدة ويصرف الفاضل من اوقات زماه عن شغله الى قضاء اوطاره من اللذات والسباع المحرك لغوى النفس والنظر ان

الصور الجليلة والاستعداد منها ليكون اشغل لقلبه واغلب على فكره والآت من طباع صاحب هذا العرض ان يكون ملولاً وما يستعان به على صرف هذا الفكر الجليس الذي يثق به ليعرفه بطلان ما يخيل له من الفكر الرديئة واذا علم من نفسه ان هذا خلق وقع له بالطبع الاقدم والمزاج الاول كان اخف لثقلته واقل الاشتغال مره به وما يزيل كثيراً من الاستشعار التعويل على مناعة النجوم وما تشهد به من السلامة فانها صناعة شريفة قد اتممتها الامم المتباعدة البلاد واتفقوا مع اختلاف ديارهم على صحة اصولها وتجربة فروغها فلا يجوز ان يكون اتفاقهم عليها باطلاً بل عن وحي لا يكذب والهام لا يبطل ويجب ان يفكر في ان الله عز وجل لما اراد عمارة الدنيا جعل اسباب العطب ودواعي البقاء والنجاة اقوى من دواعي الاشغال واليوار وهذا امر موجود بالمشاهدة فاننا نرى ذوي السلامة اكثر من ذوي العاهات والزمانة . فيكون هذا الفكر اصيل به عن الخوف الى الرجاء وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اهـ





نكارتر<sup>(١)</sup>

## الماسة المفقودة

كان نكارتر البوليس السري المشهور عند وقوع هذه الحادثة في مدينة دانفر من مقاطعة كولورادو . وقد دعاه اليها عمل مهم انجزه فلأت الجرائد المحلية اعمدها بذكر نكارتر واعماله الغريبة ودار اسمه على الالسة وناقلته الافواه

وحين انعى طعام الغداء في احد الايام جلس في الفرقة مع معاونه باتسي واذا بمخادم الفندق اقبل عليه وسلمه رقعة زيارة قال له ان صاحبها يود ان يكلمه في الحال فأخذها البوليس وقرأ عليها اسم فيليب دلمار بصوت منخفض ثم التفت الى معاونه باتسي وسأله هل سمعت بهذا الاسم قبالا . فأبدى باتسي اشارة النفي . فتبسم نكارتر وقال اذن فلنتتم هذه الفرصة للتعرف الى هذا الرجل وقال للمخادم ادخله لئرى .

وبعد هزيمة اقبل الزائر وهو ربة في الرجال قد لوحت وجهه اشعة الشمس وكانت حركاته المنيغة تدل على انه عرضة لاضطراب وانفعال شديد حتى انه لم يفكر بتحية البوليس عند الوصول بل صرخ قائلاً : يجب ان استعيد ماستي المفقودة المدعوة (هين الشيطان)

فاجابه نكارتر . — ذلك مما لا ريب فيه

فقال باتسي ممتصاً — حسنًا يفعل هذا الرجل إذا تكلم عن الشيطان ذاته ولكن الغريب استمتع الكلام وقال بالغرابة أليس من العجيب ان افقدعين الشيطان ماستي الثمينة . فقال البوليس بتأن حسنًا ولكن اسمح لي أولاً ان اقدم لك نفسي فاننا نقولا كارتير من نيويورك

فعض الزائر على شفته ثم قال :

وانا فيليب دلمار . واذا كنت لم اقم بالواجبات فأرجوك مغفرة لانني اضعت صوابي حين فقدت ماستي العزيزة التي لا يقع عليها ثمن .

(١) معربة عن الافرنسية بقلم جرجي افندي حداد

فقاطعه نكارتز قائلاً : تفضل واجلس ثم قص علينا قصتك بالسكينة التامة فاذا وجدت فيها ما يستحق العناية فانار هين احرك مجلس دمار على المقعد الذي اشار اليه نكارتز ثم القى على باتسي نظر مستفهم وقال — اظن ان هذا الشاب مساعدك

— نعم ومن اشد مساعدتي ذكاه ثم بعد ان تعارف الرجلان وتصالحا قال دمار فلنعد الآن الى حديث الماسة واظن انه جهلك ان تعرف تاريخها قبل ان تدخل في ملكي — لا حاجة لي بذلك فيكفيني ان اعرف منك كيف ومتى انتقلت هذه الماسة اليك — انها دخلت في حوزتي منذ سنة تقريباً وكنت في تلك الاونة تاجر آفي كلكتا فالتقي لي مرة انني انتقدت حياة رجل برهمي له شرف أثيل وثروة جزيلة ودفعت عنه غائلة لصوص دامهوه — ولست اتفق بشجاعتني — ولكنني اقول اني لحسن الحظ كنت حاملاً مسدسي وانتم تعلمون ان السلاح الجيد يفعل ما لا تفعله البسالة — ذلك مشهور ولكنه يتوقف على الساعد الذي يدير السلاح

انني اجيب على هذا — وانا بريء من التبعيع — انني استعملته بمهارة فائقة . فان اثني عشر لصاً هاجموا البرهمي في ضواحي المدينة ولم يكن هناك سواي فبادرت الى نجاته مع اني لم اكن اعرفه قبلاً ولم اسعج في انقاذه الى شجاعة فائقة بل كفى لذلك ان اطلق النار ذات اليمين وذات اليسار وان اعيد حشو مسدسي بأسرع ما يمكن فصرت رجلاً بكل طلق ولا استعني الاعجاب بهذا فان اللصوص كانوا قريبين مني حتى لم يمكنني ان اخطئهم فقتلت خمسة منهم ومات السادس اثناء نقله الى المستشفى وفر الباقون هاربين

فابسم نكارتز وقال له اذن فانا لا اوثر ان انازعك ما دام مسدسك في يدك لانك تبلغ به ما تريد

— دعنا من هذا فلم كان لي جرأة ان استخدم مسدسي منذ ثمانية ايام ماراً بي اليوم آتياً لازعجك لانني كنت اوقفت كقتال . ولترجع الآن الى نعمة الحديث ففي اليوم الذي تلا الواقعة اتاني البرهمي الى محزني وكان يريد ان يقدم لي هدية دليلاً على شكره فاعطاني علبة صغيرة وقال لي ان ضمنها الماسة المعروفة في الهند بعين الشيطان ثم قال لي ان هذه الماسة ذات قيمة لا تقدر يا صاحبي واشير عليك ان تبارح الهند بعد الآن خيابة الذي يملك هذه الماسة في خطر شديد لان جميع الطبقات في الهند تعرفها

وكثيراً ما اثار المارك السوية في سبيل امتلاكها . ثم ذهب البرمي وتركني ذاهلاً والصندوق في يدي وعندما فتحته وجدت فيه ماسة كبيرة الحجم جداً لم تقطع بعدونكاد لا تعرف لها لوناً لشدة صفائها . وعندنا لم ادري ماذا افعل وبلاستشرت كبار الجوهرين في كلكتا واخبروني عن قيمتها الحقيقية نمت مجباً ولم تعد حياة تاجر في الهند تطيب لي فبعت مقتنياتي وعدت الى الولايات المتحدة آملاً بان اقطع الحجر وايضه بافلى ما يتيسر لي

فسأله نكارت وهل تقطن في كولورادو

— لا . اني لم اقطن في مدينة بعد لانني لم اترك الهند منذ أكثر من شهر وقد جئت من بوسطون الى كولورادو

قبل ان اتزوج الى الهند اقت عدة سنوات في هذه البلدة عساني اوفق الى حشد ثروة فالتحقت اصدقاء كثيرين وفي هذه الاونة لم يسمح لي قلبي ان اسر في مقاطعة كولورادو دون ان اذهب لزيارة اصدقائي القدماء

وحين في الي ان اثنين منهما يقطنان هذه المدينة القيت فيها عصا التسيار وقد مضى على هذا اسبوع وفي اليوم التالي من وصولي دعوت صديقي الى العشاء في الفندق فاليادعوتي وخصمت غرفة لنا فقط و ٠٠٠٠ إن هذه اصدقة مجيبة . اننا كنا جالسين في هذه الغرفة حينها ذلك اليوم المشؤوم

فقال البوليس ان الامر ذو شأن خطير . انك ولا ريب اريت الحجر الكريم الى اصدقاتك

— نعم وأسفاه

— اذن فلخبرني بالتدقيق عن المدعويين الذين حضروا العشاء

— حياً وكرامة . كانت المنضدة « الطاولة » موضوعة في الزاوية حيث يجلس المسير بانسي الآن . وكان الخادم قد وضعها اولاً في وسط الغرفة كما ترونها الساعه ولكنني نقلتها من موضعها لانه كان يمكن القاطنين في الجوار ان يروا كل ما نقله لو بقيت المنضدة في محلها فغيرت وضعها وجلست قرب هذين الزرين اللذين تراهما في الحائط وانت تعلم ان احدهما لاستدعاء الخادم والاخر لانتارة المصاييح الكهربائية واطفائها . هذا هو السبب الذي دعاني الى وضع المنضدة هنا قصصه عليك لانتك تود ان تعرف كل ما جرى بالتفصيل وعندما وصل اصدقائي الثلاثة نهضنا الى المنضدة

فقاله نيكارتز وقال له هل كانوا ثلاثة انك لم تذكر لي حتى الان سوى اثنين منهما  
— هذه هي الحقيقة ولكن واحداً منهما احضره، شريكه الاعمي تجلس قرب  
الحائط حتى يسهل عليّ استدعاه الخادم بتحريك اللولب وجلس امامي كراب الرجل  
الاعمى وكان عن يميني شريكه ماتيو وعن يساري صديقي المدعو دونلسون  
— ارجوك ان تعرفني باسماء اصدقائك الاولى

— فرانك ماتيو وجورج دونلسون اما كراب فاطن اذه يدعي يوحنا  
— فردد البوليس لفظة جورج دونلسون وهو يلتفت الى معاونه ياتسي الذي كان  
الى جانبه ثم سأل دلامر ما هي خدمة هذا الرجل  
— يقوم بمشاريع كثيرة يؤمل منها ان يكتشف مناجم غاز  
— حسناً كنت ظننت انه هو وتراني مسروراً جداً لانني اسمع عنه شيئاً  
فصعب دلامر وسأل نكارتز قائلاً وهل كنت تعرفه قبلاً  
كلاً ولكنني اود كثيراً ان اتعرف اليه وسنتكلم عنه فيما بعد ٠٠٠ ارجوك الان  
ان نقيم حديثك

والذي دفع نكارتز الى السؤال عن دونلسون هو ان هذا الاخير كان له ضلع في  
كثير من الجرائم الفظيعة من قتل وسرقة بالقرص والاغراء دون ان يعلم بها البوليس  
وكان هذا الناحية المحتال ينسل من وصفاها ولو علم بها البوليس لقادته الى السجن او الى  
الكرسي الكهر باني (آلة الاعدام)

وكان نكارتز وباتسي هما الوحيدان اللذان قدرا ان يكتشفا امرار فعلته ولكنهما  
لم يكتشفا امرأ آملين ان يقبضا يوماً علي الشرير ويدعما شكواهما عليه بالبراهين الجلية  
ثم عاد دلامر واستأنف حديثه فقال : وانتهى المشاء كما تنتهي الولايم في الفنادق عادة  
وبعد ان رفع الخدم المائدة وقدموا القهوة واللفائف « السكاير » وخرجوا اخرجت  
الماسة من جيبي . فتناولتها الايدي والكل ينجبون بها وسمع كراب الاعمي ذلك واذا لم  
يكن . قادراً ان يبصرها اراد ان يمساها علي الاقل . وبعد ان جساها وضعا بقرني علي  
المنضدة له اني اذكر كل حركة يعثر عندئذ فقد نظرت كراب المسكين يقلب وعاء  
السكر عند ما مد يده ليناولني الحجر الكرم وسمعت تهمده حين وضعه امامي . وبقي  
علي المنضدة هنية سيرة سألني في اثباتها اصدقائي الف سؤال عن تاريخ هذا الحجر فلم  
اجد مائلاً من اخبارهم بكل ما جرى فقصص عليهم كل ما اعرفه من تاريخ الماسة وكيف

اتصلت بي . . . قصصت عليهم كل هذا باخلاص وبساطة شأن الاصدقاء .  
 واخيراً فرغت الاقداح فضعفت على زر الجرس الكهربائي لاستدعي الخادم وكان  
 في نيتي ان اقدم الى المدعوين قدماً من الكونياك الفاخر . ومع هذا فلم ازل اول اصدقائي  
 ظهري تماماً لانني لم اشأ ان أحول نظري عن الماسة ولكن لتكد طالعي ضعفت على زر  
 الكهرباء وللمال استولى على الثروة فلام دامن لم يستمر بضع ثوان اعدت في خلالها  
 المجري الكهربائي ولو قدر لي ان اعيش مئة سنة لم انس اليأس الذي اخذ بخناتي عندما  
 اقيت نظري على المتضدة فوجدت الماسة قد اختفت

وحين وصل دلمار الى هذا الحد من حديثه امر يده على جيبه وانقطع عن الكلام  
 فقال نكارترو لم تأت الي اليوم ونقص علي هذا الخبر لكنني اقول ان احد  
 اصدقائك مرق الحبر

فقال دلمار هذا هو فكري بتمامه

فاجاب نكارترو نعم ولكنك إذا لم تفقشهم حالاً صار الواجب علينا ان نسل ان اختفاء  
 الماسة مراً غامضاً

فسأل دلمار وكيف هذا انني لا اهم شيئاً

فقال نكارترو ان المسألة واضحة كل الوضوح وهو ان رجلاً يجيد استعمال المسدس  
 مثلك كان من الواجب عليه ان لا يدع شيئاً ثميناً كهذا يفقد من دون ان يطلق طلقة  
 او يدبس ببنت شفة بل كان يفقش حالاً في الموضع الذي وضع فيه الحبر فان الحجرة  
 الكريمة لا تسرق نفسها على ما اعلم

فقال دلمار انني اخبرتك انني حزين لانني لم اعمد الى المسدس فقد اخرجته من  
 جيبى ولكنني لم اطلق النار . على ان الماسة اختفت كما قلت بطريقة غامضة خفية للغاية  
 فانها لا تسرق نفسها كما قلت وبالنسبة الي فلما اجد طريقة اوضح فيها هذا الاجرام  
 — فاجبرني بالتفصيل والتدقيق عما اجرته عندما فقدت الماسة .

— إذن فسمع اول ما وقعت الخلطي على ماتييو وكانت يده على شفتيه تمنزع السيكار  
 الذي كان يدخنه دون انقطاع . وكانت مظاهر الدهش تملوه فعزوت هذه المظاهر الى  
 ما ناله من مصرة فقد الماسة وكانت يده اليمنى على المتضدة

وكان دونادون يرسل الي لحظاً لم يسرفني فاشتبهت به الحال ويعسر علي ان اصف  
 هيئته وصفاً دقيقاً لذلك اذكر ما يلي : كانت عيناه موجهتين الى موضع الماسة تواء

وكانت يده اليسرى قابضة على المشقة ومضطربة بفعل عصبي ويده اليمنى موضوعة على زجاجة خمر فارغة وكان جالساً على كرسيه في المؤخرة بعيداً جداً عن الطاولة . اما كراب الاعمي فكان على شفتيه كأس ماء وكانت عيناه مقمطين الى القدح ونظرت رماد سيكارته لتساقط على المشقة بينما كان يشرب الماء . وكل هذا اذكره تملأاً ثم وضع القدح على الماضدة وكان فيه بقية ماء اضطربت ثواني قليلة ثم سكنت

— ان وصفك تام مدقق فلتظر الآن في شأن دونلسون وقد قلت لي انه كان بعيداً جداً عن المشقة

— نعم وكانت نظراته تشف عا في صدره

— يظهر انه اغتم فرصة الظلام فسرق الماسة اليس كذلك

— كان ذلك كما تقول . وكان له هيئة تشبه هيئة الثعلب الذي سقط في فخ

— وهل كان جالساً على مقعده بدون اهتمام عندما ظلمت الغرفة

— اظن ذلك

لفكر البوايس لحظة ثم قال

يمكنني ان اتصور الآن كيف جرت الحوادث فلن دونلسون نظر اختفاء الماسة

— لا لا قال دلمار وكان يتزايد اضطرابه العصبي انا لا اعتقد بهذا ولكنني اظن

ان دونلسون هو الارق وهذا الشك يتزايد في خاطري نقول له نكارتر املك روعك

فانك قد فصمت علي الاخبار بدقة وتفصيل نادر فلا تشوش حديثك بالاضطراب .

لنفكر بكل هذه الشؤون ولننظر النظر فيها بهدوء وسكينة

فتفهم دلمار وقال سابدل جهدي لاتباع نصيحتك فماذا تريد ان اخبرك الآن

— اريد ان تخبرني ماذا قال احد قاولك عندما اتيت الشبهة على احدهم وماذا

صهروا ليعينوك على اكتشاف السارق

— فقال دلمار انني نظرت الى دونلسون فوجدت الواحه متفجرة لانه لحظ انني

اتهمه بالسرقة

فقال لي لا توجه الي هذه النظرات يا دلمار

— انني لا احب هذا النوع من الهو . قلت هذا بصوت اجش والقيت عليه

نظرات لا تسر

ونظرت ايضا الى مانيو ثم قلت

فلتعد الى ماسي ان المسألة خطيرة أكثر من ان تجعل موضوعاً للهو والمزاح فالذي اخذ الماسة عليه ان يعيدها حالاً الى موضعها وفي هذه اللحظة دخل كراب في المحادثة وقال وادھشة بادية على وجهه ما هذا وماذا جرى -

فاوضحت له بكلمات قليلة ان ماسي فقدت في اللحظات القليلة التي استحوذ فيها الظلام على الغرفة وان احد اصدقائي قد سلبها وكان هذا الرجل لم يعلم الى تلك الساعة شيئاً من القضية حتى انه ربما لم يشعر بانطفاء النور فكان من الواجب عليّ ان اوضح الامر وعندئذ اخذ الثلاثة يتكلمون سوية

فقال كل من دونلسون وماتيو اني لم آخذها يا ديلا رينا كان كراب يقول انت هذا النوع من المزاح مسيء جداً وانه شعر بما احاق بي من الكدر الشديد ويمكنكم ان تهوروا ما الم بقلبي من الاشمجان . فلم يكن من الممكن ان تصاعد الماسة في دخان السيكاكات . كبتنا اربعة في الغرفة واذا لا يحتمل ان امسق نفسي كان من الضروري ان يكون السارق احد الثلاثة . ان فقدان الماسة اثر بي تأثراً شديداً ولكن شعوري بان هذا العمل المريب صدر من احد اصدقائي كان اشدّ ابلا مائي .

ولما لم استقد شيئاً من ذلك نهضت ووضعت يدي على طرف المنضدة وقلت لاصحابي اصفوا اليّ واسمعوا جيداً انني افادي بكل شيء سيئ مبيتل استبقاه اصدقائي القديما . ولكنني مضطر ان اوضح لكم انه اذا لم تعد الماسة في عشر ثوان الى موضعها من المنضدة فاني عندئذ اعتبركم اعداء لي واعلمكم معاملة الاعداء

فلم يتحرك احد منهم

عشر ثوان لا تحسب شيئاً اليس كذلك يا مسيو كارتو ولكنني استطلتها كالهرة وحسبت نفسي حتى انقضت الملة المينة وكنت قد وضعت ساعتي امامي ولاحظت عقربها وانا ارتعش بنو بتر من الحمى

فقال ماتيو انا لا ادخل في دائرة هذا الوعيد ثم رمى لفافته ووضع يديه على صدره وقال انت هذا العمل الذي جرى لمركبك للغاية ولكنني اؤمل انك لا تعتقد انني قادر انت . . . . .

فصرخ دونلسون وانا ايضا يري كل البراءة

وفي هذه الحالة بدأت بالكلام فقاطعتني كراب الذي اثر بي اضطرابه وارتعاشه وقال: انني لست صديقاً قديماً لدار فذاً كان فقد ماسته كما يدعي فالاولى ان تقع التهمة عليّ

فقال ماتينوا إذن يكون مجنوناً فكيف يمكنكم ايها المسكين ان تسرق شيئاً وانت على ما انت عليه من العاهات والضعف

فقال الاعمى باطلف من الموكد انني لم اسرق الحجر الكريم ولكن دعوني مع هذا اتكلم انا عارف ان الشبهات يجب ان تقع عليّ بالاكثر . كما كنت افعل لو كنت موضع دمار ولهذا فانا ارجوه ان يفتشني

ثم نهض واقترب مني وهو يتلمس طرف المصدة في مسيره وكنت اراقب الاثنين الآخرين فلما وجدت انهما لم يتأثرا تلاشت صداقتي لهما ومررت تكلم وزاد في نفسي الريب فقلت لهما : انا اعقل من ان اتك في هذا الاعمى او يخيل لي انه السارق ولكنني اذ رأيتكما لم تتأثرا ولم نفركا فانا اعلم ان اتبع مقاته بالحرف فارتحب دانسون وظهر الغضب على وجهه وصرخ هل تريد ان تشك بي فقلت له بلهجة الامر اجلس في محلك وللحال صرحت مسددي ووجهته اليه وانت تعلم يا مسيو كارتز انني بالمسدس ذاته قد هزمت لصوص كلكتنا ولم انس طريقة استعماله بعد ثم ناديت دونسون اياك والحراك والافانت هالك لا محالة فسقط علي كرسيه وتناول لفافة شعلها ولم يقل شيئاً ثم عرفت بعد ذلك انه لم يكن ناقلاً سلاحاً نارياً وكان ما تيو اعزل ايضاً ولكن كراب كان مسلحاً

فصاح نكارتر آه واي سلاح كان مع الاعمى ان هذا لغريب — مسدساً من اشهر المعامل

فظهرت عجباً البوليس امارات البضنة

— هذا غريب اليس كذلك وقد فكرت ملياً في معنى وجود المسدس في جيب هذا الاعمى لقال لي وهو يتبسم انه يصحب السلاح ليدافع عن نفسه اذا تعرض له احد وانه كثيراً ما يهزم عدوه باطلاق النار في الهواء . ثم وضع مسدسه على المصدة وطلب مني ان افتش جيوبه كلها فاتممت ما طلبه بعد ان وضعت مسددي على مقربة مني ليسهل عليّ استعماله اذا هم احد الاثنين بتأمة ولكننا لم نصل الى هذا الحد

ولما لم اجد ماسي في جيوب الاعمى اعدت اليه بعض ثياب التي كنت اخذتها ثم عاد الى موضعه وهو يستمعين بالارتكاء على طرف المصدة والفت الى دونسون وقلت له قد جاءت نوبتك بض وهو مصغر كالميت . حتى خيل لي انه لم يبق نقطة دم في عروقه وصرخ انت هذا لا يليق بي انني لم آخذ مسدسك وانا لا اسمع لك انت تفتشني



فلم احبه ولكنني رفعت مسددي نحوه فتناول زجاجة فارغة من المائدة واراد أن يرميني بها . وكنت اسرع منه فاطلقت النار . فاصابت رصاصتي عنق الزجاجة ومرت بين اصابعه وهو الرمي الذي وجهت اليه الكرة فانكسرت الزجاجة وسقطت كسرها على المتضدة وقد اتممت بهذا الخطة التي رسمتها لنفسني فاني كنت ابني ان ابن له انني قادر علي قتله فاستمر دونلسون واقفا عاجزا أن يزل ذراعيه وظل قابضا على عنق الزجاجة باصابعه المتشنجة لان ضربتي كانت قد اربعته وكان ما تيو قد نهض في هذه الاثناء فصحت : مكانك فليث صاغرا وعاد الى مجلسه اما كراب فكان يدخن وهو رابط الجاش ساكن كأه لم يسمع شيئا ثم قلت لدونلسون يجب عليك ان تدعن للافتيش . وانصعك اذا كنت حريصا علي حياتك ان تنزع ثيابك دون تدمر ولا ممانعة فقد فرغ صبري وضاق صدري

وفي هذه اللحظة قرع الباب ففتحت وإذا بخادم الفندق جاء علي صوت اطلاق الرصاص فقالت له ان مسددي انطلق عرضا ولم يسبب ادنى ضرر فعاد من حيث اتي واغلق الباب . قلت لدونلسون بلهجة التهديد اما إذا انطلق عرضا مرة ثانية فسبردي رجلا منك

وكان من شأن الاخطرات التي ارسلتها الى دونلسون ان اقنعه بزمي فاطاع الامر وبدأ بخلع ثيابه . وبالاختصار فاني جردته من ثيابه ولمست بجاسده يدي وقشيت جيوبي بدقة ولكنني كنت احب لما لم اجد شيئا . وكان دونلسون يخشى ان تأخذني الحدة فتنتطلي من يدي رصاصة تكون القاضية عليه

يقولون في المثل ان النتائج الجيدة تحصل في المرة الثالثة ولهذا اوعزت الى مانيوات جاء دورك فجرد ثيابك

وكان يشبه دونلسون بشدة تأثيره ولكده لم يجد مفرا من ذلك فتقدم الى وسط الغرفة وبدأ بنزع ثيابه

فوجدت جيوبي اخلى من جيوب دونلسون وعندئذ أخذني دوار شديد شعرت معه ان كل ما في الغرفة يعرّك ويضطرب واستأنيت علي المقعد وقد خارت قواي ولحسن الحظ لم يشعر احد قائي بما آت اليه حالتي من الضعف والوهن . وقيل ان بيد دونلسون بالكلام كنت شغيت من هذا الدوار

فقال لي دونلسون بصوت أبحر ضع جدا هذه الرفاحة . ها هنا مدعو لم تنه بعد

لأنك لم تبلغ درجة من النجاسة تأمره فيها بنزع ثيابه  
وعندما أتم دونيلسون جلسته نهض كراب وكان حتى الساعة جالساً على كرسيه بسكينة  
تامة يدخن سيكاره، فيصاحبه منها السخان كما يصاحبه من مدخنة العمل  
فوضع لفاته ٠٠٠ وانتهى لا يزال إذ ذكر كيف كان يمر يده على المنضدة ليحيد المنفضة  
ولم يد عليه أقل اعتراض ثم قال بصوت منخفض أنا عالم ماذا يراد مني ولحسن الحظ أن ذلك  
سهل جداً عليّ لأنني أعلم

وحين قال هذه الكلمات بدأ بنزع ثيابه فألقى هذا المنظر واخذتني الشفقة على ذلك  
المسكين وكنت مزعماً أن أمانه من ذلك ولكن إشارات الاستهزاء التي بدت على وجه  
دونيلسون وماتيو والفتكاري بالسرفة هيما غضبي فطلى الدم في عروقي وعوضاً أن أمانع  
كراب أوعزت إليه بالأسراع

وفي وضع ذائقى كنت قد قشقت جميع اثوابه . ولكن جميع التنقيب الذي أجرته لم  
يجدي شيئاً وظلت الماسة مفودة وبصعب عليّ أن أقول أنني كنت أأمل أن أجدها مع  
كراب ولكنني اغفلت ثالثة

وفي هذه المرة سمعت صوت دونيلسون وهو يقول بلهجة كئيبة :  
والآن فأنك قد اكتفيت من أمانتنا فنقش تحت المنضدة عسالك ترى شيئاً  
ولم يكن هذا الفكر قد خطر لي قبلاً . فذهرت بحمرة الخجل تعالو جميعتي واوهض  
لي في ظلمات اليأس برى من الرجاء

وحين أرجعت المنضدة قليلاً كي لا تغيثني في عملي وانحنيت على البساط محدقاً فيه  
كنت أفكر بأي طريقة اعتذر لاصدقائي إذا كان من المحتمل أن أكون أنا ذاتي قلبت  
الماسة على الأرض حين التفت لأضبط الزر . ولكن يا للأسف فأنني لم أكد أرسل نظرة  
إلى ذاك البساط حتى تلاشي آخر رجاء ولم أقف للماسة على أثر

وعندما استغرقتني غضب شديد فاندفعت بحدة شديدة أبحت في جيوب هؤلاء الرجال  
الذين اعتبرتهم اصدقائي ودعوتهم ليقامموني السرقة والصفاء . فذهب كل ما بذلك من الجهد  
إدراج الرياح ولم اغفر بضائتي

وهكذا فإن ماسي الثمينة . الماسة التي كنت افتخر بها فقدت ولست أدري ماذا جرى بها  
وحين بلغ هذا الحد من خرابه سكت قليلاً واخذت سمع العرق البارد المتصبب على جبتي  
ثم سقطت على مقعد مدهالاً وكان قد وقف حين استغرقت الحدأة أثناء الحديث

== فقال نكارتز انها لقصة عجيبة وانا اود ان اعلم كيف تنتهي فاشار دلمار برأسه وبعد ان تنهد تنهداً عميقاً عاد الى حديثه فقال : ولما وجدت ان بحفي ذاهب سدي استلقيت على مقعدي خلف المنضدة واذنت لم يلبس ثيابهم ولما ابصرت النظرات الخفيفة التي كان يرشقني بها كل من دونلسون وماتيو احتطت لنفسي فجلست وراء المنضدة والمسدس في يدي اليمنى وكنت لاحظ هولاء الرجال وهم يتشعرون بأثوابهم . ولم يلفظوا كلمة واحدة لانهم علي ما اظن لم يجدوا كلاماً يعبر عما سيفعل انفسهم من شدة الانفعال لاهائي ايام اذا كانوا حقيقة ابرياء

وانتهى بي اعمال الزوية الى التفكير ان واحداً منهما سلب الماسة باملوب خفي ضامض ومهارة تامة حتى خفيت قلمته عن صديقه الآخر وعلي كل فقد وجدت من المناسب ان اسعى لاعادة الصلات الحية التي كانت تقسمنا حتى تلك الساعة فقلت لم : يا اصدقائي الاعزاء ان الحادثة التي جرت قد ادمت قلبي ولو هاتمت عظم الخسارة التي حلت بي لصغمت في عن المعاملة القاسية التي حزت لاجلها . . . . . فصرخ دونلسون بغضب خفف عن نفسك مؤونة الاعتذار فلو جثوت امامي مئة سنة لم يكف ذلك لحو الاهانة التي لحقتني . كل علاقة بيننا قد توترت وهذا ان واتقلب الحب بغضاً فاذا صادفتني في الشارع وسدمني في جببي تغذ الحذر فالفت عندئذ الى ماتيو وكان لونه متغيراً ولكنه كان هادئاً فقال لي « اما انا فلا اتهدد »

لم يقل غير ذلك ولكنني فهمت فكره فلما عرفت انه حقود لا يصفح لي عن الاهانة وانه اصبح عدواً هائلاً يخيفني اكثر من دناءة . ونفا زلت منذ تلك الساعة احاذر ان اوجد في طريقه

اما الاممي المسكين الذي لم اعرفه قبلاً فكنت لا اعلم باي عبارة اعتذر اليه فجلست على المقعد . ولم اقم بحركة حتى اكمل الثلاثة لياهم ومما بالخروج فقال دونلسون وصوته يتهدج من الغضب : اأأذن لي الآن بالانصراف اما ماتيو فلم يقل شيئاً بل كان ينتظر كراب الذي تأخر في الاكتساء لضعفه كي يقوده الى خارج الغرفة . ولما استعد تقدم اليه بطء وبخطوات متقلبة فاراد ماتيو ان يقوده خارجاً ولكنه دفع الذراع التي مدها اليه صديقه وقال له :

انتظري دقيقة ايضاً يا فرانك

ثم خاملي قائلاً :

ان هذه الحادثة قد ازعمنا جميعاً ولكنني لا اصدق عليك لانني اقدر ان اتمثل حالة نفسك فانا معتم غير انني ارجوك ان لا تظن بي سوءاً

وهذه الكلمات التي لفظها ذلك المسكين اذ ابني نجلًا لانني لم اكن مستحقاً هذا التلطف بعد ان عاملته بمحشونة كما عامله رفيقه فاجبه

تأكد يا ميسو كراب اني كنت راغباً ان لا افضح لولا اصرار دونيلسون فقال الاعمي لا شك عندي بذلك ومهما يكن من الامر فاني لا اطوي لك ضفيعة

في صدري

ثم مدونا يدينا وتصالحنا مصالحة الاخاء وبعد ان حيشه واجاب تحييتي قال :

لي البك كلمة ايضاً وبعدها اذهب : ان الحادثة التي جرت في هذه الليلة قد ضيقت صدري فادركني بقدرح من الماء فلم استغرب هذا الطلب لان حالي كان يلهب من الغما فقلت له ان آية الماء قد انكسرت فهل لك في تدح خمر او غيره من المشروبات فقال شكر لك اذ لا حاجة لي بذلك . ولصحتك تجد بقية ماء في قدسي

فلحذت القدح ونالته اياه

فشكرني وهو يأخذ القدح وبعد ان شرب السور وضعه على المائدة وتأبط ذراع مانيو وخرجا سريه من الفندق وكان دوي ان يكلمني فوقف الكلام على شفيعي

ثم سقطت على مقعدي خائر القوى واحاقت بي ظلمات متراكبة من اليأس

وان الفكر الذي كان يدور في خلدي من ان السارق احدهم لاء الثلاثة لم يبارحني لحظة . وكانت شهابتي تقع على دونيلسون ومع هذا فلم ار بداً من التسليم انه من المحتمل ان يكون الثلاثة شركاء في السرقة قد اتفقوا من قبل ان يلعبوا في هذه اللعبة المشومة فقلت اذا كان الامر هكذا فانهم لا يلبثون بعد خروجهم من الفندق ان ينشقوا او يذاعروا والحال نهضت ومشيت على اطراف اصابعي دون ان احدث اقل صوت ومشيت في الرواق فادركت مانيو وكراب فيهم منتصف السلم وظلا صامتين لم يلفظا كلمة حتى بلغنا الباب الخارجي . فعدتند قال مانيو لكراب

ها هنا عربة وساعينك على الصعود اليها واعين للسائق المحل الذي تروم ان تبلفه . واما انا فلا اود ان ادخل البيت حالاً لانني ما زلت متعباً جداً

فاجاب الاعمي حسناً اني اعرف ذلك ولكن اياك ان تأخذك الحدة والطيش بسبب هذه الحادثة اسمعت يا فرانك

فلم يجبه ماتيو  
ثم نظرت كراب يصعد الى العربية وضديقه يري السائق الجبهة التي يجب ان ينحوها  
فسارت العجلة من الوجهة المعينة وسار ماتيو في الجهة المعارضة حيث كان دونيلسون  
ينتظره على كشب

وفي الرجلان اللذان لم يرياني صلتين بضع دقائق وأحدهما بجانب الاخر ثم شرعا  
بالكلام معاً وكانت جملهما واحدة تقريباً

= هل انت اخذت الماسة يا جورج (سأل ماتيو)

= هل انت اخذت الماسة يا ماتيو (سأل جورج)

ان صدور السؤالين في وقت واحد وبتركيب واحد تقريباً لم يغير شيئاً من جسد  
الرجلين . وكان دونيلسون اقل صبراً من رفيقه فاجاب قائلاً  
أؤكد لك انني لم آخذ الماسة

فقال ماتيو ولا انا ايضاً . وليس في وسعنا ان نقول ان كراب هو السارق لاننا اذا  
فرضنا انه هم بذلك فان طاعته تمنعه ذلك

فاجاب دونيلسون وانا اسلم بذلك ولحسن ما هي هذه اليد الخفية التي مبرقت تلك  
الماسة الشيطانية

فقال ماتيو يظهر ان دالر خولط في عقله فلا يبعد ان يكون وضع الماسة سبباً في جيبه  
واظن انه سيحدها بعد ان يملك روعه

فصرخ دونيلسون انني ادفع مثله ريال عن طيب خاطر اذا صح اقتراضك ووجد  
هذا الشخص ماسته في جيبه

فسأله ماتيو أيسرك ذلك ولماذا

فاجابه دونيلسون الست تعرف لماذا ؟ قالها بلهجة تهديد مخيفة حتى انني  
ارتعشت رغم ارادتي

ثم تم حديثه قائلاً : لانني بعد ان حدث ما حدث الليلة اريد ان اعرف موضع  
الماسة حتى احول ظنه الى حقيقة

فقال ماتيو هذا ما اقصد لاني اذا قدرت ان اغره جزاء العار الذي الصقه

بنا فانا لا اتأخر عن ذلك . فأتبعني الان يا جورج لثروي ظمأنا الشديد  
وعندئذ سار صديقاى القديمان وذراعهما ملتفتان احداهما على الاخرى  
وانك ترى الآن يا مسيو كارتز انني قصصت عليك الحادثة بتفصيلها ولم اسقط  
حرقا واحدا . وبذلك الجهد حتى لا ادع شيئا دون ان اقصه عليك ولم اعمل امرا لم  
انبشك به ولو كان طليقا في الظاهر لانني اخشى ان يكون ذلك الامر مفتاح السر  
وهنا سكت دلالا كمن انهى حديثه

فسأله نيكارتز قد مر علي هذه الحوادث اسبوع اليس كذلك ؟

= نعم

= وانا اظن انك لم تفر عن السبي في خلال هذه المدة لاستجلاء الغامض

= انا . . كنت جنت لو لم ادأب في السبي

= إذن قل لي ماذا صنعت

= انني سائرح لك ذلك بحرية تامة فقد تدرجت في الشوارع بحالة تشبه الجنون  
وقد ظهر لي ان من الممكن ان اكون انا نفسي قد وضعت الماسة في جيب من جيوبى فعدت  
مسرعا الى حيث تناولنا طعام العشاء . وابتدأت اقتش نفسي بدقة لا مزيد عليها فقلبت  
جيبوى جميعها ومزقت بطانة اثوابي وعريت من كل اشي حتى صرت في حالة جدينا  
الاولين . وان نجلي من قص ذلك عليك لا يوازي نجلي من اخفاقي . ساعتي . فقد  
استخفت الماسة ولم اقف لها علي اثر

ولم اكد اقم لبس ثيابي حتى قرع الباب ففتحه وإذا بمخدوم الفندق قادمين ليبرئوا  
الغرفة وبينما كانوا يبدأون في عملهم كنت اراقبهم بيزيد الانتباه واقول من المجال ان  
لا يجدوا الماسة

ولما انجز الخدام عملهم ولم يجدوا شيئا خرجت اتجول في الشوارع وظللت نحواً من  
ساعتين . وكان الوقت الساعة التاسعة ليلاً . ثم وقفت بقية لارى الجهة التي اسلك  
فيها وتطلعت فاذا انا امام مركز البوليس فعممت بالسخول لاثمن عليه الواقعة . وبعد  
ان فكرت بهذا علمت ان لا رجاء لي بمساعدة البوليس العادي في هذه المسألة الغامضة .  
اذ ليس في يدي برهان يؤكد حدوث السرقة . ان الماسة فتدت دون شك واكن بعد  
البحث المدقق الذي اجرته لم اجد مجالا لاتهام ضيو في .

فاتممت زهقي مفرداً وكان يأتي يزداد من حين الى آخر وكنت اعزى نفسي بان

فقدان الماسة لم يجعلني مملقاً فما زالت ثروتي في كلكتا ولكن هذه التهمة كانت تزول حين كنت افكر انني خسرت بضائع الماسة نحواً من نصف مليون دولار . ولا سباً عندما افكر ان هذه الثروة الواسعة فقدت في بضع ثوان

فسأله نيكارتر وهل اخبرك الجوهر يون في كلكتا انها تساوي هذا الثمن الفاحش  
 = نصف مليون ؟ هذا مؤكد وهو ليس بثمنها الفاحش بل المعتدل . وقد اخبروني ان الماسة اذا قطعت قطعاً لا يشوبه خطأ فان ثمنها يرنى الى ثلاثة اضعاف هذه القيمة  
 = اذن فانت تعتقد ان عين الشيطان تستحق العناء الذي تستمره في البحث عنها  
 = آه يا موسيو كارتر وهل تريد ان تتولى امر البحث عنها  
 = عليّ الارجح . . . ولكنك لم تقل لي بعد ماذا فعلت ولعلك قد عثرت عليّ اثر بذلك عليّ مكانها

= قد حذرت يا موسيو كارتر قد عثرت عليّ ادلة عديدة ولكنك تعرف مبلغها من الصواب أكثر مني

بعد ان ادرت ظهري لمركو البوليس اتهمت المسير فاجتزت المدينة وقبل الساعة الحادية عشرة وجدت نفسي امام محطة السكة الحديدية وابصرت عربة مقبلة تقل مسافراً . ولما وصلت ففز السائق الى الارض وساعد الراكب عليّ النزول ولم يكن هذا الراكب سوى كراب الرجل الاعمى

فصرخ نيكارتر يا لهجب

فتبسم ولما عندما سمع ذلك وقال

ربما افكرت انه اراد ان ينجو بالسرقة وانا اعتقد انه ربما كان هذا ممكناً وربما كان من الواجب عليّ ان استعمل المسدس ولكن اصغ : انني رأيت السائق يأخذ خرقة كراب من العربة ثم امسكه بذراعه وقاده الى غرفة الانتظار . فكنت لما ازم من ظلمها

ثم اخذه الى حيث قطع جوازاً الى بونيبولو كنت خلفه فسمعتة يسأل الأمور عن ميعاد سفر القطار فأجابه سيقوم القطار الاول الى بونيبولو بعد عشر دقائق وفي هذه الاثناء كان السائق واقفاً وراء كراب ليقوده الى القطار وعندما اجتازا غرفة الانتظار أعوزتني السكينة ولم اتمالك نفسي فعارضتهما في الطريق وقلت له وانا اشتمل من النيط

أسعدت صليحاً بامسيو كراب  
فخدق بي الاعى وادار نحوى عينيه وظهر عليه انه عرف صوتي فقال وهو  
يتردد في القول :

يظهر لي اني اعرف صوتك . الست المسيو دلالر . فهل خدعني ممعي  
فقلت له انا هو

— إذن فقل لي بالله هل وجدت اثرأ لأمستك تهديك لخبأها

— فقلت لا وكنت اراقب ماذا يكون تأثير جوابي فيه

— ان هذا مكدر جداً . ان هذه الضربة هائلة

— نعم ولكن ليس في وسعي الا ان اتلقى مصيبي بالصبر . والآن فاني اراك على  
وشك السفر

نعم وأسأله فاني وجدت في منزلي عند رجوعي اليه هذا النبا البرقي الذي اجبرني ان  
اسافر مع القطار الاول

ودفع اليّ النبا حين طلبته منه وانا اعترف لك اني لم اتردد بل قرأته بمزيد السرعة  
وكان من بويلو وهذا نصه حرفياً :

« اخذك على فراش الموت عجل بالحضور — الطيب ا . م . غوردون »

فهرجه بكل ما حضرني من عبارات التعزية

فقال لي : منذ مدة كنت اتوقع ورود هذا النبا . فوردني اليوم . وبما اني راحل فانا  
أشكر جميلك إذا انبأني بالدلائل التي تبدو لك والآثار التي تهتدي اليها وانت  
تعرف السبب الذي يبيح هذه الرغبة في نفسي

فاجبته متعللاً نعم اعرفه جيداً

ثم قال بعد ان اوارى اخي المسكين في التراب اعود الي هنا ولديك عنوان اقامتي  
فارجو لك ان تواصلني بما يجد معك في هذا الشأن  
فوعده ان انبئه بكل ما يحدث —

فاستبهم حديثه قائلاً ان اقامتي في بويلو ستكون في بيت اخي . فاذا اتفح لك  
كيف اخفت ماستك او إذا وجدت كما اتنى لك — فستكون لك علي يد يضاء اذا  
انبأني علي لسان البرق لانك تعلم انه ما زالت ستور الخفاء مسدولة علي هذه المعضلة



تظل الملائق يني وبين صديقي ماتيو متوترة وان هذا ليحزني لانني كنت واباء دائماً صديقين حميمين .

فهمت ان اخبره بما قاله عنه ماتيو ودونيلسون بعد خروجهما من الفندق ولكنني أثرت الرصانة والسكوت واقتصرت على نسخ العنوان الذي اعطانيه كراب وبعد ذلك صاغني وقاده السائق الى الرصيف حيث كان القطار زمعاً ان يقف . وصدت الى الفندق وفي اثناء عودتي عولت ان اراقب دونيلسون وماتيو وعشاً كنت احاول ان اطرد هذا الفكر عن خاطري وهو ان احدهما كان السارق ويا انا اسير صادفتها في الطريق ولكنهما لم يهراني فتبعتهما على بضم خطوات وانا احذر كل ما من شأنه ان ينهبهما الى وجودي .

وكانا آتين من النادي دون شك وجهاهما مقطبان فتيتهما وما زالا سائرين حتى وصلا الى المنزل الذي يقطنه كراب وكان لماتيو غرفة هناك ايضاً ففتح ماتيو الباب بفتح اخرجه من جيبه ودخل الرجلان فلم يمكننا اكثر من خمس دقائق

وكنت لحظت ان النور قد اضيء واطني بسرعة في ثلاث من الغرف او اربع فدل ذلك على انهما كانا يفتشان عن ماتيو الذي لم يبلغهما بعد خبر سفره الفجائي فقال ماتيو ومهما ينزلان الى الشارع ان القطار قد نحا يريه من ربيع ساعة تقريباً فاجابه دونيلسون نعم ان هذا الفاجر قد بعد مسافة طويلة فقال ماتيو ولكن الحسن الحظ ان اللحاق به سهل

وهذا كل ما قدرت ان اسمعه من المحادثة وكان من المؤكد عندي انهما يتكلمان عن كراب ولكنني لم اعرف هل كانا ينظران ماسني ومهما يتكلمان هذا ما اترك حله لك يا مسيو كارتير

ثم دخلا مسرعين الى بيت آخر وقد فهمت بعد ذلك انه مسكن كليور شريك دونيلسون فلم احفل بهذا الاخير لانني لم اعلم كيف يكون له دخل في سرقة الماسة فقاطعه نيكارتر قائلاً حسناً حسناً انت لا تعرف كليور ولكننا نحن نعرفه فهو متهم بالتحرير والاعزاء علي كثير من حوادث القتل والسرقة وهو الآن في السجن يتنظر جزاءه واب ثلاثة مع صديقك دونيلسون كانت تدلني على ان في حياة هذا الاخير اموراً خفية غامضة ولكن ارجوك ان نثم حديثك الآن

فاستأنف دلمار الكلام وقال انني انتظرت ساعة قرب بيت كيلبور خرج بعدها الاثنان ولكنهما انفصلا في اول عطفة من الشارع فذهبت دونلسون الذي عاد الى منزله . اما ماتيولا اطمأئن انتهي به السيد ولم انظره بعد ذلك ولكنني ارجح انه ذهب في اليوم التالي الى بويلويلافي كراب هناك

اما دونلسون فقد اقام عامة اليوم التالي في مكتب المحل الذي يدبره هو وشريكه كيلبور وفي اليوم التالي نظرت صدفة ان دونلسون أخذ رسالة بوقية وبعد ان قرأها ظهرت علي وجهه علامة الاهتمام والتأمل ولم اقدر ان اعرف مصدر الرسالة ولا محتواها ولكنني اعرف انني لم ار دونلسون في اليوم التالي ولما ذهبت في اليوم الثالث اطلبه في محله اخبروني انه سافر الى بويلو . وبالطبع ركبت انا ايضا القطار الاول وتبعته فقال نيكارتر انه تفكر في غاية السداد فاذا اكتشفت هناك

— لا شيء في لا شيء اجاب دلمار انني رمت ان اذهب الى المحل الذي اعطاني كراب غمرته ولكنني فهمت انه لا يوجد بيت في المدينة بهذا العنوان . وكان الشارع موجوداً فقط ولكن النمرة التي هي كانت عنوان ارض ما زالت خالية من البناء ولم يكن هناك بيت الى بعد مئة خطوة من جميع الجهات

قلت له انني اخطأت في نسخ النمرة فسألت عن اخيه التي كانت علي فراش الموت فلم اسمع احد يحكم عن امرأة ماتت او اشرفت علي الموت فسألت عن العايب ١٠٠ كوردون فلم يكن حظ هذا من الوجود اكثر من حظ الاخت الموهومة

فلم يبق لي الا ان اسأل عنه فسألت مأموري المحطة هل شاهدوا رجلاً اعمى نزل في الليل من القطار قادماً من نيو يورك ووصلت لم ملاعبه

فلم يذكر احد في المحطة انه شاهد رجلاً اعمى بهذه الملامح وبالاختصار فاني قد اضعت يومين في بويلو وانا اقش دون طائل

فعمزت علي ان اقصد مركز البوليس واشرح له خبر السرقة وكل ما يتعلق بها . وحين قرأت في الجرائد اعمدة بسرهما ملوها اطراوك والثناء عليك ووصف العمل العظيم الذي قمت به قبل الليلة السابقة وعلمت انك حضرت الى هنا عاد لي بعض الرجاء واتييت اليك لاعرض عليك التهمة بجميع تفاصيلها

فقال البوليس لدلمار انني اقدم لك تحياتي ونهائي لانني قلما نظرت رجلاً قادراً مثلك علي الاحاطة باطراف الموضوع واستقصاء شوارده وابطاح دقائقه ووصف ذلك بطريقة

مهلة واضحة • وستنتفي بعد الآن اثر « عين الشيطان » وإذا ساعدنا الحظ فأتنا نرجو ان نهتدي اليها

— انني اقدم لك شواعر الشكر التي تختلج في صميم الفؤاد • وارجو ان تغفر لي هل عذبت علي السفر الى بويلو

— علي الارجح

— وهل تريد ان ارافقك

— لا ولكن اترك لي عنوانك واذا اضطرت الى الانتقال فابلغني ذلك • حتى تصلك جميع الرسائل والانباء البرقية التي يمكن ان ارسلها اليك • ولا اطلب منك غير هذا سوى ان تثق بي

وتم تحدث الثلاثة سوية بشأن الامور المادية التي يقتضيها البحث والتتقيب • وبعد ذلك استأذن المالك الشرعي لملاسة من البوليس الشهير ومعاونوه وانصرف وبعد ان خرج دلمار التفت كارتو الى معاونه الشاب الايرلندي وقال له:

— ما رأيك في هذه القضية يا باتسي

يظهر لي انها اقرب الى اخیال منها الى الحقيقة فهل صدقتها يا استاذي

— صدقتها كما اصدق بالحياة الابدية التي لا اشك فيها لحظة

— اذا فرنا هذا فكيف امكن الثلاثة ان يخفوا الماسة

فضحك كارتو طويلاً ثم قال :

يظهر لي انك تظنهم شركاء في الجريمة قد تعاقدوا عليها سابقاً

— إذن فماذا تريد ان اعتقد في شأن هذه الماسة التي اختفت وظاعت آثارها

اسمع يا باتسي اريد ان احديثك بشأنها ولكنني لا اتكلم عن لصوص

— عمن تكلم اعن لص واحد

— نعم فانا اعتقد ان كراب هو السارق الوحيد

— اممكن هذا • اممكن هذا الاسمى ان يسلب الماسة وامامه ثلاثة رجال يصرون

فقال نكارتو ان كراب هو الذي اخذ الماسة قال هذا هو يتظاهر بان لم يسمع اعتراض المعاون ومع هذا فظن انه لم يفكر ان سرقتها بامكانه لما قبل الدعوة ولا اصدق باتفاق سابق وأؤكد لك ان دونه لنسون وماتيو بريشان من وصمة السرقة وهما يعتقدان كما اعتقد ان كراب هو السارق • وقد هاجها ما صادفاه من الاهانة فعزم علي اتباع كراب واجباره

على رد المرسوق او ان يقاسمهما على الاقل ولما علم يسفره الى بويلو عرفانه قد خدعهما  
فاتنعت باتسي بتأكيدات استاذة وقال حسناً يمكننا الان ان نستنتج النتائج من هذه  
المقابلة وقد فهمت الآن معنى المحادثة التي دارت بين الرجلين امام الفندق

— وجلي ان سفر كراب الى بويلو هو اعتراف ضمني بذنبه

ولذا تبعه ماثيو الى بويلو حيث علم ان السبب الذي انتقله الاعمى للسفر كان  
مختلفاً وهذا الذي عرفه دالار بعد بضعة ايام

— من الراجح ان يكون ماثيو مرسل النبا الذي اهتم له دونيلسون كثيراً . فسافر  
لينضم الى رفيقه في الطريق بالاعمى

— احسنت يا باتسي هذا ما حدث بروته

— ولكن كيف قدر هذا الشيطان كراب ان يسرق الماسة على هذا الشكل الخفي  
الغامض حتى لم يقدر دالار ان يجدها في ثيابه حين قشها

وبعد ان توقف لحظة عن الكلام ضرب يده على جبهته ثم قال :

يخيل لي ان هذا الخبيث المحتال ليس اعمى

— حسناً واي فرق في ذلك

فقال باتسي لا فرق وضاع سروره باكتشافه حقاً ان الحالين سيان فهل نظن  
انه اعمى يا استاذ

ثم ساد سكوت قطعته فقهية باتسي الذي قال وهو يضحك

— آه . آه . ان تفتيشاً كالذي اجراه دالار لا يتفق حدوثه دائماً . ثلاثة رجال

طارين يجدهم آدم قبل ان يخطئ حقاً انه منظر معصك .

فاجابه نكارتز ضاحكاً

لا اظن المشابهة تامة اذ ينقص الاختبة قليل من الصورة

فعاد باتسي بعدها الى الجدة وقال

— انا ارى يا استاذ انك فكرت لتبلغ نتيجة فبأي اسلوب نظن كراب سرق الماسة

ويمكن من اخفائها

ولكنه انذهل عندما وجد ان كارتز اقتصر على الفحك وهو يرفع كتفيه ثم خاطبه قائلاً

يا عزيزي باتسي لم اعلم عن ذلك شيئاً

— ان هذا يمكن

— نعم ممكن للغاية • فقد ارى في الامر مرأ لم اقدر على فهمه حتى الساعة وانا احتاج في حله الى تأمل طويل سابله اثناء سفرى ولذلك ارجوك ان تستفهم لي عن مواعيد سفر القطر

فنزول باتسي مسرعاً الى مكتب الفندق وهناك نفوم هذه الشؤوف فامعن فيه البوليسان هنيهة وبعد ما اختار نكارتز القطار الذي سيقله قال لهماونه :

ارى ان واحداً منا يكفى لمطاردة هذا الاعى اما انت فاقم هنا في دفتر واخبرني اذا عاد احد الرجلين واعلم انه يحتمل ان يحدث هذا بأسرع مما تفكر فتيقظ فقال باتسي كن اميناً من هذه الوجهة

ولم يكن يتعذر على رجل ماهر كـنكارتز ان يقفوا اثر اعى ففهم وهو في الطريق ان كراب قبل ان يصل الى بويلو طلب من السائق جو زاً عاماً

فع اكتفاء البوليس بهذا التصريح توص الى علم ما يأتي وهو انه في يومين مختلفين من الاسبوع الماضي كان في القطار مسافران القيا الى المفتش هذا السؤال بعينه فتحقق عند ذلك ان ماتيو ودونيلسون قد اجتمعا في بويلو ومن هناك سارا للبحث عن الاعى

وبعد برهة اكتشف على آثار الاعى وكان صوتاً داخلية يناديه ان كراب هو السارق الوحيد • وعرف انه اشترى نمالاً محددة واكثرى جواداً من قرية صغيرة من قرى مقاطعة الاريزونا الشمالية • وسافر من هناك مصحوباً بدليل توصل البوليس الى معرفته وطلب منه ايضا حاسوب ما يعرفه عن المسافر الذي كان يتبعه فقال الدليل :

لم ارافقه مدة طويلة إذ انه قال لي بعد خمسة ايام من بدء السفر « يمكنك ان تعود الآن » فترددت في الرجوع وتركته منفرداً لانه كنا عندئذ في اوحش قسم من الاريزونا ولكنه اسرع علي فتركته وصدت

ففكر نكارتز ملياً في ما قاله الدليل ولم يفهم كيف ان رجلاً اعى ضعيف القوة يود ان ينفرد في تلك البقعة الكثيرة الاخطار • فسأل الدليل

— هل تعتقد ان الرجل كان اعى حقيقة

فقال الدليل كل الاعتقاد ودعم حديثه بسرد بعض الحوادث التي جرت على الطريق والتي تؤيد قوله

ثم استتبع البوليس السير في طريقه

ولم يكن الذي يلقاه على الطريق قادراً أن يعرف هذا الرجل ذو الشهرة الواسعة في العالم والذي يختلف إلى الأندية العليا في نيويورك وله المنزلة الرفيعة بين الأريستوقراطيين لأن كارتز تزياً يزي سكان الغابات فلنخذ هيئة "توحش" يؤثر استعمال السلاح وخشونة العيش على رفاهية الحضارة  
وكان جواده كريماً فاعمل في خاصرته المهماز ليبلغ ذلك المحل الذي يكاد يكون في آخر الدنيا حيث فارق الدليل كراب  
وربما كان يجد السيد صادق فارساً مهيلاً عليه من الجهة المقابلة ناداه وهو يوقف مطيته قائلاً

أيها الغريب

فاوقف كارتز جواده وقال له

ماذا

— أعدك تبغ

— مؤكد . عندي قطع كبيرة

وكان نكارتز يعلم أن رجل الغابات يجب أن تكون معه مؤونة من التبغ فحمل معه كمية معه مع أنه لم يكن يستعمله

ثم أخذ علبه من جيبه وقال للرجل هوذا التبغ فخذ حاجتك

فقال الرجل اشكرك ومد يده وحاول أن يمسح قطعة منه

فقال له نكارتز اقطعها إلى قسمين لأنك لا تزال بعيداً جداً عن الممران وعلى ما اظن أن التبغ لا ينمو على الأشجار كما قيل لي منذ هنية

— أنت محق . فإني ظلمنا وجدت في هذه البقعة التي مجرما الله والناس وكان قد

أخذ نصف قطعة التبغ ورد بقيتها إلى نكارتز

فسأله البوايس : إذن أنت تعرف المقاطعة

— نعم أقرباً لا تعرفها أنت

— لا هذه هي المرة الأولى من مجيئي إليها

— في طلب الذهب

— ليس تماماً فإني الاحق رجلاً اسمي

— ماذا؟ إن هذا لغريب جداً

- نعم ان قدوم اعمى ليحيى في هذه المواضع الموحشة لمو غريب جداً ولكنه حدث  
 — ليس هذا الذي اريد ان اقول ولكنني افكر بشخصين استأجرا في خدمتهما كدليل  
 وطباخ وم ايضا ذلك يفترضون عن اعمى  
 — يا للشيطان . هذا ما نسميه صدفة قال ذلك نكارتز وهو بلفظ سلسلة من الالهام  
 تليق بسكان الغاب ثم سأل الرجل وما هي المسافة بيني وبينهما  
 — اعطنهم اصدقاءك  
 — تقريباً فلانهم من معارفي  
 — حسناً فانتم الثلاثة في هذه الحالة تطاردون شخصاً واحداً وهذا كل شيء  
 — أصبت ايها الشجاع . علينا ان نتابع هذا الاعمى حتى نطفر به ولو اضطررنا الامر  
 ان نذهب الى نهاية العالم  
 — لنسترجعوا منه الماسة اليس كذلك  
 — بسم الله . وكيف عرفت ذلك  
 — اخبرني به صديقك  
 — حسناً ان هذه الماسة لا تخص الاعمى  
 فانغض الرجل عينيه وبدأ يقهقه وقد بدت على وجهه امارات المكر ثم قال : اصدق  
 قولك ان الماسة لا تخص الاعمى . نادى هي ملك اندي يظفر بها . ولكن هذا لا يعني  
 نحاول ان نجتمع باصدقائك  
 — يدعشني وقوفك على هذا السر .  
 — لا غرابة في ذلك فالله القرون اياماً عديدة في القفار تنشأ بينهم روابط شديدة .  
 وقد كانوا يتكلمون بادي الامر سرّاً فكانت اصفي الى حديثها ثم أخذت بسوقها ولما  
 وجداني وثقت على شيء من القصة شرحها لي واخبراني منها بما كنت لم اعلم به  
 — قصا عليك كيف سرق الاعمى ماسنهما اليس كذلك  
 — نعم او بالاحرى ماسة احد اصدقائهما  
 فتعجب كارتز من ثرثرتها وقال للرجل ان اذنيك لم تخدعك  
 شاه آه انت هو الصديق صاحب الماسة  
 — هذا ممكن فلانا لا انقبه  
 — حسناً فاصبر اذن ان كنت لا تريد ان تصادف رصاصة توردك حنك فلاولي

بك ان لا تحاول الاجتماع بصديقك . لان مصاحبتهم خطيرة وقد شعرت بذلك ولهذا  
فارتعسا هذه الليلة

— يظهر لي انهما اخبراك بكل شيء وانا ارجو ان تخبرني عن واسطة تجنب فيها  
ملاقاة هذه الرصاصة وان تخبرني عن الطريق الذي سلكاه

فرجع الرجل كنفه وقال ان فكر ملاحتهم هو فكر جنوني . ولست اعلم ماذا تفعل  
اذا وجدت امام اثنين هذا اذا لم نعد الاعى . انني تركت صديقك اول البارح فاذا  
اسرعت في السير نحو الشرق تصل الى مخاضة تزل فيها صديقك وركبا النهر وسافرا  
— اشكرك على هذه التلميحات

ثم حرك كارتز جواده ولما رآه الرجل سأله هل انت مصمم على التقدم

— بل اريب

— حسنا فهل يلزم ان اعلن خبر موتك

— لا تتعجل استودعك الله

— سر بالسلامة ايها الغريب واشكرك على تبغك . لاحظ انك واحد ضد اثنين ما  
هذا الاعمى ولكنني اشتهي لك الفوز من قلبي

فارخى نكارتز لجواده العنان وبعد ان قطع رزم ميل الثفت وهو على سرجه ونظر  
الرجل الذي كان يراقبه وهو ثابت في محله فقال البوايس في نفسه ان هذا الرجل ليس  
ابله كما اظهر لي وقلي يهدئي اذ سيكون لي وله شأن قبل ختام القصة . آه لاء ما اشد  
حق مايبو ودونلسون اللذان كنهما اسرارهما لكل سائل . واستمر البوايس في سيره  
حتى احلوك الابل فاستراح قليلا ثم ركب جواده وعاد الى السير حتى وصل الى ضاحية  
كولورادو التي اهداه اليها الرجل ثم ربط جواده في جذع شجرة ثم اوقد قليلا من الحطب  
واعد لنفسه عشاء من المون التي اشتراها ثم التحف بغطاء، ونام على الارض ليرجع نفسه  
بضع ساعات من عناء النهار

وفي الثلاثة الايام الاخيرة من اقامته هناك نفا عن بعد ثلاثة بيوت في ذلك القفر  
ولم يعلم البعد بينها وبين اقرب عمران وعلم ان الغبا الذي يختاره الاعمى ليكون فيه  
لا يتسنى لصيحي النظر ان يقيموا فيه . ثم قال لماذا لم يسافر كراب الى مدن الشرق الكبيرة  
حيث يعادف فرصة اوفق لبيع الماسة . وردد هذا السؤال في خاطره دون ان يهتدي  
الى حل مرضي واخيرا اغض عيذه ونام حتى الفجر نوما عميقا هادئا وعندما استيقظ تناول



قليلًا من الطعام ثم علا ظهر جواده وسار فعرف بفراسته أن فرسانًا آخرين قد تقدموه  
منزهين في نفس الطريق . فسر نهذا وعلم أيضًا أن الفارس اهداه إلى الصراط المستقيم  
وكان كما تقدم يزداد منظر البلاد وحشة وانفرادًا . وكان النهر يجري بسرعة شديدة بين  
مضائق صخرية ثم تصب مياهه المزبدة في مصب بعيد الغور فيسمع لها صجحة شديدة  
وبعد الظهر بقليل وصل تكرار إلى سفح رابية صخرية فهم أن يسلفها وهو راكب وقد  
ظهرت له آثار على الأرض عرفته أن فرسانًا آخرين مروا من هنالك حديثًا . وكانت قمة  
الرابية جرداء تطل على ما جاورها إلى امد بعيد فوقف كارت رجاء لانه نظر على بعد ثلاثة  
اميال تقريبًا خطًا رفيعًا من الدخان يتصاعد إلى الافق فقال لعل هنالك معنشا عن الذهب  
او لعل الطريقة التي الاحتما قد عادت . وكان كل ما حوله يظهر له واضحا فابصر نقطة  
مفحكة تشبه النمل السائر فظنها هتودا ولكن هذا لم يكن راجعا لان اليرليس منذ دخوله  
الى تلك البلاد المتوحشة لم يشاهد أكثر من ستة من ذوي الجلود الحمراء . ففرس في  
هذه النقطة بالعين المجردة لحظة من الزمان ثم تناول منظاره ووضع على عينيه فوجد انهم  
اربعة فرسان يسرعون في المسير جنوبا وإذ لم تكن جهة سيرهم هي الجهة التي يفحونها  
اليرليس تأكد انهم لا يقتفون آثاره وفضلا عن ذلك فابصر لهم من الخفاق فائدة  
وعند ما فكر بهذا عاودته الهواجس فتناول منظاره وبدأ بالتفرس فوجد الاربعة  
يندرجون إلى اليمين وينحون في سبيلهم مخاضة على بعد عدة اميال ثم وضع منظاره في  
جيبه وقد ظهرت على وجهه علام الاهتمام والتأمل العميق لانه نظر بن الاربعة وعلى  
زعامتهم الفارس الذي طلب منه تبعا وقص عليه ما عره عن دونلسون وماتيو  
وكان الجو قد طبق باليوم مما دل على قرب هرب الماصفة فساءل في نفسه عما  
يجب عليه ان يفعله وهل كان يسير في النج القويم فإذا كان ذلك فهو يدرك جماعته بل  
ان يفهم الفرسان الاربعة ولكنه إذا كان يتسلف في طريقه فإذا يحدث ؟ وبعد ان  
فكر قليلا قال لا . اني اتبع الآثار ذاتها ثم كثر جواده واخرج من كيس معلق  
بسرج الجواد بعض الامتعة الصغيرة . ثم ساق معلقه إلى سفح الرابية حيثما ركبها في  
مرجة صغيرة محاطة بالعاليق حيث يجد الجواد حوله شيئا من الكلاء فيمكنه تكرار ان يتركه  
هناك برهة طويلة دون ان يحش على شرا ثم اطرد سيره ماشيا

وقد تبع في مسيره خفة النهر وما زال يسير حتى وصل إلى مضيق عميق تندفع اليه  
مياه النهر بسرعة وتنصب فيه فسمع لها دوي شديد . وكان سمدا على المضيق جذبا

شعيرتين كبيرتين فصفهما النهر فاشبهها جسراً ورأى نكارت آثاراً أدلت على أن خيولاً عبرت ذلك الجسر حديثاً فتبع الآثار فقادته نبتة الآثار الى غابة كثيفة نظر من خلالها اشجارها خطأ من الدخان رآه وهو على الصخرة غير أنه كان الآت قريباً منه وهو يتصاعد من بناء خشبية عاث السوس في عوارضها  
وكانت تجري امام هذا الكوخ ساقية جميلة مملوءة بالسماك وامامها ما يشبه الاصطبل قد ربط فيه ثلاث جياد

ولم يكن غير هذا الكوخ معموراً في الجوار . فاقرب نكارت يهدوه واصفى لما يجري داخل الكوخ الذي ظهر له انه كوخ رجل يفتش عن مناجم الذهب فيسمع من الداخل جلبة وضجة . فتقدم بدون احتراس الى ان دخل الباب فسمع صوتاً يقول:  
قد اكتفيت يا عجب ان تضع حداً لهذا الانكار . فاسمع يا كراب الحقيقة اننا نريد ان نقاسمك فاذا اصررت على الانكار لا نسليك ماسنك فقط بل حياتك ايضاً

ثم ارتفع صوت آخر يقول  
اننا لم نأت الى هنا لنسمع ثورتك  
فاجاب شخص ثالث

— انما ما بدالكما . اذا لم تخجلوا ان تنهاجوا اعمى مسكيناً وتقتله فلا تترددا .  
ولكنني اعيد عليكم انني لا اعرف ماذا حدث للامسة واود ان ابذل جهدي لايبرهن لكم صحة قولتي فاني خلعت ثيابي عنديما امرني دمار فهل تودون ان اعيد ذلك الآن  
فصرخ المتكلم الاول

ما هذه الترهات عندما تسدد حدايك نعلم ماذا نصنع بثيابك واما الآن ففاعليك الا ان نجيبنا الى ما طلبنا وتيقن اننا بعد ذلك نكون كرماء جداً حتى اننا نهبك حياتك .  
اعطينا ائمة او اهدنا الى موضعها وانت اذا رفضت ماتت لا محالة  
فقال الاعمى وهو يتهدد واي معنى للرفض هنا هل يقدر الانسان ان يعطي الا ما يملكه

— آه

ثم عاد الاعمى الى الكلام فقال  
افكروا فيما تقدمون عليه وتذكروا ان الدم المهرق ينتقم له دائماً  
— هوذا الرسول الصالح اننا نعلم ما يجب ان نعمله

ثم خيم السكوت لحظة على تلك الغرفة  
فقال نكارتز لنفسه يظهر لي اني وصلت في الوقت المناسب لامنح هذين الشريرين  
من ارتكاب جريمة جديدة  
فتفتح الباب بلطف ليرى مايجري داخل الكوخ . فوجد كراب جالساً قرب منضدة  
في وسط المحل وعيناه انكبيرتان تحدقان بالحائط امامه . ولا شك ان الاخيرين باغتياه  
وهو على المائدة اذ كان عليها قطع من الخبز والحم البارد وقدر ماء ووعاء للقهوة والمخ .  
وكان ماتيو ودونيلسون واقفين امامه وعلى وجهيهما امارات التهديد فكان واحد منهما  
رائعاً هراوة ضخمة فوق رأس الاعمى والاخر مستعداً ان يضربه بمخشب البندقية  
فقال لا يوجد في القضية ما يقال ان كراب اعى اذ ليس يدي اقل مناعة لهذا الخطر  
الموشك الحدوث

تغطي عتبة الباب واسرع الى الداخل والقي نفسه بين الاعمى وبين الشقيين وصرخ بهما  
— انجلا ايها الشقيان انضربا اعمى لا طاقة له على الدفاع ان هذا منتهى الجبن والنذالة  
وتزعع الهراوة من يد ماتيو برشاقة وقبض على بندقية دونيلسون وحمل الاعمى الذي  
لم يعلم ماذا جرى والذي لم يكن يشك انه اذرف على الهلاك  
محمد الشريران لمفاجأة هذا الرجل الذي لم يعرفا من اين اتى فخيّل لهما انه هبط  
من السماء . واستولى انهولت عليهما بضغ ثوان . اما كراب فانه فنهذ جزءاً واخذباً  
تحت المائدة

واخيراً تمتم دونيلسون قائلاً

اي شيطان هذا . من انت ايها الرجل . من انت

وكان نكارتز مزينة عليهم في انه يعرفهم لانه نظر صورهم وامام فلا يعرفونه البتة  
— من انا . لا ارى اخباركم بهذا ضرورياً ولكن الذي يصمكم هو اني لا اقدر ان  
اسكت عندما ارى شريرين قربين مثلكا يفتكان باعمى ضعيف ليس له نصير ولا قدرة  
على الدفاع . اني لست عظيماً من عطاء الارض ولكنني لست ندلاً لادعكم واشانكم  
فقال ماتيو : انه لم يكن هنا سوى ضييع فقط واننا رمنا ان نخفيه  
— ان تعفوا . حسناً . ولكنني لم افهم كيف يمكنكم ان تروعا اعمى بمثل  
ما عملنا

وكان الرجلان شاخصين بابصارهما اليه فقال نكارتز

— أصغيت قليلاً قرب الباب فسمعتكما تتكلمان عن ماسة وإذا كنتم تودون ان  
تقسموها وذلك يتبعكم فانا ارضى ان أكون حكماً وإذا كنتم أقدر ان أفيدكما  
فانا خادمكم

فقال دونيلسون بحدة

لا تزعم نفسك فهل يهلك لمرنا وهل لك زمن طويل هنا هل اهرب باذرع مايمكنك  
— شكرًا لك علي هذه الدعوة للهرب . ولكنني اروم ان أمكث قليلاً  
ثم أخذ البوليس كرسياً وجلس بسكون ثم قال : اصفوا لكلامي كل الاصغاء  
يا رفائي :

إذا حدث خصام في هذا الكوخ بعد الآن فهو سيحدث بيننا . انكم سألتوني عن  
اسمي فانا اجيبكم علي ذلك انني ( جاك الاحمر ) من مقاطعة مونتانا المدعو ايضاً ( بالدموي  
المائل ) . وقد تعودت ان التهم اثنين اقوى منكنا وامضهم غداً لي  
وفي ايام الحديث اسند البندقية الى المائدة ومحب مسدسه من جيبه  
— انتظرات جيداً هذا الكلب الصغير انه يتبع دون ان يقرش به أحد . وصوت  
واحد من : كاف

ثم ضحك البوليس ضحكاً مرعباً وجلس الى المنضدة بينما كان ماتيودونيلسون  
يتبادلان النظرات . فقال ماتيودونيلسون  
فانسافر فلنسافر . اذ ليس لنا مقام هنا بعد  
فاقترب الاثنان من الباب  
فقال نكارتز وهو يعثر بسلاحه

ارجو كما ان تقبلا خمس دقائق هنا ايضاً . فهذا المحل اوفق لكم وانا اقول انك السبب  
فان عندي شيئاً لا قوله لكما وهو يهكم جداً  
لفطر الاثنان بارتياح الى جاك الاحمر الدمعي وهما يرغبان ان يقتكما به . ولكن  
سلاحه كان يوحى لهما ان يحترما  
واستمع نكارتز الحديث فقال :

عودا الى محليكما فاما دمائي في هذا الكوخ فائتيا في مأمن من خطر الموت انني اريد ان  
اقدم لكما اقتراحاً فاذا اردتما ان تساعداني ساعدكما ايضاً  
وكان انفعال الشقيين يشدد وهما يحدجان به باصابعهما دون ان يلفظا كلمة

فقال نكارتو بلهجة تدعو الى الثقة

اذا كان احدكم اصر من رفاقه فسلب الماسة دونها فلا تخاصموا الآن لاجلها .  
كونوا اصدقا . لان خطراً مهولاً يتهددكم جميعاً  
فقال دونيلسون :

اي خطر هذا . عماذا نكلم يا رفيقي . اوضح  
فقال كراب الذي نهض من محباً تحت المنضدة

نعم . اوضح ماذا تريد ان تقول . ليس عندنا ماسة قط فقال البوليس وهو يرفع كنفه  
— هذا ممكن ولكن يوجد في هذه النواحي رجال مقتنعون بعكس ما تقرره . ابكفي  
هذا ؟ هل فهمت معنى كلامي

— كلا اننا لم نفهم فهل تريد تليحاثك افهاماً ان بوليساً يقتني آثارنا

فقال نكارتو وهو يرفع كنفه ثانية

— ربما ولكنني لا اعرف شيئاً من ذلك . ولكن الذي اعلمه ان رجلاً آخر  
بطاردونك وهم اشد خطراً بما لا يقدر من المراد البوليس  
اجلسوا مواضعكم يا رفاقي واسمعوا كيف عرفت ذلك . انني لا اريد ان ارفعكم  
فزعاً و سلاماً ووقفاً عليكم

وبعد ان تبادل ماريو ودونيلسون النظرات وجد الاوفق لها ان يتشبا ويجلسا مجلس  
الاول على كرسي عجلة والثاني على صندوق فارغ فاخرج كارتو من جيبه ورقة مربعة  
يعلوها النبار مكتوبة بحروف حمراء ومد هذه الورقة لدونيلسون دون ان يقول كلمة  
وكان فيه تصريح من احد اشرف مقاطعات مونتانا بعد فيه بكافأة كبيرة — خمسمائة  
ريال — لمن يقبض على جاك الاحمر الشهير حياً او ميتاً

وكان نكارتو يتلاعب هذا التلاعب وهو امين ان يتفصح مره فاه عرف ان جاك  
الاحمر كان في مهب هيلينا من مقاطعة فونتانا فليس في وسعه ان يفقد هذه الوحدة  
ثم قبضه نكارتو وقال لم مما قرأتم في هذه الورقة يمكنكم ان تفقوا لي واسمعوا قصتي  
الغريبة : فاني اضطررت ان اقتل رجلاً كما اقتل ذبابة . وكان هذا الرجل قد صبا ماء  
في قديم خري اسمم ؟ ماء مع الويسكي ! ماء . ماء .

فقلت لهذا الشقي الذي تجاسر على مزج الويسكي بالماء : ان قايين ليس شيئاً بالنسبة  
اليك . ان ما فعلته هو اعظم من قتل الاب او الأخ واريد ان اريك ايها الشقي كيف

فنجلس ان نسم رجلا شريفاً بالويسكي المزوج بالماء . ولم ادعه ينتظر كثيراً بل اطلقت عليه رصاصة كانت القاضية

انتم ترون اني كنت محققاً فيما فعلت ولكن الشريف واعضاء محكمة حكموا بغير هذا وبالاختصار فاني لو لم اقتل اثنين من الحرس لكنت علفت الآن في مشقة جميلة . وكان موقفي خسارة على الومان اليس كذلك  
ثم بدأ بعلي الورقة وقال :

اما الآن فبا اني بري بري او وحشي كما يقولون فقد نجوت من الشرور ولم يعد من معارض لي في زمعتي . ولكنني قد صادفت منذ يومين فارساً قص طلي خبياً غرباً  
قال لي انه كان في خدمتك واكد لي ان في حوزتك ماسة لا نظيرها في العالم بأمره وحاول ان يقتني بالاتفاق معه لتسليحك اياها

فنتظر دونيلسون وماتيو احدهما الى الآخر وهما متعجبان . ثم قال دونيلسون :  
اصح . انا نعرف حق المعرفة هذا الرجل الذي تنكك عذ نقد كان معنا وقد وقف على شيء من سرنا فلم يعد لنا مندوحة عن افشائه لنجوت من تعرضه . ولكن هذا ليس بالامر المخطير

فقال نكارتو حسناً دعني اتكلم  
على مسافة قليلة من هنا تجد راية صفرية تذكرك اننا دون شك لانكنا وطشناها بجواديكما . وقد وقفت عندها لاروح النفس قليلاً فنظرت في السهل اربعة فوارس سائرين بجد ولم تكن هذه الناحية وجهتهم التي يقصدونها رأساً ولكنكم القوم الذين يفتشون عليهم واذا نكبوا عن الطريق قليلاً فذلك حتى يجتمعوا برفاقهم  
أما متابعتهم لكم فهذا واضح وضوح الشمس واذا كنت اشك سيف ذلك فانا اقسم لكم بالرد اني اغتسل غداً ولجوسني الله = وقائد هذه الفرسان هو الرجل الذي كان في خدمتكم . وهذا اقل كلام البوليس سامعياً الذين لم يشكوا في وشك الهلاك فافترج دونيلسون صرعة الحرب

فقال جاك الاحمر الدعي لا تفكر بهذا البتة فهؤلاء القوم يعرفون المقاطعة كما يعرفون جيوبهم فهم يسكونكم حالاً . لا . لا . فاحسن ما تفعله ان تترك من هنا وتندافهم اذا هاجمونا  
— ماذا تقول ؟ تترك من جملتنا  
— مؤكد . فهل تظنون اني احتمل ان اراهم يشجون رؤوسكم بالرصاص ويقتلون

هذا الاعمى المسكين . انكم إذا ظننتم هذا فائتم لا تعرفون جاك الاحمر حق المعرفة . إذا  
 سميت ظهري قليلاً فلا اتردد عن ان اقف وحدي امام اثني عشر فارساً

فقال كراب

آه يا الهي لماذا باشرت هذا السفر

فسأل ماثيو

هل انت متأكد يا ماثيو جاك ان هؤلاء الرجال يعرفون طريق رجوعنا

قال هذا وهو يتبادل النظرات مع دونيلسون

فقال جاك الدعي

انني احذركم فان هؤلاء الرجال اقدر على اقاء الاعداء منكم لانها حركتهم | الاتعتقدون

انهم يعرفون بوجود هذا الكوخ

— هذا مرجح

هل يخص هذا الكوخ احداً منكم ؟

فقال دونيلسون لا

فصرخ كراب :

— انا يخصني أكثر مما يخص غيري . لانني انا الذي بنيت . حين قدمت منذ بضع سنين

الى هذه الانحاء طلباً لمناجم الذهب وكنت لم افقد البصر بعد

فقال له كارتز شكراً لك على هذه التعليقات فهل يوجد أكواخ في الجوار

فاجاب كراب : لا يوجد أكواخ الى مسافة بعيدة اما اذا كانوا قد بنوا في هذه

السنوات الاخيرة فهذا ما لا اعلمه

فقال البوليس : لا اظن ان احداً يستمر هذه البقعة التي هجرها الله فهذا الذئب

نفاطع الديبة حتى انها لا تحبها تحية السماء . واذا اتفق ان مسافراً أعوزه الويسكي في

هذه الزنار فما عليه الا ان يصلي صلاة الموت

وكان دونيلسون وماثيو منزيان يتكلمان بصوت منخفض واخيراً خاطر به دونيلسون

جاك الدعي بقوله

— نعم اننا مشكورون ان تقع في خطر عظيم واننا نشكرك يا صاح لانك انذرتنا

باخطرك قبل وقوعه فاذا رضي كراب ان يسدفع اليها الماسة فمن الممكن ان نجو جميعاً .

قبل ان ...

فقلطه نكارتر قائلاً

— من الجذون ان تفكروا بمثل هذا الآن . ان هؤلاء الاشقياء يتبعوننا الى مئات من الاميال

فقال كراب

— كيف يمكنني ان اعطي ما لا املكه وما لم املكه البشة  
نحاف ، اترومن اصرار شريكه ففتح فاه ليحييه ولكن نكارتر اسكنه وقال :  
سواء وجدت الماسة او لم توجد فلانها علي ما يظهر ستذهب بجباننا جميعاً ٠٠٠ اصفوا  
فلت وجوه الثلاثة صفرة واصفوا وقد حبسوا انفسهم فسمعوا وقع حوافر جياد  
فاظهر جاك الدعي الضعيف وقال

إذا لم يكن هؤلاء هم الفرسان الذين اخبرتم عنهم فاني آو علي نفسي ان لا اشرب  
الا الماء الصرغ بقية ايام حياتي . ولكي اريك قدر الذي حالفتموه يا اصدقائي وسعادتكم  
بهذه الحفلة ارجوكم ان تتركوني افتح القتال بنفسي

ولم ينتظر البوليس جواب الثلاثة بل ترك الكوخ وبعد عندهار بعين متراً في طريق ضيق  
وراء الصخر

ثم وقف فرأى الفرسان يقتربون وكانوا اثني عشر وعي قيادتهم الرجل الذي  
طلب تبناً من كارتز . فابدى كارتز لم اشارة بمسدسه ادهشت الرجال فاوقفوا خيلهم  
كأنهم يخضعون لأمر

فصرخ القائد

— هل وجدت معارفك

— نعم . أجب الوحشي الكاذب . صحتهم حسنة وقد كلفوني ان احمل لك  
نحياتهم فامتن نذهب الآن

فهمهم القائد ثم قال

اني قدمت الى هنا مع صديقين لتساعدك

— اوكد لكم ان مساعدتكم لا تقيدني

— ماذا

— لانني است في حاجة اليكم وهذا كل شيء

ثم ابدى البوليس اشارة من مسدسه في طمحا معان كثيرة



فاقترب الفرسان وتشاوروا بصوت منخفض جداً حتى ان كارتير لم يسمع من محادثتهم  
كلمة واحدة

ثم عاد القائد الى الكلام فقال

— يقولون انك تقصد ان نعرش بنا ونغضبنا

— نعم فكونون لي خبزا جوهريا قال ذلك وهو يضحك . انني منذ يومين لم اقل  
احداً لاقتات به ، ومعدي فارغة ومع هذا فليس لكم قلبي بذهن ولا حقد ولا اريكم  
اسداني الا اذا قصدتم الشر  
فقاطعه القائد قائلاً

اقصر عنك وكتب عن هذا الكلام اقول لك مرة . مرتين . ثلاث هل تريد ان  
تغفل عن طريقنا

— انك تقرأ افكاري امها الخبيث

— بالنتيجة فاذاً تريد منا اننا لم نلحق بك اذى

— حتى الساعة لا . اما فيما بعد فانت موشكون

— اذا مسست شعرة من رأس احد اسدواني جعلت لحك طعمة للعقبان

فاجاب البوليس ضاحكاً

— اذن فابدأ

فصاح رجل كان واقفاً بجانب القائد

يجب ان نرسل الرصاصة لهذا الخشن

ثم دفع جواده الى الامام قبل ان تبين نكارتر

فهدم اطلق البوليس مسدساً فسمع للرصاصة دوي واختلج الرجل فوق سرجه ثم  
سقط الى الارض لان الرصاصة صغقت كتفه

ثم قال نكارتر

عندي من هذه الرصاصة قدر ما تشاؤون لا اتأخر عن بذلها في سبيل خدمتكم . ان  
المر ضيق جداً حتى لا يمكن لاكثر من اثنين منكم ان يتقدما صوية . وعندي لكم مونة  
كافية واصدءاتي عندهم ايضاً كثير منها فاذا اصررت على غيركم فانتا سنردكم واحداً بعد  
الآخر حتى لا يبقى منكم احد . وسلم جداً اذا قدرت ان اخدمكم بان اجمعكم مع  
اجدادكم السالفين

فظهر الرعب علي وجوه الفرسان عندما شاهدوا مصرع صديقهم وزاد سيفه رعبهم  
صهيل الخيول واضطرابها . ثم صاح اثنان من مؤخرتهم اننا لا نقدر ان نحمل أكثر  
وحاولا ان يتقدما الى الامام ولكن جيود القائد اجفل وسد الممر فجعل هذه المحاولة مستحيلة  
ولم يمكن لاحد من الصف المتأخر ان يطلق النار على البوليس خشية ان يصرع  
احد رفاقه ، فلم يجدوا انضل من العود فلجوا اعنة الجياد وانفتلوا راجعين  
ونزل القائد واحد رفاقه فساعدوا الجريح على الركوب وبينما كانا يجدان لينضم الى الفرقة  
التي خلفت القائد الى نكارتز وقال له

ايها الغريب انك قد بدأت القتال فاحذر من ان تقامنا قبل ان يطلع النهار .  
فقال نكارتز بمحبة

جربوا فان عدنا من ( الملبس ) ما يكفيكم  
وعندما توارى الفارسان عن نظره عاد الى الكوخ . فوجد دونيلسون وماتيو وفي د  
كل منهما مسدسه وهما واقفان امام الباب  
اما كراب فلم يتحرك من موضعه ، وكان وجهه مصفراً وامامه على المنضدة مسد .  
فقال ماتيو لبوليس

يا للشيطان . انك عراف شهير دون شك فانك لو لم تبشنا باخطرك لقبضوا  
علينا ونحن في الكوخ كما يقبضون على الثعالب  
فقال نكارتز

لم تنته المعركة بعد فانهم سيعيدونها  
فسأله كراب وهو يضطرب

انتظن ان هذه العصابة ستعاود الهجوم قبل الليل  
— لا . لا . اننا الآن آمنون الى اجل قصير ويحتمل بنا ان نفترق هذه الفرصة  
لنقتل بشيء وبعد ما نعد الوسائل لمصادمتهم . قال البوليس هذا ثم دخل الى الكوخ  
فقال له دونيلسون

كل قدر ما تشاء اذا كانت جائعاً . اما انا فاني لا اقدر ان اتناول لقمة واحدة  
وافضل ان اقوم على حراستكم خارجاً . واظن انه من الضروري ان يقوم واحد منا على  
هذه الحراسة

فقال له جاك الاحمر الدعي — كما تشاء

وكان يظن ان دونيلسون يحاول الحرب فلم يهجمه ذلك ولم يحاول ان يصدده لان  
شكره كانت تقع على كراب في الغالب وترك ايضا ماتيوي يرافقه صديقه

فقال كراب للبوليس

— هنا في هذا الوعاء قهوة وعلى المائدة نجد لحماً مقدداً فتمقدم كارتز بانطلاق . وقد  
حاول ماتيوي ان يأكل ولكنه لم يقدر ان يطلع

ومع هذا فان دونيلسون لم يحاول الفرار بل عاد الى الكوخ بعد ان اتم كارتز عشاءه  
فسأل البوليس وفيه ملائ

— ماذا يوجد

فقال دونيلسون : انهم سيهاجمونا قبل الليل — وكانت هيئة مضطربة — فاذا نشاء  
كراب ان يعطينا الماسة فمن الممكن ان نجو جميعاً

- كيف ذلك

— يمكننا ان نمر على هذا الجسر المؤلف من جذعي الشجرتين ثم نطلق فيه النار فلا  
يمكن الآخرين العبور

فقال جاك الكاذب : انت تعتقد بذلك يا صديقي ؟ يظهر انك لا تعرف هولاء  
الرجال معرفة يقين . انهم قد درون ان يسكنوا اذا جازوا من محل آخر  
— ولكن يمكننا ان نخشى بين الضمير وندعهم يتقدمونا .

— كان يمكننا هذا لولا ان هؤلاء الرجال يعرفون هذه الضمير — منذ ولادتها —  
فهم يحاصروننا حتى نهلك جوعاً . واقول لكم ان احسن ما نفعله هو ان نبقى هنا ونصادهم  
كالابالسة . اننا اربعة على اثني عشر فلنستأ في غاية الضعف لاننا في هذا الكوخ كأننا  
في معقل

— ولكن لا يمكننا ان نعد كراب بين المدافعين

— هذا حق انني نسيت انه اعشى . ولكن اذا كتبنا الرماة الماهرين مثلي إذن . . . .  
فقاطعه دونيلسون قائلاً

ان هذا كلام في كلام . سنهلك جميعنا اذا بقينا هنا

— اجب سوالي اولاً ايها الجبان هل تعرف ان تطلق النار جيداً

— ذلك مما لا ريب فيه

— وانت يا ماتيوي

— يا الهي : اني عند الحاجة أعرف كيف استعمل المسدس  
 — حسناً فليس علينا الا ان ندافع عن نفوسنا فهاذا نقول يا كراب وقبل ان يجب  
 كراب افترج قدح الماء في فيه ثم قال  
 — ليس لي ما اقوله سوى انني كنت اود من صميم الفؤاد ان لا يبلغ هذه الاشياء  
 المغفرة . انني الصمعيك يا رفيقي ان : نجما نصائح هذا الرجل فنتجاسب هذه المتاعب . انكما  
 تريدان ان تجعلاني سارق الماسة واخبرتما غريباً بما تقصدان فكانت نتيجة ثروتكما ان  
 عصبة من الاشياء تتبعنا الآن وهذر كاسياً في كل حياتنا  
 وكان كراب يتكلم بلهجة ملوها بالاخلاص حتى اوشك ان ينفذع بها نكارتر  
 نفسه لولا ان براهين دامغة كانت تنفعه ان كراب بالرغم عن انكاره الشديد هو سارق الماسة  
 فلمت شرارات الحقد في نظري دونيلسون واثبو الموجهين الى كراب ثم التفت  
 نكارتر الى دونيلسون وسأله قائلاً : هل تظن انهم يهاجمونا هذه الليلة  
 — انني نظرت هؤلاء الاشقياء حين صعدت الى ذروة الزاوية فوجدتهم في الوادي  
 مشتغلين ب تناول الطعام والعناية بالجريح وميصادون الينا في الليل فقال ماثيو لم يبق للظلام  
 الا ساعة واحدة  
 فتهدد كراب تنهداً كثيراً وسأل قائلاً : — هل يوجد مظاهر تدل على قرب وقوع المطر  
 — نحن معروضون من حين الى آخر لفيث ساكب  
 وكان نكارتر قد انهى العشاء ندخن لفافته، يهدو . وكان من مظاهر السكينة التامة  
 التي تلوح على وجهه انها أثرت تأثيراً حسناً في نفس البقية . وبعد قليل اقبل الظلام  
 وكان نكارتر جالساً قرب الباب فالتفت الى الداخل وقال : اظن ان العصبة لا تتأخر  
 طويلاً فاستعدوا للمصادمة  
 فقال ماثيو والحيرة لا تفارقه  
 — ماذا تقدر ان نصنع  
 — انهم يستعدون دون شك اننا سنقتصم هنا فاذا اغلقنا باب الكوخ احبطنا ما  
 يرومونه من حصارنا ولا اظنهم يعودون الينا راكبين ولكنهم يترجلون في الوادي  
 ويسلقون العنصر الينا  
 فقال دونيلسون :  
 — اننا نقابلهم بنوية وهم يقابلوننا واحداً واحداً حقاً ان هذا موافق

— هل تنظرون ذلك الصخر على بعد خمسين متراً  
 وكان الليل حالكا فلم يتيقنوه ولكنهم عرفوا عماداً يريد ان يكلمهم  
 — اثنان منا يلوذان بذلك الصخر فيصيران كأتهما في معقل • فأتينا يا دونيلسون  
 وماتيو نذهبان الى هناك وأنا والاعمى نتوارى وراء هذا الصخر المقابل وان يكن اقل  
 مناعة من ذلك الا انه كاف • فاذا انحدر المهاجمون من الزاوية شوبينام بنار بنادقنا  
 فقال ماتيو : فكر في غاية الاصابة فتعال يا جورج  
 — نعم ان هذا التدبير حسن — قال البوليس — ان رصامي تسوى اثنتين اما  
 الاعمى فيحشولي السلاح • اليس كذلك يا كراب  
 فاجاب النعس بلهجة اليأس • الفعل كل ما تأمرني به • ثم افترق قدح الماء في فمه  
 وسار وهو يتلمس الحائط الى زاوية من الغرفة • ثم عاد وسيفه يده حافية ملأى  
 باخرطوش •  
 فسأله نكارتز : اهذه لي

— نعم • فقدني الآن الى الزاوية التي عينتها  
 فسار دونيلسون وماتيو الى الصخر الذي دلما عليه البوليس وسار كراب ونكارتز الى  
 الصخر المقابل على بعد خمسين خطوة من الصخر الاول  
 — لا يوجد في هذا الصخر سوى محل لرجل واحد فتحدد انت على الارض  
 فـأله الاعمى : وانت ماذا تفعل يا صديقي  
 — انا اجد ملجأ ليقيني المهاجمة من بعض النواحي  
 فتحدد كراب وقال كل هذا من اجل مائة مشوومة  
 فقال البوليس ضاحكاً

— نعم • انتي بعد كل ما سمعته لا ارى اشأم منها • ولكن كفى الآن ! فلماذا  
 يكون سمعي قد خدعني او ان المهاجمين اقتربوا ! اصغ  
 واصفيا اسمعا دويًا من غابة مجاورة وكان خفيقا جداً في بادئ الامر ثم أخذ بالاشتداد  
 شيئاً فشيئاً

واطلق بقة طلقان نار يان من وراء الصخر الذي لا ذ به دونيلسون وماتيو  
 فتحمل البوليس وقال ما اشد حمقهما انهما اهديا الاعداء الى مكنتهما عرضاً عن  
 ان يحصلام البادئين • فهذه النفاوة والرعونة ستكلفهما كثيراً

وفي الواقع انه لم يكذ الطلغان بلغان حتي دوت ست طلقات من المهاجمين وكلها موجهة الى حيث خرجت النار

فايقن نكارتز ان الوقت قد حان فاطلق النار وللمال تصاعد في سكون الليل صراخ الم شديد . فقال البوليس قد اجدى الطلق علي ما اظن : ثم افرغ من مسدسه الخمس الطلقات الباقية بسرعة مذهلة . ثم امر كراب ان يحشو السلاح وكان يسمع حركة الاعمي وهو يحشو المسدسات . وسمع ايضا من فة الراية صراخا وتعديفا فقال قائد المصابة

يا للهامية . انهم اكثر بما ظننهم  
فسأله آخر قائلاً

هل جرحت يا وان

— نعم

— وانا ايضا مصاب بجرح يبلغ

فظن نكارتز ان الاعداء سيقاتلون وهم متقهرون فاذا كان ذلك فما عليه الا ان يطلق طلقات واحد . او انه يفرغ سلاحه في الهواء

وفي هذه اللحظة دوى طلق من مخفر الصديقين أجابه الاعداء بطلقات شديدة قوية ونظر نكارتز شجكا يتسال بن الانبهار فصب عليه المسدس واطلقه فاضطرب الشجع وتوارى في الغاب دون ان يهتم بصيحة الم

— هذه خسارة — قال البوليس — كنت افضل لو صرخ . لا ، كان يلقي الرعب

في قلوب المهاجمين

وهذا الطلق بدل الوجعة التي كان يقصدها المهاجمون فانهم عرفوا ان الخطر يهددم من الجهة الاخرى . وللمال لمت رصاصة وسقطت علي الصخر وراء نكارتز والاعمي . فتمدد نكارتز علي بطنه . اما كراب فاته حشا الاسلحة واعطاها لرفيقه الشجاع وهو يتللمل وسأله :

هل تظن انهم يحاصروننا هنا

— هذا ممكن

ولمت طلقات جديدة بالقرب منهما

فقال البوليس وهو يحاول ان يتبين المهاجمين — عمل حسن

ثم سمعوا طلقاً من وراء صغر الصديقين . فلم يقابله الاعداء بالمثل  
ثم ابتدأ الحصار الذي نتجاً عنه كراب ونكارتو  
وقد سبقه سكوت لم يفرغ في اثنتائه نكارتو رصاصة من مسدسه ثم نظر بفتنة دوران  
الفتيات المتسرعين

فنهض قليلاً وهو يحمل في كل يد مسدساً فافترغهما بالتتابع على المهاجمين بمبارة  
فائقة . وقد اصاب في الجميع تقريباً فكنت ترى هنا ميكللاً بشريكاً ينقلب على الارض  
او يضطرب او يتوارى في الظلام  
ولم يسكن الاعداء مدة طويلة بل عادوا الى المهاجمة فانطلقت رصاصة رفعت بقعة  
نكارتو وطرحتها على الارض . ولكن في ذات اللحظة سقط الرامي على الارض وهو  
بصرخ صراخ الالم

وكان نكارتو قد ابقي رصاصتين في كل مسدس  
واكن طلقاً بالقرب منه . أنت انتظاره فوجد كراب قد اطلق النار نأله  
ماذا صنعت هل انت مجنون . دعني لهذا العمل فليكن ان تقتصد في الصغيرة  
انت محق . ولكنني فكنت ان رصاصة تطلق صدقة ربما كان لها بعض النفع وقد  
تهيجت حتى لم امتلك نفسي

وظهر ان . قد اصاب الرمي لان البوايس نظر شجماً يميل ذات اليمين وذات اليسار ثم  
سقط وقد كان مؤكداً انه لم يطلق النار على هذا الرجل فتم قاتلاً في نفسه  
آه . آه . اني بدأت ان الهم  
ولكن الوقت لم يكن وقت تفكير

فان ثلاثة اشباح اندفعت نحوه وهي تطلق النار بدون انقطاع حتى كادت تصم اذنا  
البوايس وكانت الرصاصات تمر بجاذبها لصوت كهيح الافاعي ثم شعر برصاصة قد خربت  
فيصه ولا مست كشفه . وللحال غير منتظر المراجعة فوضاً ان يبق في مكانه انقض على  
مهاجميه وهو يب وثب النمر والفرغ من مسدسه رصاصة صرعت اقرهم منه  
وكان الثاني قريباً جداً من نكارتو فاستعمل نكارتو مسدسه كبراقه وضرب على رأسه  
ضربة كانت الفاجئة عليه فسقط المسكين على الارض  
اما الثالث فركن الى الفرار لا يلوي على شيء . كان الموت يقف به ثم توارى في الوادي  
فتركه نكارتو يفر

وهذه البسالة الفاتكة من رجل واحد قررت النصر والظفر  
ثم التفت نكارتو الى صديقه الاعمي وقال له اما الآن فسنعود الى الكوخ اذ لم يعد  
من خطر

فنهض كراب واستند يديه على ذراع البوليس . فلاحظ هذا ان الاعمي قام بهذه  
الحركة بسكون ولم يخافها شيء من الاضطراب والتردد الذي كان يرافقه اقل حركاته .  
كان الاعمي يشكى منذ مدة يسيرة انه عصبي المزاج سريع التأثر ولكنه سيفي هذه  
السلطة كان يظهر انه ليس اقل جلدأ من نكارتو نفسه . فقاده البوليس الى الكوخ . ولما  
وصل الاثنان الى الباب وضع نكارتو يده على فمه ليستجمع قوة صوته ونادى الرفيقين  
الباقين ان يخرجوا من هنا كما فكل شيء قد انتهى وللحال ابصر رجلاً يعمل السيرفخوه  
وكان هذا الرجل ماتييو . فسأله نكارتو : اين صديقك ؟ فاجابه ماتييو بصوت منطليج . قد  
مات . أصابته رصاصة عند الطفق الاول نفذت الى دماغه

— آه ما اتفه ! ولكن لماذا عرض نفسه للخطر بتصديه لاطلاق النار اولاً  
— لماذا . لانه ظل متمبرراً الى الساعة الاخيرة . فاني توسلت اليه ان يترى  
قليلاً ولكنه ابى الا ان يكون الباديء . وحالما اطلق النار رفع رأسه ليرى اذا كان  
اصاب المرمى وفي الدقيقة عينها صاح صيحة مرعبة وسقط بين ذراعي ميتاً  
— اني سمعت تلك الصيحة واكتنتي ظننتها نشأت عن الاعداء . ماذا تريدون ؟ ان  
الذي لا يصغي الى النصائح تكون العاقبة وبالاً عليه والآن فلننظر خبايا فهل انت  
جريح يا رلوتي  
— كلا . وانت

— اني خمشت في ذراعي فهل عندكم مصباح  
وكان مع نكارتو مصباحه الكهربائي ولكنه فضل ان لا يستعمله لئلا يثير الشكوك  
في نفس الرفيقين وكان يشمر بحماسة الى الحذر والاحتراص كل ما تقدم خطوة . وفوق  
ذلك فانه لم يتم وظيفته بعد فالرغم عن كل ما قام به فالمساة ما زالت مفقودة  
فقال كراب هناك مصباح في الزاوية

وبعد ان أوقفوا عدداً كبيراً من الثقب ( عيدان الكبريت ) وجده ماتييو فاضاه  
في انحاء ذلك كان نكارتو قد خلع ملابسه ورفع كم قميصه فظهر على ذراعه جرح  
خفيف فقال البوليس ان الرصاصة كانت مسددة . ولنخرج الآن لئلا نرى ساحة



القتال ثم تناول المصباح واقترب من الباب

فصرخ ماتيوي

هل انت مجنون . فإذا كان احد الاعداء مطروحاً على الارض وله مكنة على اطلاق النار افلا يدغدغك ذلك ههنا مناسباً

— هذا صحيح . ولكنني اشك في بقاء احدهم حياً واذا وجد احد فهو لا يؤثر النزاع . وعند اقترابه من الاشجار ابصر شبحين يقتربان بيضاء فصاح به احدهما لا تطلق النار ايها الغريب فاتنا قد نلنا فوق الكفاية

— كما تريدون ايها الاصدقاء اننا قوم مسالمون ولا نود ان نوذي احداً ولكن اذا كان جلد احداً كما يأكله فما عليه الا ان يعود . فما زال لدينا ذخيرة معدة لخدمته ونستأنف الدور . فلم يجيباه وعندها تقدم البرليس فرأى على نور المصباح ان احدهما كان جريحاً جرحاً بليفاً واما الجريح الثاني فكان خطبه ايسر فسألها هل خرج احدهم سالماً من الحركة

— نعم . ثلاثة

— واين هم

— انهم نفجوا كالارانب واختبأوا في الكهف

— كذلك يفعل النجباء . انني اراكم قادرين على المسير فاذهبوا ودعوا اصدقاءكم . نوباً عني نحييتهم وناديتهم ليرجعوا اويهموا يرفاقهم وليطعموا من جهتنا فاتنا سنساعدكم في مهمتهم . ولكن اصغوا : اذا كنتم عازمين ان تصيدوا المشهد فاتنا سنجهل اجسادكم قوتاً لذئاب هذه الغابة

فتتم احد الرجلين

يا اله السماء . اننا نلنا اكثر من حسابنا . فكن مطمئناً . نحن لا نريد الا المسألة على شرط ان نقابلنا بالمثل

ثم ودعا البرليس — وداعاً بهيلاً — وانحدرا مسرعين الى مغنى الكهف ثم عادوا معها الاصحاب الفارون

وفي خلال غيابهم جال تكاثر في ساحة القتال ليرى اذا كان سيفه وسهه ان يساعد احداً من الجرحى . فوجد اثنين منهم جرحهما يتبادل احضرهما ماتيوي من الكوخ خمسة من المهاجرين في جملتهم القائد سقطوا في الحركة

فقال البوليس وهو يفكر

يخزي ان اضطر الى الفتك بهؤلاء . ولكننا كنا ندافع الدفاع الذي يميزه الشرع .  
فلو لم ندافع لكنا قتلنا الواحد بعد الآخر وظل الثلاثة الاصحاء نضو من ساعتين حتى  
واروا قتلام في الثرى واعانوا الجرسى الى بلوغ مرابط الخليل . ثم توارى هؤلاء الفرسان  
عن العيان وكانوا متكبي رؤوسهم حزناً لاخفاق سعيهم فعوضاً ان يلاقوا الماسة لاقوا  
الضرب والرصاص

وعندما بعد الاعتداء قال جاك الكاذب اول فرض يجب علينا القيام به هو ان  
ندفن دونيلسون . فاستحسن ماتيو هذا الفكر واشغل الاثنان بحفر ضريح لجسديهما  
فصرفا في هذا السبيل ساعة من الزمان

وفي اثناء ذلك كان المطر يتساقط غزيراً

وكان كراب جالساً داخل الكوخ ووجهه بين يديه وكان مضى المزيج الثاني من  
الليل حين عاد كارترو وماتيو الى الكوخ

فقال نكارتر لاطم يا صديقي اذا كنتما قادرين على السهر اما انا فأسأ نام قال ذلك  
وهو يثأب

فقال ماتيو

لو اعطوني ذهباً لاناام ما امكنتي ذلك . .

ولكنه بالرغم من هذا الكلام اضطلع في زاوية من الفرفة وبعد بضعة دقائق علا  
خطيطه واستغرق في النوم . ولكن البوليس لم يغمض له جفن

وكان الهواء يزداد رداءة . وقبل الفجر بقليل هبت عاصفة شديدة يصحبها برق ورعد .  
واكن ماتيو لم يتبه البشة بل ظل مستغرقاً في النوم

وكان الظلام لم يزل سائداً عند ما لحظ البوليس ان الاعمي نهض بتأن ومشى على  
رؤوس اصابعه نحو الباب . وكان يتقدم ببطء ولكن حركاته ليست حركات من

فقد بصره

وهنا تلاشى الشك الاخير من نفس نكارتر . لقد شك به اثناء المعركة ولكنه تأكد  
الآن ان كراب كان من النوع المسمى ( نكتالوب ) والنكتالوب ايها هي خاصة في العين  
تمنهما من النظر الا في التور الضعيف او الظلام الحالك وهي واضحة في الممررة الداجنة  
التي تبصر ليلاً كما تبصر نهاراً

وهذه الحالة نادرة جداً بين بني الانسان ولكن نكارتز نظر مشهدها فكان كراب في النهار اعلمى ولكنه يغبر جيداً في الليل

وقد قدر ان يمدح جميع من شاهده حتى اصداقاه الاخضاء فانهم كانوا يمدحون انه قد بصره تماماً . ولكن لما اطلق النار رغم ارادته فصرع الرجل الذي استشهد به كابرع صياد كشف مره لنكارتز

وهذا الاكتشاف زاد شبهة كارتز فحزم بان كراب هو سارق الماسة دين غيره . وكان عليه ان يعرف محباًها . ولم يفكر بايقافه بل حاذر كل ما من شأنه ان يلقي الريب في نفس الاعلى قبل ان يعرف محباً الماسة

ان هذا التكتالوب اظهر مهارة فائقة لا في سرعة الماسة فقط بل بتفنيها على شكل غامض حتى لم يجدوها معه ولا في ثيابها . فكان البوليس متكللاً على الصدفة وان يدع السارق اميناً

ولهذا لم يعارضه حين خرج تحت المطر المتساقط كالفراء القرب بل نهض بتأن ليقبضه ان الثبات الذي كان يسير كراب في تلك الارض الوعرة والمغطاة بالوعوج وليس فيها طريق مطروق اذهل البوليس اذ انه على الرغم من نظره الثاقب ومن احتياجه المسير في الليل والنهار بين العور والاسكام كان يبدل جهداً شديداً كي لا تزل به القدم وكان كراب يتقدم دون تردد ولا تأخر وبدأ بالازول على الصخر الى مضب النهر فضاقي صدر نكارتز لانه لم يعلم كيف يتبع التكتالوب في هذه الليلة الحاتكة فوقف لحظة ليفكر فسمع بفتة وقع خطوات وراءه . فالتفت واذا ماتيو قد تقطعت انفاسه من سرعة الجري وكان قد وصل الى حيث كان البوليس فقال له بصوت مخفف

انني نهضت فجأة ونظرت نور البرق فوجدتك قد خرجت من الكوخ فهل تقدمك بدون شك — اجاب نكارتز وهو شديد الحب من تصرف ماتيو انه قد خباها

في الكهف على ما يظهر

فألقى ماتيو على نفسه ان يلحق به وكاد يندفع في سبيله فلمسكه نكارتز بيد شديدة قوته في محله وقال له ببرودة

انتظر دقيقة بعد يا عزيزي فتندي شيء اريد ان اوضح لك فارتعش ماتيو . فانه رأى ان سلوك جاك الذي لم يعد هو ذاته حتى ان لهجة صوته تغيرت ثم قال :

— ماذا تريد ان تقول

— انني بوليس ليس الا وانا مكلف ان اعيد الماسة الى صاحبها الشرعي الذي سلبت منه . فحين تصل الماسة ليدي اعيدها الى دالار . اما انت يا مسيو ماتيو فانا لا اريد منك شيئاً ولكن اذا حاولت ان تفاومني او تحبط ما احاوله فستندم على ذلك . فوفف ماتيو دقيقة دون حراك كأن الصاعقة قد انقضت عليه وحاول عبثاً ان يتكلم — يو . . . . . ليس . . . . . بوله . . . . . يس — تمت اخيراً . وانت انت . . . ت . . . تر . . . قينا .

— انا لا اتفني آثارك ولكنني الاحق كراب . كنت افعل مثلكم قال نكارتز ببشاشة — فاني كنت اعلم منذ زمن بعيد انك لا انت السارق ولا دويسون ولكنكم صممتم ان تستردوا الماسة ولكن لا لتعيدها الى صاحبها بل لتبقوها لانفسكم .

— لكن . . . لكن . . . لا اعرف . . . اريد ان اسألك . . . ماذا تدعي

— ادعى كارتز من نيويورك وعادة بدعوني بنكارتز

— يا الهي

فارتفعت جميع اعضاء ماتيو واستلتي على صغر وهو يحاول ان يستعيد نفسه

— صمم الآن — قال البوليس انني قدمت لك نصيحة حسنة وانا آمل ان نقابلني بالمثل وهذا اكل ما اطلبه منك

— اعتمد علي يا مسيو كارتز . فلتعسني السماء من عداوتك

— لا احذر عليك — قال البوليس — وقد اخذته الرأفة على ضعف ماتيو ورعبه .

فلتسمع .

— كل ما تريد

— هل انت شريك كراب

— نعم ولكن لا في سرقة الماسة

— احرف هذا . ولكنك تعرفه منذ زمن طويل . هل تعرف انه كان نكارتز

» يعني اعني في النهار « ويرى في الليل

فنظر ماتيو الى مخاطبه بحجب

— حقاً انك لاحظت ذلك . انني اشتبهت به منذ زمن طويل وكنت اتأكد

— واخيراً تبدل شكك باليقين

— لا ولكن بالعكس بل بكثيراً ما كنت اغتالط نفسي . فان كبريت اذا لم يكن سوى  
تكتالوب فانه امهر بمثل عرفته في حياتي

— انا علي رأيت في هذا الامر . انه تكتالوب واقدر ان اوضح ذلك

— هل تعرف ابن خبا عين الشيطان . . .

— لم الاحظ اقل شيء من ذلك . ولا اقدر ان اجزم لها اذا كانت الماسة في حوزته  
فليس خفي لقل برهان سوى الاستدلال والاحتجاج

— وانا من رأيتك

— ارجوك — اذا كنت تزيد الخير لنفسك — ان لا تكتم عني شيئاً عليه  
واقدر ان استفيد منه شيئاً

— اقول لك الحقيقة يا مسيو كارتر كما لو كنت اتكلم بعد القسم وأؤكد لك اني  
اقادي بكل شيء حتى لا اتأكدك . . .

— حسناً — وانا اسمع — عند ما اجئت بصديقك دونيلسون وضادنيا الاخي  
هل كان في الكوخ

— لا . كان الكوخ خالياً . ولكننا وجدنا آثاره نجزمنا برؤوسه

— ومنى رجع

— امسي مساء

— اول الليل

— نعم

— اذن فهو في الليل يرى مجلأ اذ كيف يمكن الاخي ان يجول وحيداً في هذه

المقاطعات المنفردة . او لم ينهك ذلك الي انه تكتالوب . . .

— نعم ان هذا الفكر داخلي . ولكنني لم اجد اليه دونيلسون كلمة

— هل تعرف شيئاً عن المحل الذي كلمت فيه كرايس . . .

— لا اعرف . . . ولكنه اتى من هذه الجهة . ثم اشار الي حجرة الكهف

— هل نظرت . ينزل الي هذا الكهف . . .

— انا راقبنا طول الليل . فلم يتكشف لنا من الامر شيء وحصلت الياء . وقد

تقدنا قد سوءه واخيراً فرغ صبرنا فقولنا علي ارضاه ليعطينا الماسة بطولنا وكبره

— انك تعبر فجا بكل خرق في التذرع بالوسائل ولو لم اباغتكما لكت الآث فانتلا شقياً امام الله والناس

فارنجف ماتي وخطى وجهه يديه، ثم قال وهو يتحمل  
— كنت اود لو لم اندخل في هذه القضية مع اني انا - انا الذي زينت لسونيلسون اتباع الاعمي واغتصاب الماسة

— اني قلت لك واكرر ما قلت . ليس في صدري شيء عليك لا شخصياً . ولا بداعي الوظيفة . ويحك ان تنسب الآن دون ان تخشى شيئاً . ولكن كن حكيماً في المستقبل .  
وانصح لك الآن بالرجوع الى الكوخ مسرعاً كما تفر من الموت . اما انما فاستريح الاعمي الى الكهف

— دعني اصاحبك يا بيسو كارتز . اني فكرت ملياً في ذلك . فقد كانت هذه الماسة مشؤومة فالتفتي في هذه الوعدة . واريد الآن ان ابذل الجهد المستطاع لاردها الى صديقي القديم دلمار

فقال البوليس وهو يرفع كتفيه  
— كما تشاء اذ لا اجد مانعاً من اجابتك الى ما تطلب . ولكنني اود ان الت انظارك الى الخطر الذي تسمى اليه فان كراب يتقل مسدده وهو يرى في الظلمة كما يرى المرء .

— اذا لم اكن مخدوعاً اقول انه خبأ ايضاً بندقية في الكهف ولكن هذا لا ينبغي عزمي عاروم

— حسناً جداً . ولكننا نحتاج نوراً ثلاثاً نشر في مخداتنا لاننا لسنا من نصيلة (تكتالوب) كما تعلم

— ساذب الى الكوخ واقش عن المصباح  
قال ذلك وهم بالنهاب فاسكه تكرتر بذرعه وقال له  
لا حاجة لذلك فان معي ما يقينا . واخذ من جيبه المصباح الكهربائي واثاره بضغطة على الزد

فأبصرا امامهما مراً ضيقاً مخدراً كثير المزالقي يؤدي بهد معاناة الاخطار الى قاع الكهف . فندرج الاثنان في هذا الطريق وهما مخدران . ولكنهما أسرعا في السير على قدر الاستطاعة

فرصلا ايضا الى ارض جرداء ولم يكن فيها سوى طريق صغير متعرج خفيق مملوء بالحجارة المحددة الرؤوس التي كانت تمزق الاحذية وكان عليّ ميمتها صخر ينفض الى الاعالي حتى تغيب قمته في السحاب وعليّ يدارها القهر بأمواجه المزبدة فسأل البوليس اي طريق يسلكه كراب عند مروره من هنا .

ولم ينتظر طويلاً حتى يسمع جواباً عليّ ذلك فان شهاباً لمع للحال قرب النهر وسمع دوي طلق فأرعب نكارتز زرعاً شديداً

وصرخ ماتيوس صرخاً مائلاً وأن انه جزع لا تعرج بالكلام ثم رفع ذراعيه الى السماء وحركهما هنيهة وبعد ان خطا بضع خطوات الى الوراء سقط الى الارض لان الرصاصة كانت قد اخترقت قلبه

ولكن نكارتز لم يفقد صوابه فادار نور المصباح الى الجهة التي اتي منها الطلق ولكن النور لم يبلغ المسافة المطلوبة حتى يرى من هو الذي اطلق النار . فعزم البوليس ان يتبع مجرى الحوادث .

وبعد لحظة دوى طلق آخر أصاب المصباح الكهربائي الذي كان في يد البرابيس وحسن الحظ كان نكارتز ماداً يده بالمصباح لتطول المسافة التي يلفها نوره فرضت يده الصدمة الشديدة . وسين فقد النور عرف شدة الخطر الذي وقع فيه . اذ كان لخصمه ثلثية مزية كبرى في انه يرى شيئاً فراح يهدو الى جهة الصخر ليتحصن به ولكن البوليس لم يكن يرى شيئاً فراح يهدو الى جهة الصخر ليتحصن به

فوفق الالتجاء الى تقويم خفيق سيء الصخر انسل اليه بصوته وهناك ربح ينظر النتيجة بفارغ الصبر

فدوى طلق جديد وقع عليّ الصخر الذي كان البرابيس عليّ وشك مغادرته فقال : اذن ينبغي ان اقيم هنا دون حراك فاتي اذا خاطرت في التقدم خطوة الى الانام اصابتني رصاصة شذخت رأسي . لان هذا الحيوان يصيب المرمى احسن اصابة . ومع هذا فان مقامي ليس اقل خطراً من التقدم فقد يمكن ان يلفه كراب دون ان اشعر به وفي هذه اللحظة دوى الرعد فرددت صدى دويه الاودية بما يصم الاذان ولمع البرق فاضاء تجويف الصخر وتلك الارجاء كلها حتى نهمل النظر عليّ البوليس انتم نكارتز هذه النهضة وحاول ان يستفيد منها علماً ان كراب لا يستطيع فيها شيئاً بسبب ضعفه . فحاطر حينئذ ورفع رأسه قليلاً ليرى خصمه فوجده على بعد خمسين

خطوة واقفاً امام ضفة النهر وهو يحمل باليد الواحدة بندقيته ويستر عينيه بالآخرى حتى لا يبهره النور

فبعد تكرارتي الى الاحتمال الذي خلدني من مواقف اشد خطراً من هذا الموقف فأخذ قبعتي وعظمتي على رأس صخرة ثم نزل مسرعاً الى ضفة النهر حيث لا يرى ثم اختفى نور البرق وسد الظلام ولم يعد البوليس قادراً ان يرى كراب فلم تمر لحظة حتى سمع دوي شديداً وسمع كارت صوت قبعة المتدحرجة على الارض  
لم يصدقني فكري فقد ظننت انه سيلحق قبعتي . وأومل ان يسقط الآن سيف الفخ وكان يسمع خطوات تقرب من المحل الذي كان جاثماً فيه كأنها تقتفي آثار قبعة لان كراب كان آتياً ليرى خصمه قتيلاً

ولم يكن كارت قادراً ان يميز شيئاً في الظلمة ففضل ان يستتر على سكونه ولم ينشأ ان يخطأ بطلقي ناري يجعله هدفاً لار (تكتالوب)

ولكن يجب ان نؤمن بالآلة خاص للبوليس السري فان لمحة برق اشد من التي سلفتها انارت. الكهف حتى ظهرت اشجاره وهو صعب وروشن صفوره  
فوقف كراب فجأة ووضع يديه على عينيه متألماً لان النور بهرهما وسكن بدون حراك كان نار السماء قد احترقت

وللمحال وثب البوليس وارتمى عليه فمشعر كراب بدنو خصمه فصاح صياح الغضب وقد ارتجفت غيظاً لان نور البرق لم يكن بعد اختفى بعد فحاول ان يقابل البوليس ولكن هذا كان امرح منه فقبض على لم البارودة قبل ان يطلقها كراب فضاغ الطلق في الهواء وسمع له دوي اضرب له تلك المصنوع من اسسها

واسوء المخطط عادت الظلمة ثانية

وقام بين الرجلين صراع شديد . وكان الميأس يضاعف قوى كراب وفضلاً عن ذلك فإنه يرى فيه الظلام وينا كان تكرار تصادف مشقة شديدة ليقبض على خصمه وقد قتل كراب حفنة الخرفكانت يشد ويضرب ويبحر ولكنه نصب اخيراً فقبض فكان على رقبته بذراعيه المتدبعتين : وانهارت التربة التي تحت اقدام الرجلين فجأة لما غطتها من المطر . ففقد كراب الموازنة ولكن البوليس نجحاً يوثية وثبها الى الوراء من خطر التدحرج من رقبته الى اعماق النهر

فلم البرق فأثار تلك الانوار فهاض تكراراً وخصمه متدهوراً سيف ذلك المنجد



لِزُهْرٍ يُجَاهِلُ أَنَّ يَمْسُكَ بِالْمَرْمِجِ غُثَابٌ مِمَّا حَاوَلَهُ . وَسَطُ الْمُسْكِينِ فِي النَّهْرِ وَقَدْ صَرَخَ هَذَا  
النَّفْسُ وَهُوَ عَلَى وَشَكِّ الْهَلَاكِ :

” قُلْتُ لَكُنْ مَلْعُونًا . قُلْتُ لَكُنْ مَلْعُونًا . أَنْتَ لَنْ تَقْطُرَ بِالْمَسَاةِ الْبَيْتَ . الْبَيْتَ . الْبَيْتَ . وَهَلَفْتُ  
عَلَيْهِ مِيَاهُ النَّهْرِ فَصَاحَ صَوْتُهُ هَائِلَةً جَدَّ لَهَا الدَّمُ فِي عُرُوقِ تَكَارُثُ ثُمَّ غَاصَ فِي الْمَاءِ .

\*\*\*

وَبَعْدَ بَقْعَةٍ أَيْلَمَ وَضَلَ الْبُولِيْسُ — وَهُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي بَقِيَ حَيًّا مِنَ الْعَصْبَةِ إِلَى مَقَامَةِ  
فِي الْأَرِزُونَا فِيهَا مَكْتَبٌ لِلتَّائِغَرَفِ . فَرَأَسِلَ بِاتَدِي الَّذِي كَانَ بَاقِيًا فِي دَانْفَرِ كَمَا أَمَرَهُ  
وَلَمْ يَمْنَعْ أَنَّ دَلَّارَ سَافِرٍ إِلَى سَانِ فَرَنْسِيْسْكَو فَجَاهَهُ تَكَارُثُ لِمُفْرَايَا بِمَا بَاتِي  
سَاقِلَهُ فِي سَانِ فَرَنْسِيْسْكَو وَأَطْلَعَهُ عَلَى تَفْصِيلِ الْحَوَادِثِ أَمَّا أَنْتَ فَيُمْكِنُكَ أَنْ  
تَذْهَبَ إِلَى نِيُيُورْكَ .

وَكَانَ تَكَارُثُ بَعْدَ الْوَأْتَةِ قَدْ جَاسَ الْأَرَاخِيَّ وَسَرَى نَتِيجَةُ لَعْلِهِ . ثُمَّ جَادَ يَلْتَمِسُ الْجَوَادِ  
فَوَجَدَهُ حَيْثُ عَقَلَهُ أَمَّا سَائِرُ الْمَطَايَا فَقَدْ هَلَكَتْ بِرِصَاصِ الْمُتَقَاتِلِينَ . وَاسْتَمَرَ الْبُولِيْسُ مُسَافِرًا  
عَلَى ظَهْرِ الْجِرَازِ حَتَّى وَصَلَ أَوَّلَ مَوْقِفٍ لِسُكَّةِ الْحَدِيدِ فَوَكَهِيَ إِلَى فَرَنْسِيْسْكَو وَهُوَ يَتَنَهَّدُ  
تَنَهَّدَ الرَّاحَةِ لِأَنَّهُ وَجَدَ أَخِيرًا فِي غُرْفَةٍ مَتْنَعَةٍ فِيهَا جَمِيعُ مَعْدَاتِ الرَّاحَةِ وَالرَّفَاحَةِ  
وَفِي فَرَنْسِيْسْكَو قَابِلٌ دَلَّارُ التَّاجِرِ الْمَنْدِي الْقَدِيمِ وَوَضَعَ فِي يَدِهِ الْمَسَاةَ الثَّمِينَةَ الَّتِي كَانَ  
يَعْتَقِدُ أَنَّهُ فَقَدَهَا إِلَى الْأَبَدِ . فَكَانَ تَأَثُّرُ التَّاجِرِ شَدِيدًا حَتَّى تَعَذَّرَ عَلَيْهِ التَّلَقُّ بِضَعِ دَفَاقِي  
ثُمَّ دَعَا الْبُولِيْسُ إِلَى تَدَاوُلِ الطَّعَامِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَقْصَّ عَلَيْهِ الْحَوَادِثِ الَّتِي جَرَتْ  
فَقَالَ تَكَارُثُ :

لَيْسَتْ مَهْمَةٌ جَدًّا — قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَذْكَرَ الْإِعْمَالِ الْفَائِثَةَ الَّتِي قَامَ  
بِهَا . وَلَكِنِّي لَمْ أَهْوُلْ أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسْتَعْبِلِ عَلَيَّ أَنِ الْآفِي الْمَالِيَّةُ لَوْ لَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ سَرَقَتْ  
فَقَالَ دَلَّارُ :

أَوَّلَ ذَلِكَ أَنِّي لَا أَعْرِفُ أَحَدًا يَسْرِفُ أَكْثَرَ مِنْ تَعَمُّدِ الْمَسَاةِ إِلَى حَوْزِي أَمْ إِنْ أَعْرِفُ  
الْأَسْلُوبَ الْخَارِقَ الَّذِي سَرَقَتْ بِهِ

— إِنْ الْمَنْزِلُ الَّذِي سَمَرُ الْبَابِ كَانَ بَسِيطًا لِلنَّهْيَةِ . فَكَانَتْ مَظَاهِرُ الصُّعُوبَةِ الَّتِي تَجَلَّاهُ  
أَشْبَهَ بِالظَّاهِرَاتِ جَلَّتْ أَرْكَازُ بَيْضَةِ خَرْمِيْمُوفِ كَوَلُومِبِ .  
يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ لَكَ أَنَّ كِرَابَ كَانَ تَكَتَلُوبُ أَيُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى سِلْعَةَ النَّهَارِ  
وَبَلَدَهُ فِي اللَّيْلِ يَرَى بِلَادَهُ وَعَلَى هَذَا عَمَّا كَانَ يُتَحَيَّلُ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى عَلَى التَّوَرِّ الْكَهْرِبَائِي .

ولكنك لا التفت. وضعت الزر فأظلمت الغرفة نظر الماسة تلح في ذلك الظلام لمخطفها.  
ورماها في قديم الماء الذي كان أمامه  
ولما شعر أنك شديد الذعر حالاً وضع القديح على فوه واذا لم يكن للماسة لون استحال  
عليك أن تراها في القديح  
فصادق دلمار على كلامه وقال

والاغرب من ذلك ان الماسة كانت تحت يدك عندما كنت تفتش جيوب  
اصحابك وثيابهم

وعندما طلب كراب منك أن تناول قديم الماء قبل أن يارح الغرفة قدمت له الماء  
والماسة معاً وقلبك منسحق للاهانة التي وجهتها لهذا الضيف اليس كذلك يا موسيو دلمار  
ان هذا يمت من الفحك

وانك تذكر جيداً انه بعد ان تناول الماء كله فالتصير على الانحاء امامك وقد عزوت  
هذا لانفعاله الشديد من الالهانة حتى وتمت الكلمات على شفته آه آه آه.

وعندما خرج من الغرفة تناول الماسة من فوه ووضعها في جيبه وقد اتى مثل ذلك  
مراراً في الكوخ حيثما اجتمع عليه صديقه وانما يؤكد ان الماسة كانت أمامه في الكاس  
حين شرعنا بالقتال مع البرابرة. واذكر ايضاً انه افترق القديح في فوه قبل ان يجلب لي  
حقبة الرصاص ولا شك ان الماسة كانت عندئذ في فوه ثم خبأها في الكهف

ولكي اختصر القصة اتول لك انني خفت خوفاً شديداً لما سقط كراب في النهر من ان  
تكون الماسة معه فلا يعود في اليد حيلة كما تعلم واخيراً عزم ان لا يبارح الكهف بل  
انتظر طلوع النهار واخيراً بدأت بالتمجيب بين الصخور

ولم يكن لي مطعم ان اجد جذوة كراب فاني لم اقف لها على اثر وبعد ان لمعت  
الحاجز الهجري وجدت تجويفاً فيه يؤدي الى مغارة وكان في المغارة قوت وغطاء من  
الصوف وبندقية ومسدسات وعدة حوائج أخر

ولا يقتضي فطنة كبيرة حتى يعرف الانسان ان هذه المغارة هي مخبأ حصين وقد  
انتقاهم كراب عند يارحة الكوخ وأجاد في انتقاها لان رجلاً فيها يمكنه ان يحارب  
جيشاً على شرط ان يكون عنده النختر الكافية

واخذت القنب في زوايا الكوخ ومكازه ولكن آمالي خابت في ان اجد الماسة فيه  
وإذا لم يلح لي اقل أثر منها وكنت اياك لولا انني لحظت في جنب الكهف صخرة على شكل

مائدة وفي وسطه تجويف طبيعي صغير ملآن ماء  
القول تجويف طبيعي ولكن الامر كان بالعكس لانه كان من المستحيل ان يتسرب  
الماء من نفسه الى ذلك التجويف فكان من الواجب ان تكون يد انسان قد صبتها  
فيه فوضعت يدي في هذه الماء فوقت على جسم صلب لا اراه ولكنه كان موجوداً  
لانه كان يقاوم اصابعي والله ذلك السرور الذي شعرت به فأنني عندما جذبت ذلك  
الجسم من الماء كانت الماسة بعينها التي طالما بكيت عليها وحنفت الى استرجاعها . هذا  
هو حل اللغز

ثم استلقي نكارتز على مقعده واغرب في الضحك  
فاستحوذ اللعب والمهشة على دلائر وكان يتمازعه عامل السرور باستمادة الماسة  
وعامل الاحترام لتلك الشجاع التريل المذهب فنهض وطوق عنق البوليس بذراعيه  
وجد في نقيبه قبلات شديدة اما نكارتز فلم يمانه في ذلك البشة  
ثم قال دلائر

ان كراب هذا هو ادنى اص لفتنه في حياتي اليس كذلك يا نسيو كارتز ؟ انني  
لا اعرف كيف اعبر عن شكري العظيم  
فتبسم البوليس . ثم استأنف دلائر الكلام فقال :

ان الماسة صارت اعز عليّ الآن بعد ان تعرضت لخطر الضياع . ولكنني كنت  
اود ان اعلم ماذا جرى بكراب

فقال البوليس وهو يرفع كتفيه - انني لم آكل نهجاً في التفتيش عنه فذهبت مساعي  
ادراج الرياح واعتقد الآن ان يرقد بسلام في اعماق نهر كولورادو . . . . .



## وقفه عند يلدر

لمن القصر لا يجيب سؤالي آهلات ربوعه أم خوال  
 مشغز البناء - حيث ترى بالياً مجده بلى الاطلال  
 لم تصبه زلازل الارض لكن قد رمته السماء بالزوال  
 وكنته الايام بالصمت لما نطقت فيه حادثات الليالي  
 قرأت ابكاره شاجات باكات باعين الأشغال

\*\*\*

ايها القصر ايه بعض جواب لا تكن ساكناً على تسالي  
 ليت شعري والصمت فيك عميق ذاكر انت عهدم ام سال  
 ماتداعي منك البناء ولكن قد تداعي بناء تلك المعالي  
 كنت كل البسلام في الطول والعرض وكل العباد في الاعمال  
 كنت مأوى العلى مثار الدنيا مهبط المز مصدر الاذلال  
 كنت جاً واي جب تخميق بالياً للنفوس .. والاموال  
 مورد الحائنين كنت وكانت منك تدلى مطامع العمال  
 قصر عهد الحميد انت ولكن اين ياتصر اين عرش الجلال  
 ما أرسى اليوم ذلك المجد الا اين قاسم الرزق باعث الآجال  
 هل وقوفه على مبانيك الا كوقوفه على العالول البوالي

\*\*\*

قد تخوشتنا ثلاثين عاماً  
تلك اعوام رفعةٍ للادائي  
تلك فيما جرت به نقطة سو  
داه تبقى بجهة الاجيال  
ملأت خطة الزمان شناراً  
فأبتها كل المصور الخوالي  
يثب العدل طافراً ظلاً  
رّ عليها مشمر الاذيال  
وكأنني ارى اضطراب نفوس  
كنت تقاتلها واي اغتيال  
انسم الآن فيك ما كان يملو  
من أنين لها ومن احوال  
حائثات على الذي فيك ابقه  
ن دفيناً من الرفات البوالي  
تلك يا قصر انفس انفت منك  
فطارت الى سماء المعالي  
وترقت الى ذؤابة اعلی  
كوكب في سمائه جوال  
وهي اليوم أحرقتك بشهب  
قذفتها عليك ذات اشتعال  
لم يضع مجدها وان هي امست  
ضائعات الاشلاء والواصل

\*\*\*

كيف ننسى تلك الخطوب اللواتي  
لقت منك حربها عن حيال  
يوم كنا وكان للجهل حكم  
خاذل كل عالم مفضل  
أمر من عنوه كل امر  
يفرس البغض في قلوب الرجال  
افاصبت نادماً ايها اله  
صرتالي بالقوم ام لاتبالي  
لم تفدك الندامة اليوم شيئاً  
قضي الامر فاصطبر باحتمال  
وعزاء فلست اول قصر  
نكس الدهر من ذراه العوالي  
قد تداعى من قبل ايوان كسرى  
بعد ان طال شاهقات الجبال  
الجزء ٥ (٤٤) المجلد ٤

وكاين من قصر ملك ترمى  
فلقب يا قصر عابى الوجه كيا  
وتعثر فلا لعاك حتى  
انما نحن امة تدرا الضي  
امة نادت الانام وطابت  
فاذا ماعلا الضوم نهضنا  
نملا الارض ان مشينا الحرب  
واذا ما غل الملك رددنا  
نحن من شعة الجحيم خلقنا  
يا ملوك الانام هلا اعتبرتم  
ليس عبد الحميد فردا ولكن  
فاتركوا الناس مطلقين والا  
هل جنيت من التجبر الا  
الاستانة  
ساقطاً بالملوك والاقبال  
يصبح الملك باسم الآمال  
ينفض العدل ناشطاً من عقاب  
م وتأتى ان تستكين لوال  
عنصرأ من اواخر واوالي  
فقدفناه سافلاً من عال  
يزمير النفسفر الرئبال  
ذليلاً يقاد بالاغلال  
لاولي الجبور لامن الصالحال  
بملوك تجور في الافعال  
كم لبد الحميد من امثال  
عشتم موثقين بالاوجال  
كل اثم عليكم ووبال  
هروف الرصافي



## تدبير الصحة

اتفق ائمة ونحن نحب بالنبذة التي نشرها لابي زيد البلخي من اهل القرن الثالث في تدبير الصحة ان عثرنا في « المحلة » البرازية على بحث للدكتور هيكتور الفرنسي في هذا الحق نفسه فوأيامه لمقابل القراء بين القدم والحديث قال : الصحة اعظم النعم ولا شيء يرازها من سلطة وثروة في جلب الراحة بل ليس من سعادة اعظم مما توليه الصحة . ففي الصحة شعور بطول بقاء المرء مما يقوي الساعد على العمل والانتاج الى ما وراء التصور فيزيد في حسن الخلق الذي ينشر السعادة في اطراف صاحبه . والصحة الطبيعية شرط في الصحة الادوية لان من سملت حواسه من العيوب واطرافه من الفساد يسلم عقله . والصحة الادوية عبارة عن قواعد من شأنها ضمان صحة الافراد والمجموع . ولا يظن ظان ان هذه القواعد تزيد في الاثنية بل هي ولائم مدرسة مدعشة بث روح الغيرة لان خلق التضامن يقبل في ابهى مظاهره في مسائل التدبير الصحية . والتضامن هو المحور الذي تدور عليه حياة المجتمعات البشرية في المستقبل .

وانا اشعر بالمسؤولية الادوية التي تصينا في المسائل الصحية العامة . مثال ذلك ان امرأ اذا كتم مرضاً سارياً ينشأ منه وباء يهلك فيه الوف من الناس افليس خليقاً به ان يدرك بانه اذا باح بالمرض يقاتله هو ومن حوله على حين لو كتمه لاودي به ويضربه فليس تدبير الصحة والحالة هذه هو تدبير الجسم فقط بل هو تدبير الاخلاق بمجموعها

يعلمنا علم منافع الاعضاء ان الجسم آلة لا تبقى على حاله سنة كما هو الحال في جميع الآلات الا بانعمل . وعلم الصحة بما فيه من القواعد التي من شأنها حفظ حياة الفرد وحياة الجماعة يعلمنا ايضا الطرق التي تضمن لتلك الاذاة البشرية احسن نتائجها وطول ايامها وكيف يتمكن الآباء من ايلاد الاولاد الاقوياء الناعمين . فاذا عرفنا من علم الفسيولوجيا كيف ان الفرد هو ابن محيطه فان العلم يشير الى تلك النقطة التي يجب على المفتنين ان يوجهوا عنايتهم اليها اذا احبوا تحقيق اسباب حسن تربية الفرد التي لها اتصال ببايعة الارض اكثر من اتصالها بنوع البذار اي بصحة الاجسام . اكثر من صحة التماثل .

وتلى الجملة فان علم الصحة (المحيين) يأمر المرء بالعناية بصحته وصحة الناس ويشير اليه بالعمل وبذلك على اسباب العمل الجيد ويصره بعواقب الفرور ومخاطر الشهوات التي يطلب المرء فيها سعادته عبثاً وما هي في الحقيقة الا سيئة الاثر منهكة للقوى . نعم ان علم حفظ الصحة يمثل الصحة بانها السعادة الوحيدة الحقيقية ويبرهن بان غلط الفرد يلحق المجموع وان الذكافل لا بد منه .

وانا بما نورده من النصائح نوجز المبادئ الجوهرية في حفظ الصحة في الفرد والمجموع ونؤمن ما يجب العلم به والعمل له من القواعد الاساسية التي نوجهها خاصة لمن كانوا سيئة مستقبل العمر من الشبان والشابات

القاعدة الاولى — « يجب عليك ان تعني بصحتك » لان صحة الفرد ليست له وحده بل هي للمجتمع ونجاح هذا وقوته متايلان بصحة مجموع من يتألف منهم . فالواجب على المرء ان يعمل بحيث يقدم للمجتمع ما يصيبه من الحصة من العمل والانتاج ومن يهتم بصحته كان كمن يسعى لابقاء تلك الآلة التي يملكها كل انسان للقيام بما يفرض عليه من العمل ويؤدي ما عليه للمجتمع الانساني . وتختلف عناية المرء بصحته بحسب حاله وشأته فقد تضرطه الحال في بعض الاحيان ان يقاوي بصحته حياً بابقاء صحة المجموع ولذلك كان من الواجب على كل امرئ ان يقوي صحته حتى لا يقف ساعة امام ما يقتم عليه بذله عند الانتهاء

القاعدة الثانية — « اعلم ان العقل القويم بالجسم النظيف » ان في مجموع تركيب الجسم كما في المجتمع جميع الحواس متكافلة بعضها مع بعض فالسماغ وهو حاسة الفكر والارادة معرض لعامة الامراض التي تصيب سائر الحواس كما هو عرضة لجميع النقائص ولذلك فحست الحكمة ان تبذل العناية بهذا المجموع النامي على اختلاف مناحيه ولا سيما اذا كان في ايام نموه . ومتى عني باحدى الحواس بنوع خاص يستأثرون سائر الحواس بالناصر المغذية ويطلق عمل سائر الاعضاء وتقل تغذيتها فتقطع الموازنة العادية في الصحة ولا تلبث تلك الحاسة المرنة كثيراً ان تصير الى حال من الاضطراب وتفقد غذاءها بما يصيبها من البراق التي تسمحها وتضييق عليها وتقلبها وعليه فانفق ان يعمل اكل حاسة ما تحتاجه من العناية سواء كان من حيث الفكر او الحركة

لا يضر البالغ اذا لم تعط كل حاسة فيه حقها بقدر ما يضر الطفل والبالغ لان اعضاء هذا تكون في بدء امرها لم تستوف قسطها من الاستحصاف من اجل هذا وسبب ان تجد



بتدقيق صلات العمل الطبيعي والعمل العقلي ويقضي الحواس قبل انتاجها ان تستعد لذلك واذا تمجّل المرء في الاخلاص عليها تقسّد وتعتدل . فتربية الطفل يجب ان تكون باعثة لجموع الجسم على التقوية لا ان يجعل في استغدامها قبل اوان بلوغها ودماغ الولد لا يكمل الا بعد حين ولذلك اقتضى ان لا يطلب منه انتاج شيء قبل العمل ويكتفي بتأقن الولد العادات والاساليب التي تدبره بعد عي العمل . وعلى العكس في العضلات فانها تقوى بسرعة وكذلك هيكل الجسم فانه يستقيم في السنين الاولى من الحياة ويقاوم احسن مقاومة فنرى ان يرن الطفل من سن الخامسة الى العاشرة ساعة في الاشغال العقلية ومثلاً في الاشغال الطبيعية ومن العاشرة الى الخامسة عشرة ساعتين في الامور الذهنية وثلاث ساعات في الاعمال العضلية ومن الخامسة عشرة الى العشرين ثلاث ساعات في الاعمال العقلية وساعتين في الاعمال العضلية . والاخير خاص بالشيخان الذين يختصون بالاعمال العقلية والادوية والعلمية والفنية . ولا بأس في تلك السن بتعليم الاحداث صناعة يدوية اذ ان جمهور الفسيولوجيين على ان مهارة اليد تعمل عملاً دائماً في جلاء الفكر وتؤثر احسن تأثير في قوة الارادة . بيد ان العمل اليدوي يعدل من العمل العقلي بل يكون له عوناً على تربية الفتي تربية عملية نافعة ويمكن من تحصيل معاشه على كل حال فيكون مثال الرجل الحر المستقل

القاعدة الثالثة = « ليكن جسمك طاهراً نظيفاً على الدوام » = للجلد وظائف مهمة للصحة كالترتين فانهما للتنفس والكليتين لافراز السموم التي تخرج من خلية الخلايا المؤلفة منها حواسنا وانسجتنا فالجلد كالرئة يتنفس ويرشح بالعرق يفرز الجلد كما تفرز الكليتان مع البول مواد سامة وتبغع الكلى والرشح يعدل مزاج الجسم لان الرشح هو العامل الوحيد في تركيبنا لمقاومة الحرارة شأن آتية يبرد ما فيها بخبر السائل الذي يرشح الى سطح الطين ذي المسام . واذا كان الجلد سطحاً واقياً من الوسط الخارجي والعوامل الطبيعية والجراثيم يجب ان يترك نظيفاً ليحفظ نموه التي بها يقاوم المؤثرات الخارجية فالجلد الذي لا يعنى به يمترق ولا يقاوم فعل البرد وتدخل فيه الجراثيم التي تعلق فوق سطحه . وتحسن حالة الجلد بذلك والغسل وحسب الماء الحار او البارد على الجسم بحسب مزاج الانسان والمواسم . وربما لا تطبق بعض الاجسام صب الماء عليها في هذه الحالة يجب الاعتدال على الدلك والغسل يوميا لان ذلك شرط في تدبير صحة الجسم

القاعدة الرابعة = « اقلل من طعامك » ان خطر الافراط في الاكل يضر بنا في

الاغلب أكثر من التغذية القليلة فالطعام إذا كثرت على المدة وساء فهمه يوشك أن لا يستحيل بالمضم بدرجة كافية فتبيح به الاحشاء كما لو دخلت عليها مادة غريبة وتحدث الماء في الامعاء وإذا بلغت لا يتفحم بها الا قليلاً أي لا تحترق الا بعض الشيء في داخل الجسم وهذا مثل الموقدة التي يحترق بمصر فيها للدخان تحتها ويجتمع الفضلات الناشئة من اختلال الوقود . فالخامض البولي وهو اخص هذه الفضلات يسمى الدم او مبيح الانسجة التي تحويه فيصير الاكول اذ ذاك عرضة لوجع المفاصل وغيره من الامراض . وتكون هذه العوارض على طول الزمن دائمة وقد كان يمكن زوالها وتبدو في شكل تكوين الحصى او وجع المفاصل والبول السكري

فالاعراض في التغذية وعنه يحدث الاضطراب في المضم يتبعه في الغالب تخمر خارق للعادة في الاحشاء وتنبعث منه سموم متنوعة في قنواتها ولا يأتي على هذه السموم المتصلة الا الكبد ولكه اذا كثرت عليه وغلغفته يتعني به الامر ان يتعب ويصعب غير كاف عمله وعندها تحدث سلسلة من الاضطرابات التي تغير ميزانية الصحة والكفاءة للعمل .

القاعدة الخامسة « اجعل الماء شربك العادي » الماء هو الشراب الطبيعي ينفع في المضم وتنقية الدم . ولا شك ان الماء يحوي جراثيم مضره وهذه الجراثيم لا تبيد كما يزعم بعضهم باضافة شيء من الخمر اليها . فاذا اشربه في الماء او كان ثمة خطر من وباء ينتقل في الماء كالجلى التيفوئيدية والهواء الاصفر . يجب غلي ماء الشفة وماء الاغتسال ولا يصح الاعتماد ابدأ على راووق ( مصفاة الماء او فلترا ) البيت لانه يستلزم عناية كبرى لا تنهض بها الا المعامل الكيماوية ويحتاج الى التطهير والتعقيم مرة في الاسبوع على الأقل . والله المغلي لا يسوه فحسه فلنكي يجعل قابلاً للشرب بقنم تبريده وتحويله ويكفي ترويقه بالفلتر . وان الاشربة التي تؤخذ على الريق لا تبقى في البعدة بل تنساب في الحالب الى الحشا الذي يتلحم حالاً لاجل ان اذا ان يشرب الماء في اول الطعام لا في اواخره وتبقى الاشربة التي لا تهضم في المدة مع الغذاء ويميل العصارة المعدية ويحلي عمل المضم في المدة

القاعدة السادسة — « امتنع من تناول الكحول نباتاً » ليست الكحول غذاء بل هي سم قاتل للخلايا العصبية ومروره على الصكبد والكليتين يفسد عناصرها على صورة يتعذر الشفاها بما في الماء وان جسماً يقوى بالكحول لتقليل البقاء اذ يفقد ادوات دفاع الجراثيم الفارة عنه ويكون عرضة لعامة الامراض الالتهابية التي تشدد عليه أكثر من

يتمتع عن تناول المسكرات ثم ان ام الاحشاء تصاب ببلال يؤذي بهالى العتار وصاب نسل اولئك السكدين بشو به في اجسامهم لا يبرون منه . فكما قلنا ان الانكحول في مقدمة لئاء السل في شاربها كذلك في مدرجة للامراض العضالة في الكليتين والكبد واذا ورث ابن السكر نفعاً في جسمه تبلغ به الحال ان يكون جانباً او مجنوناً . وجميع ما يصاب به اولئك البائسون من تشويـ الخلفة والمستيريا وضعف المجموع العصبي والعصرع مما يقضون به حياة شقية ناشي ولا جرم من تسميم دم ابيهم لم تور يشهم هذه الاوصاف اما سائر الاشربة الخفوية كالقهوة والشاي فليس فيها من ضرر من هذا القبيل وعلى كل فلا بد من الاعتدال فيها والا فلا تلبث ان تفسر بالاغضاء الهامة . ومن الآراء الخرافية ما هو شائع على الاسن من ان القهوة تساعد على الهضم

القاعدة السابعة — « اذا كنت تعمل بفضلاتك اتق في طعمك على البقول واكثر من تناول السكر واذا كنت تعمل بعقلك فاعتمد في تغذيتك على اللحم » يستلزم العمل بالعضلات طعاماً بكثير فيه السكر اذ ان العضلات هي ادوات لانتاج الحركة والقوة تستغن باللحم فالبقول تحتوي على اطعمة كربونية والسكر هو لحم العضلات التي توقد منه وعلى العكس في الاعمال العقلية فانها تصرف عناصر زوية لا يمكن التوويض عليها الا بتناول مواد اليومينية من اللحم . واللحم الذي يصلح ما يفقده الجسم من الازوت اكثر مما يصلح اللحم المطبوخ

القاعدة الثامنة — « للوقاية من البرد اذكر ان قطعة من الورق تعادل معطفاً او حراماً » قد يحدث ان البرد يداوم المرأ على حين يكون بلا معطف ولا دثار ومعلوم ان ما يدفي الجسم هو ان تجعل حوله طبقة من الهواء محبذة وهذا الغطاء يجب مضاعفته او تقليله لان الهواء بجميع الاغذية هو اسوأ موصل للحرارة ولذلك ليس من المهم ان تكون البسة المرء غليظة بل ان تكون كثيرة منضدة بعضها فوق بعض وفي هذه الحال ينتفع بقطعة من الورق كما ينتفع بوش جيد بالنظر لقله ثخائنه اذ يحصل طبقة واقية من الهواء واذا وضعت جريدة تحت الصدر او تحت الدثار تعادل بما ثورت الجسم من الحرارة المعطف او دثاراً ثانياً

القاعدة التاسعة — « احذر البرودة (الرطوبة) اكثر مما تحذر البرد » لاشك ان اخس وغليفة للشوب ان يقي من البرد ولكن الامراض الناشئة من البرد نادرة جداً على حين ان الامراض المباشرة من البرودة شديدة وكثيرة فانقض ان تكون الثياب مائة

من التقل الفجائي بين البرودة والحرارة اي من البرودة . والثوب الذي يقوم بهذه الغاية هو الصدر من الفلانلا . ومعلوم ان الجسم المتصيب عرقاً معرض للبرودة بالترشح السريع من العرق . والفلانلا تحبس افراز العرق عند حدوده وتقف حاجزاً دون برودة الجلد وتنتج المصرة ويكون ذلك في الصيف والشتاء على حد سواء ثم ان الفلانلا في الحقيقة انفع في الصيف منها في الشتاء بالنظر لكثرة الرشح من البدن للحرارة الكثيرة وعلى من يلبس الفلانلا ان يعلم بانه اذا اراد ان يحفظ لها تأثيرها اي خاصيتها في الامتناع يجب عليه ان ينزع في الليل مالبسه في النهار ويستعير عنه قميصاً اخف منه . والمراوحة على هذا الوجه بين قيص الليل وقيص النهار ضرورية لابقاء صفات القماش عليه

القاعدة العاشرة — « اعمل بنشاط فاعمل من شروط الصحة » — وذلك لان الجسم الحيواني هو في الواقع آلة تخرج النشاط من طريق الحركة او من طريق الفكر . ولذلك كانت الآلة التي لا تأتي بالعمل الذي خافت له لا تجسر بقاؤها والآلة التي لا تستعمل تصدأ والصدأ يسرع في تخريبها أكثر من الابدال وهكذا فان جسم الانسان لا يستقيم شأنه الا اذا استغنى فيها براد منه . ويعرف الناس امثلة كثيرة من اولئك الذين ينقطعون عن العمل قبل الاوان ويتقاعدون في بيوتهم فلا تلبث البطالة ان تودي بهم الى الهرم فالمت . ومن قضي عليهم من الناس ان يمتازوا بالهم من ثروة ان يمشوا بدون ان يمولوا يشربون مع هذا بالحاجة الى العمل فيعمدون الى الرياضات من ركوب الخيل والمراجاة وغيرها مما هو في الحقيقة من الصنائع اليدوية يقوم بها اولئك الموهوبون بها .

القاعدة الحادية عشرة — « اذا كنت تعمل بمقلك استرح بان تعمل بيدك واذا كنت تعمل بيدك استرح بالعمل بمقلك » — موازنة الصحة علاقة بتوازن القوة على العمل في التركيب الانساني على اختلاف اعماله . فعلى المشتغل بمقله ان يعمل له من وقته حصة للاشتغال بالامور الطبيعية وذلك بان يخصص كل يوم ساعة او ساعتين للشي وعلى من يعمل الاعمال اليدوية ان يتقطع قليلا للنظر في الامور الذهنية فيجب عليه ان يخصص لها مثل هذا الوقت ايضا . وهذا من الضروريات التي تضمن للمعاطية سهولة هذه الترية لمساس الحاجة اليها في نفع الصحة الطبيعية والاخلاقية

القاعدة الثانية عشرة — « اصرف الراحة الاسبوعية في الغلاء » — تفقي دواعي

المدينة على العاملين من كل طبقة سواء كانوا عاملين بعثولم او باليد . ان يعودوا من حين الى آخر الى الحالة الطبيعية التي يمثلها العيش في اسلاء . فالراحة الاسبوعية التي يمكن ان يقال عنها انها قانون السلام تمكن صاحبها من الرجوع الى الحالة الطبيعية على شرط ان لا يصرف المرء وقته في دور التمثيل ولا في الحانات بل يصرفه في تهوية الرئتين وتلين المفاصل وذلك بان يمد الى الرياض البدنية على انواعها ايضا كاللشي والركض والقفز والزجلق على الجليد بحسب سنه وذوقه والفصل الذي يكون فيه من فصول السنة . ويستفيد النساء والفتيات ويلتذون بالالعاب في الهواء الطلق مثل لعبة التنيس وركب الزوارق والدراجات .

القاعدة الثالثة « رة — « ونم ثنائي سات — كان من قواعد تدبير الصحة في القدم ان لا يسمح لمرء بان ينام أكثر من ست ساعات الى سبع على انه لا وجه للشبه بين ما يعله احد سكان مدينة آثينة في زمن انلاطون او احد سكان رومية في عهد هوراس وبين ما يعله رجل يده او يعقله في القرن العشرين . اما اليوم فن العامل بذمته او يدهنه يقتضى له راحة اطول تعوض ما يتوفر عليه من شاق الاعمال ولا سيما في الاطفال والفتيان من لا يتم نوم في الحقيقة الى نحو الخامسة والعشرين من اعمارهم . ولا يتوهم مئوم ان اطالة الليل في النوم يستلزم تقصير النهار فليس السر في عدد ساعات العمل بل في الصورة التي تستعمل فيها فتيما الفكر بعد اراحة المعوضة الى العمل والحركات تكون دقيقة وسريعة والآراء سليمة واضحة والعمل يتم على وجه اسرع واحسن . وماذا يفيد طول مقام المرء في مكتبه او محله اذا كان يقضيها وهو سأم او كالحيوان المخدر .

القاعدة الرابعة عشرة — « لا تدخن ولا تمضغ التبغ » — التبغ من النباتات المخدرة للشعور المادي وتلي اكهار الحياة تسلية موته وبذلك يتوهم بعض المشتغلين بالاعمال لتعلقية انه ينشطهم ويحثهم على العمل على انه يأتي على شعور المصاحب ويغلب عليها ويلي حجابا على الحقيقة ولا يقف تأثيره في الدماغ فقط بل يتناول الاعصاب لان التبغ سم الاعصاب وهناك عصب يتأثر أكثر من غيره ونعني به القلب وما هو الاعصب من الاعصاب وان المولعين بالرياضيات والعدو والصراع وركوب الدراجات والقوارب يهتدون صمكا اذا طرخوا عادة التبغ لانه يفعل فيما يعانون من انواع الرياضيات . فبئساق المرء بائيل من العادة وقد تعودها بصعوبة يادي به بحيث يحتاج معها الى ارادة قوية

تلقب على كراهة طعم التدخين حتى اذا آله يضر باللعن ولا سيما في الخلق .  
لا شك ان التبغ يظلم الشعور الطبيعي والاحساس الادبي فيقلل من الضجر  
والوسواس ويمنع الوجدان الادبي من الإنبعاث . ومن الصعب ان يحكم على مشتمل  
التبغ بان له وجدانا طاهرا سليما وقوة ارادة .

القاعدة الخامسة عشرة — « يجب الرفق بالأم وهي حامل » — تراعى المرأة الحاملة  
انواع المراجعة فنجد تحمل ثقبه اعضاؤها كلها الى تكوين طفلها وكل ما يضر بصحتها  
يلحق مـهـ ضرر على الرحم ويصد عنه غموه العادي وقد تكون المصوم والاحزان والافراط  
في الثوب اصل المشوهات الطبيعية والعقلية التي تبطل الطفل منذ ولادته . وتعد به طول  
حياته . فالواجب اذا ان يمنع عن المرأة في خلال حملها كل ما يضر بطفلها ويغير صحتها  
الأم شخص مقدس تحمل في احشائها مستقبل الانسانية ورقيها ومق كانت ملها عاديا  
يتيسر لها ان تعمل بعض الاعمال الغير المذمومة الى آخر الايام التي تسبق الوضع . وان  
ما ينبغي التوقي مـهـ كثيرا معاودتها العمل بعد الوضع حالاً فقلة الراحة بعد الولادة تفسر  
بجوامعها الباطنة فينشأ عنها اضطرابات تضعفها مدة حياتها وتفسرها في حملها بعد ذلك  
فيلزم للنساء راحة تامة لا تقل مدتها عن خمسة عشر يوماً ثم تعاود العمل بالتدريج  
القاعدة السادسة عشرة — « لبن الام خاص بابنها » — اذا كانت الام مجتمعة  
بصحتها يجب عليها ان ترضع ابنها فلا شيء اقنع له من لبنها كما ان اعضاء الموضع تضمن  
صحة الام لان الرضاع طبيعي لها ولذلك كانت كل امرأة لا ترضع طفلها نصف أم لا اما  
كاملة . فاذا عهدت بابنها الى مريض تجهل او تتساهل امورا كثيرة تجب العناية بها  
لحفظ صحة طفلها ولا ينتبه له ويهتم له اهتماما غير هائم انها تكون في تلك الحال سببا  
لاممال طفل آخر وهو ابن الموضع . وان طفلاً ترضعه روية لهو طفل آخر ربي على  
الابويق ذي زموله ( مصاصة ) والطفل الذي ترضعه غير امه تكون امه قد ارضعت  
الاثنين رضاً غير طبيعي والطفل الذي يرضع من غير ثدي امه بعيداً عنها يوشك  
في الغالب ان يموت في سنة الاولى فالام التي يتيسر لها ارضاع ابنها بذاتها وتدفعه الى  
مرض تكفله لها تحت نظرها هي مسؤلة عن هذا الاممال جملة . والام التي تبث بابنها  
الى الموضع بدون ضرورة تجرم جرمن اثنين وقد تم لك ابنها بصنمها

القاعدة السابعة عشرة — « عليك ان تزن اولادك » — ينمو الطفل كثيراً فاذا  
كانت صحته جيدة يزيد وزنه على الدوام فوزنه المرة بعد المرة احسن واسطة لاثبات

جودة صحته . فالميزان هو ميزان حرارة الصحة ومعدل زيادة الطفل الجيد الصحة والتغذية هو ان يزيد في الشهر الاول ٢٥ غراماً وفي الثاني ٢٣ وفي الثالث ٢٢ وفي الرابع ٢٠ وفي الخامس ١٨ وفي السادس ١٧ وفي السابع ١٥ وفي الثامن ١٣ وفي التاسع ١٢ وفي العاشر ١٠ وفي الحادي عشر ٨ وفي الثاني عشر ٧ . ويجب ان لا تنمغي ثلاثة اشهر الا ويوزن الاولاد والفنان على اختلاف اعمارهم لان من الامراض ما يهدد في المدة الكبرى مثل السل وكثيراً ما يكتفي لحسم الداء ان يعطى المريض راحة وتغذية مناسبة .

القاعدة الثامنة عشرة — « يجب لك ان تجعل اولادك المرضى بمعزل عن الاصحاء حتى لا ينقلوا الهم المرض » — تكاد تكون جميع امراض الاولاد امراضاً معدية كالحمى والحمى الحصية والجذري وانتفاخ لوزتي الاذنين واغشاق وتكاد تبدأ كلها باضطرابات يظن انها زكام خفيف وهي نزلة او التهاب في الحلق والحنجرة وبجاريه الاذن . نادراً ظهر بعض هذا فعلى الابوين في الحال ان يعزلوا اولادهم وان لا يمشوا بهم الى المدرسة او الى اي اجتماع كان وان يفردهم وحدهم في الدار . وكمن اناس عدوا باولادهم المرضى اولاد غيرهم فكأنوا يأخذهم المرض من اولادهم قبل ان يجهزوا سبباً لسريان الامراض التي تصبح او بئس عامة بعد ان كانت مقصورة على بعض الافراد القاعدة التاسعة عشرة — « لا تسمح بان يتعاني الاولاد » — ليس الاولاد ميل طبيعي لان يتعانوا والابوان هما اللذان يريدانهم على العناق ويسوقانهم الى هذه العادة فتقبل الاولاد بعضهم بعضاً بحري مضرات كثيرة بان يتحمل الامراض السارية وتكون تلك لقاحاً واي لقاح لسيانها . وقد تقدم ان اكثر الامراض في الغالب نزلات ووجع في الحنجرة والانف والاذن كالحمى والحمى الحصية والسعال والحمى ذات البثور وان اغشاق ( الالتهاب ) ينتقل بواسطة اللعب عادة وعليه فان التقييل من العادات الضارة وكمن من الاطفال هلكوا فيه .

القاعدة العشرون — « كل مسكن سليم نافع للصحة اذا استطاعت الشمس ان تدخل اليه والهواء ان يخرج منه » — كما ان البيوت تحصر الناس في بقعة من سطح الارض فهي تقيهم تبدلات الجو والبرد والهواء والمطر والحرارة فلواجب ان يدخل اليها الهواء والنور فان الهواء البليل الصافي الذي لم ينفش ولم تجازجه غازات الوتود من المواقد والمصابيح ولم تشبه شاة هو من انفع الاشياء للكبد والتنفس بل هو غذاء الحياة .

فعرف العمل والنوم على جميعها إذا لم يخلطها الهواء على الدوام تفقد بانفاس السكان وغازات الوفود والاستصباح فمن اللازم اللاب ان يخلط الهواء اي يتجدد على الدوام ويكفي في الصيف فتح الابواب والنوافذ وفي الشتاء يحشى بعض الناس من البرد فلا يتركون الهواء يخلط الامكنة فينشأ من ذلك اختناق بطيء ولكنه خطر ان لم يقرب الموت العاجل يهيئ السبيل الى عدة امراض ولا سيما السل .

وبعد فيجب استنشاق الهواء بليلاً او بارداً ولذلك كانت الآلة ناقلة الحرارة التي تدفئ الهواء من اشبع وسائط التدفئة على حين ان الموقدة التي تدفئ بمرور الاشعة وتقبل هواء من الخارج من احسن الوسائط المنطبقة على حفظ الصحة والمواقد ذات الحرارة البطيئة - خطرة فيجب الامتناع من استعمالها . وليست الشمس اقل لوه للصحة من دخول الهواء التي وما شاع الشمس الاباعثة للقوة في الجلد وتغذية الانسجة والنباتات التي لا تصيب الشمس تذب وتفقد الوانها ويحترق المنظر ولا تلبث ان تموت وكذلك الحال في الحيوان والاسان وكما تفيد اشعة الشمس النباتات والحيوانات تفسر بالنباتات الطفيلية والحفن والجراثيم التي هي واسطة جميع الامراض وذريعة الى سريان العدوى وبفضل الشمس تنجر من الجراثيم الفارة العائنه بمجسونا وحيث تدخل الشمس لا يدخل المرض والتعرض للهواء وللشمس مما من الماويات في الحياة

القاعدة الحادية والعشرون — « يجب التريفي من الغبار بالرش لا بالكنس بالقمة (المقشة) من ريش » — انغار مضر جداً وذلك لاحوائه على ذرات كثيرة ككسبة وآلية وجوانية تهيج الغشاء التنفسي وتؤدي به وتدعو الى عدة امراض كالزلات والدفتيريا وجزء من الغبار مؤلف من براز الممازين بالامراض قدس طو هذه التذرات على الاغشية المخاطية وتلفها وتجرحها . فمن اهم قواعد الصحة في البيوت ان يمنع عنها الغبار لا بكسبه بمكسبة او مقشة فان ذلك مما يشبه على الكانس او المكس على اهل المازل او المارة في الشارع والاذني في تلك الحال ترسل الغبار متراكما في العاردين ان ممس لان ضرره يكون وافقاً ولو موتكاً على اثارته على تلك الصورة . ولذا اقتضى ان لا يكس ويغض بدون ماء وان يزال الغبار بماشف ندية او فرشيات ومكانس ندية . ويجب جمع الغبار لاهادته لا اثارته ليعقل الى الجدران

القاعدة الثانية والعشرون — « لا تشعل السور والبسط والاثاث المزين بالرفارف » — وذلك لانها مائعة من نفوذ الهواء والخور مستتب للغبار وقد لا تفهم ربة البيت من



نفضها وتهويتها وكذلك الورق الملون الذي يجعل على الجدران فانه عيش الجراثيم الضارة واحسن المساكن التي يصفها رجال الصحة ما كان منها مصقولا مدهونا قابلا للفلس واحسن الغرف ما كانت مدففة او مبلطة وان يكون اثاثها عبارة عن خشب وجلد لا من قطنية ومخل وبسط ورب زيادة حوت من الجراثيم بالفبار الذي عليها ما لا يوجد اضر منه في الشارع نفسه .

القاعدة الثالثة والعشرون — « لا تتساع بدخول الحشرات الى منزلك » — الهوام وسائط لنقل الامراض السارية وتلقيحها فالذباب يقع على القاذورات فاذا كانت قاذورات حميات تيفوئيدية او وباء (كوليرا) او سل تنقل اجزاءها في ارجلها الى الطعام والشراب واغشية من تقع عليهم بعد . والبعوض ينقل في البلاد ذات المستنقعات حيث تشتد الحميات جراثيم من تقرحهم عن يكونون مصابين بالحمل وتلقيح بها غيرهم من الاصحاء . والبق والبراغيث تفعل بقرصها فعل البعوض بقرصه فبالبق تنقل جراثيم حمى التيفوس والتيفوئيد ويخشى ان يكون ناقلا للسرطان والجذام ومن المحقق ان البراغيث هي التي تلتصق جراثيم الطاعون وتقلها من الجرذان الى الانسان . ولا تخلو من ان تنقل جراثيم الحمى التيفوئيدية والسل .

والقرب الطرق الى النجاسة من هذه الهوام ان يجعل شيء من روح الصمغ على سطح القاذورات في المراحيض وان تصب كمية من البترول على المياه الراكدة فتقتل الهوام النافلة كالبعوض وغيره وان تستر النوافذ في الليل بستائر من السلك الرفيع تمنع البعوض من الدخول وقرص الساكنين وم نيام وصب شيء من البترول على المحال التي يعيش فيها البق انفع واسطة للتخلص منه كما ان الماء انفع ذريعة للنجاسة من البراغيث وغسل الحيوانات الالهية على الدوام حتى لا تنقل البراغيث الى التائبين على تربيتها .

القاعدة الرابعة والعشرون — « اجعل الحيوانات الالهية في اصطبل » — ليست النار نادي الحيوانات الالهية كالقطط والكلاب والطيور فان ايواءها في اندور مضر وناقل للامراض ولا سيما للسل والسرطان فالكلب مصاب بالسل غالباً والمهر بالسرطان والبيغاه ذكورها وانثاهما بالتهاب ذات الرئة بل ان الكلب والمهر واسطتان تنقل الحريات ذات البؤس كالجدري والقرمزية والحمى والذئبة واودام الجلد وغيرها من الامراض المعدية ثم ان الكلب يلحق كل ما يقرب امام عينيه وقد يدلله صاحبه ودا ان يدري ينقل الكلب ان لم تنزل مرضاً آخر دع عنك ريشه فانه مسئول الجراثيم ينقلها من السقيم الى السليم

عليه فالتلوث والكلاب الالمية هي خطر دائم على الصحة العامة .

القاعدة الخامسة والعشرون — « اعن بظافة الشارع كما تفى بظافة مسكنك » —  
تتفق شطراً من حياتنا في الشوارع ولعلك وجب علينا ان نطهرها من الادماس  
والارجاس على اننا نطرح فيها بدون مبالاة النفايات والاصنام ونفرض فيها البسط وبما  
الارجل وما الكناس الا واسطة لنقل يسهل الارض وهناك فاذورات الكلاب والغيل  
وهي سبب لعدة نزلات اذنية وحلقية وكل ذلك مما يطغى منه ساكن المدن كية غير قليلة  
فلو جمع غبار المساكن بوسائط ندية او احرق في النار او وضعت في ماء مغلي واذا امتنع  
المرضى عن البصاق في الشارع ولم يكتس الكناسون الا بعد الزش كما في بعض البلاد  
المتقدمة لا اصبح الشارع كما هو الآن مستويع الامراض ومحللاً اخر من غرفة في مستشفى  
القاعدة السادسة والعشرون — « اذا بصقت على الارض فكأنك تبصق على  
جارك » — يجب الامتناع عن البصاق في الشارع والمحال العامة والدار وذلك لان  
بصاق الرجل السليم من العادات الخائفة للقواعد التفسيرية فالواجب تزج هذه العادة  
اما السلوك ذاته يصاحبه ينقل عدواه في الحال الى غيره وذلك اذا بصق في الشارع  
لاننا نعتقد ان نجف تطاير في الهواء ميكروباتها فله ان لا يمسق حتى في متدبل  
لانه كلما اخرج من جيبه يتذف جرائمه على من امامه بل عليه ان يشتمل بمسقة يضعها  
في جيبه هذا هو من القروض الاجتماعية ومن اوائل قواعد التضامن فن كان به مرض  
ولم يشتمل هذه الطريقة فهو مرتكب جريمة لا محالة .

القاعدة السابعة والعشرون — « اذا كان بك مرض خذ الاحتياطات بذاتك او  
بالواسطة لئلا تقتل العدوى الى من حولك » تكاد تكون جميع الامراض الحادة وكثير  
من الامراض المزمنة من الامراض السارية فاذا رأى كل مريض من واجبه وقاية جاره  
من نقل جراثيم مرضه اليه لا تلبث معظم الامراض السارية ان تفضل . وما من قانون  
صحي عام يدفع في هذا السبيل بقدر ما تدفع عناية كل فرد على حدته بصحة من حوله  
وكل ما تقوم به البلديات من اسباب التطهير قليل جداً في جانب الوقاية التي يجب على  
المرء نفسه ان يتخذها وكثير من ارباب الامرات يصابون بمرض سار فيعدون به  
اولادهم وازواجهم ومن حولهم بتسلحهم وعدم اتخاذهم الا احتياطات الصحة فيقتلونهم  
بايديهم جهلاً وغباً ومن نظر في تاريخ البيوت يدرك ان الاولاد لا يصابون بالتهاب  
ام الدماغ الا بتساهل آبائهم فالواجب على المريض ان يسأل الطبيب عن اسباب الوقاية

التي يفتن عليه اتخذها وعليقها على نفسه بالتمل  
وانت يا هذا اذا أصبت ذات يوم بمرض فلا تحمل اليوم على قواعد حفظ الصحة  
وقلة غنائها ولا على ضعف العلم بل ان التفت في ذلك على اجسادك ومواطنيك



## رحلة الى جبل قلمون

يعد جبل قلمون بين جبال سورية من اجبال: باماء وهواء واثباتا ومع هذا لم يشتهر  
اشتهار جبال لبنان وحمرون والكلية واللكام على قربيه من دمشق قاعدة بلاد الشام .  
وكان يقال له في القدم جبل سنير وبذلك عرفه الجفرايون والمؤرخون والشعراء .  
قال ابن خرداذبة في المسالك والممالك وهو مما ألف منذ نحو الف سنة ان كورة دمشق  
واقبالها سهل القوطة اقليم سنير مدينة بعلبك البقاع العلم لبنان كورة جدنية كورة  
اطرابلس كورة جبيل بيروت صيدا البثينة كورة حوران كورة الجولان وغلانم البقاع  
وحوالي القور وكورة ناب وكورة جبال وكورة الشرا وبصرى وعمان والجاية . فانعلم  
سنير هو من اقرب الاعمال الى دمشق ولم نظفر له بتحديد اجمع من تحديد بالقوت في  
معجم البلدان . قال ان سنير بفتح اوله وكسر ثانيه ثم ياء مصحمة بالهمزة من تحت جبل  
بن حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير وهو الجبل الذي فيه المنابع ينحد  
غربا الى بعلبك ويمتد مشرقا الى النريين وسليبية وهو في شرقي حماة وجبل الجليل  
مقابلها من جهة الساحل وبينهما الفضاء الواسع الذي فيه حمص وحماة وبلاد كثيرة .  
وهذا جبل كورة نصبتها حواريين وهي القرين ويتصل بلبنان نتياما حتى يلتقي  
ببلاد الخزر (٩) ويمتد نتيامرا الى المدينة وسنير الذي ذكره ابن حمص وبعلبك  
شعبة منه الا انه انفرد بهذا الاسم وقد ذكره عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان  
الخفاجي فقال من قصيدة

أسم ركابي في بلاد غرية      من العيس لم يسرح بهمه بعير  
فقد جهل حتى اراد خيبرها      بوادي القطين ان يلوح سنير  
وكم طلبت ماء الاحصى بأنند      وذلك غلم للرجال كبير

وقال المجتري

وتعمدت ابن تظل ركابي بين لهنات طلماء والسير  
انتهم كلام ياقوت جاء في ابي الفداء ان الجبل الشرقي المحدث شمالي الشام كان  
يدعى سنير في عهده وقد ورد سنير في التوراة فقال الدكتور بوست في قاموس الكتاب  
المقدس : سنير ( درج او شلالة ) اسم قسم من جبل الشيخ ( حرمون ) ( ١ ا ي ٥ : ٢٣ )  
— وهو جز ٢٧ : ٥ ( وقال ياقوت في القلمون انه يقع اوله وثانيه بيزن قربوس وهو  
فعلول قال الفراء وهو اسم وانشد

بنفسى حاضر يجنوب حوضى وايبات على القلمون جوف

ومن القلمون الذي بدمشق يجتري بن عبيد الله بن سلمان الطالنجى النكلى من اهل  
القلمون من قرية الافاعي وقال في القاموس قلمون محركة موضع بدمشق . الشاج ان  
القلمون رومية وحرفها اصلية . وكلمة تالا بالرومية طيب ولعله الجبل الطيب او نحو ذلك  
وحوارين التي قال عنها ياقوت انها القريتين هي قصبة جبل سنير وهي كما قال في مكان  
آخر حصن من تلحية حصن قال بعضهم

يا ليلة بحوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير

وقال احمد بن جابر مر خالد بن الوليد في مسيره من العراق الى الشام بتدمير القريتين  
ثم اتى حوارين من سنير فافانار على مواشي اهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد من اهل بعلبك  
ثم اتى مرج راهط وفي كتاب الفتوح لابي حذيفة اسحاق بن بشير وسار خالد بن الوليد  
من تدمير حتى مر بالقريتين وهي التي تدعى حوارين وهي من تدمير على مرحلتين وبها  
مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ قال الراعي

انحن بحوارين في مشمرة بيت خباب من فوقها وثلوج

وقال ايضا والقريتان قرية كبيرة من اعمال حمص في طريق البرية بينها وبين  
صفحة وأرك اهلها كلهم نصارى وقال ابو حذيفة في فتوح الشام وسار خالد بن الوليد  
وغنم الله عنه من تدمير الى القريتين وهي التي تدعى حوارين وبينها وبين تدمير مرحلتان  
وايها حتى ابن قيس الرقيات بقوله

ومرت بغلفي اليك من الشا م وحوارات دونها والعوير

وسولة وفريتان وعن ا تمر حزن يكل فيه البحر

فاصنقت من مجاله بسجال ليس فيه من ولا تكدير

# المقبر

الجزء السادس من المجلد الثالث

جمادى الثانية سنة ١٣٢٦ موافق يوليو (تموز) سنة ١٩٠٨

صَدْرُ الْمَلِكَةِ وَالْمُعَلِّمَةِ

عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى

نشأ للعربية في القرن الثاني للهجرة كاتبان بليغان. يصححان يدعيان واضعي اساس الانشاء العربي. اجمعي طريقة الكتابة للمرسلة فكانا متاراً يبتدى به الى يوم اتاس هذا ونعني بهما عبد الله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب. ظهر هذان الامان واللغة في نصرتها الاولى فكان لما من فطرتها السليمة اعظم مساعد لما على النبوغ وزادت شهرته الانصافها بالغفاد والامراء ومرانها على الكتابة في الاغراض الكثيرة التي كانت تطلب اليها فيخوضان صابها مجليين معترزين .

نشأ ابن المقفع في الرماق على ما ينشأ عليه ابنا السار وكان والده يتحل غلة مجوس الفرس وولي خراج فارس لصاح بن يوسف الثقفي في الدولة الاموية . ولقب بالمقفع لان الحجاج ضربه فشققت. بدأ اي تشجت لدعا لاخذ الاموال على ما يقال . وولي ابنه عبد الله تربية اسلامية واولع بالعلم وهو مكفي المؤونة فجاء منه في سن العشرين ما يندر ان يكون مثله لاتباء الاربعين والحسين . واتصل بعيسى بن علي عم السفاح والخصور اهلينين الاولين من بني العباس وكسب له واختص به واراد ان يدين بالاسلام فجاء الى عيسى

ابن علي وقال له : قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك . فقال له عيسى :  
ليكن ذلك بحضور من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر . ثم حضر طعام عيسى  
عشية ذلك اليوم اجلس ابن المقفع بأكل ويزمزم على عادة المجوس فقال له عيسى : انزيم  
وانت على عزم الاسلام فقال : اكروه ان ايت على غير دين . فلما اصبح اسلم على يده فسمي  
بعبدالله وكني بابي محمد .

ام كتب ابن المقفع التي طار ذكرها كتاب كلية ودمنة الذي نقله عن الفارسية  
ورسلاته المروفة بالتيمة في طاعة السلطان . قال الفطحي وهو اول من اعتنى في الملة الاسلامية  
بترجمة الكتب المنطقية لابن جعفر المنصور وترجم كتب ارسطوطاليس المنطقية الثلاثة وهي كتاب  
قاضيون ياس وكتاب باري ارمينياس ( او بارميناس ) وكتاب اناطليقا وذكر انه ترجم  
ايساغوجي تأليف فرور يوس السوري . والارجم انه نقل هذه الكتب عن الفارسية او نقلها له  
ناقل عن اليونانية وصاغها هو في قالب عربي فسميت له اذ لم يثبت انه كاتب يعرف غير  
الفارسية من اللغات . وعبارة ابن ابي اصبعة في تاريخ الاحياء تشبه قول الفطحي في تراجم  
الحكماء والغالب انهما نقلتا عن مصدر واحد مع تغيير طفيف في عبارتهما .

قال ابن النديم واسمه بالفارسية روزبه وهو عبدالله بن المقفع ويكنى قبل اسلامه  
ابا عمرو فلما اسلم اكنى بابي محمد والمقفع ابن المبارك انما تقنع لان الخجاج بن يوسف  
خبره بالبصرة في مال احميته من مال السلطان خربا مبرحا فتقنعت يده واصله من خوز  
بلد بدين من كور فارس وكان يكتب اولاً لداود بن عمر بن هبيرة ثم كتب لعيسى بن علي  
علي كerman وكان في نهاية الفصاحة والبلاغة كاتباً شاعراً فصيحاً وهو الذي عمل شرط عبدالله  
ابن علي على المنصور ونصب في احتياطه فيه فاحفظ ذلك ابا جعفر فلما قتله سفيان بن معاوية  
حرقاً بالنار وقع ذلك من المنصور بالموقع الحسن فلم يطالب بشاره وطلد دمه وكان احد النقلة  
من اللسان الفارسي الى العربي مضطرباً بالفتن فصيحاً بهما وقد نقل عدة كتب من كتب  
الفرس منها كتاب خدينامي في السير كتاب آيين نامه في الامور كتاب كلية ودمنة كتاب  
مزدك كتاب التاج في سيرة انوشروان كتاب الادب الكبير ويعرف بامير احيس كتاب  
الادب الصغير كتاب التيمة في الرسائل .

وقال ابن الجوامي نور بن يزيد اهرابي كان بقى البصرة على آل سليمان بن علي  
وعنه اخذ ابن القلق الفصاحة ولا مصنف له وقال : بلغنا الناس عشرة عبدالله بن المقفع .  
عمارة بن حمزة . حمزة بن محمد . محمد بن حمزة . انس بن ابي شح . وعليه احمد بن  
يوسف الكاتب . سالم . مسعدة المري . عبد الجبار بن عدي . احمد بن يوسف . وذكره

في التمراد الكتاب فقال انه مقل وقال وقد كانت القوس نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب ان اللغة الفارسية فنقل ذلك الى العربي عبدالله بن المقفع وغيره وقال في الكتب المصنفة في الاسماء واخرافات ان عبدالله بن المقفع من جملة من كان يميل الى التماثل واخرافات علي السنة الناس والطير والبهائم .

والراجح ان الحسد غلت مراجله في صدور بعض معاصريه والمعاصرة كما قيل حرمان نسبوا اليه ما نسبوا من الزندقة لتصورهم عن بلوغ شأوه او لغرض في انفسهم قال ابن خلكان نقلاً عن الجاحظ : ان ابن المقفع ومطيع بن ابياس ويحيى بن زياد كانوا يتممون في دينهم قال بعضهم : كيف نسي الجاحظ نفسه . قلنا عبارة الجاحظ في بعض رسائله بشأن ابن المقفع تشير الى قصوره في علم الكلام فقط فانه قال :

فصل ومن السليين ثم من البلاء المتأدبين عبد الله بن المقفع وبكفي ابا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان جواداً فارساً جليلاً وكان اذا شاء ان يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لافقلاً ولا كثيراً وكان ضابطاً لحكايات القالات ولا يعرف من ابن عمر المختار ووثق الوائقي واذا اردت ان تعتبر ذلك ان كنت من خالص المتكئين ومن النظاريين فاعتبر ذلك بان نظري آخر رسالته الهاشمية فانك تجد جيد الحكاية لدعوى القوم رديء المدخل في مواضع الطعن عليهم . وقد يكون الزيل يحسن الصنف والسنتين من العلم ليعلم بنفسه عند ذلك انه لا يحمل عقله على شيء الا بعد به اه

لاجرم ان اطلاق ابن المقفع لسانه في المعتزلة دعا احد ائمتها الى ان يصدر عليه هذا الحكم القريب ولكن الجاحظ ايضا على ثبوت تدبيره لم يسلم من هذا الطعن كما رأيت . وان مسألة التهمة في الدين من الامور التي شاعت في كل عصر ومصر ويكون المتهمون بها في معظم الاحوال ابرياء والا فكيف تسهل الزندقة على ابن المقفع اذا جربنا مع الدليل . وليست الزندقة شيئاً مما يضره الانسان في نفسه لان مثل هذا لا يطلع عليه الا الله تعالى وبكفي ان يقال هلاً شققت عن قلبه . بل الزندقة التي تذكر في الكتب وتترتب عليها الاحكام ويسود ان يقال عن فلان انه زنديق امور تقوم عليها بذات ظاهرة من اقوال وافعال وكلام ابن المقفع في الدين يدل على شدة تمسكه وفرط ميله على ما يتجلى لك من رسائله . ولو كان شيئاً سهل لما ينسب اليه لاسيما مع غصب التصور عليه لكأن الاقرب ان يتقرب مثل التصور بشئ ذلك وفيه ما فيه من ارضاء العامة وشفاء الفليل من الدو بحيث ينضم منه مع امكانه ولا يعدم التصور حينئذ حيلة في قلبه جهاراً بهذه التهمة . اما

اتهم ابن المقفع بمعارضة القرآن فتدبر على القاعدة في اتهامه بالزندقة وما نطن القاضي عياض والباقلاني الا ناقلين عن اناس من اهل السداجة ومع ذلك فانهما قالوا انه اتاب .  
 التهمة بالزندقة امر نشأت منه مضار كثيرة حتى لم يخل منها مثل الامام الغزالي الذي كان اعظم انصار الدين فنظراني كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذي ألفه في الرد على اولئك الذين سبوا اليه مانسبوا فان فيه الفناء واغرب من ذلك القيام على أبي حاتم (أ) ابن حبان البصري امام اخدين في عصره وصاحب الصحيح المشهور به والكتب الممتعة الكثيرة واستحصال الامر بقتله لو لم ينبج من ذلك بعوارض لا تخطر في البال

ومعارضة القرآن اكثر ما نسب للزندقة المشهورين بالادب والنضال يتبع ذلك اناس يقصدون اهلاك عدوه بأي وسيلة كانت او اناس هم اقرب الى الزندقة ممن ينسبونهم اليها حتى ان ابا العلاء المري علي اضطراب الاقوال في نهاية امره مع ما علم به من احواله قد عزي اليه كتب كان معروفًا في بلاد المغرب يسمى بالمقصود والغايات ولا يتوقف من كن قريب العهد من عصره في انه عمله في معارضة السور والآيات وكان كثير من يميلون الى أبي العلاء المري من اهل المغرب يحبون مما وقع فيه من مخالفة القول الذي يقط عن جميع كلامه المعروف مع انه ليس له يد في الكتابة كما علم من كتاب صر الفصاحة وكلامه في رسالة القرآن ينادي بخلاف ذلك (٣)

وعلى الجملة فان نسبة الزندقة الى ابن المقفع لا تثبت بوجه من الوجوه التي تعقل في اثباتها واذا نظرنا الى ما يتعلق بالنيب فالحكم الشرعي انه هو والناسبون اليه جميعاً في معرفة ما

(١) راجع ترجمته في معجم البلدان لياقوت في مادة بـت

(٢) قال المري في رسالة القرآن عند كلامه على ابن الراوندي الزنديق الذي صنف في الرد على القرآن : بس ما نسب اليه واوند فهل قدح في دباوند انما هنك قيصة وابان لناظر خيصة واجمع ملحد ومهتد وناكب عن الحجة ومقتد ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتاب يهري بالاعجاز ولبي عدوه بالارجاز ما حذي على مثال ولا اشبه غريب الامثال ما هو من القصيد الموزون ولا الرجز من سهل وحزون ولا شاكل خطابة العرب ولا جميع الكمنة ذوي الارب وجاء كالشمس اللامحة نوراً للمسرة والبانحة لو فيه المذهب الراكد لتصدع او الوهل المعصمة لراق الذرة والصدع وتلك الامثال ضررها للناس لهم يفكرون وان الآية منه او بعض الآية لتعرض في المصع كلم يقدر عليه الملقون فيكون فيه كالشهاب المتألي في جنح غسق والزهرة البادية في جديوب ذات نسق فشارك الله احسن المتألفين



دانوا كلهم بالاسلام منذ زهاء قرنين وقلبوا الاوضاع المسيحية باوضاع اسلامية حتى اقم بطاقون على بيت الحوري بيت الحوري بالاممال وفي هذه القرية شجر الفستق البدم ولا يزال يتفرخ لان اهله لا يحدون غرسه وهذه القرية هي الوحيدة في قري ولاية سورية التي تخرج الفستق وهو من احسن الانواع لا يكاد يشاهيه بمجوده فسقى روم قلعة من اعمال حلب

\*\*\*

طفت هذا الشهر أمهات قري قلمون وكنت زرتها منذ عشر سنين فرأيت عليها مسحة من الارثناء انتهت في الغالب من المال الذي جناه من اميركا المهاجرون من القلونيين وفي قرية معرة صيدنايا وصيدنايا ويبرود ودير عطية مثلاً بيوت جميلة أقيمت بالحجر الصلد انخبت على مثل بيوت ابنان الجديدة ومن البيوت ما كلفت التي ليرة وربما أكثر اما سائر معالم الجبل فطلت على حلقها اوارثت بعض الشيء بطبيعة الزمن . وقد اشترك في الهجرة الى اميركا سكان الجبل من المسلمين والمسيحيين الا ان عدد هؤلاء أكثر والتاجيين منهم اوفر ويقدر عدد المهاجرين من الجبل بنحو اربعة آلاف رجل ينصع منهم في الأكثر من اعتادوا شطاب العيش مثل مهاجري دير عطية والذبح وصيدنايا والمرة ومملولا وقارة اما المترفون او الذين اعتادوا الترف قليلاً فاخفق معهم وانقطعوا او كادوا لقلّة ذات ايديهم . ولا يعلم على وجه التحديد ما يبعث به المهاجرون القلونيون من التمدد كل سنة اذ ليس ثمة احصاء مدقق وغاية ما يقال وقد يستنتج ما يقرب من الحقيقة ان معدل عدد الرسائل التي ترد من المهاجرين كل سنة الى اهله في الجبل يبلغ ثمانية رسالة . هذا في القرى التابعة لقضاء النيك وهي مركز الجبل ومزدهم الاقدام وفيه من القرى ٢٨ قرية ١٢٠ مزرعة . وباقي قري الجبل وهي ١٣ قرية تابعة لقضاء دوده فاذا فرغنا انه يأتي من المهاجرين في السنة الف رسالة وهو اقل تعديل ولا يكتب لاهل الاناج منهم في العادة ويرسل كل واحد ثلاثين ليرة فيكون معدل ما يصل من التمدد الى قلمون ثلاثين الف ليرة . وهو مبلغ لا يستغنى به بالنسبة للفقر الجبل ولو كان هذا المال يأتيهم مع توفر العناية بالزراعة وتربية المواشي وغرس الاشجار والذلات لكان الجبل من اعمر جبال العالم . ويبلغ عدد نفوس الجبل باحصاء الحكومة ١٩٢٧ ٥٨٠١ نسمة بين ذكر وذكور وانث منهم ٤٥٠٠٢٤ في القرى التابعة لقضاء النيك اليوم ١٩٥٣ في القرى التابعة لقضاء لعمدة وعدد المسلمين في قضاء النيك ٤٠٦٦٠ وعدد الزعم الارثوذكس ١٠١٥ وعدد الروم الكاثوليك ٢٩٢٠

وعدد السريان الكاثوليك ٣٩٩ وعدد البروتستانت ٩٠ وروما يبلغ عددهم مائة وخمسين في الثلاث عشرة قرية التابعة لقضاء دومة. ٢٥٠٠ نسمة

وبلغت اعشار الزرعي التابعة لتلك هذه السنة ١٥٤٤٣١٧٥ غرشاً واعشار القرى التابعة لقضاء دومة ٤٣٩١٣٥٠ غرشاً واهم قرى الاولى الفنية بهود والرحبة وجبرود والتمير وقارة وتلك ودير خانية ومعلولا واهم قرى القضاء الثاني لكل ومدين وحلبون وتلفينا وصيدنايا ومعره صيدنايا وباتيا زارع او اشب بها .

وتسمين تلمون بحسب موقعه الابحي الى تسمين فوق وتحتي في قرى القرقي او القوقاني ركركس وحرش عرب وهي تعلو عن سطح البحر ١٧٧٠ متراً وعسال وتليل والحبية ومعره باش وفليطا والسحل وتارة وجرسال ودرة عطية والتبك وبغما ورأس العين وبهود وبخيمدين ومن التمنية الاواني وعكور وبدا وحفير الفوتا وحفير التمنيا وحلة ومعلولا والقسطل وعين التينة والقطيفة والمعلمية وجبرود والرحبة والتيمير ومعره وتلفينا وصيدنايا ومعره صيدنايا والتل ومدين وحزنة ومطاية والسرج ومعرها وحلبون وهي التي تخزن الثلج في الربيع في جردها وتأتي به كل م ايلول دمشق وتشاركها في بيع الثلج قريتا اوفرة او قرة وقرية مدين

وتعد زراعة قلمون من الدرجة الثالثة ولو توثقت دعام الامن فيه لاستطاع اهل القرى القريبة من البرية للشرق ان يزرعوا تلك السهول الخصبة ويتفكروا بالمرامي البعيدة عن القرى ساعات . واكد لي العارفون بان الامن اذا استقر في نصاب وامن القضاء من غارة اشياء العرب والسرور على المواشي والزرع تكثر مواشي كثيرة زائدة وينتفي الفلاح والحكومة فقد نهب العرب والندروز منذ نحو سبعين زهاء مئة وخمسين الف رأس من الغنم ونازعوا تسعة لاربابها فكانت بلغت الآن على اقل تعديل مائةون رأس وحمل ربح الرأس مئة قرش هذا مما هو موجود اليوم من مواشي الجبل

وليس مثل جرد قلمون في الصيف لرحي المراشي ومثل سهول الشرقية في الشتاء والبلان قطعانها من ادم ما ذاق الذائقون . ولزمت امنية الفلاح النملوني بالانذار الامن في شعبه وهضابه في الفصول الاربعة لربح اخلاص كل صنة الزرع قرشين من مائتة فقط ومن كانت عنده المنة ينجي المدين ومن ملك لالف جاءه الغنائم ويرى الخبيرون بانه لا سبيل الى تقرير الامن في قلمون الا بوضع اربع مخازن الاولى في التميمير والثانية في الناصرة والثالثة في الحميرة والرابعة في القريتين وان يجعل في كل واحدة منها - وفي

بعضها قلاع لا يواء الجند - خمسة وعشرون جندياً نظامياً فارساً (مفرزة) وبذلك يهرب اشقياء عرب البادية بأس الحكومة ويكفون عن السطو على ضفاف الاملين كما احتلوا القرية .

ولا تجد في قلون غابات كماكثر جبال العالم بل هو جبل أجرد اقيرم ولوصحت عزيزة سكانه . لاكثره وامن زرع التين والكرم واللوز والجوز في الاراضي القريبة من القرى ومن السنديان والبلوط في النجاد والشعاب . والظاهر ان فأس الحطاب واسنان المائنة انفتحت زمناً طويلاً على تحريدها الجبل من اثماره وثأبه فلا تجد اشجار الا قرب القرى وقد تم في الساعات ولا تجد اثرًا للزروع ولا لشجر

قال احد الاجانب ممن زاروا هذا الجبل مؤخراً كنت في ياقا اب اشاعد جبلاً أجرد من الكلاء والشجر فما قد قرت عيني في ثمنه بما كنت اريده من الجبال الجرداء اما ان سورة يفتحي لوقت تينه برؤية - به الشجره ذات غابات غيراه وليست مياه ثملون شحيحة عزيزة بل هي عذبة غزيرة كاحسن البلاد الجبلية ولكن منها ما يحتاج للارياض ولاهدد والعبادة واذا توارى الالهون وسادتهم الحكومة قليلاً على توفير مياههم تزيد كرمها بمجر العيون والاقنية ولا تفتاح المياه - اليريل حتى لا تنجس منها نقطة بلا فائدة . ومن هذه العيون ما يشفي الذوسب ويبري الذجسام ويساعد على هضم الطعام والى ما قرب من حرود الجبل حيث يكثّر نزول الدروج وتبقى كل سنة ستة اشهر متصلة في النجاد وتوناد واش مياه الجبل في ممرقة وهي جمع من ماء الشتاء ولكن لمعها اشبه بالمخ الانكليزي يد ابا الا ائتت في النظم لا ثقيل على المضم وتند بحثنا في بعض قرى الجبل من آثار تجرية مكشوفة او كتب مخطوطة طامع فيها الى مواد تاريخية تنتم بها نخاب سعينا اذ شئنا معظم اديار الجبل لا يعرف اهلها من التاريخ الا تقايد يتناولونها بالذواء وهي لا تنادي شيئاً اذ وضعت على بحك النقد واذا كانت الادبار خالية من مثل هذا فاحر بان تكون - اما المعاهد اخلى فقير حيدنايا لرايات الروم هو بحسب ما شامدنا من اقدم اديار الجبل وليس فيه تاريخ انير نفسه وقيل لنا ان اهل الديور حرقوا باختيارهم منذ نحو قرن كتباً مصرية كثيرة ولو ابقوا عليها لما نلت من فوائد كان القارئون عليها يفترونها او يخافون . ا اذ ذاك وهي انفع ما يكون للاريخ اليوم وغاية ما فيه الا ان كتاب نسطه احدى راهبات الديور سنة ١٨٨٧ م واسمها نقل غزال ولم تذكر شيئاً عن الاصل الذي نقلت عنه وهو حديث افضاً وبقيهم من مده

وفيه شرح نقاليد كثيرة متعلقة بدير صيدنايا ان هذا الدير بني على يد يوستينانوس الكبير ملك الروم في السنة الخامسة والعشرين من ملكه سنة ٥٥٣ ليلاد وذلك عند مروره في تلك البقعة فاخترها لاقامة هذا الدير ليحصل محطه لناصردي بيت المقدس من اهل القسطنطينية وغيرهم وفي هذا الكتاب امور تتعلق بقول السيدة العذراء عليها السلام ليوستينانوس حتى بنى ديره وهو مثل ما يقوله المسلمون عن بعض معاهدم . وهذه النقايد لا يبقى فيها التاريخ ولا تنطبق على العقل وأخذها المعتقدون بالتسليم دون اعمال النظر فيها على ان الاحساس الديني يجب مراعاته مهما كان وحقائق العلوم العصرية هي التي نحو وثقت .

وفي الجبل اديار غير العامرة الآن في قارة ويرود ومعلولا قد اصبحت مأوى لليوم مثل دير مار شيرين ودير مار توما بالقرب من صيدنايا كما تجد كثيراً من النواويس (مقبور) محفورة في الجبال . ومنها ما رأته في منين وعين صاحب ومعلولا والجبل الا قليلاً متناوبة بمرانه ولكه مختلف بيئات سكانه ولجاتهم فكل قرية لهجة خاصة بها وصحة يعرف بها اهلها فاهل معلولا لا يشبهون اهل عين التينة واهل بيروت لا شبه بينهم وبين اهل الرحبة . والظاهر من صفحات القومنين ان منهم اليعاقبة والسرمان ومنهم الروم والتركمان ومنهم العرب فاختلفت لهجاتهم باختلاف اصولهم وان كانت تركيب بعض اسماء قراهم متشابهة مثل بيروت وجبرود وعرة ومرونة وعسال وعرسال وجبة وجميعدين وفليط وتلفيتا . وتلفيتا هذه هي التي قال فيها صاحب المهجم انها كانت بلد قسام الحارثي من بني الحارث بن كعب باليمن المتغلب على دمشق في ايام الطامع وكان في اول عمره ينقل التراب على الدواب ثم اتصل برجل يعرف باخذ الخطار من أحداث دمشق وكان من حزه ثم غلب على دمشق مدة فلم يكن لولادة معه امر واستبد بملكها الى ان قام من مصر ياكين التركي فغلب قسماً ودخل دمشق ثلاث عشرة ليلة بقيت من محرم سنة ٣٧٦ فاستمر اياماً ثم استأمن الى ياكين فقيده وحمله الى مصر فباعه واطلقه .

ومن صنائع جبل قلمون وبهارة ثابته بعض قراء مثل النل وحلبون وبيروت ومعلولا البسفي فانه تعمل فيها بسط غليظة ولكنية متينة يستعملها اهل الجبل والجوارون لهم من سكان القرى كما يحكيون الخام الجيد في هذه القرى . ولا جمال على صنائعها ولكنها متينة جداً ورخيصة وقد لا يربح العامل قرشين سبعة نهاره ومع هذا يجد نفسه سعيداً

بهذا المتدار الطفيف :

وهواه الجبل معتدل جداً وهو واقع لأكثر الاجسام من هواله لبنان البليل القرب  
ذلك من البحر يبرئ النفوس تشابهاً ومضاه وان الذكاء القطري يظلب على مكانه وتسارى  
في ذلك سكان جبروده وسهوله وقراء ومنارعه واسلامه ونصاراه وله سعت الحكومة  
بجند لاصلاح طرقة ومواصلاته والخطب فيها سهل جداً لكثير اختلاف المصطلحين اليه  
ومخصوصاً سكان دمشق لان قلمون منها بمنزلة لبنان من بيروت والطرق فيه عامرة  
بجلبتها مثل طريق صيدنايا الى معلولا وطوله خمس ساعات واربعة واربعين معلولا  
على بيروت وطوله ثلاث ساعات وطريق بيروت فانينك ندير عطية فقارة وهذا الطريق  
مستطلي طوله لو صرف عليه يضع مئات من الثريات لسارت عليه المراكبات كما تسير على احسن  
الطرق المعبدة ولكن الحكومة في الدور الاستبدادي كانت لا تحسن من الادارة الا  
ان تسلب ثمة الفلاحين بطرقها المعروفة من تكثير الضرائب والهدور والوم وارهاق  
الفقر بالاعانات الكثيرة ولعل دولة الدستور تقوى في اقرب وقت تفعل من المالم ووقتها  
نصيباً تصرفه في ترقية البلاد تستعيد بعد سنتين اضافاً مضاعفة من اهلها وقد كانت  
حكومة الاستبداد ترى ان غناها بالفقر الاهالي فالواجب على حكومة الدستور ان تعمد  
ان غناها من خناعم وسعاداتها بسعادتهم

وان جبلاً كقلمون وهو جزء صغير من ولاية سورية وجزء اصغر من هذه المملكة  
المعالية اذا حسنت ادارته ونظرت حكومته في عمرانه ليجز من الخيرات ما لا يخرج  
مثله الجبل الاسود ذوالبند والعلم وصاحب الملك والوزراء . وكيف يهر مثل قلمون  
اذا كان ولاية دمشق يقضون بها السنين الطويلة ولا يزورون بمعاهده ويفقدون حالة  
اهله بل ان القائم مقامين الدين طالما تناوبوا الحكم عليه لا يهتم الا قبض رواتبهم  
واخذ ما يريدون اخذه من الاهالي واذا طالقوا بعض قراء فللزعة والتاس العصاة والراحة  
لارفع ظلامه واقامة عدل وتحسين حال ويمتدون في امورهم على مشايخهم معظهم على غير  
علم كانوا ولم يزالوا عوت كل ظالم والسعيد منهم من كان الجبل الغلب على قريته  
ليسوخ له ان يحكم فيهم حكماً قروياً ولا انجلي اذا قلت اليوم ان اهل قلمون  
لم يلقه حتى الآن رشاشة من نعمة المستور على قريتهم من الخواصر وتولا بصيص  
نور يتلألأ في عقول بعض اهل القرى التي يكثر فيها الخيرون والمدارس والمجربة  
لكان قلمون كما كان منذ مئات من السنين .

وهنا رأينا ان نختم هذا القبل بقصيدة للابير عبد القادر الحسني البعزاري قالها وقد سأله بعض الرنيسين اي العيش اطيب عيش الخلاه والبداءة ام عيش المدن والحضارة وقد كنا نرددا كثيرا اياتها في رحلتنا واكثرها بما يصدق عليها لئلا يمتها مع الحالة التي كما عليها في الجبل من الصحة وفراخ البال قال رحمه الله :

يا جاذرا لأمرى قد دام في الحضر      وما ذلّا لخب البدو والفقر  
لا تذهبن يوماً خلف محملها      وتمدحن بيوت الطين والحجر  
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرفي      لكن جهلت وكم في الجبل من ضرر  
لو كنت أصبحت في الصحرا تمر على      بساط رمل به الغصاء كالنرد  
أوجلت في روضة قد راق متظفها      بكل لوت جميل طيب عطر  
تستشقن نسيماً طاب منتشقا      يزيد في الروح لم يور على قدر  
أو كنت في صح ليل هاج مائه      علوت سيرة مرتب أوجلت بالظفر  
رأيت في كل وجه من بساطها      سرها من الوحش يري أطيب الشجر  
فيما وقفة لم تبق من حزن      في قلب مضى ولا كدأ لدي ضمير  
بأكر الصيد عند الفجر يفتنه      فالصيد منا مدى الاوقات في دعر  
لكم ظلمنا ظليما مع نعامه      وان يكن طائراً في الجو كالصقر  
يوم الرحيل اذا شدت هواجنا      شقائق عمها مزين من المطر  
فيها المذارى وفيها قد جعلن كوى      مرقعات بلحذاق من الحور  
تشبه الحداة لما من خلفها زجل      اشقي من الناي والسقطير والوتر  
وغن فوق جبال الخليل تركضها      شليلها زينة الأكفال والحضر  
نظارد الوحش والغزلات تلتهها      على البعاد وما تجو من الغمر  
نروح لحي ليلاً بعد ما نزلوا      نازلآ ما بها لطخ من الوضر  
نراها المسك بل اتقى وجادها      صوب الغائم بالأصال والبكر  
نلقى الخيام وقد صفت بها نفدت      مثل السماء زهت بالانجم الزهر  
قال الاولى قد مضوا تولا وصده      تقل وعقل وما لحي من غير  
« الحسن يظهر في شيتين روثه      ويت من الشعر او بيت من الشعر »

(١) في رواية : « لو كنت أصبحت في الصحراء مرققاً » الى آخر البيت

انقلنا ان انت عند الصبي نخل<sup>(١)</sup> اصواتها كدوي الرعد بالصحر  
سفائن البر بل انهي راكبتها- سفائن البحر فيها من الخطر  
لنا المهارسة وما الريم مرعتها بها وبالخليل لنا كل متغير  
نقيلنا دائما للحرب مسرعة من استغاث بنا بشره بالظفر  
نحن الملوك فلا تعدل بنا احداً واي عيش لمن قد بات في خفر  
لا نعمل الضم من جارتك وان اساء علينا الجار عشرته  
وان اساء علينا الجار عشرته تبيت نار القري تبدو لطارتنا  
عدونا مساله ملجأ ولا وزر عدونا مساله ملجأ ولا وزر  
شرابنا من حليب لا يخالطه شراينا من حليب لا يخالطه  
اموال اعدائنا سيف كل آونة اموال اعدائنا سيف كل آونة  
ما في البداوة من عيب تقدم به ما في البداوة من عيب تقدم به  
وصحة الجسم فيها خير خافية وصحة الجسم فيها خير خافية  
لم تمت عدنا بالطن عاش مدي لم تمت عدنا بالطن عاش مدي



(١) في رواية: «لما اننا اذ تروح بالصبي علت» الى آخر البيت

سير الغلب والاجتماع

## العوامل في الأفرج

يزيد عدد الجامعات من النساء في بلاد الغرب كلما صعب استحصل القوت وكثرت مطالب الحياة فقد بلغ عددهن في اميركا ٧٠٦٩٠٥٠٠ امرأة ذات صنعة منهن ١٠٠٨٠٠ زوجة ومن تلك العاملات ١٨٤ يطاراة و٤٥ وقادة في القطارات وقد زاد عدد العاملات من ٢٠٨ الى ١٠١٠ وعدد المتحليات (ستينوغراف) ٣٠٥ في المئة وعدد المهندسات ٢١٧ في المئة وعدد المبشرات ١٩٢ في المائة وعدد خازنات الكتب ١١٦ في المئة ويبلغ عدد النساء العاملات في فرنسا ٦٥٢٩٥٧٠٧ منهن الطبييات والادبيات ونجين ٤٣٢٠ مصورة وثلاثة ٤٤١٥ موسيقية و٤٥٠٠ قابلة و٤٠٠٠ يصنعن ازياء و١٠٠٠٠٠ مائة و١٥٠٠٠٠ المستخدمة في الادارات و٢٦٠٠٠٠٠ مستخدمات في المحل التجارية و٥٠٠٠٠٠٠ بلا حيلة سفل للعمال و٨٢٥٠٠٠٠ خادمة و٩٠٠٠٠٠٠ تعمل باسفال الامة وخارجها لا يحسن بل يبلغ في الحقول ميوتقيب النساء في المجالس النيابية في فنلندا وسويسرا ويجاولون الآن في اكثر الاصقاع الاوربية ان يشاركون ارجل في هذه المهام وللساء حق الانتخاب في زيلندا الجديدة واستراليا .

## مصادیق التوفیر

سبقت انكلترا غيرها من ممالك اوربا في اصلاح صنایع التوفیر في ادارات البريد فانتفع بها القراء اي ارتفاع في اقتصاد دريهمات تكونون لم يمد رؤوس اموال و مدت حنوها في ذلك فرنسا والنسا واطاليا والبلجيك وهولاندا والسويد وفنلندا وبلغاريا وروسيا وسويسرا . وهذه المعاهد لا تسهل على الناس الاقتصاد فقط بل هي مصارف حقيقية لازمة تدير شؤونها الحكومة فيتأني لكل فرد في انكلترا ان يدفع في السنة لاحد فروع صندوق التوفیر من فرنك الى ١٢٠٠ فرنك وان يتناول منه ما يريد على ان لا يجازي ما يأخذه ٢٥ فرنكا . ولم طريقة في التسهيل على من يريد الاقتصاد ولا تكاد تخلو قرية من فرع لهذه الادارة فقد بلغ ما دخل صناديق التوفیر في برود انكلترا سنة ١٩٠٥



٠٠٠٤٩٣٦٠٠ فرنك وماخرج منها ٩٦٣٦٠ فرنكا وبلغ ماوضعه المقتصدون من الفرنسيين في صناديق هذه الادارة في تلك السنة تقسم ١ ١٢٧٨٢٥٧٦٤٧ فرنكا وضعت في ٢٨٨٤ فرنكا وبلغ عدد اربابها ٤٥٥٧٧٣٩٠ شخصا وبلغ عدد مثل هذه الصناديق في ايطاليا ٥٩٣١ دفع لها ٥٢٨٣٠٠٣ اشخاص ٩٨٣ مليون ليرة وعدد المقتصدين على تلك الصورة في هولندا ١٦٨٤٥٣١٦ شخصا دفنوا ١٢٩٠٩٢٩٥٧٤ فلورينيا وعدد الصناديق في النمسا ٦٤٧٩ اشك فيها ٤٥٤٨٧ ٢٠٠٠٤٠٠٠ شخصا دفنوا ٢١٨ مليون كورون. وقد بلغ مجموع المودع في صناديق البريد خمس في تلك السنة ذاتها ٢٣٦٠٠٠٠ ج. م وصار في السنة التي تليها ٣٢٥٠٠٠٠ وعدد المودعين ٤٣٥٤٢٤ نفسا فزاد حتى بلغ ٥٩٠٠٨٤. وليس في المملكة العثمانية صناديق وفركهذه.

### مسكة حديدية بآيتروول

ادخلت شركة شمالي اميركا طريقة استعمال زيت البترول لتسيير القطارات بدلا من الفحم الحجري واتخذت لذلك مركبات وقاطرات خاصة بحيث لا يتجاوز مجموعها ٢٥ طنا اما المحرك فهو انفي الشكل وقوته ٢٠٠ حصان ويقطع ٣٣ كيلومترا بدون اهتزاز ويمكن ابقائه بالسرع ما يمكن وهو من خير القطارات في السعود الى التجارب العالية وربما تقطع بعد مدة ٤٠ كيلومترا في الساعة.

### شركات التلفون

بعد مدة تم في مدينة الاستانة وكثير من قواعد البلاد العثمانية خطوط تلفونية كسائر البلاد الراية وقد اسحق العربون انه يشترك كل ١٦ ساكنة في الولايات المتحدة بالتلفون وفي السويد لكل ٤٥ ساكنة اشتراك بالتلفون ولكل ٥٠ شخصا سطر الهاتفريك ولكل ٥٤ في سويسرا ولكل ١٠٠ في ألمانيا ولكل ١٤٣ في انكلترا ولكل ٣٦٤ في فرنسا.

ففي تكون المملكة العثمانية بخطوطها التلفونية كما في ذلك اورا فيها بقيمة الاشتراك السنوي بالتلفون هو خمس ليرات في سويسرا وتزل الى ٤٠ فرنكا في السنة الرابعة للاشتراك وفي ايطاليا ٧٥٠ فرنكا وفي ألمانيا ٨٥٠ مارك وفي النمسا ٢٠٠ فرنك وفي بروكسل ٢٥٠ فرنكا وفيها في مصر.

## التعاويد

نشر المسيو انطون كياتون من علماء المشرقيات في مجلة العالم الاسلامي مقالة في التعاويد عند الشعوب ولا سيما التي دانت بالاسلام جاء فيها من البحث التاريخي ما ترميه: الظاهر ان التعاويد قديمة كالضعف والخوف المتحكمين في الانسان امام قوى الطبيعة. فتراه يضعف عن ان يحاهد نفسه في تحمل الآلام الموهوبة والطبيعية على اختلاف مظاهرها كالمرض والحزن والغراب يتدبر بما يعدها عنه او يقيه شرها بواسطة كلمات واشارات او اشياء يعزولها قدرة واقية فوق الطبيعة ومن هذه الغريزة المتبعة من سرعة التصديق وحس الدفاع عن النفس نشأ في الغالب استعمال التعاويد في كل عصر وعصر منذ زمن الطاويزين على عهد قدماء الفرس والاياريين في كاليدونيا الجديدة الى انكريكين من زنوج افريقية الوسطى . ولا تنس التعاويد المسموعة عند المحدثين من اهل الغرب التي يحلون بها اذرعهم

واغلب الآراء على ان جميع انواع الحلي والزينة كانت يادئ بدعهاارة عن تعويذة لتفقد تارة من عصائب او من اوراق مرية او من جلد كتبت عليه كلمات او رسمت عليه اشكال ورسوم او اعداد لها في نظرم فضيلة خاصة او سور من كتب مقدسة كالتفطورات من الاحجار الكريمة او الاحجار الغريبة الشكل والاصل او من النباتات والجذوع والشعر والوبر والعظم والاعطار والاسنان او تصنع من مواد كسبية علامة على حيوانات معينة او من اقراط واسورة ومخايل من المعدن او الحجر او الخشب او من الحلي والجرار او كرات الذهب او الفضة او الرخام او صفائح المعدن او من خرق الاقمشة او من جلود الحيوانات يزعمون ان امتشها ورقشها خاصية الوقاية .

وبدعون ان تأثير التعويذة ناشي من كيفية حملها وانها تنفع الحيوان كاستعمال الانسان وهي وقاية للقطيع كما هي وقاية الراعي وتساعد في النوم كما تساعد في البقطة وفي عقد البوع كما في الامراض الطارئة

ولئن ام استعمال التعاويد بما في فطرة الناس كلهم من السجاجة والجن فالتظاهر انها نشأت من الشرق وانها على الاقل كثير استعمالها فيه لان الانسان كان يشعر تحت السماوات الضعيفة بحاجة الى ما يدفع عنه الاسواء .

وقد عهد في الحضارة المصرية استعمال الاسورة والمخايل والاحجار الكريمة التي كانوا

يزعمون انها تجلب السحرة - وان الكتب كتبت على ورق البردي التي كانت تكتب وتخطى القلوب ليحملها الانسان وكان تزين الرجال والنساء بتقود الصخرة الخشبي ومن حردون محفور على الحجر او على المعدن كما يصكاف تدوين الوصايا لاشياء لوزجة والتبرج يواد منها طرد الارواح الشريرة والامراض ودفع الخراب والموت واعتاد الاشوريون والبابليون ان يكتبوا بعض كلمات سحرية وتراكيب لشفة على عصاين احدهما من قماش ابيض والثانية من قماش اسود وتقوم هاتان العصايتان مقام الصليبة بان كانوا يضعونها على الايدي او على الجبهة - وقد نقلوا هذه الطريقة الى الاسرائيليين مع شي من التعديل فيها ولكنها لا تؤكد تختلف عنها كثيراً ومع ان الشعب الاسرائيلي كبير الاعتقاد بالمولى فهو يعتقد بتأثير التلويد

وتشير التوراة الى هذه العقيدة فقد وردت فيها عدة آيات في التلويد والاحراق - ومعظم التلويد اليهودية عبارة عن صفائح معدنية او حلق او جلود او عصايت من الرق كتب عليها اسم المولى او آية من التوراة وبعضهم يأتون من جذع بعض الاشجار - حبات قمح وضعت في كيس جلد يملأ في عتق الاطفال او الحيوانات على حسماء ويلبس البلقون من الاسرائيليين تلويد على صفة خواتم -

وقد شاع استعمال التلويد بين اليهود منذ القرن الاول الى القرن السابع الميلادي - وكان الرومان واليونان يعتقدون كبناء اسرائيل بتأثير التلويد ولا ظهرت النصرانية - لم يكن من تأثيراتها الا انها حلت مجرى الخرافات وحلتها بالاسم والاعمال فلعن الناس يعتقدون بالابوتات والصور والتماثيل وبعض المعابد كما كان البشر يعتقدون من قبل بتأثير بعض النباتات او بعض المغاور الالهة بالجن

اما الشرق الاقصى فقد فاق الشرق القريب والغرب باعتقاد اهل التلويد - فالعبيون والهنود اعتقدوا ولا يزالون يعتقدون بتعبها واقتبسها البراهمة والطوسيين والبيديون واهل اسوها غيرهم من النحل والملل - ولشعوب الهند الصينية كالخمرين والشين والاناهايين من امترنجوايه من الامم الراقية اصاليب كثيرة من التلويد والهند نوع من الخرز يزعمون انه يقي حملته من كل سوء ويذهب كل خير وللانبيس والصينيين نوع من البطانات يكتبون عليها كلمات او الغازا ويحملونها في الاعناق مودة كما انهم يستعملون الانواط والاقراط القمعية والقضبة واظافر الثور وغيرها لمنع الارواح الشريرة جاء الاسلام وهو آخر الاديان وفيه امور من اليهودية والنصرانية ولم ينسرها له من

غيره ان يخلص من عدوى سرعة الاعتقاد فاستقال العامة بان اقرهم على بعض معتقداتهم على نحو ما فعلت النصرانية . وربما كان الاسلام على سذاجة المملوءة بالتفوى والنفع أكثر الاديان تسامحا في معنى التعاويذ وذلك لانه انتشر بين شعوب شرقيين تأهلت فيهم الخرافات منذ القدم . ولم يأت الاسلام غير توحيد صورة التعاويذ انظاهرة بعض الشيء عند جميع الشعوب الاسلاميه

تعاويذ المسلمين في الشرق الانصبي تكاد تكون كلها عبارة عن سور من القرآن او حكايات لا يفهم لها معنى . تكتب على الورق او القماش او على نصل او صحيفة من معدن ويستعملون في كتابة هذه لاحراز ماء الزعفران او الكرم او ماء الورد او ماء الازهر وتساخ الاايو والجاويون فاذوا به يعملون الحبر الافرنجي

ومن التعاويذ ما ينفع في جميع حالات الحياة فنما للوباء والمرض والحريق والسحر ومنها ما يلبس الغزاة في حروبهم والنساء الحبلن او لحفظ ما هن من ولد ومنها ما يزل المطر ويفتح الكنوز ويحرس الحيوانات ومنها ما يبيق من فرص التهاب ونقيق الضفادع . اما عدد ما يحمل منها فواسع الى ذوق الشخص وكذلك يضعها في جميع اطراف بدنه موقعا او دائما ومظمم التأليف الموضوعة فيهن الرقة والتعاويذ من تأليف افانس من سبلي افريقية واكثر ما يصول عليه بين المغاربة والمشارقة كتاب شمس المعارف واطائف المعارف ولهذا الكتاب عندم حرمة تكاد تقرب من احترامهم الكتاب العزيز منهم لا يمسه الا مطهرين .

وشاع استعمال التعاويذ بين العرب والترك ومسلمي افريقية الشامية والشرقية والفرس وهم مكثرون منها وشعوب الاايو والبولينيزيين وسكان مدغسكر . والايو وهم من شيعة أكثر الشعوب الاسلامية اغراقا في استعمال التعاويذ . وكذلك الحال عند البركو بين والماكاريين في سيليب والاثثينوا والباتاين في سحومطر والفاياكيين في بورنو والتاكاين والبيزين في جزائر فيلبين



# المقابر

رجب سنة ١٣٢٧

## نخب الذخائر

### في احوال الجواهر

اشتهر ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ابراهيم بن مساعد الشنجاري المصري بن الأكناني بشألفه الجيدة وهو من اهل القرن الثامن توفي بالطاعون سنة تسع واربعين وسبعائة وكان طبيباً بمصر ومن مؤلفاته كتاب كشف الغين في احوال العين وشرحها وقاية العين لنور الدين علي المناوي وعمية اليب في غيبة الطبيب ونهاية القصد في صناعة القصد والنظر والتحقيق في تقلب الرقيق ونخب الذخائر في احوال الجواهر وارشاد القاصد الى اسنى المقاصد وبضم زاد عليها وبماها الدر النظيم في احوال الملوك والتعليم • وكتاب ارشاد القاصد طبع مرتين في القاهرة وببيروت وهو من كتب التعليم المهمة على صفر جمعه ولكن المصنفات بفوائدها لا يحصونها •

وكتابه نخب الذخائر واخرى به ان يسمى رسالة فضل باهائه للمفتي محمود شكرى افندي الآلوسي عالم العراق الآن فلعيننا ان نضمه الى صدر المجلة لينتفع به القراء • اما هذا الموضوع فقد الف فيه عدة كتب كما يفهم من عبارات المصنف ومن الكتب المؤلفة فيه كتاب الجواهر في معرفة الجواهر لابي الريحان البهروني الفيلسوف المشهور الفه لذلك المعظم ابي التقي ومنه نسخة في مادريد ومنها ازهار الافكار في جواهر الاحجار لشهاب الدين ابي العباس احمد بن يوسف التيفانسي المتوفي سنة ١٠٦٥ • واليك نخب الذخائر :

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول المبد الفقيه الى الواحد الباري . محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري .  
الحمد لله كفاً فضاله . والصلاة على سيدنا محمد وآله . ( وبعد ) فهذا كتاب  
نظم فيه خلاصة كلام الاقدمين والمتأخرين . من الحكماء المعتبرين . في ذكر  
الجواهر النفيسة باصنافها وصفاتها ومعادتها المعروفة . وتيمتها المشهورة المألوفة . وخواصها  
ومتانها باوضح لفظ . واصح معنى . ووسمتها بنخب النخائر في احوال الجواهر .  
وجانبت فيه الاطناب . وميزت فيه القشر عن اللباب . والله اسأل ان ينفع به  
محمد وآله .

### القول على الياقوت

اصنافه اربعة الاحمر وهو اعلاها رتبة واغلاها قيمة والاصفر والازرق والايض  
واللاحمر سبع مراتب اعلاها الرماني ثم البهرماني ثم الارجواني ثم الحمي ثم البنفسجي  
ثم الجلثاري ثم الوردي . فالرماني وهو الشبيه بحب الرمان الفض الخالص الحمرة  
الشديد الصبغ الكثير الماء ويوجد لونه بان يقطر على صفحة فضة مجلاة قطرة دم قرمز  
اعني من عرق ضارب فلون تلك القطرة على تلك الصفيحة هو الرماني والبهرماني يشبه  
بلون البهرماني وهو الصبغ الخالص الحاصل عن المعصر دون زردج ومن الجواهر بين  
من يفضل البهرماني على الرماني والتميز انما هو بشدة الصبغ وكثرة المائية والشعاع  
ومنهم من يقول ما شيء واحد وانما اهل العراق يقولون بهرماني واهل خراسان  
يقولون رماني فالخلاف لفظي والارجواني ايضا شديد الحمرة . وقيل كان الارجواني  
لباس قياصرة الروم وكان محظوراً عن السوق الى زمن الاسكندر فانه انتفى رأيه  
ان لا يختص الملك بلباس يعرف به فيقصد . ومنهم من يسمي الارجواني الجري  
بالجم تشبيهاً بالجر المتقد وصحفه بمضهم بالنجري وكان النجيري هو البنفسجي . واما  
الحمي فهو دون الارجواني في الحمرة يشبه ماء اللحم الطري الذي لم يشبه ملح  
والبنفسجي يشوبه كبة تخرج عن خالص الحمرة وهو لون البنفسج المعروف بالماذني .  
واما الجلثاري فيشوبه بعض صفرة والوردي يشوبه يياض وهو انزل طبقات الاحمر .  
واجود هذه الالوان كلها ما توفر صبغه وماؤه وشعاعه وخلاصه عن النمش  
وعن الحرملات وهي حجارة مختلطة به وعن الرثم وهو وسخ فيه شبه الطين . وعن

التفت وهو كالصدع في الزجاج إذا صدمت يمنع نفوذ الضوء والاشفاق . وهذا قد يكون أصلياً وقد يكون عارضاً . ومن عيوبه أيضاً اختلاف الصبغة فيشبه البقعة ومنها غمامة بيضاء صدفية تنصل ببعض سطوحه فإن لم تكن عائرة ذهبت بالحك وإذا خالط الحمرة لون غيرها يزول بالحكي بالنار بتدريج وتبقى الحمرة خالصة ولا يثبت على النار غيرها ومعنى زالت الحمرة بالحكي فليس يياقوت .

ومعدن الياقوت يجبل يسمى الراهون في جزيرة سرنديب . وفي سيلان ومكران معدن الياقوت الاصفر والازرق وتحت جبل البرق معدن الياقوت الاحمر والياقوت اصلب الجواهر . ولا يصدشه منها الا الماس ولا يتجلى بمخشب العشر الرطب وإنما يسوى بالسبذاج . ويحلى على صفيحة نحاس بالحزج المكلس والماء وهو اشد الجواهر صقلا وأكثرها ماء . وشعاعه في الليل في ضوء الشمع احمر وشعاع البلخش ونحوه ابيض . وذكر القدماء ان قيمة المثقال القاتق من الياقوت الاحمر ثلاثة آلاف دينار . واما في الدولة العباسية فان الغالب من قيمته ان الجيد منه اذا كان وزن طسوج يساوي خبصة دنائير واضعفه عشرين دينارا وسدس مثقال ثلاثون دينارا وثلاث مثقال مائة وعشرين دينارا ونصف مثقال اربعمائة دينار والمثقال بالف دينار والمثقال ونصف بالثي دينار هذا ما تقرر في ايام المأمون مع كثرة الجواهر في ذلك الزمان . والمثقال من البهرماني بثلاثمائة دينار ومن الارجواني بمائة دينار ومن الجلتاري بمائتي دينار ومن الصمي بمائة دينار والبنفسجي يقاربه والوردي دون ذلك وكان في خزانه يمين الدولة ياقوتة شكلها شكل حبة الصنب وزنها اثنا عشر مثقالاً قومت بعشرين الف دينار وكان للفتندر فصاً يسمى ورقة آلاس لانه كان على شكلها وزنه . مثقالان الاشعيرتان اشتراه بستين الف درهم . واما في هذا الزمان فان قيمة الياقوت وسائر الجواهر زادت كثيراً .

واما الياقوت الاصفر فاعلاه ما قارب الجلتاري وبعده الشمشي وبعده الانرجي وبعده التبي وبلغت قيمة الاصفر الجيد المثقال مائة دينار . واما الازرق ويسمى الاكهب فاعلاه الككلي ثم النيلي ثم اللازوردي ثم السامي . وكان في القديم قيمة الجيد من الازرق عشرة دنائير المثقال وما زاد فتزداد قيمته باضمان ذلك . واما الابيض فانه يحمل من سرنديب ويكون رزينا بارداً في الفم واجوده البلوريس انكثير الماء وهو اقل قيمة من سائرهما .

قال ارسطوطاليس للمزاج سائر اليواقيت حار يابس واذا علق في من اي  
اصنافه كان على انسان اكبه مهابة في اعين الناس وسهل عليه قضاء حوائجه ودفع  
عنه شر الطاعون . وقال ابن سينا ان خاصيته في التفرج وتقوية القلب ومقاومة  
السموم عظيمة . وشهد جمع من القدماء انه اذا امسك في الفم فرح القلب . وقال  
النافقي وغيره انه ينفع قح الدم ويمنع جموده تعليقاً . وقال ابن زهر ان شرب  
سحبه ينفع الجذام وان التخم به ينفع حدوث الصرع . وقال ابن وحشية من علق عليه  
الياقوت الاحمر اتسع روقه وتصرفه في المماش . وفي زماننا هذا حجر نفيس يعرف  
بصين المرثية اباها كان فيه زئبق يتحرك يتغالي فيه الملوك والامراء . ويقال انه  
من اصناف اليواقيت ويظهر من معانها . وقيته اذا كان فائقاً وزنه نحو نصف  
مثقال الف درهم فافوقها . يقال انه وقاية لعين المحدور .

### القول على البلخش

ويسمى اللؤلؤ بالقرصية وهو جوهر احمر شفاف مسفر صافي يضاهي فائق الياقوت  
في اللون والرواق . ويخاف عنه في الصلابة حتى انه يمتك بالحصادات فيحتاج الى  
الجلاء بالمرقشيشا الذهبية وهو افضل ما حل به هذا الجوهر ومنه ما يشبه الياقوت  
البهرمانى ويعرف باليازكي وهو اعلاها واغلاها . وكان يباع في ايام بني بويه بقيمة  
الياقوت حتي عرفوه فنزل عن تلك القيمة وقرر ان يباع بالدرهم دون المثال تفرقة  
بينه وبين الياقوت . ومنه ما يميل الى البياض ومنه ما يميل الى البنفسجية وهما دون  
الاول ومعدنه بالشرق على مسير ثلاثة ايام من بدخشان . وهي له كالباب ومنه  
ما يوجد في غلف شفاة ومنه ما يوجد بغير غلاف وشبهه منه ما يزيد وزنه الى  
المائة درهم وكانت قيمته في القدم عن كل درهم عشرين ديناراً وربما زاد عن ذلك  
وليس لهذا الجوهر منفعة كالياقوت بل يشتري لحسنه .

### القول على الجادي

ويعرف بالبنفش وهو حجر يشبه الياقوت بعض الشبه الا انه لا يضيء غالباً حتى  
يلقى من تحته بالحجر البش من البطان وشبه ارسطوطاليس لونه بتار يشوبها دخان  
ومنه ما يجلب من سرنديب وهو ارفع طبقاته ويعرف بالماذني . ومنه ما يجلب من  
بدخشان ومنه ما يجلب من بلاد المغرب ويعرف بالقروزي . ومنه ما يجلب من بلاد



الاقريقية ومنه صنف يشوبه صفرة خلوية ويفرق بالاسبادشت ولا يوجد في انخراساني منه ما يكون وزنه نصف من .

اما السه تدبي فانه لا يتجاوز مقدار الياقوت بكثير وزن . وقيل ان الجيد منه يلتقط زنجب الریش المتوف و يبلغ قيمة الدرهم منه ديناراً واحداً . قال ارسطوطاليس ان من تختم بوزن عشرين شعيرة منه لم يرف في مثله احلاماً ردية ومن ادمن النظر اليه تقص نور عينيه وقال ابن ابي الاشعث لبسه يورث اغلياء ويحرك الشبق . واما الاسبادشت فانه يقطع الرعاف وتزف الدم تليقاً اذا كان وزنه نصف مثقال فما فوقه .

### القول على الماس

هو جوهر يشبه الياقوت في الرزاة والصلابة وعدم الانفصال عن الحديد وقهره لغيره من الاجمار وهو شفاف فيه ادنى بريق ويوجد فيه الالبيض والزيقي والاصفر والاحمر والاخضر والازرق والاسود والفضي والحديدي واشكال الماس كلها مخرسة مخروطية ومثلثات من غير صنعة والمند تفضل منه الالبيض والاصفر بسبب ما يظهر منهما من الشعاع الاحمر بقوس قزح اذا اقبيا في مقابلة عين الشمس . واما اهل العراق وخراسان فلا يفرقون بين الواته لانهم انما يستعملونه في ثقب الجواهر خاصة ومعدنه بقرب معدن الياقوت . وله معدن بقرب غزته ومعدن بمقدونية من بلاد الروم ولونه كلون النوشاذر . ومعدن باليمن وهو حديدي اللون ومعدن بقبرس وهو فضي اللون رخو . ومن غريب حال الماس انه اذا طرق بمطرقة على ستدات نكاً فهما ولا يتكسر واذا لفت في صحيفة اسرب يضرب انكسر . وغالب ما يوجد منه قطع صغيرة بقدر الفلفل وغیره . وكان قيمة هذا قديماً المثلث بمائتي دينار وما كان بقدر البندق او قاربه فيكون قيمته من ثلاثمائة الى خمسمائة دينار .

وحكي نصر الجوهري ان من الدولة بين بويه الديلمي اهدى الى اخيه زكن الدولة من الماس فصاً وزنه ثلاثة مثاقيل ولم يسمح باعظم منه . واخبرني السيد الشريف ناصر الدين الترمذي انه رأى عند السلطان قطب الدين ملك الهند من الماس الجيد الجليل القدر شيئاً كثيراً جداً ولملهم لا يسمحون بخروج جوده من ارضهم لانهم يتيمانون به . قال ارسطوطاليس الماس بارد يابس سيف الرابطة ينجب به الياقوت وسائر الاجمار العلية ومعنى كان في بحري البول خصصة فتلصق شبة من هذا الحجر

في حديدية كالقنابلير ثم يدخل في القضيبة لتماس الحصة فتفتتها ولا ينبغي ان يدخل  
الغم فانه يكسر الاسنان وانت اجتمع منه شيئاً فربما قتل .  
القول على الله واللولو

الحيوان الذي يتولد فيه اللولو هو بعض الاصناف وهو دقيق القوائم ترجع فتح  
بارادة منه وينضم كذلك ويمشي اسراباً ويزدحم على المزعى واختلفوا في تولده في هذا  
الصدف فمنهم من قال انه يتكون فيه كما يتكون البيض في الحيوان البياض ذكر ذلك  
جمع من المحققين . وقيل بل يطلع الى سطح البحر في شهر نيسان وينفتح الصدف  
ويبقى المطر فينمقد حياً ذكره نصر الجوهري وكثير من الناس واقول عند التدقيق  
لا تضاد بين القولين لجواز ان يكون تكون اللولو في صدغه كتكون البيض ويكون  
قطر نيسان له بمثابة النطفة .

وقال النكتندي ان موضع اللولو من هذا الحيوان داخل الصدف وما كان منه مما يلي الغم  
والاذن فهو الجيد منه وقالوا ان الحب الكبير انما يتكون في حلقومه ويزداد الكثاف القشور  
عليه والدليل على ذلك انه يوجد طبقات والداخل منها شبيه بالخارجة وكلها شبيهة باطن  
الصدف وله مفاصل مشهورة في البحر الاخضر . يوجد في مجازات بين تلك المفاصل  
وبين تلك السواحل . ومن المفاصل المشهورة مفاصل اول البحرين ومفاصل دهلك  
والسرين ومفاصل الشرجة باليمن ومفاصل القزم بجوار جبل الطور ومفاصل غب  
سرندب ومفاصل سفالة الزنج ومفاصل اسقطرة . وقد يتفق في بعض المفاصل مانع  
من الغوص كالحيوانات المؤذبة التي في مفاصل القزم . ولهذا يدهن الغواصون عند  
الغوص ابدانهم باليعة السائلة لان الهوام البحرية لا تقربها .

ويختلف اللولو باختلاف المفاصل من جهة تربة المكان وغذاء الحيوان كما  
تقلب الرصاص على اللاكي القلزية والدهلكية والوقت الذي يغاص فيه هو من اول  
نيسان الرومي الى آخر شهر ايلول وفي ما عدا هذه المدة يسافر هذا الحيوان من  
السواحل ويلجئ ويختلف اللولو بالمقدار فنه الكبار والصغار وما بين ذلك واعظم  
ما وجد منه اليتمية التي كانت عند عبد الملك بن مروان ذكر انها كان وزنها ثلاثة  
مناظيل وكانت مع ذلك حائزة لجميع صفات الحسن مدرجة تقيّة رطبة رائقة ولذلك  
سميت اليتمية ولم يذكر عنها قيمة لكن ذكر الاخواني الرازيان انها شاهدة في خزانة  
الامير بين الدولة حبة ذات قاعدة وزنها مثقالان وثلاث وانها قومت بثلاثين الف

دينار . ويختلف اللؤلؤ ايضا من شكله فنه المدجرج ويعرف بالعيون واذا كثرت استدارته وماءه سمي نجاً . ومنه المستطيل الزيتوني ومنه الفلامي وهو المستدير القواعد المحدد الرأس كأنه مغروط ومنه الفلكي المفرطح ومنه القوطني واللوزي والشعيري . ومنه المصري وهو دونها شكلاً . ويختلف اللؤلؤ ايضا من لونه فنه للبي البياض ومنه الرصاصي ومنه العاجي وصفته غالباً في حساب المرض له واذا فاز وطال زمانه اسود . واللؤلؤ سريع التغير لانه حيواني بخلاف الجواهر المعدنية اذ ان اعمارها لا تني بتغير اكثرها . ويثقب هذا الحب لانه يزداد بحسن التأليف في الا حبات وروثاً وقيمة وانما ينقب بالماس فلذلك لم يستعمل الاطباء في الادوية النظم البكر غير المنقوب .

والقيمة عن الدر في القديم النجم اذا كان وزنه مثقالاً كانت قيمته الف دينار واذا كان وزنه ثلثي مثقال كان قيمته خمس مائة دينار واذا كان وزنه نصف مثقال كانت قيمته مائتي دينار واذا كان وزنه ثلث مثقال كانت قيمته خمسين ديناراً واذا كان وزنه ربع مثقال كانت قيمته عشرين ديناراً واذا كان وزنه سدس مثقال كانت قيمته خمسة دنانير وثلث مثقال قيمته ثلاثة دنانير ونصف سدس مثقال قيمته دينار واحد . والفلامي بالنصف من قيمة النجم وما عداها بالنصف من قيمة الفلامي . واما ما زاد على وزن مثقال فيزداد لكل قيراط في الوزن مائة دينار في الثمن الى ان يبلغ مثقالاً ونصفاً ثم يزداد لكل دائق في الوزن خمس مائة دينار في الثمن الى ان يبلغ مثقالين وما زاد عليه يتضاعف قيمته . واما الآن فالقيمة على قياس الجواهر متضاعفة لكثرة الرغبات من ملوك مصر في اقتناء الجواهر النفيسة . واما صفاره فيالدرم يقوم . وخاصة اللؤلؤ المنفعة من خفقان القلب وتوحشه ويجلو العين ويزيد في الباه ويقطع نزف الدم وشرته درم والحلول منه يذهب الهوى والبرص والكلف والنمش طلاء ويبري الصداع والشقيقة سوطاً . وصفته حله ان يسحق ويحجم بماء حماض الاترج ويعلق في دن فيه خل بحيث يرتقي اليه بخار الخل فانه يتحلل في ثلاثة اسابيع وهو يابس في الدرجة الثانية بارد في الاولى وقيل حار فيها لطيف جداً .

قال نصر الجوهري : اذا ذهب ماء اللؤلؤ وكدر فينبغي ان يودع اليه مشروحه وتلف الالية في عجين مختمر ويجعل في كوز ويحصى عليه فاذا خرج دهن بالكنفور . وقال ابو الريحان البيروني ان ما كان تغيره من قبل الطيب فيصل في قدح مطين فيه

صابون ونورة غير مطبقة جزآن متساويان ويصب عليه ماء عذب ويخل بخر ويغلى في نار لينة ولا يزال ترفع رغوة الصابون وترعى بها إلى أن تنقطع ويصفو الماء في القدح وبعد ذلك يخرج اللؤلؤ ويغسل . وإن كان التغير في اديمه إلى السواد فينقع في لبن الثين أربعين يوماً ثم ينقل إلى قدح فيه محلب وكافور وخروج اجزاء سواء ويوضع على نار غلي مقدار ساعتين بدون نفع عليها ثم ينعى . وإن كان السواد في باطنه طلي بشمع وجعل في قدح مع حمض الاترج ويبدل عليه كل ثلاثة أيام وتدام - فنجفته حتى يبيض . وإن كان في اديمه صفرة نفع في لبن الثين أربعين يوماً ثم نقل إلى قدح فيه قلي وصابون وبوري بالسوية ويفعل فيه كما يفعل بالاسود . وإن كانت الصفرة في داخله جعل في محلب ومشمم وكافور متساوية الاجزاء مدقوقة ثم تلف فوقها عجين وتوضع في مفرقة حديد وتنمر بدهن الاكارع وتغلى غليتين ثم تخرج . وإن كانت احمر غلي في لبن حليب ثم طلي باشتان فارسي وشب يمانى وكافور اجزاء متساوية تدق ناعماً وتجن بلبن حليب ويغلى به طلياً غليتين وتودع جوف عجين قد عجن بلبن حليب ويخز في التنور . وإن كان رصاصياً نفع فيه حمض الاترج ثلاثة ايام ثم يغسل بماء البيض ويحفظ من الريح بالقطن . وذكر غيرها في تبيض الفاسد ان يلقى في خل ثقيف مع حبشين نكار وقيراط نوشادر وحبة بوري وثلاث حبات قلي مسحوقة وتغلى في مفرقة حديد ثم ترفع المفرقة عن النار وتوضع في ماء بارد وبذلك فيه يملح اندرائي مسحوق ناعم ثم يغسل بماء عذب ولا يبعد ان هذا العمل ينزع عنه قشره الاعلى او يصفه والتجربة خطر .

#### القول في الزمرد

الخضرة ثم اصنافه كلها وافضلها ما كان مشبع الخضرة ذا رونق وشماع لا يشوبه اسود ولا صفرة ولا نمش ولا حرمليات ولا عروق بيض ولا نقوت . وليس يكاد يخاص عنها ودونه الريحاني الشبيه بورق الآس الرطب ودونه السلبي الشبيه بورق السلق الطري واهل الهند والصين تفضل الريحاني منه وترغب فيه . واهل المغرب يزغبون لما كان مشبع الخضرة وإن كان قليل الماء ويزداد رونقاً اذا دهن يربت بذر الكتان . واذا ترك بدون دهن يذهب ماؤه ويجن بالمعيق المحدث فان خدشه فهو من اشباه الزمرد ومعدنه يسفح جبل قرشدة من ارض الجيزة بصعيد مصر الاعلى واكبر ما يظهر منه خرز مستطيلة ذات خمسة اسطحة ويسمى اقصاباً وثقبه يشبه

بمكس اللؤلؤ وظهر في زماننا هذا من هذا المعدن قطع لم يسمع بمثله في العظم ما يقارب زنة من ونحو ذلك . والمشهور ان الدهم يكثر الزمرد اذا ماسه فيذهب روثقه وهو الآن بدون القيمة التي كانت في القدم بخلاف سائر الجواهر وما ذلك الا لكثرة . فان ابا الريحان البيروني حكى ان زنة نصف مثقال من الجيد منه يساوي الف دينار وقيل ان منه صنفا يعرف بالذبالي لانه يشبه القباب الطاويز التي تكون في المروج وان من خاصية هذا الصنف ان الافاعي اذا نثرته تسيل ابيها وتا الى الآن لم ار هذا الصنف ولكنني امتنعت الريحاني والحق في هذا الامر فلم يصع ولا تفتد اعين الافاعي وخاصية الزمرد النفع من السموم المشروبة ونفس الافاعي ولدغ العقارب . يؤخذ من سمومه تسع شعيرات ويجد شارب في بدنه رجما عظيما وانحلالا في قوته ثم يفتح وقد انتفع وبوقف العجز في ابدائه ويقطع الاسهال المزمن ونفث الداء شربا وتعليقا ويقوي المعدة ويغمر امعاء تملينا وامساكه في الفم يقوي الاسنان والمعدة وان على غلظ المطانة اسرعت الولادة وادمان النظر اليه يجلو البصر ويحده وطبعه بارد يابس .

#### القول في الزبرجد

هو صنف واحد فسني اللون شفاف لكنه سريع الانطفاء لخاوته وقيل ان معدنه بالقرب من معدن الزمرد ولكنه مجهول في زماننا هذا ومع ذلك فقيته نحو قيمة البشش وطبعه حار يابس وتقرب منافعه من منافع الزمرد ويدفع شر العين .

#### القول في الفيروزج

معني اسمه بالفارسية الصبر ولذلك يسمى حجر الفلبة ويسمى ايضا حجر العين لان حامله يدفع عنه شرها والمشهور عنه انه يدفع الصواعق وهو حجر ازرق اصلب من اللازورد يجلب من اعمال بيسابور . وكلما كان ازلب فهو اجود واختار منه ما كان من المعدن الازهري والبوسحاقي لانه مشبع اللون صقيل مشرق . ثم اللبني المعروف بشير قام . ثم الاسمانجوني الفضي . قال ابو الريحان اعظم ما وجد من الفيروزج وزن مئة درهم ولم يوجد من الخالص منه غير المختلط بشيء غيره الا وزن خمسة دراهم . وبلغت قيمته مائة دينار قال الكندي وقد كرمه قوم بسبب تغذيه بالهصر والقيم والرياح وتصغير الروائح الطيبة له واذهب الحام لمائه وامانته بالزيت وكما انه يموت بالزيت كذلك يحيى بالشحم والالية يبالغ بان يحصل في ايدي القصابين . قال ابن زهر

ان الملوک تعلم هذا الحجر لانه يدفع البتل عن صاحبه ولم ير في يد قتيل قط ولا في يد غريق وذا شرب منه نفع لدغة العقرب . وقال الساقبي انه بارد . يابس . وقال ديسقوريدس انه يقبض تنو الحدة وينفع بثرها ويجمع حجب العين المخرفة . ويجلو الفساق . وقال ارسطوطاليس انه ينقص من هبة حامله . وذكر هرمس انه اذا نقش عليه صورة طائر سيه فله سمكة وجعل سيه خاتم وتحتته شيء من حصي الثعلب ويكون القمر وعطارده في الثور فان حامله يقوى على الجماع وتزداد شهوته له . وقال ابن ابي الاشعث انه يقوى القلب الا انه دون الباقوت . ووجدت نقلاً عن بعض الاطباء انه اقوى في تقوية النفس من سائر الاحجار .

#### القول على البلور

يجلب من خزائن الزئبق ومن كشمير ومن نواحي بدخشان وله معدن ببدليس ومعدن بارمينية ويجلب ايضا من سرنديب ومن بلاد الفرنجة ومن المغرب الاقصى ومنه ما ياتقط من البوادي . وقيمته بحسب ما يمل منه من الاواني وحسن صنعها ووجد منه قطعة زنتها مائة رطل بالعراقي وافضله المستنيط من بطن الارض ويكون ساطع البياض كثير المائبة . رزقا صلبا يمحى بقدر منه النار ويخدش كثيرا من الجواهر بخلاف الملتقط من ظاهر الارض ومن خاصيته انه من علقه عليه لم ير مناما يفزعه ورأى احلاما حسنة وينسى منه مثقال بلبن الاتن لاصحاب السمل فينتفعهم وينفع الرعدة تعليقاً .

#### القول على الخنز

ويقال جمست هو حجر يشبه الباقوت البنفسجي واعلاه ما غلبت عليه الوردية ومعدنه بقرة الصفراء بالحنجاز . ويوجد مغشى ببياض كالثلج على وجهه حمرة ووجد منه قدر الرطل واكثر ينفع وجع الماسدة تعليقاً والشرب بانيتة يطبخ بالسكر وقيمته رخيصة .

#### القول على الذهب

هو حجر رخو شديد الخضرة تلوح فيه زنجارية وفيه خطوط سود دقاق جدا . وربما شابه حمرة خفيه ومنه طاوسي ومنه موثى وقيل انه يصفو بصفاء الجو ويكدر بكدره ومنه افرندي وهو افضل اصنافه ومنه هندي ومنه كرماني وخراساني ومنه كركي ومنه معزل والمهند ترى انه ضرب من التوتيا ويكون رخواً وقت اخراجه من

معدنه ثم يزداد صلابه . وقال ارسطوطاليس ان شرب منه شارب السم نفعه وان شرب منه من غير سم كان ممّا . وقد وثق عامة الناس من الفرندي انه يعجلى ابيض العين جلاء حسناً .

### القول على الشب

ويقال يشم منه محبوب من بلاد الترك والوانه ابيض واصفر وزهني وهو افضلها . ومنه مستخرج من ناحية ختن من واديين يسمى احدهما فاش ويستخرج منه ابيض فائق ويسمى الآخر واقاش والمستخرج منه كدر . وربما خرج منه شيء اسود ولا يوصل الى معدنه وانما السيل يخرجة والقطع الكبار للكل والصغار للرعية والترك . واهل الصين تفخذ منه مناطق وحلية للسيوف والسروج حرصاً على القلبه وزعموا انه يدفع الصواعق وجرب من الاصفر والزهني انه ينفع ويجمع المدة تعلقات عليها وينفع اوجاع الاحشاء .

### القول على الفازدهر

ويقال بازهر ومنه معدني ومنه حيواني والمعدني منه ابيض واصفر واخضر واغبر ومكث وهو افضلها ومعدنه بالمد والصين والخالص منه اذا اُلقي من سحالة نبي في لبن حليب جمده ويعرق في الشمس وهو نافع من جميع السموم ومقدار ما يشرب منه اثنا عشر شعيرة فيخرج السم بالعرق من الجسد . واذا وضع على لسع العقرب او الزنبور نفع نفعاً بينا واذا انثرت سحالة على موضع اللسع اجتذبت السم منه وجرب انه اذا نقش في فص منه صورة عقرب والقمر في العقرب في احد اوتاد الطالع وركب على خاتم ذهب وطبع به والقمر في العقرب على درهمين كندر ممضوغ فانه يشفي من لسعة العقرب شرباً . واما الحيواني من البازهر فانه يتولد في مهاير بعض الايايل بارض شنكاره من جبال شيراز كما يتولد حجر البقر في مريها واكثره بلوطي الشكل لونه بين الخضرة والغبرة ويتراكم طبقات بعضها فوق بعض في المسن من هذا الحيوان حتى يبلغ زنة البلوط منه عشرة مثاقيل مع خفته وهو جوهر شريف يقاوم سائر السموم شرباً اذا شرب منه من دانق الى نصف درهم يسحل على المسن بالماء القراح وسحالة الخالص يبيض وربما تميل الى حمرة خفية والمغشوش منه سحالة تميل الى خضرة او صفرة واذا تقدم انسان باسعماله على سبيل الاحتياط . وشرب منه في اربعين يوماً متوالية كل يوم وزن دانق لم يضره ما يورد على بدنه من السموم وينفع المجرمين نفعاً

بليقا ويجلو رياض العين والكاف والنش جلاء . وحيا ويحل مغل الدواب وامسر  
بونها مريعا .

### القول على الخرتوت

ويقال خنوقال ابو الريحان البيروني هو حيواني يقال انه يؤخذ من جبهة ثور  
يكون في نواحي بلاد الترك بارض خرخيز . وتيل بل من جبهة طائر عظيم يسقط في  
بعض تلك الجزائر وهو مرغوب فيه عند الترك واهل الصين يزعمون انه يبرق اذا  
قرب من طعام مسموم . قال الاخوان الرازيان خيبره المقرب الضارب من الصفرة الى  
الحمرة . ثم الشمشي . ثم الضارب الى الكهوبة وكان في القدم ما كان وزنه مائة درهم  
فقيمه من مائة دينار الى مائة وخمسين دينارا . وجرب من دخلت بجوفه انه ينفع  
البواسير نفعا بليقا . وليكن هذا آخر هذا الكلام في هذا الكتاب واقتصرت على ذكر  
هذه الجواهر لانها النفيسة التي تدخرها الملوك والاكابر وتحتل بها الفواني . ومتافعها  
جلية ولم اخل في القول بكيفية تولدها لعدم الفائدة في ذلك ولا ذكرت ما يلحق بها  
مثل المرجان والسبح ونحوها لتزول رتبها عن هذه الجواهر النفيسة . وقد آن ختم  
الكتاب بحمد الله تعالى والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وآله وصحبه الطاهرين  
وحبنا الله ونم الركيل .



## المطبوعات العربية

كان اول كتاب عربي، مثل الطبع في القرن الخامس عشر ليلاد فيرومية العظمى  
كرمي البابوية فطبع على ذلك العهد امهات من الكتب النافعة كاسفار ابن سينا  
وغيره . وعني الطابعون بتصحيحها ومعارضتها على اصول وقمت اليهم فدلوا بذلك على  
ان حب الائتاف واختيار الاجود تكاد تكون غريزة في الغرب ثم انصرفت الرغبة  
في اوروبا الى تعلم لغات الشرق ولا سيما العربية فطبع المستشرقون من الفرنسيين  
والالمان وال هولانديين وغيرهم كتباً جلية لنا وبدلوا مجهودهم في تصحيحها ووضع الفهارس  
والمعاجم لها والدلالة على ما فيها من قوائد واوايد وشوارد . وكل هذه المطبوعات على  
بسم الحروف التي كانوا يستعملونها في مطابعهم كتبت على غاية من جودة الورق



ومثاقه وجمال الوضع والشكل .

ولما دخل الطبع الى البلاد العثمانية سنة ١١٣٥ هـ تأسست في اسكدار إحدى احياء الاستانة اول دار للطباعة كان في جملة المطبوع من الكتب العربية بعض كتب دينية وبينها بعض الكتب العلمية والتاريخية الا ان الطباعة لم تكن على الانفاق المطلوب والعناية بالتصحيح كانت دون عناية الاوربيين بكثير اما الفهارس والتبويب فلم يحفلوا بها لما يحتاج وضعها اليه من طول النفس وسعة الصدر وكثرة العلم .

ولما قام محمد علي الكبير في القطر المصري واليا عليها واراد ان يجعل لها شأنًا في الحضارة لتدخل في عداد البلاد الراقية كان مقامه به تأسيس المطبعة الاميرية الكبرى فشرعت تطبع الكتب المعنى بها تخيرة لها اجود الحروف واجود الورق وخيرة المصححين والنظرين . وان بعض الكتب التي نشرتها تلك المطبعة كى اوائل عهدها لا تزال الى اليوم مثال الاجادة ومنها كتاب كلستان الفارسي للمافظ الشيرازي والقاموس المحيط للفيروز آبادي .

وما برحت احوال المطبعة الاميرية عرضة للقلب والابدال على ما يكون حال الادارات والمشاريع في المشرق غالبًا تختلف سقوطًا وارتفاعًا بحسب ارادة القائم عليها وهي تطبع مع تلك الكتب القديمة التأليف الاسفار التي عني الشيخ رفاعة الطهطاوي وجماعته بتعريبها من اللغات الافرنبية ولا سيما الافرنبية لجأحت الا قليلاً النموذج الجودة شكلًا ووضعًا .

ثم اخذ بعض التجار في اواسط القرن الماضي بمحضن يفتقون المطابع ويطبعون الكتب للعكس منها فقط فوضعت لهم بعض امهات الحروف ولكننا سقيمة بالتياس الى حروف المطبعة الاميرية وزادها سقمًا ان اولئك الطابعين طفقوا يتخيرون من الورق ارداءً ويقتصدون في التصحيح حتى لقد يهدون به واكثيرهم ايمون لا يقرأون الكتاب الى اناس يماثلونهم في ضعف المدارك والعم فكانوا اذا احسنوا واجادوا يطبقون المطبوع بالحرف على ما عندهم من الاصل وربما كان في البلد على قيد نظرة منهم خمس نسخ او عشر من ذلك الكتاب كتبت في اوقات مختلفة وهم لا يقدرون انفسهم بان يمارسوا عليها فنسخهم التي يطبعون عليها وان يذبلوها كما جرت عادة الاوربيين بوضع اختلاف النسخ في اسفل الصفحات . لما التبويب والفهارس المثقنة هليس لها اثر فيما

طبعه اولئك المنجرون بفضاعة العلم .

وعلى ذاك العهد فتمت بعض المطابع في بيروت على يد بعض الجمعيات الدينية المسيحية وكان سبق لبعض الاديار في لبنان ان كان لها مطابع حجرية . طبع بعض الكتب الدينية والفقوية ومن جملتها شرح الزوزني على الملقات وهو طبع حجرى لا حرفي . فتغيرت مطابع تلك الجمعيات الكتب الدينية اولاً واجادت بعض الشيء في طبعا ثم ارتقت الطباعة الى ان اصبحت بيانة المراقبة فانقطعت الرغبات عن الطبع بل زهد الناس في تعلم العربية ورواوا ترجمهم المادي من اللغات الاجمعية اكثر وانشأ دير القنيسكان في القدس مطبعة طبع بعض كتب واكثرها في الدين ومثلها دير النومينيكن في الموصل طبع مع كتب الدين كتباً علمية قديمة وحديثة ومنها تأليف المطران يوسف داود العالم المشهور . وانشئت اذ ذاك في دمشق مطبعتان الا انها لم تطل ايامها حتى تزيد العناية باثقان مطبوعاتها على ما ينبغي . وهكذا امت فترة فحورج قرن على مصر والشام والطبع الا قليلاً بكاد يكون الموبة في ايدي اناس من العامة يرون الربح من مطبوعاتهم بالاتقصاد من التصحيح والعناية والورق والشكل ورمس السطور والكلمات بعضها فوق بعض بدون فواصل ولا تقطيع وكانت اكثر مطبوعاتهم في فروع الفقه والفنوع والكلام والزهد والخلاعة مما لغير المتأخرون وفيه من الحشو واللفو والموضوع والمصنوع ما اكثر ضرره في عقول الطالبين والمتأدبين .

ومنذ عادت الى العربية بعض نصرتها الاولى ايام هب منذ بضع سنين اناس استناروا بقبس الغرب اصبحت المطابع تستقي من طبع التأليف الساقطة وتستشير اهل الرأي في تغيير المصنفات للطبع ولو عملوا بتصالح العلماء كل حين لما اخرجوا كتباً للناس قبل بذل الجهد في تقيمه وتصحيحه واثقان طبعه ووضعه ولكن ما الحيلة وهم يعتقدون كما قلنا ان الربح لا يتيسر لهم الا بمثل هذا الاتقصاد البارد . وما اعجب الا من طابع بطبع كتاباً يكلفه الالف والالفى ليرة ثم يخل بعشرات من الليرات او بعض النسخ جائزة لمن يتقن النظر فيه . . .

اما سائر المطابع المضرية كمطابع الصحف فلم تطبع شيئاً يذكر من الكتب المهمة وان كانت اكثر سخاء من اولئك التجار في اثقان الطبع وجودة الورق وحسن التسيق . ولم نر في المطبوعات التي انتشرت في العهد الحديث اتقن واجمل واصح من

كتاب المخصص لابن سيدة تناورته بالتصحيح ايدي بعض العلماء الاخصائيين المحققين فجاء مزبداً في بابه لا ينجعل منه اذا نظر فيه عالم اوروبي كسائر مطبوعاتنا الاخيرة .  
 نقول هذا ونحن على مثل اليقين في ان ما طبع من انكتب العربية في بلادنا ما عدا بعض كتب طبعت في المطبعة الاميرية في مصر وبعض كتب لغوية اديبة طبعت في المطبعة اليسوعية في بيروت لا ثقة للمستشرقين به . وقد أكد لنا اقدم ان كل نقل يتقلد احد مؤلفيهم من كتاب عربي طبع في الشرق تسقط مكانته وان جمهوره لا يعترف بالصحة الا لكتاب عربي طبعه اوروبي ولكن هذا لا يخلو من غلو ايضاً .

اليس من العار ان تكون سيدة ابن هشام التي طبعت في المانيا اصح من الطبعة التي طبعت في المطبعة الاميرية نفسها وهي التي كنا نقرؤها الآن بجودة الطبع واختيار المصححين وقد نبغ منهم فيها امثال الشيخ نصر المهوريني وامثاله .

اليس من العار ان يطبع امرؤ القيس الطحان او ( ماكس مولر ) الالماني طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة في مصر فيخرج بجودة تصحيحه وفهارسه على ما تراه وتطبع مصر كتاباً لاحد كبار فقهاء الدين تفاخر بهم وهو كتاب طبقات الشافعية للسبكي فياً في مشعشعاً كما تشهد . نعم ان نفس تأليف ابن أصيبعة ارق وامتنع من مصنف السبكي في بابه ولكن اتقان الطبع والتصحيح والفهارس هو الذي نبكي على فقده بين اظهرنا وهو موضوع بحثنا الآن .

اي فرق بين كتاب لنا طبع مرة في اوربا واخرى في الشرق . باقكم تساوي نسخة معجم البلدان لياقوت طبع اوربا اذا قيست بالنسخة التي نقلت عنها وطبعت في مصر او كتاب الكامل لطبرد المطبوع في اوربا اذا قيس بالطبعة الثانية المصرية التي نقلت عنه فكانت الصحة تقلب عليها اكثر من الكتب التي نطبعها ابتداء .

ومن غريب امر الطابعين في مصر انهم يستعملون طبع الكتب التي تصب طابع المشرقيات من الاوربيين في احياها فيعيدون طبعها بالسقم المبرود في مطابعنا فيجيء والعين تثبو عن النظر اليها دون الطبعة الاوربية بمراحل ومع هذا يستنكف اولئك الامانة ان يسيروا الى النسخة المتقول عليها تمويها بانهم هم نافلوها عن اصل مخطوط ظفروا به وتكلفوا في البحث عنه ضرورب المشقة والنفقة كأن اولئك الفضلاء الذين لم الفضل الاكبر في احياء مآثر اجدادنا غير احرياء ان يذكروا بكلمة شكر لمعاونتهم لنا .

• وأنا لنرى حتى الآن خزائن الكتب في بلادنا طالفة بالمخطوطات من الامهات التي نحب المبادرة الى تمثيلها بالطبع على مناحي الغربيين ونرى طابعينا وكتيبينا يكررون طبع تلك الكتب المألوفة والمنتهى الفكر منهم يمد يده الى كتاب طبعه اوري في فنانى عرق القرية في سبيل نيله فيعيد طبعه مدعيه لنفسه وانه هو الذي احياه • وخزائن كتب الاسكندرية (١) وخزانة دار الكتب المصرية وحدها مملوءة بالنوادير التي لو اُحييت على الطريقة التي نحب من العناية لكان فيها الريح الجزيل والشرف الاثيل لطابعينا وناسرهم •

لو بذل ارباب المطابع في مصر والشام والاسكندرية وبغداد وتونس وفاس بعض عناية الافريين بكتبنا قبل ان يملوها بالطبع لكان عندنا اليوم من المطبوعات العربية ما تفخر الامم بكتبته واتقائه • نحن لا نقول لطابعينا ان يتأقوا ويألفوا في التصحيح كما يبالغ أكثر المستشرقين في الطبع بان يرسلوا احيانا الملازم المصفوفة حروفها من مملكة الى اخرى لتعارض على الاصل الآخر الذي هناك اول تدفع لعالم تمكن من الفن الذي جعل الكتب في موضوعه ير طبعها نظره وانما نريد بهم على السخاء المشدل في التصحيح وجعله من اريات المسائل في الطبع لا مناص من توسيده الا للعالمين به كما لا مهرب من اعطاء اجرة المنضد المرتب والطابع والمجلد لكل من اراد ان ينشر كتابا •

طبعت بعض مطابع الهند وفارس كتباً عربية كثيرة ومعظمها بالحجر سيفه موضوعات دينية من حديث وفقه وكلام ولكن بعضها على المجمة المستعكة من السن اهل تلك البلاد تكاد تكون اقرب الى الصعة والقبض من بعض ما طبعه العرب من ارباب الطباعة في هذا الشرق الادنى •

اما الآن وقد رفع الحجر عن العلم في البلاد العثمانية واصبحت كالديار المصرية في حريتها فالقرض البني على التجرين بالكتب والتمهضين شلمة الآداب والعلم ان يسارها الى استنساخ ماحوته خزائنا العامة والخاصة من الاسفار الممتة ويخذوا حذو الاوربيين في التصحيح والشكل والقواصل والتقطيع والفهارس المنوعة حتى ينفع المراجع بفوائد الكتاب لاول وهلة ويسقط على ما يريد معرفة منه بادنى نظر دون انهاك القوى في تصفحه كله على غير جدوى من اجل المشور على مسألة او اقتباس جملة •

وبذلك يرفعون العار عن الرمية الذي يشمه عنها الجاهلون فصلها فيرمون كتبنا عنها بانها مقعدة غير منسمة وان المطالعة في كتب جعلت جملة واحدة شرب من العنت واضاعة الوقت على غير طائل . واثناء السفر في باطل وعاطل .



## رسائل بلخنة<sup>(١)</sup>

وقع الينا كتاب مخطوط وقد كتب على جلده بخط حديث « لاتفن ان افهمنا » . حكمة بالغة لبعض الحكماء : لا يجد كجهد من يقدم وطنه . وقال اسكندر دوماس الفرنسي المشهور : ان الاشرار يخاصمون على النفوس الشريفة بيد انهم لا يستطيعون لها اذى فهي ( اي النفوس الشريفة ) كالصخور الصوانية تطفو عليها امواج البحر عند هبوب العواصف فتظن انها قد اغرقتها وهي قد غسلتها فتعود في نور الشمس اكثر جلاء .

وليس لهذا المجموع اسم ولا عرفنا اسم جامع ولا سنة نقله وانما الظاهر من خطه المشرقي انه مما كتب قبل الالف للهجرة وهو في ستة واربعين ورقة من قطع الربع . وفي الورقة الاولى منه صورة سؤال كتبه الشيخ الفقيه المقي ابو محمد عبد الحميد بن ابي الدنيا الى الفقيه الامام العلامة الشيخ عز الدين ابي محمد عبد العزيز بن عبد السلام رضي الله عنهما فيمن تصدى للفتيا والجواب عليها وقد استغرق السؤال والجواب ورقتين :

اما المجموع فهو رسائل لبعض البلخاء فالرسالة الاولى كتاب الفقيه المشاور ابو محمد عبد القوي في زواج ابنته الى احد الفقهاء وكتاب لابي بكر بن صاحب الصلاة الى بعض اخوانه يوصيه بالتخلف بكتبة من الفار وكتاب له الى بعض اخوانه يصف جامع قرطبة جاء فيه :

« والجامع قدس الله بعمته ومكانه . وثبت اساسه واركانه . قد كسي بردة الازدهاء . وجلي في مرض البهاء . كان شرفاته قلل في سنان . او اشر في اسنان . وكانما غربت على سمائه كل . وعلت على ارجائه حل . وكان الشمس

(١) من مكتبة وحيه افندي الكيلاني احد ادباء دمشق ووجوها .

قد خلقت فيه ضياءها . ونسجت على أقطاره اضيائها . فترى نهياراً قد احدثق به ليل . كما احدثق ببروة سيل . ليل دامن . ونهار شامس . وللذبال تألق كمنفضة الحيات . او اشارة السبابات بالتحيمات . قد اترعت من السليط ( شيرج ) كؤوسها . ووصلت بجحز الحديد رؤوسها . ونيطت بسلاسل كالجذوع القائمة . او كالشمايين العائمة . عصبت بها نفاح من الصفر . كاللقاح الصفر . بولغ في صقلها وجلانها . حتى يهت بجسنها ولا لائها . كأنما جلبت باللب . او أثمرت ماء الذهب . ان ساميتها طولاً رأيت منها سباتك عبيد . او قلائد زبرجد . وابن جنتها عرضاً رأيت منها افلاكاً ولكنها غير دائرة . وبجوما ولكنها غير سائرة . تتعلق تعلق القرط من الثفري . وينبسط شماعها بسط الادم حين ينرى . والشمع قد رفعت على النار رفع البنود . وعرضت عليها عرض الجنود . ليحتلي طلاقة روائها القرب والبعيد . ويستوي في هداية ضيائها الشقي والسعيد . »

وهنا انتهت الصفحة واختلط الكلام بغيره والغالب ان ورقة سقطت من الوسط . وكان فيها تكملة ذلك الوصف المسجع المستلمع . وهناك رسائل كتب بها الوزير الكاتب ابو مروان بن زكوي ورسائل كتب بها ذو الوزارتين ابو بكر بن عبد العزيز منها كتاب كتبه عن اهل قرطبة الى علي بن يوسف بن تاشفين ونصه : « ايد الله امير المسلمين بالتقوى وعمر به ريع الاسلام فلولاً رجاءه . لكان قد خرف في هذه الجزيرة واقوى واتم به عليه النعمي وجعل ذراه الامنع الاحمى وامده بالقوة والرحمى وانار به طريق المدي وصدع بنظره الجليل جميع العدى وجعله بمن اشتمل بالتوفيق وارتمى وجري في غايات البر فسيح المدي واتبع آثار الذين هدام الله واقتدى . كتيبناه ادام الله تأييده وطاعه . لم تخلق يرودها ولم تنقض عهودها ولم يتغير معهودها ونحن لحقه مقدمون ولما اوجب الله من فرض املته معظمون ولما قضاه مسلمون ولما امضاه مستسلمون وبين يديه اشفاقه باكون خاشعون والى جنبه وارتماضه ( انفعاله ) شاكون ضارعون ولحق فيما ينهيه حاكون وبه صادعون وقد ضاقت بالنفوس الخناجر واسلت الدموع الحاجر وسمعتنا صراخ الامرى المضطهدين يئمة ويسرة فما ملكتنا الا عبرة او حمرة ووددنا يوم انتقل الامير الاجل ولنا المهدي عن انظارنا وارتمل من ديارنا انا لتينا الموت المحمل فاراحتنا من الاوجال ولم ترنق الخطوب الينا حالاً بعد حال وهذا العدو الجاور لنا قضمه الله قد احرقنا بشرة من ناره واغرقنا في قطرة من غماره

فكيف تكون بعد. وقد اشجانا بشوا بوب يرد ورمانا بصرم متقد ونحن نستقبل به جمعا ولا نطيع له بنيد الله دفعا وشرقا آفة تترك انوار الاسلام « والله الكافي » كاشفة ولا تعجلها من دون الله كاشفة بل هو القادر على ان يصرف اليها نظر امير المسلمين فيسهل ابا مقاصدها ومساكنها ويرد عنا محاذيرها ومهاكنها .

« وتفسير هذه المقدبة الشديدة الوقوع الكريمة المسموع الاميرة قلعة رباح ومورة نفذت في شهر كلنا واوزب المسكر مع والينا ابي محمد وفقه الله في نقلها ونهضوا بها متحملا من نقلها لما اعتقوا في مضارهم وبعد عنا ما كنا نتطلع من اخبارهم جاء الصريح ان عسكر الروم دخل على فج المساجد الى بلاد الاسلام رد الله عنه كيد عبدة الاصنام وهناك مقاصد شتى شعوبها وغنائم لا يتمدر مطلوبها فاخذ بنا الروع في كل طريق وخفنا نكي بكل جانب من جوانب المسلمين وفريق وتوجه من بقي في البلد من اهل الفلاحة وغيرهم للانذار وتقليع الاقطار واعلام اهل البوادي ببناء هذا العسكر الجرار ورفعهم عن مواضع سكناهم عسير ولا يرد قدر الله عن هو قتيل او اسير واستصرحنا الامير الاجل ابا زكريا يحيى بن اسحق وفقه الله لهذا الخطب النازل والعدو المنذر المنازل فتواتى فيما كان يرون وسبقه اليها الروم فاناروا من الوادي الكبير الى القليعة الى لورة الى فرنجبولس واجتاز الوادي الى يله وبعض نواحي استجة وكان ذلك سنة اليوم الثالث من وصول خبرهم اليها ووروده علينا واكثر اهل هذه الناحية لم يطيعوا التذير ولا صدقوا التحذير بل غلبهم ضعف المقدرة عن الانتقال وكثرة العيال والاطفال فاضلأت بالسبي الجبال واسلمت من فيها السهول ولا نعصم الجبال واخذوا من النهاب والاشناع والخاصر والكراع ما لا يدركه الاحصاء ولا يملكه الاستقصاء وبقوا في ذلك يومين لا يجدون من يرد امتدادهم ولا من يرعي سوادهم حتى غلب اكفهم الانتهاب وضامه بهم المشي والتهاب . ووصل كتاب والينا ابي محمد من كركي بعد اخذه في الصدر والنفول من ذلك السفر يذكر ما اتصل به من الخبر ووعنا بالتشجير في اتباعهم واخذوا الهبة لقراهم وبلغه اذن الله في ذلك لاعين بكثرة الجند واجتماعهم وجاءهم عن والي اشبيلية انه وصل لورة وسيره حثيث وهو للمسلمين ناصر ومغيث والنصارى قد اثقلتهم الاسرى والفتائم فلا يعيشون الا رويدا ولا يتناولون الا صار الامن لم يقيدا واجتمع الواليان وفقه الله والمدو لم يعد طلبه ولا تعذر مطلبه وتفر المسلمون من كل مكان خفافا وثقالا فرسانا ورجالا وقد رأوا اسباب

الفتح بينة ولوازم الجهاد مشيئة ولما تراءت الفشتات قصرت الأقدام وقلَّ الأقدام  
 ومطفت الحفاظ وكان لها توقد واحتدام ونسي فرض الاسلام واستخف ثقل الملام  
 ورأى الكفار ما عليه من عساكر تترادف امدادها وتزيد ضغطا على من عنده اعدادها  
 فلجأ المدو الى جيبيل لا يصمم الحارب ولا يمنع الطالب وسدل به الرحالة المطوعون  
 فارهقوه عسرا وحالوا بينه وبين الموائهي قسرا وخالطوا الكفار سيفه صعيد وسائر  
 المساكر غير بعيد ورزق الله المطوعين الصبر في محاربتهم والاجتهاد في مطاعنتهم  
 ومضاربهم فما زعر الكفار لم سربا ولا فلوا لم غربا فاستمدوا الولاة وعندم الكفاة  
 وبين ايديهم الرماة فما امدوم بحام ولا اطانوم برام بيد ان الكفار يشؤا من الحياة ولم  
 يطمعوا في النجاة واعتنقوا اعتناق وداع ولا يثقوا بقوة ولا خداع وفي عمر اليوم  
 والكتائب لم تحرك وقد اذن الله بالاملاء لمن اشرك وترك الليل ففوض الكافر  
 بجمعه على اعين الناس واسرى ومعه الدواب والاسرى وقد املهم اهل الاسلام  
 ولم ترع فيهم ذمة محمد عليه افضل الصلاة والسلام وترك الغنم والبقر سدى واغثاليتها  
 يد الردى وانتهت اهل الحصون كما تنهب المغنم المباح واخذوها كما تؤخذ الفوائد  
 والارباح ولم يرجع منها الى اهلها الا النذر اليسير والفاقة الحقير وكان للاسرى عند  
 رحيلهم عجة في الاصفاد ونجبة في الاغلال والاياد تصرع الجراد وتجر الاجار الصلاد  
 فارتقت لذلك قلوب اقتسها الذنوب وبعد عنها نصر الله وهو قريب ومنها من حسن  
 اليقين شك مرهب . ومعظم الشكوى باهل اشبيلية فانهم اظهروا المبادعة واقلوا  
 المساعدة وعادم في ذلك الخميس حيد من ذكر يوم الخميس فاستقبلوا الهجر استقبالا  
 وخرجوا للنصر فما زادوا الا خبالا فياهه وبالا امير المسلمين من دماء مفكت وحرمت  
 هتكت واتفق في دين الله وضمت وتركت وجعاعة من المسلمين غلبت بيد الباطل  
 وملكت . وقد امهم من اخوانهم من يزيد على عديم اضعافا يظلب فيها النساء الرجال  
 ويسبق ذوي الفرر والخبول ربان الحبال ولو كانوا نصفهم اكلان ذلك النصف  
 يحسمهم وكتاب الله تعالى قد اوجب انه يفلتهم وقد روى ثقات الاخبار خطبة علي  
 رضي الله عنه بالانبار وامير المسلمين اولى من اعتدى بهديه ورأى في الاسلام مثل  
 رأيه وقد علم الروم ان حى الاسلام غير مجنوح وغاربه غير مدفوع وعندم سيفه هذه  
 السنة احتفال واحتشاد وتأهب واستعداد وما منا احد الا وهو يحشاز لجلال اقرب  
 طريقه ويرى موضع النداء والسير من غنقه وقد دعونا امير المسلمين بما اسلف الينا



من نعمه واعتقنا من ذممه وقرب اليانا من منسافة مطالبه واقتضاء الواجب في مناسحته ومشايعته والرب نسأله عما استرناه ومجازيه بعمله المبرور ومسامه ولعل الله يجعل لنا في قلبه رافة تطفه الى هذه الشكوى وترقه ما نزل بنا من البرى وانا لنتنظر من نظره الجليل وجوابه الواضح السبيل ما يقر النفوس في قرارها ويعيد الآمال في النجاة بعد فرارها وهو ايد الله بذكر ما اخذه علينا من العهد المسؤول في الصبح المبذول والصدق المقبول فرأينا ان لا نكتم ما يجب ابداءه ولا نمسك ما يلزم ادائه وهو المسؤول جلت قدرته ان يرفع بالتقوى قدره ويشرح لهذه الشكوى صدره ويميزه عن جوانب الاتها العدل وبسيطها (٢) ومذاهب زانها الرفق واقسطها افضل ما جزى به اماما تواضع لله فخبه الى خلقه واعانه على حقه لا رب غيره والسلام»

فراجع علي بن يوسف بن تاشفين :

« كتابنا كتب الله اكم يدينا تطحن بصدقه القلوب وتهون بدمه الخطوب وابدكم بايمان ثبعت به البصائر وبشوب ويذهب بسببه الروح الذي يخوف به الشيطان اوليائه فلا يقب ولا يؤث من حفرة مراكش حرسها الله في الثاني عشر من جمادي الآخرة سنة خمس وثلاثين وخمسة ونحن نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو حمدا نقفده الى المزيد من نعمته سبيلا ونغضله الى رحمته دليلا ونقزله بمصمته كفيلا ونصلي على محمد نبيه الكريم صلاة عامة تامة تشاقب اليه مع التسليم الاصفى وعلى آله الطيبين ومحبيه الأكرمين بكرة واصيلا . اما بعد فهاوز الله عز ذنوبنا وذنوبكم وفزح بلمنه عن قلوبنا وقلوبكم وصغ عما يعلم من عيوبنا وعيوبكم فان كتابكم الاثير وافانا مفعلا من سوء اثر المدو فعسمه الله في المسلمين عصمهم الله ما اغص واشرق وامضى وارق وجمع علينا من مومكم وغومكم ما انتشر واقترق وذلك ما اخضه قبل خلق الغلاتي كتاب من الله سبق قال الله سبحانه وبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم وصدق ( ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير \* لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يجب كل مختل غرور ) وما نهون مصابا إدرك المسلمين والمسلمات فيه من التكال المرجع ما ادرك وظهر على المؤمنين في موافقتهم من كفر بالله واشرك وفك في تنزيهه بدين الله من فك ولودنا والله شاهد ان فيهم دون نفس المسلمين نفسا لا ندخرها شغلنا من لدائهم ولا نكره ان نبذلها جهدا في جهاد اعدائهم وان نكون جنة

واقية من آلامهم وورائهم ولكن نقول ما قال سبحانه وتعالى كما هو عند الله  
 عظيماً ( ولا تجادل عن الذين يخافون انفسهم ان الله لا يجب من كان خواتماً ايها )  
 وقد علم الله بالحسن امتاعكم وافر بعوائد البشرى ابصاركم واسماعكم وكشف  
 عنكم وعنايتكم ما وقدكم وراعكم انا قد تقدمنا الى جميع العمال ومن تحت ايديهم من  
 الرجال ان يشغلوا على العدو قصمه الله ويأثقلوا ويتطاولوا ولا يشغلوا ويتقدموا  
 في حسن الدفاع ويزدلقوا زلوان جميع المسلمين من قلة أتي وباضفاف كثيرة ربي  
 لقلنا في المجازة نعم هي ولكن فت سيرة اعضاء الله تبريهم وننازعوا فقلنا وذهب  
 ربحهم ولم يحط عندنا بقبول تعريضهم في العدو وتصريحهم فاستحقوا مقت الله ومقت  
 الامة ولومها واعطوا شيعة الكفر على الرغم منهم حكمها وشومها وفحصوا المسلمين كما  
 فضحت عامل ( ع ) قومها ويلي الله تعالى ثم طينا تقوم الزيف بينه والاود والتقدم  
 لكل خاصة وللمسلمين عامة على توفيق الله تعالى بالنظر الاحد واعينونا رحم الله  
 بالادعية الصالحة التي هي امضى السلاح واوثق المدد وابا ما صرى اليكم من عداد  
 العدو قصمه الله بخروج يستقبله وفساد في البلاد يؤمله فاقه تعالى بذمته يشبهه من  
 ذلك وبذهله ويريد به حوادث لا تنتظره ولا تمهله وحس دينا وقد استمرختم بنا ان  
 نلي بنسبته الله نداءكم ونجيب على الصبة والدول للول دعاكم ولما في دونكم الاموال  
 والانتس اعداءكم وما كنا لولم تعلموا في الكتب المجردة بنحواكم ولم يلفسوا على السنة  
 الاقلام شكواكم لندعكم لعدو يستبيح حماكم ويجمع نفوس امرئكم واذاكم ولا نستقيم  
 اسلمكم الله بما نيتناكم عن اذكراكم يا شمسنا حمية بالله هو مولانا ومولاكم واعلموا  
 وفقكم الله ان حماكم حمانا ومن رماكم فدرمانا ومن ارادكم بسوء والله يكره لوجهه  
 فما غفلنا ولا تمدنا وظلام الاسلام بحمد الله ممتدة وتلك النصب التي تقدمنا بها  
 في العام الاول ممتدة والاهية بحمد الله حتى حزب حازب مستعدة والذئبة من  
 نصرتمكم نستدعيه ونستمنعه في الله ونستهديه دعاء نعرف بنعمة الله بركة اخلاصكم  
 فيه على الذين شغلوا خيل الله قبلنا عن ثنائيا في غزو الكفر نطلمها واودية في مواطن  
 ينيظ حزب الشيطان نطويها ونقطعها والله يأخذ هذه الفئة ولا يدعها ويكتبها سرنا  
 يبطشه الكبرى ويصدعها تغذوا ورحمكم الله سيرة ادعية يقبلها ويرفضها ويد الله مع  
 الجماعة ولن يرجع الا بالاجابة السريعة ان شاء الله منجتها واما ما انتبه اهل الحصون  
 وسوام من اغنام المسلمين فلا فرق بينهم في ذلك وبين المشركين ولو كان لذلك

التشر جامع يضم نفاريقه وحائط المسلمين يرى الحرج ويغشى ضيقه أو أمر يعرف  
أدناه عن منكر يوتر الحق ويملك طريقه لحفظ تلك البقية على أربابها وحائس بين  
المسلمين وبين انتهائهم لكنهم آمنوا من سعتها وطلابها وما منه قوم لم يحصر من  
أهل الرضى خاسر ولم يشهد منهم ناصر والله على نصر المهتضمين قادر توكل الله  
للمسلمين بناصر ناجز ولا وكلهم إلى مضج ولا عاجز وجعل بينهم وبين الأعداء كل  
حجر مانع وحاجز بينه والسلام»

ومن الكتب أيضاً أربعة كتب من أبي الحسن علي بن سيده إلى استاذة . وفيه  
المجموع عدة كتب لندي الوزارتين أبي عبد الله بن أبي الفضال منهم رسالة إلى عسكر  
أنهزم فوجيه وثانية كتبها عن تاشفين بن علي إلى صاحب فارس في أمر محمد بن نعيم  
حين استراب منه وثالثة أيضاً مرابجاً للوزير الكاتب أبي مروان بن زكريا جواباً عن  
رسالة خاطبه بها وغير ذلك وما يوتر ما كتبه عن علي بن يوسف إلى يحيى بن علي  
بولاية بلنسية وما هو :

« كتابنا اعزك الله يتقواه ورفع قدرك واسماه وأبد عزمك في ذاته وقواه ولا  
زلت نغلب في عوارفه القيمة ونماه من خسارة مرأش حرسها الله لاربع خلون  
لنجاوي الأولى سنة أربع وعشرين وخمسة وأنا بما نرفه من صفو ولائك وصديق  
غنائك وظاهر استقلالك واكتفائك نرى أن نرفعك بمقتضى حقل في الأحوال  
ونوسع لك في الأعمال ونعقد بطوقك منها ما نعلم أنك به ناهض مضطلع ونضيف  
اليك من جسيمها ما أنت بشروطه والقيام بحقوقه رجب الصدر متع ولقيط جوابه  
ومراعاة لوازمه منتظم الأمر مجتمع فقلدناك بعد استشارة الله تعالى والابتهال إليه في  
الاطلاعتا على مواقع السداد وأمدادنا بحسن التوفيق والارشاد ولاية بلنسية وأعمالها  
حماها الله تقليداً جملناك به بين الولاياتين وملكناك به أمر كرميتين وزمام جملتين  
فقلدنا ما قلدناك على الطائر السعيد وتظاهر التأيد وتوله مرفقاً فيه بين التقليد وتوالي  
الصنع الحميد وانفذ إلى عملك وتسلمه من المصروف بك واستقبل الأمر بالقوى عزيمه  
وجد وانفذ مضاد وأمضى حد وكن به جد ناهض مستبد وتلك حال خطيرة قد جذبتنا  
اليك زمام قيادها وبوخيتنا بك اقامة متآداه وتثور قد رميتها منك بسدادها وأمور  
صارت بتصييرها اليك عند عالم بأصدارها وإيرادها وقد اغتاناك علك بالسياسات في  
جميع الطبقات عن أن تفصلها تفصيلاً أو ناتيئك بها قليلاً وإنما إعطينا كما حلة

لا يؤدرك تدبيرها ولا يذهب عنك تفسيرها لأنك إنما تقدم على بلد صابته كثيرا  
وجاورته دهرًا طويلاً فشؤته في صدرك مجتمعة إلى فكرك منضرة مع تكررك على  
المكان وأطلاعك عليه تارة بالغبر وتارة بالبيان وقد يتأخى أن يلقي اليك قياده وصب  
سأده ورعاياه واجتاده فلجزم الآن بوجدادهم وحطهم في أنفسهم وأموالهم وبلادهم وعم  
جميع الأحوال بتصفحك ومتعم الجميع بتأملك واعط كل حق من نصفتك وحسن  
رعايتك وأزقم حلالة الأمن والعدل سبله ولا يتك أن شاء الله . وموضع إقامتك  
هناك أنت تختاره حيث تهوى لنفسك فتتوأم مكاناً يصلح لأمرك ولا تبعد به كل البعد  
عن قاصية ثرك ترجح ما بين شاطبة وبلتسية أو منزلة بينهما ذلك مصروف إلى  
اختيارك والشاهد يرى ما يرى الغائب ونحن بعيد وانت قريب وانتك كما علمنا موفق  
الرأي مصيب والله تعالى مؤيدك ومرشدك ومعينك ومجيدك بمجوده ومجده لا رب  
غيره فإن استحييت أن تستعين بأبي عبد الله محمد بن علي أخيك اعزه الله فاستعرفه  
يقدم عليك واستدعه يسرع اليك واستنب مكانه بميوقة محمود الخاب نافذة في ذلك  
الباب إن شاء الله عرفك الله بين ما أوليت وإعانتك على حفظ ما استرعيت بفضلته وجميل  
صته لا إله غيره والسلام .

وكتب عنه أيضاً إلى أهل بلتسية في ذلك :

« كتابنا كتب الله لكم تمهيد الأحوال والجهات وأمدكم بسوانج الأجال والمبات  
ويسركم للأعمال الصالحات والمساعي الرضيات من حضرة مراکش حرسها الله لاربع  
خلون لجاديه الأولى سنة أربع وعشرين وخمسمائة وقد رأينا بعد استغارة الله التي  
يتوصل إلى الراشد من بابها وتدرج المناهج من أسبابها أن نولي عليكم أبا زكريا يحيى  
ابن علي اعزه الله بقواه فقد قلدها أعمالكم ووصلنا به جبالكم نظراً منا لكم بمسكانه  
والقاء بآزمتكم إلى حازم وقته وأوانه فانه والله يتجده ويسعده بحيث علمت حسن سيرة  
وعدل ومثانة دين وفصل ونسكاً من التقوى بأقوى جبل مع صالح مشهد وبلاد  
وصادق حقائق وغناه ونفاد عزيمته ومضاه فأثرناكم منه يحافظ لنظامكم ومصروف لزمامكم  
وسناد لتقوكم وقوام بأمورك فهو يقلبها على الحزم ويدبرها ويغني على ما يراه ويحكم  
تدبيرها وحسبنا في تمهيد أكتافكم وحراسة أطرافكم أن نفضلها وإياكم في كفايته  
ونختارها ولكم حسن إنباته وقد فزعنا اليكم به من شؤنكم وقضيناكم به معطول ديونكم  
فأترجعون بعده بقباعة ولا تخشون منه إن شاء الله من حوزة مضاعة فليكم ورحمكم

الله ان تلتفوا امره باتم سمع وطاعة وتوخوا نصحه بكل جهد واستطاعة ثم انه لا يفتني  
ان تكونوا ظهرا في الحائتم (٩) التي يتوخي بها جبر احوالكم ودم مارث من جنانكم  
فليجركم عندها امام كل ارادة وللخذبوا في يده باسبح مقادة فانه لا يصحكم الاعلى الذي  
فيه عن حوزكم دفاع ولصالحكم انتظام واجتماع وانتم عنده على منازلكم بقدر كلاً  
قدره ويقضي اليه امره فما في يره ولا في سياسته تقصير ولا عنده في غير كنهه جانب  
عسير وعلى ذلك فقد وصيانه بجهانكم من غير ان تخاف منه عن التصد انحرافاً او نخذر  
من جهته نكوباً عن الواجب او خلافاً وانما قصدنا معه الذكرى فانها توقظ ذا الحيحي  
ونبه وتبين لذي الحلم والنهي ما يشتهه عرفنا الله واياكم ميامين هذا التقليد وجعله  
كأولاً بالامر السعيد والصنع الحيد انه الكريم والسلام .

وكتب الى العسكرية بها في الفرض المذكور

« كتابنا ابقاكم الله وعصمكم بتقواه واجزل حظوظكم من حسناء وجعلكم سابقين  
الى طاعته ورضاء متقبلين في عوارفه ونعماء من حضرة مراکش حرسها الله في تاريخ  
كذا من سنة كذا وقد ولينا امركم ابازكريا يحيى بن علي اعزاه الله بتقواه وفلدا نصريف  
اعنكم وارمينا اليه بازركم ومكانه حيث لم تجلوه خيراً وضياً ونصائباً كريماً وهدياً  
قويماً واقدما وتسمياً ومضاء كان به اذا رفع اللواء كي الخليس زعيماً والان بولائه  
اياكم فقد ان لتصاعف بجهادكم وتصدق عز ماتكم فانه يقود بكم من يرسل امام  
اعنكم عنده ويروي قبل اسنتكم سنانه وانتم مع ذلك بحكمه مصرعون وبالتزام طاعته  
مكلفون والى رايته مجتمعون وتحتها متألفون فاذا امر فأمروا واذا رعى بكم جانباً  
فابتدروا واذا اوردكم فردوا واذا اصدركم فاصدروا فان حسن الطاعة بركة وجمال  
ومين واقبال كما ان الاستعصاء عليكم مبني على الاخلاق اللئيمة ومحبة للنفوس الكريمة  
فأطيعوه كما فرض عليكم في المكروه والمحبوب وانضموا عليه راشدين مشفقين انفسهم  
الجواهر على القلوب فان لكم حسن الايثار جزاكم الحسن والحياة الائمة الاسنى جزاكم  
الله ممن اصحب في القيادة واجاب داعي الرشاد وآثر التقوى واعتقدها غير زاد بنة  
والسلام . »

وفي هذا المجموع ايضاً بعض مقامات منها المقامة القرطبية ونسب الى ابي عبد الله  
بن ابي الخصال وقد تبرأ منها وهي في وصف اعيان قرطبة وروايتها ثم رد الى  
صاحب المقامة ايضاً اسمها الانتصار كتب بها ابو جعفر بن احمد والمقامة الشبلية وتمزي

لابي الوليد بن سيد اميد . ورسالة لابي محمد بن القاسم في الترجيح بين الصابي والبديع .  
وقد فضل البديع على الصابي . وتهايد من ان الله بن ابي الخصال في الانتصاف  
للسابي . هذه نموذجات جزئية من تلك التي نشرت في سنة ١٩٠٠ . وما سيبقى من المؤلفات  
بالرجوع الى نقل بعض جمل من كتب ابن سيده .



## روح الاجتماع

قلت الكتب التي تنشر هذه الايام باللغة العربية ويراد منها بث علم نافع او تصحيح  
فكر سقيم وذلك لقلّة المؤلفين والمترجمين وقلّة القارئ والمؤلف . وكتاب روح  
الاجتماع الذي عرّبه عن الافرنسية احمد فتحي زغلول . - هو من المؤلفات التي قصد  
بها موافقة نفع امته وتصحيح بعض اغلاطها والمؤلف هو الله .  
العلامة صاحب التاليف المتمتعة ومنها كتاب « مدينة العرب » .  
كتابه لامته لينتفعوا منه انتفاع الفرنسيين او بعضه . ونعرب ...  
العرّيب صححت عزمته حتى الآن . على نشر بعض الكتب المفيدة ومب  
الشرائع » لبنتام و « سر التقدم الانكليزي الكسونيين » لديمولانس و «  
لهنري دي كاستري وهي من الكتب النافعة التي احدثت تأثيراً في بعض  
المستشرقين من قراء العربية ولا سيما من لم يسعدهم الحظ بتعلم لغة اجنبية لتناول مثل  
هذه الافكار من مصدرها الاصيل .

ولو تصدق كل من حذق لغة اوربية واحكم اللسان العربي فنقل لامته كتاباً او  
كتابين لكان عندنا اليوم من المترجمات العصرية في العلوم والاجتماع لا في القصص  
والاساطير ما يملأ خزائن مكتبي تصبغ معها لفتتنا كاحدى اللغات الغريبة بفناها  
بافكارها وكتبها الجديدة . وليست طلاوة الجديد كطلاوة القديم وما قط كانت  
العلم اعليالي كالمعلم العملي . لو تصدق كل واحد من ارباب الاقلام ودارسي اللغات  
والفنون كما يتصدق المرة بعد المرة امثال حضرات احمد فتحي زغلول . محمد فريد .  
عبد العزيز جاويز . عبد العزيز محمد . احمد زكي . صالح حمدي حماد وامثالهم  
من المعاصرين لاغتنوا بعلوم الغرب وقلبوا في مدة كيان الافكار من طريق العلم .  
كتاب روح الاجتماع هو « في بيان احوال الجماعات وما يعرض للقرود مجتمعاً من

تغير المشاعر واختلاف النظر وتبدل حكمه فيما يحيط به « حل فيه المؤلف روح المجتمعات الحديثة ولا سيما في فرنسا تحليلاً نفسياً فلسفياً غير ناظر الى أكثر ما يتعلق به بعض ضفاف المؤرخين من الحوادث بل نظر الى الدواعي النفسية والمعتقدات والعادات نظر المستبصر الناقد علماً منه بان « الحوادث الظاهرة مثل الامواج الملائمة التي تترجم فوق سطح البحر عما هو واقع في جوفه من الاضطرابات التي خفيت عنا ونحن اذا نظرنا الى الجماعات نراها تأتي من الاعمال بما يدل على الخطا مداركها المخططات كلياً غير ان لها اعمالاً اخرى يظهر انها متقادة فيها بقوة خفية سماها الاقدمون قدراً او طبيعة او يداً سمداية وسماها اهل هذا الزمان صوت من بين القبور »

« واحرج الانسان في تطور الفكر الانساني زماننا هذا ولهذا التطور عاملان سبب اول سببه المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تشكل منها . سبب ثان سببه المدنية الحديثة والثاني قيام احوال جديدة ونشوء افكار جديدة في الحياة . - كتاب من اكتشافات العصرية العملية والصناعية - ولما كان تهدم الافكار سببه - يتم فلا تزل قوتها وكانت الافكار التي ستحل محلها في دور تكونها كان الزمن حاصر من تحول وفوضى . . . . .

« ولكن اندي نراه منذ الساعة انه سيكون امام تلك الام قوة عظيمة لا بد لها من الاعتراف بها لانها اكبر قوة وجدت اريد بها قوة الجماعات تلك القوة التي قامت حتى الآن وحدها على اطلال الافكار البالية التي كان الناس يعتقدونها حقائق وماتت وعاشت بعد ان حطمت الثورات المختلفة كل سلطة كانت تفهم في الناس وهي القوة التي يظهر لنا ان مصيرها ابتلاع ما عداها في القريب العاجل الا ترى ان معتقداتنا القديمة اخذت تهتز من وهن اساسها وان اساطير المجتمعات القديمة تدعى وتطمح وان سلطة الجماعات هي وحدها التي لا يهددها طارئ بل هي تعظم ونشو عليه فالدور الذي نحن قادمون عليه هو دور الجماعات لا محالة . . .

« الجماعات اقدر على العمل منها على التفكير وقد اصبح نظامها الخافض ذات قوة كبرى وعمما قريب يكون للذهاب التي نراها اليوم في دور التكون من السلطان العظيم على الافكار ما للذهاب التي رسمت اصولها في الاعتقادات اعني سلطاناً مستبداً لا تأثير فوق تأثيره فلا تعود تجعل البحث او الجدل وحينئذ يقوم حق الجماعات المقدس

مقام حق المؤكّد الاقدسين .

يتمحصر الاثر الواضح لعمل الجماعات حتى الآن في مدم صروح المدنية والتاريخ يدلنا على انه كلما وهنت القوى الادوية التي يقوم عليها بناء تقدم امة من الامم كانت خاتمة الانحلال على يد تلك الجماعات الوحشية اللاشعورية التي سميت بحق متبريرة اما الذين اخلوا صروح المدنية وشيدوا اركان الحضارة فعم تفرامنازوا بسمو المدارك وبعد النظر ولكننا لم نرحى الآن للجماعات اثرًا مثل هذا فهي انما تقدر على المدم والتخليم وزمان حكمها زمان يبريرة على الدوام لان المدنية لا تقوم الا بتلى مبادي مقررة ونظام ثابت وانتقال من العمل بمقتضى الفريضة الى الاهتداء بنور العقل والبصر بالمستقبل ومرتبة راقية من العلم والتهديب وتلك وسائل برهنت الجماعات على انها غير اهل لتحقيقها اذا تركت وشأنها — ومثل الجماعات في قوتها الهادمة مثل الكروبوات التي تعجل بالخلال الاجسام الضعيفة وتساعد على تحلل الاجساد الميتة فاذ كانت عظام مدنية تولت الجماعات تقض بنائها هنالك يظهر شأنها الاول ويخجل لنا بادى بد ان العامل في حوادث التاريخ هو كثرة العدد . اننا نخشى ان يكون هذا ايضا مصير مدنيتنا لكن ذلك الذي لا نعرف منه شيئا حتى الآن . . . . .

«معر روح الجماعات اصبحت اليوم آخر ملجأ ياوي اليه السياسي العظيم لا لاجل ان يحكمها . . . سار ذلك الآن صعبا كثيرا بل يخفف عنه شدة تأثيرها . واذا اردنا ان نعرف ضعف تأثير القوانين والنظامات في الجماعات فالتبا السبيل الى ذلك تدقيق البحث لمعرفة روحها والوقوف على احوالها النفسية وبذلك نفقه ايضا انه لا قدرة لها على تكوين رأي او التفكير في شيء خارج عن الدائرة التي رسمت لها وانها لا تقاد بقواعد العدل النظرية بل بالبحث عما من شأنه التأثير فيها او اختلاها .

« ان الجماعات لا تعرف من المشاعر الا ما كان متطرقا بسيطًا وهي لذلك لا تقبل ما يلقى اليها من الآراء والافكار والمعتقدات بمحملتها او تترفها كذلك فتأخذها حقائق مطلقة او ترغب عنها باطليل مطلقة على ان هذا هو الشأن في المعتقدات التي نتحصل من طريق التلقي لا التي نتصل بالانتان من طريق النظر والتعقل وكل يعرف ما للمعتقدات الدينية من التأثير في عدم احتمال الخالف ومن السلطان على النفوس .

« ولما كان باب الشك غير مفتوح امام الجماعة في كل ما اعتقدت انه حق او باطل وكانت تشر شعورًا تامًا بقوتها كانت امرتها متساوية لعدم احتمالها . يطبق الفرد



المتأثرة واختلفت اما الجماعة فلا تطبق ذلك ابداً واقل خلف يأتي به الخطيب الذي يتكلم في المجتمعات العمومية يشلقاه السامعون باصوات الغضب والسباب الشديد فان اصررتصبيه الاهانة والطرد بلا امهال ولولا الرهبة من رجال الشرطة الحاضرين لقتلوه احياناً .....»

والمؤلف يكرر بعض الافكار ولله عن قصد لترسخ في النفوس وربما هذا كما قال في كتابه حذر دعاة الاشتراكية المصرية ممن يستعملون التوكيد والتكرار وسائل في اثباتهم وقد عقد لذلك فصلاً من ذلك قوله ان المدنيين هي صنع ائناس من ارباب الافكار العالية وسائر الناس معهم تبع ومثل قوله « ان التعصب وعدم الاحتمال يصاحبان علي الدوام كل شعور ديني ولازمان كل من اعتقد انه ملك ناصية السعادة في الحياة او في الآخرة وهاتان الصفتان توجدان في كل جماعة تحركت باحد المعتقدات فقد كان اليعاقبة ( العقوبيون ) زمن الهول متدينين كما كان اهل الاضطهاد متدينين ومنبع حماسة الفريقين في القسوة واحد .

« كذلك تظهر معتقدات الجماعات بالخضوع الاعى والتعصب الوحشي والاكراه في الدعوة وكلها صفات من لوازم الشعور الديني وما البطل الذي تهبل الجماعة له الا اله في نظرها . هكذا كان نابليون مدى خمسة عشر عاماً ولم يكن لمعبود سواء عباد اشد اخلاصاً من الذين عبدوه ولم ينهل على معبود زيادة النفوس الى حثفها أكثر منه وما كان لألمة الوثنية والنصرانية سلطان على القلوب اعز من سلطانه .

« ان جميع موجديه الديانات ومؤسسي المذاهب السياسية لم يقيموها الا لانهم تمكنوا من احداث التعصب الذي يجعل الانسان يرى سعادته في العبادة والطاعة وبعيته لان هيب خيائه لمعبوده . . . ليس لفائتي النفوس في هذا الزمان معابد وهياكل لكن لم صور وتماثيل والعبادة التي يبدون بها لا تخالف كثيراً ما كانوا به يبدون ومعرفة فلسفة التاريخ لتوقف على اعادة معرفة هذا البحث في علم روح الاجتماع . . . » وقال : لا يقوم سلطان الفاضلين وبنى قوة اعماله على تخيل الام ولا تبحر الجماعات الا بالتأثير في ذلك التخييل وكل حوادث التاريخ العظيمة كالقيام البوذية وبشيد اركان المسيحية والاسلام وقيام البروتستانتية والثورة فيما مضى وكاغارة الافكار الاشتراكية المزجعة في هذه الايام انما هي نتائج قريية اوبيدة لتأثرات شديدة في تخيل الجماعات . ذلك هو العلة في ان جميع اقطاب السياسة في كل عصر وفي كل امة

حتى اشددم استبداداً - اعتبروا تخيل اهمهم اساساً تقوم عليه قوتهم وما فكروا يوماً في ان يمحوا الناس بدونه .

قال نابليون في مجلس شورى الحكومة ( اني اتعمت حرب الفندائين لما تشكلت واستوليت على مصر اذ اسلمت وتوجت بالظفر في حرب ايطاليا لاني قلت بمصصة البابا ولو كتبت احكم شعباً يهودياً لاعدت معبد سليمان ) ويظهر في انه لم يرق منذ الاسكندر الاكبر وقيصر بين عظماء الرجال من عرف كيف يكون التأثير في تخيل الجماعات مثل نابليون فقد كان ذلك التأثير همه الدائم ما نسيه في انتصاراته وخطبه واحاديثه ولا في عمل من اعماله وكان يفكر فيه وهو على سرير موته .

وقد اجاد المؤلف في كلامه على افكار الجماعات ومعتقداتها ولا سيما في فصل التربية والتعليم واثباته بالاحصاء ان الميل الى الجرائم يزداد بانتشار التعليم او هو يزداد بانتشاره على طريقة مخصوصة وان الامم اللاتينية اسست تعليمها على قواعد غير صحيحة لنهي الكفالات الفنية ولا تؤثر في رقي الاخلاق وان طريقة الانكليز السكسونيين غير طريقتهم فليس لمؤلاء مدارس خصوصية بقدر ما لفرنسا والتعليم عندم لا يشق من الكتاب بل من الشيء نفسه فالمهندس مثلاً يتكون في المنصب لا في المدرسة وهو ما يسمح لكل واحد ان يصل في حرفته الى الحد الذي تصل قدرته العقلية فيكون عاملاً او رئيس عمال اذا قعد به الذكاء عند هذا القدر وهو مهندس اذا قاده استعداداه الى هذا المرجح .

واحسن ما شاء الاحسان في الكلام على الصور والالفاظ والجمل وما لها من السلطان على النفوس فقال ان الالفاظ والمعاني قد تختلف معانيها في قرن عن قرن وفي امة عن امة فمعنى الديمقراطية عند الجنس اللاتيني انزواء ارادة الفرد واقدماه على العمل من نفسه امام ارادة المجموع وحمته والمجموع تشخص الحكومة فالحكومة هي المكلفة لادارة كل شيء وحصر كل شيء واحتكار كل شيء وصنع كل شيء وهي التي تلجأ اليه دائماً الاحزاب بلا استثناء من احرار الى اشتراكيين الى ملكيين وعلى الضد من ذلك فهم الانكليزي السكوفي وبالاخص الاميريكي من كلمة ديمقراطية نحو ارادة الفرد واقدماه الثاني الى الحد الاقصى وانزواء الحكومة بقدر ما امكن فلا تكلف بعد الشرطة والجيش والعلاقات السياسية بشيء حتى التعليم وعليه فاللفظ الواحد يفيد في بلد جمود ارادة الفرد وسكون اقدامه الثاني واستعلاء كلمة الحكومة

ويفيد في بلد آخر ازواجه هذه وارتفاع صوت الاول .

وهكذا زاد الموضوع جلاء في الفصول التي عقدتها المؤلف بعد هذا الفصل واصبح لا يتصدر فهمه على الطبقات المتوسطة في المعرفة وجود الكلام على المجالس النيابية اي اجادة وابان مواقع الضعف والقوة من اعمالها وهو فصل كنا نتمنى نقله بمرته او تقيضه على الاقل لا سيما والامة اليوم في مصر تطالب بدستورها وفي البلاد الصغانية نالته ولكنه ما زال متقولاً عن اوروبا نقلاً لم يطبق على العمل فتوصي القاري بالرجوع اليه .

وبعد فهذا مضمون الكتاب وموضوعه مصغراً وقد بان منه اسلوب معربه من الجمل التي نقلناها بجرها اتفاقاً ومن قابل بين سلاسة العبارة هنا وضعها في كتاب اصول الشرائع يدرك سر التوفر على العمل وان مدرسة الزمن هي اعظم عجز لابنائها العاملين . وما يرحت بعض هفوات لشوية تعلق على اسئلة قلم المؤلف ومنها ما سرى اليه من الجرائد ونص عليه اهل اللغة مثل الحريري وعبد اللطيف البغدادي والديلمي وغيرهم . وذلك مثل قوله : « لا تراها الا رؤيا ناقصة » والصواب رؤية لان الرؤيا تكون في النوم والرؤية في اليقظة . واستعماله ( الظروف ) بدلاً من الاحوال والظروف لا تعطي هذا المعنى واستعماله ( حيث ) في غير مكانها واستعماله ( تمام ) كثيراً مثل ( واضحة تمام الوضوح . تخالف تمام المخالفة . ويقفه فيها ذاته الشاعر تماماً ) والتقصيص ان يقال واضحة كل الوضوح ومنها قوله ( رجل تمام ) والاجدر ان يقال كامل او تام الادوات او نحو ذلك واستعمل ( تركز على ) وهذه الصيغة لم تسمع الا في لغة الجرائد المصرية .

ومثل ذلك ( مجرد انضمامهم الى بعضهم ) والاحسن ان يقال بعضهم الى بعض ومثله ( رغمًا مما ذهب اليه ) والاولى ان يقال على الرغم مما . ومثله ( بضحي مصطلحه الذاتية ) وهذا التعبير فيما احسب هو من ركائز الجرائد الشامية القديمة سرى الى مصر فاستعملته حتى افاضل الكتاب على غير روية وهو تبخير افرنجي . والاجدر ان نقول فادى بدلاً من ضحى . ومثله ( كان فرداً مبتوراً ) والصواب ان نقول متور أو مستنيراً ومثله ( منقاداً عادة الى ) وهو امر يب حرق في مثل بالسهولة وبالصعوبة وجلياً وبانتظام وبلا عناء ويمكن الاستعاضة عن هذه الكلمات بالفاظ أو تراكييب اقرب الى الاسلوب العربي .

ومثله (متدبش) والاحسن مدهوش و (مفجر) والاحسن مجرور ومثله استعمال (الاجيال) للتعبير عن القرون والعصور . وما الاجيال إلا اصناف من الناس علي ما اذكر . واستعمال (مرايح الهمم) والاولى ان يقال مسارح ومثله عتيف كثورة عتيفة وغير ذلك وهي من المبدوء ولنا من الفاظ اللغة التي تدل على معانيها ممدوحة عن استعمالها . ومثله العموم للتعبير عن الناس وهي من الالفاظ العامة . والاهمية وهي غير عربية بل تركية مثل محظوظية ومجنونية . والرضوخ لحكمها وليس في اللغة رضوخ بمعنى الخضوع او الأتمار وانما الرضوخ العطاء القليل وفي مقامات الحريري بدرجعت رضى بها له . وقد عدى بوثر بعلي والصواب تعديتها بني ومثله فطاحل العلماء ونقطة فطاحل وان كانت شائعة على هذه الصورة للتعبير عن كبار العلماء لكنه لم يسبق للبناء استعمالها ولا للفريقين بهذا المعنى تدوينها ومثله (الحفظ عن ظهر القلب) والاحسن ان يقال الاستظهار وهي اخصر واجمل .

وجمع مشروعا على مشروعات والاحسن جمعه على مشاريع . ومثله (اعداء الداء اشداء ضد الحكومة) والذوق العربي يقضي بان يقال على الحكومة ومثله جمل ينطقها المتكلم . نصواب ينطق بها ومثله معالي ما كانت لها ابداء . وابدأ بمعنى دائما والاولى . القط . ومثل جمعه عادة على عوائد كالأستعمال الشائع والاحسن جمعها على عادات وعاد ومثله جمعه لواء على لوائت والصواب الربة .

واستعمل من التراكيب الشائعة فلولا هي ماخرج من يبروته الاولى ولولا هي لراح مسرعا والصواب فلولاها . ولولا هي من تراكيب عامة المصريين وشهلا لولا هو ما شاء الآلهة والصواب لولاه . وشل النصب على التاجر وما ادرى اذ كانت لفظة النصب معروفة باللغة بهذا المعنى ومثله من رجاله الخصوصيين ولوقال من خاصته لاحسن ومثله يريق قطرة دم لواحد من اهلها والاولى قطرة دم واحد ومثله اجاز الاعتراف من السامعين والاسلوب التصح ان يقال اجاز اعتراف السامعين ومثله شكوا محكة وهي مما سرى اليها من التركية والصواب الفوا محكة وللتشكيل معنى آخر غير هذا ومنها استعمال المصالح للدواين والمصالح لفظة عامية مصرية .

وهناك بعض التراكيب التي يقع نظرك عليها في الكتاب وهي ثبئك عن نفسها بانها اقضية لم تنق طم العربة مثل تحت تأثير احد هذه الأفكار وم تحت ذلك التأثير وقتل الوقت ولكن ثمتها كثيرا من الثورات . واما الحكومة التي تصنع من حملة

الشهادات والذين اضطربت هوام العقيلة الى النصف ولا تلبث المياه ان تعود الى مجاريها وغير ذلك .

ومنهما بعض التراكيب التي فيها شيء من ركازة وسقم مثل غرق ٨٥٠ مركب شراحي ٢٠٣ مركب تجاري والصواب ٨٥٠ مركباً شراعياً و٢٠٣ مركب تجاري . ومن يعرف كيف يؤثر في تحليل الجملعات عرف كيف يقومها . لا دخل لتلك النظريات لاني معادة ولا في شقاء . فانه كان رجلاً جبراً لا ذكاه فيه لكن ذا عزم ومضاء . أنهي على الحال بالمعش .

وخالف ما أرفق المبرين في ترجمته السديكات بالجمعيات وقد اصطلموا على ترجمتها بالقباب وهي اولى وترجم البورصات بغرف التجارة وغرف التجارة كما لا يخفى هي غير البورصات وحرب النبلوتين التي كانت تقط الرويس في فرنسا بالتجلة ووضع لها بعض المقصدة ونظنها احسن . ووضع بهن الالفاظ بلفظها مثل (ماندوان) وهو الحاكم الصيني و(الاروازي) وهو لوح الحجر .

ولكن هذه الالفاظ والتراكيب القليلة لا نقدح في فضل الترجمة مخصوصة واكثرها مما عمت البلوى باسمه ولكن كنبود ان يكون ذلك الجرب النفيس خالياً من الشوائب ليحيى كتاب اليوم مستوفى الشروط من حيث اصله وفرعه ولفظه ورشاقته وطبعه ووضعه وعسى ان تكون مترجمات المغرب المشار اليه في الايام المقبلة اتم واكمل لتزيد منها خاتمة المطالعين والمتعلمين والله لا يضيع اجر المحسنين .



## الصحافة العثمانية

الصحافة أو فن الجرائد والمجلات هي عنوان ارتفاع الأمة المحسوس وكل أمة كانت صحافتها أوسع وامتنع يسوغ لك أن تحكم عليها بأنها أرفع وامتنع . فالجرائد الانكليزية مثلاً أوسع مادة وأبعد نظراً وأصدق أقوالاً من الافرنسية والابطالية لان الانكليز رجال الاتجار والاستعمار اعلى كيمياً من الفرنسيين والطلين ودولتهم ارقى الدول . وهكذا الحال في صحافة الامة العثمانية المختلفة العناصر والاجناس وتاريخها يرد الى سنة ١٢٧٦ هـ . ولعلنا لا نجعلها اذا قلنا ان الصحافة التركية ارقى من الصحافة الغربية والرومية والارمنية والبلغارية وبعبارة اخرى ان المصنف التركي ارقى من الغربية اذ لا يجوز لنا ان نحكم على الصحافة الرومية والارمنية والبلغارية ونحن لا نعرف لغاتها لنقرأ بها والحكم على الشيء فرع من تصوره . اما التركية فمعرفة لغتها يفسر لنا الحكم على جرائدها ويجزئنا معها كما نحكم على الصحف الافرنسية التي تصدر في بلادنا ايضاً .

كانت الجرائد الغربية قبل الانقلاب الاخير عبارة عن الاعيب وروايات عن السياسات الخارجية معروفة وكان يحظر عليها خصوصاً في المشر السنين الاخيرة ان تبحث في موضوع اجتماعي اداري او سياسي وطني فكانت موضوعاتها من ثم مسخاً او سلباً من جرائد اوربا والاستانة في شؤون تافهة لا ترقى عقلاً ولا تلقن فضلاً .

ولما اتقد الله البلاد من ظلم الاستبداد كانت صحافتها اول ما تحرر من اوضاعها مع صحافة العناصر الاخرى فداهمتها الحرية على حين غرة واصبحت في حل من الخوض في كل موضوع وعندها ظهرت كفادتها وصح لمن يريد التظهير بينها وبين الصحافة التركية ان يصدر حكمه عليهما .

لم يكن في مسورية والعراق والجزيرة والحجاز واليمن وطرابلس الغرب غير بضع جرائد ومجلفين في مدينة بيروت ولبنان وواحدة في دمشق واخرى في طرابلس الشام اما حلب والبصرة وبغداد واليمن والحجاز فكان يصدر في كل واحدة منها جريدة رسمية باسم ولايتها نصفها بالتركية والنصف الآخر بالربية السقيمة وسائر قواعد البلاد خالية من الجرائد الرسمية وغير الرسمية لان الجرائد كانت العدو الكبير للسلطان المخلوع فلم يكن يسمح باصدارها الا مضطراً او بالاحتيال العظيم والبذل الكثير .

ولم تحض سنة على نشر القانون الاساسي حتى ظهرت بضع جرائد يومية جديدة في بيروت ودمشق وحلب وصدزت في الموصل وبغداد والبصرة ومكة وجدة وطرابلس الشام وطرابلس الغرب والقدس وحيفا ويافا ومرج عيون والاذقية جرائد اسبوعية متناسبة مع حال البلاد التي تصدر فيها وان كانت جرائد سورية من حيث التركيب اليافاني واللقوي ارقى من جرائد غيرها من الاقطار لان الملكية العزمية مستحكة من القائمين بها في بلاد الشام اكثر من غيرها وكذا جرائد الصادرة في الاقطار الاخرى نافعة على كل حال بما تأتي به من اخبار وسيكون منها بحول الله النفع العام لمن تشر بين انظروهم .

اما الجرائد التركية قبل الدستور فكانت عبارة عن مثطفا - الصحف الاوربية في السياسة الخارجية وتبليغات اوامر الحكومة الاستبدادية وبهوى خصصت لتأليه عبد الحميد الثاني واطرائه اطراء لم يبعد في لغة من اللغات ولا في امة من الامم وكانت تلك الجرائد مخومة بانعامات السلطان السابق ورشى بعض الشركات لتساعدها على ابتزاز خيرات السلطة . ومع كل هذه المساوي كان الارتفاع ادياً على الصحافة التركية اكثر من غيرها لان التركية لغة الحكومة وجرائدها مقروءة في بلاد الترك من آسيا واوروبا كما تطلع في غيرها من البلاد لكثرة الموظفين وغيرهم ممن يعرفون التركية ويعتزمون ان يطلعوا على قرارات حكومة العاصمة ومنشوراتها وانبيائها . ثم ان الاتراك يجمعوهم ارقى بتربيتهم وتعليم من مجموع العرب ونظام الأسرة عندهم امثل منه عند اكثر العرب والمرأة التركية والحق يقال اكثر تعليماً ونهذياً من المرأة العربية . فقد تهلوف البلد الكبير في هذه الديار ولا تجد الا بضع بنات متعلات ولو استقرت قواعد البلاد التي يغلب فيها المنصر التركي لرأيت المتعلات من التركيات يبلن المئات والالوف ولا سيما في العاصمة . وهذا هو احد اسرار انتشار الجرائد في الاتراك اكثر من انتشارها هنا لكثرة سواد القارئ والقارئات عندهم وقتله عندنا .

واذا اردنا المقارنة بين الصحف التركية وخصوصاً صحف العاصمة وبين الصحف العربية في الولايات تكون للعربية الدرجة الاخيرة بين الصحافة الثمانية فيما نحسب ولذلك وجب ان تقابل الصحافة العربية كلها بالصحافة التركية كلها اي الصحف التركية التي تصدر في الاسكندرية وازمير وسلاطيك وادرنه ومناستر وغيرها من البلاد الثمانية

والصحف التركية التي تصدر في القريم والقوقاز مع الصحف العربية التي تصدر في الولايات العثمانية ومصر وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وجرائد المهجرين من السوريين في اميركا الشمالية والجنوبية. وهذه الصحف على اختلاف مصادرها مستمدة بجزئها الفكرية ما خلا بعض صحف تونس والجزائر والقريم والقوقاز واذ كانت درجة ارتقاء الشعوب التي تقرأ عليها متفاوتة جاءت هي كذلك.

ولذا كان من اللائق اذا ان تقيس صحف بلد معين بأخر معين لان قوت الجرائد بقوة من تصدر بينهم كما قلنا واذ كان اهل الاستانة ارقى من حيث المجموع من اهل سائر الولايات ومدنهم عاصمة سلطنة عظمى من امثالها ثلاثون ولاية عدا الولايات المستقلة وهي موى اشد الام الاسلامية كافة كانت صحافة الاستانة ارقى من صحافة القاهرة وهي عاصمة مملكة فيها نحو ثلث سكان الولايات العثمانية ولما السبق علينا بالاستمتاع بنعمة الحرية. ومركز القاهرة السياسي مهم ايضا واهلها عربون في الحضارة منذ عشرات من السنين وهي في غناها الطبيعي اغنى من الاستانة في الحقيقة. فلا عجب اذا تمازت فروق من هذه الوجهة عن مصر.

أما كثيرا في صحافة مصر والاستانة. في العهد الاخير فرأينا امهات الجرائد التركية ارقى من امهات الجرائد المصرية مادة واسلوبا وشكلا ووضعا وطبعا. ولا أعالي اذا قلت ان جريدة طين وركي تصوير افكار ويري غرضه. وصباح ولقد ايام لا تفوقها الطان والديا والقيمارو والماتين والجورنال الاخبارية الخارجية وما عدا ذلك من البحث في ادارة البلاد وسياستها الداخلية وما اخبارها وافكارها وآدابها واجتماعها فالجرائد التركية شقيقة الجرائد الفرنسية بقيمتها الاقلية. هذا مع رصد عهد الفرنسيين بالحضارة وقدم جرائدهم وقرب عهد الترك بها وحدانة جرائدهم. وتوفى جرائد القاهرة كاللواء والمؤيد والبحرية والإهرام والمقطم مثلاً. يلها انهم في الضرب على الوتر الحساس في الامة اكثر من جرائد الاستانة.

اما المحلات الافرنسية فهي ارقى بلا جدال من المحلات التركية. وتضمن تحت سماء الاستانة بضع محلات مثل «علوم الاقتصادية واجتماعية مختصة» و«ملكه» و«شبال» و«ثروت فنون» لا تقل في البشاشة وتذقيتها في موضوعاتها عن المحلات العربية الكبرى في مصر والشام. جري ارقى منها من حيث الوضع والطبع واشبه بالمجلات الادبية فيوان البشاشة انكسرها الايدي المنيعة عن اهل الاختلاف. وعلى المصنفين



مصر على كثرة جلائها الاخصائيين لم يصغر فيها حق الآن مجالات يكتبها المصريون انفسهم ولولا « مجلة الجامعة المصرية » و « صحيفة نادي دار العلوم » وما ابتثا هذه السنة لقلنا ان مصر لا تقبل لعمليات ميلها الى السياسيات واعلى العلم والادب فيها لا صبر لم على المشاريع العلمية حتى تنضج كاجورار باب « المشرق » و « المقتطف » و « المنار » و « الهلال » و « المقتبس » و « الجامعة » وغيرهم من ارباب المجالات المورثة الحقيقية . « كالمباحث » و « النهراس » و « المبتدع » و « الحسان » و « الكوثر » و « الحمى » و « المرفان » وغيرهم ممن لا تجفرون لاسماؤهم في مصر والشام .

اما جرائد سورية اليومية فهي اشبه من كثير من الوجوه بالصحافة التونسية من حيث المواد وقلة البحث في حطة البلاد وان كانت جرائد الشاميين اكثر حرية واسلم عبارة بل انضج اصولا من جرائد التونسيين والفضل سيكتفي للنداء الذي تعلم آداب الحرية في السلم اكثر من تونس على ان المملكة التونسية . وان كتبت اصغر من الجزائر ومن مملكة مراكش . فهي شبه هذا العهد اذ في لهجة وعربية منها بل هي بالنسبة للجزائر كنسبة سويسرا الى اسبانيا او ألمانيا الى روسيا . ولعل كثيرا من فقهاء الجزائر بين عجميون حتى اليوم كمحض فقهاء المراكشيين ما يقال له الجرائد والمجلات وكلم الجامعيين من جنيات جتوها على الدنيا والدين .

وقصودي القول ان الصحافة التركية اذ في مجموعتها من الصحافة العربية ولا سيما في السياسيات والاداريات والصكريات . والتلك متذوقون هم اهل السياسة والادارة والبنية وانما خلتهم ايضا الراس على الادبيات العربية من افهلت المبرمج . ونوعا ان يكون الترقى الذي يتناول كل امة فينبها عظمها حتى على الفنون الانسانية مجموع الصلاد بين البلاد لهم الترتيل المهادها كاتبة بعد جيل او جيلين من الناس ويجد راسل في مختلفات في الولايات العربية في ترقية جرائدهم ومجلاتهم ومسرود على ايداعها كفي مجدهم في الامثلة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والادبية والادارية والالية والادبية بحيث يزول عن القول ضد الحجة فتقبل من جلي العنية المتطورة جايينها الصحافة في وقتها على اهل المشرقين .

## غنى العشمانيين

لا يقل ان تكون المملكة العثمانية على هذه السعة والاعتدال وفيها من الانهار والحراج والمعادن ما فيها ومن ذكاه سكانها وزكاه تربتها الحب الجلب وتصبح في هذه الدركة من الفقر والانحطاط .

لا يقل ان تكون بلاد هذه السلطنة التي ضمت الى صدرها كثيرا من ممالك الاقدمين كالفيثيين والفسانيين والقميين والحثيين والحيريين والصفيين والبطينيين والبابليين والاشوريين والمقدونيين واليونانيين والقراعة وتكون مساحة ولاياتها الثلاثين خمسة اضعاف المانيا ولا يكون فيها من السكان سوى نحو ثلاثين مليوناً على حين يبلغ سكان المانيا زهاء خمس وستين .

لا يقل ان بلاداً فيها من الانهار العظيمة مثل سيحان وحيان ودجلة والفرات وقزل ايرمق واردار وغيرها من الانهار ان تغل ولا تنضب مع ان الخلق خصها بشربة ممرعة فيعطى مد الحنطة في بعض جهاتها مئة مد ثم تقرأ الفقر المدقم سيف وجهه اهله .

لا يقل ان بلاداً لها عشرات من المواني على شواطئ البحر الابيض والبحر الاسود والبحر الاحمر وبحر الادرياتيك والمحيط الهندي وهي متاخمة لمالك البلقان واوروبا من جهة وبلاد السودان وصحراء افريقية وشمالها من جهة وروسيا ويران من اخرى ثم لا تستطيع ان تبث بفلاتها الى البلاد الخارجية لتتأول منها ثمنها فقد اشد العجز الجسوس بين وارداها وصادراتها .

ولكن من نظر في الامر نظر متدبر وعرف ان حكومة الاستبداد تهرق الاخضر واليابس وتخرب العمار والفاخر وانت الجبل مبيد الام يرميها دح عك عمرانها لا يشرب ما قدر هذه السلطنة بل يجب كيف اتى الاستبداد فيها عقولاً تفكر واهدي تعمل ونفوساً تشرب بالتأخر .

كان من الحكومة المطلقة في هذه السلطنة ان تقاتل لسلب النعمة الباقية من يد الاطین فكانت تشازكم في اموالهم على غير رضام وفي لا نعمهم في انفسهم واموالهم ولا في مراقبتهم وصحتهم وكيف تهم لاسعادهم وم عبيدها اذا طلبوا ان تغف عنهم المذاب قاتلتهم وان ارادوها ان تعاسهم خاشتهم . وكيف يطلب

من الجاهل ما يطلب من العالم وهل ينفع امرؤ الا بما عنده وهل الحكومات الا افراد مجتمعون .

لسنا في صدد بيان مساويء النور البائد بل نريد الإلام بفناها وذكر شيء من مستقبلنا . وغنايا في دور هذه الحكومة النيابية السعيدة مناطق بهمتنا وحميتنا ان عملت وعملتا حسبت بلادنا في عشرين سنين في جدول البلاد الراقية والا فتبقى دستور بين بالاسم لا فستثمر من قوانيننا الجديدة وخيرات بلادنا الشيدة فائدة بعم نفها .

نحن نطالب الدولة اليوم ان تؤسس لنا من المرافق العامة ما لا طاقة للأفراد ان يقوموا به من مثل انشاء السكك الحديدية حتى تربط الاسكندرية مع اقصى بلاد العرب وتصل وان باشقودرة وطرايزون بالقدس وبغداد بالقاهرة ودمشق بطرابلس الغرب لفصيح ولايات الروم ايلي والاناضول وبلاد العرب متصلة كالحلقة الواحدة بشرايين من حديد ويطيسر للفلاح ملاطية وحكاري في الديار الكردية ان يبيع غلاته وثمراته من ابن طنطا والاسكندرية في الديار المصرية فلا تباع انة الخبز الجيد بعشرين باريا كما في بعض بلاد الاناضول وتباع في دمشق بثانين وتباع بمئة وستين في القاهرة .

نطالب الدولة ان تشي السدود وتجفف المستنقعات حتى ينفع بكل شبر من الارض يمكن زرع وتجهيز ولا تهلك البلاد المجاورة لتلك المياه لقله ربحها كمن يصبح عطشاً وفي الماء فيه وان تصلح سقيها فلا يذهب ماء الفرات ودجلة بل مياه كثير من الانهار والخلجان بلا فائدة وترى حواليا البلاد قاحلة تنتظر ماء الامطار لثروى وما هي بمضمونة معظم السنين . وبذلك تفقد صحة السكان التازلين بالقرب من تلك الاراضي ونقل الحيات والامراض الواحدة فيهم فينبون ويتناسلون فتزيد البلاد بهم قوة .

كانت الاوبئة والطواعين تئتاب البلاد المغانية قبل ان يعرف الاهالي والحكومة معنى التوقي المشروخ فتهلك من سكانها مئات الالوف ولو ذكرت تواريخ المتأخرين . ما انتاب البلاد كلها من الموتان فقط في المائتي سنة الاخيرة لزال العجب من قلة النفوس في بعض الولايات قلة لا تكاد تصدق . ولكن الزلازل والاذية والخراب والغارات مما بلغ من تدميرها السكان والمكان بقاى جبرما اوته وورنى ما تقتته وتعرض ما خسرت لو كان في البلاد شيء يقال له عدل وعلم .

مثال ذلك مدينتا بيروت ودمشق فانهما منذ جلب اليهما ماء نهر الكلب وعين

التي في الجيب في الماء من انظر اثم القارة تحت الارض حلة محصورة حتى عن الهواء الاصفر انتاب سورية مرجين في العهد الاخير ولم يرج على بيروت مع انتشاره كثيرا في صيدا وطرابلس المجاورتين لها وكذلك سيف دمشق منذ اخذ بعض اهلها يسيرون من عاد العجبة الطاهر فلو تيسر لسائر مدن سورية مثلاً ما جسر لنا من الماء ثلثي كالقدس وبعكا وناپلس وطرابلس وصنيدا واللاذقية وحمص وحماة وحلب وغيرها من الامصار لما جاء على سورية ربع قرن الا وسكانها خضف ما م الآن .

هذا سيف ابط الاشياء والقرى تناولوا فما الحال لو تفتت خطوطها الحديدية عريضة كانت او ضيقة بحيث لا تخلو قرية فيها خمسة آلاف نسمة من الارتباط بالبرية مع امهات المدن فحاصبيا وراشيا وقطنا ودومة والبلك والقنيطرة وحلند وعطرية والسويداء والحمرانية وحلّة وبصر الحرير ومجلون والسلط والكرك كل هذه القصبات مراكز افضى مهمة لا اتصال لاكثرها مع حاضرة الولاية الاعلى ظهور الدواب والبنال والجمال فلو اتصلت بدمشق مثلاً كما اتصلت الزبداني والبقاع وعلبك وحمص وحماة وسمان وشمسكين ودرعا اذا تفرغ عمرانها وغزر سكانها واغنت ارضها بغلاتها وثمراتها وصل على البعيد ان يقتني اراضي لا يصل اليها على المطايا الا في ايام ميلة فيبلغها مع القطار في ساعات .

ومثل ذلك قل عن ولايتي حلب وبيروت ومصر غني القدس وجبل لبنان بل قل عن ولايات طرابلس الغرب واليمن والحجاز والبحرة وبغداد والموصل ودهار بكر ومعمورة العزيز وبغليس وقسطنطيني ووان وارضروم وطرايزون وسيواس وقونية وقرقر رطندة وجوثر البحر الاميض وآبدین وخداوندسكار والاسفانة وادنة وسبلانيك ومنستر وياتيا وقوصوة واشقودرة ومصرفيات بنغازي والزور وبيضا وبيضا ونازويد .

ليس نعتد الدولة اليوم من الخطوط الحديدية ما يكفي خمس ولايات فقط وقدروا عدد ما لديها منها بنحو سبعة آلاف كيلومتر تدفع على اكملها نحو ثلث كيلومترية كل سنة لا تقل عن سبعة الف ليرة ولو كان وبغداد في العهد العثماني على شيء من القيمة والميل بالاعادوا بعض هذه انهم لكانوا خمسة ذاتية تامة على هذا الحد وطبقتوا انشؤا معظم تلك الخطوط بالهدى شركات عثمانية تستل من اوربا ما يقتضي لها من المال مقابل مستغل من مداخل الخطوط التي قد تملكها لم يمسح على الحكومة

الثمانية إنشاء خط حديدي من دمشق الى المدينة وهو لا يقل عن الف ومئتي كيلومتر فيROAD غير ذي زرع لا يصعب عليها او على الامة ان تنشي خطاً حديدياً مثلاً من دمشق الى بغداد والمسافة بينهما ثمانمائة كيلومتر او من دمشق الى الاسكندرة والمسافة ألف ومئة كيلومتر تمر بأقاليم كلها عامرة بطبيعتها مشهورة بخصبها وجودة تربتها .

ولكن البلاد حتى اليوم لم تبرح كن خرج من تحت الردم لا يكاد يفيق لصكشرة ما لقيه من مصائب الادوار السالفة والحكومة على سعي القائمين بشؤونها في العاصمة لم تستطع حتى الساعة ان تدير ميزانيتها على ما ينبغي والجزر لم يزل يربو على اربعة ملايين ليرة كل سنة فقد بلغت نفقات الحكومة هذا العام ٢٩٤٩٣٩٤٠٢١ ليرة عثمانية وواردها ٢٤٤٥٨٧٤٢١٢ ليرة على ما ادخل عليها من تعديل رواتب الموظفين وطير ذلك من انواع الاقتصاد وكان يرجى ان تزيد الاعشار هذه السنة زيادة ملحوظة لان معظم ارباب النفوذ والغنى لم يمتدوا ان يؤدوا الخزانة في السنين الفائدة أكثر من خمس وارداتهم في الاغلب بل بعضهم ما كانوا يدفعون عشر العشر دج هناك سائر التكاليف .

وأخر احصاء رأيناه في زيادة اعشار هذه السنة انها زادت في السلطنة عن السنة الماضية مائة وخمسين ألف ليرة مع ان اعشار ولاية سورية وحدها زادت ثلاثة واربعين ألف ليرة ولو عنت حكومة هذه الولاية بشاغلها حتى العناية لما قلت الزيادة عن مئة ألف ليرة من الاقضية والالوية التي تدفع الاعشار بدلاً فضلاً عن لواء حوران الذي يدفع عشراً مقطوعاً بلغ هذه السنة تسعين الف كيلة من الحنطة ولو اسعفت من اهل الاعشار بحسب ما يجب عليهم اداؤه لاختذ هذا القدر المأخوذ من قضاء واحد فما بالك بسائر الاقضية على ان بعض الولايات كحلب مثلاً أصيبت هذه السنة بنقص غلاتها وغمراتها الجراد الذي انتشر في ارجائها ولكن حال سائر الولايات ليس كذلك . ولا حلة لهذا الا ان موظفي المالية والادارة ضعاف في معظم الولايات والاهل من أكثر منهم جريزة واحتيالاً فتحكوا كما كانوا في العهد السالف من التزام الاعشار بالاثمان البضبة ويفكر فائز ماليتنا اليوم في تخفيض الشر من اثني عشر ونصف في المئة الى عشرة فقط لتبقى للفلاح بقية صالحة من وارداته يمر بها ارضه ويكسو اهله ويرم اضطره وداره ويستكثر من الماشية لان الحكومة تستوفي الآن من الفلاح جميع ما يملك كل سبع سنين . كما يفكر في زيادة رسوم الكبارك اربعة في المئة

تصل خمسة عشر في المئة بدلاً من أحد عشر فإذا حسبنا قيمة ما انتقاه الدولة من الكرك سنة ١٨٦٦ ٣٤٨٦٨٦٦ ليرة عثمانية كما هو المقدّر في الميزانية الأخيرة والكرك بعد عشرة في المئة لا تقل الزيادة عن مليون ونصف ليرة يسد بها جانب مهم من مجموع الميزانية من قاي. ولا شك أن ضرائب الاملاك ستزيد ايضاً لأنها قليلة بالنسبة ولا سيما في ارباب السعة الذين كانت الحكومة السالفة تتسامح معهم بأكل حقوقها من قسدها المأمول أن يزيد كل شيء على تلك النسبة من مثل بدلات العسكرية التي ستقتاضها الحكومة من غير المسلمين في السلطة.

فلما ومن اجل الاعمال تخفيف الاعشار في السلطنة او الفلأوها ان امكن والامشاة عنها بخرائب على الاراضي بحسب موقعها وخصبها والزيادة في الكرك وربما لا يظهر هذا الصنيع من زيادة قليلة في ثروة البلاد ويرغب السكان بعض الشيء عن البضائع الاجنبية ويستعملون ما امكن من مصنوعات بلادهم فاذا لم يقل الوارد من السلع الاجنبية فلا اقل من وقوفه عند هذا الحد . ويقدرّون قيمة صادراتها نحو اثنين وعشرين مليون ليرة عثمانية ووارداتها نحو ثلاثة وثلاثين مليوناً أي ان البلاد الاجنبية واوروبا خاصة تأخذ منا كل سنة عشرة ملايين نخسرها من مجموع ثروتنا وإذا أضفنا اليها قيمة ما تقدمه الحكومة الثانية ربا ديونها وهو لا يقل عن تسعة ملايين ليرة لان ما عليها من الديون يبلغ نحو مئة مليون من الليرات فتكون السلطنة الثانية قد خسرت نحو عشرين مليون ليرة كل سنة على اقل تعديل .

والطريق ايضا الاقتصادية لسد هذا العجز في الميزانية هو الوقوف في النفقات عند حد معين والسعي فيه استثمار الاسهل فالاسهل من خيرات البلاد بحيث لا تتكلف الدولة الاقل على مشروع الا اذا كانت الارباح فيه تربو على الخسارة منذ اول سنة كاصلاح رعي العراق مثلاً الذي يحتاج الى عشرة ملايين ليرة مثلاً تأقي الدولة والاغالي بليونين ليرة على الاقل تأخذ منها الحكومة لا اقل من مليون ليرة فاصلاح رعي العراق بالاستفادة من اوروبا ربح ظاهر لا محالة ولا سيما اذا تقدمه انشاء خط حديدي من بغداد الى دمشق كما هو رأي السير ويلكوكس المهندس الانكليزي المشهور .

واذا عتيت نظيرة الغابات باستثمار غابات السلطنة على اصول التمنية سيحضر اوروبا وصلاتها من فأس الاهلين وانساب مواشهم تزيد ثروة المملكة زيادة محمودة تؤثر في الجسم فلا تتناول ما يلزمنا من الخشب من النمسا او رومانيا مثلاً بل ينتفع من

سراج حموية وقسطموني وأيدى وتكني سائر حراج الروم أبي والآناسول وسورية  
كافور. فكيف لمؤلفه الفهم الطعيرى أو البعول أو غيره من اللقود المسببه بخلبه  
من الخارج



## الأوائل

ذكرني ما ملئت في المحدثين الخامس والسادس من مجلة المقتبس الغراء (٤٧٣:٤)  
ما كنت قد عيت بجمعه منذ سنوات من الأوائل (أي أول من عمل بحقيقة) عند  
القضاء بن يونس ورومان وفوس وعرب ثم عند من جلت بعدهم من الأمم إلى عهدنا  
من اطارد وأطلم ولا يخفى ما في هذه الأبحاث من المحاضرات التاريخية والأدبية  
والعلمية والفنية الخ فرأيت الآن أن أخص مقدمة هذه الرسالة وبعض مباحثها  
القراء الكرام يرون فيها نفكة وجمالا وهاك نبذة منها:

لم يفت الرب جمع (الأوائل) شأنهم في كثير من الموضوعات التي طرقتها والقوا  
فيها على حين لم يطرئ مثلاً كاتب اعجمي وعلم الأوائل هو كما عرفه الحاج خليفة في  
كتابه كشف الظنون الشهير (طبعة مصر ١: ١٣٢) ما يعرف منه أوائل التواريخ  
والحوادث بحسب المواطن والنسب وموضوعه وظاهره ظاهرة وهو من فروع علم التواريخ  
والمحاضرات لكنه ليس بذكر سبل كتب الموضوعات وقد الحق بعض المتأخرين  
مباحث (الأواخر) فيه والقوا فيه كتباً عددها مخصصة وهاك تفصيلها من مظاهرها  
الأخرى .

(١) أول من صنف في (الأوائل) أبو هلال محمد بن عبد الله العسكري  
المتوفى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٤ م) وسمي رسالته (الأوائل) وهي مختصرة

(٢) ومن المؤلفات فيها (عجائب الوسائل في علم الأوائل) للقاضي بدر الدين محمد  
ابن عبد الله السبكي المتوفى سنة ٧٦٩ هـ - ١٣٦٧ م

(٣) (أقامة الدلائل على معرفة الأوائل) للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن  
علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م

(٤) (الوسائل إلى معرفة الأوائل) لجلال الدين السيوطي الشهير المتوفى سنة

٩١١ هـ - ١٥٠٥ م غص فيه اوائل العسكري (١) المذكور آنفاً وزاد اضعاؤه ورتبه ترتيب الفقه وختمه بالعلم والامثال وفيه منظومة بالرجز اسمها الوسائل ويرجح انها راجوزة ومائل السائل الى معرفة الاولائل التي ذكرها كشف الظنون ٤١٥:٢

(٥) محاضرة الاولائل ومسامرة الاواخر وهو مختصر للشيخ علي دده اتمه سنة ٩٩٨ هـ - ١٥٨٩ م ووضعه على قسمين الاول في فصول الاولائل مرتبة على ٣٧ فصلاً والثاني في فصول الاواخر وفيه ٤ فصول

(٦) ازهار الجمائل (٢) في وصف الاولائل للولي عثمان بن محمد المعروف بدوقه كين زاده الرومي المتوفى سنة ١٠١٣ هـ - ١٦٠٤ م وقد رتب الاولائل على الحروف بالتركية واعلمها الى السلطان مراد خان الثالث

(٧ و٩٠) الاولائل للطبراني (٣) ولمحمد بن ابي القاسم الراشدي ولاين خطيب داريا - وهذه ام المؤلفات بهذه المحاضرات - على اننا لم نقف على مخطوط منها حتى الآن واليك الآن مثالا مما جمعت من الاولائل :

اول انسان هو ابونا آدم واول امرأة هي امنا حواء

اول تبتل وبجسود وزاع ولدها هانبل واول قاتل وحاسد وحراث ولدها قابين

اول ضارب بالمطربة حنيدها توبال قابين

اول عازف باكة طرب لامك

اول مشترع ومؤرخ وقائد موسى النبي

اول من كتب في السل انه دالا معتر سقراط الفيلسوف اليوناني الشهير

اول من قال من الروم ان الارواح غير قالية بل هي اذلية ابدية طاليس الفيلسوف

اليوناني

اول من عرف علم الطبيعة والميثة عند اليونانيين طاليس هذا

وهو اول من قال الكلمة المشهورة « ايها الانسان اعرف نفسك »

وهو اول من اتى بكسوف الشمس وخسوف القمر قبل وقوعها

وهو اول من بحث عن اسباب الاهوية والزوايع والصواعق والبرق والارد

(١) وفي الكشف ٤١٥:٢ المكبري وهو خطأ (٢) غلط الكشف في هذه

القسمية بموضعين اولاً قال ازهار الجمال (١٣٢:١) ثم ازهار الجمائل (٧٠:١) - (٣)

كرر الكشف هذا الكشف مرتين في محل واحد (١٣٢:١)



وهو اول من قاس ارتفاع القلاع والاهرام من ظلها الجنوبي لما تكون الشمس في الاعتدال

واول من قرب القربان للبياكل وطهر الارض والمدائن والمنازل المهلكة  
البيدس اليوناني

اول من اخترع حمل الفخار بالدولاب انخريسيس الفيلسوف اليوناني

اول من امتنع لتواضعه ان يلقب حكيماً فيثاغورس الفيلسوف اليوناني

اول من شهر علم الفلسفة بطريقة جلية في جميع اليونان دون غيره انكساغوراس  
الفيلسوف اليوناني.

اول من ادخل فلسفة اليونان الى رومية شيث مروان الخطيب الروماني الشهيد قبل  
الميلاد بقرن

اول من قال في الجاهلية اما بعد كس بن ساعدة اسقف نجران النصراني

وهو اول من اتكأ على عصا عند خطبته واطال الكلام

واول من وصف الخيل واجاد بتشبيهاته امرؤ القيس من اصحاب المعاني

واول من لعب بالصقور الحارث بن معاوية بن ثور الكندي ملك كندة

واول طبيب عند العرب الحارث بن كلدة الثقفي ثم ولده النضر

اول من سكن نجران يزيد بن عبد المدان بن بني كهلان ولما نحو سنة ٤٥٠ م

واول من سمي اليوم السادس من الاسبوع الجمعة وكان يقال له العروبة كعب بن لؤي

اول من قال مرحباً واهلاً سيف بن ذي يزن الميزني فلما لعبد المطلب بن هاشم

ما وفد اليه مع قريش لتهنئته برجوع الملك اليه

اول من خطب في الاسلام النبي (عليه الصلاة والسلام)

وهو اول من قال ( مات فلان حنف الله )

واول من اسلم خديجة زوجته

اول كتاب كتب في اللغة العربية بصدر الاسلام المصحف سنة خلافة ابي بكر

لأنه اول من احتفى بجمعهم

اول من كتب في الاسلام علي بن ابي طالب

وهو اول من قال جعلت فداك

اول من قال ايديك الله واطال بهاءك عمر بن الخطيب

ولؤلؤ والي مرضى لفرعيته نفعته ابو بكر الصديق  
 وهو اول من سمي خليفة  
 وهو اول خليفة مسلم قبل غيره وهو سفيان  
 وهو اول من سمي القرآن مصفيا  
 واول من قلل اجعل هذا الشيء بأجك (طريقا) واحد عثمان بن عفان  
 واول من قلل فاض الميت شريح قال هذا حين فوضه  
 ولؤلؤ من جميع الرجال مالك بن انس فقيه المدينة بقوله هو لؤلؤ العجاجة  
 واول خليفة بايع لولده في الاسلام هو معاوية بن ابي سفيان بايع لولده يزيد  
 وهو اول من وضع البريد - واول من خطب جالس على الاربع  
 وهو اول من سمي الطيب غالية واول من عمل المقصورة في المساجد  
 واول من ضرب الدرام والدينار في الاسلام عبد الملك بن مروان  
 واول من بنى المارستان في الاسلام. ودار المرضي الوليد بن عبد الملك وهين له  
 اطباء يرواها وحسن الخدوسين واجرى عليهم وتكى العميان الرزق  
 واول من ضبط الحروف العربية بالنقط والحركات نصر بن حاتم بمطابقة عبد الملك  
 ابن مروان  
 واول من اتخذ اللغة العربية في الدواوين بنو امية  
 لؤلؤ لحن سمع بالبادية هذه عصاني واول لحن سمع بالعراق حمي على التللاج  
 لؤلؤ من سمي وزيراً في الاسلام ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال الحمداني  
 استوزره السفاح في القرن الثالث للهجرة  
 اول من لقب امير الامراء في الاسلام ابن رائق امير البصرة وواصف في القرن  
 الرابع للهجرة وكان صاحب هذا اللقب يتولى رئاسة الوزارة والبلد  
 اول من لقب بالصاحب من الوزراء اسماعيل بن عبد. وزير موبد الدولة سيف  
 القرن الخامس للهجرة  
 اول من التزم الصحيح من اللغة مقتصر على الامام ابو نصر اسماعيل بن سبط  
 الجوهري في كتابه الصحاح  
 اول من وضع كتاب الاجتناس في اللغة الاسمي لان التقييس مولد وليس من  
 كلام العرب

اول من ذكر ابنية الاسماء والافعال فاورد للاسماء الثلاثمائة مثال وثمانية امثلة  
سبويه في كتابه المشهور

اول من نقل الخط من القلم الكوفي الى الصورة المتعارفة ابن مقلة وزير المقتدر بالله  
اول من وضع المثلث في اللغة قطرب من اهل القرن الثاني للهجرة  
اول من تعمق بدرس كتب ارسطو الفيلسوف اليوناني وفسرها ونشرها بين  
العرب الفارابي

اول من تكلم باصول الفقه واستنبطه الامام الشافعي  
اول من دعي بقاضي القضاة ابو يوسف القاضي من اهل القرن الثاني للهجرة  
وليل ابن جنية الانصاري

واول من غير لباس العلماء الى زيه المعلوم عندنا اليوم ابو يوسف المذكور  
اول خليفة لعب بالصولجاني والكرة عند العرب هو هرون الرشيد العباسي  
اول من عمل اسطراباً في الاسلام الفزاري زمن المنصور العباسي  
اول من اشتغل بنقل العلوم الى العربية خالد بن يزيد الاموي حفيد معاوية  
الاكبر في القرن الاول للهجرة

اول من مشى الزجال بين يديه بالسيف المرفقة والاعمدة المشهورة والقسي  
الموتورة موسى الهادي العباسي في القرن الثاني للهجرة  
اول رصد وضع في الاسلام بدمشق زمن المأمون العباسي  
اول من كتب من العرب في السياسة المدنية او الاقتصاد السياسي الفارابي ثم  
ابن خلدون في مقدمته

اول جمعية علمية فلسفية عند العرب جمعية « اخوان الصفاء » في بغداد في واسط  
القرن الرابع للهجرة

اول من استخدم المرقد « البنج » في الطب العرب واستخدموا له الزوان او الشيلم  
اول من استخدم الكاويات في الجراحة العرب علي بنو ما في عليه اليوم  
اول من كتب في الجذام اطباء العرب واول كتاب فيه ليوحنا بن ماسويه  
اول من وصف الحصبة والجذري بكتاب هو ابو بكر الرازي  
اول من انشا حوائث الصيدلية واشتغل في تحضير الادوية العرب  
اول من استخدم الجيوب والاوراق في قياس المثلثات والزوايا البتاني الرياضي العربي

- اول من استعبط الكرة البيروني الجغرافي العربي الشهير  
 اول من ثاول الارقام عن المنود الخوارزمي فنسبت اليهم  
 اول من حسب فلك نجم المذهب علي موجب قواعد تعليمية اسمى نيوتون  
 الانكليزي في القرن السابع عشر  
 اول من استعمل الشاري « قضيب الصاعقة » فرنكلين سنة ١٧٥٩ م  
 اول من اكتشف الكينا رجل اسمه بلييه سنة ١٨٢٠ م  
 اول من اكتشف التلقيح بالجدرى ادورد جنرال الطبيب الانكليزي سنة ١٧٩٦ م  
 اول من استعمل طوايع البريد الانكليز في لندن سنة ١٨٤٠ م  
 اول طابعة « تيب ريدر » صنعت في اميركا سنة ١٨٧٣ م  
 اول من اكتشف النيتروجين الدكتور روثفورد سنة ١٧٧٢ م  
 اول من اخترع نذاكر البريد الدكتور هرمن الالماني سنة ١٨٦٩ م  
 اول جريدة عربية انشئت في مصر « تقوم الوقائع » سنة ١٨٢٨ م  
 اول جريدة عربية انشئت في الاسكندرية العلية « مرآة الاحوال » لرزق الله  
 جسون الحلبي سنة ١٨٥٤ م  
 اول جريدة عربية انشئت في سورية . حديقة الاخبار . خليل الخوري اللبناني  
 سنة ١٨٥٨ م  
 اول مطبعة عربية انشئت في سورية مطبعة حلب الارثوذكسية منذ مائتي سنة  
 أي في اول القرن الثامن عشر للميلاد  
 زحلة . لبنان . : عيسى اسكندر المعلوف



## سير العلم والاجتماع

## اللغة العثمانية

معلوم ان اللغة التركية العثمانية اليوم مؤلفة من ثلاث لغات التركية الاصلية والمريية والفارسية وان الالفاظ العربية في العهد الاخير كثرت فيها جداً حتى تكاد تجد في الصفحة الواحدة ثلاثة ارباعها من الالفاظ العربية وربما اكثر وقد شق هذا الامر على « اقدام » احدى جرائد الاستانة فقامت تطلب تصفية اللغة العثمانية من الالفاظ العربية وقد ردت الجرائد الاخرى على هذا الرأي وزيفته وسيفه. مقدمتها جريدة « تصوير افكار » بقلم صاحبها ابي الفيا توفيق بك الكتاب المشهور فقال من مقالة له ما ترجم به : زعمت أن يوسف الثاني ملك النمسا كان اخذ على نفسه نشر اللغة الالمانية بين المجر فانتبه المجرىون لما يواد بلغتهم واخذوا يطرحون منها الكلمات الزائدة من اللاتينية والالمانية فتم لم ان يكونوا اليوم امة وان البلغار وان كانوا في الاصل اتراكاً ابدلوا لما نزل قسم منهم اوربا مذهبهم ولسانهم بالنصرانية والسلافية فعدوا ينظرون البنا نظراً الخصومة كأنالسا منهم وليسوا منا في شيء . ولكننا لو نظرنا الى تاريخنا وكيف تألفت جنسيتنا لا نضج بمثل هذه الخبيث .

فانا قوم ( الترك ) قد دفعنا ايدي بكواتنا وامرائنا وكنا عبارة عن الف او الفين من الرجال اضطرتنا غارات جنكيز الى الرحيل عن اوطاننا فجتنا الى القرب من هذه العاصمة ونزلنا قسبة سكود ومنذ ذاك العهد حتى اواخر سلطنة سليمان القانوني ايام بلغنا غاية الغايات في فتوحاتنا ووصلت قوتنا الى ارض صراقها اخذنا نتشر في قارات الدنيا الغلات الكبرى فجمعنا تحت لواء حكومتنا نحو عشرين الى ثلاثين جنساً ومثل هذا العدد من الاديان والمذاهب حتى لقد استويتنا ايضا على جزء من بلاد المجر المجهوث عنها آنفاً .

واذ نحمد في العهد الاخير ان نتقدم سياسة التغلب الى الامام التي لم تكن مبنية على مقصد خاص على نحو ما كانت سياسة بطرس الاكبر اميراطور روسيا مثلاً . ولما لم تكن سياستنا نتيجة فطنة وقأمل قائمة على اساس متين انجلت عري هذه الاجناس المختلفة التي لم يدرك بايدي بدء ان الضرورة تدعو الى توحيدنا لاذى خلل عرض اقوة الدولة .

ثم ان الرابطة التي تربطنا والشعوب الاسلامية ومن هم قوام روابطنا كالعرب والاكرواد وبعض العشائر المغولية التي سقطت الى هذه الارزاء وتوطئت فيها ومن تركناهم من اولاد الفاتحين ومن تفرقوا من المجاهدين اتباع بكوات الروملي فانتشروا في تلك الديار ان تلك الرابطة قد دعت الى ان يمتزج هؤلاء باهالي البلاد الاصليين اي بالبلغاريين والصربيين والارناؤد والبوشناق فاخذ هؤلاء يدينون بالاسلام حتى اصبح نحو نصف سكان تلك الاقطار الواسعة من المسلمين . واضطر اولئك المسلمون الى تعلم امور دينهم وبهذه الوسطة انتشر اللسان البعثاني وتغلب الفكر الديني على الجنسي وانشأ اولئك الشعوب يعتقدون بان السلطنة العثمانية حامية الدين وسلامتها سلامة لهم في النارين وبفضل هذا الاعتقاد غدا اهالي البوسنة المسلمون خاضعين للحكومة التماسوية وهم لا يقولون عن ٥١٠٠٠٠ نسمة ينظرون الى التسويبين نظرا الاعداء مع انهم من عرق واحد . ومثل ذلك قل في البومانيين والجاتيانيين وغيرهم من سكان بلغاريا ممن يرون السلافيين اعداءهم على حين هم وايامهم من اصل واحد ولا يستثنى من ذلك الا الارناؤد فانهم في بلادهم يفضلون الجامعة الجنسية على كل جامعة فيدين المرء فيها بما يريد ولا من يسأله عن معتقده دان بالاسلام او بالتصيرية لان مسائل الاعتقاد من الامور الوجدانية النفسانية ولكن يبقى للجنسية القول الفصل بينهم فاذا استباح حمام اجنبي يقوم المسيحيون والمسلمون يذودون عن حياض بلادهم قومة رجل واحد بمعنى انه لم تشب قط ولا تشب فتنة باسم الدين في بلاد الارناؤد فاللسان التركي الذي نستعمله منذ ستمائة سنة مؤلف من ثلاث لغات وقواعد صرفه ونحوه هي من الاصول المتحصلة من القواعد التي اقتبسها العجم عن العرب ولذلك اصبح لغة قائمة برأسها ولمحة خاصة بالعثمانيين فقط . وبقدر ما بين التركية الشائسة فيها وراء النهر والتركبة المستعملة في آذربيجان والتركبة التي يتكلم بها بعض الشعوب الاتراك في قافقاسيا والتركبة المستعملة بين التاتار بين في القريم من الفروق فالفرق كذلك بين لغتنا ولغتهم .

وبالجملة فان ما فقدته الدولة العثمانية من املاكها بمدور الفتح من البلاد وما خسره بعد عهد السلطان سليمان من النفوس مما لا يقل عن ثلاثة ارباع السكان وما نحن مضطرون ومفتقرون اليه من تعلم اللغة العربية التي هي لسان شريعتنا وعقيدتنا مع كل هذا هل جذب العربي التابع لنا التركي اليه وصبغته بضفته ام نحن

صيننا العربي بصفتنا . وما ادري كيف نشأ خيال الخوف من فقدان وطنيتنا اذا لم نعدار كنهية لساننا فقد رأينا جميع ابناء العرب النازلين في المدن والبلاد الواقعة بين الاسكندرونه وبقداد يشكلون بالتركية ولقد استنابشرف اللقاء في مجلس النواب باناس من مبعوثي العرب يطلق عليهم لقب « آغا » ولكنهم يفوقون بغضايتهم وكلام كثير من وزراءنا فكان الحلييون والرهاويون والعينيون ( اهل اوره وعتتاب ) والمواصلة والكركوكيون والسليانيون والبقاديون يشكلون ويكتبون بهذه اللغة العثمانية المزوجة من التركية والعربية والفارسية بلسان يشف عن فضل بيان واحسان لا يضاعفهم فيها الا قلائل منا وما ذلك الا اثر من آثار انتشار آداب التركية الجديده بينهم لا التركية القديمة .

وعاد الكاتب المشار اليه في عدد آخر يقول في الرد على مناقشه ان اللغة العثمانية هو لسان الامة التي انشأت هذه الدولة العثمانية من الاتراك وغيرهم من الشعوب الذين اتحدوا معهم اترق كل الاقتراق عن تركية الجغتاي لمقصد سياسي بل من الواجب عليه ان ينفصل عنها وذلك لاشتراك الشعوب العكسيرة التي دخلت دائرة اتحادنا فانشئت هذه الهيئة الاجتماعية ولذا لا تجد حاجة لها ان تخطب وتتكلم بالفاء اويغور وتركية ما وراء النهر .

فما دامت الف بابتنا اليوم هي آلة الكتابة المشتركة التي اتخذها العرب وازاد اليها الفرس اربعة حروف فعبروا بها عن لغتهم وما دمنزى من الواجب علينا ان نقلد العرب بسائق الدين ونقلد الفرس بسائق الادب ونحن في حاجة ماسة الى الاعداد من مؤلفات العرب والفرس والانتفاع بما خلفوه من علومهم منذ الف وثلاثمائة سنة وما دامت مصنفاتنا العثمانية منذ ستائة وخمسين سنة قد دونت من هذه اللغات الثلاث فنشأت عنها الفجة العثمانية ما دام الامر كذلك فنحن نأخذ في كل عصر من خزائن معارف هذه اللغات الثلاث ولا نخذ عنها بدلا . ولعمري ماذا نخرج من الفوائد اذا قلنا اليوم الجزار بين والخطو قد بين والكشغر بين بلهجاتهم وكتبهم ولكن هذه الشعوب اذا قلنا في لغتنا اقتراب من منهاج معارفنا لتستفيد من ذلك فوائد حسنة .

مقاومة الكحول

يشهد حملة الاعلام واصراء البيان في الممالك الافريقية يوما بعد يوم سيجي مقاومة المسكرات وذلك بواسطة جمعيات نذر اعضاؤها على انفسهم ان يقعدوا للمسكرات كل

مرصد وقد كانت سويسرا من أول الامم التي قاومت انتشار الابست منذ ثلاثين سنة فصعدت الحكومة هناك بامر الشعب وأرادة الشعب حكم وعملت على ما اقتضاه منه المقاومون للمسكرات على كثرة خصومهم بادعي ذي بدء والموافقون على المنع رجال الصحة والادب والجمعيات الطبية والسياسية والكنائس والاحزاب السياسية المتطرفة من كاثوليك وبرتشتانت ولم يقف على الحياد في هذا الباب سوى الحزب الراديكالي .

وقد سبقت فنلندا سويسرا في مقاومة المسكرات فاصدرت حكومتها امرا منذ سنة ١٨٨٢ يمنع بيع المسكرات بالفرق للناس والاتجار بها وجعلت بيعها بيد جمعيات تنفق ريعها على ما من ورائه فائدة عامة . وهذه الجمعيات تقاوم السكر بكل ما فيها من طاقة وتصد العامة من غشيان الفئادق وتدفعهم الى الاختلاف الى المطاعم الصحية التي لا تبيع المسكرات واخذت تلك الجمعيات تدخل في دروس المدارس مضار المسكرات وتنفر الدارسين من تعاطيها . وحذت النسخا حذو الامم العاملة على تقليل المشروبات فانشأت جمعيات تصد العملة عن الشرب والفحش في تكثير سواد المرادها ونماها . قد جعلت جمعية نقابات العملة شعارها : ان المشروبات الروحية منبع الازمة العظيمة على طبقة العملة تسلبهم قوام الطبيعة والعقلية اللازمة لهم في جهاد الحياة . وهكذا ترى الحال في معظم الامم الاوروبية ولا سيما في الممالك الصغرى مثل السويد وتروينج والدانيمرك وهولانده والبلجيكا وبلغاريا . وهذه الامارة الاخيرة اخذت منذ أسست سنة ١٨٧٨ تقلد الاوروبيين في منحهم واحب مخالفة القواعد التي كانت مرعية فيها على عهد حكم العثمانيين عليها من وضع العقبات في سبيل المسكرات ولكنها عادت تفكرت في العقابة حتى قل فيها تعاطي المشروبات كثيرا في البلاد التي تكثر فيها الكروم واخذ البلغار يون يرددون المثل البلغاري السائر بينهم وهو ان الماء لا يخلق الرأس ولذلك جعلوا شربهم الماء الصرف وقد لا يتناولون المسكرات في بعض اعيادهم وهي لا تتجاوز الخمسة او الستة ايام في السنة كلها .

وانتهت بعض ولايات اميركا الشمالية الى مضار المسكرات فسنت منذ سنة ١٨٤٦ قانونا لحظر بيعها بالفرق ومن هذه الولايات كنساس وميسيسي والاسكا وغيرها وقد عادت بعض الولايات ايضا بعد ان رأت فائدة المنع مثل ولايتي الاباموجورجيا فسنت قانون الحظر لتقتد سكانها السود من الموبقات وسكانها البيض ولا سيما النساء من اعتداء الزوج عليهن وبذلك أخذ يقل توقيف المهربين والجناء شهرا عن شهر



في تلك الولاياتين قلة محسوسة

اما المملكة العثمانية فمع ان دين حكومتها هو الاسلام والاسلام اشد الاديان في حظر المسكرات قراها امس واليوم تشدد على المسكرات ظاهراً وبهجها في الباطن ولا سيما قبل ان تكون دستورية ترك الامور لطابعها حتى تستفيد الديون الصومية من رسوم المسكرات . وياجبذا لو فكر مجلس الامة في سن قانون شديد للمشروبات الروحية والاكثر من الرسوم عليها أكثرأ لا يستطيع معه حتى الاغنياء تناولها وبذلك تنفع البلاد نفعا تقدره قدره بعد ستين عندما يصبح معظم اربابها متعلمين مهذبين بفضل التعليم الاجباري . وبعد تمرير ما تقدم منعت الدولة البلية وخول الاكحول التي تصل من غير العنب الى بلادها وان لا يدخل اليها من الاكحول ( اسبرتو ) الا ما كان مزموجاً ببعض الاجزاء ليستعمل في بعض الصناعات فحزنا يوم تمنع على اختلاف خسرويه .

### الاعلانات

يؤكدون ان الولايات المتحدة تنفق في السنة ٢٥٠ مليون ليرة على نشر الاعلانات حتى ان بعض اصحاب معامل الصابون يتفقون كل يوم على اعلاناتهم ٢٥٠ ليرة وقد ارسل احد المخازن موقراً الى زبته قوائم يضامه عدد صفحات كل قائمة الف صفحة ووزنها ثلاث ليرات فكان ما كلته ذلك اجرة نقلها في البر يد فقط ٦٤٠ الف دولار او ١٢٨ الف ليرة انكليزية . وقد اتفق احد اصحاب معامل الامواس هذه السنة خمسين الف فرنك زيادة عن السنين السابقة لنشر اعلاناته فياع ستة ملايين مومي زيادة عن القدر الذي كان يبيعه في الاعوام الماضية .

### الصحة في اسوج وزوج

اهل المالك المصغرى في اوربا من اسعد الناس حالاً وانعمهم بالآ . قري زوج منقسم الى مناطق طبية ولكل مقاطعة طبيب تيمنه الحكومة وقدفع اليه راتبه وفي كل مديرية مجلس صحة يرأسه مفتش صحة وطبيب له سلطة تامة على المديرات والافراد ويلتقون الطفل في المدرسة مبادئ حفظ الصحة فيمد فيها التلميذ حملات ورشاشات ( دوش ) . وجميع الامة تعتقد بانثير المكتشفات العلمية والطبية وكلها تقوم بالواجب

في اي مكان كان والناس يقومون احسن قيام بالتدابير الصحية دون ان يتأقنوا او يحاولوا التخلص منها. وقد كان معدل الوفيات في اسوج ١٧٠٧ في الالف سنة ١٨٨١ فتزل سنة ١٩٠٦ الى ١٤٠٣ ومعدل وفيات الاطفال ١١٢٧ في الالف فتزل الى ٢٣٠ وكان عدد سكان اسوج سنة ١٨٨١ - ٤٥٧٢٢٤٥ فاصبح سنة ١٩٠٦ ٥٣٢٧٠٥٥ وكان معدل الوفيات في تروج ١٦ في الالف سنة ١٨٨٠ ووفيات الاطفال ٩٥٩ فتزل سنة ١٩٠٦ الى ١٣٠٥ في الالف و٦٩٤ في الاطفال وبعد ان كان عدد سكانها سنة ١٨٨١ - ١٩٠٨٥١٢ اصبحوا سنة ١٩٠٦ - ٢٢٩٦٣٠٠ كل ذلك بالمحافظة على الصحة على ما يوجبه الشرع والعقل .  
المطورات والاخلاق

جاء في احدى المجالات الافرنجية : الظاهر انه تمسك بمعرفة اخلاق الناس من الطيوب التي يشجعها حتى اصبح الآن من القواعد اتفسيه الجديدة قولهم : قل لي كيف تشطب حتى اقول لك من انت كما قالوا قل لي من تعاشر لا قول لك من انت كلما غوي الشعور في الاعصاب الشامة كانت طبيعة المرء مهجة وعقله حقيقا ولطيفا فروائع الطبيب الهندي والرائحة المعروفة برائحة قبرص وجلد اسبانيا وكلها ما لا يبعد امره لان مستعملها يكونون من ارباب التأثير والمهذو والرفاهية يصابون بكسل سزم من في حقولهم ويميلون الى الاسراف ويستمدون للسمن . اما المولعون بمطر المسك فهم من فطرة احط من اولئك ايضا ويعرفون بالبلادة والتوحش على ان استعمال عطر المسك مع عطر آخر يدل على عقل راق . وفي الملة ان المولعين بمطر البنفسج من المستعدين الذين يهجون الجمال على اختلاف مظاهره ولكن من يستعملون ماء الكولونيا يفوقون غيرهم بحسنهم ووفرة فضائلهم . ويضرب اعطاء صفة لشمع عطر الكوريليس الياباني لان طبايعهم ضربة يجمعون الى حب الغرائب فطرة خبيثة قد تكون نائمة في نفوسهم فلا تلبث ان تنبت في حالة غير منتظرة وتظهر مخيلة كالشمس في رابعة النهار .

#### هبات الاميركيين

بلغ ما جادت به نفوس المحسنين واغنياء الاميركا منذ الحرب الاهلية حتى الساعة بليون ريال على اقل تعديل جادوا بها على اقامة المدارس والمكتبات والمستشفيات وغيرها من الاعمال العلية والطيرية العامة . ومن اوائل المحسنين المستز سلاتير وهب

مليون ريال لتهديب الزنوج والمسترييادي وجب كثيراً من ماله فبيع دفعة واحدة خمسة ملايين ريال لتصرف في سبيل التعليم . ومن غنصتهم المستر ليلاند ستانفورد انشأ جامعة كبيرة ففتحها دفعة واحدة عشرين مليون ريال . ومن غنصتهم او غنصاتهم مسز النصابات اندرسون ومسز رمل ساج ومنهم مورغان وكارنيجي وروكفلر فهبات الاول مكشومة وان كان يعرف منها الشيء الكثير وبلغت هبات الثاني مئة مليون ريال وهو عاقد العزم ان يوزع ثروته البالغة ثلاثمائة مليون في الاعمال التي يعود نفعها على مجموع امته وجاوزت هبات الثالث مائتي مليون ريال . يوجد وبن بلوا لم التي اكتسبها في الغالب من التجارة والاقتصاد من الامة التي كان بعض افرادها خداما لم واعوانا على اثرائهم وذلك على طريقة لا تدخل الكسل على الناس بل على العكس تدعوم الى اقتفاء آكارم والائتمام بهديهم ولطالما سمعنا ان فلانا يعود ببلغ كذا اذا جاد الناس بثله فلا يلبث المبلغ المطلوب ان يجمع فيدفع الكرم ماله راضيا . ولو جمع ما جاد به هؤلاء الاغنياء وامثالهم على المعاهد العلمية والصحية فقط خلال الاربعين سنة الاخيرة لاتباع به ممالك كبرى من ممالك الشرق ولاحتقر الشرقي نفسه وامته ونمى فقرها المدقع وجعلها المطبق .

### كليات ايطاليا

نشرت مجلة التعليم الدولية اخصاء بكليات ايطاليا السبع عشرة وما فيها من الطلبة فكان مجموع من في كلية نابلي ٥٨٥٦ طالبا منهم من يدرسون العلوم ومنهم الطب وبعضهم الصيدلة وفي كلية رومية ٣٠٦٩ وفي تورين ٢٠٨٣ وفي بولونيا ١٦٩٥ وفي بافيا ١٣٦٠ وفي بادو ١٢٩٩ وفي بيذا ١١٨٦ وفي بالمة ١١٣١ وفي جين ١٠٩٥ وفي كاتان ٨٤٢ وفي بارم ٥٣٢ وفي مودين ٤٣١ وفي ماسراتا ٣٥٦ وفي كالياري ٢٤٥ وفي سين ٢٤٠ وفي ساساري ١٩٨ واذا اضفنا الى هؤلاء التلامذة مجموع مائتي الكليات الحرة وهي كامارينو وفرار وبروز واودين يبلغ مجموع الطلبة في الكليات الايطالية ٢٤٦٤٤ منهم ٤٣٥٦ في الطب و٣٣٢٢ في العلوم و٢٢٧١ في الصيدلة .

### الامويون والعباسيون

التي رفيت بك . العظم خطبة في نادي دار العلوم في القاهرة سيه اسباب سقوط الدولة الاموية والعباسية قال فيها : كان الامويون شديد يدي الحذر من آل علي كما

ذكروا وكان هؤلاء بعد نكبتهم في خلافة يزيد قليلا الجراء على الظهور لشدة العمال عليهم ومراقبتهم لحركاتهم وسكناتهم ولأن الخلفاء من بني أمية كانوا مع شدة حذرهم منهم يراعون مكانتهم ويحسنون إليهم فلم ينزع أحد منهم إلى الخروج عليهم لضعفهم إلا يزيد بن علي فقد خرج في خلافة هشام فقتل في الكوفة وقتل ابنه يحيى في خراسان أما تميم بن هاشم فقد كان بأسر سليمان بن عبد الملك لأنه خاف جانيه لما رأى فيه من الغيابة والدكاء .

وربما كان هناك سبب آخر لضعف آل علي من بني فاطمة وهو أن الدين بقوا منهم أحياء بعد نكبتهم في كربلاء كانوا أطفالا لا يصلحون لقيادة الناس فالتفت الشيعة حول محمد بن علي المعروف بابن الحنفية من غير ولد فاطمة وهكذا اساقوا الإمامة في بني من بعده كما سألها غيرهم إلى بني فاطمة أيضا وانتقلت من ثم إلى أبي هاشم إلى بني العباس .

لاجرم أن سليمان بن عبد الملك جنى على دولته بقتل أبي هاشم لأن آل علي كانوا لشدة ما تناولوا من المراقبة والاضطهاد شديدي الحذر بطيحي الخطي في الوثوب على الخلافة الأموية والظهور لمنازعة الأمويين عليها فتلقى المهدي بها آل العباس وهم يسيرون من سوء الظن والمراقبة لم يعاينوا مشاق الدعوة ولم يدعوا طعم الاضطهاد ليعانقوا الوقوع فيه : ولذا ما لبثت أمة عبد الله محمد بن علي بالامر حتى نهضوا بأعباء الدعوة بجراة عظيمة وكان لإبراهيم بعد موت أخيه محمدا كان مع أبيه مسلما يتفويض امر الزعامة إليه وقيام هذا بث الدعوة أحسن قيام حتى اشتغل أمرها وظهرت على خصومها .

أحد الأمويون بهذا الخطر السريع فبادر إبراهيم الإمام بالقتل فنهض أبو العباس السجاح بعد قتل أخيه إبراهيم وطبل الأمويين بالوثوب عليهم قبل أن يدب الفشل في أهله وشيخته منتزه أفرصة وقوع الشقاق بين الأخوة وأبناء الأعمام من آل مروان وعظي المملكة الأموية بنار الفتن وظفر بما أراد وقضى على دولة الأمويين في المشرق فذهبت كأن لم تكن بالأمس .

على أن ظفر الصباسيين على هذا الوجه وبهذه السرعة له بوأث وأنساب أخرى كاختلال نظام الدولة وغيره أرى أن الم بها على قدر ما يمكنني من الاختصار .  
تعلون أن الدولة تموت بزعزل ونحيا بأخر وأن الرجال في الدول قليل والدولة

الاموية لما فقدت رجلها فقدت جانباً عظيماً من قوتها واعني باولئك الرجال الرجال المخلصين الذين يخدمون الدولة بمنتهى الصداقة بقطع النظر عما ينسب الى افراد منهم من القسوة فيتمهمونهم من اجل ذلك بالظلم اذ الرجال يصطبغون بصبغة الدولة ويتشككون بشككها والدولة الاموية لما كانت دولة مطلقة لزم ان يسير عمالها على منها .

من رجال الدولة الاموية المخلصين . موسى بن نصير . والحجاج بن يوسف . وخالد ابن عبد الله القسري . ويزيد بن المهلب . وقتيبة بن مسلم واخراهم ومن خدام الخلفاء الامويين انهم لم ينصفوا امثال هؤلاء الرجال فلخرجوا من اخرجوه منهم حتى اخرجوه فقتلوه كخالد بن عبد الله وقتيبة بن مسلم ويزيد بن المهلب الذين ذهبوا ضحايا سوء التفاهم . وموسى بن نصير الذي زوجه في السجن في نظير فقه الاندلس ومات اتبع ميتة فقدت الدولة بفقد هؤلاء الرجال وامثالهم جانباً لا يقدر من قوتها واخذت نخط من ثم هبتنا اما الحجاج قوته في الحقيقة مبدأً افول نجم الدولة الاموية لانه كان يدها التي بها تضرب وعينها التي بها تبصر فانه بعد ان اخمد لم تفتح ابن الزبير كان والياً على الكوفة واليه ولاية خراسان وكلتا المسكتين عرش الفتنة ومنبع الدعوة الامامية ومع هذا فقد ضبط البلاد وارهب يطشه المذرعين للدولة والنازعين الى الشعب . واحسن في انتقاء العال والقواد فامتد ملك الامويين على عهده الى كابل من بلاد الافغان شرقاً والتركستان الصينية شمالاً ولو وجد بعده من يخلص من الولاة للدولة اخلاصه ويكون في مثل حزمه وعزمه لطلال عمر الدولة الاموية بلا ريب . ولعل توابغ الرجال يكثرون في مبدأ نشوء الدولة وان كانت هذه النظرية تحتاج الى تمحيص .

ومما ساعد ايضاً على اختلال نظام الدولة الاموية تباعد اطراف المملكة باصار اليهم من الفتح الى عهد هشام بن عبد الملك اذ اتسعت دائرة ملكهم الى ما لم تبلغه قبلهم غير دولة الرومان .

فما بين النهرين المعروف بالجزيرة ويران وقسم من الافغان والتركستان والتبت والقوقاس وارمينيا وشبه جزيرة العرب وسورية فمصر والمغرب والاندلس كل هذه الممالك دخلت في خوزتهم واصبحت خاضعة لسلطانهم . وضبط مثل هذا الملك المتراخي الاطراف مع صعوبة المسالك والمواصلات لتلك العهد متعزراً جداً ولا سيما على امة حديثة عهد في سياسة الام . ولذا فقد كانت الفتنة في طرف من اطراف

المملكة بين الجنود والاشراء المتنازعين على الولاية ونهشهم يقتل وال وقيام غيره وربما انتهت بقلبة الشانجباو المتنازع وضم البلاد الى حوزته واستقلاله بالولاية عليها دونه ونهشها عن جسم الدولة والقلبة لا يعلم ذلك اولا تعمل قدرته الى اتحاد نلر الفتنة في تلك البلاد النائية .

مثاله ما وقع في المغرب سنة خلافة الوليد بن يزيد سنة سبع وعشرين ومائة اذ تنازع عبد الرحمن بن حبيب من ولد عقبة بن نافع القهري فاتح افريقيا مع حنظلة بن صفوان والى افريقيا فكانت القلبة الاولى واستأثر بالسلطة على البلاد وبقيت افريقيا مستقلة عن الخلافة الاموية حتى قيام الدولة العباسية .

ومثل هذا وقع في الاندلس وفي بعض الاطراف الصحيفة ولا يخفى ما سيجعلنا من الوهن والخطر على المملكة .

ثم ان من الامور الثابتة في الاجتماع ان الدول الحرية الفاضحة لا تزال في الفخ مجدها مادامت على جانب الخشونة وما دام الرأعي والرعية مترفين عن الانفاس في الترف والاسترقاق في ملاذ الحضارة . وقد عرفنا هذا في كثير من الدول البائدة كدولة اليونان وخلفاء دارا والاسكندر ( اي البطالسة ) والرومان حتى لقد قال مونتسكيو في تاريخه اسباب صعود الرومان وهبوطهم : ان دخول الرومانيين الى الشام كان مبدأ ضعفهم بسبب ما كان مسلطاً على اهلها وملوكها من الرخاوة والترف .

والدولة الاموية انما هلكت في نفس تلك البيئة التي هلك بها الرومان من قبل وبعد ان حافظت على خشونتها الاولى الى خلافة هشام بدأت سيفخ خلافة الوليد بن يزيد المعروف بالتهتك فخط عن خشونتها التي عرفت بها واخذ الخلفاء من ثم يميلون الى الترف والراخه والاسترقاق في الملاذ تبعاً لاحوال البيئة التي نشأوا فيها وهذا بالضرورة كان من الاسباب التي عجلت على دولتهم يضاف اليه انقسام العرب في خراسان التي هي منبع الدعوة العلوية والعباسية الى مضرية وجمانية وتنازع رؤسائهم على الولاية في اiban استحصال الدعوة .

مثاله ما وقع بين الحارث بن سريج والكرماني وبين هذا وقلبة وبينهما وبين نصر ابن سيار حتى نلت قوس العرب هذه الجلال وسئمت ممارسة الحرب ورأوا انقسام اتباع ضحايا القسطن وعتدن ترهق في سبيل المتنازعين على الخلافة من قريش حتى قال قائلهم :  
تولت قريش لمة العيش وانبت بنا كل فج من خراسان اغبرا

قلت قريشاً اسبحوا ذات ليلة يومون في لاج من البحر اخضرا  
 لاجرم ان القديس روح الشقاق بين العرب في خراسان انعام اهل الدعوة الماتمية  
 ٣ من طوئين وعباسيين والقديس انصح قصد اني مسلم في نشر الدعوة العباسية وقلب الدولة  
 الاموية طواطو سكان البلاد الاصليين على قبر الامويين وقل عصبيتهم العربية وقد  
 عرف ابراهيم الامام مثلزع القرس وعلم ان دولته يقوم بنير العرب من الناقين منهم وان  
 العرب شديدا الحبة للامويين لاصطباغهم بالسنة العربية المخلصة فكاتب الي  
 اني مسلم ان لا يبق علي عربي في خراسان ان استطاع فجل رجال الدعوة يضريون العرب  
 بعضهم بعض لان قسما كبيرا منهم عن قم من الامويين قبل الدعوة وصلو من  
 القاتنين بها المالمين علي تشيد دعائهما تبدا واعتقاداً .

هكذا اثر القرس الديني الذي غرسه قبل ذلك بقرن ابن سبلا واضرا به من الموالي  
 التاقين من الدولة السائدة واستمال علي العرب في المشرق استبقاء السلطة خاتمة لم  
 دون الام الاخرى المحكومة منهم وقد جرت سنة الوجود هذا الجري في كثير من  
 الام من قبل .

قال مونتسكيو : اقتضت الحكمة الالهية ان يكون للممالك حدود طبيعية تمسك  
 باعثة الملوك عن تجاوز هذه الحدود وتعدي بعضهم علي بعض ولما تجاوز هذه الحدود  
 الرومانيون اهلكهم البرث اي قضااء القرس وبددوا شملهم ولا تجاوزها البرث انفسهم  
 اضطروا لاول امرم للرجوع الي اراضيهم .

واقول ان العرب اصيبوا بما اصيب به ازومان والبرث وطباع الاجتماع تعذر  
 اولئك الاقوام علي ما فعلوه مع العرب وحسب العرب ان نشروا دين الاسلام  
 فلا مواخذة ولا ملام ولا سب ان الاسلام يرمي بطبيعته الي محو الحدود السياسية  
 والجنسية بين الشعوب كما ترمي الي مثل هذا مبادي جملات السوسالست او  
 الاشتراكيين او الاجتماعيين لهذا الهد .

ورب قائل يقول ان هذا الانقلاب اي انقلاب الدولة الاموية الي عباسية لم  
 تكن نتيجته كلها كما يريد اولئك الاقوام المغلوبون للعرب اذ دولة الامويين عربية  
 قرشية ودولة العباسيين ليست كذلك .

الجواب علي هذا يأتي من وجهين . الوجه الاول . ان ام المشرق لذلك الهد  
 قلما كانت تقدر قيمة الحرية الكاملة لفتلتها في وجود زعماء الاجتماع الشرقي او كما قال

موتسكيو ان ام آسيا لم يكن ميلهم الى الحرية كميل ام اوربا اليها اليوم اي لعده ٤  
ليعلمهم على الخروج من الاسر والاستعباد وانما كان ميلهم الى تنفيذ الملك ولاصبر  
لهم على بقائه طويلاً

وسواء صححت هذه النظرية او لم تصح فانه يجوز لنا تطبيقها على الامم التي دخلت  
تحت حكم العرب لذلك المهد باعتبار ان الاسلام جمع بينهم جميعاً فلا فرق عند  
القرس وغيرهم ان يكون الخليفة او الملك عربياً او غير عربي ما دام الملك آملاً الى  
غير الدولة التي تقموا منها وما دام مصدر اكثر السلطة اليهم بعد فل حد العصية  
المرية التي كانت قائمة في دولة الامويين متسلطة بقوتها على كل شيء  
وقد كان ما ارادوه بقيام الدولة العباسية التي لم يكن لها من العربية الا الاسم  
وفي مصطفة بالصيغة الاجمعية مشبكة مع العناصر الاخرى بالنسب والصر مشاركة  
لهم بمصالح الدولة

هذا الوجه الاول اما الوجه الثاني فانتظار النتيجة الطبيعية لمثل هذا الانقلاب  
ولو في المستقبل البعيد وتلك النتيجة هي ان اصطبغ الدولة او الامة السائدة بصيغة  
اهل البلاد يجعلها مع الزمن الى عنصر هذه الصيغة والعكس بالعكس اذ من الشعوب  
من اصطبغوا بصيغة العرب بعد الفتح فاندجروا فيهم ومن الشعوب من اصطبغ العرب  
بصفتهم فاندجج هؤلاء فيهم وهذا ما وقع لسكان آسيا الوسطى بعد قيام الدولة  
العباسية ثم سقوطها وقيام غيرها من الحكومات الوطنية على انقاضها وهكذا رأينا دولة  
القرس وغيرها من الدول الاسلامية دينا المختلفة جنساً قد حادت الى اصلها وهي قائمة  
الى الآن وستبقى قائمة عزيزة الجانب منية الجانب الى الابد ان شاء الله

وهكذا نرى الخلافة الاسلامية التي سالت من اجلها او باسمها تلك السماء النزيرة  
صارت الى غير العرب اليوم وفي دولة هي اعز دول الاسلام مكاناً واجدرها بحفظ  
بيعة الخلافة ولم يمنع الدين ان تكون اليها الخلافة كالم يمنع ان تكون فيمن يقع عليه  
اختيار الامة ورضاها في عهد الصحابة الكرام ولو من غير بني هاشم والشارع يعيد نفسه  
اما ما يقوله بعض المؤرخين من ظلم للدولة الاموية ويعزى اليه دمارها فبالفح فيه  
وما كان منه صحيحاً فهو في نظري ثانوي بالنسبة للاسباب التي ذكرتها وتكاد تكون  
تنتائج طبيعية وليس من دولة في الارض قائمة بالعدل الخفض حتى الدول المقيمة  
تلعيك بالطلقة



ومن قال ان دولة الامويين كانت ظلمة وان ظلمها هو الذي جرح عليها الناس  
بجاهل باحوال الاجتماع او متعصب لدولة اخرى ولو طواب بالدليل على ان الدول التي  
قامت دولة الامويين على انقاضها كالفرس والروم والقوط وغيرهم كانت اعدل منها  
لما استطاع اليه سبيلاً

والحقيقة ان الخلفاء الامويين كانوا اشداء على خصومهم ودون سائر الناس وكانوا  
في منزلة من العناية بالرعية والاهتمام بالعدل بين الناس فوق منزلة كثير من الحكومات  
الطلقة وحسبك ان اشددم قسوة وهو عبد الملك بن مروان استهل وصيته لابنه الوليد  
حين الاحتضار بقوله : يا وليد اتق الله فيمن اخلفك فيهم . والشواهد على مثل هذا  
كثيرة لا يسعها المقام وحسب تلك الدولة فضلاً فتوحها العظيمة التي سودت دين  
العرب ولسانهم على احسن اجزاء المعمور الى اليوم وتلك الايام نداؤها بين الناس اه .  
التاسع المقدسة

اعتاد بعض الآسيويين ان يبدوا بعض الحيوانات المفترسة معتقدين انها تحفظ  
في جسمها ارواح من اقرست . وما زال هذا المعتقد شائعاً في الهند وفي شبه جزيرة  
مالقة . والزخافات في الاكثر هي التي تعبد من دون سائر الحيوانات ولا سيما اذا  
كانت طويلة كالتماسيح المقدسة التي تعيش في الاقاليم ذات البطائح وتكثر اختلاف  
الناس الى زيارتها تأنس بهم وتعتاد الخروج من الماء اذا ناداها الكاهن بهدون ان  
تدعز فيناولها قطعة من اللحم وتبدي الدلال والتجني والناس مجتمعون عليها وربما رسموا  
عليها صوراً ورسوماً . وعند قيل راجيوتانا في الهند عدة تماثيل مقدسة يربوها في قصورهم  
وقد انشأ لها غدير كبيراً تشرب منه وتجدد فيه ومثلت من الهنود يأمنون الى زيارتهم  
كل يوم ويجبركون بها .

#### تراجع الكشكشة

وضع يوسف كاهن الفرنسيسكاني تقريراً في حالة المؤمنين بالمذهب الكاثوليكي  
وغير المؤمنين به فقال انه يقل القائلون بمذهب كنيسة رومية منذ سبعين سنة وان  
جماعتها لا يخرجون من دينهم طناً بل لا يهتمون لاوامره ونواهيهم فكأنهم بذلك  
خرجوا ضمناً وان لم يخرجوا عنها . واكد ان من ضعف ايمانهم هم خمسة ملايين نسمة  
في المانيا واربعة في النمسا والمجر وخمسةائة وخمسون الفا في اوستراليا ومليونان ونصف  
في البلجيك وسبعمائة الف في كندا واربعة ملايين ونصف في اسبانيا والبرتغال

واربعة عشر مليوناً في الولايات المتحدة وثمانية ملايين في امريكا الجنوبية وثلاثة وعشرون مليوناً في فرنسا ومليونان وربع في بريطانيا العظمى وستة ملايين في ايطاليا وثلاثمائة الف في بلاد القاع • هولاندة • وستة ملايين ونصف في روسيا ونصف مليون في سويسرا اي ان المخطئين من الكثرة بلغوا ثمانية ملايين من اصل مائتي مليون •

### المضغ

سأل اقدم الوزير غلادستون وهو في الثامنة والثلاثين من عمره ما هو سر طول حياتك فقال له : « انني امضغ مضغاً جيداً بكل ما اتناوله من الطعام » وجودة المضغ في الحقيقة من الشروط الجوهرية في المضغ وبدونها يخل نظام الصحة • وليس المصابون بسوء المضغ في العادة الا اكلولين اعتادوا ان يقطعوا الاطعمة ويلبثوها بدون سحقها باضراسهم سحقاً كافياً وما خلقت اضراسهم الا لتمضغ الطعام فيتمضمون معدوم ويوسدون لها عملاً ليس من شأنها فيعرضونها للتقرد والامساك والتهاب الاحشاء وهي اسباب الالم فينبغي لم من ثم ان لا يلوموا فيه الا انفسهم • تعلم اجادة المضغ من الضروريات للعالم اجمع ومن لا يمضغ يسيء المضغ ومن يسوء مضغه يعرض نفسه للخطر • وللمضغ قواعد اولاً التأني فبدلاً من ان يتضم الطعام قسماً ويمضغه فيحصل لقمة واحدة يحسب الاقلال منه وتجزئته اجزاء صغرى مالم يكن وتخميره وتليينه باللعاب وحالته كتلة تجل على اللسان بحيث يسوخ بلمه بدون جهد • وهذا من العادات التي يجب اتباعها وهي لا تتوقف الا على قليل من العناية يادي بدنه وشيء من الانتباه حتى لا ينسى الاسكل ما هو آخذ بسيايله •

وقد قال غلادستون ايضاً : « تكلم قليلاً خلال الطعام واحافظ على السكوت كل المحافظة وعدة بروية عدد المضغات وهي تختلف باختلاف الاطعمة ولا تبلغ الا بعد هرس الطعام هرساً شديداً بحيث لا تحرك ما ضحك فقط بل شفئك وخديك واذا بدأت لحقد النظر في ساعتك وامعن نظرك في الابهرة التي تدل على التواني • وبعد بضعة ايام تمتاز هذه الطريقة التي يجب عليك المحافظة عليها كل المحافظة »

وقصاري القول ان الواجب احالة الطعام الى حشاء اذا مزج باللعاب تحت اجزائه وهذه افضل طريقة لمعرفة ما يتناوله المرء ويذوقه • ومن المعلوم انه يجب بذل العناية عادة المضغ بتناول ما يوافق المدة من الاطعمة فلا يؤخذ منها الصلب وما يصعب

خفيه وقفيه والاحسن اختيار اللعوم والبقول الطرية . وما المدة الاخادمة امينة اذا لم تكلف شططاً وما يكون منافياً للصحة وكى من اناس يمشون بجمدم باكرها واضرارها . وقد اسدر الحكام المسيطرون على مراقبة المدارس الاميركية امرأ يوعزون به للعلمين والمعلمين في المدارس ان يعلموا الاولاد كيفية الأكل ولا يغلوا عنهم خلال المائدة وان لا يسبحوا لم بالحياذ عن قوانين الصحة وان يضطروهم الى الجادة المضغ وهذه من افضل الطرق التي يجب على المدارس والبيوت ان تحافظ عليها .

#### كتب التبت المقدسة

اوسع الكتب المقدسة هي على التحقيق كتاب اهل التبت فانه بلغ ٣٢٠ مجلداً والتبت دانت بالبوذية التي اتتها من شمالي الهند نحو القرن السابع للميلاد فترجم علماء التبت في مئة مجلد كتاب ماهايانا المقدس ثم اضيفت اليه الشروح والحواشي على المادة في خدمة الكتب المقدسة حتى بلغ ٣٢٠ مجلداً وسيحكي كل من مكتبة الامة يباريز ومكتبة بطرسبرج ومكتبة لندرا نسخة من هذا الكتاب .

#### الاسلام في المانيا

انشأت البعثة الشرقية الالمانية في بوتسدام مدرسة دينية لدرس دين الاسلام خاصة وسيكون موضوع المحاضرات التي ستلقى هذه السنة في المدرسة على اللغة العربية والفارسية والتبركية وفي القرآن والفقه واصول الشعوب الاسلامية في السياسة وفي الاسلام والشرق القديم وقد اختارت المدرسة ثلاثة من المشايخ لتدريس هؤلاء المستشرقين ما يلزمهم من اصول اللغة والدين .

#### نقود الورق

بلغت نقود الورق التي يتعامل بها في الولايات المتحدة ٢،٤٤٢٠،٣٤١ دولاراً منها مائتة عشرة ريالاً ومنها خمسة ومنها عشرون ومنها الف ريالاً ومنها عشرة آلاف ريال وهي اكبر ورقة وقد ضاع او تمزق من هذه الاوراق النقدية ما قيمته مليون دولار .

#### صحة الاطفال

قالت مجلة الكورسونيدان : رأت نيويورك منذ عشر سنين ان معدل وفيات الاطفال فيها ٢١٤ في الالف فوفرت العناية بالصحة حتى نزل معدله اليوم الى ١٤٤ اي الي نحو الثلث وقد عمدوا الى طرق ثلاثة في هذا الشأن اولها اختيار اللبن الجيد

الطاهر وتنزيه الممرضات في الهواء الطلق وإغلاء ومراقبة الحبالى من النساء فكانوا يأخذون الممرضات من البيوت الضيقة القذرة في تلك العاصمة حيث تزدهم اقدام السكان من الفقراء وتضييق بها انفسهم ويعيشون بين الى الضواحي ولا سيما الى ضفاف نهر المودسون والنهر الشرقي والى مستشفيات الساحل ومراكز المستشفيات التي تطوف البحار وتنزه الممرضات والامهات ويعملن مدة تجوالهن دروساً في صحة الاولاد ومعنى شعرت ادارة الصحة بان امرأة حامل تحملن على العناية بصحتهن وعلى الاهتمام بها وذلك قبل ان يضعن حملهن بستة اشهر .

#### المتحرون

بلغ عدد المتحورين في المانيا منذ تأسيس الامبراطورية الالمانية الى اليوم ٣٨٠ الفاً وقد كثر عدد المتحورين سنة ١٩٠٧ فكانوا ٩٧٥٣ رجلاً و ٣٠٢٤ امرأة . وفي كل مئة الف من اهل فرنسا ينتشر ٢٣٤٨ وفي المئة الف في سويسرا ينتشر ٢٢٤٨ ثم نجي المانيرك ٢٢ والمانيا ٢٠٤٢ ثم تأتي بريطانيا العظمى وسائر ممالك اوربا بقلة المتحورين فيها وفي اليابان ينتشر ١٧٤٩ في كل مئة الف اما بلاد الترويج فعدد المتحورين فيها ٤٥٥ في المئة الف وهي اكثر البلاد ميلاً الى الدعة وقلة القنوط .

#### التربية والدين

تساءلت احدى المجلات العلمية عن كيفية تربية الولد على مبادئ الدين او تركه غفلاً عنها واستشهدت على ذلك باقوال المفكرين وعلاء الاخلاق والتربية فقد فضل الفيلسوف تولستوي ان ينشأ الولد على الجهل بملقينه الدين كما هو الحالة الآن على ان يعلم ديناً معلوماً بالا كاذب قال اننا لا نلاحظ هذا القلط بل ان الاولاد يشعرون به وهذا التعليم يشوش الفسك وقال البن كي ينفذ الدين من المدرسة ولكن يجب على الوالدين السقاء ان يشرحوا لاولادهم التوراة والانجيل وذهب كارل روجر مذهب روسو في ان الواجب عدم ذكر الله لاولاد حتى اذا شب يصبح مسيحياً حقيقياً واوصى كويون يلتزم الآباء الامتناع عن الاسئلة الدينية ويملون ان كل مايجوز الاطلاع عليه من مختلف المعتقدات وينبى للآباء ان لا يجاذروا اذا سألهم ابناؤهم اسئلة لا يعرفون جوابها ان بقولوا لا ندرى لان نصف العلم لا ادري .



## التربية العقلية

اتفقت الآراء على ان الواجب تلقين الطفل مبادئ التربية الطبيعية بتقوية عضلاته والسر على صحته ونشاطه وتدريب اخلاقه وتربية عقله وانارته . وروى الاختلاف بين علماء التربية ففر يقى يقول ان تربية العقل عبارة عن اثارة الفكر وتحسين الدوى وتلقين الادب وحسب الجمال والشكل . وآخر يقول بان الواجب تهذيبه لعلم واسع ومعرفة صحيحة . ويقول بعضهم ان الواجب تنمية ذكائه . على ان الذكاء ليس مما ينال بالتعمد وتنشأ قواه بالاسباب بل يتكون من دون ان يبحث عنه ويقصد بالذات مباشرة فينشأ من اسباب عديدة ومن الانشباب الطبيعي الذي يحيا به الأشخاص المستعدون ومن عمل كل فرد لما يضمن له بقائه ويحسن عيشه ومن يواثق الحياة الاجتماعية التي تترادى اليوم بسد اليوم وتنوع اساليبها . فالولد يبحث من نفسه عما يحصله من المقدمات لعقله فيعرف الاشياء بدون ان يحتاج الى تعريفها له ويفكر ويتأمل من تلقاه نفسه بدون ان يفطر الى ان نمحه على ذلك ويشرع بنفسه في توخي الطرق الى التخلص من مأزق الحياة قراء اذا فرغ من درسه سلك المدرسة بعقله صلات عديدة مع غيره ويبحث في الشؤون بذاته ويهتم بما يجري حواليه وينتص لاحاديث المسنين اكثر منه ويشاركهم في موضوعاتهم وينتم كل فرصة ليعد عقله وفكره . واحاديث الأسرات على المائدة وما يتبادل فيها من الافكار بين اهل البيت و يطرق فيها من مختلف الموضوعات في ساعات الفراغ أكثر فائدة لعقل الطفل من كل ما يترن عليه في المدرسة . فيا سعادة من يكبر في بيئة ذكية وينمو عقله فيها يذاته بمجرد اشتراكه بالحياة العامة وبهذا ثبت معنا ان لالتربية تقوم مقام التربية التي يراها الطفل خارج المدرسة مما يفتق ذهنه ويعوده النظر والبحث والنشاط وينمي ذهنه بما يتوفر عليه من تمرينه المتواصل فيما يحتاج اليه في حياته ونمحي به الذهن العملي .

لاجرم ان تربية الاولاد في المدارس الداخلية لا تخلو من عيوب تلغز ملائحتها فهي ناعمة في تنظيم العمل ومعوذة للعامل على الصبر في مضمار الفرس ولكنها لا تفيد الا فيما ينتج جمع المعارف اما اذا كان يطلب منها اعداد ذكاء الاطفال ليحسن به الانتفاع فطلب باطل لما عرف من الفروق بين وجوه الاولاد الداخليين والاولاد الخارجيين

في المدارس فسحة الولد الخارجي أكثر إنباطاً ونظرة أبعد مرى وإذا قل عمله ودرسه بالنسبة للتلميذ الداخلي فهو انجح في التارين التي تطلب ذهنًا صائبًا وعقلًا حاضرًا حتى إذا انجز دروسه زمان الدراسة ودخل معترك الحياة يجد نفسه أكثر ملائمة معها فلا يشغل عليه الجهاد فيها لأنه كان اقرب اليها ولم يفصل عنها كما انفصل تربيه الداخلي الذي يكون قضى وقته في حياة صناعية او مصنعة منعزلاً عن الناس بعيداً عن المجتمع اللهم الا اجتماعه مع اولاد من سته فكيف بعد هذا بهم بحوادث الحياة الخارجية وبحركة الافكار والوقائع العظيمة التي تجري في العالم وتضطرب العقول مهما بلغ من اهمالها ان تفكر وتقدر .

لا يكاد يصل الى التليذ الداخلي من حوادث الكون الا المبهم الغامض وما من محدثه بما يجري في اقرب والبعيد والى لاصرف تليذاً داخلياً أخبر ذات يوم ان روسيا تحارب اليابان منذ اشهر فلم يدعش لهذا الخبر وبذلك تبين لعماء التربية ان حياة المدارس الداخلية بما فيها من عزلة العقل تضدر قواه وإذا قدر لها ان تفرح في ميدان ضيق جداً واعني بها دروس المدرسة فقط ومن اجل هذا تقرأ في وجهه خرباً من البلاء ومثال الملل الذي لا يملل والأهمال ولة الاهتمام الذي يدخل في حياته نقصاً ومن الاسف ان ذلك أكثر فتشوا في الطلبة المعلمين منه في الطلبة الخاملين وفي المأخوذين بدروسهم منه في المتساهلين بها فهم الذين يبؤون بسيئات المدارس الداخلية . اما المضار الادبية الناشئة من تربية الاولاد في المدارس الداخلية فمقرورة عند علماء التربية فتربية الطفل في المدارس الخارجية هي التي يأخذ منها رأس ماله العقلي وذكاءه الصحي الذي لا يتكون الا بدروس الحياة نفسها وما عدا ذلك فباطل ومضر اذا لم يلاحظ ذلك اولاً فانظر لا يقيده كالمحل بحال .

يحتاج الطفل الى معارف حية لا يطبقها وينتفع بتطبيقها بل ليتهدب بها فالجليل المطلق في الامور يودسه الى البلاء لان التمن لا يشتغل في باطل لا طائل نفعه فالواجب تغذيته اذا اريد تشغيله والتمن لا يترك الا بحوادث تعرض له ومبادئه يتلقاها ولا يتيسر له اتساع العقل اذا لم يكن لديه شيء من المعارف يستعمله وكلما اتسع امامه ما يترامى الى سمحه تنمو قوى عقله . فالمعرفة حسنة في ذاتها وهي لاتنمو الا على هذه الصورة . فم ان من الحوادث مالا خطر له وهو من العمق على جانب ولا غناء فيها لاسمعيها ولذلك ليس فيها كبير امر لاعمال الفكر والحوادث الثرية ذات المعنى المهمة

في ذاتها والوقائع التي تبث العقل على التفكير هي التي يستفيد منها العقل وتقع على التصور وتميز الفكر الى الحركة . وبديهي ان درس الحوادث التاريخية العظيمة هي اكثر اشغالا للفكر من الحوادث الصغيرة في التاريخ الادبي ولا شبه بين المادة العقلية التي تستخرج من معرفة قاعدة نحوية وبين المادة التي تؤخذ بدراسة قانون الجاذبية . ولقد لاحظ كويوان من المعارف ما هو باطل متعب للذهن اذا دخلت اليه تحدث فيه فراغا ولا تملأ بشيء

فالواجب سعة مثل هذه الحال ان يترك الطفل منذ نعومة اظفاره يستمتع بشيء من ارادته ليتمكن منها بالتدرج ويجب ان لا يلاحظ المدرس على السوام ويفرض على المدارس حتماً . فقد قيل ان لا شيء يعادل البحث الشخصي للوقوف على الاشياء . فالمرء يحفظ ما وقع نظره عليه اكثر من غيره وما نظر اليه بنهابة لان ما اكتشفه بذاته يستغر به غالباً فالتمرن على الملاحظة الشخصية هو من الاسف مما يصعب في المدارس . يجب ان تترك التلميذ بعض حرية في اختيار ما يتبعه اليه رغبة من الفروس وان يزداد من شرح الموضوعات التي تهمة اكثر من غيرها وان يصرف من وقته كية اكثر في الدروس التي بدونها اكثر من غيرها فقد جرت عادة المدارس ان تترك دراسة بعض المواد لاختيار التلميذ وهذا من شأنه ان ينوع العاملين ويحصل حرية للطالب ولا بأس بان يحصل للتلميذ حصص من اللعب في كل درس يراد منه العناية به فان التربية العقلية لا تنتج النتائج الحسنة الا اذا حثت نشاط العقل وجعلت منه له دافعا وحيثا فقدت الارادة يفقد الفكر لاجالة .

وترك التلميذ وما يختار من انواع المسئلة من اعظم ما يشقى عقله فهو اذا اغترم بالمطالعة بشلل بدون عناية معارف غريبة في تنوعها فاذا كلم غيره كلمة يدهش سامعه من الامور التي يعرفها ويتساءل كيف تعلمها ولم يتعلم ذلك الا في كتاب وقع اليه عرضاً فتصفحه مأخوذاً بما حواه واعيا ما اهمه من موضوعاته والقارئ في قراءته لا يتلطف حوادث بل افكاراً فتكون له صلة فكرية مع ارباب العقول السامية ويسير على منحهم ما وسعته الحال بحيث يحاول ادراك كل ما يمر به فان كل ما يمكن ان يعمل لتربية ذوق الطفل وتوحيده بالمطالعة يساعد كل المساعدة على تقدمه العقلي ومن اقتصر على كتب الدراسة اقر عقله واخسر ذهنه .

وكما ان تحصيل المعارف ضروري فمن اللازم ان يكون للمرء ذاكرة جيدة فمن يتعلم

مربكاً وجيداً بعد ولا يجرم من اهل السعادة وان الرأي الشائع بان جودة التذاكرة وجوده الدكاد لا يفتقدان لاحدهما من الآراء التي لا سند لها يرجع فيه الى البحث الاكيد لان معظم نباه البشر كانت ذاكرتهم نادرة فاذا كان في المكنة تحسين التذاكرة فترينها فالواجب ان لا يهصر فيه علي ان في التذاكرة شيئاً لا يقيس ترتيقته بتمرين واعني به قابلية الاستظهار واذا صرح بان من الممكن تقيمتها فلا مانع من اعطائهم دروساً يستظهرونها ويحسمونها علي اننا لانرى التلامذة بعد دراسة سنين يستهلون التعلم اكثر من يوم بدءتهم فان حاسة التذكر بالاشياء هي من الاستعدادات الفطرية تولد مع المرء وتقو بسرعة فائقة رتبع غايتها في سن الثانية عشرة ثم تقطع كلما تقدم المرء في السن فما النفع ياترى من تمرين التذاكرة ؟ ان تمرينها يحمل الى عقل الطفل معلومات مقررة وتذكرات بنصها يحتاج اليها ثم تنفي فيه حاسة الانتباه وهو جماع الريح الذي يستخرج منه تمرين التذاكرة هو اولى جهاد عقلي واول عمل ذهني يطلب من الطفل فهو يحبه ويحمله علي ان يحرص افكاره في موضوع معين وهذا يشبه كل الشبه ما ينبغي له بعد من أعمال الفكر متى طلب منه ان يفكر وحده مختاراً ولقد يتمدح عليه الافتكار اختياراً بدون تمرين عقلي حازه تمرين ذاكرته . فتسميع التلميذ ماحفظ في صفه هو في محله لباتمرين تقوى التذاكرة . والاية ان فصل من الولد انساناً يفكر لا يفتاء تشكلم . والمعرفة لا تقضي العقل الاعلي شرط ان تقيناس اي ان تقول ويستفهمها العقل في اساليب جديدة عقلية وان من خواص تذكر النصوص ان تنقل اليها الافكار متوسماً فيها في صورة مقررة ومتى تأملنا من جديد في الامور التي استظهرناها لا يدنا الا ان تكرر كلمة كلمة العبارة التي حفظناها فندخل في تضاعيف فكرينا من تلقاء ذاتها كأنها استشهدا بسيط ليست ذات قيمة عقلية ومتى امتلأ رأينا من هذه الصور والعبارات التامة الصياغة هل نصوص نحن اكثر منها ؟ فان ما يقتضي لنا لتأليف بعض الافكار الخاصة هو ان نخط عملنا بالمسائل في ذاتها وان نقبس مالها من الفكر بقطع النظر عن حرفيتها . ولا يتأني الا نقل النص ولكن اذا كانت المرء امور يعرفها يز يدورها اموراً حديثة فانا اذا حفظنا فكراً ونسبنا العبارة التي عبرت عنه نبدأ من تلك الحال في الابداع بالفكر .

فالفكر صحن للغة وهو العقل الفعال له في ذاته قوة التمدد تعي له سبيل التوسع الى ما وراء الغاية وفي صور مختلفة فاذا انتقل من عقل الى آخر يصبح كأنه فكر آخر جديد ويكون كأنه ملك قائله وهو ابو عنده ولا يعب عنه بأسلوب واحد . ابا العبارة التي



تستظهر فهي زهرة من مجموع اشباب يابسة جافة ممتدة والفكر الذي يبرز من الذهن كالبدرة التي تنمو ويكون منها زهرات حية فالواجب اذا تقوية الطفل على حفظ الاشياء التي يمكنه عنها اكثر من الاسلوب الذي تعربه . يملونه المعاني اكثر من الالفاظ وهذا ما ينجحون عليه في بعض اللروس مثل درس التاريخ مثلاً فانه مطلب من مطالب الذاكرة ولكنه يتطلب ذكرى الحوادث لا الصور التي عبر بها عنها . وفي هذا المعنى يلحق توجيه الذاكرة وتربيتها ومن اجمل التمارين ان يقرأ الطفل العبارة طويلاً كانت او قصيرة بحسب تقدمه العقلي وان يسأل بعد ذلك عما تعلمه وبهذا يتأكد فيما اذا قد فهم المعنى لاول نظر وانه انتبه الى الافكار الرئيسة وانه حفظها متسلسلة يربط له على هذا الوجه ما هو المتعلم بفهم وذلك بدرسه مفكرات عقلية في موضوع يثله الانسان وبهذا ترفى في التلميز جودة الذاكرة التي لا تكتفي بجمع المسائل بل تميز بين ما يمكن ان ينفعها وتختار اجودها وتطرح المرض منها وتبقى على الجوهر . يجب ان يصل الفهم الى ان يطالع كتاباً برمته . ويستظهر منه الضروري مما يحوي .

وبما يحسن ايضاً تمارين الطفل بالاسئلة المتوالية على ان يعترف في الحال من ذهنه ما هو في حاجة ماسة الى ذكره . ولا يمكن ان يكون العلم مكنوناً في ذهنه كالكتب المكتوبة في صندوق بل ينبغي ان يكون كل حين تحت الطلب ويتفتح بها ويشر عليها في الوقت المطلوب على ايسر وجه . فالتلميز الذي لم ترب ذاكرته في هذا المعنى بتمارين خاصة لا يكون ماوعاه من الافكار الا هاجماً قائماً صعباً على الانيمات لا يتحبه عنده الدعوة وتشمعي عليه ابان الحاجة . ضع للتلميز سوآلاً في المسائل التي تطلب عليه معرفتها يربك ولا يذكر الجواب وليس هو في متسع من الوقت يستخرج فيه من اعماق قلبه ما سبق له وعيه . سله ان يورد لك بعض الامثلة من اكثر المسائل تداولاً فلا تكاد تأخذ جواب مسألة او اثنتين الا بعد التثبات التي فعلته غير حاذر منه . وهذا من العيوب المؤسفة جداً ولا سيما في الحياة العملية التي يجب لهر حضور ذهن لتخلص من المأزق وينجو من المضايق . فذاكرة الذكي والحالة هذه هي التي تورد في الوقت المطلوب ما يطلب اليها ايراده . لاجرم ان هذه الخاصة من الخواص التي تولد مع المرء ولكن ينشر نيتها بالزرويض والتقرين .

ليست الخيلة من القوى التي تطلب لجمالها بل لها منفعة خصوصية على اننا يجب ان نكون على مثل اليقين بانها لا تنعوى بدون ذلك فبالخيلة يتيسر لنا ان يسبق تفكرنا اعمالنا .

وبها تطلع على الاحتمالات المختلفة في المستقبل فهي ضرورية لاسان ذكي . تجد الخيلة عند معظم الاولاد حادة للغاية فهم يحسون ان يتناولوا الاشياء في اذهابهم ويحصلوها مسلاة لم يل لهم ولدياً فيختصرون من انفسهم صوراً ليتلذذوا بالنظر اليها في باطنهم وكل فرصة تمكنهم من استجداد هذه القوة وترويضها في حنونها ويسمون للقيام وهذا التسم من التربية العقلية يسهل عليهم لانها مستقيمة لتعليمهم جامعة لاهواء نفوسهم وبهذه الطريقة يتقن المؤدب من حسن الارادة من يؤدبه . لا بد للتصور باديء بدء من مواد يتقنها ومن المعلوم انه مهما بلغت حاسة الاختراع فينا لانتمكن من الابداع العقلي الا بصور نتزعمها من الحقيقة فكل ما فينا من ارادة يكسفي بقويته قليلاً وترتيبه على صور متنوعة فنحن لانستطيع ان نتصور امرأ اذا لم يسبق لنا رؤية مثال مـ . والاقوال مهما بلغت من سلطانها على نفوسنا لانكون الا الى العجز في ادراكها امرأ اياً كانت منزلته اذا لم تذكرنا بشؤون من عالم الحقيقة يتأق ادراكها مباشرة

فالواجب اذا تزويد الطفل بتصورات عقلية واسعة المادة . أره كثيراً من الاشياء تجلب بها دهشته وربما لاتجد هذه ارباباً الى مائت ملقته اباه ولا اطعمته الى ما تحسنه له فهو يختار بذاته ما يهتم به . ضع امام عينيه صوراً ورسوماً ولوحات واعمل على ان تكون كتب درسه طائفة بالرسوم وهكذا اذا تزود بصور شتى مصنوعة وتصورات وتذكرات يستطيع ان يعدل بذاته ويؤلف من عنده . اما نحن فلا يمتينا امر خيالنا فهو حر فيها وهي من خصوصاته فاننا نراه اذا ترك وشأنه ينسج العالم الحقيقي فيعمل له من ذاته عالمًا يحول فيه خياله ويرى مدهوشاً في مضيق الصور الباطنية . تصوراتهما بلغت درجة غرابتها ومهما كانت طفلية فهذا ليس من شأننا مـ .

يبد انه لا يكتفي الخيلة ان تعمل بل الواجب ايضاً ان تتعلم على العمل وهنا تبدأ مهمة المربي اذ يقضى عليه ان يحول هذه الحركة في الفكر الى انحاء تزويد في ذكائها وبعد ذلك تدعو الضرورة الى تمرين الذهن على اسلوب حسن فهو جزء من التربية الشاملة ومن الخطر ان لا يفكر فيه . وقد رأى بعض ارباب الافكار القائلين بتلقين المحسات ( المحسوسات ) بان الانسب لتدريج عقل الطفل على النظر في الحوادث المقررة القيسة الحقيقية اي ترتيبه تربية علمية حسنة والا فتضعف قواه المفكرة اقله المزان ويتكون عقله ناقصاً او ان يعمل بنفسه وينزع سيف الخيالات التريبة لثقة الملاحظة . فالاخرى اشغال الذهن اكثر من كل شيء . ولا سبيل الى التأثير في الذهن الا بالكلام والمطالعة

ومنى قرئت للطفل مثلاً قصة جميلة تأخذ في الحقيقة بمجامع قلبه وتشتويه وتضطره الى تأليف بعض الصور .

وينبغي للربي ان يلاحظ فيما اذا كان الطفل الذي يعلمه خاصاً لا يجهجه الى نفسه ولا يعنى بما يلقيه عليه . ينبغي ان يحقق نظره من المشهد الذي تقصه عليه فانت لاتعطيه في الحقيقة الا بعض الدلائل وبها يقضى عليه ان يكمل الصورة باجمها وبهذا يتبين املنا الثمين الاول الذي تركه اوجدنا الى التركيب وهو يتطلب من الفكر شيئاً من البديهة والارادة . اذا كانت المطالعة في موضوع يستدعي التصور والتفكير فيكون فيه تنشيط الخيال وتوجيهه نحو وجهة معينة حرة وبفضل الاتجاه الذي يوليه للعقل يدرك صوراً اجمل وأكثر تنظيماً مما يستطيع ان يخترع بذاؤه وبفضل الحرية التي يطلقاله تكون مهمته محبة الى النفس خفيفة على الطبع .

هذا هو الراجح الذي تستخرجه الخيلة من التعليم الادبي وما لا يخلو من الفائدة ان زين كيف يتأق الانتماع في هذا المعنى بالتعاليم العلمية التي ترمي الى تحصيل المعارف اكثر مما تقصد الى تهذيب العقل وهذه التعاليم تشغل الخيلة ولكن لا هبائسة . فكل تعليم وصفي او نظري فيه بحث عن المجرىات يخطر المرء الى ان يثقله . هكذا الحال في العلوم الطبيعية والجغرافية الوصفية والتاريخ . فقد ادرك المعلمون ان هذه التعاليم يجب ان تعرض اولاً في صورة مجردة بان ترمم ما امكن امام عيون الطفل الامور التي يكلمونه عنها او صورونها له للوصول بعد الى المجرىات والعموميات . فان قصة تاريخية يمكن ان تؤثر في الخيلة نفس التأثير الذي تؤثره رواية فاجعة واقصة عادية اذا كانت مؤلفة بخيال واسع .

وبعد ذلك تأتي التمارين المؤلفة تأليفاً خاصاً اي التي يحاول التلميذ الاختراع فيها . اننا نريد اعداد مخيلات عاملة مستعدة للتوليد لا ان نكتفي بان تعيش ابداء من رأس الى الغير فالواجب اذا تمارين الطفل على التأليف بنفسه . ويجب ان يعنى بان تكون هذه التمارين بالطبع متدرجة في الصعوبات مبتدئة بشرح مادة تعطى له الى ان تبلغ حرية الاختراع . وبما يقع بيان منزلة هذه التمارين في التأليف من حيث الحرية فقد اغرق من قالوا بابطال الطريقة القديمة في التأليف واليوم انتصروا من التمارين على التأليف على القدر الجزئي وقد ظهر من مناقشات حديثة ان بعض المربين شرعوا بدعشون من هذا القصور فقد كان من معايب الطريقة القديمة انها تقود التلميذ خاصة

الى التوليد الادبي ومن حسننا اننا نترك مجالاً واسعاً للتجريبات التي يستطيع بها المرء ان يبرهن على مقدرة العقلة فهي من ثم محرض قوي نافع للعقل وبها يجب علينا ان نفكر فيما احرانا ان نغير وجهة الدروس لتجعل التلامذة اقل عناية بالادبيات منهم بالعمليات على ان لانضيق نطاق التمرين العقلي والتأليف والاختراع

تجب العناية بالرسم لما فيه من المزايا في التربية فالرسم اذا ادركت حقيقة ووجهته ووجهته نحو التربية العقلية يساعد كل المساعدة على ترقية الخيلة فهو يعلمنا النظر الى الاشياء بذكاء وبقوي فينا حاسة التمثل والذاكرة المصورة والخيلة المبدعة . واذا اريد استخراج المنفعة الحقيقية المنتظرة من هذا التعليم فالواجب التمرين عليها . ولقد ضل من علماء التربية من جرد تعليم الرسم من كل نظر للطبيعة ومن التابع على الاختراع فما كانوا يرمون الا الى اعداد نساخين جيدين واسي فائدة تعليم الرسم اذا لم تحرك الخيلة

لتعليم اللغات مقام رفيع في طريقة تدريسنا وليس هذا بعجيب فان فهم الانسان للغة واجادة الكتابة والتكلم بها هو من اتمن المساعدات للذهن . ومعرفة اللغات القيمة يفتح امامنا ميدان الفكر القديم كما ان معرفة اللغات الحديثة ضرورية لتتبع حركة الفكر الحديث . فاللسان يجد الفكر ما يعبر عنه فهو اداة من اللفاظ تتقدم وتتأخر على السوام منها الى الفكر ومنه الى الالفاظ وتتطلب فكراً عادلاً ابداً . ولا عجب من ثم اذا صرف وقت طويل في التعليم المدرسي من حيث تنمية القوة الشفوية فان هذا الاهتمام في محله والواجب ان يعنى فقط بان تكون هذه الدروس بحيث يستخرج منها الشبان اعظم المنافع العقلية

وهنا نبدأ اولاً بالكلام على التمرين الذي يذهب العقل فيها من الالفاظ الى الفكر فمن اول الدلائل وادلها على بيان ذكاء الطفل ان يفهم ما نكله به . واذا كان لا يفهم معنى الكلمات وكان من الصعب علينا الا قليلا ان نشرحها له فيجب عليه ان يحرزها وهو استدلال يستلزم منه ان يكون ذا ذكاء مدبّر . وبعد ان يتقدم فيه تعليم الا ان يصبح من الكلمات المستعملة مألوفاً له ولا يصعب فهمها فانه بل تكون له مفهومة بذاتها بدون ادنى عمل ويبقى عليه دائماً الفاظ جيدة وتراكيب جمل غير عادية ليدرك معانيها وكما نل نظر درساً جديداً يجد امامه مادة خاصة من اللفاظ تدف امامه بعض الشيء . فنحن في مطالعاتنا نعتبر كل ساعة على جمل لا تفهم لاول وهلة وبعض الافكار لا يتأتى ان يعبر عنها بصورة

واسمحة وتمايز مستعملة . ومهما بلغ من استعمالنا اللغة والذكاء فلا بد في شرح صورها الشفاهة من درجة خفية لا يرقى اليها المرء الا بمحاولة الفهم . وهذا الجهد نافع للعقل ولذلك كانت اللغة التي نريد اقتباسا زمان الدراسة غير مألوفا لتأكل الألفة وكان درمها عبارة عن تمرين عقلي حقيقي .

وبهذا النظر لا نرى بدأ من التوضعية باستعمال الترجمة فانها في الحقيقية احدها الرياضات المدرسية الدالة على قرط الذكاء فيضطر الوجد فيها ان يفرض عدة وجوه للمعاني الكثيرة التي يحتملها النص وتميز اوجه الشبه بها ويستخرج من مجموع معنى الجملة المعنى الخاص بها الذي يجب اعطاؤه لكل كلمة فيترن على هذه الصورة ذكائه وعقله . ولا فرق بين ان يكون هذا التمرين بلغة حية او ميتة ويجب ان يلاحظ فقط ان الطريقة الناجمة في تعليم اللغات الحية مباشرة تربي الى ترك التمرين على الشرح والترجمة . وهذه الطريقة سلبية من حيث العمل ومهيأة للتليذ باسرع ما يمكن لاستعمال اللغة ولكنها قلما تمرن العقل فيجب ان يفكر المربي في التعليم بهذا التمرين الحسن او بما يعادله على الاقل وان استعمال الترجمة والشرح يمكن حتى من لغة المرء الاصلية فان معنى شرح عبارة هو حله معناها الحقيقي وترجمتها الى لغة شائعة وبذلك يعود المرء على ما هو لازم له من جودة النظر في الكلمات فلهم رأينا مناقشات قامت خاصة على ما أحدثه سوسه التفاهم في اللغة فانا ندخل في براهننا تمايز مهممة او مدرسية تكذب فكرنا او تفتننا من ايضاحها كل الايضاح

وهناك تمرين اخرى تفودنا من الفكر الى الالفاظ فانا نحاول ان نوجه للتعبير عن فكرنا لفظاً مستعملاً ولطالما دهشت من الالفاظ الكثيرة التي يقدر التليذ الصغير على الافصاح بها عن افكاره بدورات تبدل على حذق وبقليل من الالفاظ . حتى ان محاولتنا التعبير عن افكارنا عما يفيدهم . ومن الزاد ولا سباعد ما تفكر في مسائل قليلة الصعوبة ان تكون على استعداد مما نقوله قبل ان نبدأ في الكلام فالفكر يبقى منتشر مشوشاً وهو على سهولته في حيز القوة لا يخلو بن ايهام اذا اريد اخراجه الى العمل ومن المحتمل كثيراً انه يبقى في هذه الحالة المختصرة اذا لم نبص عن طريقة ايجانه وتكيله بالتعبير عنه فالفكر لا يتم الا بالجملة

فالواجب والحالة هذه تمرين طليتنا على التكلم وسوالم على التروايم وقرينهم على الافصاح عما يحول في خواطريهم ببيان يرائي وهذا احسن واسطة لتثبيته عقولهم حتى في

خلال الفرس فانهم اذا لم يكونوا الا سامعين لا يلقى عليهم لا يلبثون ان يكونوا خملين غير معتمدين بالفرس . ويتيسر للملم اذا تكلموا ان يستدل على انهم في حالة يعملون بها اذ انهم ويستعملون قوام العقلي فانت ترى تلامذتنا الذين اعتادوا ان لا يفكروا الا والقلم بأيديهم مرتبكين في الاحايين التي يحتاج فيها الى حضور ذهن . وليس معنى هذا ان يحصلوا خطباء بل ان يبرزوا على التعبير عن افكارهم حتى امام الجمهور بدون ارتباك ولا غموض . فالتمرين اللفظي يخطر الى التفكير بسرعة وايجاد تعبير للفكر الذي يعرض في الحال فهو يقوي الصفات العقلية التي تجعل المرء عاملاً .

التجارب المكتوبة ترقى الاتباء لتأليف الكلام في آونة الفريغ وتتمكن صاحبها ان العمل به تله عملاً متتابعاً ومن التفكير طويلاً وتضطره الى ايجاد بعض الافكار في موضوع معين وتطويعها والابانة عنها احسن ابانة في حين ان التمرين اللفظي يعلم استخدام الذكاء فالتمرين الكتابي هو العمدة لتربية العقل في الاكثر والمرة يعلم التفكير اذا اخذ يكتب فصور والمخاطبة تسير دائماً جنباً الى جنب في الاشغال العلمية . انشاء الكاتب وفكره متلازمان حتى انك تشك في التأليف الزدي الانشاء فيما اذا كان فيه خبأ في الفكر فاذا كانت الجملة رديئة التركيب شئت الا ليلب يستحيل ان يكون الفكر واضحاً على نسي متتابع . فلنعمل اذا بكل ما فينا من قوة لي تحين انشاء تلامذتنا فذا بذلك تربي عقولهم . ومن اعظم الخلد التي نخدعهم بها ان نعلمهم لغة نصيحة ثابتة مسريحة لان مستيبلهم العقلي موقوف عليها . يقولون ان لغة الفرنسية هذه الصفات الى درجة اه ازت بها وحقيق مايقولون . ان الاداة حسنة فعلياً ان نعلم الفتيان كيف يحسنون استعمالها . منذ بضع سنين اتى لي اللغة الفرنسية بجران غريب اوشك ان يفسد اللغة واعني به كثرة الكتابات والاسعارات والظواهر الآن ان هذا الوباء قد كاد يضمحل لولا اننا لم نبرح نغتر على بقاها من هذا المرض في لغة بعض معاصرينا من الكتاب لا يشغل به مدهم . اما نحن فنصعد الى الوضوح في العبارة وانت ترى اي معنى يجب ان توجه اليه وجهة التمرين على الانشاء للاذفاع منه انتفاعاً عقلياً فلا ينبغي النظر الى الصور الجذابة بل الى الصفات العقلية . فنحن في مجتهدنا هذا لانري الى ان نخرج ادياء بل الى تربية ذهن الطفل بتربيته على الافصاح عن افكاره بذلك .

وما قد وصلنا الى التمرين الذي يقصد به تربية الفكر فانه لا يكفي حث السماع على العمل بكل الاسباب الممكنة فيمكن ان يفكر المرء كثيراً وتكون مآثره فائضة ابداً

ولا يكون المتوسط الذكاء وكل هذا العمل في الدماغ يجب ان يكون منظماً منسقاً متجهاً الى وجهة واحدة ولكل جهد فكري غاية والمطلوب ابداء ايحاء شي من تقرير حقيقة او البحث عن احسن واسطة لتحقيق غاية فلواجب من ثمان نمر عقلنا على العمل بصورة تالعة .  
يميل الطفل الى التفكير لحيوي ، في نفسه يلفظ : ... يفترض كيف اتفق قضايانا لا يتعب نفسه في مراقبتها ولا يهتم في الحقيقة لادائها وبهذا يبقى كثير من الناس طول حياتهم في حكم الاطفال . وان المرء ليجب ان يرى اموراً تثبت باقل نظر بمجرد المناقشة فيها واغلو في الاحاديث خوفاً عادياً فالواجب العمل على ما يخالف هذا الميل منذ الصغر بالجري على نظام عقلي حسن

وان حكم الطفل على الاشياء ليصحح خلال الحديث كما خالف الواقع فمن خصائص عقله ان لا يمس الوقائع والحقيقة فالواجب ارجاعه اليها بكل فكره . تأطير حكم متهور اذا وضع على حكم النظر لا يلبث ان يكذب بانجث والنقد فالواجب اذا الرجوع ابداء الى الحقائق ويجب ان لا يفوتنا الاحتياص من ان الاوهام في الاحكام تصدر في العادة من نقص في الاخلاق لامن ضعف القوة المنطقية فيحكمون على الامور التي لا يحق لهم ان يتوهم فيها حكماً لا لان العمل العقلي الذي يصدر به الحكم في الترتيب بل لانه اهتمامهم وخفة احلامهم ونقص في استقامة عقولهم . وعلاج ذلك ان يشهر الطفل بما في كل قضية مهما كانت من الامور الجدية ابداءً وهناك تدخل التربية العقلية كما ينتظر في التربية الاخلاقية

والواجب ايضا تربية قوة العمل فان بعض قضايانا ليست مستفجرة من التجربة مباشرة بل هي مستندة الى آراء أخذت من قضايانا سابقة ففكر يولد لنا فكراً آخر ونوسع به تأكيده واثباته وما جودة الاحكام الا ان يكون المرء تسلسل في افكاره لا ياتقن احدها الاخر بل ان بعضا ولما آخرها فيتألف منها مجموع متناسك الاجزاء . فاننا نستطيع ان نعود اولادنا على صحة الحكم وذلك باشرأكم معنا في الحوار والمناقشة معنيين لم تنقص تصورهم بان نميد افكارهم الى الطريق الا . وفي متى حادث عنه . ولذلك ألف مذاهب التربية للاشراف . لي عقل الطفل في الحياة اليومية او اثناء المدرس والتعليم

وانا اذا سمعنا بنا النظر الى تربية التربية العقلية اكثر مما هي الان في انفسنا ليجب علينا ان نجعل في المدارس تمرينات خاصة لتربية القوة العقلية ودروساً في المنطق العملي . وليس في طريقة تعليمنا اليوم شي لا مما يشبه هذا فاننا لانعلم التلاميذ المنطق

الا في اواخر سني الطلب وبعض الفواعد المنطقية الصحيحة التي يدرسونها على هذه الصورة هي سطحية مبتذلة قليلة التطبيق في العمل ويكاد يكون نفعها في التربية العملية قليلاً جداً .

لاجرم ان المربين يستندون على تلقين العلوم المجردة للطفل ، لتربية القوة المنطقية في عقله ولكن في الرياضيات والهندسة صورة قاسية من تقوية العقل وهذه القسوة فيها تجعل هذه الدروس قليلة النفع ولذا لايسهل كثيراً الفرق بين تقوية العقل على طريقة جيدة او رديئة فلا تتقاء السفطات والامور الخافتة للمنطق نحتاج الى دقة وحذافة اكثر من احتياجنا الى ذهن عبي الهندسة . وكل منا يعرف ان المرء قد يكون مهندساً بارعاً ويكون حكمه بعيداً عن الصواب في جميع المواد الاخرى . وهل معنى هذا اننا ننسب لدرس العلوم المجردة قلة غناء في التربية على حين نتوقع نحن منها نفعاً عقلياً كبيراً يخالف مايراه بعض . كل الخفاة .

فكل تمرين للطفل نافع لما يتطلب النظر فيه من الجهد والتحمل . فاي مقاومة خاصة يقضي على دارس العلوم المجردة ان يتغلب عليها واي حاسة تبرز بها ؟ فان هذه العلوم متى فهمها المتعلم وادركها يقوم له البرهان عليها والسهولة الاولى في الاهتداء اليها وفهمها وللنجاح فيها يجب ان يكون صاحبها اهلاً لان يجعل . لا تفكار المجردة كل التجرد قريبة من العقل ما امكن بيان الصلات بينها بمعنى انه يتوصل الى ان يلاحظ عليها ملاحظة حقيقية . يجب ادراك ما بين المسائل الكثيرة من الارتباط في النظريات التي قد تحدث ولا تتسلسل وفي مثل هذه المآزق يستدل على فلسفة العقل وقوتها . وانت ترى ان الصورة في بلاغ الذهن الى تلك المجردات لتحقيق هذه الاعمال العقلية ومن هنا نشأ الجهد والتعب وفي هذا التمرين الحقيقي نهائى العلوم المجردة هو تمرين العقل على المجردات

ان التعلم على سهولة مآثها في المجردات والترقي بالتمرين المتصل الى مجردات اعلى منها هو اوراق التهديب العقلي وبدون افكار مجردة لا يتجاوز معدل الذكاء الحيواني ولا تفكر الابصو خاصة كخمر ما يلزمنا في حياتنا اليومية . في حين ان جميع الاعمال العقلية ذات الشأن والتشابه المركبة والصعوبات والتصورات الصعبة كلها بنت المجردات وربية النظر تمنى ادراك الافكار المجردة الاستعاضة عن الفكر الحقيقي المرتقي في تصوير الاشياء بفكر هو في حيز القوة يستعمل . كالمركب راقياً . فالعقل المرن الصريح يعتمد على التفكير



في الامور المجردة . من نفسه . هذه القوة ويقودها ويكتفي بوسم الاعمال العلمية بدون ان يقوم بها بالفعل فينشأ من ذلك تخفيف عن الفكر يشبه ماحدث من نوعه عندما استعاض قصورنا عن الاشياء الحقيقية بصورة بسيطة من هذه الامور . وبذلك تنمو قوة ادراكنا ونظرنا في العواقب نمواً مدهشاً ونعمل اعمالاً مختصرة بدون جهد اعمالاً يتجاوز ارتقاؤها طوقاً وذكاًنا . وعلى هذه الصورة يرتقي العلم بان يدخل افكاراً مجردة في افكار مجردة اعلى منها ويوجد طرقاً اقرب الى الجادة لحل المشاكل تتطلب حلاً ماهراً وبذلك يسير المرء الى نظر اعلى في مجموع مايعيه والى المدركات الواسعة فذكاؤه المرء يمكن ان يقاس بمافيه من قوة على اقتباس المجردات فاننا نرى الطريقة التي يفرض اتباعها واضحة اما،نا فيجب ان يسري تعليمنا من الاعيان الى المجردات لا لان للعقل ميلاً الى الجري على هذه الصورة بل لان هذا هو الطريق الوحيد للولوج الارتقاء العقلي .  
نم اننا بذلك نكثر على العقول الفتية من الجهد وور بماخيف من ان يتجاوز مثل هذه التمرينات القوة التي خصصت لها ولذا نرى من اللازم ان يجري على سنة التدريج - في ايراد الصعوبات

فان ذهن الطفل لا يتأق ارتقاؤه الا بالتأني من سنة الى اخرى باحتياز محطات تناسب تغيرات نموه الطبيعي ولا يتقاضي زيادة مما احتمله سنة . ولا يدم احد منا امثلة على هذه التربية الخرقاء من تحميل الطفل الذكي فوق طاقته بجهل والده او صريه شديد نموه الى مايجب ان يحمله عنه ويعودونه الشدة في التربية حتى تنهك قواه فيبقى عقله قبل الاوان لكثرة مايمحمون اليه من الحركات ولكنه قد يفضل ثم يقف هذا الارتقاء عن جزيه ويظل الطفل وسعاً في حياته . الا فلنمتنع من كل طريقة في التربية تكون الى الشدة وتظهر عنها نتائج خارقة للمادة ثماء عياء اكيد يصيب الطفل ولنعمل على العكس ما يضمن للطفل استمتاعه بقواه كما نريد على النحو المستقيم وان نطلق مسراحها خلال الدرس حرة في موازنتها الطبيعية والادبية .

ويصدق ان الواجب تقوية الذكاء على خورة ، فمقدلة ويمكن تقويته بالارث لان رقي الدماغ الذي يجمع المرء بصغته الطبيعية من شأنه الانتقال بالوراثة . الذكاء امر نافع وكل من يرى الارتقاء العقلي الذي يلمسه البشر بالعمل فكان اثنى فية حصل عليها وعنده نفسه لن يتبدل كل من يخص وقال لترقية الذكاء البشري درجة انزى وما اتقنا نفس اذا رأينا الجليل المفضل ارقى منا في منازعة بما نلني به من تلبية ترقية ارقى من تربيتنا

نحن لانتالي في اماننا ونعرف مايتطلبه النشوء الاجتماعي لادخال التكامل على  
 عنصر من السذج البله وان المرء بذاته لايتحول على ايسر وجه وان الارتقاء العقلي الذي  
 يأتي لنا ان نرجوه من التربية الحسنة هو محدود بالطبيعة . فالطفل يولد على شيء من  
 الذكاء قل اوكثر بمعنى انه يكون ذا مزاج معشاد في رقيه فترتفع منزلته الى قياس  
 عقلي معتدل ومهما بولغ في تقيده فلا يتيسر ان يتجاوز به هذا القياس . ولقد رأينا  
 كثيراً من الفتيان والفتيات لم يربوا التربية الكافية فوقفوا في درجة عقلية يتأق  
 لم يتجاوزها وكان لم استعداد طبيعي لم يحسن التاثوث على تربيتهم استغنامه فاست  
 تربيتهم مقيدة بقيود تزيد من بلاهة بدلاً من ان تزيد ذكاء . ولذلك كالصحة والقامة  
 الطبيعية في الانسان لا يكون من الاكثار من اسبابه سوى اهلاكها لانماؤها والاخذ  
 بيد كل انسان الى حيث تعمل قواه هو الحسن والاحسان بعينه وان مايقصد اليه في  
 هذا البحث الاتصالي التربية الضرورية حتى يرتقي العقل حراً بمجموع ما فيه من كفاءة  
 ارثية . ثم ان العقول مختلفة في مداركها فالكسلان الغليظ الذهن يظل اهدأ كذلك  
 والذكي بالقطرة يزود ذكاؤه مضاعف بالعمل والدريب والمتوسط متوسط والمستعد الى  
 التقدم يزيد قواه العقلية نشاطاً والتربية لا تزيل الفروق الارثية بل تزيد هافا لغوس المستعدة  
 لتنفيد اكثر من غيرها من اسباب الترقى وتقدم تقدماً محسوساً . والتربيت الشديدة التي  
 تتطلبها التربية العقلية العالية لا يتأق قبوله الا لمن كانت عقولهم عاملة بطبيعتها اما غيرهم  
 فلا استعداد لهم اليها . ائمن كان تبدل اساليبنا في التعليم على النحو الذي اوردناه نافعا  
 للجميع فهو فافع خاصة لبعض الناس وذلك لانه يزيد تنشيط بعض الذاكياء المستعدين  
 للتبوع ولا ينبغي ان ننساه من هذه النتيجة ونقلق منها فان ذكاء الطائفة المختارة من الخاصة  
 هو دلد الفجاج الدسي يستفيد منه المجموع ( انتهى مراً عن حيث طوييل في جملة  
 التربية الباريزية )

### سكة الحجارة

قالت مجلة الطبيعة الفرنسية : كان الحجاج يسكنون الى مكة طريق القوافل من  
 جهات الساحل او من المداخلة ويحيي<sup>٤</sup> الفرس والهنود من الشرق ناهجين ايضاً طريق  
 القوافل باجياز صحاري بلاد العرب ويسير غيرهم وعددهم ليس بقليل عن طريق جدة  
 على البحر الاحمر على مسافة ٢٥ كيلومتراً من مكة ويسير حجاج افريقية من طريق البر  
 مجازين شبه جزيرة سيناء في حين ان غيرهم يأمنون من البحر الى جدة . ولهذا كان هذا

التغر من البلاد المحقة للناية يجتمع فيه كل سنة عدد عظيم من الحجاج قادمين من مصر وأفريقية الشمالية وبلاد الهند والعثمانية وروسيا الجنوبية . أما حجاج سورية فهم أيضاً كثار العدد يقصدون الى مكة من طريق القوافل فيجتازون بلاد العرب من الشمال الى الجنوب من اخط الذي يربط دمشق بالديرة ومكة . وبعد ان يجتمع هؤلاء الحجاج بالثرب من دمشق يؤلفون ركبا تخفرون ركبا تخفرون من غارات البدو كتيبة من المشاة ومدافع جبلية وذلك على طول الطريق البالغ ١٨٠٠ كيلومتر ويقطعه الحجاج في اربعين يوما . واذا اضفت الى هذا الحرس المؤلف من نحو مئة بدوي يهدد اليهم الناية بالمتعين من الحجاج او بالرذوى منهم والوف من الجبال والبقال التي تستعمل لجل الاتقال والنسيرة اللازمة لطعام الحرس والحجاج لتمثل لك تلك الصعوبات التي يجلبها اعداد مثل هذه القافلة وتسييرها ويجب ان لا يفوتنا بان من المتندر الامتياز طول الطريق واذا استثنينا بعض الانحاء في الطريق نجد الحال في هذه الدرجة من الصعوبة في استقاء الماء القابل للشرب . فكل شيء يجب والحالة هذه تنقله على ظهور الماطيا .

ونرى من جهة ثانية ان القيمة التي يكلفها هذا الحج فاحشة وان اختلفت باختلاف الحجاج في غنام ورفاهيتهم ومتى كان من الحاج جمال لنقل ايتاله وحمله قد تبلغ كلفة الحاج من دمشق الى مكة الف فرنك ولكن كثيراً من الحجاج يذهبون مشاة وبعضهم يستخدمون عكامة او خدمة لتقليل النفقة

ولقد فكر القوم منذ زمن طويل في واسطة لتقليل هذه الصعوبات الى اقل ما يمكن واختصار المسافة باثاء طريق حديدي من دمشق الى مكة وبقيت الحال على هذا المتوال الى يوم ١ ايار ١٩٠٠ وقد اصدر السلطان السابق عبد الحميد باشارة امين سره عزت باشا دمشق ارادته باثاء السكة الحديدية ودعا السلطان العالم الاسلامي للاعانة لتمديد الخط فتمطاطر المسلمون يدفعونها عن رضى حتى بلغ ما جمع في برهة قليلة ما يكفي للباشرة بالعمل ماعدا بعض التخصيصات التي اعطتها الحكومة او الافراد

واذ كان من المتعذر الحصول على عملة من سكان البلاد يكرهون للقيام بهذا العمل وكان الواجب الاقتصاد من النفقات على التمدد الضروري عمدت الحكومة الى استخدام الجنود في تمديد الخط فبعد الى جنود من المشاة بالاعمال الترابية والى كتائب السكك الحديدية بنقل الاجار واعمال البناء اما سرايا الاستحكام فاستعملوا في الاعمال الميكانيكية في الورشات ووضع الاسلاك البرقية . وبالجملة فان انشاء سكة حديد الحجاز قامت

بإيدي العالمين من المسلمين ما خلا مهندس المائي واحد اسمه المسيو مايسنر .

يسير هذا الخط من دمشق الى المدينة ثم يها من الشمال الى الجنوب وجهته متوازية مع طريق القوافل التي لا يبعد عنه الا في بعض المحال وذلك تقادياً من الصعوبات في تمديده ويمتد على القسم الاعظم من الطريق على سطح يرتفع بالتدرج من الشاطئ ٨٩٨ مترًا فوق سطح البحر الى دمشق حتى اذا كان في الكيلومتر ٨٨٨ فما بعده ينزل حتى يبلغ المدينة فيصير على ٧٠٠ متر من سطح البحر بعد ان يكون بلغ في محطة البداية اي في الكيلومتر ١١٢٦ — ٣٤٥ مترًا من سطح البحر

ولقد اريد بايدي هذا تمديد الخط من درعا والاكتفاء من دمشق اليها بالخط الذي كانت مدته شركة فرنسية ولها الحق بالشبهة التي تصل بين درعا ومرافق حيفا على البحر المتوسط . وهي شبهة مهمة للغاية اسكتها حديد الحجاز لانها تصلة مباشرة بالبحر وبعد اخذ ورد طويل ترك تمديد الخط من درعا الى حيفا لسكة حديد الحجاز ولكن لم يتيسر الاتفاق على اعطاء الحق الاصلي من دمشق الى درعا لادارة سكة الحجاز فن شتم اضطرت هذه الادارة ان تجعل دمشق مركز سيرها وتبني خطاً جديداً موازياً للخط الاول بين دمشق ودرعا . ويحجاز الخط بين حذين البلدين ببلاد حوران وهي اقليم غني بالجلجلة وكان قديماً انهار رومية ويزيد غناه بفضل خصب التربة فيه ويرتقي كما هو المأمول ارتقاءً ثم اذا تيسر له الخلاص من عصابات قطاع المارق التي تميمت فماداً سيه ارجائه ويحجاز الخط بعد درعا وجهة متنازلة مع جبال موآب التي تمتد على شواطئ وبحيرة لوط ويقطع حقلاً متموجاً بالزروع ومغطى بالراعي يسير فيه البدر ومعهم قطارات من الجمال . وفي ذلك الاقليم تجد مدينة عمان القديمة التي لا تنزل آثارها ماثلة للعيان

وبعد ذلك يصل الخط الى بادية العربية الصخرية او السعيدة ومن تلك النقطة تبدأ الصعوبة في الحصول على الماء الفروسي لتسيير القطارات وشرب الركاب . وعدد الكيلومتر ٤٥٨ اي من محطة معان تصل الى واحة ذات حدائق ونخيل تسقيها عينان نضاختان مياهها باردة صافية وفي جوار هذه المحطة خرائب مدينة بزا القديمة

ومن بعد معان الى اللا والمدينة تبدل هيئة البلاد كل التبدل فتشتبك بجبال عالية قد تبلغ قم بعضها ٣٠٠٠ متر عن سطح البحر ممتدة على طول البحر الاحمر وتنتهي على خط عمودي من البحر بارصفة ملازمة وهناك اسناد تشقها اودية لاماء فيها تحليل مسافة هذه الارصفة والودية فيمد ان تقع تارة انجها عمودياً نحو الصخور الجبلية تكون طوراً

متآزبة ثم ينقطع اثرها في البادية . وتختلف سعة هذه الاودية اختلافاً كثيراً فتكون واطئة احياناً بحيث يبلغ علوها في بعض الاماكن زهاء مئة متر .  
وسيف سفع هذه الاسناد يسير الخط الحديدي الى المدينة مجتازاً ما امكن الاودية المختلفة التي تكاد تكون وجهتها متآزبة . وبذلك تيسر الاقتصاد في نفقات بناء الخط الى أقصى ما يمكن

ولقد قلنا آنفاً انه ماعدا محطات معان وذات الحليج وتبوك والاخضر والعلافيس من ما هي تلك الاصقاع بل انك ترى الاودية الا في بعض احوال تادرة جافة حتى في موسم المطر . وموسم نزول الامطار في تلك الاصقاع يكون في شهر تشرين الثاني وشباط واذار ومن النادر ان تهطل في شهري كانون الاول وكانون الثاني والمطر يبقى في المكان الذي يهطل فيه حتى في اشهر المطر فبعض الاخياء لا يبلغها الماء على حين يصل منه الى غيرها كيات كبيرة تجري في الاودية فتغرقها ولطالما كانت سبب انقطاع المجاري في خلال انشاء السكة الحديدية ومناخ هذه الاصقاع العالية جيد جداً ولجفاف الهواء تبلغ درجة الحرارة ٥٥ في اشهر القيط الا انه مما يجتبل لما يمدله من الريح الليل الذي يهب في تلك الاربعة طول السنة ولا يصعب احتمال هذا الهواء الا في الاودية المحصورة جداً مثل التي في جوار الملاحيث تكون سبباً لانتشار الحميات وتنزل درجة الحرارة في الشتاء الى ٤ او ٥ ومن النادر ان تنزل الى الصفر . واما الاحشيطات التي يجب اتخاذها التوقي من اختلاف درجة الحرارة بين النهار والليل

وبعد ان يخرج الخط الحديدي من معان يعود فيدخل في اقليم قفري يشبه الذي اجتازته في الشمال فتتخلله اودية كثيرة قليلة العمق . وقد اقتضى لقطعها انشاء مجار من الحجر اما تربتها فقاسية جداً وهي قاحلة ومملوءة بالحجارة

وبعد ان يقطع الخط الحديدي في بطن الغول على ستين كيلو متراً من معان قمة جبل يبلغ ارتفاعها ١١٦٨ متراً عن سطح البحر يعود فيهب نفو ذات الحليج ساراً في وادي رتم الذي تختلف سعتة وبمظم كلما اقترب من ذات الحليج وهي واحة فيها نوع من نخلة محيطة بقلة قديمة لردحبات البدو الرحل وما من منزل حول هذه الواحة الخفية . وهذه الاراضي القاحلة المنبسطة تقطعها من مكان الى آخر اودية تكون الى تبوك البعيدة ٦٩٢ كيلو متراً من دمشق وهي واحة مهمة فيها زهاء الف نخلة ولها معتقل حصين وسكانها نحو ثلثائة نسمة

وفي تلك الاصقاع المنقرعة حيث تشتد حرارة الهواء الجاف بما تبعثه فيه الشمس من اشتها تجد الثور بهيجاً وتصبح وتبدو الاصقاع البعيدة غريبة في انوارها فتقطع الاكام المنقرعة في شرق السكة الحديدية والجبال التي تجاذي البحر الاحمر بما فيها من نقوش النبت والاوراق المحبوبة التي ترى عن بعد من الجهة الغربية تحت سماء مدهشة بصفائها وتكسو الشمس هذه الجبال عند الشروق والغروب بالوان بهيجة الشبه والتظير .

وكما توغل الخط في قطع المساويف نحو الجنوب يصل الى اصقاع منبسطة قاحلة ولكن تجري الى الادوية ثم كمية وافرة من ماء المطر اثناء الشتاء ولذلك قضت الحال باحتياز هذه الادوية لانشاء مجاري عظيمة الاناظر ولا سيما في وادسيه اتيل وقد اقيم عليه جسر من الحجر طوله ١٤٣ متراً وله ٢٠ قطرة فخة كل منها ستة امتار . وهذا هو ام عمل في الخط .

ثم يقترب الخط من الصخور البركانية الجبلية فيجتاوز سيف حارات العارة الاسناد الاولى بواسطة نفق طوله ١٦٠ متراً وذلك بالقرب من محطة الاخضر فيدخل ثمت في اودية مختلفة محاذياً لها الى الملا على مسافة تسعمائة كيلومتر من دمشق بعد ان يكون قد قطع عدة محطات واماها المعظم والمطلع ومدائن صالح

وتتألف واحدة الدلا المهمة التي يبلغ سكانها ٣٦٠٠ نسمة من غابة نخيل وليمون وطولها من ٥ الى ٦ كيلومترات وعرضها خمسمائة متر . وانتهى الخط الآن بالمدينة وهي على مسافة ١٣٠٠ كيلو متر من دمشق وسيشرح باكمال الخط بين المدينة ومكة . وقد بحث في عدة طرق لتمديد هذه الشعبة الاخيرة بين البلدين الطاهرين احدهما تسير توالاً من المدينة الى مكة والاخرى اطول مسافة تقرب من البحر وهذا الفرع الاخير الذي يبلغ طوله ٤٤٢ كيلومتراً هو الذي شرع ببنائه اليوم وبه يصبح طول السكة الحديدية من دمشق الى مكة ١٧٥٤ كيلومتراً

ان عرض خط الحجاز ١٦٠٥ متر وهو غير متساو في رسمه فترى فيه في بعض المحال انحداراً طوله ٢٠ ملمتراً في كل متر ودورة تبعد عن التخطيط الاصلي مئة متر اما تمديده فلم يستند سوى فرش التراب ووضع الخطوط ما خلا جسرين من الحجر احدهما بين محطتي عمان والقصر والآخر على وادي ابتل وهناك جسور لاشان لها وهي كثيرة لان الحاجة مست في عدة اماكن الى انشاء جسور في عمر الادوية التي تحف في

الصيف وتطفع في الشتاء بالسيول الفزيرة

وما عدا جسر طوله ١٥ متراً له مئذنة من حديد فان جميع اعمال البناء من الحجر وذلك لكثرة العملة من الجند ولسهولة جلب الحجر من المحال القريبة . وقد أنشئت بعض الاتفاق القصيرة لاجتياز القنعة التي تفصل بين مصاب بعض الودنة وجعلت هذه السكة من خطوط - مديدية - وزن المتر منها ٢١ كيلو غراماً تسند الى خشب او حديد ولكن الادارة اضطرت بعد قليل الى الاستعاضة عن الخشب بالحديد لكثرة فعل الشمس فيها فجموع وزن المتر من هذا الخط و يدخل فيه قضبان الحديد الذي يسير عليه القطار والذي اسند عليه وغيره هو ١٠٣ كيلو غرامات اما فرش الخط فن حجارة مكسرة من الاجار البركانية

وعدد المحطات المهمة قليل وهي تتألف من بناية لكتابة الاستخبار وقيم فيها المستخدمون ومن محطة للقاطرات واحواض ماء وآلات رافعة للماء اللازم للقاطرات ثم مارقي لتخزين المركبات . وبعض هذه المحطات ورشات لاصلاح ادوات الخط وآلاته الثابت منها والمتحرك . وتبعد بين هذه المحطات الرئيسة على مسافة عشرين الى ثلاثين كيلومتراً محطات اخرى اقل شأناً من تلك وليس فيها سوى بناهه وعبارة عن مسكن للمستخدمين ويضاف في كل ٧٠ الى ٨٠ كيلومتراً الى هذه المحطات ما يلزم للقاطرات من اسباب حمل الماء اللازم ففي بعضها آبار وللبيض الآخر برك وهذه البرك قديمة البناء انشئت لسد حاجات القوافل لتملي ماء في الشتاء فيستعمله الحجاج والبدو الذين يقصدونها للاستقاء منها مع إبلهم . وسعة بعض هذه البرك ٣٦ ألف متر وبعضها ٧٠ ألفاً واذا كانت غير مغطاة بمئذنة السطح وقليلة العمق يصبح الماء بعد مدة قليلة كريحها ويتغير سريعاً من حرارة الشمس . اما المحطات ذات الآبار وأكثرها قليلة العمق غالباً فان مياهها تنضب بسرعة . فلا سبل من ثم الى ايجاد الماء الكافي للقاطرات والاستخبار الا في بعض المحطات البعيد بعضها عن الآخر في الغالب وهذه الصعوبة في قلة الماء تزيد كلفة تشغيل الخط متقدماً نحو المدينة . وللتغلب على هذه الصعوبات اضافوا اولاً الى كل قاطرة مركبة حجمها ١٢ متراً مكعباً ثم استخدموا احواضاً بمركبات تنقل الماء الى المحطات التي يضطر فيها القطار الى الاستقاء ولكن هذه الوسائط لم تخل من عوائق فيعمل الخلل دائماً . فقد دوا الزم من ثم تلى حفر آبار عميقة جداً في كل ٧٠ الى ٨٠ كيلومتراً لينتاج منها الماء الى البرك المغطاة . وقد جعلوا في الأماكن التي لم يتيسر فيها الحصول على الآبار على نتائج

مرضية احوالاً عظيمة مغطاة عمقها من ٦ الى ٧ امتار لتجمع فيها مياه المطر وتسعمل للشرب وجعلوا لها ادوات لنصفيتها من الاوساخ . ويحمل ماء الآبار والبرك الى المحال اللازمة بواسطة مضخات بالبخار والاعلب بواسطة طواحين هوا

وقد حاولت الادارة ان تفتح آباراً ارتوازية وحفرت بعضها الى عمق ١١٠ امتار فلم تظفر بماء يفيض وعلموا ذلك بان السبب فيه ان ذاك السطح من الارض يعلو من ٨٠٠ الى ١٠٠٠ متر عن مساواة نهر الاردن فتسيل مياه الامطار التي تنساقط هناك في الاحافير الكثيرة في الارض نحو ذاك النهر . وربما كانت النتائج من ذلك احسن كلما اقترب الخط من المدينة حيث تجري المياه الى وجهة مخالفة

ومعلوم ان سورية وبلاد العرب فقيرة جداً بغاباتها وليس فيها منابع غم اما الاصقاع التي يجتازها الخط الحجازي فهي خالية من كل ذلك بالمره . ففوق القاطرات والوقود اللازم لتدفئة المستخدمين وطبخ طعامهم والاستصباح كل ذلك يجلب من الخارج الى دمشق اوحيا ومنها يحمل الى المحطات الكثيرة حتى المدينة اي الى مسافة زهاء ١٤٠٠ كيلومتر وبهذا يرتفع سعر طن الفحم ارتفاعاً فاحشاً ولذا تبحث الادارة في الاستعاضة عن هذا الوقود ببيت تقيل يجلب من روسيا او من الموصل على مقربة من بغداد .

كما ان الادارة تفكر في طريقة تحفظ بعض التسويات الترابية فان الخط في كثير من الاماكن ولا سيما بين جهات الملا يجتاز اصقاعاً تتألف تربتها من رمال تسفيها الرياح الشديدة التي تثور في بعض فصول السنة فترتفع تلك الرمال تغطي الطريق وتسده وتجعل تلك التسويات التي اقيمت بهذا الرمل وثقوة هذه التسويات غطوا الحدود والسطوح بطبقة من تراب صلاصلي مزجوها بالحصى من حجم مناسب وهو يوجد على ايسر وجه في جوار الخط .

اما ادوات الخط فتألف من ٤٣ فاطرة و ٥١٢ مركبة للبضائع و ٣١ مركبة للركاب . هذا وقد بديء بانشاء الخط الحجازي في اوائل سنة ١٩٠٠ وتم مؤخراً الى المدينة على مسافة ١٣٠٠ كيلومتر بمعنى انهم مدوا ١٤٠ كيلومتراً في السنة وقد كلف كل كيلومتر بما فيه المحطات والادوات المتحركة من ٣٥ الى ٤٠ الف فرنك وهو قدر زهيد بالنسبة اذا اعتبرنا الاحوال التي تحتل العمل هناك من الصعوبات على ان ابدى العملة من الجند هي التي ينسب اليها الفضل في تقليل النفقة

نرى للخط الحجازي من حيث المانع المثالية مكانة عسكرية وسياسية كبرى لانه



تصير عمافقريب بخط حديدى لا يقطع بين الاستانة وبين قطار بعيد كثير أعينها ويسكه قوم صعب قيادهم . اما من حيث التجارة فاي فائدة له ؟ وليت شعري هل يكتفي بقل البضائع والركاب لوفاء رأس المال الذي صرف على الخط والنفقات اللازمة لاستثماره وهي ليست قليلة . وهل يختار الحجاج الذين يقصدون مكة الركوب في هذا القطار على السير في طرق القوافل ياترى ؟ هذه مسائل يحلها المستقبل ثم الا يخشى من انتشار الوباء الاصفر بهذا الخط بين البلاد على الرغم من الحجر الصحي في تبوك الواقعة على سبعمائة كيلومتر من دمشق اه .

هذا ما نشرته مجلة الطبيعة الثقة في العلوم الطبيعية والرياضية بشأن سكة الحجاز وقد ختمها الكاتب بما لا تكاد تخلو منه كتابات الافرنج عن الشرق وضعف الامل في مستقبله واعماله ونفي بذلك ان الخط الحجازي لاشان له من حيث التجارة لان الحجاج قد يؤثرون طريق القوافل على الركوب فيه وانه يكون واسطة لنقل الوباء من القطر الحجازي الى القطر الشامي . وكل هذا هو الخطأ بعينه لاننا نرى الحجاج يؤثرون الركوب في الخط الحجازي على ما فيه الآن من خلا في ادارته واستثماره وقلة وسائط الراحة ولو وفرت العناية به لظهرت الفوائد التجارية المادية لظهور الشمس في رابعة النهار ويكتفي الآن ان الخط بين دمشق والمدينة قد حسن تجارة البلدين كثيراً بل ان من بعض الاراضي على طول الخط ما عمر او كاد الآن بفضل المواصلات . والافرنج يقولون : مدد الخط الحديدي في قفر ونجف فنعين له العمران فما بالهم يحلون لانفسهم ما يحرمونه علينا ثم ان دعوى ان الخط الحجازي يتقل جراثيم الوباء مسألة فيها نظر بعد ان تحجر الحكومة على الحجاج في تبوك اياماً على انه قد تمر السنين ولا ينتشر الوباء في الحجاز .

### المهر والزواج

الى المسيو مالابر احدا سائذة الفلسفة في باريز محاضرة في مدرسة الدروس الاجتماعية المالية قال فيها : ان من يذهبون الى ان التصريح بشرح المخطورات والردائل امام الطلبة مما يضر بادابهم ويعرفهم ما كان يجب السكوت عنه معهم في ضلال من آرائهم . وان ما يرونه من جبل الاطفال في هذه الامور مما يحفظ عليهم طهارتهم وعفتهم هو الخطر والخطل وذلك لان الجهل لا يبعد فضيلة ولا يقوم مقامها لان الجهل حداً وزمناً بقف عند ما وعندئذ يسرع المطب الى الفضيلة . ثم ان من يدوم بان الشاب يبقى الى السادسة

عشرة من عمره غير خائف بأسرار الرجولية هو من العاية بمكان. لان الشاب لا يلبث ان يتعلم من بعض اقاربه الذين هم اعرف منه بهذه الامور ان لم يتعلم ذلك من والديه او امه فالوالدة خصوصاً هي اعرف بالزمن الذي يجب ان تصح به لابنها بما ينبغي له انتقاؤه من المفاسد وهي اقدر من غيرها على نصحه النصيح اللازم بدون ان تمس اصلاً من اصول الحياء . ولكن معظم الوالدين يتساهلون باعطاء هذه النصائح ويتخذون من جهل ابنائهم بما يترتب عليها من المفاسد حجة على سكوتهم . ومن المعلمين من تفيق صدورهم بشرح ما ينبغي ذكره للشبان بحسنه يز ويؤثرون ان يذكروها لبعضهم مفردين ومنهم من يرون ان يعهد بيت هذه النصائح لطبيب الأسرة وآخر للرئيس الديني والاحسن ان يكون امرها بيد المعلمين

يجب ان يقال للاولاد انكم اذا احببتم ان تكونوا في حياتكم اهل شرف وحشمة ان تعلموا ان الاسم يتحمل امرها متى فقدت آدابها وازال سبيل الى شخص ان يكون في سبيل امره فاسقاً ثم يكون في دور آخر صاحب فضيلة محترم المقام . فن فصول الاخلاق فصل اعتادوا وبالإلصاف ان لا يشروه لكم على حين هـ . جدير بالشرح واعني به علاقة الرجل بالمرأة لان في ذلك من الخطر والاهواء والشور والمفاسد التي تعبت بعمى الفضيلة والشرف والعدل . ان من ابشع ضرور السفسة ما يزعمه بعضهم من ان خيانة المرأة من اعظم الجنائيات ويستفرون خيانة الرجل وبما عدوها من انواع الظرف واللباة على حين هما مشتركان في الجيمة . وارتكاب المآثم والرياء . ولعلمهم يرون ان المرأة مخلوق بلغ مبلغاً عظيماً من الطهر والعفاف وهما لها من الامور الطبيعية السهلة وان الرجل هو من هذه الوجهة محترق مرذول لاسبيل الى مطالبته بان يسير على غير ما يسير عليه الخنازير او المصاير . اولعل بعضهم يقول بان خيانة المرأة وهي تأتي الى البيت الابوي بوجه ليس منه يشارك اهله في العطف والارث ويسبى استعمال الحقوق الطبيعية التي هي لاهله الاصليين من دون الدخلاء لانعد شيئاً ولكن الرجل الذي يضع ابنه في غير بيته هل هو اقل ظمناً لامتزته والمجتمع من تلك المرأة وهذه تجعل الطفل في احداثها تسعة اشهر وترضعه وتربيه وتعتب به اما الوالد فيقضي حظه في ساعته وبذهب محتالاً . ولكن هذا الظلم في الحكم على الجنس ليس الا اعتقاداً عاطلاً قديماً وورثناه عن الاجداد الذين كانوا ينظرون الى المرأة نظراً الى حيوان مفترس او دابة ركوب وانها خادمة الرجل ومملوكة وممتاء، نهجها في الحرب او ابايعها من السوق وبذلك كانت مرقعتها خرقاً لحته وجنائيتها اهانة

العظمى وتمكينها من نفسها ضرباً من ضروب الاعتداء على حق غيرها وهي لاحق لها يعرف بنة .

نعم ليس ثمة ادباً من سار سيرة سيئة دنيئة مع امرأة لا يستطيع ان يكون عقيقاً مخلصاً عادلاً بنية حياته ومن استنخب مايقولونه حتى كاد يسرهم مسرهم المثل ان الشبيبة طور من اطوار الحياة ولا بد من قضائه ايمه انه يتسامح مع الشاب ان يأتي مايا في . وكم من رجال أفسدوا بهذه الحكمة السخيفة ومن وجدانات يبعث بها كل يوم من تأثراتها . فمن افطع الامراض التي يصاب بها الشباب مرض الزهري فقد اثبت الاحصاء ان واحداً من كل سبعة رجال يصاب به في فرنسا وواحداً من كل اربعة يصاب به من طلبة باريز فهذا الطاعون الجديد كما يسمونه يحمل معه امراضاً كثيرة منها القمم والفالج العام والموت فكما انه مرض عقاب فهو معدي حتى من بعد خمسين سنة فان من أصيب به يحملها الى غيره حتى بعد هذه المدة فقد ثبت ان الاصابات على هذه الصورة ليست نادرة بل ان ١٩ في المئة من النساء يصبين به من رجلهن وينقلنه الى اولادهن وان عشرين الف طفل في سنة يولدون ميتين او يموتون في الشهور الاولى من ولادتهم بسبب هذا الطاعون ومن يعيش منهم يمتحن في عاهات وسقوط نفسي وجسدي كاحديداً بظهورهم ووقر في آذانهم وعقلة في اذهنهم وضعف في قواهم العقلية وبلاهة وحقي . فاي شاب عاقل يعرض اولاده لهذا المرض يصنمه ويورثه هذه المصائب ولا توالخه نفسه على مالقى قائلاً انه يكسر عن سيئات ارتكباها ويؤخذ بجنبايات اتاها وعك ما ينال الشخص نفسه من ضعف القوى العقلية وضعف النشاط والفتاء مما قد يجعل فيه استمداداً للسل وللأمراض العصبية والعقلية فمن يسرف في حبه على صورة دنيئة جنونية يوشك ان ينجيه ولا يهين المرء حبه الا اذا اهان نفسه فقد قيل ما من امريء يأتي ما يضره منه بدون ان يصدر عنه بعض الفتى والقذارة . وبهذا رأيت ان الحق تعالى يكفكم بالاحتفاظ بها لا لمحيطه على النفس فقط بل حرصاً عليها من التدنس والعار .

واني لا عجب لمن يعتمد الى اغواء فتاة ثم لا يعلم انه كما تدين تدان ويستاه اذا بلغه ان اخته او احدي اقراره قد اتخذت لها خليلاً حتى يكاد يموت خجلاً وربما ادى به ذلك الى ارتكاب الجنبايات . واني لارثي لحال تلك الفتاة التي اغويت وتركها مغوياً بما فيه من دناءة . ومن قال بان جريمته تنفرد اذا استفاد من فتاة اغواها قبله انسان فهو شريكه

في الحرم لعمالة ومن امثال هؤلاء الشبان كثير المهر والفجور احد الادواء الاجتماعية في هذا المجتمع . فمن دناءة الطبع ان يبيع المرء جسمه . من كل طالب فهل ترون اقل دناءة من يتنازع جسم غيره ؟ فقد قلت فيكتور هوغو كلاماً حرياً بالامعان : يقولون ان الرق زال من الحضارة وهذا وهم لانه مازال بحاله ولكنه رقى لانتونه تحت عبثه الا المرأة وهو ما يسمى بالمهر . لا يثقل الا على المرأة اي على اللطف والضعف والجمال والأمانة وذلك من موجبات الخجل للرجل

وان من يقول ان الشاب بما يأتي يقوم بواجب طبيعي لا يجيبه الا بان ما يعمل هو من نتائج التفكير . ويتأتى له ان يفلت من مخالب هذه المفسد اذا صحت عزيمته وسلمت ارادته فالارادة وحدها هي الباعثة على الشهوات واذا قيل ان مقاومة الطبيعة صعبة فانا نقول بان ما يصرف من القوى في جهاد النفس والهوى اقل مما يسرف منها اذا سار المرء بما تخليه فطرته الرديئة . ومن خلص نفسه من هذه المآزق كان خليقاً بان يعد مالاك نفسه ثبت الارادة متين الاخلاق كريم العواطف وكل ذلك من صفات الرجولية

فعلبك يا هذا ان تملي قدر « الحب » وان لا تبغضه لانه اجل ما في الارض واقدسه وان تملي قدر المرأة بحيث لا تهان لانها في البيت والمجتمع حارسة الكمال وهي في ذاتها جزء بل اشرف جزء من الكمال في الحياة وعليك ان تمثل ابداً المرأة في ذهنك صورة حية كما تمثل اخذك وامك صورة الطهر واللطف واعتقد بما قاله تورية : « ان من يتزوج شاباً وهو سليم البنية ويختار فتاة شريفة سالمة من العاهات ويمارح حبها شغاف قلبه وببذل كل نفسه وقواه ويعملها رفيقة امينة له واماً ولوداً ويميل لتربية اولاده ويكون لهم خير مثال بمدوفاته هذا هو الحقيقة وما عدا ذلك خطأ وجنابة وجنون » . ولا اسهل عليك من التوفي من غروب الاغواء والقوابة اذا ازمعت ان تتزوج شاباً وفكرت فيمن تكون البفحة حياتك من ربما تكون عرفت صورتها من قبل واحببتها وكشمت حبها في صدرك فتشاطرك في الحياة آلامها وافرأحها وهي تكون لك عوناً كما كانت لها عون بما تشعر به من سبك لها حياً دائماً جيلاً وتنفذ من جسدك وروحها احسن مادة تؤلف منها جسد ولدك وروحته .



# المقابر

شعبان سنة ١٣٢٧

## غرائب الخرب

الرحيل من دمشق الى لبنان

كان من اعظم امانى النفس منذ بضع سنين ان ارحل الى اوربارحلة  
علية اقضي فيها ردياً من الدهر للتوفر على دراسة حضارة الغرب في منبعتها  
واستطلاع طلع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة  
المنزهون والعلماء العاملون والسياسة المستعمرون والقادة الفاززون والتجار  
والصناع والزراعيون والماليون وهم على التحقيق مادة تلك المدينة وهيولاهما  
وكانت الاحوال تعوق هذا القصد عن اتمامه ونحول دون البغية المنشودة  
الى ان قدر الله فاقام والى سورية السابق تلك القضية الملفقة على جريدة  
المتنبس واحتال انتقاماً لنفسه لا فقال المطبعة وتوقيف الجريدة والمجلة قبل  
صدور حكم المحكمة عليّ فقلت الآن حان وقت الرحلة في طلب العلم لتفرغ  
لتحقيق ما في الخاطر ريثما يتبين الحق من الباطل والحالي من العاطل وعسى

ان تتركوا شيئاً وهو خير لكم .

في المزيغ الاخير من نيل الثلاثين من رمضان (١٣٢٧) ركبنا من دمشق عربة مع صديقين عراقيين واصدين قرية القابوق وفي ظاهرها وقفنا لحظات الى ان وصلت فوهي ووصل صديق لي آخر وأكبنا فرسه فركبنا وعاد ذاتك الحيدان الي المدينة . وكان بدأ في تلك الساعة الاشراق في الافق والسكون لم يروح مستقوذاً على الارياض والرياض ولم نكن نسمع من بعيد غير قعقة اجراس الطحانين والمكاريين وصباح الديكة او عواء الكلاب وما كدت اعلو متن مطيحي حتي تراهم الي مسمي صوت مؤذن القابون ينادي « هلموا الي طاعة الله يرحمنا ويرحمكم الله » فقلت كلمة حق لو جرى العمل بالطاعة وما يلزم لها لرحموا ولكنها جل جميلة فقال ومعان شريفة لا يميل بها وعادات ألفت بمنزل عما فيها من الاسرار النافعة في صلاح المعاش والمعاد .

التفت الي النوبة الدمشقية الثفانة اخيرة وهي احب بقعة الي قلبي في الارض وقد كثر في افقها شفق الفجر فذكرت طرفاً من ايامها البيض والنود . ذكرت النوبة المحبوبة وذكرت مطاعم البشر وانحطاط اخلاقهم وعقولهم فقاد ذلك الي التفكير في شقاء الانسان بالانسان وموت بعض لحياة كل وانقراض مئات لاغناء افراد وشقاء ربوات لسعادة عشرات وتنب فريق لراحة امة فتمثل لي عجيب صنع المولي في خلقه سبحانه لا يبق العالم على حال هو المزمع المذل القابض انبسط المغني المفقر يقلب الارض ومن عليها ولا يرثها الا عباذه الصالحون .

سارت بنا مطيئنا فاجتزنا قرية برزة ومعربا ولم تشرق الشمس الا وقد

فعلما اراضي معربا واجرنا على اكلتها فالتفتنا الى ماوراءها وقد قبلت لنا بعض بقاع الفوطة والمرج من خلف الجبال فالتقينا عليها نظرة الوداع واغذنا الدير الى بسية ومنها الى دير مقرن فكفبر الزيت فدير قانون فكفبر العوانيد وفي هذه القرية بننا ليلة عيد الفطر .

ولم اشهد هذا الوادي وكنت مررت به راكباً منذ ستة عشر عاماً شيئاً من الثفير والارتقاء المحسوس فالقلاخ فيه لا يزال ينتظر موسم الفاكة ان سلمت اشجاره من لفحات الجليد يرتاش تلك السنقوف تنش برمانه وجوزه وتفاحة ومكثراه وتينه وعبه والا فيضطر في الاكثر الى الاستدانة على الموسم المقبل والله كان على شيء من القوة والجلد يرحل الى بعض الكور المجاورة كقرى وادي العجم او الفوطة يعمل فيها اشهر الصيف يأتي في الشتاء بمؤونة تكفيه من الخطة في كنهه وكانونه

فذلك لان هذا الوادي منذ قرية دمر حتى سوق وادي بردى لا ينل من الحبوب ما يسد عوز سكانه بمض السنة لقلية اليوسة على جروده وجباله ولأن اكثر تربته صخرية تحتاج للعمل الكثير على الطرق الزراعية الحديثة لتأتي اكلها . اما الاشجار وبعض الخضر والبقول التي ينفع بها الفلاح هنا فالفضل لنهر بردى في اروائها يأخذ من مائه في مجاري عليها بقدر حاجته او اكثر

ولقد اخذت اثان الفواكه تأتي اصحابها بارباح اكثر من السنين السابقة خصوصاً منذ تم استثمار السكك الحديدية في سورية كسكة بيروت - دمشق - حوران وسكة دمشق - حيفا - المدينة وسكة دمشق - حلب - بيرة جلي ( البيرة ) فاصبحت ثلثهم تصدر الى الجهات القاصية

وكانوا يقدمون اكثرها في سني الخير علفاً للدواب او يلقونها في الطريق لان العطالة في ثقلها من عملها الى دمشق او بيروت مثلاً على الدواب لا تقوم باجرة المكار وداجه .

نعم لم ار ارتفاع محسوساً في حالة فلاح وادي بردى واني يتم له ارتفاع وليس له طريق يسلك غير ما حفرته اقدام المارة وحوافر الدواب والماشية وجرفته السيول والرياح منذ قرون . فالطرق المعبدة المطروقة لا اثر لها في هذا الوادي ولعل ذلك ناشيء من كونه حديث عهد بالحكومة المنتحلة فقد كانت معظم قراه من قبل تابعة لاقضية بميدة اما الآن بعد ان غدا من مركز قضاء الزبداني على بضع ساعات فقد بات يرجى بفضل قائم مقامه الضيور ان تنضم لاهل قضاء الزبداني طرق غير طريق السكة الحديدية تصل بين قراهم وبين دمشق حاضرة الولاية ليتيسر للناس العدو والرواح من ايسر السبل . وما اخل ذلك معتذراً على الحاكم اذا حث اهل كل قرية ان يقوموا بانفسهم لتحديد طريقهم ايام انقطاعهم عن العمل كفضل الشتاء مثلاً لما يعرفون من الفوائد التي تجني لهم عنها او يملونها بواسطة الموظفين الامناء وان كانت هذه الطريقة لا تخلو من محظور لانها تؤدى الى السخرة والسخرة ممنوعة بنص القانون الاساسي . وتجهيد الطرق وبث الأمن من جملة الفروض البينة على كل حكومة .

وبعد فانه لا وجود في وادي بردى لسائر المرافق التي يتمتع بها الفلاح في البلاد المتعدنة وذلك لان الحكومة الاستبدادية الماضية لم يعمها من الفلاح الا ان تأخذ منه لان تهيب له سبيل الاخذ . فكان قضاواها تكثير الجباية وتوفير الضرائب واخذ من ترده للخدمة العسكرية اما امتناع الاهلين



بواسطة الوسائل الصحية وتعليمهم الطرق الزراعية القريبة المأخذ وفتح سبل المواصلات ورفع علم الأمن وتعليمهم الضروري من القراءة والكتابة فكانت أموراً لا تعرفها لاني وادي بردي فقط بل في جميع اودية البلاد العثمانية وسهولها وجبالها . ومن اغرب ما رأيتاه في وادي بردي ان بعض قراها تحفر القبور لموتاهها امام الدور فترى حي الاحياء مع حي الاموات وما دري هل يأتون ذلك بالقصد حرصاً على رفات موتاهم من ان تسطو عليها الوحوش الكاسرة في مدافنها اذا لحدوها بعيدة عن العمران ولو بضع خطوات او انهم يؤثرون دفن الموتى امام اعينهم ليدكروا كل شارقة وبارقة مصير الانسان الى دار البقاء ويזהدوا في دار الفناء فلا يهتمون بأسباب الهناء والصفاء

ومما عمت به البلوى في الفلاحين انك ترى القاذورات ايضا تعمي العيون وتغنيق الانفاس فتري روث البهائم وغازط الآدميين وسط الدور وخلفها وقدامها وعن ايمانها وشمالها . ولولا بقية من عادة النظافة والنظهر ورثها المسلمون بالتسلسل عن آباائهم وشيء من جودة الهواء في الجملة في القرى لما بقيت باقية لسكان هذا الاقليم ومن حوله .

ركبت حسيحة العيد ورفقي قاضدين سوق وادي بردي ولعلها سميت كذلك لسوق كانت تقام فيها فيما مضى للبيع والشراء على العادة في اسواقنا الباقية حتى الآن فيقال مثلاً سوق الأحد وسوق الجمعة وسوق الخيل وسوق الحمير . ولهذا الاسواق امثال في اوربا . وبالتقرب من السوق تضيق فوعة الوادي وينقطع العمران ليخرج منه الى منفسح وادي الزبداني . وجبال السوق لا تخلو من نواويس قديمة على نحو ما تجد منها في جبال الشام محفورة في الغالب في القمم والآكام

ومن السوق انتهى بنا نفس السير الى قرية عيتا الفخار من اعمال البقاع  
العزيز وهي القرية التي اشتهرت منذ عهد بعيد بفخارها الذي تطبخه أكثر  
بيوتها في تناير خاصة وتبعه في المدن الداخلية من اعمال دمشق .

وقد شعرنا بتغير المشاهد منذ اطللنا على عيتا ورأينا بيوت القرميد التي  
ينصب بالحجر النحيت على للثال الذي نشاهده في أكثر بيوت سورية .  
وعلمنا ان سبب ما شاهدناه من جمال المساكن في عيتا تلك الاموال التي  
جلبها بعض سكانها من هجرتهم الى اميركا واجواحتي من لاتحادهم انفسهم  
بالسكنى ثانية في عيتا ان يظهروا غناهم بانشاء الدور المنظمة ليصح عليهم  
المثل العربي « ابت الدوام الا ان تخرج اعناقها » « ان الفني طويل الذيل  
مياش » او الاثر المشهور « ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده » وليس  
كاليوت ثم من يسار وتدل على سعة . وبعد عيتا مررنا بكامد اللوز فجب  
جنين فللا فبلول من وادي البقاع وفي هذه القرية بناعند رجل من اهائها  
انزلنا عنده واكرمنا ولم يعرفنا ومع حرصه على معرفتنا اكتفينا من التعريف  
بالتعريض وفي المعارض مندوحة عن الكذب .

وقد سرت الى هذه القرية والى جميع قرى البقاع عدوى الهجرة وتناول  
الاعتقاب السكان على اختلاف نحلهم ومن حديث كثير من البقاعين تبين  
ان اهل كل قرية في الغالب يؤثرون في بلاد المهجر اقلية خاصة لهم ينزلونه  
او مملكة بوجهون وجهتهم اليها فيقصد مثلا اهل قرية كنا ولاية كنا من  
شمالي اميركا واهل القرية الفلانية يقصدون جمهوريات الجنوب وآخرون  
ينزلون كندا وغيرهم اوستراليا وفريق السيفال وبعض الترنسفال فكأن  
عدوى الانتفال تسري اليهم بالمشرة فلا يحب المواطن الا ان يلقه مواطنه

في مآتيه ومنازعه بل في شقائه وسعادته . وقد اذكرنا هذا بحال العرب في الفتح وبعده فكان القيسيون ينزلون بلد كذا واليمانيون اقليم كذا ثم لما امتدت الفتوحات وفتحوا الاندلس كان جند الشام يختار بقعة غير التي اختارها جند حمص ولذلك كان الجند يدغون كر بلد ينزلونه باسم بلدهم الاول كما يحلول بعض مهاجرة السوريين الآن مثل ذلك في الولايات المتحدة .

وفي اليوم الثالث قصدنا مشفرة فررنا بجسرنا الغرب الممتد على نهر الليطاني وانجهدنا قاصدين جزين اول حدود لبنان الى الجنوب . ومشفرة اقصى بلد عامر بالزراعة والصناعة في البقاع الغربي وهي مشهورة الى الآن بدبع الجلود للاخذية اشتهار مدينة زحلة او اكثر والمسافة بين مشفرة من اعمال ولاية سورية وجزين من متصرفية لبنان ثلاث ساعات تنلو قمة عالية ثم تتحدر في واد عميق .

ومع ان قضاء البقاع من اعمار اقصية ولاية سورية بزراعته لخصب تربته وتوفر المياه الدافقة عليه من سفوح لبنان الغربي ولبنان الشرقي ومتاخته لجبل لبنان الذي يحتاج لكل ماتنته ارض البقاع من الحبوب والثمار ومع كثرة الاعيان الذين يملكون فيه المزارع والاراضي الواسعة ومنهم من انشا فيه حقولا انموذجية حقيقية ورفقوا عليها الاموال الطائلة واستخدموا لها احدث الطرق الزراعية كالاراضي التي عمرها نجيب بك سرق في عميق ودير طنجيش واقامها الآباء اليسوعيون في تمايل - مع كل هذا العمران المستبجر وما تأخذه النافعة من اموال الادلين كر سنة باسم الطرق والماعبر لا ترى في القضاء طريقاً مسلوفاً اللهم الا طريق الشام القديم الذي تركته شركة الديليمانس لما انشي خط بيروت الحديدي . وقيل لنا ان الحكومة

صح عزمها مؤخرًا على انشاء طريق عجلات بين المعلقة مركز القضاء وبين مشفرة في غربه وان هذا الطريق وصل او كاد الى قرية عيتيت ولعله جسمًا لا اسمًا كماكثر الطرق التي انشأتها الشافعة في الولايات فكانت نفعًا بلا معنى واسمًا بلا معنى لم ينشأ عنها الا التعجيل في سلب نعمة الفلاح وخراب بيته بانهم العمران وخدمة الاوطان .

### وصف لبنان الطبيعي

٣

كنت في لبنان اشبه بابي زيد السروجي او ابي الفتح الاسكندرسي احتاج الى رواية مثل الحارث بن همام او عيسى بن هشام يروي كل منهما لمثل الحريري او بديع الزمان تلك المظاهر التي اضطرت الى الظهور فيها لانجو من محالب عدو ممازق او جاسوس مخادع . وليتيسر لي درس حالة البلاد بدون حجاب .

تقد قبل اكنتم ذهابك ومذهبك وذهبك ولكن هذه القاعدة لا يرضاها منك اللبنانيون الاذكياء فيخدمهم يحرسون كل الحرص على استطلاع طالع كل مصطاف بينهم او سائح في جبالهم والوقوف على مقصده ومبلغ ثروته ولذنين الذي يدین به . وربما كان سوء المآل الاخير قبل كل شيء لان عاصمتهم متدينون جدًا فهم يسرون اذا شعروا انهم يتعارفون الى رجل يشاكلهم في المعتقد . واني لمن قضى عليه شدة اخلاصه في خدمة وطنه ودولته ان يصرح لهم بهويته وهو مشرد طريد محكوم عليه بالجناية حكمًا قرمقوشيا .

وذهني رقيق عداة وصلنا الى جزين وعاد الى القبحاء وبقيت يدي  
لا رقيق لي الاكتابي وفرسي . فاقبلت لساعتي من جزين قام دأب دير القمر  
فاجتازت اليها قاتروا طيور المختارة وغيرها والطريق بين هذه القرى القديمة  
هامزة من وراء الغاية ثم شي فيه وسط اشجار الزيتون وهي غابات غيباء في  
الشوف كما ان اشجار المصنوبر كذلك في قضاء المتن . ودير القمر هو مركز  
الجبل القديم وصلت اليه قبيل الغروب وقد بدت القصة بابنتها الشاهقة للمروس  
في حليها وعكست شمس الاصيل على زجاج نوافذها وسطوحها فاختلطت  
الحيرة بالصفرة بالخضرة بالزرقه فكان اجل منظر تقع عليه عين انسان . واهل  
السير اكثفهم سكان الجبل بوصوفون بالزرقه وحسن المشيرة يحيبون الى الغرب  
كيف كانت حاله . وفي هذه المقصبة الى اليوم جامع قديم من القرن  
العاشر بناء اسد امره لبنا ولا يزال الدير يون بحرصون على سلامته فيتمهدونه  
بالخارج وان لم يكن له من يقيم فيه الصلاة .

وقصبة الدير بكثرة سكانها وتوفر مرافق الحياة فيها شبه بالمان منها  
بالقرى وهي مشهورة بجماعة الحسطة تحمل اليها من جوارات فتوزع في  
الاطراف . وليس حيز للقمر وحيداً في نوحه باكتظاظ الاقدام فيه فمدينة  
زحلة لا يقل سكانها عن خمسة وعشرين الف نسمة واصل بعضهم نفوسها  
الى خمسة وثلاثين . وتكثر النفوس في حلتا ورأس المتن ورمانا وبيت  
مرعي وجيدانته وبيت شلب ونكفيا وسكنة وبدا والشوير وحصرون  
والشيوخات وسندم الحجة وحقلان وعبد الموش وعالية ومعلقة الدامور  
وجوزين وجبيل والشيخ وثورين وشميت وقزير وجونية وكفر ذبيان

والبترون واهدن والمرمل وأمبون وزغرثا وكوسبا وفي غير ذلك من  
القصبات التي يعد فيها النفوس بالآلوف والمئات

والقرى والمزارع متصلة خصوصاً في المال التي ترتفع كثيراً عن سطح  
البحر ولا يتمذر البيش فيها في الشتاء لكثرة ثلجها وبردها وجليدها وأعاصيرها  
وما أشبه لبنان وقراء ومزارعه لا تقل عن تسعمائة وستة وخمسين قرية (١)  
الابقصر نفيم جبل واسع الأرجاء محفوف من أطرافه بالرياحين والازاهير  
المطرية وغرفته الكثيرة تلك السأكرو والضياع لا يكاد التجول يل من  
مقصورة حتى ينتقل الى أخرى وما أسرع وصوله اليها من تلك الطرق  
المعبدة وهذا القصر مزدانة أفنيته وأروقته بأقصى ما تختص به يد الصانع  
من بدائم الزينة ويد المخلوق لم تقصر كثيراً في تجهده .

معنى لبنان الأبيض وهو اسم عبراني سمي به لتعمم قممها بالثلج في  
الشتاء والربيع وبعض الصيف . وقد ورد ذكره في الشعر القديم فقال  
الناطقة الذبياني :

حتى غدا مثل نصل السيف منصلتاً يقرؤ الاماعز من لبنان والأكاما

وقال احمد بن الحسين بن حيدرة المعروف بابن الخزامي الطرابلسي من

المحدثين :

دعوني لثأ في الحرب اظفو وارسب ولا تنسبوني فالتواضب تنسب

وان جهلت جبال قومي فضائي فقد عرفت فضلي معد ويغرب

ولا تمتبوني اذ خرجت مناضباً فمن بعض ما بي ساحل الشام بنضب

وكيف التذاذي ماء دجلة مرقفاً وامسواء لبنان الله واعذب

(١) دليل لبنان لابراهيم الاسود

فألي ولأليام . لادرّ درّها تشرق بي طوراً وطوراً تقرّب .  
 وانشد المتنبي في مدح ابي هرون بن عبدالعزيز الاوارحي في قصيدة :  
 بيني وبين ابي علي مثله شم الجبال ومثلن رجاء  
 وعقاب لبنان وكيف بقطنها وهو الشتاء وصيفن شتاء  
 وقال البحتري :

وتعمدت انت ثقل ركابي بين لبنان طلماً والسنير  
 مشرفات على دمشق وقداء رض منها يياض تلك القصور  
 وقال الجوزاني اليزه ركلو من التأخرين يصف (١) لبنان : اذا  
 ما لقيت بصرك من البحر الى سلسلة لبنان المستطيلة رأيت من هذا الجبل  
 منظرًا مهيأً فيلوح لك ازرق او وردياً في الصيف ومشملاً في الشتاء  
 والرياح يجلباب ثلجه القضي واذا تصاعدت الابخرة في الجو البست قمه  
 الشامخة ثوباً شفافاً هوائياً غاية في اللطف يبد ان جمال هذا المنظر لا يخلو  
 من سطوة الشدة فتري ذاك الجبار يتحلى بضلوعه الشديدة وينطح برأسه  
 الشامخ لا يقوم في وجهه قائم على ان النظر الى محاسن هذا الجبل عن كئيب  
 هي دون جماله عن بمد فتري ظهره على طول ١٥٠ كيلومتراً اقهب اجرد  
 لا تكسوه الخضرة . اوديته متشابهة ومشارفه كأنها قدت على قالب واحد .  
 وقال الاب لامنس : ان لبنان اشبه بمجدار عظيم من الصخور وجهته  
 من الجنوب الغربي الى الشمالي الشرقي وفي الجهة الشرقية تراه يقطع بقعة  
 اما من جهة الغرب فهو يتفرع فروعاً متعددة على هيئت شتى من آكام  
 وبطون وسهول ووربي متسلسلة يدخل بعضها في بعض واذا استثبتت هذه

الفرعات الثانوية والتجمعات النهر المنسقة تحققت إن سلسلة لبنان المظلى قد وضعها الخالق على صورة نظامية وجانب كبير من البساطة ولذلك قلما ترى في لبنان تلك المناظر المتباينة التي تهر بها العين وإنما يقع البصر على حاجز كبير في حدود الأفق يتواصل على خط مستقيم لا تكاد قممه العليا تمتاز عن بقية أقسامه .

ووصف شكاه أيضاً فقال : ومن تفرع الجبل من الجنوب إلى الشمال وجده يتزايد علواً وكذلك يتسع عرضاً ولو تأمل الناظر من علو الجبل عرض لبنان بين صيدا ومشغرة لوجده يزيد عن ٢٩ كيلومتراً وهو يبلغ بين بيروت وقب الياس ٣١ كيلومتراً ومعظم اتساعه بين طرابلس والمزمل ٤٦ كيلومتراً فيكون لبنان على كل ذا شكل مربع منفرج عن زاويتيته العلويتين أ .  
ولقد قدروا مساحة لبنان بثلاثة آلاف وخمسمائة كيلومتر بمحده جنوباً صيداء واعمالها وشمالاً طرابلس وكورتها وشرقاً ولاية سورية وغرباً البحر المتوسط ومدينة بيروت . هذا هو حده الجديد وهو المعروف بلبنان الغربي والاصل في التسمية . ويطابقون اسم لبنان الشرقي على وادي النيم وجبل الشيخ ( حرمون ) أي على قضائي حاصبيا وراشيا وما اليهما والبقاع فاصل بين اللبنانيين . وحده القدماء فقالوا : ( ١ ) انه جبل مطلق على حصن يحيى من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام فما كان فلسطين فهو جبل الحمل وما كان بالاردن فهو جبل الجليل وبدمشق سنيروا بحلب وحماة وحصن لبنان ويتصل بالنطاقيته المصيبة فيسمى هناك التكام ثم يند إلى ملطية وميساط وقالقلا إلى بحر الخزر فيسمى هناك القيق قال وفي

( ١ ) الأزهرى في معجم البلدان ليكنوث الجوى



لبنان سبعون لساناً لا يعرف كل قوم لسان الآخرين إلا بوجان (١) وفيه من جميع القواكة والزرع من غير أن يزرعها أحد وفيه يكون الابدال من الصالحين . وقال القلقشندي ثم يتدليان الى الشمال ويحاور دمشق واذا صار في شمالها سمي جبل سدير .

وعلى ذكر الصالحين نقول ان لبنان مشهور منذ القديم بانقطاع الناس الى العبادة فيسفل ابن جبير في كلامه على العلم والتعلمين في الشام في القرن السادس للهجرة ثمانية حركات من وفقه الله بهذه الجهات من القرباء للانفراد يلزم ان الحب خبيثة من الضياع فيكون فيها طيب النيش ناعم البال وينال الحزن طيب من اهل الضيعة ويلزم الامامة والتعليم او ما شاء متى سمى المقام خرج الى ضيعة أخرى او يصعد الى جبل لبنان او الى جبل الجودي فيلقى بها المريدين المنقطعين الى الله عز وجل فيقيم معهم مكثاً ويصرف الى حيث شاء . ومن العجب ان النصارى الجاورين لجبل لبنان اذا رأوا به أحد المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت واحسنوا اليهم ويقولون هؤلاء من انقطع الى الله عز وجل فيجب مشاركتهم وهذا الخليل من اخصي جبال الدنيا فيه انواع الخواكة وفقه النيام والطرح والطلائع الجارية قل يا مغلو من التهلك والعبادة . وقال ابن بطوطة في القرن السادس : ان جبل لبنان من اخصي جبال الدنيا فيه بضائف القواكة ولا يغلو من المنقطعين الى الله تعالى والعبادة والصالحين وهو شهر بذلك ورأيت فيه جماعة من الصالحين قد انقطعوا الى الله تعالى ممن لم يشهر اسمه .

بقلاً وثلاثين المروغ اليوم بالاحياء انه في لبنان نحو التي رابعه ورابعة لم ١٨ اديراً ما عدا الكنائس والبيع والصوامع التي لا يغلو قرية بن

واحدة او عدة منها ولا يقل دخل الرهبان والاديار فيه عن مئة وخمسين الف ليرة في السنة كما أكد بعض العارفين . وهو نحو ثلث ايراد لبنان بأسره . وفيه المأبى التي يتقطع فيها الى النسك بعض الرهبان فيقيمون في متارة او مكان منفرد يتعبدون في الخلاء . زرت احدهم في مديرية القاطع فرأيت متوفراً على كرم له هناك حتى جاد واخصب يعمل فيه يده ولا يكاد يأكل منه متى تضج ويصرف شطراً من وقته في النسك والصلاة . ولوقام كل امرئ بالواجب عليه فسعى للعاش سعي هذا الحيس وعبد الله وخافه لارتفعت الشرور من البشر وقل احتياجنا للحكومات وقواتها . وهذه المأبى ( ١ ) قديمة في لبنان ترد الى عهد هيلاريون الناسك اوقبله وسيف عدلون بين صيدا وصور على مقربة من صرند عند الجسر صغر عال حفر فيه نحو مائتي كهف اتخذها الرهبان مساكن لهم .

وبالنظر لتوسيط لبنان من سورية كان نافعا بعمراته لها بطبيعته فكان علوقمه — واعلاها ظهر القضيبي علوه ٣٠٦٣ متراً ثم في الوسط جبل صتين وعلوه ٢٨٠٦ متراً واعلى نقطة في جبل الشيخ ٢٨٦٠ متراً — وكثائر ضبابه وكثرة اشجاره وقربه من البحر كلها داعية الى كثرة الثلوج والامطار فيه فيكون من عساراتها ومسايها النهار ذات شأن عظيم في عمران الشام . فن سفوح لبنان تنبجس اعظم انهار سورية فنهر العاصي الذي يروي اراضي وادي حمص وحماة وانطاكية ينبجس من الهرمل في شمالي لبنان ونهر اللباني الذي يروي بلاد صيدا وصور وتنفع به بعض بلاد البقاع ينبع من لبنان ونهر طرابلس المسمى بنهر ابي علي ويعرف قديماً بقاديشا يخرج من

سفع لبنان ونهر الكلب ويهوت اللذان يسقيان مدينة بيروت وضاحيتها  
ينجسان من السفع الغربي من لبنان ونهر البردوني الذي يسقي زحلة وبعض  
البقاع هو لبناني المنبع أيضاً . ومن لبنان الشرقي ينبع الأردن « الشريعة »  
كما ينبع من غرب لبنان الغربي نهر ابراهيم

فلبنان في فائده لسورية اشبه بحمال الالب في سويسرا او بنيل مصر  
من حيث امتداد المنافع . وللالب والنيل المثل الاعلى . وفي لبنان عدة ينابيع  
منها نبع الاربعين ونبع صنين وبقليع واللبن والعسل والباروك وعين زحلنا  
وقد زرت هاتين الاخيرتين

وصلنا الى الباروك في زهاء ساعتين من ذهاب القمر مارين بيت الدين مركز  
مصرفية لبنان الصيني وكفرنبرخ وبعض المزارع وقرية الباروك في واد  
مخرج قليلاً تتبع عينها على قيد غلوة منها اما المصطافون فيها فيختارون في  
الالب النزول بالقرب من رأس العين في نزل هناك او خيام لهم يضربونها  
وسط الحراج المبثوثة على آكام الباروك وجبالها فيوفر لهم بذلك الى جودة  
الماء التي مابعداها جودة فيما اظن - طيب الهواء ونسيم الارز والصنوبر  
الليليل البليل . ومن الباروك الى عين زحلنا ساعة على الراكب وفي هذه  
القرية فنادق حسنة لكثرة ورود المصطافين اليها للتمتع بنبع الصفا وقاع الريم  
الذين ينبعان في ظاهرها وتسريح عيونهم بحمال موقعها وخصب وادها  
وحراجة الغيباء . وعين الباروك وعين زحلنا على مسافة واحدة في العلو  
وماؤهما يكاد يكون متشابهاً والطريق من عين زحلنا الى عين صوفر ماراً بطريق  
السكة الحديدية نحو ساعتين ونصف في العربة او على الراكب وهذه العيون  
ينتفع بها كلها في سقي الحدائق في القرى البعيدة والقرية

ومن حوفر قصدت حمانا وقرنايل فصلياً فمعدات فبحسن فكيفيا فييت  
شباب فتلشوية فالقريكة . وهنا قضيت مع صديقي الابراهيم افسيس  
ويحاني الكاتب الشاعر المفكر الشهير اياماً رائقة . ريثما ركب البحر من  
بيروت قاصداً القطر المصري فاوروبا . هذا وقد كان سبق لي منذ سنين ان  
زيت بعض قري كسروان والبترون وزحلة فاكون هذه المرة بما خبرته من  
حال هذه الابقية الثلاثة الاخرى وهي جزين والشوف ولبنن خليقاً بان  
اتكلم على الجبل خصوصاً ولم ينقصني منه الا قضاء الكورة فقط .

### ليلة في تاريخ لبنان

لم يخرج لبنان في دوز من ادواره عن كونه مغفلاً حصيناً كل من مناده  
يكوه في الامم من حالاته الى الشدة والمضاء يصعب من يسودم وقد يصعب  
به جيزانه من اهل البلدان الاخرى . ولقد كان تاريخه السياسي كتاريخ  
معظم المقاطعات السورية استقلالاً وخضوعاً للغرب ولكن ايام الاستقلال  
اكثر من غيرها في غيره من اقاليم الشام

والقالب ان قاصيته خضعت للفينيقيين كما خضعت شواحه واستولت  
عليه حكومة الايتوريين العربية في عهد الروم . والايثوريون شعب شديد  
الشكيمة مولع بالحروب التكفاً من حوران والنجاة ببلاده ونزل البقاع فالشأ  
له مدينة شاليس او عين جرجنها داصمة واخذ يشن الغارات على لبنان  
ويقدم الى الامام حتى تيسر له ان اسور قمه واخضعه لسلطانه ثم انحدر  
الى سواحل الشام وجعل مدينة طرابلس مركزاً ثانياً (١) واكثر من كانوا

يتأذون من بأس الايتورين سكان جبيل وبيروت فلم يكونوا يملكون معهم لانفسهم طولاً ولا حولاً

نعم خضع هذا الجبل للفاتحين واستولى على زمامه المردة وهم قوم من نصارى القرس اتى بهم الروم ليدفعوا عن لبنان غزوات الايتورين فقتل المردة (٢) في الشمال اوائل القرن الاول للهجرة ثم جاء التنوخيون ونزلوا جنوبه وتوالى عليه الامراء المعنيون فال عساف التركمان ومن سلالة المعنيين الامير فخر الدين الذي عبدالله الساطان سليم فاتح سورية ومصر بولاية الشام ثم الشهابيون ومن امراءهم الامير بشير الماخطي الثاني ومن امراء لبنان جان بولاد (جنبلط) الذي حكم الشام ستين في القرن الماضي وفيما ذكر روى التاريخ ان سكان كسروان اخذوا في القرن السادس اوائل القرن السابع للهجرة يطيلون ايدي اعتدائهم على ابناء السيل فيخطفون المسلمين ويبيعونهم من الاعداء فكان عساكر المسلمين معهم بين عدوين ثم في جبال صنين او الظنين كما سماهم ابو الفداء وجيوش التتار التي انهالت على هذه البلاد كالسيل الرم ان نجا المسلم من التتار لانبجوا من الكسرواني (سنة ٦٩٩) ولما سار شيخ الاسلام ابن تيمية سنة ٧٠٤ لنصح اولئك العصاة فلما لم ينجم النصح فيهم قاتلتهم الجيوش الشامية قتالاً هائلاً برعامة جمال الدين نقوش الافرم نائب دمشق . والغالب ان سكان كسروان كانوا اذ ذاك خليطاً من النصرانية والموارنة وغيرهم كما كان سكان ساحل كسروان من البعاقبة .

(٢) هذه اللفظة فارسية ومعنى مرد الرجل

وما زال نواب الشام (١) الأشرف بن خليل قلاوون والناصر محمد بن قلاوون يحاربون النصيرية في كسروان حتى اخرجوهم وجعلوا بدلم قوماً من التركان في بعض النواحي وبقي كثير من المتأولة معهم كما فعل صلاح الدين يوسف لما استخلص ساحل لبنان ولاسيما جيل وأعمالها من ايدي الافرنج سنة ٥٨٣ هـ فرتب (٢) في جيل قوماً من الأكراد لحفظها فبقيت على ذلك الى سنة ٥٩٣ هـ فبأها الأكراد الذين كانوا بها ورحلوا عنها ثم عادت تلك السواحل فاستولى عليها الافرنج بعد صلاح الدين لان الكسروانيين كانوا نصراء الصليبيين يدونهم بالدخائر والرجال

ولذلك امر حسام الدين لاجين نائب دمشق بان تخرب بلادهم فخربت على عهده وعهد غيره من حكامها ولا سيما على عهد الافرم كما تقدم اذ قضى بقطع كرومهم وتخريب بيوتهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وتفرقوا في البلاد ايدي سبا .

ولما انتشر التركان بكسروان سنة ٦٠٦ هـ تداركهم (٣) بثأثمائة فارس وجعلوا دركهم من حدود انطلياس الى مفارة الاسد على حدود معاملة طرابلس فكانوا يمنعون من يستنكرونه ان يتعدى دربند نهر الكلب الا بورقة طريق من المتولي او من امراء الغرب كما كانوا يفعلون بقطية (٤) على درب مصر وجعلوا التركان ثلاثة ابدال كل بدل يقيم في الدرك شهراً لحفظ المواشي والدروب . وفي سنة ٦٨٦ هـ صدر منشور من ملك الامراء

(١) تاريخ بيروت لصانع بن يحيى

(٢) معجم البلدان لياقوت

(٣) تاريخ بيروت

(٤) قرية في طريق مصر وسط الرمل كانت الهجاز بين مصر والشام

لاجين نائب الشام عن الملك المنصور قلاوون الى جمال الدين وزير الدين ابن علي انه اذا بلغها توجه المقر الشمسي سنقر المنصوري بالمساكر الى جهة كسروان والجرد ان يتوجها اليه بجمعها وأسرتهما وان من نسي امرأة منهم كانت له جارية او صبياً كان له مملوكا ومن احضر منهم رأساً فله دينار وان سنقر توجه لاستئصال شأفتهم ونهب اموالهم وسبي ذراريهم . وهذه الفقرات على شدتها لم تصدر عن امراء الشام الا بعد ان طفع كأس صبرهم من تمرد الكسروانيين

واختلف العلماء في اصول سكان لبنان والاربع انهم خليط من الفينيقيين والآراميين والروم والعرب مزجتهم بودقة واحدة فقدوا مزيجاً واحداً كما هو حال معظم البلاد فانك ترى كثيرين من اسرات لبنان المشهورة تزحت من بلاد حلب وحماة وحمص وحميران في الداخلية ولا سيما في القرون الخمسة الاخيرة . ذكر المؤرخون ان معاوية نقل الى طرابلس وجبل وبيروت وصيدا ، قواً من الفرس يسكنونها . وذكروا ايضاً ان ابا جعفر المنصور العباسي لما قدم دمشق من بغداد قدم عليه من بلاد المعرة الامير ارسلان واخوه الامير منذر بجماعة من عشيرتهما فطابت نفس الخليفة بهما فامرهما ان يسكنا في جبال بيروت الحالية من السكان وانتم عليهما بقاطعات معلومة فسكنوا وبعضهم في كسروان واخذوا يشنون الغارات على مجاورهم وفي بعضها احرقوا قرى من كسروان السفلى ونقضوا الامراء الارسلانيون بعشائرهم وعمروا العمار في الشويفات وجوارها .

اما الموارنة فكان اول منشأهم في شمالي سورية في الاغلب ينتسبون الى قديس لم اسمه مارون وهم طائفة كاثوليكية لا يكادون يختلفون عن الكشاكسة

في امر جوهري في المعتقدات جاوا اشالي لبنان اولاً وما زالوا يمتدنون  
ويطردون سكان الجبال الاصليين او ينصرفونهم ويدمجونهم في جملتهم حتى  
بلغوا الجنوب واحتفظ الدروز ببلادهم بما فيهم من الشدة والاباء .

وزعم بعضهم ان الموارنة لم يسكنوا كسروان قبل القرن السادس عشر  
الميلاد لانه لا يوجد بين اديار كسروان اليوم دير واحد يسبق عهده القرن  
السابع عشر وان جليل والبترون كانتا على الحياض مع الصليبيين فلم نغازا  
اليهم ولا للمسلمين اصحاب البلاد الا ان هذا لم يمنع من الرواية الثانية من  
مما لا الموارنة للصليبيين ودلائلهم على الطرق ومجدهم (١) لم وثباتهم معهم  
على الهدى الى النهاية حتى خرجوا من سورية سنة ١٣٠٢ م ومن اجل هذا  
اضطر حكام البلاد ان يحرقوا ويقتلوا ويسبوا بعض القرى القريبة من  
طرابلس مثل لهدن ويقوفا وحصرون وكفرسارون والحديث

وما يرح لبنان ينقسم بين امراء المقاطعات يحكمونه على النحو القبيح  
كانت عليه صورة الحكم في البلاد العثمانية قبل تنظيم الولايات . يقوى  
الجمانيون تارة والقيسيون اخرى والناس معهم في امر مريع ومن التفرقات  
القيسية والايانية ما وقع في الربع الاول من القرن السادس عشر للميلاد بين  
الامير فخر الدين المعني اقيسي وجمال الدين الارسلاني اليميني . قال المقرئ  
وعشير الشام فرقتان قيس ويمن لا يتفان قط وفي كل قليل يثور بعضهم  
على بعض .

ونشأ حزب آخر وهو الحزب اليزيدي نسبة الى يزبك جد الشيخ عبد  
السلام البعلبكي زعيمه والجنبلطي نسبة الى الشيخ علي جنبلط زعيمه الآخر

(١) تاريخ البطرك الدروبي وتاريخ المقاطعة الكبرى رواية للفرعي منصور طنوس الجنوني



وذلك سنة ١٧٢٩ - ١٧٥٤ وامتد في لبنان ولم يزل له اثر كما نشأت احزاب اخرى كالملوفا والمكاري ومثل هذه الاحزاب قد لا تخلو من حدوث فتن تهرق فيها الدماء وتكثر الايامي والاماء كما فعل الحماديون واحرقوا بلاد جبيل والبترون فغرت جميعها ونزع سكانها الى بلاد ابن معن وكانت البعداوة بين بني سيفا وبني من مديا في تخريب الجبل ايضا .

ومن الوقائع التي تمت فيها الاطفال تلك الوقعة التي جرت في القرن العاشر عقيب ان نهب بعض امراء لبنان الصرة السلطانية من جون عكا بينما كانت محمولة الى الاستانة فجمع ابراهيم باشا صهر السلطان مراد بن السلطان سليم المسافر من مصر وقبرص ودمشق وحلب وقدم بها الى مرج عرجوش قرب زحلة وامسك طريق البحر والبقاع على الدروز فقتل نحو ستمائة منهم واسر بعض الامراء .

وما زالت حال الجبل في اقبال وادبار تقع اليوم فنة الماقورة وغدأ وقعة مرخلاقا وبعده وقعة ارض خلعة ثم فنة برج الفلول وبعده ذلك وقعة عين دارة حتى اقامت له الدولة سنة ١٨٤٢ عمر باشا الخنوسوي واليا فلم تطل مدته حتى منحت الدولة للجبل امتيازات وقسمته في السنة التالية الى مقاطعات . وتعرف الاولى (١) بقائمقامية التضاربي وهي الشمالية تمتد من نهر البارد في عكا الى طريق دمشق مع بعض قرى ساحل بيروت وتولاها الامير حيدر اسماعيل اللامي وتعرف الثانية بقائمقامية الدروز وهي الجنوبية تمتد من طريق الشام الى منتهى جبل الرمان في الشمال مع قرى اقاصم التفاح وبعض قرى ساحل بيروت وتولى شؤونها الامير احمد عباس الارسلاني

(١) دواني القنطوف لجيسى الادي اسكندر العلوف

أما قسبة دير القمر فكان يتولى شؤونها رجل من قبل والي إيالة صيدا . وكانت قائممقامية النصارى مؤتمة من المتن وكسروان والبترون والكورة وزحلة وقائمقامية الدروز تشمل قضاءي الشوف وجزيرن وقسماً من غربي البقاع وبعض قرى مديرية الساحل الداخلة اليوم في قضاء المتن وفرض على لبنان في كل سنة ثلاثة آلاف وخمسمائة كيس

ودام الحال على ذلك الى سنة ١٨٦٠ وقد اشتعلت جذوة تلك الفتنة المشؤومة بين الدروز والنصارى في لبنان فمنحت الدولة هذا الجبل استقلالاً ادارياً بأن جعلته متصرفية يتولى شؤونها حاكم مسيحي تبعث به الدولة كل خمس سنين او تجدد انتخابه بمصادقة الدول . وجعل مال لبنان سبعة آلاف او ثلاثة ملايين ونصف مليون قرش وضعت على الاعناق

ولحكومة لبنان موارد اخرى سنوية منها نحو اربعة ملايين قرش من بدلات حاصلات الاراضي الاميرية ورسوم المصايد والمقاولات والعربات والعجلات وتمدل بثلاثة عشر الف ليرة ولا تتناول الدولة الآن شيئاً من مال الجبل ولا تعطيه وكانت منذ سنين تدفع اليه العجز في ميزانيته . وفي لبنان الف جندي لبناني بادارة امير الاي اللبناني وفي بيت الدين فرقة من الجند العثماني المحافظ وعليها امير الاي بادارة حكومة لبنان .

وتحاول حكومة الجبل الآن ان تزيد الضرائب قليلاً ليتسرها القيام ببعض الإصلاحات والثوسمة على موظفيها كما وسع عليهم في سائر البلاد العثمانية بعد الدستور الا ان معظم الاهلين يفاومونها وفاتهم ان اليرة منذ خمسين سنة لاتعادلها اليوم الا الثلاث ليرات او اكثر لو فرة الذهب وغلاء الاسعار . وهم يعتبرون ان هذا العمل اخلال بشروط امتيازاتهم ويخافون

ان يتدرج الامر الى العتب بقانونهم فيختل نظامه مع الزمن من اجل هذا ابى اللبنانيون ان يبعثوا الى مجلس الامة العثمانية بنواب منهم يمثلونهم وما نظن وطنيتهم تحول بينهم في الانتخاب القاعـم وبين ارسال نواب عنهم حتى يشتركوا وسائر اخوانهم العثمانيين في النعم والرم فليس من الانصاف ان يبقى جيلهم بدعوى قلة خصبه على الحياض وهو في وسط البلاد ويمسب جزءاً متمماً من اجزاء السلطنة العثمانية كيف تقلبت الحال وتعددت المظاهر والاشكال

### غابات لبنان



ليس في لبنان ارض تبلغ مساحتها مائة كيلومتر مربع بل غاية ما فيه من الاراضي منحدرات ومنحرجات واودية ضيقة ومسائل صنية وقوفها جعل التقدماء زروعهم واشجارهم واكثر الاراضي مما يصلح للشجر اكثر مما يصلح للبقول والفلات شأن جبال الارض في الاكثر . وليس في الأيدي نص قديم يشير الى اصناف زراعة لبنان منذ عرف التاريخ غير ما نقلناه في نبذة سالفة عن مؤلفي العرب من ان فيه اصناف القواكه والزروع واكثرها مما ينبت بنفسه وهو كلام مجمل لا يشع ولا يقنع . واذا كانت طبيعة ارض لبنان لم تتغير منذ عشرات من القرون كانت الزروع التي لا تناسبها ارضه ضئيلة فيه او تكاد تكون معدومة .

ولكن لم تفل ارض لبنان في زمان من ازمانها من الزيتون والتين والكرم والخروب والجوز واللوز والتفاح والصنوبر والتوت من الاشجار المثمرة والزان والسنديان والسرو والارز من الاشجار الغير المثمرة . وعدا اكثر

القديماء والمحدثون من الكلام خاصة على تاريخ الارز لوزود ذكره في الكتاب المقدس مرات ولان من خشبه بني قصر داود وهيكل سليمان والميكل الثاني الذي جدد في ايام زربابل وسقف الهيكل المجدد في عهد هيروُدوس وقبة القبر المقدس وسقف الكنيسة في بيت لحم . وقالوا انه ثبت ان ملوك الاشوريين والبابليين استعملوا في قصورهم خشب الارز وان المصريين ادخلوا من خشبه في بناء هياكلهم وقصورهم كما فعل الفرس وان الاسكندر المقدوني وضع من خشب الارز في السد الذي اقامه بين الجزيرة والشاطئ حيث كانت مدينة صور وكذلك ملوك السلوقيين في سورية ادخلوا خشب الارز في بناء دورم .

وكل هذه الاخشاب قطعت من لبنان او من الجبال المجاورة له وكانت تحمل في الغالب الى طرابلس وصيدا وصور حيث كانت دور الصناعات وقد انشأ بعض ملوك الاسلام اساطيل من خشب الارز وقالوا ان يبروت ( ١ ) كانت دار صناعة دمشق ( ترسانتها او ورشتها ) وبها عمر مساوية المراكب وجيز فيها الجيش الى قبرص ومعهم ام حرام واسمها المعيصاء وقيل انه عمر من الارز الفا وتسعمائة سفينة وبعد سنين جهز اسطولاً اضخم من الارز نفسه وتبعه غيره من ملوك الاسلام في اختيار الاختاب للسفن من غابات لبنان وما برح كثيرون من المتدينين بالصراية يتبركون بشجر الارز ويحملون من حصونه قطعاً ينقلونها من قارة الى قارة ومن مملكة الى أخرى وهو عطر ارائحة اذا وضع في النار ويحسن في المشم اذا مسته بيدك ولونه صفر فاتح مشرب بخطوط حمراء لا تثبت به الارضة ولا يقل فيه السوس

ولذلك كاد ينقرض لكثرة حرص السوريين وغيرهم على استعماله في ابنتهم وقصورهم وبيعتهم وهياكلهم ومآثلهم ونصبهم .

والغالب ان الحكومة السالفة (١) القديمة في لبنان كانت تحتكر اربعة اشكال من الشجر تستثمرها لحزبنتها وهي السرو والعرعر والارز والصنوبر وتسمح بقطع غيرها واحتطابه او غرس غيره محله . وقد بدأ النقص في هذه الاشجار ولا سيما الارز منها منذ خمسة قرون لان اللبنانيين احتاجوا الى الاحتطاب واخذوا يكثرون من زراعة التوت والكرم خصوصاً وقد جرت عادة بعض حكام لبنان اذا غضبوا على احد ان يقطعوا اشجاره ويخربوا داره والى اليوم لا يزال من الامثال العامة السائرة في الجبل « الله يقطع رزقه » اي ما يملك من شجر و « الله يخرب زوفه » اي بيته

مثال ذلك ان الامير احمد المعني طرد المشايخ الحاديين المتأولة لما كثر بغيهم في كسروان فقروا الى بلاد بعلبك فاحرق فراهم في القرن الحادي عشر وقطع اشجارهم وقد رسم مرة يدمر (٢) نائب الشام لشهاب الدين ابن زين الدين صالح من امراء الغرب في لبنان وكان في دمشق ان يركب على خيل البريد ويتوجه الى قرية عين زحلنا من شوف صيداء ليكشف عما فيها من اشجار التوت النافع لعمل الشباب فلم يجده موافقاً وربما احب عدم تصديق اهل البلاد بقطعه وقتله ومنذ ذلك العهد اجتهد اهل الشوف في قطع شجر التوت وتعطيل نشوئه واستئصاله لئلا تصدعهم الدولة من جهته . قلنا ومثل ذلك ما نشاهده في ايامنا من ان بعض اهل القرى البعيدة

(١) دواني القطوف

(٢) تاريخ بيروت .

عن مراكز الحكومة في الولايات العثمانية قد يسخون بقطع اشجارهم فراراً من ظلم ملتزمي الاعشار واشتطاطهم في تقاضي المشور عليها اضعافاً مضاعفة . ولم يدرج شجر الارز موجوداً في عدة اماكن من لبنان على كثرة ما انتابه من البوائق فبالقرب من معاصر الفخار على مقربة من بيت الذين غابة منه فيها نحو ٢٥٠ شجرة يسمونها الابل واخرى فوق قرية الباروك غير ملتفة وضمينة النمو لكثرة الامطار والثلوج والعواصف في تلك الارزاء وثالثة فوق قرية عين زحلثا وكان احرق اكثرها لاستخراج القطران منه وقطع بعضها ايام حادثة سنة ستين لتجدد بخشبه بعض بيوت المنكوبين وراية بين افقا والمقورة في جرد جبل من بلاد كسروان وخامسة بين قرية تنورين وبشري صنفرة الشجر وعدد شجراتها نحو عشرة آلاف وسادسة بالقرب من بشري على علو ١٩٢٥ متراً عن سطح البحر وهي مقصد السباح وفيها اضمخ اشجار الارز ويبلغ عددها ٣٩٧ وقيل ٦٨٠ شجرة منها ١٢ كبرى واكبرها شجرتان دائرة جذع كل منهما نحو خمسة عشر متراً وارتفاع اطولها خمسة وعشرون متراً وقد زوا عمرهما بثلاثة آلاف سنة . ولا اثر الآن في سوربة لشجر الارز الا في اعالي سبر ببلاد الضنية (١) في وادي النجاص ففيه كثير من شجر الارز على ارتفاع ١٩٠٠ متر عن سطح البحر وبين سبر ونبع السكر وفي الغابة الواقعة خلف وادي جهنم ويسى عند اهله تنوب . ولوتوفرت همة ابن الجبل اليوم على غرس شجر الارز اواي كان من شجر الاحتطاب في الاماكن الخالية ولا سيما في القمم والقمم لما انت عشرات من السنين الا قد زادت ثروة الجبل زيادة محدودة وكان مع طول الزمن

لا ين لبنان من اشجاره مورد آخر غير التوت والزيتون مثلاً لان شجر الارز لا يوجد في الغالب الا في مثل هذا العلو من الجبل بل من جبال سورية التي تشبه لبنان بطبيعتها وموقعها

واذا زاد عدد الغابات في سورية زيادة كبرى وتوفرت عناية ولايات بيروت وسورية وحلب ومنصرفتي القدس والزور بتكثير الغابات - في الاماكن الخالية ولا سيما في الهال التي يعرف انها كانت غابات غيباء نائمة يتحول مناخ سورية وتكثر فيها الامطار بعد سنين ولا تعود تفضي اليبوسة وهلاك الزرع والضرع كما يحدث بعض السنين فيتأذى بذلك العرب الرحالة في باديتهم كما يتضرر ابن العمورة بهم ويصبح منهم بين نكبتين سملوية بقلعة الامطار وارضية بسطوا ابن البادية على ما بقي لابن القرى من رزق

وليت حكومة لبنان تبدأ فتفرض على كل لبناني ان يغرس عشر شجرات من اصناف الشجر عله تقتدي بها سائر حكومات بلاد الشام بعد ذلك فلا يأتي علينا جيل الا وتصبح سورية غنية بغاباتها كفى سويسرا او اكثر والاشجار في بلادنا اكثر نمواً مما هي في اوربا لما عرف من اعتدال الفصول ولطف الجو واقد جربت حكومة الجزائر فرنست الغابات منذ زهاء خمسين سنة فكانت النتيجة ان كثر اليوم هطول الامطار فيها على طريقة منطجة وسيكثر خيرها كلما زادت اشجارها وعسانا تقتدي في سورية بهذا المثال

منداً من السكان في لبنان على ارضاقهم وانقطعت شأفة ارباب المقاطعات الذين طالما اشتطوا في مطالبهم وبطلت او كادت السلطة الافراية الذوقية وقلت الاوثمة والازل التي كانت نحصدا العمران والسكان حصداً كالززال الذي عاود لبنان مرات سنة ١٧٥٩ م وخرب القرى واهلك الناس والطاعون الذي حدث سنة ١٧٨٩ وعم لبنان كله واستمر الموتان ثلاثين سنة (١) — منذ خفت العوارض الطبيعية والارضية اخذ كل فرد يحسن من حاله فمخت النفوس باستتباب اسباب الراحة واخذ المرسلون وغيرهم من رجال الدين منذ زهاء مئة سنة ينشئون ابناء الجبل على المنازع الدينية وبلقنوتهم شيئاً من اللغات الافنجية والعلوم الدهرية كما ان الموارد ما زالت لهم علائق مع الكرسي البابوي ، رومية يختلف اليه احبارهم منذ قرون وبما انتفع الجبل من هذه الصلة والمائد

ثم ان طبيعة الجبل تقتضي التحسين والتنظيم والمسيحيون على الجملة يميلون الى الرفاهية ويقدرون طعم الحياة قدرها ولم يكذب يدخل القرن الثالث عشر للهجرة في دور العدم ويطلع القرن الرابع عشر حتى دخل جبل لبنان في طور جديد فكثرت طرق عجلاته حتى اصبح لديه منها الآن نحو الف كيلومتر تجمع بين قراه ومزارعه كالشبكة للحكمة وتهمي سبل التنقل على المصطافين في ربوعه واكثر هذه الطرق في قضاء المتن لانه ظهر لبنان ونقطته الوسطى ومقصد المصطافين من البيروتين والشاميين والمصريين وغيرهم . وفيه الآن سبعون كيلومتراً من الخطوط الحديدية منها خمسون



من طريق بيروت ودمشق وعشرون من ترامواي شمالي لبنان .  
وفي هذا الجبل ٢٥ (١) مدرسة داخلية كبرى وصغرى و ١٤ مدرسة  
أكاديمية و ٨ مستشفيات و ٢٠٦ من الحراج والغابات و ١٤٧ من معامل  
الحديد و ٨١٩٧ من الدواليب وبلغت حاصلاته من الفياج (الشرائق)  
سنة ١٩٠٦ - ٢٠٢٧.٣٠ اوقية ومن الزيت ٢٥٤٨٨ اوقية وثمر الحديد  
الذي يخرج منه نحو ثمانية ملايين فرنك في السنة وكثير سكانه حتى هدلوا ان  
في كل كيلومتر مربع ٦١ نفساً ولا يفوق الجبل في ذلك غير ولاية الاستانة  
وجزيرة سيسام (ساموس) . وسكانه الآن زهاء اربعمائة وثلاثون الف  
نسمة منهم ٢٥٠ الفاً من الموارنة و ١٦٠ الفاً من الروم و ٣٦ الفاً من  
الكاثوليك و ٥٥ الفاً من الدروز و ٣٣ الفاً من المسلمين (سنة وشيعة) و  
١٥٠٠ من البرتستانت والباقون ارمن واسرائيليون وكلدان ولائين وفيه  
خمسائة من اهل الدير يعيشون في مضاربهم خارج القرى واكثرهم فقراء  
يتمسكون بالكف وقد احصى غيلموس الصوري في تاريخ الصليبيين  
عدد الموارنة في عصره فكانوا اربعين الفاً وما زال عددهم يربو على عدد  
وفياتهم وان هاجر كثيرون بعد ذلك الى قبرص وروندس والقدس ومالطة  
ولا يعدان تكون اللغة العربية انتشرت في جزيرة مالطة بواسطتهم .

ولا يسعنا وقد وصلنا من بحثنا في شؤون الجبل الى هذا الحد الا ان  
نرسل جملة في شغب اللبنانيين بالمهجرة الى اميركا وغيرها من البلاد التي  
توهم ابن سورية ان المال فيها ملقى على الشوارع لايحتاج الا ان يديه  
ليقتلوه مع ان اولئك المهاجرين لو صرفوا في بلادهم نصف ما يصرفون من

الوقت والقوة في بلاد المهجر على طول السنة وحسبوا ما صرفوه في ذهابهم وإيابهم وقدروا عدد من هلكوا منهم لأوا ان المعدل واحد والفرق قليل لا يشاوي هذا النصب .

والذي ظهر من قرائن الاحوال ان ابن لبنان كان اول فلاح سوريه حاجر الى اميركا او جراً سائر السورين على الهجرة بمذوباً بما اشتهر عن القارة الاميركية من الغني ولكثرة علائق لبنان مع الغرب قبل حادثة سنة ١٨٦٠ وبمدها ولان ابن لبنان اكثر اهل جبال سورية عملاً ونوراً وافرهم نشاطاً ومضاءً وشمساً وادلاً بل ان مجموع القارئ والكاتبين فيه اوفر من مجموع القارئ والكاتبين في مجموع مدن الشام

واول من دخل اميركا (١) من السورين الحوري الياس بن القسيس حنا الموصلي الكلداني من سنة ١٦٦٨ - ١٦٨٣ واول من دخل اميركا الشمالية في القرن الماضي الحوري فلانيانوس الكفوري سافر اليها سنة ١٨٤٨ واخذ معه ناصيف الشدودي واول من دخل الجنوبية المطران باسبايوس حجار سنة ١٨٧٤ وكانت غايتهم جمع الاحسان واول من دخل اميركا الشمالية للتجارة تجار من بيت لحم حملوا مصنوعاتهم الخشبية المرصعة بالصدف الى معرض فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ ثم عادوا الى بلادهم بثروة وافرة فاقتنى ائرم غيرهم واتصل ذلك بشمالى لبنان وامتد في كل سورية ثم كثرت الجالية السورية في العالم الجديد وامتد الى اوجز البحر المحيط بل وفي افريقية شرقها وغربها وشمالها وجنوبها

وقدر بعضهم ان ثلث المهاجرين يسكن اميركا وثلثهم يرجع الى وطنه

(١) دواني القنطوف ليمبي افندي اسكندر الملوفا

والثلث الآخر يموت . ونظن ان الثلث الأخير مبالغ فيه وإن كان عدد المالكين في المهجر غير قليل . واحصي (١) عدد السوريين المهاجرين الى سنة ١٩٠٦ فكانوا مائتين وخمسين ألفاً منهم ستون ألفاً في الولايات المتحدة وخمسون ألفاً في جمهوريات اميركا الجنوبية وخمسة وعشرون ألفاً في اميركا الوسطى وعشرة آلاف في استراليا وبعض الجزائر والباقيون في افريقية والمند والفيليبين وكوبا ومصر وعدد اللبنانيين منهم ستون ألفاً نصفهم ذكور ونصفهم اناث وربما كان الذكور اكثر

كثرت الهجرة منذ نحو عشرين سنة وذهب بعض سكان لبنان باقداهم وذكاهم المهود فنزلوا في دار الهجرة بلاذاً تحتاج الى ايدٍ عاملة ونفوس لا تعرف التعب فانشأوا يعملون وينحرون ويقفرون على انفسهم في النفقة على خلاف عادة معظم المهاجرين الى اميركا من اهل اوربا مثلاً فأب من قدرت له السلامة منهم ولم يكن له رأس مال في هجرته غير صحبته بمئات من الليرات فكان اول همه ان يعمر له داراً قوراء بالهجر النخيت والقرميد على المثال الذي رآه في بيوت المهجر

وكثر تقليد الناس بعضهم لبعض ومنهم من اشترى له ارضاً في بلده وطلق الآخر بقر بما جناه من ذاك الرأس المال القليل اما الافراد الذين اغتصوا فعدت ثروتهم بالالوف فقد استوطنوا البلاد التي هاجروها جرياً على المثل العامي « في المطرح الذي فيه ترزق الصق » وهم ان كُنت تحبهم انفسهم بالرجوع لا يبتأ لهم بال متى عادوا اذ يتجلى لهم الفرق الكبير بين نيويورك وشيكاجو وسان فرانسيسكو وبونس ايرس وسان باولو مثلاً وبين

عشقت ويسكتنا وعشيت وعرنة ومفرونة اما اولادهم فينطبعون بطابع البلاد التي ولدوا فيها واكثرهم لا يتعلمون اللغة العربية ولذلك لا يرجى البتة ان يعودوا الى موطن آبائهم وهذا القسم ممن خسرتهم البلاد حقيقة والذي يزيد في الحسرة عليهم ان بعضهم ذهب برأس مال من بلاده ولو طفيف وبعضهم على جانب من الاخلاق والمعرفة لم يعمدوا الى الطرق السافلة في تحصيل الثروة .

نعمت الهجرة لبنان واضرته وعندي ان المضار اكثر من المنافع اذ لا يظفر الى العيان في الغالب الا الحسن . فقد يذهب الف مهاجر مثلاً الى بلد كذا ولا ينجح منهم الا واحد او اثنان فيأخذ الناس يتحدثون في امرها وينسون اولئك المئات الذين يعملون اربع عشرة ساعة كل يوم في اشق الاعمال ولا يكادون بمدروسين يوفون اجرة الجرة الطريق التي استلفوها من احد المربين في بلدهم او باعوا في الحصول عليها ارضاً لم ورثوها من آبائهم خل عنك من هلكوا بالامراض وغيرها وهكذا الحال في مجموع حالة لبنان من حيث منافع الهجرة ومضارها .

فان من نظر في الامور نظراً سطحياً وشاهد تلك البيوت البديعة في قرأه ومزارعه التي عمرت بمال اتى به المهاجرون من غير ارض لبنان وسمع بان فلاناً اصبح يملك كذا وكذا من الليرات وان بلد كذا يدخل اليه كل شهر من تعاويل امير كما ما يقدر بكذا من الذهب — من شاهد ذلك وسمعه لا يهتم ان تصوره هزة الفرح لبلاده وربما اعتقد ان الحال اذا دام على هذا المنوال واموال امير كانت تسرب الى بلادنا تصبح بعد بضع سنين اغني من الامير كان وننقل شطراً عظيماً مما عندنا من الذهب الوهاج وهذا منتهى المساعدة البشرية

ليست السعادة بكثرة المال . السعادة شيء غير ما يتوهمه من همهم  
انشاء البيوت وتزيينها من الظاهر وفي باطنها الشقاء والحسرة . قالت لي  
عجوز في صليها وقد سألتها اين رجائكم : « ذهبوا الى اميركا وتركونا هنا  
نحرم من البيوت التي عمروها بنسرح فيها انفيران تاذا وليجمعوا كمية اكبر  
من المال لان ما جمعه لم يكفهم لانهم هذه الدور على ما يبيعون وفرشها ونقشها  
ثم ان حالة البلاد لم تنجحهم بعد ان شاهدوا . شاهد اميركا . » وقول هذه  
العجوز الذي احزني منزه ولا تزال الاذن تردد سدا قد سمعت مثله من  
كثيرين من اهل لبنان رجال ونساء .

اي حسرة اعظم من ان تتوقع ام في كل اسبوع قدوم ابنها وقد تمضي  
السنهور ولا تتناول كتاباً منه او زوجة تنذر لها مند سنين هي واولادها  
وهو لا يبك : يبحث لهم بنفقتهم فنضطر تلك المرأة المسكينة ان تعمل ليملأ  
ونهارها لتطعم اولادها من كدها وما هي بمناحة . واي بلوى اكبر من ان  
تدخل القرية وتجد فيها عشرات من البنات عوانس ينتظرن عروساً لان  
شبان الضيعة هاجروا واكثرهم لا يريد ان يتزوج وبعضهم تزوج من امرأة  
اميركية وزهد في أسرته وقرينته لانه تمدن بزعمه ولا يابق به ان يتزوج الا  
من متمدنة . ومن شاهد البنات العوانس في لبنان يدرك سر تعدد الزوجات  
في مثل هذه الحال ويسجل بان اقل سينه من سينات الهجرة انقطاع الاهل  
عن التناسل ولولا ذلك لكثرت نفوس لبنان كثيرة تذكر لطيب هواه وهو ثم  
وتوفر اسباب الراحة فيه .

وان دعوى من يدعون ان لبنان لولا الهجرة لاصبح خراباً مردودة من  
وجوه احدها انهم يعتقدون ان تلك الاموال التي دخلت لبنان وهي

تستخدم فيه الآن بفوائد طفيفة هي غنى لبنان وما الثروة في الحقيقة الا العمل ليس الا . فقد رأينا اسبانيا على عهد شارل كان يتسرب المال الى صناديقها بالبدل والسبائك من اقطار الممور لان هذا الملك كان يعتقد ان كثرة النقود والذهب في بلاد كاف وحده في غناها ولكن لم تكن بضمة عقود من السنين حتى امست اسبانيا اقر بلاد اوربا لان اهلها انقطعوا عن تعهد تربتها والاخذ بحظ من الصناعات اللازمة لهم والعلوم الرافعة من شأنهم ان انصرف وجهه اللبنانيين وغيرهم من السوريين الى نزول اميركا وافريقية للاغتناء من خيراتها بسرعة على امل العودة الى مساقط رؤوسهم متى امتلأت اكياسهم وجيوبهم وعبايهم قد حال دون تعهد ارضهم واستثمار صناعاتهم . ففي لبنان من الخيرات الطبيعية ما يكفي اهله اذا زادوا ضعف ما هم الآن ومهما بلغت العناية اليوم بزراعته لا يزال فيه فضل للعمل وميدان واسع الحمد . ولا يشعر بذلك الا ارباب الاملاك . مثال ذلك ان « كدنة » الفلاحة كانت تساوي منذ سنوات قليلة خمسة وعشرين قرشاً فاصبحت اليوم تساوي ستين على حين ان غلات التوت مثلاً لم تزد على تلك النسبة وذلك لقلة ايدي العاملين وارتفاع اسعار الحبوب وغيره من مقومات المعاش في البلاد ولان المهاجر اللبناني الذي كان فلاحاً حراثاً الى عشرين او ثلاثين جداً من اجداده اذا هاجر وقضى في هجرته ثلاث سنين ثم آب الى بلاده تكبر نفسه فلا يعود يتنازل الى معاناة الزراعة بل يفضل ان يعيش كما يعيش تجار اميركا وارباب الاملاك في بلادنا وهو لا يملك رأس مال يكفيه سنة واحدة اذا « بل » عطلاً من العمل .

في امثال العامة « انا امير وانت امير فمن يسوق الخير » حكمة لطيفة

نافعة تصدق على لبناني المهاجر فاذا احب كل فرد من المهاجرين ان يقلد الاعيان في عيشه ورفاهيته فمن يبق لتعهد التوت والزيتون وغرس الصنوبر والارز والسنديان والزان وخفر الاقنية والاحواض وتمهيد الطرق ومعالجة الصناعات من حل الحرير وصنع الاقشة المزركشة البسيطة وعمل الفرش والستور وانواع الزينة .

وقد قال الاقتصاديون ان من جملة ما ساعد المانيا على عظمتها التجارية الصناعية العلمية انك تجد في رجالها انواع العاملين ولا يستكف كل عامل من عمله بل ولا يريد ان يعرف الا به فالالمان اشبه بجيش منظم فيهم الجندي كما فيهم الضابط الصغير والكبير والقائد العظيم وكل واحد منصرف الى عمله لا يتحدث نفسه ان يقلد رفيقه او يمتدي عليه بل يعمل في دائرته بما يستطيعه ويحسنه ما يمكنه الحال ولو جرى اهل بلادنا على هذا المثال لاصبحنا بعد جيل امة راقية حقيقة ولما رأينا الصغير يشكو لانه يريد تقليد الكبير واسبابه لاتساءمه .

نحن لانجاري اولئك الذين يدعون ان لبنان كان خراباً لولا الهجرة لامور اقلها ان البلاد السورية واسعة واهل لبنان اليوم وقبل اليوم يستطيعون ان ينزلوا الاقاليم القليلة السكان المحتاجة الى العناية ويستعمروها فان قتشوا ذات البين وذات الشمال ورأوا طرابلس وعكا وحمص وبعلبك والبقاع ومرجعيون وصيداء تناخم جبلهم وتحصرهم فيه فان لم من بلاد الكرك وحوران وبادية الشام وبلاد حلب مثلاً ما يكفي لاغناء مئات الالوف من الناس فلو نزلوا تلك البلاد الخاوية وعمروها بكدم لاصبحت بعد سنين جنات زاهرة واقل ما في ذلك من المنافع ان هذه البلاد منهم على ايام قليلة

يستطيعون في استثمارها ان يقضوا معظم ايام السنة في جبالهم .  
وقد كتب قائم مقام سروج من اعمال حلب منذمة في جريدة المقتبس  
يقول ان خمسين قرية في قضائه وحده محلولة وتباع كل واحدة منها بثلاثة  
آلاف قرش فلواشترواها بعض ارباب الاموال من اللبنانيين وانفقوا عليها  
التفقات التي تربي زراعتها وغرسوا فيها الاشجار واقاموا البيوت لما انت  
ثلاثون سنة الا وهذا القضاء وحده من اعرم البقاع السورية فما بالك بما  
في غيره من الافضية والالوية والولايات العثمانية من الحيرات  
لانوافق القائلين بالاعنتاء بسرعة فان ما ياتي بدون عناء كبير قد يذهب  
في الاكثر كما جاء . وانا لنؤثر ان يوجه اللبنانيون ولا سيما في عهد الدستور  
السعيد وجوههم قبل البلاد الداخلية من سورية والعراق والاناضول ففيها  
متسع لهم وفيها لهم مقامهم كثيرة لو صبروا على جنبها لكان لهم ولا بناءهم واحفادهم  
منها مال خالد وملك لا يكاد يلى

وفي لبنان من الصناعات القديمة ما يرتقي لو سعوا الى تحسينه كعمل  
الاقمشة والتجارة والحداثة (١) وغيرها وله مورد آخر للربح ينتفع منه الآن  
اكثر من سائر جبال سورية ونعني به موسم المصطافين فان لبنان من سورية  
ومصر كسويسرا من اردبا واميركا يقصده الكثيرون كل سنة التماساً للصحة  
والراحة فلو عني اللبنانيون اكثر مما يعنون براحة من ينزلون عليهم لاتاهم  
الصيف في كل سنة بما لا يقل عن مليون ليرة فقد حسب بعضهم عدد  
(١) في قرية بيت شباب من مديرية القاطع تصنع اجراس الكنائس وهذه الصناعة  
لا تعرف في بلاد العرب ولا في مصر وقد دخلت اليها في الغلب على عهد الصليبيين وكان  
المسيحيون من قبل في بلادنا يستعملون التوائيس من الخشب وما زالت هذه الصناعة  
محسوزة في عائلة واحدة من عمال تلك القرية .



المصطافين في لبنان سنة ١٩٠٦ فكان خمسة عشر الف نسمة اكثرهم من المصريين فلو فرضنا ان الواحد ينفق عشر ليرات لكان بذلك مبلغ لا يقل عن مئة وخمسين الف ليرة فما الحال لو زاد هذا العدد ونحن نرى ان سويسرا وايطاليا ترجح كل منهما من موسم السياح كل سنة ما لا يقل عن خمسة عشر مليون ليرة واذا زادت عناية حكومة لبنان واهله بالمصطافين في قمم لبنان لا يتم ان يجلب اليه اناساً من المصطافين من اهل اوربا نفسها خصوصاً اذا رأى السياح ان النفقة في الجبل أقل مما في جبال الالب وانها لا تبلغ مع اجور النقل في البحر والبر المبلغ الذي يصرفونه في بلاد الاصطاف.

وبعد فانا لانفتأ نكرر القول بان من الانفع لابن لبنان ان يوجه بعد الآن وجهته الى الداخلية ليعتاش ويرتاش وانه اذا استفاد المهاجرون منا الى اميركا من حيث ارتقاؤهم في اقتباس بعض اصول التمدن في الملابس والمأكل والسكن فان الانفع له اليوم ان يستعمر بلاده نفسها وهي تحتاج الى اضعاف اضعافهم . وسوف يعلمون ان هذه النصيحة صادرة عن اخلاص لا يراد منها الانفع لبنان خاصة وسورية عامة فان مايقاميه اللبناني من المثرية والمهانة في الاحايين واحتقار الغربي له مهما بلغ من مكانته جدير بان لا ينسبه بلاده والعيش بين اهله وجيرته . وقد راحد العارفين منذ ثلاث سنين ان ما حمله اللبنانيون المهاجرون الى لبنان يبلغ خمسمائة الف ليرة اي على معدل خمس ليرات لكل مهاجر فلو فرضنا ان هذا القدر قليل وعدلناه نحن بليون ليرة هل كان هذا المبلغ يعادل ما فقد من الرجال وخسرته البلاد من قواها المئوية والادبية

## نهضة العربية الأخيرة

سادني الاخوان (١)

سألتوني ببعدت بكم اوطانكم ان احدثكم بطرف من تاريخ نهضة اللغة العربية في النهضة الأخيرة وما منكم الا من استغنى عنه واشرف بالاخذ عنه . انتم من اهل الفتنة الفاضلة فيه وبنكم يتوقع منكم ان تنهروا آفاق جهله بانوار معارفكم وان تبهروا أكثاف معمله ومحامله بما تنفعتموه في هذه العاصمة السعيدة من تجارب نالعة وتلقفتموه من علم صحيح وآداب رافضة . فاني لي وانا نازل بينكم متعلماً لا معلماً ان افوه في حضرةكم بكلام وقد اعتادت آذانكم سماع مصانع الخطباء وتقرير جهابذة الباحثين والعلماء وما حالي وحالك لو انصفتكم وانصفت نفسي الاحاط من يحمل التمر الى هجر او المسك الى ارض الترك استغفر الله يل ان حال من يلقي محاضرة على جمعية الاخاء المصرية في باريس اعجب واغرب .

اخواني : تعلمون قرت بكم عيون مصر انه انت على اللغة العربية ادوار واطوار وعرض لما ماهرش لكل كائن في الوجود من ضعف وقوة وعزة وذلة وان اتعس ايام ضعفها كانت في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر للهجرة . وهو هذا الفتور في جسم الامة الاسلامية صامة والامة العربية خاصة . ثلاثة قرون بل اكثر مضت في مرض مستعصم كانت تكفي لموت هذه اللغة الشريفة التي تعقد اليوم على اثالكم خناصرها وترجو بمساعيكم ان يكون مستقبلها خيراً من حاضرها وظايرها بيد ان لغة يفرض على زهاء مائتي مليون من المسلمين ان يتعلموها لفهموا بها كتابهم التزويد بتجديد عليها الاضمحلال مادام سبغ الارض مسلم بوحده الله .

لا بد لكل حركة من سبب . وسبب ما عرا العربية من الضعف في تلك القرون انقطاع الملوكة عن الاخذ بيدها فاصبحت الامور العلية صورية ينظر فيها الى الاشكال لا الى الحقائق واقتصرت الناس على فروع الفقه والكلام والتوحيد وعدوا ما عداها من العلوم قسولاً لاغناء فيه وساعد على انتشار هذا الرأي السخيف ما لصاب البلاد من ضعف الاحكام وفساد النظام ولا علم حيث يفقد الامن وفي النادر ان يهتم جاهل بتعليم اويوني من لم يترب .

وكان قدرة المولى تعلقت بان هذه اللغة التي نشأ لها الضعف من ابتائها ان تأنيها

(١) من محاضرة القاها على جمعية الاخاء المصرية في باريس

الصحة على أيدي غيرهم . وربما يجب بعضهم الآن إذا قلنا له ان مبدأ نهوض اللغة العربية كان في مصر ايام محمد علي وقد صحت عزيمته على خدمتها منسوقاً بنابل من سلامة فطرته ودلالة بعض مستشاريه من اهل العلم من الفرنسيين فكان من اعماله الجليلة ماخلد له الفخر على البحر وجعله من حيث خدمته للغة والعلم الامن حيث مثازغه السبامية من اعاجيب الحكام في الشرق . والشرق ابو المعجزات والكرامات .

ليس من يجهل ان محمد علي كان امياً او يقرب من درجة الأمية . مات ولم يحسن التمكن بالعربية العامية لانه كان ارنأودياً ولم يخط سطرأ واحداً لانه تعلم في الكهولة مبادئ طليقة من حسن الخط والقراءة فقط . ومع هذا فقد عني بما لم يكن به احد من ملوك المتأخرين وشرع منذ استبيله امر مصر يختار الأذكياء من ابناءها ممن قروا اللروس الوسطى ليعث بهم على نفقة الحكومة الى اوربا ليخصوا في العلوم التي اولعوا بها حتى اذا عاد احدهم واتم تحصيله يجبسه عنده في قلعة الجبل ويخرج له كتاباً بالانجليزية في الفقه الذي اتقنه . ويوعز اليه بان لا يخرج من القلعة قبل ان يترجمه بالعربية ويأمر له باسباب الراحة والمعونات على الترجمة والتأليف . فاذا ما انتهى الطالب من عمله يعرضه على امير البلاد وهذا يدفعه بالطبع للعارفين من الناس الى اللجنة كانت معروفة اذ ذاك بلجنة الامتحانات فيبعد ان تنظر فيه ترخيص بطرعه في المطبعة الاميرية وينتدق الامر على المترجم انواع الهبات ويشرع في ترقيةه في المراتب ان كان ممن استعدوا للادارة او الجندية او البحرية واذا كان من الاساتذة يوسد اليه التدريس في بيوت العلم موسعاً عليه في الرزق ليخرج به ابناء مصر . وهو عمل يذكرنا بما كان يأتيه المأمون الصامعي من الانعام على المترجمين ولكن ما يصدر عن المأمون وهو اعلم خليفة في الاسلام لا يستكثر منه وعصره عصر شباب هذه الامة بقدر ما يستكثر ماتم على يد محمد علي الامي الاپاني وعصره عصر شيخوخة الاسلام والمسلمين .

قال لي صديقي الدكتور عثمان بك غالب احد حشنت مصر الذين نبهوا بفشل الطريقة التي اخنطها محمد علي لمن يحيي ويمده وشاهد تلك الحركة العلمية في ابلانها ثم شاهدها في انحطاطها وهو يشهدا الآن في تجددها : لقد ظلت نهضتنا العلمية سائرة احسن سير الى سنة ١٨٨٢ فما بعدها وبدأ انقطاعها سنة ١٨٨٧ وقد قام بعدها رجل من ابناء مصر نفسها وهو علي باشا مبارك ناظر المعارف فسعى وربما كان بدون قصد شي منه لاحلال اللغة الانكليزية محل اللغة العربية في المدارس الاميرية زاعماً بان الواجب على

المصريين بمخاطبة المحتلين بلقنهم وهذا لا يتأتى الا اذا اتقن المصريون لغد البريطانيين فبدأت نظارة المعارف في ايامه وبعدها تلب وذاائف التدريس من المصريين وتمطيا لانياء انكثرا وقطعت الارصادات العلمية الى اوربا حتى لم يكذبى اليوم من اولئك المدرسين المصريين غير شيوخ قلائل اذا عادوا الى منابر التعليم لا يسدون حاجة مصر واخذت المعارف في عهد المبارك تطهر المدارس بامثال دنلوب وارئين من كل ما ينفع اللغة او كان من آثار النهضة الاولى حتى لقد كانت تطرح الكتب المترجمة اكادسا من مستودعاتها كما يطرح القذى والنوى لتسجل المعارف من عقوا لفتحهم وامهم كما حق اخوة يوسف ابن ايهم على حين كان علي مبارك من جهة ثانية يؤسس دار العلوم ويؤلف التأليف التي تخدم العربية مثل الخطوط وعلم الدين وغيرها من مصنفاته

قال غالب بك كانت اكثر اساتذة المدارس التي أنشئت في مصر على عهد نهضتها الاولى من الفرنجيين المستعربين يكتب الاستاذ درسه بالفرنسية والمترجم معه يتقله الى العربية فيلتي على الطلبة بلغتهم بذلك منذ سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٥٤ وقد كتب فيها الاستاذ بروجر بك الفرنسي رئيس مدرسة الطب والولادة والصيدلية والمستشفيات المصرية الى خديوي مصر في عهده يقول له في تقريره السنوي ان الوقت قد حان لان تكون وظائف التدريس كلها بيد المصريين اذ قد اصبح فيهم الأكفاه الآن وان مهمة فرنسا في تربية ابناء مصر في هذه الفروع العلمية قد انتهت اركاوت . ثم في ذاك العهد تم للعربية ما تريد من تعريب المصنفات العلمية والادبية على اختلاف انواعها وادوات فاضحت لغة علم بعد ان انقطع سبيل العلوم منها قرونا واحيا اولئك المصريون امثال الطباطبائي والرشيدى والسياسي واليهودي والنحراوي وحما و بهجت والفلكي وندي والتراوي والبقلي الفاظا من لغتنا كانت في حكم المدارس هجرت منذ كانت العرب يترجمون وينقلون على عهد الدولة العباسية في بغداد والاموية في قرطبة والفاطمية في مصر واضافوا الى تلك الالفاظ ما حدث بعد عهد الحضارة العربية من المستعذات المصرية والمصطلحات الفنية وهربوها على الطريقة التي سلك عليها اجدادنا العربون غالباً حتى ان الاترك والفرس لما شرعوا يملكون العلوم في البلاد العثمانية والايانية باللغتين التركية والفارسية لم يجدوا امامهم كائناً حاضراً ينتفع به في الحال مثل تلك المعربات المصرية الحديثة في الهندسة والطب والعلوم والاجتماع والفلسفة والتاريخ والجغرافية وغيرها فقلوا المصطلحات العربية يرمتها وادجوها في تضاعيف لغتهم

كان الطلبة الذين أرسلهم محمد علي إلى الخارج في أوروبا وتلامذتهم وتلامذة تلامذتهم مدة نصف قرن حملة لواء العلم لافي القطر المصري فقطيل في البلاد العربية كافة وأصبحت مصر بيض أياديهم من هذه البلاد بمثابة باريز من الممالك اللاتينية تفيض عليها النور ونهز أعصابها للارتقاء حتى بلغت الكتب التي ترجمت في فنون مختلفة من الأفريقية زهاء ألفي مجلد . والآثر الأكبر فيها للشيخ رفاعة الطهطاوي شيخ من ألف وترجم في عهده بما خلفه من قبله أو عرب في قلم الترجمة برئاسة وابطه من المبادي في مدرسة اللغات ومجلته روضة المدارس . وكلها أعمال مهمة تدل على نفس طويل وفصل جزيل . خل عنك تلك الجرائد والمجلات التي صدرت في تلك الأثناء ومنها جريدة وادي النيل لأبي العزود ومجلة يعسوب الطب تكلوت بك .

ورب معترض يقول أي علاقة لتعلم العلوم الجديدة وتفتحها إلى العربية بحجة اللغة التي يراد منها آدابها المنشورة والمنظومة ليس إلا . والجواب أنه لا أدب لمن خلت لغته من أمثال هذه المعارف . فكأن للعلوم ارتباطاً كلياً بعضها ببعض هكذا اللغة دخل عظيم في سلاسة آدابها بما تأخذ عن غيرها بل إن لغة مهما حوت من أنواع البديع والمعاني والبيان لا تمد من اللغات الحية إن لم تكن لغة علم قبل كل شيء .

وهنا مسألة مهمة لأحب أن امر بها وأنا منطلق لأن لها علاقة كبرى بموضوع النهضة الأدبية وهي أنا إذا تدبرنا تاريخ محمد علي وحسناته على العلوم والمعارف لانتبأنا تشبه من ملوك الأفريق بالامبراطور شارلمان ملك فرنسا وجرمانيا الغربية . وشارلمان كما لا يرب عن علمكم كان من أعظم ملوك دهره وله صلة بملوك المسلمين وهو الذي اتفد إليه الرشيد العباسي رسولاً من قبله سنة ٨٠١ م يحمل إليه هدايا فاخرة ومفاتيح القبر المقدس وهذا الذي كان يحكي المتبحرين إليه من إصرار المسلمين الحاربيين من الخلفاء في قرطبة . كان شارلمان لأول أمره أمياً تعلم الكتابة البسيطة على كبر مثل محمد علي الآن تشيظ التجارة والصناعة والآداب كان مغروساً فيه بالقطرة فجعل قصره معهد المستبشرين والتعليم الذين كان يستعين بهم على نشر المعارف بها إنشاء من المدارس بإشارة الكوئين المشهور استاذهم أمين بزم وبأذر الجرائم الأولى من المعارف في هذه الأرض الفرسوية وبمساعيه أنشئت المدارس في أكس لأشيل عاصمة البلاد اذ ذاك وتور واورليان وليون واستنسخت الكتب الوافرة ليتتبع بها الطلاب

ومن العجيب أنه حدث لنهضة شارلمان ما حدث لنهضة محمد علي حذب القعدة بالقعدة وذلك

انه لما مضى لسبيله عادت تلك الحركة العقلية فركبت ريجها جملة واحدة لان من خلفوه على مرير الامباطورة لم يكونوا على قدمه ولا رزقوا بسعة عقله وصفاء طبعه ولان الاعمال العظيمة في البلاد النخلة قد تنوم بالقرود أكثر من قيامها بالانفراد وعلى العكس منها في البلاد الزاوية . امت خمسون سنة على فرنسا بعد وفاة شارلكن مات في خلالها التعليم او كاد ولم تدب زوح التجديد فيها الا بانتباه عقول الامة وعلى يد اناس من ابنائها كما قامت مصر منذ نحو عشر سنين تجد حياة اديها بيدها بعد محمد علي بنحو خمسين سنة متكلية في مهمتها على نفسها لا على الحكومة وبذلك جازلنا الاستباط بان كل اصلاح يقوم بالامة في هذا الوجود يكون الامل في بقائه اكثر مما يقوم بيد الحكومة ولا سيما في الدول الاستبدادية التي تجد فيها تميزاً بين الامة والحكومة . والحكومات قد تعرض لها عوارض تسمى معها الترغيب في العلم ومنها الى اليوم من بفضل الجبل على العلم . وهذه المسألة نظائر كثيرة في تاريخ الامة العربية فقد رأيناها تسعد وترقي في برهة قليلة على يد فرد عظيم طاق من ملوكها وشاهدنا ما تشق وتخط بفرد آخر لا يرجع الى عقل ولا الى قتل .

كان الادب العربي قبل دور النهضة الاخيرة عبارة عن مجمع كسجج الكهان طول بالاطول ولا طائل وجل باردة سمجة وشعر ريك أكثره في الامادج والاهاجي وان ارتقى الشاعر اتفق لسانه في وصف الخلد والخال وذات النطاق والخلخال من ربات الجمال او الذكران من الرجال . وما اظنكم اعز الله بكم دولة الادب الا قد وقع لكم شيء كثير من امثال هذه الركاكات والسفقات فصرتم بها عرض الحائط وحمدتم الله على ان خلفكم في زمن قام فيه من انكتاب امثال محمد عبده واحمد فارس وابراهيم المولهي وابراهيم اليازجي وابراهيم الحوراني وطاهر الجزائري وعبدالله فكري ومحمود شكري والومسي وجمال الدين القاسمي وحفني ناصف ويعقوب صروف وابراهيم مصور وسليمان البستاني وعبد الرحمن الكواكبي وشبلي شميل وقاسم امين واحمد فني زغلول ورشيد رضا ورفيق العظم وعبد الحميد الزهراوي وعبد العزيز جاويز وصالح حمدي حماد ولييب البتوني وفريد وجدي ومحمد فريد وعلي يوسف واحمد تيمور وزكي مغاز وشاكر شقير وسامي نصيري وشهادة شحادة وسعيد الشرتوني ورشيد الشرتوني وفرح انطون وجرجي بني وابراهيم النجار واديب اسحق ونعوم لبي ونعوم مكروزل واحمد فؤاد وسعيد ابو جرة ومسطفي الغلاييني وعبد الباسط فتح الله ومحمد بيرم وخير الدين

النوسي ومحمد المهدي وشكري العسلي وشاكر الحنيلي وعبد الوهاب الانكليزي ونجيب شاهين واسكندر شاهين وسعيد الباقى ومحمد مود وحافظ عوض وحسن حسي الطوبى اناى واحمد سمير وعبد القى العريسي ورزق الله حسن ويوسف البستاني وانطون جميل وعاد ارسلان ونسيب ارسلان وجرجي حداد ورشيد عطية ونجيب طراد ويوسف زى وعبد الوهاب البحار وميشيل بيطار و خليل زينة ومحمد مصطفى واحمد زكي ومصطفى المنفلوطي وامين ظاهر خير الله وعيسى اسكندر المعلوف وديمترى قندلفت ويوسف انان وروحي الخالدي وعي الدين اخياط ومحمد المولى و خليل سعادة وداود بركات وبشارة ززل وبولس زوين وعبد القادر المغربي وبدر الدين النعساني ومرسي محمود ومحمد صديق عثير وعبد الرحمن البرقوقي وعبد القادر المايدوم والكريم سنان واحمد الصابوني وعشمة غريم لا تخضر في الآن اساوهم من شيوخنا وكهولنا وشباننا وقامم الشعراء محمود سامي وعبد الحسن الكاظمي واسماعيل صبري وحافظ ابراهيم واحمد شوقي ومعروف الرضائي وجميل صدقي الزهاوي وشكيب ارسلان وفارس الخوري و خليل مطران وعبد الله البستاني ومصطفى صادق الرافعي وبطرس كرامة وناصيف اليازجي وعبد الباقي العمري ونجيب الحداد وامين الحداد وولي الدين يكن وتقولا رزق الله وشيلي ملاطوداود عمون وبطل القصار ورزق حداد وغيرهم ومن الخطباء جمال الدين الانفاني وعبد الله نديم وابراهيم الملباوي وسعد زغلول واحمد الحسيني وتقولا توما ومصطفى كابل وعبد الرحمن شهبندر وائيس سلوم واسكندر العازار وفارس نمر ومحمد ابو شادي وامين ربحاني ومحمد لطفي جمعة واحمد لطفي السيد واحمد عبد اللطيف وعمر لطفي واحمد لطفي وابراهيم اللقاني واحمد محمود وعبد المزيث العالي وغيرهم ممن هم عمدة العربية في نهضتها الاخيرة عملوا عليها في مصر والشام والعراق وتونس اعمالا وخلف اكثرهم من مآثر فضلها ما بطرس المتأدبون عليه ويستجوزون على متواله.

وبينا سكنت اللغة العربية تزهر في مصر في الامارة العلوية عز على الشام ان تكون دون شقيقتها في هذه الخدمة الشريفة فنشأت لهذه اللغة حياة جديدة في سورية لا بواسطة الحكومة كما في مصر بل بواسطة الافراد والجمعيات وذلك في اواسط القرن الماضي وكانت بيروت مدينة وهي ثغر لبنان وسورية موطن تلك الشعلة وقد جاءها اناس من مرسلتي الفرنسيين والاميركان واتشوا فيها مدارس جعلوا لفتها الاولى اللغ العربية واتقنها كثيرون من اهل لبنان فحمد مسعاهم وكانت اليد الطولى في تشييط لغة قريش للكهنة كزيليوس فانديك ويوحنا ورتبات وهما من اعظام مؤسسي

الكلية الأميركية الانجيلية في بيروت تعلم العربية والاول اميركي والثاني ارمني ودرسوا  
بها مع اقرانها العلوم الطبيعية والرياضية والطبية ومن غيرهما عليها ان عمدة المدرسة  
لما عمدت ان تجعل لغة التعليم في الكلية اللغة الانكليزية بدل العربية قاوموا ماوسعها  
المقاومة ولما اخفقا استقلالاً من وظيفتهما لانهما ابت مروتهما الا ان يحضوا النصح  
للبلاد ولأغنيها . والدكتور كزيليوس فاندريك الاميركاني في سورية بفضل علي اللغة  
العربية وما عرب لها من كتب العلم اشبه بالشيخ رفاعة الطهطاوي في مصر ووجه  
العجب في فاندريك اعظم لانه اميركي الجنس والمشاغرة علي لغة العرب أكثر من اهاما  
ومن النفاضة علي مصر والشام انهما لم تعرفا لها حقهما علي ما يجب وكان علي القطرين  
ان يرفعا لها تمثالين كما رفعت باريز لموغو وروسو او كما رفعت مصر لمحمد علي  
وابراهيم . والعلماء ان لم يكونوا احنى بالرعاية من رجال السياسة في بلادنا فلا اقل  
من ان يكونوا علي مستواهم .

ولقد كان من اعظم من خدموا الآداب العربية في بيروت علي ذلك الدور ايضاً  
بطرس البستاني وأسرته بما نشره من دائرة المعارف العربية وغيرهما من الكتب والجرائد  
وبنه في مدرسته الوطنية من اصول العلم وفروعه وكذلك يوسف الاسير وابراهيم الاكدب  
وناصيف اليازجي وأسرته وغيرهم . فمؤلاً كلهم توفروا علي التعليم وبخروج بهم مئات  
من الطلبة الذين انتشروا بعد في اقطار الشام ومصر واميركا وكان منهم الكتاب  
والصحافيون والمحامدون والخطباء . ولم تحرم الاستانة — والعواصم مرزوقة منذ  
خلقها الله — من نزول عالم بالحرية فيها اتخذها مباءة علمه ومثابة درسه وبعنه واعني  
به احمد فارس السديقي الذي اقترح علي صدقي سيد افندي كامل من رجال الجامعة  
المصرية ان اتوسع في الكلام عليه .

اصل هذا الرجل من لبنان من أسرة مسيحية خرج من بلاده مفاضاً فقتضى زمناً  
طويلاً في مصر ونونس ومالطة وفرنسا وانكلترا وتعلم في خلال ذلك الانكليزية  
والافرنسية ثم دان بالاسلام والى بعض الكتب ومنها اللغيف في كل معنى طريق  
طبع في مالطة سنة ١٨٣٩ . ومن كتبه في اوربا كتاب الساق علي الساق في ماهو الفارياقي .  
او ايام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجم طبعه في هذه العاصمة سنة ١٢٧٠هـ .  
وسمته ترجمة حياته وشؤوننا وشجورنا علي اسلوب يجمع بين الجد والفكاهة تقدر ان  
تعد من الانشاء المروف عند الافرنج بالامورستيك ( الجد في المزل ) او الواليست



ز الحقيقي) الذي حدث في عهد فلور أو الثاتورالست (الطبيعي) الذي تم على يد زولا وانك لتدهش من قدرته فيه على التعبير ورشاقته في التصوير ومثاقفه في التحرير والتعبير فكان اللغة التي كان من جملة محفوظات احمد فارس فيها قاموس القير وزابادي الذي ألف كتابهما في نقده سماه الجاسوس على القاموس<sup>٩</sup> - كانت نصب عينه يأخذ منها كل ساعة ما يشاء ويستحضر في دقيقة ما يصعب الاثبات به في ساعة ويتفنن ما شاء يائنه وتبيانه . ولفظ الفارياني مقتطع من اول اسمه « فارس » وآخر اسم أسرته « الشدياق » . وقد حمل في كتابه على رؤساء الدين حملة منكرة لان بعضهم قتلوا اخاه ظلياً وتعصباً جعلوه في بناد لهم وبنوا فوقه لانه دان بالمذهب البرتستانتي (١)

هبط احمد فارس مدينة الاستانة بعد ان خبر حال اورباخيرة زائدة وانشأ جريدة الجوائب التي طارصيتها في الآفاق ورزق الحظوة بعمله فكان ملوك الاطراف يهادونه ويعنونه المائت وممن كان يساعده خديوي مصر وباهي تونس وملك باهوبال في الهند حسن صديق خان الذي طبع له مطبعة الجوائب معظم تأليفه العربية وكان هذا الملك اعلم الملوك المتأخرين بل اشبه بابي الفداء صاحب حماة في جمعه حكم الناس الى معالجة التأليف وهو بلا نزاع نابغة العجم والعرب في فهم اسرار الكتاب والسنة ولقد كانت جريدة الجوائب مثال الانشاء العربي البحت سارت جميع صفحتها التي أنست بعدها على نسقها وقل أن نشأت لنا جريدة في صفحتها ودياجتها العربية اللهم الا ان تكون جريدة العروة الوثقى للشيخين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وصباح الشرق لايبراهيم بك المويلحي والبرهان الشخ حزة فتح الله وذلك لان جريده كانت كماله اسبوعية وله فيها مساعدون في الاقطار كان يهاديهم ويهادي علماء عصره حتى كثرا حبابه من العلماء في شمالي افريقية وغربي آسيا ووسطها وهو الذي يتولى النظر في كل ما ينشر فيمنعه ويؤله وتاهيك بكلام تصقله الانامل الفارسية . فاحمد فارس هذا لو انصفنا هو واضع اساس الصحافة العربية وباعث روح الحياة في آدابنا بما خلفه من آثاره . ومن اراد ان يطلع على شيء من كتاباته في جوائبه فعليه بالرجوع الى كتز الزنائب في مقتبسات الجوائب وهو مطبوع متداول وان احب الاطلاع على الجوائب يرمثها في مجملها ووضعها فليدفع اليها في خزائن الكتب في اوربا ومصر والاستانة .

ولم يقف عمل احمد فارس عند حد نشر جوائبه وكتبه ومنه كتاب سمر الليال ورحلة

(١) وهنا قرئت نموذجات من شعر احمد فارس ونشره من كتابه الفارياني

له الى اوربا جديفة محفة وكتاب نحو اللغة الانكليزية وديوان شعره وغيرها بل نشر طائفة من كتب الادب والفقه والشعر ككتب الثعالبي والتوحيد والطبراني والبدیع وغيرهم من ائمة الادب نشرها على احسن اسلوب راق في طول البلاد وعرضها بالثمان مئة فتمت بها الفائدة وانشأ طلاب الآداب يتحدونها في اسلوبها • وما برحت مطبوعات الجواب الى اليوم يتنافس فيها المتنافسون ويدخرها غلاة الكتب ليتنفع بها الاحفاد والبنون على عمر السعور والقرون •

اتلى احمد فارس باتاس حسوده واي عالم خلا من حساد وطفقا يشهون عليه ويزيفون شعره ونثره وينقدون جريدته وكتبه ولكن تلك المناقشات اللغوية الاديبة بينه وبينهم بل بين حزبه وحزبهم لم تزد فارسنا الا جراحة على الجري في شهابه وقبولا بين العالمين بمصنفاته وآثاره فكان ينقده بعض كتاب العربية اشبه بسانت بوف في نقده كتاب عصره من الفرنسيين فاستفاد ارباب الاقلام من تلك المحاورات كما استفادوا بعد ما دار بين التقدم والمقتطف والبيان والضياء والمشرق وبذلك اخذ من يمانون صناعة العلم يتأنون قليلا فيما يكتبونه واخذت تحف اغلاط الكلايين والشاعرين وتسلم عبارة التأليف كما نقل الاولون عن اللغات الافرنجية ونحو المؤلفون مناحي قدامه الكتاب في ترك التكلف والتصف حتى ضح لنا ان نقول اليوم ان اسلوب الكتابة العربية لا يتنقص عن اللغات الافرنجية الراقية بايجازه واتدماجه ونعطيجه وفيه بلاغة قدامه المثشين وسلاسة المعاصرين وافكارهم •

نعم عادت لغة العربية ولا سيما في الثلاثين سنة الاخيرة نضرتها الاولى في القرن الرابع والخامس والسادس للهجرة وخلصنا من ذاك السجع المتكلف الذي اتانا به الصمد الكاتب الاصفهاني من فارس — وفارس مورد بدع كثيرة في الاسلام منها الزندقة والزنادقة ثم الباطنية ومنها الموسيقى والعود المطرب — ونقله الى العربية فاجاد في اكثره الا ان من جاؤا بعده قد افسدوا به علينا لغتنا لانهم لم يتقنوه

واني لازال اذكر ما كنت اكثر من مطالعته واستظهاره ايام ولوعي بالادب من مقامات الحريري ووسائل الحوازمي ووسائل الصابي وتاريخ البيهقي للعتبي ومقامات الزمخشري ومقامات الاصفهاني وقلائد العقيان وذيله مطمح الانفس للفتح بن خاقان وخطب ابن نباتة وفاكرة الخلفاء لابن عريشاه وخزانة الادب لابن حجة والريحانة للحنفاجي وغيرها من الكتب التي كنت اطرب لتلاوتها ولا اكاد اغارقتها في خلوتي

وجلوتي . ولما كتب لي الاطلاع على الآداب الفرنسية والتركية وانشأت ابحت عن كتب كتبت بلا تكلف وتعمل ككتابات الجاحظ وابن المقفع وعبدا الحميد الكاتب وسهل بن هرون وابي حيان التوحيدي وابن مسكويه والراغب الاصفهاني والغزالي والمالوري والطبري والسعودي والصابح وابن العميد وابن خلدون وابن الخطيب وغيرهم من جهابذة المششين غدت اعجب من نفسي كيف اضاعت وقتها في تلفف تلك الاسفار المصجمة وفي اللغة مثل نهج البلاغة والبيان والتبيين والذريعة والاحياء وغيرها مما لا يتسع المجال لعدداده وهو في الحقيقة ونفس الامر مادة ادب كما هو مادة علم لا تمل على الدهر جدتها ولا تخفق ديباجتها كما كنت اعجب من اقبالي ايام الطلب على ثلاثة شعر ابن النيه وابن معنوق والصفي الخلي وابن مفجك وابن مليك والجندي من شعراء المتأخرين وعند العرب من اهل هذا الشأن امثال ابني تلم وابي الطيب وابي عبادة وابي نواس والشريف الرضي وابن حمديس الصقلي وابي فراس الحمداني .

يرجع الفضل الأكبر في انتشار دواوين الادب والتاريخ واللغة من كتبنا لعلماء المشاركة من الغربيين امثال دووي ودسامي ووستفيلد وعشرات غيرهم من اهل اوربا ولبعض مانشره اليسوعيون في مطبعتهم المثقة في بيروت وما نشرته الجمعيات الكثيرة التي ألفت في اوقات مختلفة في مصر لاحياء الكتب العربية وآخرا تلك الجمعية التي طبعت لنا المخصص لابن سيده احسن كتاب عني بطبعه في شرقنا ولما طبعته المطبعة الاميرية ومطبعة الجوائب ومطابع الجرائد في مصر والشام وتونس . كل هذه الاعمال اعانت العربية على تحسين آدابها وتزقيتها . ولا تنسى غيرة اولئك الذين نسجوا في منظومهم ومنثورهم على مناحي الاوربيين من حيث قلة الكلفة ومجاعة الطبع ومحاكاة الطبيعة ووصف عواطف النفس بايجاز وامجاز واولئك الذين وقفوا انفسهم منذ عشرات من السنين يربون لنا كل يوم في جرائدهم ومجلاتهم افكار الغريبيين في سياستهم وعلومهم واجتماعهم فكأنوا مجتمعنا الادبي على ما ترونه وجددوا لغة شبابها بحيث أمنا بفضلهم عليها من العفاء واصبحتا نرجو لها دوام النماء والارتقاء .

انا لا اقدم لكم مثالا من امثلة ارتقاء لغتنا اكثر من ان احييكم على مراجعة مجموعة من جرائدنا العربية قبل ثلاثين سنة مثل الجبان والجنة في سورية والصلاح والمحرومة في مصر وان ترجعوا الى كتابة الدواوين في مصر في منتصف القرن الماضي مثلاً وترجعوا اليها اليوم وان كانت الى الآن حبيقة الركافة بعض الشيء . قابلوا المنشورات

التي تصدر اليوم في الوقائع الرسمية في مصر وما كان يصدر من امثالها منذ مئة سنة مما اورد الجبرتي في تاريخه نموذجاً صالحاً منه وفصه . عارضوا بين لغة القضاء اليوم وما تفيض به السن الحامين واقلامهم في مصر من التفتن في اساليب الدفاع والتأثير الخطابي وبين ما كان للغة من نوعها مما ذكر صاحب كتاب الحماة طرفاً صالحاً منه يتجلى لكم كيف ارتقت لغة القضاء . استمعوا للخطباء اليوم ممن درسوا الدروس النظامية وتشبعوا بالعلوم المصرية وقابلوها باكثر ما يحفظه خطباء الجوامع او يقرأونه من المسجعات في دواوين الخطب القديمة . تدبروا لغة التمثيل اليوم وان كانوا فيه دون سائر فروع الآداب تأخراً واسألوا كيف كانت منذ البدء حليقة الضعف والسليجة . اقرأوا المحاضرات التي تلى اليوم في نادي المدارس العليا ونادي دار العلوم في مصر الخالية من التعميد والغلط الحالية بالرشاقة والبيان وقابلوها بالخطب التي كانت تلى زمن الثورة العربية وبعدها مثلاً تدركون كيف وفقتنا الله الى قيام بناء ادياننا على هذا الاسلوب الرائع والا بداع في الاداء والالقاء

البس مما يعد من نهوض اللغة مانراه من احكام ملكتها في طلبة دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي فقد رأينا طلبة احداً ما يخرجوا من دار العلوم فكانوا والله اعرف بالعربية وفنونها من اكثر من اشتهروا في قرون الاخطاط الاخيرة على غير حق اما من تقصص منهم للتدريس والنفع فهم مفر من مفاخر العربية في هذا العصر استحكمت فيهم ملكة البيان استحكمتها من العرب الرباء واحاطوا بعلوم الوقت احاطة نبيها الغربيين .

واليك ايضاً مثلاً صغيراً اذكره لكم على ما أتت به بعض مدارس مصر في حياة اللغة فقد شاهدت في وادي النيل بعض الممد من لم يدرسوا غير الدروس الثانوية يكتبون كتاباً صحيحة في الجملة تسقط فيها على روح البيان والتلطف في التعبير مما لا تتلوه في عساكنات المحشين والمهشين والشارحين من الفقهاء والفحويين المتأخرين وما ذلك الا بفضل المدارس المتظمة وما تلقى الجرائد على مسامع الناس وانظارهم كل يوم من نصح العربية وشواردها وثفتن فيه من اساليب التعليم . ثم ان مظارفة الجرائد والمجلات اعانت على انتشار الآداب واجلخت الغيرة على التعلم في نفوس ارباب الاستعداد ولذا رأينا البلاد العربية التي لم تنشأ فيها مدارس لتعليم العربية على الاصول الحديثة ولم يطلع اهلها بمطالعة الجرائد قللة انتشرواها بينهم مازال اهلها الى اليوم يكتبون لغة سقيمة ويحكيون بلغة سقيمة ومن هذه البلاد مصر اكنش فان مدينة فاس منذ القديم

ماخلت من افراد يعانون الآداب على الاصول القديمة ولكنهم في الجملة خير من اهل الجزائر الذين لا تكاد تجد فيهم فرداً يعد في الطبقة الثانية في كتاباً فيما علمت وما ذلك الا لان اللغة العربية لم تنم لها في بلاد الجزائر في دور من الادوار سوق نافقة ولا من حكومتها تحاول، منذ القديم ان تجعل اهلها فرنسيين في لغتهم والكلام ومنازعهم ولئن ضعفت في تونس تلك الروح الشريفة التي بثها فيها خير الدين باشا التونة واشياؤه فان الآمال قويت الآن بارتقاء ملكة العربية لانتباه التوانسة الاذكياء . الخلدونيين وغيرهم . اما طرابلس الغرب وبرقة والجزيرة والسودان فهي من اغوار الجزائر في ضعف ملكة البيان وقلة الجرائد فيها بل عديمها ولكن هناك في صحراء . مراكن بلد غربي في تلقف ملكة العربية واعني به شذيت بلد الشيخ محمد محمود الشقيبي الحافظ المشهور في عصرنا . وطريقة اهلها طريقة الاتنمين في التلقي والاستظهار . وقد شوهدت في شنيق بعض الزينات الشنيقيات الى اليوم يحفظن كمثل المبرهح الفهم واظن من يحسن فهم هذا الكتاب قلائل حتى في شيوخ الازهر .

اما سورية فقد كاد يتحصر الفضل في احياء ملكة العربية الجديدة ببعض المدن وبقيت الاخرى غريبة عن تلك الحركة مثل فلسطين وبلاد حلب وداخلية ولاية سورية ومنها الحجاز واليمن ونجد وحضرموت ومسقط وعمان وزنجبار والجزيرة وال عراق الا ان ذلك لم يحل دون نبوغ بعض افراد شاركوا اتم المشاركة في حياة العربية ومعني بهم بعض اولئك العراقيين النوايح الذين القوا وكتبوا ولم يعقهم الحجز على الافكار الذي دام في البلاد العثمانية الى يوم ٢٣ تموز ١٩٠٨ ولذلك لانقالي اذا قلنا ان ثلاثة ارباع ماتم للعربية من الارتفاع في القرن الاخير يرجع الفضل فيه لمصر والربع الآخر يورع على سورية والعراق وتونس . ومن الاسف اننا لانزال نرى بعض الجرائد في الولايات العربية تصدر باللغتين التركية والعربية ولكن القسم العربي منها يكاد يكون اشبه بالمطوية والكوشونية . بالعربية الحجازية تقسط فيها من الاغلاط في التركيب والتأليف والالفاظ والوضع مائسأل الله معه السلامة واقل من ذلك غلطاً تلك الجرائد التي صدرت مؤخراً في طرابلس الغرب وبعض مدن سورية الصغرى وبنداد والحميرة والموصل واحسن منها جرائد مهاجري سورية في اميركا الشمالية والجنوبية وهي لانقل عن ثلاثين جريدة وفيها الجيد الرشيق . ومع هذا فان الآمال موبت بان لا ينتصف

هذا القرن الرابع عشر للهجرة الا وتكون ملكة الآداب عمت البلاد التي ينطق فيها  
بالضاد بل بالصاد والحاء والحاء والعين والغين والثاء والذال والظاء ورقيت لفتنا بمساعي  
المؤرين من ابتلائها امثلكم درجة عالية خصوصاً في البلاد التي كانت كعبة هذه اللغة  
ومنبعث انوارها واريدها الجعاز واليمن ونجداً فان فيها بقايا من ارباب الذكاء النادر  
الى الآن من لو تمزقوا على العمل اذا تهيأت لهم الاسباب لاقى على ايديهم خير كثير للامة  
ولا يرجى ذلك الا متى انقطعت شأفة الفتن من تلك الاقطار وأمن الناس على اموالهم  
وارواحهم ليتفرغوا او افراد منهم للدرس والاستنارة

هذا ما احضرني في موضوع نهضة العربية الاخيرة القوية في هذه المحاضرة وربما  
خرجت من البحث بعض الشيء وصاحبة عفوك ثماني وانتم تعلمون اني على اوفاز  
استودعكم الله والسلام عليكم

## طريقة التعاليم

كان من اول اصلاح في اوربا أواخر القرون الوسطى وأوائل القرون الحديثة  
لما شرعت الامم الراقية فيها تدرس العلوم المسادية والادبية ان اتت على طريقة التعليم  
تصلحها بما يقتضيه حال الزمن والتجارب فتم لها في أوائل القرن الماضي تنظيم  
مدارسها على النحو الذي نراها عليه اليوم واصبحت يدخلها الطالب فيتعلم في بضع سنين  
لغة اولي اثنين او ثلاثا ثم الى ما يتعمق عليه معرفته من العلوم الطبيعية والرياضية  
والاجتماعية والادبية والاقتصادية فيخرج الطالب بعد هذه الدروس النظامية الاولى  
ملماً بفروع كثيرة بل بامهات العلوم واصولها المقررة لاعداد العقول للتفكير والانامل  
للكتاب والادب لاطلاق الاجسام للحركة وهذه الدروس التي يسونها دروس الموسوعات  
(الانسكلوبيدية) يمر فيها الطالب على كثير من المطالب تنبيه اذا اراد الاقتصاد عليها  
والانصراف الى أكثر الاعمال التجارية والصناعية والزراعية والعلمية . واذا سمت  
به همته الى الاختصاص في علم واحد من العلوم التي ذاقها في الجملة يتعمق لها ويدخل  
مدارسها الخاصة كمدارس الزراعة والتجارة والمعادن والميكانيكيات والادب والطب

والمهندسة والقضاء والجندية واللغات والفلسفة واللاهوت والاجتماع وغير ذلك من اصناف العلوم التي جعل لكل فرع منها مدرسة خاصة اوصف خاص يدرس فيها من يصح عزيمته على الامتياز في احد فروعها ليكون فيها مرجعاً وبرز على يد فينغ وينفغ

ولولا اصلاح طريقة التعليم واللقاء لم يتيسر للشباب ان يدرس في سنتين دينة مثل هذه الفروس الكلية ولكن اصول الكتب التي ألقت بحسب سني الطلب بين الطالب وطريقة اللقاء الشفاهي والاملاء الكتابي هي التي تفتح ذهن الطالب وتوجب اليه الدرس والبحث منذ الصغر فلا يتداول من العلم الا بقدر معلوم ولكنه يتداول النيام ويطرح القشور ويقرأ المختصرات ابان دراسته كليات العلوم فاذا شب يتناول المطولات فتكون منه على طرف النجوم

فيمثل هذا التنظيم في التعليم ثم الاختصاص في فرع او فروعين في الغرب رجال في علوم البشر لاشبه بينهم وبين رجالنا في سعة المدارك وبعد المهمة والعام الواسع وبترية بنيه على هذا الاسلوب المتقن نغ في القرون الاخيرة المراد ليس في رجالنا من يضاهيهم او يبلغ علمه ربع علومهم امثال ديكارت وكونت وكانت وباكون وسبينوزا وبييتزلا وامرسون ونيوتن وهاكسلي وسبنسر وكيتي وشيلر وروسو وفولتير ومئات يتعذر الآن احصاؤهم

هذه المدارس وطرق تدريسها هي التي حرم منها الشرق الا قليلا ولا يرجى تأسيبها على مايجب في البلاد المصرية والعثمانية الا بعد ان تكون المائة والخمسون طالبا الذين بعثت بهم نظارات الحكومة العثمانية الى كليات أوروبا قد انجزوا الفروع التي يجمعون لها ويعود اولئك الذين ارسلتهم الجامعة المصرية للاختصاص في فروع متنوعة من العلم بدرسون في الجامعة بالبرية فيتخرج بهم ارباب الرغبات في العلم كما يتخرج الآن في السلطنة العثمانية اناس كثيرون بالرجال الذين درسوا الفنون العسكرية والطبية في ألمانيا او يتخرج المصريون بالاساتذة القلائل الذين تعلموا في كليات انكلترا وفرنسا وألمانيا على نفقة نظارة المعارف المصرية

مضى كثر عدد المتعلمين على الطريقة الحديثة واصبح الاستاذ لا يجلس في حلقة تدريسه وعلى منبر الحائاة الا اذا كان انفي شطراً من سياحه بالعودة على دكات تلك المدارس الراقية وأسر الجفن في الليالي وراء المناضد وتخرج باعظم اسانئتها الاعلام

هناك قل للمثابرين والمصرين انكم بلغت درجات الام الحية تجدون وانتم ما أنتم ان  
 جهابكم العدو ويحكم الصديق . واي سلاح امفي من العلم الصحيح والآداب الرائجة  
 واي عاقل يجعل غير الحري بالثجلة والاكرام عن امتياز بعضات الرجولية الحقيقية .  
 لاجرم ان اصلاح التعليم على الاسلوب الجديد وتدريس علوم الدنيا به يتفع اذ ذاك  
 سيفي احياء العلوم الدينية أيضاً لان الارتقاء سائلة لا يتيسر ان يكون بعضها عاطلا  
 وبضها حاليلا بل هو كالبناء لا يكون صحيحا اذا تداعى منه جانب

مضى حسنت لريثة التلاميذ لاية نبي ط لب العلم الديني بضع سنين مثالا في تعلم بعض  
 العلوم الآتية ليحسن مطلة عبارة مربة فينوص كاهو الحال في الروم ابلي والاناضول  
 والشام سنين كشيء في بحر النباء والمنصرد والعزي والمراس والعوامل والاظهار والكافية  
 والشافية والسرفندية والمختصر والسوسية والياسغوجي وغيرها من كتب النحو  
 والصرف والبيان والمطلق ثم لا يثاوشيثا من العلوم التي يقصد تعلمها كالنفسير والحديث  
 والفقه والاكلام والحكمة .

وذلك كما يفوص طالب العلم في الازهر في قراءة الاجرومية والكفراوي والازهرية  
 وابن عتيل والمختصري والصبان وغيره من كتب النحر المطولة والمختصرة ينتقل من واحد  
 الى آخر حتى يفرغ صبره ولو قرأ احد هذه الكتب المطولة قليلا كان عقيل وشرحه  
 مثالا لاغتته عن هذا التطويل الذي يضيغ به وقت ويثبلد ذهنه وتقوته الغاية المقصودة  
 من الطلب واللغة آلة لا غاية . ولكن عقم طريقة التعليم ففى ان لا يتعلم طلبة الجوامع  
 والمدارس سواء كان في الديار المصرية والبلاد العثمانية الا هذه القوانين والقواعد  
 ويحرمون من تطبيق النفاذ على العمل

وليت شعري اليس من فساد طريقة تعليم المشايخ ان لا يعلم الطالب منهم كتاباً  
 او شذرة من علم الادب واللغة ليفهم اثناء دراسته النحو والصرف والبيان معاني  
 الكلام الفصيح ويطبق النحو والصرف والبيان والمنطق على العمل ثم يتأق له تأليف  
 جملة صحيحة عربية وكيف يتأق للمرء اتقان لغة دون ان ينلغ على كلام اهلها وكيف  
 يؤلف الكلام من لا يفهم وهل اللغة الاصمراع من اصحابها والحري على مناحي بلغاتها وما  
 نطقن الفزالي وابن رشد وابن سبنا وابن الطفيل وابن زهر وابا حيان وابن جرير الطبري  
 والماء ردي ومثا غيرهم في الاسلام كانوا يعرفون فروع النحو ودقائقه مثل ابن الحاجب  
 وابن عقيل والبركوكي والصبان واضرابهم من أئمتته ومع هذا انتفعت الامة بكتب



أو تلك الفلاسفة والعلماء انتفاعا يبقى أثره على الدهر ولم تمهد لهم غلطة شائنة ولا أسلوب ركيك

لا يتيسر انتفاع لمة من لغات العالم كلها إلا بالمدامع من افواه اهلها وسلوك الطريقة العملية في اقتباسها فلو اتقن الطالب جميع قواعد النحو والصرف والبيان والمنطق كما هو الحال الآن في هذا الصنف من المتعلمين ولم ينظر في تحليل الكلام العربي واستظهار القدر اللازم من منثوره ومنظومه ولم يندبر معاني الكتاب ولا اخذ بقسط من الحديث وغيره ، استطاع الطالب أن يفهم روح اللغة العربية على اصولها ومن لم يفهم اللغة كان حريا بأن لا يفهم اسرار الطريقة على ما يجب

ان المدارس الغير النظامية كالآزهر والفاطحي صدرت الناس عن الطلب لا انترضهم دونه من العتبات بالطريقة العقيمة المتبعة معهم واي طريقة أفسد من ان يظل الشيخ يشرح للطالب المبتدي في أول يوم يشرع فيه بتعلم النحو كيفية اعراب البسملة ووجوه قراءتها على حين يكون الطالب غفلا لا يعرف الجار من المجرور ولا المرفوع من المنصوب ولا الامة من الموصوف وهكذا يبقى الشيخ يضيغ وقد ووقت الطالب على غير جدوى وقد رأيت من المامخ من قرأوا العوائل في سنة والعوامل مثل فهرس لأبواب النحو لا يبلغ ثلاث ورقات الا ان المدرس أوسعها شرحا وشبهة وتهمة حتى صار كتاب نحو مطول هيمت أن يستوعبه عقل طالب

ولذا كان من خير ماتم من الاصلاح في الأزهر على عهد الاخير الاستثناء ما لا يمكن من الشروح والخواص . ولعل المشيخة الاسلامية تظر لطريقة تعليم ذليلة الجوامع بما يقوم أودها فقصي على طلبة العلوم الدينية ان يحسنوا امتحانا عمليا لا نظريا بمزاجا بشي من العلوم المصرية كما هو حال مدرستي دار العلوم والهاء الشرعي وتسير على هذا المنهج ادارة الأزهر الشريف فيعود اليه مالف مجده ويخرج في السنين انتميلة طلابا درسوا علوما كثيرة تنفعهم في جهاد الحياة

## سير العلم والاجتماع

## الارض وما تخزجه

تبلغ مساحة الحقول المزروعة بأيدي البشر ٥٣٧ مليون هكتولتراي واحد من خمسة وعشرين جزءاً من اراضي القارات الخمس وثلاث اراضي اوربا مزروع وواحد في كل ١٢١ هكتاراً من كندا ويلغ ما في الارض من الحيوانات ذوات القرون ٢٨٠ مليون رأس و٤١٣ مليون خروف و١٢٧ مليون خنزير و٧٠ مليون حصان وملكة هولاندة اخصب بلاد العالم يعطي كل هكتار من ارضها ١٢٣٥ لتراً من الحنطة في حين يعطي الهكتار في فرنسا ٧٢٠ وهي معدودة ارق بلاد اوربا بزراعتها ويخرج من الولايات المتحدة ٢٣٤ مليون دجاجة

## الدواب والاثقال

افضل ما احدث الى الانسان استعمال الخيل كانت المول عليها سيلة الثقل قبل الدراجات والسيارات والمناطيد ومن اقطار العالم ما لا تستعمل فيه الخيول لانها غالية الثمن او لا تحمل مناخ الاقليم الموجودة فيه او لان الطرق غير معبدة او لان الاحمال التي يراد نقلها عليها غير متناسبة مع قواها فاستعاض سكانها ببديها من الحيوانات ففي الهند وبعض بلاد الشرق الاقصى يعمدون الى استعمال الفيلة لا لقلع الاشجار بل لحملها الى الاماكن البعيدة وان محالب الفيلة في برمانيا وسيام كى صفرها وقوتها لتكفي لقلع اضخم الاشجار من جذوعها ولما كانت محالب الفيلة في سيلان وسومطرا ذخيرة اكتفوا منها بان استقدموها بدل البنتائن فعمدوا اليها بنقل الاجمار الضخمة ووضع بعضها فوق بعض كما توضع سائر مواد البناء

وسيلة الترنسفال تجر ثمانية او عشر اونثا عشرة بقرة مركبة بسرعة مبهدة وفي جزائر الارخبيل يربطون البقر توصلهم واثقالهم الى الحقول حتى اذا بلغوها استعملوها فيما تستعمل فيه الخيول وفي برمانيا جنس من الجاموس معد للسباق وهو مطلوب بقدر ما تطلب خيول السباق في اميركا ويستعملون في جهات القطب الشمالي الوعل والكلب بدل الخيول والوعل هو خيل بلاد لايون يقطع ١٥٠ كيلومتراً في اليوم وهو مربوط الى مركبة متسعة والكلب فيما وراء ذلك الاقليم اي في اصقاع القطب بمثابة الدواب التي تجر

الاثقال وهو مستعمل في شركة نهر الهدسون بأمريكا كما يستعمل القرد المعروف بالاسكيمو . والكلاب هنا قد تقطع ١٥٠٠ كيلومتر بدون ان تستريح طويلاً ومن الغريب انهم لا يطعمونها بل هي التي تبتان انفسها اذ يصعب حمل مؤناتها في جملة ما يراود حملها في المركبات التي تجرها ولذلك كثيراً ما يحدث ان نفترس الكلاب بعضها بعضاً لقلة الغذاء فلا تفصل المركبة الى المكان المقصود الا يزوجين او باربعة ازواج من الكلاب في الاكثر . والجلل كما هو المعلوم في افريقية وآسيا هو الذي يحمل الاثقال

وفي كثير من البلاد يستعمل الانسان بدل الحيوان لنقل الاثقال ولا تزال الحارات والدراجات التي تسير من نفسها في بلاد انام وقد انتقلت اليها من اليابان وهي عندهم دخيلة ادخلها منذ اربعين سنة احد المرسلين الاميركان لينتفع بجربها بمواجيع الاهلين ولكنهم شاعت عندهم شيوعاً هائلاً حتى انك تجد اليوم في طوكيو ووحدها عشرة آلاف عربة من هذا النوع تقطع عشرة كيلومترات في الساعة ولا تزال هذه المركبات التي يجرها البشر شائعة في انام وسيلان والمند وجنوبي افريقية على الرغم من انتشار السكك الحديدية والتراموايات والمراجات والسيارات . والمركبات المستعملة في المكسيك هي من نوع ما كان يستعمل من الحارات لنقل الملوك في اوربا وثمان البغل في الحبشة ضعفاً او ثلاثة اضعاف ثمن الحصان ولذلك يوثرون استعماله للاكرام ومن يريدون اكرامه يلجئ بعضهم بجاشي الحبشان يركبونه على بغل ويركبون الخدم على الخيول . واشتهرت حمير القاهرة حتى احرزت قصب السبق في بعض المعارض . وفي بعض المدن الكبرى من فرنسا يستعملون مركبات يقطرونها الى العنز - تستخدمونها لتنزيه الاولاد في الحدائق العمومية كما يقطر الانعام في افريقية الجنوبية وكليفورنيا الى المركبات ليجرها . والبقر شائع في جر المركبات في كثير من الاصقاع الاوربية والآسيوية . وفي هولندا يستعملون البغال لبعض الاقطار الشمالية من فرنسا يقطرون الكلاب والمركبات ويجري بها بائعوا في الحظيرة الى مدقة الجنوم .

كان الطب القديم يقضي بلذات اطفال قابلياته والذين في غيبوبة في الاربع والعشرين ساعة ويهتدون بنجام كثيراً من الكسالى ولكن تعلم بالاصححة بالمدى في قضبان تكون كية الايام متناسبة مع ما يصرفه الانسان من قواه فالشيخ الذي يترجلنا عليه منه ان لا يصرف كثيراً من قواه فيجني له ايام لا يخام كثيراً ايضاً ويقول المثل الافرنجي ان تلوذ بالكلاب وتولي الماشية دليل بالجهل لا الجاهلية كثيراً من جهل الكلب والبقول .

فبيع ساعات تكفي ان يتعاطى الاعمال الصعبة منها ساعة في النهار ويتتاب داه المقاسل والحيات المتقطعة العال الذي يام على الارض معرضاً للهواء ولو كان في الشمس كما ان علة الصرع قد تمرى الشيوخ الذين يتلمون بالقرب من النار بسد العاهام

عدد البئر

في انكلترا ٤٥٥٠٠٠٠ رأس بقر وفي المانيا ١٩٠٠١٠٠ وفي فرنسا ١٣٥٥١٠٠٠ وفي روسيا ٣٧٤١٣٠٠٠ وفي النمسا والمجر ١٤٢٣٧٠٠٠ وفي ايطاليا ٥٠٠٠٠٠٠ وفي اسبانيا ٤٥٢٠٠٠٠ اما بلادنا فليس فيها احصاء مدقق للبشر فضلاً عن البقر طحين الشوندر

هو محصول جديد يستخرج من الشوندر الذي اصبح منذ مدة يستخرج منه للصناعة سكر والكحول وكان هذا الطحين يستعمل في اانيا ولكن لعلف الماشية فتوصل احد الزراع البلجيكيين الى الانتفاع به في المكنات وطحين الشوندر يحوي على ٦٥ في المئة من السكر .

الكليات الفرنسية

كان عدد اساتذة العلم في الخمس عشرة كلية في فرنسا سنة ١٩٠٩ و٣٦٦ و١٠٢ ناظر ومحاضر و١٤٨ ناظرًا عامًا على الاعمال العلمية و٣٣٦ معيداً للدرس وطلب من الحكومة لرواتب الاساتذة زوت يتبعهم سنة ١٩١٠ مبلغ ١١٦٧٩٠٥٥٣ فرنكاً و٢٢٢٩٨٢٧٧ فرنكاً لا يتبايع الادوات وقد زادت ميزانية تلك الكليات زهاء ربع مليون فرنك

عطايا كليات اميركا

كانت عطايا المحسنين لكليات اميركا في السنة الماضية كثيرة على العادة واهمها لكلية يال ٤٧٥ الف دولار ليؤسس فيها معمل طبيعي و٧٣ الف ريال لتصرفها على تعاليم بعض نوابغ الموزين و٢٣٦ الف لجامعة دورهام و٥٠ الف لكلية ماك جيل في مونتريال و١٠٠ الف لكلية بروستون و٥٠٠ لكلية اوهر و٢٣٠ الف لكلية هارفرد واعطت عيلة ريد مبلغ مليوني دولار فقط لتأسيس مدرسة جنانة للفنون والعلم في بورتلاند من اقاليم اورغون .

عظمة بريطانيا

نشرت المجلة الوردية احصاء في بلاد الانكليز ومنشوراتهم وتجارتهم في العام الماضي

جاء فيها ان مساحة بريطانيا العظمى ١٢١.٣٩٠ ميلاً مربعاً ومساحتها ٥٣٨.٧١٨.٤٤ ومساحة الهند الانكليزية ١.٧٦٦.٥١٧ ميلاً يسكنها ٢٩٤.٣١٧.٠٨٢ ومساحة مستعمراتها الاخرى في آسيا ١٤١.١٥٠ ميلاً يسكنها ٦٢١٨.٠٠٦ ومساحة مستعمرات المحيط الكبير ٣.١٩٠.٣٦٠ ميلاً سكانها ٨٤٨.٤١٣.٥ ومساحة مستعمرات افريقية ٢.٠٩٩.٤٨٣ ميلاً سكانها ٣.٤٦٠.٥٣٥ ومساحة كندا ٣.٧٤٥.٥٧٤ ميلاً سكانها ٦.١٥٣.٧٨٩ ومساحة المستعمرات الايركية الاخرى ٢٧٩.١٢٣ ميلاً فيها ٢.٣٣٦.٩٥١ ومساحة املاكها في اوربا ١١٧.٦١٨.٢٢٨ فيكون مجموع مساحة ما يحق عليه العالم البريطاني في القارات الخمس ١١.٣٤٣.٧٠٦ اميال مربعة و٣٩٤.٢٤٦.٨٨٢ ليرة انكليزية ساكنة او نحو خمس العالم وواردات بلادها ١.٠٥٣.٢٦٥.٩٩٥ ليرة انكليزية وصادراتها ٩٦٨.٣٤٤.٥٦٢ ليرة اي زيادة ثلاثين مليون ليرة في قسم الواردات وعشرة ملايين في قسم الصادرات بالنسبة للسنة السابقة وزادت خطوطها الحديدية حتى اصبحت في السنة الماضية ٢٣.١٠٨ اميال في بريطانيا و٢٩.٩٣٦ في الهند و٥٣.١٩٩ في سائر المستعمرات

#### الطب الصيني

قال احد اطباء الغرب في يونان من بلاد الصين ان ما يقال في شهرة طب الصين بالغ فيه على ان الصيني لا يعادي الطب الاوربي ومعلوم ان احد امبراطرة الصين درس سنة ٢٧٣٧ ق.م زهاء مئة نبات شافية ونظمها تنظيماً حسناً وان علم تركيب الادوية الصينية يربو على خمسمائة نوع من النباتات الطبية والتراكيب المختلفة مثل قرن الوعل وذرور الاغافر وشوارب الثور واذ كانت تستعمل بالافراط احياناً فقد تودي بحياة المريض وعند الصينيين من النباتات ما يستعملونه من الخارج مثل نبات يقي من الاسهال يجعلونه على البطن في لفة وعدم ادوية تقي من السكر ومن الخوف او تجلب الغوف وادوية لمداواة الشق وادوية تنزعه. وذكر الطبيب المشار اليه حالة اهل الصين مع حفظ الصحة فقال ان الليت الصيني قدر مظل كتيب لا نوافذ له في الاغلب وفراش الصيني وهو من الخشب مغطى بالخصير واغطية وحق لا تظلف بل تكون خزاناً يأكل فيه صاحبه ودكة تبعد عليها ومحللاً يرتاح فيه ويحصل تجمد في الشتاء موادة ترمي بروائح او كسيد اللحم لترسل الحرارة في المكان. وليس عند الصينيين عناية بتنظيف

الجسم فيكاد الصني لا يستقيم مدة عمره ولا يتزعج ثيابه عن بدنه الا اذا زعته وليس في البيوت محال الا لامحنتان ومراحض والمستنعمات مملوءة بالانذار ولذلك كانت الحى التيقؤيدة والزحير من الامراض الوافدة في الصين وكثرت وفيات الاطفال كثرة هائلة ولكن التناسل كثير جداً

#### الاضواء في فرنسا

تكون الاضواء في المدن والقنصبات الفرنسية بالكهرباء والغاز والاسيتيلين ففيها ٣٧٦٩ مدينة ومديرية لها محل للغاز او محطة للكهربائية والاسيتيلين وفي فرنسا ٢٧٠٠ حاضرة مقاطعة و ٧٢٠٠ مديرية يربو سكان كل واحدة منها على الف نسمة لم يزل بعضها محروماً من الكهرباء ولا تكثر الكهرباء الا بالقرب من شلالات المياه وتقتدى مساقط طويلة لتضيء الارجاد

#### اكتشاف العالم الجديد

عثر الباحثون في ميتوستا في الشمال الشرقي من الولايات المتحدة على اثر تاريخي يستدل منه على ان اميركا دخلها اناس من العالم القديم قبل ان يصل اليها كريستوف كولوموس بمئة وثلاثين سنة وقد زعموا كثيراً ان جماعة من السكندوايين نزولوا الشاطئ الشرقي من غروانلانده ولابرادور نحو سنة الف قبل الميلاد ولكن ذلك من روايات بعض القصةين الذين جاؤا قبل القرن الخامس عشر ويظهر ان الاثر الذي عثر عليه الآن اقرب الى الصحة وقد عثر عليه جماعة من الصملة بينا كانوا يماجلون اخراج جذع من الارض وهو عبارة عن حجر بين جذعين وقد عثر في البحث في الجذعين انها اصل لشجرتين قديمتين غرستا بعد وضع ذاك الحجر المكتوب عليه من وجهيه بحروف رونية كتبت في القرن الرابع عشر والحروف الرونية هي حروف السكندوايين في القرون الوسطى لا يعلم حلها الا افراد قلائل وما كان منها من القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر يمكن تقليده ولذلك تبين لمارلانده العالم الاثري ان هذا الحجر صحيح والكتابة به واضحة ومعناها ان ثمانية من الغوطيين واثنين وعشرين من الثوريين بينا كانوا يطوفون البحار سافروا من فنلاندا في ايكوسيا الجديدة ونزلوا على مقربة من ليلين بالقرب من هذا الحجر وذهبوا الى حيد وشهدوا عند عودتهم عشرة من رجالهم ميتين: رحماك ايبتها السيدة البتول فان عشرة من رجالنا نازلون على الشاطئ بالقرب من سفننا على اربعين يوماً ويوم من هذا الحجر كتب سنة ١٣٦٢

### الروائح والمفهم

كل الناس يعلمون ان الروائح التي تنبعث من الطعام اللذيذ تفتح شهوة الطعام والروائح المنبعثة من الطعام الكريه تصد النفس وتدمع القابلية . وقد استدل احد انبياء الولايات المتحدة بالبحث والتجارب ان الروائح والعمور تؤثر كل التأثير في الحواس وذلك ان بعض الاشخاص لا يتأق لهم ان يقعدوا في غرفة فيها باقة من اليانعة ( ليلك ) او الياسمين وان اتاسا يصابون بالصداع او المقيس ( القيء ) اذا استنشقوا الياسمين البري او وردة وانما اكثرهم يصابون باضطرابات معدية اذا دخلوا بيت تربية الدواب وكان فيه الدوم ( دوار الشمس ) وذكر ان امرأة متوسطة العمر كانت تصاب بوجع في القلب كلما كانت تشم رائحة لحم الخروف والسلك وكانت تتناول منه مسرورة على شرط ان تسد انفا حتى لا تشم رائحته ومن ذلك ان كثيرين يصابون بالقرف اذا قدمت لهم صلصة من لحم كرية عندما يشمونهم . وقال ان له زبونا كان ضابطا في حرب الانفصال كما رأى البصل يصاب باضطراب في المعدة لانه كان يقدم له في تلك الحرب بصل محضر قهضياً رديئاً فيتناول منه متكارهاً مضى على ذلك خمس واربعون سنة وهو لا يزيد للبصل الا كراهة . وافضل دواء لمن يصاب بذلك ان يعمد الى اخذ المقلبات ولكن يجب ما امكن التوقي من الروائح المفاقمة فالجيد منها نافع والكريه ضار حتى ان بعض الشرقيين يعمدون قبل الطعام الى استنشاق الطيوب والعمور علماً منهم بانهم بذلك يحسنون اعصابهم وهضمهم

### الطلاق

انتشر الطلاق في الولايات المتحدة وسويسرا انتشاراً هائلاً بحيث اصبح المطلقون والمطلقات كثيرين جداً ويقال ان السرة في ذلك فساد قوانين الزواج حتى انحلت نظام الزوجية وانتشار العيشة الفردية وقلة الدين ويؤكد من يملكون هذا الحال بقلة الدين ان بعض المقاطعات في الولايات المتحدة يقل فيها الطلاق جداً لان اهله متدينون ولا تزال تغلب عليهم التقاليد والادعاء .

### غنى اشراف الانكليز

في المجلة الباريزية بحث في حال الاشراف والفقراء في انكلترا جاء فيه ان فيها ٢٧ دوقاً ما عدا اللوقات الذين هم من دم ملكي يملكون نحو ٢٥٠٠ مزرعة كبرى اي اراضي نصف المملكة على القريب . ويقدر ان مساحة اراضي اللوق دي سوترلاند به ١٣٥٨٠٤٤

فداناً أو نصف مليون هكتاراً بلغت وارداتها منذ عشرين سنة ١٦٧-١٤٦ ليرة انكليزية ويحيى بعده الدوق دي بوكوش وأراضيه تبلغ نصف مليون فدان ويمكن وارداتها أكثر أي أنها تبلغ خمسة ملايين ونصف من الفرنكات ويحيى بعدهما دوقات ريشموند وديفونشير وهاملتون وإبول وأرجيل وبورتلاند ونورتومبراند وموتروز وم يلكوت مئة ألف فدان تأتيهم بنحو مليون فرنك من الواردات ثم يحيى بعدهم الدوقات الصغار ولا يقل ما يملكه الواحد عن عشر آلاف فدان

ويتألف من هؤلاء الدوقات والناجهم وغنام إثنين أساس في بيان المجتمع الانكليزي الحاضر وم المهور الذي تدور عليه الحياة الاجتماعية والسياسية في البلاد ولطالما كان هؤلاء الأشراف منذ القدم موضوع احترام أنكلترا ولكنهم بما يملكون من هذه الأراضي الواسعة أصبحوا لا يعرفونها ولا يتخذونها فمحت فيهم آية التوراة أن الذين يضيفون من بيكم حقلاً إلى آخرته يمتطي بهم الخال أن يكونوا نساكاً متزهين - نعم تركت حقوقهم وغناياتهم بدون أن تعهدوا الأيدي تركوها لتكون متزهية وبجلاً للرياض والصيد في حين أن الرقاع من الأيدي تنقطع عن العمل لقلة الأراضي لديها ويتحكم الأشراف في مزارعهم ومزارعهم تحكماً غريباً فإن الدوق ديفونشير لا يسمح لمزارعيه أن يعلقوا سيفه أراضيهم إعلانات يتناولون أجرتها بضعة قروش من المعلنين والدوق دي ليف لا يرضى أن يبقى أحد في الفندق القريب من مقره عندما يحيى إليه

فقد أنكلترا المشهور هو في أيدي الأسرات الممتازة المختارة من طبقة الأشراف وأغنياء الطبقة الوسطى والرفاهية وقف عليهم وحدهم لا يشاركون فيها غيرهم من أهل الطبقات الأخرى كما هو الحال في فرنسا وقد بلغ عدد المعوزين في أنكلترا ١٨٤٨-٩٥٩ أي أن شخصاً واحداً من كل سبعة وثلاثين شخصاً محتاج أن تعوله الحكومة أو جمعيات الإحسان وسيف لندرا وحدها من البائسين ١٢٣-٥٤٥ ولا يزال عددهم في ازدياد في الولايات والعاصمة فقد كان منذ سنتين معدل الفقراء سيفه بريطانيا العظمى ٥٧٩ سيفه الألف فاسم في أواخر العام الماضي ٥٨٦ في الألف

ويستدل من هذه الأرقام أن الأمة الانكليزية تعيش منذ سنين برأس المال وإذا ظلت على هذا الحال فليس أفلساً اقتصادياً واجتماعياً وأن الحكومة من حيث السياسة دلت بذلك على أنها لم تستطع أن تحكم لتوسع على الأمة راحتها وسعادتها بل تركتها بلا سلاح سيفه معترك الحياة تقى لنفسها وتفكر كذلك والسبب الوحيد في هذا الفقر اضطرار



الناس الى الانقطاع عن العمل بداعي حرية التجارة . ويقول آخرون ان السبب في هذا الشقاء هو مسألة تقسيم الاراضي فاملاك الاشراف مهحلة لا يستفاد منها وتلك الايدي العاملة تنقطع اضطراباً عن عملها لانها لا تجد ما تعمل في الصناعة والتجارة وكانت تعمل في تلك الاراضي الواسعة لوزعت عليها توزيعاً معقولاً فاشرف انكلترا هم العائق الكبير في كل اصلاح وارثاء واملاكهم هي الحائز الاقتصادي الحائل دون نماء الراحة العامة فاعليهم التهمة العظمى في غلاء المعيشة وقلة الاعمال والشقاء الاجتماعي الذي يزيد يوماً عن يوم

ومنذ عشرين سنة فتمت طريقة جديدة لادخال لوردات جدد علامة على القدم منهم وهم من كبار ارباب المايل والمالين مثل اللوق دي نورفوك ووارثه السنوية ٣٧ مليون فرنك ما عدا الاربعمئة فدان التي يملكها في حي وشمستر في لندرا ورعها مليون جنيه واللوق دي بدفور وريع اراضيها البالغة ٢٥٠ فداناً في لندرا هو مليوناً جنيه، والورد نورثامبتون وريع املاكه مليوناً ثمة افرنسية وغيرهم كثيرين وهكذا اصبح دوقات انكلترا ارباب الاحتكار للأزوة وهم سبب شقاء الطبقات ومنهم ضرر البلاد

### ري العراق

خطب السر ويليم ويلكوكس في اجتماع الجمعية الجغرافية الملكية في لندرا : في العراق ماضيه وحاضره ومستقبله خطاباً حضره كثير من سادة الانكليز وعلمائهم فقال انه لما اتت الحكومة العثمانية الجديدة لري العراق واصلاح اقية دجلة والفرات وبيان الطرق اللازمة لعمران تلك البلاد بدأ يدرس طرق الري القديمة وما يلزمها من اصلاح فاستفاد من ذلك فائدتين اساسيتين الاولى كثرة نفع الماء الخالي مما يجعله عادة من الوحل والحكاكات والثانية لزوم اتخاذ الاحتياطات لمنع الفيضانات وان الاتني عشر مهندساً الذين ساعدوه في تقديره كانوا يتوا له انهم قادرون على القيام بهذه العملين فعرضوا على الحكومة قبل ذلك طريقة لتخلص من فيضان ماء الفرات حتى يهابط نهر بينون القديم وقدر المال اللازم لذلك بثلاثمائة وخمسين الف ليرة والوقت ثلاث سنين وبذلك أصبح الارض القابلة للزراع مضاعفة ومحصولات الحنطة تبلغ ثلاثة اضعاف اما المزارعون اليوم فانهم لا يجرأون على زرع الاراضي بالبدور اللازمة وكذلك هم يحسبون انهم يحسرون كل شيء في السنة السالفة

ومشروع اليوم هو القناة الوسطى الكبرى في ارض الدلتا اللازمة لري ٣٠٠٠٠٠ فدان من احسن اراضي العراق لربها مياه نقي في الشمال الغربي من بغداد بين دجلة والفرات انخفاض في الارض يسى بحيرة عكركف ومساحتها اذا كان ماؤها على اقل درجاة اربعون ميلاً وربما واذا كانت عملة ثلاثمائة ميل مربع وانخفاض سطحها عن الفران خمسة وثلاثون قدماً وعن دجلة عشرة اقدام والى هذا انخفاض من الارض يأتي نهر الصقلاويه وهو فرع من الفران عرض قناته ٢٤٠ قدماً وعمقها ٢٥ قدماً وبتقسيم عند وصوله اليها من الغرب الى نحو عشرين فرساً .

وعند اتصاله بالفرات يلزم ان يوضع له مياران قويان يمينان الماء المار فيه وكذلك يوضع للفرات سد بعد مفرق فرع اله قلاوية لتنظيم مجرى ماء الفران نفسه . ان ما تقدم من الاعمال يؤمن وصول الماء من الفران واما من جهة دجلة فالت المهندسين ارتأوا وضع سكر في البلد عند حاجز التروود وهذا السكر يوضع في مرتفع من نهر دجلة يعلو حطين قدماً عن سطح بحيرة عكركف وبهذه الوسطة يمكن ان يجر له فرع لري الارض المنخفضة الواقعة شمال بغداد ويصنع لهذا الفرع منفذ الى البحيرة المذكورة فيحفظ قناته مع الوصل ويصل دجلة بالبحيرة وهكذا يحصل الارعون على ما يلزمهم من الماء من النهرين المذهبين في تلك البحيرة من غربها وشمالها واما من جهتها الجنوبية والشرقية القريبة من بغداد فيعبر قناة توازي ضفة دجلة اليمنى وتنتهي في الحى وهذه القناة تكفي لري ستة ملايين فدان .

اما الوصل الشديد المضر ومدته لا يتجاوز خمسة عشر يوماً في السنة فانه يرسب في البحيرة . وويلكوكس يقترح ان تسمى الضفة اليسرى من هذه القناة باسم اول حاكم دستوري في البلاد 'عثمانية' وهي تكون حاجزاً يحمي البلاد من فيضانات دجلة وعلوها تمر سكة حديدية تنقل محصولات البلاد وهكذا تعود مدن صبارة وكوثا ونيل ونقور وأرخ وتل سكرخ وتل لوالى عمراً بها

وبعد ان بين الطرق التي تهيئ البلاد من الفيضانات وكيف ان المباشرة تكون بري ثلاثة ملايين فدان من الارض تفل سنوياً مليون طن من القمح و مليوني بالة قطن ذكر طريقة ايصالها لاسواق التجارة مع ملايين من الاغنام ومئات الالوف من الماشية التي يمكن ان تعيش في الدلتا وقد فاض تجار بغداد فوجدوا متفقين على ان تأخر البلاد ناشئ في الاكثر عن انقطاع المواصلات مع الغرب وان محصولات الخواك اليوم وهي الغنم

والبقر والجاموس والصوف وعرق السوس والحنطة والشعير مطلوبة على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط وفي اوروبا وكل ما يحتاج اليه البلايد يمكن ان يأتيها من الغرب لذلك لا يتعصبها الا احداث سكة حديدية تصل بغداد بالبحر المتوسط من اقرب الطرق وارخصها ومثل هذا الخط يكون مخرجه قرب صور او حيداء وطولها من بغداد الى دمشق خمسمائة وخمسون ميلاً تكلف مليونين ومائتي الف ليرة ٠ اهـ (معرباً عن جريدة الشمس بقلم احد اصدقائنا)

### ثقل الايام

يقال ان فلاناً اثقله كمر الغداه والعشي وقد اثبت اخذ العلماء ان المرء كلما تقدم في السن زاد جسمه خفة فالكبد ووزنه الهادي في البالغ ١١٦٥ غراماً لا يبلغ وزنه في الرجل الشيخ اكثر من ٨٠٠ الى ٩٠٠ غرام ووزن الكلية في البالغ ١٨٠ غراماً ولا تكون كلية الشيخ اكثر من ١٠٠ غرام اما القلب فلا يزال يهوى السن فيبلغ زهاء الف غرام في الشيخ اكثر من الفتي وكلما شاخ المرء كبر قلبه وربما كان ذلك ناشئاً من اسفه على السنين فمر به ففقره من اجله

### دارسو العلوم

بلغ عدد الطلبة الذين قيدوا اسماهم سنة ١٩٠٨-١٩٠٩ في جامعة العلوم البازيرية ٢١٥١ طالباً منهم ١٥٧٧ فرنسويًا و٤٢٧ روسيًا و٢٧ رومانيًا و١٥ من جمهوريات اميركا و١٣ نمساويًا مجريًا و٣٠ اعثانياً و١٠ المان و١٠ يونان و٨ من الولايات المتحدة و٨ بلجيكين و٦ سويسريين و٥ سويديين و٦ نرويجيين و٤ صربيين و٤ بلغاريين و٤ مصريين و٤ ايطاليين و٣ من كل من الجزائر البريطانية وهولاندة وشيلي و٢ من كل اسبانيا والبرتغال والصين وواحد من كل من النانميك ويران وسورية والاراس والمندالانكليزية و٨٠ طالباً اجنبيًا في سائر الجامعات منهم ٥١ في الطب و٢١ في الصيدلية و٥ في الادب و٣ في الحقوق

### معمل الفولاذ

انشأوا على ٤٠ كيلومتراً من شيكاغو على شاطئ بحيرة ميشيغان في مدينة اسمها طازي اعظم معمل للفولاذ في العالم وهو يحوي من التناخير ما يخرج في اليوم اربعة آلاف طن وتقدر اكلاف هذا المعمل بمشرين مليون ليرة وحميم الغاز الذي يخرج في السنة من كل تنور عالٍ يبلغ ثمانين الف متر مكعب وفيه ١٧ محركاً بالغاز تبلغ قوتها ٢٥٠٠

حصان ومجموع ما يصدر من هذا العمل في السنة ٢٠٠٠ ٢٠٠٠ طن  
مخترع المعكرونة

قالت إحدى الكاتبات الايطاليات ان تاريخ اختراع المعكرونة يرد الى سنة ١٢٢٠  
يوم خميس الجسد وهو اليوم الذي تاب فيه في برمة ونابولي الملك الصالح فرديريك  
الثاني في ذاك اليوم اخترع احد علماء الكيمياء من الطليان واسمه سيشو هذه المعكرونة  
فسمرت هذه مر هذه الصناعة امرأة اسمها لاجوفانلادي كانزيو فاستعملتها من مواد كثيرة  
واجادت صنعها وتداولها الملك فاستطاعها ثم الاسرة المالكة واهل البلاط والاشراف  
والنبلاء والفرسان وبعد ان عمت ايطاليا انتقلت الى اوربا باسرها بل الى العالم كله  
الفراسة بالاطفال

يقول احد اطباء الايدي في باريز ان الاطفال العريضة والقصيرة هي دليل كاف  
على الشدة في الخلق والقوة والغضب ويكون صاحبها متناقضاً في الفكره وعندياً للخاية  
واذا كانت الاطفال طويلة ومتبسة تدل على كبر العقل والتصور وعلى الحكمة وتوازن  
الدماع . واذا كانت مستطيلة ومنمسخة تدل على ميل صاحبها الى الشر والفنون على  
اختلاف انواعها وعلى كسل غريزي فيه . واذا كانت محنية كالخالب فهي دليل نقاس  
خيث شديد قاس كاتدل على القوة والميل الى القتل ومن كانت اظافره رخوة فدليل  
ضعف جسمه وعقله في حين ان من يأكلون اظافره كثيراً ما يكونون من الماتلين الى  
الخلاعة . ومن كانت اظافره مثاونة تدل على صحة وفضيلة وسعادة وميل عظيم للكرم

معادن العالم

احصى احد العارفين ما استخرج من معادن الرصاص والنحاس والتوتيا « الزنك »  
سنة ١٩٠٢ فكانت ٩٩٢ الف طن من الرصاص و٢١٣ الف طن من النحاس و٧٣٣  
الف طن من التوتيا ومعدل سعر الطن من المعدن الأول ٤٨٢ فرنكاً وربع ومعدل  
سعر الطن من الثاني ٢١٧٧ فرنك و٥٥ سنتيماً ومعدل سعر التوتيا ٣٣٧ فرنكاً ويوزع  
المستخرج من الرصاص على ست ممالك هي: اليابان ٩٧ الف والمكسيك ٧٢ الف وانكلترا ٢٠ الف والولايات المتحدة من الرصاص ٤٢١ الف طن واوربا كلها ١٤٣ الف وانكلترا ٢٢ الف  
واليابان ٣٢ الف والولايات المتحدة من التوتيا ٣٢ الف واوربا كلها ٣٢ الف وانكلترا ٢٢ الف  
واليابان ٣٢ الف والولايات المتحدة من التوتيا ٣٢ الف واوربا كلها ٣٢ الف وانكلترا ٢٢ الف  
واليابان ٣٢ الف والولايات المتحدة من التوتيا ٣٢ الف واوربا كلها ٣٢ الف وانكلترا ٢٢ الف



رمضان سنة ١٣٢٧

غرائب الغرب

حالة مصر (٦)

هبطت مصر وعهدي بها ليس بعيد غبت عنها أربعة عشر شهراً وكنت صرفت فيها أربع سنين أيام الحكم الاستبدادي في المملكة العثمانية فلم أراَ اليوم وأنا عابر سبيل ان امكث فيها اقل من أربعة عشر يوماً قضيتها في مشاهدة من خلفتهم فيها من الاصدقاء الكثيرين . والقاهرة من البلاد العربية كباريز من البلاد الافرنجية حوت مافي العواصم من ضروب الرقي والانحطاط مما تنفقه على غيرها طوعاً او كرهاً ويأتي الناس من القاصية فيأخذونه عنها ويهتمون بتقليده وتأييده

ان من ينظر الى مصر نظراً سطحياً يأسف لها كثيراً ويعدها كنزاً ضائعاً ودماً ضيعة أهله . ومن يعم النظر في مواردها ومصادرها ويدرس مساهمتها ومفاسدها وقيمتها التامة بالمقدار الذي لها في حياة مصر . يدرك ان المحتفلين الغنوة لمصر في حياتها الاجتماعية والسياسية لا يقل عما استزرته في حاضرها من المنافع المادية والادبية اذ اطلقت جنتها العلم متوفرة على التلاميذ والمدرسين وهم يتفكرون شغف عن اخرى في تلتف ما ينفعهم من انواع المعارف

إحياء بناء مجددم الجديد على احسن نظام  
ليس في اقطار الشرق ولا في اقطار الغرب بلد عرف تاريخه كما عرف  
تاريخ مصر ولا بلد مثله ابقي على آثاره الخالدة واحتفظ بترائه القديم فنفع العلم  
والعالم بما ادخره .

فقد قال لنا التاريخ ان عهد بعض سلاسل فراعنتها كان عهد ارتقاء  
ومدنية وان مدنيهم لا تقل من وجوه عن المدينة الرومانية واليونانية والفارسية  
فكانت دولة فاتحة غازية مستعمرة كما كانت دولة فاضلة متحضرة وانه جاء  
زمن طويل على مدينة الاسكندرية ايام الروم كانت تفيض العلم النافع على  
العالم اجمع بمدريتها كما كانت تفيض العلم مدرسة بغداد ومدرسة قرطبة ايام  
الخلفاء وكما تفيض كليات اوربا واميركا على آسيا وافريقية اليوم

اتى على مصر دور انحطاط بعد دولة الفاطميين اشتغلت فيه بنفسها  
وكان حفظها من المعارف حفظ سائر بلاد الاسلام وان كانت لها الميزة ابدأ  
في هذا الباب على الاقطار المجاورة فقد كانت على عهد الايوبيين والجراسية  
والمالكية على انحطاطها مورداً تستقي منه البلاد الاخرى وكانت العلوم  
الاسلامية والادبية خاصة مما يحمل من ازهرها الى شمالي افريقية وداخليتها  
وبلاد العرب والترك وسورية وغيرها . ولما جاء نابليون الاول ثم محمد  
علي الكبير دخلت فيها بواسطة علماء من الفرنسيين روح الحضارة الغربية  
واسلوب التعليم الاوربية واخذت حكومتها ترسل بالبعثات العلمية بل  
بالبحوث العلمية الى اوربا ليدرس النشء في كلياتها ثم يعودوا الى مصرهم  
فينفعوها بما علمهم الله والبشر الراقي

وما برحت هذه الاراسيات تكثر ومصر الحديثة تتكون على المناحي

الغريبة حتى جاء الحديوي اسماعيل واسرف في ما لما اسراف جنون وجبل فاضطرت الى الاستبدانة من المائتين الاوربيين واكثرهم انكليز وفرنسيين ولما حدثت الفتنة العراقية وجدت انكلترا مدخلا لها بجميعة انكلترا ب الاموال يوجسون خيفة على اموالهم ورأت من فرنسا غفلة او تغافلا فقامت وحدها على اطفاء الفتنة فصدقت عليها كلمة نابوليون في قوله وقد اخبرته انكلترا من مصر بعد احتلاله لها بضع سنين في القرن الماضي انها لم تخرجنا منها الا لتأخذها لنفسها في المستقبل.

دخلت انكلترا مصر لاطفاء الفتنة اولاً ثم للمحافظة على ترعة السويس التي اصبحت اكثر اهمها لجماعة من ابناءها . والترعة كما هو المعلوم طريق الهند الاقرب ومادة حياة دولة البحار . ومن حافظ على سلامته ومادة حياته يندر

ولقد كان ميدان الاصلاح فسيحاً امام المحتلين لتوفر الاسباب الطبيعية لمصر وان بلاداً لا ينقطع ماؤها ولا تغيب شمسها ولا تنضب تربتها ولا تنعاصى على الانسان طبيعتها لأقرب البلاد الى معالجة الاصلاح في مجاهلها ومعالمها .

ولما استتب الامن في انحاء القطر اقبل ارباب الاموال من الغربيين وغيرهم ينجرون ويزارعون ويؤسسون المشاريع العمرانية فكانت تلك الحركة نافعة في نهضة القطر الاخيرة نهضة اقتصادية كبرى حسنتها عليها بلاد كثيرة .

تهياً لمصر والحق يقال من رجال الاحتلال اناس عملوا باخلاص لتحسين زراعتها ورعيها وتنظيمها لينتفع من ذلك البريطانيون والمصريون معاً . وكان

عبيدكم الأكبر لورد كرومر الذي ادار دفة السياسة المصرية اربعاً وعشرين سنة ارجح في خلالها عنان الحرية الفكرية والاجتماعية فهاجر الى مصر كثيرون من المشاركة . عمل هذا وغيره من الاعمال النافعة ولكنه كان يحاول ان يقف بالمصريين عند حد الاشتغال بالزراعة ثم بالوظائف القليلة التي لا تسمح الحال الا باعطائها للمصريين وماعدا ذلك من الارتقاء العقلي والسياسي فقد كان اللورد يقول لهم كل سنة تصريحاً وتلويحاً في تقاريره السنوية انكم لا استعداد لكم معاشر المصريين لغير ذلك من الاعمال فهل نسيت ماضيكم ايام كنتم تساقون الى السخرة سوقاً وتستعبدون استعداد السبيد والارقاء ايام الحكومات الماضية المدمرة فاحمدوا الله على ان انجاكم مما كنتم فيه فحاكم الآن احسن من ماضيكم مئة مرة فمليكم ان تقنعوا بما حزنتموه .

ولكن نبياء مصر لم يفهم معنى هذه السياسة وكان الفضل الاكبر للجرائد في تبييه شعور الامة المصرية الى ان وراء ما هم متمتعون به الآن مطلباً اسمى وانفع فقاموا يسعون اليه سعيهم وهم على اختلاف في الطرق الموصلة اليه لا يختلفون في كون بلوغه لا يأتي الا من طريق التعليم والتربية فبذل اهل الاقتدار المالي ما سمحت به نفوسهم من انشاء الكتاتيب في الارياف والمدن حتي اسفرت النتيجة بعد بضع سنين عن تكثير سواد القارئ والكاتبين ثم رأوا ان الامة لا ترق الا اذا كان فيها افراد يجسنون تعليم الامة بلفتها ما يلزمها من المعارف للمادية والاقتصادية والاجتماعية ففسعوا الى اقتناع الحكومة بجعل التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية باللغة العربية وكان اكثره بالانكليزية من قبل ثم رأوا انه اذا لم يكن لهم من ابناءهم



من يعلم العلم العالي سبب ارتقاء الأمم لا يكون العلم الا عقياً ناقصاً فانبأوا  
لذلك المدرسة الجامعة المصرية وهم اليوم ينظمونها لتكون بعد سنين على مثال  
الجامعات الاوربية تدرس علوم الجامعات الافرنجية باللغة العربية وهي اول  
جامعة من هذا النوع لامة لا يقل الناطقون بها عن ستين مليوناً من البشر  
نعم ان الجامعة المصرية اليوم وما دخل من الاصلاح على الازهر ومدرسة  
القضاء الشرعي ومدرسة دارالعلوم ومدرسة الحقوق ومدرسة الطب ومدرسة  
الهندسة والزراعة وسائر المدارس الاميرية والخصوصية هي التي تألفت منها  
اليوم طبقات رجال مصر الحديثة ولا بد لهذا الامر من آخر ونسألهم  
الحسنة من نتيجة اذا سلك القوم سبيل التؤدة وطبقوا اعمالهم على قانون  
العقل الصحيح واستفادوا التجارب الامم السالفة وانصاع العامة للخاصة وحذم  
ولم يبق الهال للغواض وبذلك تصبح اسباب القوة المادية والمعنوية في بلادهم  
على مستوى ما هي عليه عند الامم الحية حقيقة لا مجازاً

لا جرم ان المصريين بما فيهم من الذكاء وماورثوه من حظوظهم الفنية  
وتيسر لهم من الرقي المادي هم بمجموعهم ارقى من مجموع الشرقيين دخل  
عنك اليابانيين وفيهم اليوم من العقلاء المفكرين العالمين والباحثين من يبحثوا  
دون ابناء طبقهم في الغرب وربما فاق الاتراك المصريين تحليلاً للاختلاف  
السياسية والحرية .

ولا يباب على مصر الافتورمة ابنائها في منتصف القطر في كل الاتجاه  
وهذا الخلق يكاد يكون عاماً في القطر لا يقوى في التقلب عليه الا التغيير  
العملية . وحذا يوم نرى فيه مصر تقبل على تعلم العلوم الطبيعية والكيمياء  
والميكانيك والمعادن مثلاً اقبالها على تعلم الحقوق مثلاً يتعطل عن كمالهم

زهاء خمسمائة طالب في كليات اوربا واميركا والقسم الاعظم منهم يدرسون الحقوق ليرشحوا منها الى الوظائف لانه وقر في النفوس ان فن الهامة اكثر عائدة على صاحبه من غيره من الفنون خصوصا وهو متوقف بعد العلم النظري على طلاقة لسان وفضل بيان والمصريون اكثر العرب حفا من تينك المزيين .

اصبحت مصر بمجموعها اليوم قطعة من اوربا كما قال الخديوي اسماعيل ولكن احبابها يريدون لها ان تكون كالوزيا في صفاتها العالية وحضارتها الراقية حتى لا تخرج املاكا بطيش الطائشين من ابنائها الى ايدي الغرب فيعود المصري بعد بضع سنين والعياذ بالله كالغريب في بلده وما اصعبها من حالة . ان مسألة الازاية التي تحفى على امة لاتهم بقدر ماتهم في الحقيقة مسألة الاملاك اذ انه مهأ بلغ من حيف امة فاتحة او مستعمرة لانحدشها نفسها ان تنزع من المالك ملكه الا برضاء . ومصر التي تاذى اليوم بوطة الرومي والطلياني والانكليزي وغيره لاتنتقل بمض املاكا منها الا برضى اولئك الوارثين والمسرفين الذين لا يعرفون دخلهم من خرجهم ولا دينهم من دينهم هذه هي الفئة الضالة المضلة في هذا القطر المحبوب ومنها يخشي على مستقبله . فبقلة عقول المستهترين اصبحت نحو تسمة اعشار الاطيان والاملاك في مصر للغرباء وعلها مائتان وخمسون مليون جنيه من الديون منها نحو مئة مليون دين الحكومة ولا نعرف مي توفيه والباقي على عنق الفلاح الصغير والمزارع الكبير .

ان ما نخشاه على مصر هو الاسراف الزائد وتقليد الغربي على العبياء ولو كان لاهل وادي النيل شيء من الامساك المحمود والاقتصاد المعقول

إذا كانت حال مصر السعيدة ارقى مما هي اليوم . ومن حاز الثروة وقانون  
الحكمة يدبرها والخنكة فائدها ورائدها وانتظر الفرص التي لا يزال الدهر  
يغبأ وهاللافراد كما لا يغفل بها على الامم لا بد ان يثتمع يوماً بالسعادة السياسية  
والاجتماعية التي هي منتهى آمال كل امة حية في هذا الوجود

## ٧

### مرسيليا

في الساعة الرابعة بعد الظهر اقلعت بنا من الاسكندرية الباهرة  
ايكواتور ( خط الاستواء ) احدى بواخر شركة الميساجري ماريتيم الفرنسية  
فبلغنا ثغر مرسيليا اكبر مواني فرنسا على البحر المتوسط والمحيط والمانش في  
اليوم السادس الساعة الخامسة بعد الظهر ولم نر في طريقنا شيئاً يستحق الذكر  
سوى بعض سواحل ايطاليا وفرنسا وقد تجلت عن بعد وكان نظرننا يختلف  
اليها بقدر بعدنا او قربنا منها ودام البحر رهواً حتي اذا خرجنا من مضيق  
مسينا اصبحنا واصبحت مسينتا على كبرها وطولها وعرضها العوبة المواصل  
والتيار يتقاذفنا من كل مكان حتي لم يبق راكب في درجات السفينة الاربع  
الا وقد اخذه الدوار او كاد ولم نملك حواسنا الا عند بلوغنا ساحل السلامة  
وقوة هذه الباهرة ٢٩٨٧ حصاناً ومحمولها ٣٨٤٨ طناً وتغلق في الساعة  
اثني عشر ميلاً وهي احدى بواخر الشركة التي تعد وتروح بين مواني البحر  
الابيض والبحر الاسود والبحر الاحمر وبحر الادرياتيك ولهذه الشركة التي  
جلت رأس مالها خمسة واربعين مليون فرنك تسع عشرة باخرة من مثل  
هذه خصت سيرها بالبحرين الاولين في الاغلب . ومن موانينا التي تقف

عليها بواخر الميساجري ماريتيم خايبا وسلانليك والاستانة وجناق قلعة  
وازمير ومدانيا وفاقي ولارنكا ومرسين والاسكندرونة واللاذقية وطرابلس  
الشام ويبروت ويافا وحيفا ورودس والاسكندرية وطرابلس الغرب  
وصمصون وطربزون وبورسعيد والسويس ولولا امثال هذه البواخر الفرنسية  
والنموية والروسية والاطالية والانكليزية والالمانية والرومانية لما بقيت لنا  
تجارة تصدر من بلادنا وترد اليها ولتعد التنقل الا في السواحل على ظهور  
الجمال واليغال والحبر او في المركبات وبمض القطارات القليلة التي تربط  
اجزاء مملكتنا بعضها ببعض

ولشركة الميساجري ايضا اثنتان وعشرون باخرة تمرر الباب الى الهند  
الصينية وتوابها وخمس بواخر لحط الكوشنشين وست بواخر لحط اوستراليا  
وخلكيدونيا الجديدة وخمس بواخر في المحيط الاطلانطيكي (الظلمات) وسبع  
اختصت بالبحر المحيط الهندي وذلك ماعدا السفن الصغرى التي جعلتها في  
بعض المواني الكبرى . واشغال الشركة متوسطة مع ان حكومة فرنسا  
تدفع اليها اعانة مالية كل سنة لقاء نقلها البريد بين الشرق والغرب وخدمة  
الجمهوريات التي ياتونها .

وتقول الذين سافروا مرات بين بلادنا وبلاد الغرب ان البواخر الالمانية  
والانكليزية والاطليانية تفوق باثلاثا ونحو خمس خدمتها البواخر الفرنسية  
والانكليزية فيقدر انفسه في تلك اكثر من هذه مع ان الاجنود وانفسه  
ولذلك اضطرت هذه الشركة وغيرها الى تخفيض الاجور في الضيقت التي  
نحو الضيق في تلك الدوحة الاولى والثانية والثالثة واخذت تقسم الخمسين في  
البنية لكل شخص الذي كان مع الشخصين بنصفه فان القيمة المقررة فاذا كانوا

اربعة فاكثرتحسم للاربع فلا بعده خمسة وسبعين في المثلثةولذلك يسهل السفر في الصيف لاعتدال اجوره .

ومن التسهيلات التي قامت بها هذه الشركة ان اتفقت مع شركات البواخر الانكليزية والاميركية وشركات السكك الحديدية على ان تنقل الركاب الى المواني التي تختلف اليها بواخرها وتلك الشركات تنقلهم على بواخرها بحيث يطوفون العالم ويحتازون من نصف الكرة الغربية الى النصف الشرقي والاجرة في ذلك معتدلة فيسلك الراكب ان احب احد الطرق التي يختارها في قطع البحور والبرور فالطريق الاولى عن مواني الصين واليابان وكندا ماراً بفانكوفر وهو يكلف في الدرجة الاولى ٣٢٨٨ فرنكاً والطريق الثانية اوستراليا وفانكوفر ويكلف في الدرجة الاولى ايضاً ٣٥٧٥ والطريق الثالثة الى اوستراليا فمضيق توريس فاليابان فانكوفر واجرتها ٤٢٥٧ في الدرجة الاولى والطريق الرابعة عن طريق الصين واليابان وسان فرانسيسكو وتكلف ٣٢٨٨ فرنكاً والطريق الخامسة الى اوستراليا ومضيق توريس واليابان وسان فرانسيسكو وتكلف ٤٢٥٧ فرنكاً في الاولى فيركب الراكب من مرسيليا الى هونغ كونغ على بواخر شركة المساجري عن طريق السويس وجيبوتي او عدن وكولومبو وسنغافور وسايغون ومن هونغ كونغ الى شنغاي الى كوبي فيوكوهاما على بواخر الشركة او على بواخر شركة الباسيفيك الكندية بحسب ما يختار الراكب ومن يوكوهاما الى فانكوفر على بواخر الشركة الكندية ومن هنا يركب القطار الى كيبيك ومونتريال وهالفاكس وسان جون او نيويورك ومن نيويورك الى ليفربول لوسموتون على احدى البواخر الانكليزية او الاميركية او النمسية او من نيويورك الى المافر على

بواخر الترانسلافتيك ومن الماهر بالسكة الحديدية الى باريز.  
 هذه هي المسافات التي يقطعها من يريدا الطواف حول الارض ولو قال  
 قائل هذا لاحد اجترانه الاقدمين وقال له انني اريد السير للزهة على هذه  
 الخطة لنسب اليه الجحون وقال ان ذلك لن يكون ولكن اذا عرف سر  
 الاسفار في هذه الاعصار يقول سيجان من سحر لنا قطع البحار والبحار يقع في  
 ما يشاء ويختار.

وبعد فلم يتسع لي الوقت لادرس جميع معالم المدينة في مرسيليا لاني لم  
 اصرف فيها الا ثلاثة ايام قضيت اكثرها في الراحة من وعاء السفر الذي  
 طال علينا احدى عشرة ساعة زيادة على المعتاد لما صادفته بالبحر في طريقها  
 من الانواء ولطاري، طراً على آلتها في عرض البحر فاصلحتها ولولا ذلك  
 لقطعت باخرتا المسافة بين الاسكندرية ومرسيليا في خمسة ايام بلاليها لاتقف  
 قرب اليابسة. ومن البواخر الانكليزية ما يقطع المسافة بين بور عبد  
 ومرسيليا في اربعة ايام وهذه البواخر خاصة بالبريد الانكليزي تنقله من  
 اوستراليا والهند الى الجزائر البريطانية في خمسة وثلاثين يوماً لا تكاد تستريح  
 في طريقها الا بقدر ما تحمل زاداً ووقوداً وكأبأ والمسافة المعتادة بين اوستراليا  
 وانكترا لا تجتازها الشركات المعتادة في اقل من سبعين يوماً.

قامت مرسيليا في منقطع وادي الرون الخليل فكانت جملة الجمال  
 الفرنسي بما فيها من الجبال والسهول وما احرزته من مجد قديم وغنى  
 حديث وان محيطها الذي لا تقل مساحته عن مئة كيلومتر مربع لاحلى من  
 العافية في بدن السقيم او النضارة في خدود الجواني — كما يقول بديع  
 الزمان — استغفر الله بل كاد يكون اجمل من الحور الذي تقرأوه في عيون

المرسليات العج . ولعل جمال العيون في النساء هنا التي فاقت عيون البدويات الرغائب انتقلت اليهن من اجدادهن العرب فقد قال ميشله المؤرخ ان اصل سكان مضائق الرون مختلط كثيراً فقيه بالنصر اللاتيني واليوناني والعربي . وخليط من الطليان والغالب ان سكان جنوبي اوربا يوصف نساؤهم بدعج العون وسواد الشعور كما يوصف الشماليات بزرقة العيون وشقرة للشعور .

والى اليوم يكثر في مرسيليا الغرباء ولا سيما الطليان ففيها ٥٥٠ ألفاً من السكان خمسهم من الطليان ويديم كثير من الصناعات والمعامل وهم عشر الاجانب في فرنسا وكان في مقاطعة مرسيليا سنة ١٩٠٦ : ٢٦٦٥٠٠ ساكن منهم ١٢٣٥٠٠ اجانب وفيها ٧١٨ مدرسة وفي مقاطعتها ٢١٢ كيلومتراً من الخطوط الحديدية و ١٦٣ كيلومتراً من الترام و ٢٨٤ من الطرق الاهلية و ٣٦٨٣ كيلومتراً من طرق السجلات الموصلة بين اقاليمها واعم صناعاتها عمل الاقشة وتحضير الاطعمة والمأكولات وصنع القرميد خل عنك تجارتها المائلة وزراعتها التي لا تختلف في الرقي عن زراعة عامة البلاد الفرنسية وفيها دور صناعة للاناطيل والبواخر التجارية ولا سيما دار صناعة الميساجري ماريتيم

قال من كتبوا عن مرسيليا من المؤرخين ان تاريخها من اقدم التواريخ وهي اول ميناء بحرية لفرنسا يرد عهد انشائها الى القرن السادس قبل المسيح وفي مقاطعتها اليوم ٤٩ ألف منزل منقسمة بين التي شارع وطريق ومعظم آثارها ومبانيها حديثة النشأة من عهد السلالة الملكية الثانية ومن احسن متبزهاتها الكورنيش الذي انتهى سنة ١٨٦٣ وكان عدد السفن التي دخلت

مرفأها البالغ سطحه ٣٠٠ هكتار سنة ١٩٠٧ - ١٦٣٣٠ وعدد الركاب ٥٥٠ ألفاً وقدروا ما يدخل اليها ويخرج منها في اليوم بسبعة واربعين باخرة وبارجة وناهيك به من عدد .

ويطبع فيها وينشر ١٤٦ جريدة ومجلة . وجريدة البتي مارسيليه ( المرسيلى الصغير ) اوسعها انتشاراً تطبع ١٨٠ ألفاً كل يوم وهو في حجم المائتين والايكودي باري كما يطبع البتي باريزيان ( الباريزى الصغير ) الذي يصدر في باريز مليوناً ومائتي الف نسخة في اليوم والثاني أكثر جرائد فرنسا انتشاراً . فكأن لهذه الاسماء الصغيرة من حسن التوفيق ما لا يحالف الاعمال التي تبدأ بالالقاب الضخمة والاسماء الفخيمة .

زوت ادارة البتي مارسيليه فرأيت النظام مستحكماً في كل ما يتعلق بها وهي اليوم في السنة الثالثة والاربعين من عمرها واقدم منها بل اقدم جرائد مرسليليا « السيفوردي مارسيل » انشئت سنة ١٨٢٧ وهي من الجرائد الجديدة المعتبرة الا انها اقل انتشاراً . وهذه الجريدة تباع في مقاطعة الرون وما اليها مثلاً فلو فرضنا ان ما يطبع من جرائد مرسليليا ومجلاتها يبلغ كل يوم مليوني نسخة لاصاب كل فرد في مقاطعتها جريدتان ونصف على اقل تعديل هذا عدا الجرائد الباريزية وغيرها التي ترد على مرسليليا وتباع في شوارعها بالالوف ايضاً . ومن الاحف العظيم اننا لو احصينا عدد ما يصدر من جميع الجرائد والمجلات العربية والتركية والفارسية في البلاد المصرية والعثمانية والايرانية لا يبلغ بكميته قدر ما تطبع كل يوم جريدة البتي مرسليليه احدى جرائد ولايات فرنسا . وعلى هذه النسبة قس ولا تخف درجة ارتقائنا وارتقاء الفرنسيين وسجل علينا بالفقر المدقع في كل شيء ولا سيما في الامور العقلية



ليون

٨

ماذا يصف القلم من مدينة الفرنسيس وكل فرع من فروعها المدهشة لو  
تعاورته الاقلام الكثيرة وتوفرت على البحث فيه العقول الكبيرة لما كانت  
الا الى جانب القصور . نعم لو جاء في عصرنا الرحالة اين حوقل وشاهد  
مدينة فرنسا فقط لحوقل واسترجع وقال هذه حضارة ليس لنا في وصفها  
مطعم ولو اتي المسعودي بقلمه وعلمه لجز عن الوصف والتسطير ولو جئ  
بابن بطوطة لآب من رحلته الطويلة لايحسن املاء ما رأى وسمع ولو قام ابن  
جبير لاعترف بقصور ذرعه وعدم نفاذ طبعه وقال ان هذا الاحلم وخيال  
ونحن لانسجل . في رحلتنا الا ماتقع علينا ابصارنا ويتراى الي آذاننا  
ونسمه ايدينا .

وبعد فما ذا يصف القلم في ليون أجملها الطبيعي ام الصناعي . معاملها  
الحريرية ام مدارسها وكنيتها ام انتظام شوارعها ودورها وقصورها  
وحداثتها ام غناها ومتاحفها وعادياتها وكنائسها ومصانعها ومعارفها ومكاتبها  
ومخازنها وحوائيتها ومائيلها وانصابها وخطوطها الحديدية والكهربائية وجسورها  
الحديدية والحجرية وقوارصفتها البديعة وساحاتها وحدائقها ونهرها العظيمين الرون  
والسون اللذين يعطمانها شطرين ويزيدان في بهجتها ما تقر به العين

ماذا نذكر من ليون ثاني مدينة في فرنسا وقد شبهوها بموسكو الروسية  
في كونها عاصمة دين كما هي عاصمة صناعة وعل . وعلى جنس ليون مر  
الصلبيون في القرون الوسطى ذاهبين الى المشرق لاقتاد البيت المقدس من  
ايدي المسلمين . نعم ماذا نعدد من ليون وبدائع صنع الانسان فيها وما ضمت

من معاهد قديمة وحديثة وم شاهد ببيجة : والله ما اعجب معرض نموذج  
الانسجة الذي حوى اربعمائة الف نموذج ليس لها نظير في العالم وعرضت على  
انذار اهل البلاد والسائحين ينتفعون بالنظر اليها ويستدلون بها على تفنن يد  
الانسان في كسوة الابدان .

لئن حرمت ليون من ميناء بحرية لتصريف مصنوعاتنا بسرعة فان  
البخار البري عوض عليها هذا الحرمان فزاد في عزلتها التجارية ففي كل يوم  
يمر في محطات سككها الحديدية ١٤٠ قطاراً جاتية ذاهبة من انحاء شتى  
ولاسيما من الشمال الى الجنوب . والمسافة بين باريز ومرسيليا ٨٥٠ كيلومتراً  
ليس فيها شبر واحد لا اثر للحرمان فيه يقطعها القطار بالسير السريع في ١٤  
ساعة . وليون على مقربة من نصف الطريق بين باريز عاصمة البلاد ومرسيليا  
ثغرهما والحكومة اليوم شارعة به خط حديدي ثالث لتسيير القطارات لان  
الخطين الموجودين لا يتأتى ان يجري عليهما في كل بضعة دقائق أكثر من  
قطار واحد مخافة ان يحدث اصطدام بين القارات ويكلف الخط الجديد  
بين باريز ومرسيليا مئات الملايين من الفرنكات وكل ذلك حتى لا يتأخر  
راكب ولا بضاعة وتأخذ كل جهة حثها من العمران .

لم تقف ليون عند حد الاعمال الصناعية والتجارية والمالية بان كانت هي  
التي أسست مصرف الكريدي ليونه مثلاً من اعظم مصارف العالم .  
بل لها حظ كبير من النهضة العلمية واثر راسخ في الحضارة الفرنسية وناهيك  
بكلياتها التي تعوي فروع العلم ولاسيما الطبيخي والحقوق والطب والتجارة  
يختلف اليها ٢٥٠٠ طالب منهم الاجانب وفيهم نحو خمسين مصرياً أكثرهم  
ويدرسون الحقوق وقليل منهم الطيب واقل في التجارة والمصريون حديث

عهدهم بنزول ليون لتخرج في كليتها وقد كثر ورودهم عليها بعد ان ترك  
 السيولامبر احد اساتذة مدرسة الحقوق في القاهرة منصبه فعيّنته حكومته  
 في كلية ليون استاذاً فكان من اثر محبة كالمصريين ومحبة المصريين له ان  
 جذب عشرات منهم للتعلم في كليتها وهو يشرف عليهم اشرف الابرار  
 على اولاده . وكانت مصر تعتمد في تنشئة اولادها من قبل على كليات  
 الولايات الفرنسية ولا سيما كلية مونبليه وذلك على عهد الحديوي اسماعيل  
 لانه كان يعتقد ان اهل مونبليه اقل معاداة للملك وابعد الفرنسيين  
 عن التطرف .

قضيت في ليون يومين لزيارة معالمها ومشاهدة صديقي محمد لطفي  
 افندي جمعة الكاتب الخطيب الغيور فرأيت فيها غاية الرقي الاجتماعي  
 والتكافل الانساني والنوع الفرنسي وفي مثل مدينة ليون من قواعد  
 البلاد تعرف حقيقة الفرنسيين لما يشهده السائح فيها من السكون والاقطاع  
 الى الاعمال الشريفة فلا يسفون كالكثير سكان المواسم في الاغلب للكاسب  
 الدنيئة او يرضون بان يكونوا عالة على الحكومة يأخذون رزقهم من خزائنها  
 بالتوظيف والاستخدام

وياما ابعج ساحة بالكور ( الفناء الجميل ) يوم الاحد والرجال والنساء  
 والاولاد قادون رائمون فيها لا تقرأ في وجوههم غير الادب ولا في حركاتهم  
 الا الترية البيّنة العالية والتشبع بالنظام المدني المقبول حتى اذا جن الليل  
 يختلف القوم الى دور التمثيل واما كن الهول والعرب وسماع الخطيب والمحاضرات  
 وهكذا ليهم كنهارهم عمل وراحة واستفادة وافادة اخذوا بحظ وافر من دنياهم  
 ولم ينسوا تهدي آآايهم . فليون بلد طيب امين يسكنه المهذبون العاملون .

ولقد كنت كلما وقع نظري في ليون على شارع عثليم او بناء جسيم تعدثني النفس بسورية فاقول متى ياترى يكون فيها مثل ما في ليون على الاقل ولو ان عمران ليون وحدها وهي احدى مدن فرنسا وما فيها من قوة مادية وادبية وزعت على سورية من عريش مصر الى الفرات ومن البحر المتوسط الى اقصى بادية الشام وحدود نجد والحجاز لفدت سورية وهي في مساحتها نحو مساحة فرنسا كلها من حيث عمرانها ارقى مدن المعمور ولكن الرزق لا يأتي بالتمني والوجود لا ينتفع به الا من يحسنون استخدام ما فيه من القوى والمناصر .



شجرة باريز

٩

سلام عليك مرخصة الحكمة . ورعاية الرخاء . والنعمة . وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسية . ومحبة المدينة الاصلية في الاقطار الغربية والشرقية . ومعلمة العالم كيف يكون الخلاص من الظالمين . والضرب على ايدي الرؤساء والنبلاء والمالكن . انت هذبت طبائع البشر حتى غدوا يشعرون باللطيف والنووق وفائدة العلم والعمل . انت كنت في مقدمة البواصم التي ابعث منها تجميد العقل بل تأليهه ففضيت بالتقدم له على كل شيء في الوجود . وبالف في اكرام رجال العقول من ابنائك .

سلام عليك يا عشيقه الابداع والاختراع . وسابقة الاقران في مضار الانتفاع بما حوت الرباع والبقاع . استخدمت القوى المادية فاجذت استخدامهما . واستثمرت القوى العقلية فابدعت في استثمارها . واحييت حضارات الامم

السافة • وانشأت لك حضارات لا يزال يحسدك عليها اسبق الشعوب الى  
الترقى مهما تقلبت بك الحال • ويحدون في اوضاعك ما ليس يحدونه في اوضاعهم  
من المرونة والجمال •

سلام عليك يا واصمة حقوق الانسان وملقحة الاذهان بالتناغي بحب  
الاوطن والداعية الى ثل عروش الجبارين والمحررين • انت لم ترهبك تقاليد  
ابطال القرون الوسطى • ولا بطش الباطشين من المحافظين عليها • ولم تلقي  
• مسائلك على القضاء والقدر بل اخذت بالاسباب والمسببات فقتلت من  
اراد قتلك • ووضعت من لم يهه رة لك • وكنت للتناهضين من الناس  
خير مثال •

سلام عليك يا معهد المعارف والصناعات بما انشأته من مجامعك العلمية  
ومدارسك الجامعة والكلية • ومجاسنك العامة والخاصة • وجمعياتك  
وتقاناتك لخدمة المدنية والانسانية • ودور تمثيلك ومعاهدانسك ومجامعك •  
ومتاحفك وحدائقك ومكاتبك ومعارضك • وكل ما بدعته افكار ابنائك  
وايديهم ودل على مجد طريف وثالث وتاريخ على جبين الدهر خالد

سلام عليك يا ملقنة الخلق بمعنى الاخاء والحرية والمساواة ليتماشروا  
بالمعروف ويقوم نظام اجتماعهم على تبادل المنافع حتى لا يبقى تمييز في الحقوق  
والواجبات بين المختلفين في الموالد والديانات وقطعت التفاضل الا بالاعمال  
الصالحة والاحلام الراجحة •

سلام عليك يا متشعبة بافكار الحكماء ارضيتهم منهم قانوناً تجريرين عليه  
لسماعتك ولئن حاد بعض ابنائك ببعض الشيء عنها فذلك لان سياسة  
المنافع والمصالح قد تحالف ناموس الحق والعمل الصالح ولان نظام بقاء

الانساب لا قلب له والتنازع في جهاد الحياة كثيراً ما يدعوا الانسان الى ركوب ماتعظله الشرائع الوضعية والساوية ولا سيما في هذه المصور التي يفصل فيها كل عمل على قالب الماديات وما ذلك الا ليقرب البشر بعضهم ويعلموا ان الكمال الآن محال ولعله لا يفوتهم في مستقبل القرون والاجيال .

السلام على هذه العاصمة التي احسنت الى الشرق فيما مضى فعملته حتى استمد منها النور فان قلنا معاشر الشرقيين ولا سيما سكان الشرق الاقرب انا نأخذ عن المدينة الغربية فانما نعني المدينة الفرنسية وبعبارة اصح المدينة التي تبعث اشعتها من باريز ومن طريقها وبلنتها واسلوها تيسر لانا ان نستطلع طلع سائر مدنات الارض .

سلام عليك علمت وعلمت فا احسن العلم والعمل اذا اجتمعا . وما احلى الاخلاص والشعور بالواجب .

سلام عليك سنتت للغرب سنة التضامن والتكافل . والعطف على البائسين والمساكين . والرفق بالضعفاء والمجازين . والاخذ بايدي المقهورين والعائرين . والاتصار للظالمين من الادميين خصوصاً اذا كانوا من طينة اوربية سلام عليك انت العاصمة التي تركت القصور الفخيمة التي عمرت بدماء الامة مباحة للناس يدخلونها وكانت بؤرة المظالم والمغارم . ومنبعث الشهوات والاهواء . ولطالما جارت جوانبها بالدعاء الى السماء من حيف الكبراء ايام كان يوقم احد ملوكها وهو على سريره نومه توقيماً واحداً يترك من الغد مئة الف اسيرة في هذه البلاد تبيت جائعة عريانة ليعمر بما يجمع قصره له او يدفعه لجهنمه صبرة واحدة فلما اضناك الظلم والعنت قتت تيجان من تلك القصور العاقبة متاحف عامة ومن دور الظلم والظلمات مجالس

عدلى وعلم ونور •

سلام عليك خلدت اعمال من خافوا لك هذه المدينة واقتت تماثيلهم  
ونصبتهم موقع الاحترام والاعظام وتوفرت على تكرير اسمائهم على السامع  
كل يوم الوف الالوف من نارت لتجعليهم مهجراً ان يأتي بعدهم من الابداء  
والاحفاد •

سلام عليك يا بلد ذيكارت وكونت وروسو وفولتير وديدرو وسيمون  
ومونتسكيو وهوغو وباسكال ورنان ومثالث اضرابهم من بذلوا حياتهم في  
حسن خدمتك فلم تنس افضالهم عليك بعد مماتهم •

انت ان نجلت من ذكرى الحروب الصليبية وديوان التفتيش الديني  
ومذبحه القديس برتلاوس ومقتل الفيلسوف فيفاقي وجنون نابوليون وغير  
ذلك من الاعمال البربرية في عصور الظلمة فان سكانك يفاخرون وحق لهم  
الفخر بانهم احفاد ثورة سنة ١٧٨٩ قاموا من الاعمال المشكورة في عصور  
النور ما ينسي الماضي الاقله • ان الحسنات يذهبن السيئات •

السلام عليك باريز اجمل عواصم العالم واغني البلاد بدائما الطبيعية  
والصناعية واجمعها لمراتي الراحة والرفاهية • لست انت اليوم عاصمة مئة  
مايون من البشر اربعون في ارضك وستون في المستعمرات بل انت بما  
فيك من المزايا عاصمة معظم الحاققين لاسباب هنالك وصفائك ونعيمك  
ونعمائك وتعدك من بين العواصم بسلامة الذوق وسلامة الابداع ووفرة  
العلماء والباحثين والكتابين والشاعرين والقصاصين • فكل شي في باريز  
مبذول حتي لتعافه النفوس من اقصى ما يتصور الفكر من التفضيلة الى آخر  
ما يحول في خاطر او يحوم خوله خيال

فباريز ولا مرآء جنة ارضية جمع فيها موجودها - استغفر الله -  
 ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر



باريز بعد الغروب

١٠

ان فاخرت باريز بمعارضها التي اقامتها في اوقات مختلفة لتلفت اليها  
 الانظار وتستفيد الفخار والنضار فان لها كل ليلة معارض لا تختلف عن  
 السابقة الا في كون البقعة التي تقوم عليها هذه اوسع مجالاً وأكثر جمالا .  
 يصرف الباريزيون او معظمهم نهارهم في الاستعداد لليلهم وكثيرون  
 لا يعملون الا في الليل وبصرفون النهار في جمع قوامهم وادخار احسن ما عندهم  
 لما بعد الشفق فهم لا يعملون الليل لباساً والنهار معاشاً كما هي عادة معظم  
 الامم بل ان الحركة عندهم تبدأ قبيل الظاهر بطيئة ولا تزال تتمو حتى تغيب  
 الشمس وتطلع بدلها شمس واقمار .

تري للدينة في النهار عابسة مظلمة على كثرة جاداتها الكبرى وشوارعها  
 المغموسة على جانبيها بالاشجار غالباً وطرقها وازقتها وساحاتها العامة وفي هذه  
 الاماكن تشهد بحوالي الحسن والاحسان وما تفتنت في ابداعه العوامل وتناطفت  
 في روائه الافكار والانامل .

على تلك الارصفة تناجي النفس رب التجوى قائلة اللهم هل خلقت  
 باريز من معدن اللطف والظرف لتكون مثلاً من جنة ارضية فخصصت  
 اهلها بالاستمتاع بنعمة الجمال حتى لكأنك شطرته شطرين شطره وقفته على  
 الباريزيات وشطر وزعته على سائر نبات حواء .



ان امتاز القرنيس بالابداع في الصناعات فقد امتازوا ايضاً بنضرة  
الوجوه . والى باريز تحمل هذه الامة ولا سيما في فصل الشتاء افضل  
ما عندها من مجالي الكمال والجمال ايام تكون ام هذه القرى مقصد السائحين  
والمتجربين والطلابين والعالمين والسياسيين والخطابين وتقص دواوينها واداراتها  
وتلتئم مجالسها العلمية والسياسية والاجتماعية .

ويزيد الوجوه بهجة في باريز تفنن القوم في الازياء وتفاهيم في التبرج  
والزينة تفالياً مهما تقدم عند غيرهم لايزالون مصدره ومورده واساؤذته  
وسدنة . ومظاهر الازياء تتجلى سيفي باريز بعد الغروب على الجادات  
والشوارع والطرق والساحات وفي المركبات والسيارات وحوافل الخيل  
والكهرباء والسكك الحديدية فوق الارض وتحتها وفي دور التمثيل ومسارح  
اللهو والطرب ومحال الفرج والحانات والقهوات والطعام والفنادق ويزيدها  
فتنة للناظرين ما اعتاده الباريزيات الامن عصم ربي من ابداء زينتهن لتغير  
المحارم اكثر من ابدائها لبعولتهن وذوي قرباهن وورثنا صواتهن في الكلام  
ريناً فحسبه من مزامير داود وتستطيعه اكثر من تعريد العنديل وهناك  
الفتنة بعينها والفتنة اشد من القتل ونموذ به تعالى من فتنة القلب وفتنة العين  
ولعل هذه المجالي في الحرية المفرطة حملت الكثير من الغرباء على نزول  
باريز ليشهدوا فيها ما لا يشهدونه في غيرها وترجع منهم الليرات بالملايين  
والكرات عملاً بما قاله احد ملوك بروسيا وقد قيل له ليس من اللائق ان  
تضرب ضريبة على محال الاطيشان في الشوارع فقال «الريح لا راحة له»  
وارسلها مثلاً ولذلك يقول الافرنج ايضاً «الغاية تبرز الواسطة» فما دامت  
الغاية التكسب فلا بأس من الاجتهال لتبيله ومن البخل هذا تظهر باريز بعد

الغروب اقصى الغضيلة واقصى الرذيلة والناس معها وما يختارون  
بعد الغروب تحمى في باريز لندية الخطابة والمحاضرة والعلم وتلقى فيها  
من القوائد ما يبلغ الاذهان عتياً صفواً ويفيض معين البيان ويبدو حذق  
يد الانسان ويسمي العالم الى تعليم الجاهل في ساعة ماتعب في احضاره الايام  
والاعوام فائدة الخطب والمباحثات . معروضة . ودروس الفضائل  
عامة موروثة .

بعد الغروب يعمل معظم الكاتين كتبهم والشاعرين اشعارهم والمؤلفين  
مؤلفاتهم والمترعين اختراعاتهم . الصانعين صناعاتهم كأن الافكار لا تنطلق  
من عقالمها ولا يدي لا تحذف اعمالها الا عند ماترقه . عيون البشر او كأن الزهرة  
ربة الجمال لا تحب ان تملي على من هم احوج الناس الى ظلمتها الا من الليل  
ككوكب الزهرة لا يبدو في مطلع الافلاك الا مع الدجى . ولذا يحرص اهل  
باريز ان يحملوها بعد غروب الشمس بجمع الانس وريحانة النفس

وكان الباريزيين وهم العارفون بتقسيم الاعمال عنز عليهم ان تمضي  
ساعة في بلدهم بتقطع فيها الماملون عن اعمالهم فخصوا النهار ببعض الصنائع  
والتجار والعملة والامالات والليل بالمفكرين والمفكرات والمؤنسين والمؤنسات  
والفنيين والمفنيات والمثليين والمثليات . حتى لا تنقطع حركة ولا يقف  
دولاب عمل وكان بذلك الحظ الاوفر للفرزاه فلا يدخل على الغريب ملل  
من تتيب المشاهد ولا يفتأ من الفجر الى الفجر ان احب يستمتع بالمشاهد الجميلة  
ويتعلم ويأنس ويتنزه

يقول الباريزيون ان بلدهم مبارك على الغريب اكثر منه عليهم وانهم  
مضطرون ان يواصلوا السير بالنسرى ويكدهوا الليل والنهار ولكن هذا قول

من ملك شيناً فزهد فيه والروح حرتاح الى التثقل امة الشرقي الذي يري  
اهل ياريز ويغظهم على اكثر ما يبروه لراحتهم ورفاهيتهم فانه يحب لمن يساكنهم  
زمناً كيف ترضى نفسه ان يختار عن ياريز بلداً كما يحب لاهلها كيف لا يامفون  
على مفارقة الحياة اضعاف اضعاف ما يأسف غيرهم عليها ومن قال بان دواعي  
الراحة تطيل حبال الآجال يستمظم على اهل ياريز لم يعصروا اكثر من عامة  
الخلق وعندهم النعيم المقيم والخير العميم

### الرسالة العذراء (١)

في موازين البلاغة وادوات الكتابة كتب بها ابو اليسر ابراهيم بن محمد بن المدير

بسم الله الرحمن الرحيم

فقدى الله بالحكمة ذهنك ، وشرح بها صدرك وانطق بالحق لسانك ، وشرف به  
بيائك ، وصل الي كتابك العجيب الذي استنعمتني فيه بمجموع كلك جوامع اسباب  
البلاغة ، واستكشفتني عن غوامض آداب ادوات الكتابة ، سألني ان أقف بك  
على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته ، وحدود فخامة المعنى وجزائته ، ووشاقة نظم  
الكتاب ومشاكلته سرده ، وحين اقتاحه وختمه ، وانتهاه فصوله ، واعتدال وصوله ،  
وسلامتها من ازل ، وبمدحها من الخطل ، ومتى يكون الكتاب مستحقاً أسم الكتابة ،  
والبلغ مسأله معاني البلاغة ، في اشارته ، واستعارته ، والى اي ادواته هو احوج ،  
وبأي آلامه هو اعمل اذا حتمت الحق ودعي الى السبق ، وفهمته وانا راسم لك  
ايدك الله من ذلك ما يحجم أكثر شرائطك ، ويمبر عن جملة سؤالك ، وان طولت  
في الكتاب وعرضت واطنبت في الوصف واسهيت ، ومستقص على نفسي في الجواب على

(١) منقولة من مجموع قديم من كتب الشيخ طاهر الجزائري وهي مما كتب فيما مضى

سيف القرن الرابع او الخامس

قدر استقصائك في السؤال ، وان اخل به التيات الحال ، وسكون الحركة ، وفنور  
التسلط ، وانتشار الروية بوقسم الفكر ، واشتراك القلب ، والله المستعان  
اعلم ايده الله ان ادوات ديوان جميع المحاسن والآلات المتكامل طاعة متفاداة لهذه  
الصناعة التي خطبتها وتالية تابعة لها وغير خارجة الى مجد احكامها ولا دافعة لما يلزمها  
الاقرار به لما اغتراراً منها اليها وعجزاً عنها فاق نقاضتك نفسك عليها ونازعتك همتك  
الى طلبها فلتعذ البره ن دليلاً شاهداً والحق اماماً قائداً يقرب مسافة ارتيادك ويسهل  
عليك سبل مطالبتها واستووب الله توفيقاً تستبج به مطالبك ، واستمنحه رشداً يقبل  
اليك بوجه مذهبك . فاقصد في ارتيادك . وتامل الصواب في قولك وفعلك .  
ولا تسكن الى جمود قصد السابق بالحاج ولا تخرج الى افعال حق المصيب بالمعانة  
والانكار ولا تستغف بالحكمة ولا تصغرها حيث وجدتها فترحل نائرة عن  
مواطنها من قلبك وتظلمن شاردة عن مكانها من بالك . وتتعنى بعد العمارة من قلبك  
آثارها وتطمس بعد الوضوح اعلامها واعلم ان الاكتساب بالتعلم والتكلف وطول  
الاختلاف الى العلماء ومدلوسة كتب الغلكاء فان اردت خوض بجوار البلاغة وطلبت  
ادوات الفصاحة تصفع من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ومن رسائل المتأخرين  
ما ترجع اليه في تجميع ذلك . واستبحاح بلاغتك . ومن نوادر كلام الناس ما  
تستعين بهومين الاشعار والاختيار والسير والامام ما يتبع ؛ منطقتك . ويعذب به لسانك  
ويطول به فمك . وانظر في كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب ومعاني  
العجم وحدود المنطق وامثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم وسيرهم ومكايدهم  
في حروبهم بعد ان تدرج في علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والشروط ككتب  
السجلات والامانيات فانه اول ما يحتاج اليه الكاتب ومهم في تزج آي القرآن في مواضعها  
واجتلاب الامثال في امكانها واختراع الالفاظ الجزلة وقرض الشعر الجيد وعلم  
الغروض . فان تضمن المثل السائر والبيت الفايه مما يزين كتابتك ما لم تجاخط خليفة  
او ملكاً جليل القدر فان اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء والجملة الرؤساء عيب  
واستعجان للكتب الا ان يكون الكاتب هو القارض للشعر والصانع له فان ذلك مما يزيد  
في أهنته ويبدل على براعته . وان شذوت من هذه العلوم ما لا يشغلك محله . وتنفبت  
من هذه الفنون ما تستعين به على ابطالة فمك . وتقوم اوديانك  
بعد ان يكون الكاتب صفيح القريحة . حلو الشائل . عذب الالفاظ . دقيق

الفهم حسن القامة . بعيداً من الغداة خفيف الروح . حاذق الحس . محكماً بالتجربة .  
عالمًا بجلال الكتاب والسنة وحرامها . وبالملك وسورها وإياها . وبالعمور في تقلبها  
وتداولها . مع براعة الادب . وتأليف الاوصاف . ومشكلة الاستعارة . وحسن الاشارة  
وشرح المعنى بمثله من القول حتى تنصب صوراً منطقية تعرب عن نفسها . وتدل على  
أعيانها ، لان الحكماء قد شرطوا في صفات الكتاب طول القامة . وصغر الامة . وخفة  
الهازم . وكشافة اللحية . وصدق الحس . ولطف المذهب . وحلاوة الشمايل  
وملاحة الزي . حتى قال بعض المهالبة لولده : تزيا بزي الكتاب فان فهم ادب  
الملك وتواضع السوق

وخطب كلاً على قدر ابيه ، وجلاته ، وعلوه وارتفاه . وتقطنه وانباهه .  
واجعل طبقات الكلام على ثمانية اقسام فاربعة منها للطبقة العالوية واربعة دونها ولكل  
طبقة منها درجة ولكل قسمة حظ لا يتسع للكتاب البالغ ان ينهر باهلها عنها .  
ويقلب معناها الى غيرها فالطبقة العليا الخلافة التي اعلى الله شأنها عن دوائها باحد  
من ابناء الدنيا في التعظيم والتوقير والمخاطبة والترسل . والطبقة الثانية الوزراء والكتاب  
الذين يخاطبون الخلفاء بمقولهم والسنتهم . ويرتدون الفتوق بأرائهم ويحسمون بأديهم  
الثالثة امراء ثغورهم وقواد جيوشهم . يخاطب كل امرئ منهم على قدره وبما حمل  
من اعباء اموره . وجلائل اعمالهم . الطبقة الرابعة القضاة فانهم وان كان لهم تواضع  
العلماء وحلية الفضلاء فمعهم أبهة السلطنة وهيبة الامراء

اما الطبقات الاربع الاخر فالملك الذين اوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب  
وافضالهم تفضيلهم فيها . والثانية وزراءهم وكتائبهم واتباعهم الذين بهم تفرع ابوابهم  
وبعنايتهم تستاح امواهم والثالثة هم العلماء الذين يجب توقيرهم في الكتب لشرف العلم  
وعلو درجة اهلهم . الرابعة لأهل القدر والجلالة والظرف والحلاوة والعلم والادب  
فانهم يضطرونك بمدة اذهانهم وشدة تمييزهم وانتقادم الى الاستقصاء على نفسك في  
مكاتبتهم . واستغنيا عن الترتيب للتجار والسوقة والعوام رتبة لاستغنائهم بجهارتهم عن  
هذه الآلات واشتغالهم بجهانتهم عن هذه الادوات ولكل طبقة من هذه الطبقات  
معان ومذاهب يجب عليك أن تراها في مراسلتك اليهم في كتبك وتزن كلامك  
في مخاطبتهم بميزانه وتمطيه قسمة وتوفيه نصيبه فانك متى اخضت ذلك لم آمن بك  
ان تعدل بهم غير طريقتهم وتجرى شعاع بلاغتك في غير مجراه وتنتظم جومرك كلامك

في غير سلكه فلا يفيد المعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً جزلاً لا اتفاقاً بين كاتبه ومشابه  
 ابن راسلته . وان الباسك المعنى واب شرف وصلح لفظاً مختلفاً عن قدر المكتوب  
 اليه لم يجر به عادتهم تهجين للمعنى واخلال بقدره وظلم لحق المكتوب اليه ونقص مما  
 يجب له كما ان في امتناع تعارفهم وما انتشرت به عادتهم وجرت به سنتهم وضعاً للقدم  
 وخروجاً من حقوقهم . وبلوغاً الى غير غاية مرادهم واخطاً لحجة أدبهم ضمن الالفاظ  
 المرغوب عنها والصدور المستوحش منها في كتب السادات والامراء والملوك على اتفاق  
 المعاني مثل ابقاك الله طويلاً وعمرك ملياً وان كنا : لم انه لافرقان بين قولهم أطال  
 الله بقاءك وبين قولهم ابقاك الله طويلاً ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً وانه قدراً  
 في مخاطبة الملوك كما انهم جعلوا اكرمك الله وابقاك احسن منزلة سيفي كتب الطرفاء  
 والادباء من جعلت فداك على اشتراك معناه واحتماله ان يكون فداً من الخير كما يكون  
 فداً له من الشر ولولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن ابى وقاص فداك  
 ابى وامى لكرهت ان يكتب بها احد على ان كتاب الصكر وعوامهم قد اولعوا بهذه  
 اللفظة حتى اسمعوا في جميع محاوراتهم وجعلوها هجيراً في مخاطبة الشريف والوضيع  
 والصغير والكبير ولذلك قال محمود الوراق

كل من حل سر من رامن النا س وعن يصاحب الاملاكا

لورأى الكلب مائلاً في طريق قال للكلب يا جعلت فداك

وكذلك لم يجيزوا ان يكتبوا بمثل ابقاك الله وامنع بك الا الى الحرمة والاهل والتابع  
 والمقطع اليك واما في كتب الاخران فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه . ولذلك كتب  
 عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات

أحلت عماما عهدت من أدبك ام نلت ملكاً فتحت في صكتك

ام هل ترى ان في التواضع للاخ وان تقصاً عليك سيف حبيبك

اتعبت كيفك سيفي مكانتي حبيبك مما يزيد في تعبك

ان جفاء كتاب ذي أدب يصكتب في صدره وامنع بك

فكتب اليه محمد بن عبد الملك

انكرت شيئاً فلست فاعله

فانفدتك النفوس عن رجل

كيف اخون الاخاء يا ملي

فلن تراه يحض سيفك

يعيش حتى المات في ادبك

وكل شيء انال من سببك

ان يك جهلاً اناك من قبلي فعد بفعل علي في أدبك  
واما صدور السلف فلما كانت من فلان بن فلان الى فلان كذلك جرت كتب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الى العلاء بن الحضرمي وإلى اقبال الجمن وإلى كسرى وقيصر وكتب  
اصحابه والتابعين كذلك حتى استغص السكتاب هذه المحدثات من بدائع الصدور  
واستبطوا لطيف الكلام ورتبوا لكل رتبة وجروا على تلك الدنة الماضية الى عصرنا  
هذا في كتب الخلفاء والامراء وثبتوا على ذلك المنهج في كتب الفتوحات والامانات  
والسجلات ولكل مكتوب اليه د ر ووزن ينبغي للكتاب ان لا يتجاوز به عنه ولا يقصر  
به دونه . وقد رأيتهم عابوا الأخص حين خطب الملوك بمخاطبة العوام في قوله

واراك تفعل ما نقول وبهضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل  
فهذا معنى صحيح في المدح ولكنهم أجابوا اقدار الملوك ان يمدحوا بما يمدح به  
العوام لان صدق الحديث وانجاز الوعد وان كان مدحاً فهو واجب على كل والملوك  
لا يمدحون بالفروض الواجبة وانما يحسن مدحهم بالثواب لا بالمدح لو قال لبعض  
الملوك انك لا تزني بحليلة جارك وانك لا تخون ما استودعت وانك تصدق في وعدك  
وتفي بمهدك كان قد اتى بما يجب ولكن لم يصل بهاته الى مقصده وقال ما لا يستحسن  
مثله في الملوك

ونحن نعلم ان كل امير تولى من امور المؤمنين شيئاً فهو امير المؤمنين غير انهم لم  
يطلقوا هذه اللفظة الا للخلفاء خاصة ونعلم ان الكيس هو العقل اذا عنوا به ضد الحق  
ولكنك لو وصفت رجلاً فقلت : ان فلاناً لعاقل كنت قد مدحته عند الناس ولو قلت  
انه كيس كنت قد قصرت في وصفه وقصرت به عن قدره الا عند اهل العلم بالآلة لأن  
العامية لا تلتفت الى معنى الكلمة الا الى حيث جرت من العادة في استعمالها في الظاهر  
مع الحدثة والعزة وخساسة القدر وصغر السن فقد روي عن علي رضي الله عنه انه  
يبيع بالكيس حين يبي الكوفة وقال :

اما تراني كيساً مكيساً

بيت بعد نافع عيسى

حصناً حصيناً واميراً كيساً

وقال آخر : ما يصنع الاحق المزوق بالكيس ونعلم ان الصلوة وحج ذيرانهم قد  
حرموها الا على الاقياء كذلك روي عن ابن عباس (رضه) وسمع سعد بن ابي وقاص  
أخاه ليالي ويقول : يا ذا المارج فقال نحن نعلم انه ذو المارج ولكن ليس كذلك كنانلي  
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كنا نقول : ليك اللهم ليك وكان ابو ابراهيم

الزني قال في بعض ما طالب به داود بن علي خائب الاصبهاني فقال : وان قال كذا فقد خرج من الملة والحمد لله فانتقد عليه ذلك داود وقال : تحمد الله علي ان يخرج مسلماً من الاسلام هذا موضع استرجاع ولحمد مكان يليق به ونحن نقول على المصيبة ان الله وانا اليه راجعون .

فامثل هذه الرسوم والذهاب واجر على آدابهم فلكل رسوم امتثالها وتحفظ في صدور كتبك وفصولها واقتسامها وخاتمتها وضع كل معنى في موضع يليق به وتخير لكل لفظة معنى يشاكلها وليكن ما نختتم : فصولك في موضع ذكر الشكوى بمثل والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل . وفي موضع ذكر البلى نسال الله دفع المحذور ونساء الله صرف السوء وفي موضع ذكر المصيبة بمثل ان الله وانا اليه راجعون . وفي موضع ذكر النعم بمثل والحمد لله خالصا والشكر لله واجبا . فانها مواضع ينبغي للكاتب تفقدها فانما يصحون كتابا اذا وضع كل معنى في موضعه وطلق كل لفظة على طبقها من المعنى فلا يجعل أول ما ينبغي له ان يكشف في آخر كتابه في أوله ولا أوله في آخره فاني سمعت جعفر بن محمد الكاتب يقول : لا ينبغي للكاتب ان يكون كاتباً حتى لا يستطيع احد ان يؤخر اول كتابه ولا يقدم آخره . واعلم انه لا يجوز في الرسائل ما آتى في آي القرآن من الايصال والحذف ومخاطبة اخص بالعام والعام بالخاص لان الله سبحانه وتعالى انما خاطب بالقرآن اقواماً فخصاء فهموا عنه جل ثناؤه امره ونهيه ومراده والرسائل انما مخاطب بها قوم دخلوا على اللغة لا علم لم بلسان العرب وكذلك ينبغي للكاتب ان يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملائس فانه ان ذهب على مثل قوله تعالى واسأل القرية واسأل الميريل مكر الليل والنهار احتاج ان يبين بل مكرهم بالليل والنهار ومثله في القرآن كثير

ولا يجوز في الرسائل ما يجوز في الشعر لان الشعر موضع اضطرار فاغترروا فيه الاغراب وسوء النظم والتقديم والتأخير والاضمار في موضع الاظهار فن الحذف قول الطيئة « من صنع سلام » يريد سليمان بن داود وكقول الآخر « والشيخ عثمان ابو علقم » وكقول الآخر

وسائلة بهلبة بن سير - وقد علقت بشعبية العلو

اراد ابن سيار وكقول النابغة « ونسج سليم كل قضاء زائل » يريد سليمان وكذلك ينبغي في الرسائل ان لا يصر الاسم موضع التعظيم وان كان ذلك جائزاً على مثل قولهم دعية وجذيل وعزيق . وبما لا يجوز في الرسائل كلت اياك واعني اياك واساءة النظم



في التأليف في الشعر كثير وتكون الكلمة بشمة حتى اذا وضعت موضعها وقرنت مع اخواتها حسن حالها وراقت كقول الحسن بن هاني  
 « ذو حضرا قلت من كد القبل » والكلمة قلقة لاسيما في الرقيق والفرزل والنشيب  
 غير انها لما وقعت في موضعها حسنت كما ان اللفظة العذبة اذا لم توضع موضعها  
 نفرت قال :

رأت طارضا جونا فقامت غريرة بمسحاتها قبل الظلام تبادره  
 فواقع الجانب الجاني هذه اللفظة غير موقعها وظلما اذ جعلها في غير مكانها لان  
 المساحي لا تكون ولا تصلح للغرائز وان كان عن قول الشاعر  
 غرائز ما حدثن يهدين انسة فما فوقه منهن غير غرائز  
 حديث وان العمم تدعى به ات ودون يد الفحشاء حد البواتر  
 فغير من الانفاظ ارجحها وزنا، واجزها معنى، واليقا في مكانها، وليكن في صدر  
 كتابك دليل واضح على مرادك واقتناح كلامك برهان شاهد على مقصدك حيثما جريت  
 فيه من فنون العلم ونزعت فجوه من مذاهب الخطب والبلاغات فان ذلك اجزلا لمنناك  
 واحسن لاتساق كلامك ولا تطيلن صدر كلامك اطالة تخرجه من حده . ولا  
 تقصر به عن حقه . ولو صور اللفظ وكان له حد لوقفنك عليه غير انهم في الجملة كرهوا  
 ان يزيدوا سطور كتب الملوك على سطرين وهذه اشارة لا تعبر الا عن الجملة من  
 المقصود اليه لان الاسطر غير محدودة

واعلم ان اول ما ينبغي لك ان تصلح آلتك التي لا بد لك منها وادواتك التي لانتم  
 صناعتك الابهاء وهي دواتك فابدأ بعمارتها واصلاحها وتغييرها ليقية نقيه من الشعر  
 والودح ثلاثا يخرج على حرف قلبك ما يفسد كتابك ويشغلك بتقنيته وخذ من المداد  
 الفارسي خمسة دراهم ومن الصمغ العربي درهما وعصفا مسحوقا نصف درهم ورماد  
 القراطيس المحرق درهمين ثم تسحقها وتفرلها وتجمعهما ببياض البيض ثم يندفها واجعلها  
 في الظل فاذا احتجبت اليها اخذت منها مقدار حاجتك فكسرت به وحشوت به دواتك  
 واذا نعتته في ماء السلق حتى يغل ويدوب ويختم ثم امدوت من مائه دواتك كانت  
 اجود وانتي ثم اختبر بد ذلك من انابيب القلم الذي يصلح لكتابة القراطيس اقله عقدة  
 واكثره لحما واجلبه قشرا واصدله استواء ونجيب الاقلام الفارسية ما استطلعت فانها ما  
 تصلح الا للكواغد والرقوق

واجعل تلك زيادة حادة فان تعثريد الكاتب وقت قطع القرطاس ناقص مروءته  
وعمل بظرفه وان قدرت ان لا تقطع القرطاس اذا فرغت من كتابك الا بخرطوم قلمك  
فانسل فان ذلك اكمل لمروءتك وابدع لظرفك وقطعك

واستعمل ليري القلم سكيناً طواويساً مذلق الحدوميض الطرف فيكون ذلك  
عوناً لك على بري اقلامك فان عمل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس ولئن قيل  
كأن الرمح الرديني فقد قال الكاتب كأنه القلم البحري . ونفذ الانبوبة قبل بريكها لثلاث  
تجعلها منكوسة وابرها من ناحية نبات القصبه وأرهف ما قدرت جانبي تلك ليرد ما  
انتشر من المداد ولا تغل شقه فان القلم لا يبيع المداد من شقه الا مقدار ما احتملت  
شبهه فارفع شبهته ليجمعها لك حواشي تحضيره واما قط القلم فعلى قدر القلم الذي يتعاطاه  
الكاتب من الخط غير ان المسهل لا يكاد يتسلسل الا بالقلم المربع القطع كما ان كتب  
الملوك والسجلات لا تحسن الا بالقلم المخرف الكوفي واما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه  
والمقهود اليه في التواضع والمهات

ورأيت كثيراً من الكتاب يختارون قلم الترجس لجمده وتجانسه ومن اللازورد  
ابسط منه واقوم حروفاً واما الموشع والمولع والمديج والتمتم والمسهم فعلى قدر رشاقة  
خط الكاتب وحلاوة قلمه واما حسن الخط فلا حد له قال علي بن زيد الصهراني الكاتب  
اعلمك الخط في كلمة واحدة لا تكتب حرفاً حتى تفرغ بمجهودك في كتابة الحرف المدود  
به وتعمل في نفسك انك لا تكتب غيره حتى لا تجعل عنه الى غيره . واماك والنقط  
والشكل في كتابك الا ان تمر بالحرف المضلل الذي تعلم ان المكتوب اليه بهجز عن  
استخراجه فلأن يشكل علي الحرف احب الي من ان يعاب بالنقط والاعجام . وقال  
المأمون لكتابه اباي والوتيز في كتبكم يعني النقط ولذلك قال ابن هاني

لم ترض بالاعجام حين كتبكم حتى كتبت السب بالاعراب

ولا تغفل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فقد قال ابو العيناء ان بني أمية  
م الذين كانوا امروا كتابهم فطرحوا ذلك من كتبهم فخرت عادة الكتاب الى يومنا  
هذا على ما سنوه . وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تجعلوني كتدح الركب ولكن  
اجعلوني في اول الدماء واوسط . وآخره صلى الله عليه وعلى آله وسلم اولاً واوسطاً وآخرأ  
واح ان تجعل بدل الاشارة التراب فان النبي صلى الله عليه وسلم قل أنزبوا  
كتبكم فانه انصح لمجاجة ولا تدع التاريخ فانه يدل على تحقيق الاخبار وقربها وبجدها

وانظر الى ماضي من الشهر وما بقي منه فان كان الماضي اقل من نصف الشهر قلت لكدا  
ليلة مضت من شهر كذا وان كان الباقي اقل من النصف قلت لكدا ايضا بقيت وقد  
قال بعض الكتاب ان الماضي من الشهر ان تقصيه والباقي لا تقصيه لانك لا تدري  
ايتم الشهر او ينقص وليس هذا بشيء لان تاريخ الكتاب ليس من الاحكام في شيء  
وما على الكاتب ان يكتب الا بما ظهر وتبين لا بما يظن

ولا تجعل سعاة كسبك غليظة الا في المهود والسجلات التي تحتاج الى خواتمها  
وطوبها فان محمد بن عيسى الكاتب كاتب آل طاهر اخبر عنهم ان عبد الله بن طاهر  
كتب الى العراقي في اشخاص كاتب كان كتب اليه فكتب وظل سعاة كتابه فرد  
الكتاب اليه فقدم عليه راجيا لبره وجازته فقال عبد الله بن طاهر ان كان ممك مسعاة  
فاقطع خزم كتابك وانه رف وراك وكذلك لا تعظم الطينة في المثل من عظم الطينة  
فانه مظلوم ولا تطعها الا بعد عنوانها فان ذلك مرادهم وقد يجب عليك علم الصافي  
القرطيس ومحوها ولم ار شيئا في الصافي الطيف من ان ينقع الصمغ العربي في الماء ساعة  
حتى يذوب ثم يلقى به وكذلك ماء الكثير والنشاستج ثم تطويه طيا رقيقا وتجعله سيف  
معدل نظيف ويرفع تحت وسادة حتى يجف واما محوها فعلى قدر لطف الكاتب وتأنيه  
غير أنه ينبغي له ان لا يقطع السواد من القرطاس الا بشر الشع المسخن واللبان  
المضغ وما اشبهها ثم يكون انقطه رويدا رويدا كما لقط جانبك حوله الى الجانب الآخر  
واما قراءة الكتب المختومة والتالطف لنقص خواتمها فما لا نذكره خوفا من سفيه

واما تصنيف الاسرار حتى لا يقرأها غير المكتوب اليه ففيه أدب وقد تعلق العامة  
بالقصي والاصبهاني فيجب ان يدل الحروف تبدلا يخفى والطف من ذلك ان تأخذ لبنا  
طيبا فتكتب به في قرطاس فيذر المكتوب اليه عليه رمادا حارا من رماد القرطاس  
فانه يظهر وان كتب بماء الزاج وذرا عليه العفص المدقوق بجاز او بماء العفص وذرا  
عليه شيئا من الزاج او بنقم شيئا من وشق ثم تكتب به ثم تثر عليه الرماد فانه يظهر  
وان احببت لا يقرأ بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة وان حاولت صنعة رسالة  
او انشاء كتاب فون اللفظة قبل ان تخرجها بميزان الشعر يف اذا عرفت والكلمة  
بعبارة اذا نسخت فربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام اذا حسب انا فاعل احسن  
من أنا افضل واستفعلت أحلى من فعلت

وأدر الالفاظ في اما كتبها واعرضها على معانيها وقلها على جميع وجوهها حتى تتع

موقعا ولا تجعلها قلقة نائرة فهي صارت كذلك هجنت الموضع الذي اردت تحسينه واعلم ان الالفاظ في امالكها كترقيق الثوب الذي اذا لم تتشابه رقاؤه تغير حسنه قال الشاعر:

ان الجديد اذا ما زيد في خلقي تبين الناس ان الثوب مرقوع

وارتد لكتابتك فراغ قلبك وساعة نشاطك فنجدها ما يمتنع عليك بالنكد والتكلف لان سماحة النفس يكثرونها وجود الازهان يكثرونها انما هو مع الشهوة المترطبة في الشر والحبّة الغالبة فيه او الغضب الباعث منه ذلك . قيل لبعضهم لم لا نقول الشعر قال : كيف اقله وانا لا اغضب ولا اطرب . وهذا كله ان جريت من البلاغة على عرق وظهرت منها على حظ فاما ان كانت غير مناسبة لطبعك ولا واقعة شهوتك عليها فلا تضي مطيتك في التماسها ولا تثمب بدتك في ابتغائها واصرف عنائك عنها ولا تطمع فيها باستمارتك الفاظ الناس وكلامهم فان ذلك غير مترك ولا يبعد عليك ومن كان مرجعه فيها الى اغتصاب الفاظ من تقدم والاستغناء بكوكب من سبقه وسحب ذيل حلة غيره ولم يكن معه أداة تولد له من بنات قلبه ونتائج ذهنه الكلام الحر والمعنى الجزل فلم يكن من الصناعة في غير ولا تفير

على ان كلام الغذاء المطبوخين ودرس رسائل المتقدمين على كل حال مما يفتق اللسان ويوسع المخطى ويشهد الطابع ويستثير كواهنه ان كنت فيه بحجة قال العتابي: ما رأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم وجرينا فيه من صنوف الادب شيئا اصعب مرانا ولا اوعر مسلكا ولا ادل على نقص الرجال ورجاحتهم وأصالة الرأي وحسن التمييز منه واختياره من الصناعة التي خطبتها والمعنى الذي طابته وليس شيء اصعب من اختيار الالفاظ وتصدك بها الى موضعها لأن اللفظة تكون اخت اللفظة وتسميتها في الفصاحة والحسن ولا يحسن في مكان غيرها وتقييده هذه المعاني ومناسبة طابعها بها بدتها ومشاكل ارواحهم جعلوا الكتابة نسبا وقراءة واوجبوا على اهلها حفظها

سهل بن وهب: الكتابة نفس واحدة تجزأت في ابدان مفترقة ومن لم يعرف فضلا وجهل اهلها وتعدى بهم رآيتهم التي وصفهم الله بها فانه ليس من الانسانية شيء . هـ . قالت البرامكة : رسائل المرء في كتبه دليل على عقله وشاهد على غيره قال الشاعر :  
وتشكروا المرء سيفا لحظ عينه وتعرف عقل المرء حين تكاتبه

آخر :

وشعر الفتي يدي غريزة طبعه وبالكذب يدو عقله وبلاغته

الشعبي : يعرف عقل الرجل اذا كتب وأجاب . العتيبي : عقول الناس مدونة في كتبهم . ابن المقفع : كلام الرجل واند عقله . وشبهت الحكماء المعاني بالذرات والالفاظ بالمعارض فاذا كسا الكاتب البليغ المعنى الجزل لفظاً رائقاً واطاره مخرجاً سبلاً كان للقلب احلى وللصدر املى ولكنه بقي عليه ان ينظمه في سلكه مع شقائقه كالؤلؤ له المنثور الذي ينولى نظمها الحاذق والجوهري العالم يظهر بإحكام الصنعة له حسناً هو فيه ومنحة بهجة هي . كما ان الجاهل اذا وضع بين الجوهريين خرزة هيمن نظمها واطفاً نوره . كان حبيب بن أوس ربما وقم على جوهرة فجعلها بين برتين قال الشاعر :

ولو قرنت بدر فخر خرزاً من الزجاج لقلنا بشما نظماً

والياقوت حسن وهو في جيد الحسنة احسن وكذلك الشعر الجيد موزون ولكنه من افواه العظام آتق والتاج الشريف بهي المنظر وهو على الملك أبهى كما قال ابن الرقيات « يمتد التاج فوق مفرقه » قال ابو العتاهية لابن منذر : بلغني انك تقول الشعر في الدهر والقصيدة في الشهر فقال نعم لو رويت لنفسي ان اؤلف بتأليفك واقول ياغب يادرة الفواص ثلثت في اليوم واليلة الف قصيدة قول عمر بن لجا الشاعر : انا شعر منك قال : ولم قال : لانك تقول البيت وابن عمه وانا اقول البيت واخاه

فان منيت بحب الكتابة وصناعتها والبلاغة وتأليفها وجاش صدرك شعر مقيود اودعتك نفسك الى تأليف الكلام المنثور وتبها لك نظم هو عندك معتدل وكلام لديك متسق فلا تدعونك الثقة بنفسك والعجب بتأليفك ان تهجم به على اهل الصناعة فانك تنظر الى تأليفك بعين الوالد لولده والعاشق الى عشيقه كما قال حبيب :

ويسىء بالاحسان غناً لا كمن هو بائس وبشعره مفتون

ولكن اعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء عز وجا بغيره فان اصفا اليه واذنوا له وشخصوا بالابصار واستمادوا وطلبوه منك وامتزج فأكدر من تلك الرسالة والخطبة والشعر اسمه وانسيه الى نفسك وان رأيت هذه العيون مصرفة والقلوب عنه واهية فاستدل به على تخلفك عن الصناعة وتقصارك عنها واسترب رأيك عند رأي غيرك من اهل الادب والبلاغة فقد بلغني ان بعض الملوك دعا اشدانا الى مؤانسته حتى ارتفعت الحشمة رينها فخرج له كتاباً قد غشاه بالجلود وجمع اطرافه بالابر يسم وسوى ورقه وزخرف كتابه وجعل يقرأ عليه كلاماً قد حبره فيه ونقشه عند نفسه وجعل يستحسن مالا يحسن ويقف على ما ينقل قراءه حتى اتى على الكتاب فقال له كيف رأيت ما قرأت عليك

فقال ارى عقل صانع هذا الكلام اكثر من كلامه فظن له ولم يعاوده الى أن وقف  
 به على ثور مجبور ثم قذف بالكتاب في النار وهذا رجل في عقله مضلة وفيه تمييز  
 وانما اليلة فيمن اذا دبت له سوء نظمه واختياره ووقفه على مخانة لفظه هجره  
 وعاداك فاجعل هذا الاصل ميزانا تزن به مذهبك في رسائله وبلاغتك ولا تخاطبن  
 خاصا بكلام عام ولا عام بكلام خاص ففي غايت احداهما بشير ما يشاكله فقد اجريت  
 الكلام غير مجراه وكشفته وقصدك بالكلام الشريف للرجل الشريف تنبيه لقدر  
 كلامك ورفع لمرجته قال :

فلم امدحه تقنيا لشعري ولكني مدحت بك المديحا

فلا تخرجن كلمة حتى تزنها بيزانها فنعرف تمامها ونظامها وواردها ومصادرها ونحب  
 ما قدرت الالفاظ الوحشية وارتفع عن الالفاظ السخيفة واقتضب كلاما بين الكلامين  
 الجاحظ : ما رايت قوما مثل طريقة في البلاغة من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا  
 من الالفاظ ما لم يكن متوجها وحشيا ولا سافطاسوقيا : وقال خالد بن صفوان : ابلغ  
 الكلام ما لا يحتاج الى كلام واحد . ما لم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المخذج  
 الذي صحت مبادئه وحسنت معانيه ودار على السن القائلين وخف على اذان السامعين  
 ويزداد حسنا على بحر السنين بجمالية الرواة وتقنية السراة والكتاب المستحق اسم الكتابه  
 والبلغ المحكوم له بالبلاغة من اذا حاول صنعة كتاب سالت على قلبه عيون الكلام من  
 يذيعها وظهرت من معادنها وتذرب من مواطنها عن غير استكراه ولا اغتصاب

حدثنا صديق المعتابي قال له : اعلم لي رسالة واستمده مرة بعد اخرى فقال له : ما ارى  
 بلاغتك الا شاردة فقال له المتعابي : لما تناوت القلم تداعت علي المعاني من كل جهة  
 فاحسبت ان اترك كل معني يرجع الى موضعه ثم اجتني لك احسنها . املي يزيد بن عبد الله  
 اخو دينار على كاتب له واجعل عليه الاملال فتعثر قلم الكاتب عن تقييد اماله فقال  
 متحرشا : اكتب يا حمار فقال الكاتب : اصلى الله الاميرانه لما هطلت شآبيب الكلام  
 وتداقت سيوله على حرف القلم كل القلم عن ادراك ما وجب عليه تقييده فليتك  
 الامير عذري فكان جوابه ابلغ من بلاغة يزيد . وكلما احولى الكلام وعذب ورق  
 وسهل مخارجه كان اسهل ولو جاك في الاسماع واشد اتصالا بالقلوب وأخف في الانواء  
 ولا سيما اذا كان المعنى البديع مترجما للفظه موقن شريف ومعبرا بكلام مؤلف رشيق  
 لم يشته التكلف يمسسه ولم يفسده التعقيد باستهلاكه كقول ابن ابي كريمة

قفاه وجه حسن والذي قفاه وجه يشبه الشمس  
فهجن المعنى بشعر يخرج الحروف واخذ الحسن بن هاني فسهله وقال « هذا حسن  
الوجه حسن قفاكا » وكلاهما من حسان حيث يقول :  
قفاك احسن من وجهه وأمك خير من المنذر  
وانظر الى سلاسة الحسن بن سهل حيث قال :  
شربت بل لنت بل قابلت ذاك بهذا فانت لا شك فيك السهل والجبل  
وكتب عيسى بن لمبة كتابا الى بعضهم فعقد كلامه وجاز المذار في التطلع  
فوقع له

اني يكون بلغا من اسمه كان عيا  
وثالث الحرف منه اذا كفت مسيا

ودخل كاتب علي مريض فوجده ين تخرج من عنده فوجد طائرا يقال له الشخانين  
بباب الطاق فاشتره وبعث به اليه وكتب كتابا يتطلع فيه ويذكر انه يقال له الشخانين  
شفا من الاثنين فاجابه لو عطست ضبا لم تكن عندي الانبيا فانصرعن بفك وسهل  
كلامك ومثله بمخلد الموصل يهجو حبيب بن أوس الطائي

انت عندي عرني عرني والسلام

شعر ساقيك ونحو ذلك خزامي ونمام

وقفا تحاف ما انت اعرفت فيه الكرام

أنا ما ذنبني انت الله نبي فيك الايام

وسأني بعض اهل العلم ان اكتب ا. قصة الى جعفر بن عبد الواحد القاضي وقال :  
اكتب لي قصة سهلة الالفاظ فقلت له : دعني اكتب لك ما يصلح للقضاة فغضب  
وقال ما اسأل انت تعطيني شيئا انما اسألك هذا المعنى الرخيص فتمثلت عتبه لنمام  
فكسبت له قصة لا تصلح ان تدفع الالوية بن العجاج يقرؤها والطرماح فلا حصلت  
وبد القاضي اراد قراءتها فاذا هي مقلدة عليه فقال له : انت كسبت هذه النصة قال نعم  
قال : اذا قاتراها فذهب ليقرأها فاذا هي بالسودانية استجيا عليه فقال ا : احلح الله  
القاضي انما اقروها في بيتي فقال له : ناظرب حاجتك اذا في بيتك فرجع الي غضبان  
أسفا يشتم ويؤذي وسأني ان اكتب له قصة تكمي ما اري فكسبت له كتابا يشبه انت  
يكون من مثله الى القضاة فقرأها وقضي حاجته وعلم انه لم يكتب واحدة منها والكتاب

إذا لم يكن شيئاً بجملة صاحبه كان أحد الأسباب الماتمة والمعاني كلها ممثلة والكلام متشعباً ولكن سياسته صعبة وتأليفه شديد الأعلى جهابذته وفروانه أمراء الكلام يصرفونه كيف شاؤوا ولا يسحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ونفذه معناه ويكون اللفظ الأسبق إلى الاسم معناه إلى القلوب

الملاحظ : كان لفظه في وزن اشارته وطبعه في معناه في مطابقة معناه . ذكر الحسن ابن وهب أحمد بن يوسف فقال ما كنت أدري لفظه أنق ام معناه او معناه اجزل ام لفظه . والمعاني وإن كانت كاملة في الصدور فإنها مصورة فيها ومتصلة بها وهي كاللآلئ المظلومة في أحداقها والنار المخبوءة في أحجارها فإن أظهوره من أكنانه . واصداق . تبين حسنه وإن قدسحت النار من مكانها وأحجارها انتفعت بها والابقيت محجوبة مستورة وربما يستثار الكامن منها ويستخرج المستسر من جواهرها بقدر حذق المشتبه وحواسب حركات المستخرج وقصد اشارته ولطف مذاهبه وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ولا يصيب اشارته وكلما كان الكلام الفصح والبيان أوضح كان أدل على حسن وجه المعنى الغني بالروح الغني واللفظ الظاهر بالجميلان الظاهر وإذا لم ينض بالمعنى الشريف لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقاً والدال على المعنى أربعة أصناف لفظ وإشارة وعقد وخط

وذكر أرسطاطليس خامساً وهي التي تسمى النصب وهي الحالة الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة الناطقة بغير لفظ والمشيئة إليه بغير يد وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وسيبقى كل صامت وناطق وهي داخلة في جملة هذه المعاني الأربعة وخارجة منها بالحلية

ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة غائفة لصورة صاحبها وحلية غير مشاكلة لحلية اختها غير أنها في الجملة كاشفة عن أعيان المعاني وأوضح هذه الدلائل صنفان منها وهما اللسان والفم وكلهما يترجمان ويدلان على التلب ويستمليان منه ويؤديان عنه ما لا تؤدي هذه الأصناف الباقية

ولما اللسان فهي الآلة التي يخرج الإنسان بها من حد الاستبهام إلى حد الانسانية ولذلك قال صاحب النطق : حد الإنسان الحي الناطق وإنما يبين عن الإنسان اللسان وعن المودة العبدان والله سبحانه رقم درجة اللسان فاعلمته من بين الجوارح بدو حيدة وما يجعل الله من عبده عن شيء مثل من لم يعبر عنه



الاعور التيمي :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وقال آخر

ان الكلام لفي الفؤاد وأما جمل اللسان على الفؤاد دليلا  
الطائي

ومما كانت الحكماء قالت لسان المرء من خدم الفؤاد

لنخط صورة معروفة . وحيلة موصوفة . وفضيلة بارعة . ليست لهذه الاوصاف لانه يتوب  
عنها في الايضاح عند المشهد ويفضلها في المغيب وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله  
عن رجل الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم واقسم به كما اقسم بغيره ثم اقسم بما يكسبه  
القلم افصاحا عن حاله واعظاما لشأنه وتنبها لذكره فقال : وما يسطرون . ومن فضيلة الخط  
انه لسان اليد ورسول الفخيم ودليل الارادة . والنالقي عن الخواطر . وسفير العقول  
ووجي الفكر . وسلاح المعرفة . ومحادثة الاخلاء على التثاني . وأنس الاخوان عند  
الفرقة . ومستودع الاسرار . وديوان الامور . وترجمان القلوب . والمبر عن النفوس .  
والنخب عن الخواطر . ومورث الآخر مكارم الاول والنالقي اليه مآثر الماضي والمخلد له  
حكيمته وعلم . والمسامر للعين بسر القلب . والمخاطب عن الناصت . والمجادل عن الساكت .  
والمصح عن الابكم . والمخكم عن الاغرس الذي تشهد له آثاره بفضائله واخباره بمناقبه  
وقد وقعت البلاغة من العلم علو القدر وباذخ المزكابي مسلم صاحب العولة فرقت شمله  
وبددت جمعه ونقصت برمه وافسدت صلاحه وضعضت بنيانه مع ذكائه ونفطته  
ومكايده ودهائه واصالة رأيه وشدة شكيمته وامتداده على ابي جعفر ونفاره عنه . كيف  
استفزه ابن المقفع وصالح بن عبد القدوس وجبل بن يزيد واستمالوه بسحر الفناظهم  
وبلاغة اقلامهم حتى نزل من باذخ عزه وجاء مبادراً حتى وقع في الشرك المنصوب .  
فنفق جمعه وانطلق نوره وصار خبراً سائراً وربما واثراً ورفع القلم خاشع الطرف صغير  
الخطر لثيم الجنس درج من عش التجار ونشأ بين المكيال والميزان كيف أشالت البلاغة  
بضجيه ورفعت من ناظريه حتى شالته به عنان السماء ورفعت بناءه فوق البناء حتى  
طلبه الراكب وقصده الطالب وخشعت ارجال الرجال . ولحظته العيون بالوقار . وتكمن من  
الصنائع ومدت نحوه الاصابم . فشكرت منه اللقطة . ورجيت منه الجملة . كحمد بن  
عبد الملك بن الزيات وفيه يقول علي بن الجهم

احسن من عشرين يتكاسدا      جمعك مهام سكت ليت  
ما احوج الملك الى مطرة      تفصل عنه وغمر الزيت  
فاجابه محمد بن عبد الملك :

رقيت في القول الى خطة      قدرك فيها قد تعدت  
فبرتم الملك فلم ترقه      حق غسلنا القار بالزيت  
ومدحه حبيب بن اوس بمدحه ويصف قلمه :

لك القلم الاعلى الذي بذاته      تصاب من الامز الكلى والمفاصل  
وكان محمد من الطف الناس ذهنا وأرقهم طبعا واصدقهم حسا وارشفهم قلما  
واملحهم اشارة اذا قال أصاب واذا كتب ابلغ واذا اشعر احسن واذا اختصر اغنى عن  
الايالة امره الواثق ان يتلطف بعبده الله بن طاهر ويعلمه انه صرة عن امر الجزائر  
والعوام وفوض ذلك لابن عمر السخاقي بن ابراهيم فكاتب اما بعد فان امير المؤمنين  
رأى ان يطلع مافي عينك من امر الجزائر والعوام فيجعله في شمالك والاسلام عليك  
ورحمه الله وبركاته

سهل بن بركة يهجو أبانوح النصراني الكاتب فقال :

بابي وامى ضاعت الاحلام      ام ضاعت الاذهان والافهام  
من صد عن دين النبي محمد      اله بأمر المسلمين قيسام  
إلا تكن اسيا ففهم مشهورة      فينا فتلك مديونهم أقلام

قال عبد الرحمن بن كيسان استعمال الكلام اجدر باحضار الذهن عند تجميع  
الكتاب من استعمال اللسان على تجميع الكلام ولم يختلف في شرف القلم وانما اختلف  
في كيفية البلاغة وماهيتها وقد مدحها كل قوم بوضوح عبارتهم واحسن بيانهم فقال صاحب  
اليونانيين البلاغة تصحيح الاقام واختيار الكلام . الرومي : البلاغة وضوح الدلالة  
وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة . الفارسي : هي معرفة الفصل من الوصل . الهندي :  
هي البصر بالمحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ثم ان يدع الافصاح بها الى الكتابة عنها  
اذا كان الافصاح او غير طريقا وبما كان الاطراق عنها ابلغ في الترك واحق بالغفر .  
غيره : جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الخلق بما التيسر  
من المعاني وعمس وبما شرد عليك من اللفظ وتعذر ثم قال وزن ذلك كله وبهاؤه وحلاوته  
ان تكون الشئائل معتدلة والالفاظ موزونة واللهجة نقية فان جامع ذلك السن والسمت .

والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام. وقيل لهندي ما البلاغة فاخرج صحيفة مكتوبة  
عندهم فيها اول البلاغة احتمال آله البلاغة. وذلك ان يكون البليغ رابط الجأش ساكن  
الجوارح قليل المحظ متخير للفظ لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام  
السوقة ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق  
ولا يتبع الالفاظ كل التنقيح ويصعبها كل التصعبة ويهذبها غاية التهذيب ولا يكون  
كذلك حتى يصادف فيلسوفاً حكماً علياً ومن قد تعود حذف فضل الكلام واسقط  
مشترك اللفظ

انوشروان ابزر جهر : متى يكون العبي بليغاً فقال اذا وصف بليغاً

ارسطاطاليس : البلاغة حسن الاستعارة

بشر بن خالد : البلاغة القرب من المعنى البعيد والتباعد عن خسيس الكلام والدلالة

بأقوال على الكثير

خالد بن صفوان : ليس البلاغة بحفظة اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنها اصابة

المعنى والقرع بالحجة .

عمر بن عبد العزيز : البليغ من اذا وجد كثيراً ملاء واذا وجد قليلاً مكناه .

ابن مقبل : البلاغة دنو المآخذ وقوع الحجة والاستغناء بالقليل عن الكثير . به فهم :

اني لا كره للانسان ان يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقدار عقله كما اكره ان يكون

مقدار عقله فاضلاً عن مقدار لسانه . وعلم . يكفي من حفظ البلاغة ان لا يؤثي السامع من

سوء افهام الناطق ولا يؤثي الناطق من سوء فهم السامع

عمرو بن عبيد : ما البلاغة فقال ما بلفك الجدة وعدل بك عن البار وما بهرك بمواقع

رشدك وعواقب غيك فقال البائل ليس هذا اريد . فقال من لم يحسن ان يسكت لم

يحسن ان يسمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول قال ليس هذا اريد . قل النبي

عليه الصلاة والسلام : انا معاصر الانبياء بكاءون وكانوا يكرهون ان يزيد منطلق الرجل

على عقله فقال له السائل ليس هذا اريد قال كانوا يخافون من فنة السكوت وسقطات

الصمت فقال ليس هذا اريد فقال فكأنك انما تريد تغيير اللفظ في حسن افهامك اردت

تقرير حجة الله سيفه عقول الكلفين وتخفيف المؤنة عن السمتين وتزوين تلك المعاني في

قلوب المرءين بالالفاظ المستحسنة في الآذان المقبولة عند الاذهان رغبة في مرمق استجابتهم

ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كتبت قد اوتيت فصل

الخطاب واستوجبت من الله سبحانه جزيل الثواب . الخليل بن احمد : كل ما أدى الى قضاء الحاجة فهو بلاغة فان استطعت ان يكون لفظك لمعانك طبقاً لتلك الحال وفقاً وآخر كلامك لاوله ، مشابها وموارده لمصادره موازناً فالفعل واحرص ان تكون لكلامك متبهاً وان ظروف وبنظامك مستورياً وان لطف بمواتاة آلتك لك وتصرف ارادتك ، هكذا فالفعل ان شاء الله

وهذه الرسالة عذراء لانها بكر معان لم تفرعها بلاغة الناطقين ولا لمستها اكف القومين ولا غاصت عليها لطن المتكلمين ولا سيق الى الفاضل اذهان الناطقين فاجعلها مثلاً بين عينيك ومصورة بين يديك ومسامرة لك في ليالك ونهارك تهطل عليك شائيب من انفسها ويطلق منها بروكاتها وتوردك ، ذاهل بلاغاتها وتدل على مبع رشدها وتصدرك وتدفع غموك بيناينج بحر احسانها ان شاء الله عز وجل والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



## جالبق وجابلص او جابلقا وجابلها

كاف الافرنج قبل ان يعزوا بدرس اللغات الشرقية فيسبون اشياء حرة الى العرب ويقولون عنها انها خرافات خيالية لانصيب لها من الحقيقة بل ولا اثر لها في عالم الوجود . ولما اختلفوا بالبحث عن تلك الامور والايفال فيه ناموا يرجعون شيئاً فشيئاً عما عزوه اليهم تحكماً أو تهكماً وبدأوا يضمون اليهم مستصوبين اقوالهم . الا انه مما يمكن ان يقال في هذا الصدد ان الناطقين بالفساد بالنوا في ذكر بعض الامور العرضية حتى كاد الجوهر يخرج عن طوره بما حلوه من الامور الوهمية نقلاً عن اسرا من فرسان الميدان . ومن هذا القبيل هاتان المدينتان اللتان نريد ان نبث عنهما في نبذتنا هذه .

( اختلاف اللغات فيها )

قال في الا بان في مادة جالبق : للتهذيب : جالبق وجابلص ( اي بفتح الباء الموحدة والتجنية وفتح اللام في كلهما على ما ضبطنا كتابته ) واما في التاموس فقد ضبطها ايضا بالفتح في جالبق وبالفتح أو بالسكون في جابلص . وذكرها ياقوت في معجمه : جابرس وجابلق اي براغمحة ساكنة بعد الباء الموحدة التجنية . وبلاد ساكنة بعد الباء في الثانية

ورواها صاحب البرهان القاطع روايات مختلفة فذكر في ٢ : ٧٩ جابلسان في جابلق .  
ورواها ايضا جابرسان وجابرسا في جابلص . وحكى في شفاء الغليل ان المتكلمين يقولون  
جابلقا . وجبلصا بالمد . وخطا . وارودها الطبري في تاريخه بصور مختلفة اي جابرت  
وجابرس وهو يراد جابلص وجابلق وجابلقا وهو يرمي الى جابلق . فهذه اللغات والروايات  
وان اختلفت فهي واحدة في المرجع والاصل ثم اختلفت تبعا لسنة المغرب او الاعجمي  
على ما هو مشهور في ما أفرغ في قالب عربي . وتماور اللام والراء في العربي الفصيح  
امر مشهور كالطلمساء والطرمساء وداهية لساء وربساء وثافة عبر وعهل فكيف  
في السخيل . ومثله يقال في تبادل النساء والسين في لغة معروفة في اليمن وهي الوتم . ولا  
حاجة في التصريح بان السين والصاد تترادفان في العربية والامثلة تفرقت الحصر  
(المزهر ١ : ٢٢٦ و ٢٢٧)

#### اقوال العرب فيها

قال في التهذيب : « جابلق وجابلص : مدنيان احدهما بالمشرق والاخرى بالمغرب  
لس وراهما انسي » روي عن الحسن بن علي رضي الله ع . ما انه ذكر حديثا ذكر فيه  
هاتين المدينتين . « اه »

وقال الامام السبلي في كتاب المهيم : اظنها محاورتي ياجوج وماجوج . وقد آمنوا  
بالنبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم في ليلة الامراء فدعاهم فآمنوا « اه »  
وقال اغليل : بلغنا معاوية امر الحسن بن علي ان يخطب الناس . وهو يظن  
ان الحسن سيحصر لحدائنه فيسقط من اعين الناس فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم  
قال : ايها الناس انكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابلص رجلا جدته نبي ما وجدتموه غيبي  
وغير اخي وان ادري لما فتنة لكم ومتاع الي حين واشار بيده الى معاوية . اه  
وقد جاء حرف جابلق في شعر ابي الاسود الدؤلي على انه اسم موضع معروف قد  
شاهدته فقد قال :

تلبس لي يوم التقينا حويمر جابلق في جلد أحسن باسل

فهذا كلام يشير بانهما التقيا بجابلق . وهي غير جابلق الواردة في حديث الحسن  
وهي التي ذكرها احمد بن يعقوب الممداني في كتاب الاكليل اذ يقول : في جابلق  
وجابلص بقايا غاد ونحو الذين آمنوا بهود وهاج  
وقال ياقوت في معجمه في مادة جابر من : مدينة بأقصى المشرق . يقول اليهود .

ان اولاد موسى عم هربوا اما في حرب طالوت (= شاول) اوفي حرب بخت نصر  
فسيرم الله واتزلم بهذا الموضع فلا يصل اليهم احد وانهم بقايا السلمين . وان الارض  
طويت لم وجعل الليل والنهار عليهم سواء حتى اتتوا الى جابرس فهم سكانها ولا  
يحصي عددهم الا الله فاذا قصدهم احدهم اليهود قتله وقالوا : لم تصل إلنا حتى افسدت  
سنتك فستحلون دمه بذلك . وذكر غير اليهود انهم بقايا المؤمنين من ثمود وبجابلق  
بقايا المؤمنين من ولد عاد . اه . وذكر في جابلق : جابلق بالباء الموحدة المفتوحة وسكون  
اللام . روى ابوروح عن الفصحاء ع . ابن عباس ان جابلق مدينة باقصي المغرب  
واهلها من ولد عاد واهل جابرس من ولد ثمود ففي كل واحدة منها بقايا ولد موسى عليه  
السلام كل واحدة من الاثنين . اه . المقصود من ايراده

وقال صاحب التاج في مادة ج ب رس « جابرسا » آخر بلاد الدنيا ( من جهة المغرب )  
وقال في جابلق : جابلق قد اوضح المولى سعد الدين البلدين وعرف بها وذكر  
منها على الوجه الاكمل في بحث المثال في شرح المقاصد . ذكر ذلك الشهاب في شفاء  
الغليل . اه . قلت : انا : لم ار شيئا في شفاء الغليل المطبوع في مصر مما ذكره  
صاحب التاج . نعم ان تكلم عن البلدين الا انه لم يتطرق بكلمة بخصوص المولى سعد  
الدين . فاحفظه . واما شرح المقاصد لسعد الدين فهو وان كان يبيد الا انه لما كان  
خاليا من فهرس مرتب يهديني وحيا الى ما لم يكن من العثور على البحث المذكور  
فرجعت عنه بما رجعت به خنن .

وكفانا تبعا لاقوال الكتبة اذ بما اجتزأنا بذكره وفاء بالمقصود لا سيما ان الجميع  
يكررون افعال بعضهم عن بعضهم والنتيجة واحدة . والذي يستخلص مما تقدم بعد طرح  
الزوائد السخيلة التي جاء بها الامر ايليون ما يأتي :

جابلص آخر البلاد المسمورة من جهة المغرب على ما كان يظنه ابنه ذلك الزمان .  
وجابلق آخر البلاد من جهة المشرق وجابلق تحاور بلاد ياجوج وماجوج . وجابلص  
في أقصى المغرب واقصى المغرب كان ينتهي في عرف الاقدمين عند بحر الظلمات في نحو  
الجزائر الغلات او في ما يسامتها . وعليه فيجب علينا ان نبحث عن جابلق او جابلقا في ما  
يحاور بلاد ياجوج وماجوج ونبحث عن جابلص في ما ينتهي عند بحر الظلمات . واول  
كل شيء نحتاج اليه في البحث عن ثالثنا ان ننظر الى الكلمة ونفحصها لنعرف ما نألفها .  
والحال ان العلماء قد اتفقت على ان اللفظة ليست بعرية ورجعوا كونها فارسية . لانهم

يقولون ان الجبل والغاف او الجبل والصاد لا يجتمعان في لفظة عربية واذا وجدنا فيها يدلان علي ان الكلمة اعجمية او فارسية . فاذا تقرر انها فارسية بتضح لك انه وجود « جا » في صدر كلا الحرفين يدل علي ان اللفظة مركبة وان « جا » تعين معنى يصح ان يقع علي الكلمتين . وهو امر لا ريب فيه فان « جا » حرف فارسي معناه الحبل والمكان والملة . ام . او كما يقول العرب « الفار » التي وردت من اهلها الاصلي الحقيقي ويعني البلد والدينة . لان اول ما تنشأ عليه المدينة تكون داراً ثم تبني دور اخرى بجانبها حتى يتقوم منها البلد او المدينة . فقدة نوا دار السلام ودار الاسلام ودار السعادة ودار الحرب الى آخر ما هنالك . واما بلقا او بلقا فيجب ان تكون اسم مدينة في آخر البلاد المعمورة من جهة الشرق بما يجاور بلاد أجوج وماجوج وهذا ما يصدق علي بلدة « بلقا » وبالأفريجة Volga وهو اسم نهر عظيم العرب ايضاً باسمه القديم « الاثل » وهو يري بلاد الروس وباسم تسمى جيل البخارا او البخارا لخروجهم من سقي ذلك النهر . ويشهد علي صحة ذلك وجود مدينة هنالك تسمى الي اليوم بلقاري او بلخاري Bolgary . وم يكتبونها بحرف ب تمييزاً لها عن Bolgarie او bulgarie للبلاد المشهورة . وهذا الاحتقان باخر الكلم تدل علي البلاد كما في Arabie, Turquie, Ossyzie كما ان « جا » في رأس الالفاظ تفيد هذا المعنى عند الفرس ومنها جابروان وجابتي وجابرم وجامين وجاسك وجا كرديزه وجالقان وجاورسان الى غير هذه

واما جابلص او جابرسا أو جابلسا او جابلصا فهي . بلص او برسا او بلصا او بلسا بعد تجريد « جا » عنها . واذا قسنا عن مدينة بهذا الاسم في مثنى المغرب المدروف في ذلك العهد وجدناها باسم « بلسا أو بلصا » في بلاد لوسيتانية اي هي البلدة المعروفة اليوم باسم تافيرة Taverne في بلاد البرتغال . واذا تلحت ذلك ظهر لك ان لاحق للجانب ان ينسبوا العرب الى الجهل والقول باخرافات واهله الهادي الى كل صواب



## نظرة في نجيب الذخائر في احوال الجواهر

وقعت على نسخة مضبوطة قديمة العهد من نجيب الذخائر وعلقت عليها بعض حواشٍ وملاحظات لا نشرها في إحدى الجلات ١٠ هـ بقتني الى ذلك مجلة المشرق البيروتية في سنهما الحادية عشرة صفحة ٧٥١ وبالمقالة وجدت ان نسخة المشرق ليست بمضبوطة كل النبط وقد وقع فيها اغلاط وسقط منها عبارات وكلمات قد قربت فرصة أخرى لنشر نسختي مع حواشيا وملاحظاتي على مجلة المشرق ١٠ ولما زرت حلب في الصيف الماضي زدت النسخة تحقيقاً بمعارضتها بنسخ كثيرة فزودت ثلثاً بما اجتمع لديّ منها ثم انتهيت الى منذ اسير عين الجزء السابع من مجلدكم المقتبس الغرابة ١٠ لسنيتها الرابعة فاذا بكم نشرتموها ايضاً فعارضت ذلك بنسختي فوجدت اختلافات انوردت لها هذه المقالة الآن وقبل ان ادخل في الاشارة الى اختلافات نسخة المشرق والمقتبس عن نسختي اقدم الكلام في احوال الجواهر والمعادن وما عرفه العرب عنها مع اعتقاداتهم واعتقادات الافرنج بالمجاعة الكريمة

ان مؤلف نجيب الذخائر في احوال الجواهر هو شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المصري المعروف بابن الاكفاني (١) نسب الى سنجار حيث ولد وتناً وطباً بمصر وتوفي بالطاعون سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م وترك مؤلفات ذكر بعضها الحاج خليفة في فهرسه كشف الظنون منها كشف الرين (٢) في امراض العين وغنية (٣) القليب في غيبة الطيب ونهاية القصد في صناعة القصد وارشاد القاصد الى اسنى التماسد وهذا طبع مؤخرآ في بيروت سنة ١٩٠٤ م في ١٤٨ صفحة وبعضها لم يذكرها بالانظر والتحقيق في تقليب الرقيق وغيرها مما هو في بعض مكاتب اوربا والشرق واخبر المؤلف قليلة

ولقد ألف كثير من القدماء في الجواهر منها كتاب (الاحجار) لارسطو صنفه واستخرج بنظره والارشاد الالهي خواصها ومنافعها وذكر فيها خاصية ستمائة حجر وريف وقد عرّفه لوقاين سرايوني وعليه اعتمد العرب في ما كتبه عن الجواهر ١٠ تألف سيف (١) وفي المشرق الاكفاني هو غلط (٢) وفي المشرق كشف الرين في احوال العين والاول ذكره الحاج خليفة في كشف الظنون ١٧٩: ٢ (٣) وفيها تلبس بثينة وهو خطأ



هذا الفن ابو الريحان محمد بن احمد البيروني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) واسم كتابه الجواهر في الجواهر . وابو اليباس احمد بن يوسف البغاني القاهري المتوفى في سنة ٦٥١ هـ (١٢٥٣ م) واسم كتابه (ازهار الافكار في جواهر الانجار) وصف فيه ما في خزائن الملوك . ما . وقد رأيت نسخة منه في حلب وطبعه انتالونيورنادي الايطالي سنة فرنسا سنة ١٨١٨ م ونقله الى الافرنسية كليمان موله . وعن الف في المعدنيات والاحجار الشيخ تقي الدين احمد بن علي المتريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ١٤٤١ م واسم كتابه (المقاصد السنية في معرفة الاجسام الحدية) . وموفق الدين البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ (١٢٣١ م) له رسالة في المعادن وابطال الكيمياء

ومن اشهر من كتب في هذا زكريا بن محمد بن محمود الكوسفي التزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٤ م) في عجائب المخلوقات . واداء الحجاره والمعادن . والاشيبي المتوفى في اوائل القرن التاسع ينتمي في الشطر الباطن السابع والستون . وابن بطوطه المتوفى سنة ٧٧٢ هـ (١٣٧٦ م) في رحلته ذكر مفاسد الجواهر بن سيراك والبحرين . ومعدن الياقوت في جزيرة سيلان وعدد بعض اللآلئ في خزائن الملوك والعطاء . وابو الحسن الموحدي المتوفى ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) عدد في كتابه مروج الذهب بعض المفاسد ووصف بعض الجواهر مما لا يخرج عن اعتقاد العرب ونقطة للفائدة اذكر اسماء المعادن والحجاره الكريمه التي اوردها القزويني في كتابه (عجائب المخلوقات) قال : المعدنيات تنقسم الى الفلزات وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والاسرب . والخاصيتي والى الاحجار وهي الالمثد وحجر ارسون وحجر اسفدياج وحجر افرنجس وقلبييا الذهب وقلبييا الفضة وباهت وبسد وبلور والورق وتجادق وتدمر وتكار وتوتيا وجالب النوم وجزع وحامي وبليناس واسانجوني وحجر ابيض واحمر واخضر واسود واصفر واخضر وحجر الباء والبحر والحباري والحصاة والحية والخطاف والدجاج والزني والسلبور والسمن والشياطين والصدف والصنوف (السنونو) والعاج والعقاب والغار والقمر والقير والقي . والكلب والمطر وحجر تفرخ فيه الناقة وحجر يولد في الانان وحجر يولد في الماء الزاكودورض وموساي وغيث الحديد وخضبة اللص وحجر در وذهنج وحجر ديماطي وريخام ورقوس واحجار زاجات وشجر زبد البحر والزجاج والزرنيخ والزنجار والزرنيخ وحجر سمج وسندليس وسنابج وشاذنج وشب وصدف وطارد النوم وحجر طاقون وظلتي وطر سوطوس وحجر عقيق وعنبري وعطاس . وحجر فادرز

وفرسلوس وفرطاسيا وفرلوس وفيروزج وفيلقوس وفيهار وقرباطيسون وقروم وقلنديس  
 وقلطار وقلندوقلي وقيسور وقبراطير وحجر كرسيد وكرسيان وكرك وكرمان وكهرياه  
 وحجر لازورد ولاقط الذهب وحجر لاقط الرصاص وحجر لاقط الشمر وحجر لاقط  
 الصوف وحجر لاقط العظم وحجر لاقط الفضة وحجر لاقط القطن وحجر كاغيطوس  
 والماس ومطاطيس وماهاني ومراد ومرجان ومرداسنج ومرقشتا ومنس ومسهل الولادة  
 وحجر مظاطيس وملع وحجر نظرون وحجر نوبي ونيرة والنوشادر وحجر هادي  
 وحجر ياقوت وحجر يشب وحجر يفظان . اه

وذكر الابشيهي في المستطرف ان المعادن تنقسم الى ما يذوب وما لا يذوب وقال  
 ان المشهور منها سبعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخرصيني .  
 ثم عد من الاحجار الجوهرية . الياقوت والبلخش والبنقش وعين الهره والاماس  
 والزمرد والزبرجد والفيروزج والعقيق والجزع والبلور والمرجان وحجر الماطليس والحجر  
 الماهاني وحجر مراد والدمنج والسبع والمغنطيس وحجر الخطاف وحجر الزاج وحجر  
 الزنجفر وحجر الملح وحجر الطرون وحجر اللازورد اه  
 وقد ذكر كل من القزويني والابشيهي خرافات كثيرة بشأن خواص الجواهر واتخاذ  
 الناس لها مما كان اقدم من ذكر مثله من الاعتقادات ارسطو وديوسقوريدس اليونانيان  
 وبليثوس الروماني وغيره فجاراهم العرب بهذه الافكار

وربما يظن بعضهم ان العرب ومن تقدمهم من الامم اعتقدوا بهذه الخرافات فقط  
 مع ان لثمتدي الافرنج حتى يومنا اعتقادات ليست باقل من تلك اوهاماً فالانكليزيون  
 يعتقدون ان الياقوت يشفي من الرثية ( الروماتزم ) وبقي حامله من برد الاطراف .  
 والفيروز يحمي حامله من السقوط من شاهق والياقوت الازرق يحمي حامله من الافاعي  
 ويزعمون ان حجر اكريمياً يظهر في رأس الهره مرة كل الف سنة فمن يجده تحت لسانه  
 ثقباً واخبر بالغييب . واهل ناولي في ايطاليا يلبسون احجية المرجان تمويلاً من عيون  
 الحساد . ويزعمون ان الزبرجد يزيل حدة الطبع ويشفي من البرص . ويستعملون  
 حجر اليشم لمنع العطش وانقاء الزواجر والصواعق والفيروز الوقاية من السقوط .  
 والعقيق لقطع نزيب الدم والاستشفاء من لدغ الثعبان . ومن اعتقاد الافرنج عموماً  
 ان حجر الكهرياء بقي من مرض الحمرة ووجع الحلق . وكانت القدماء من الفرنجة  
 يطردون السحر بالياقوت الاصفر وبالحلون الجنون به ويرمزون باناس الى العدل والعفة

والثبات الى غير ذلك

وهالك الآن النظرة في مقالة النخب المنشورة في مجلتي المشرق والمقتبس معتمدين على مجلة المقتبس ثم على ما بين نسخة المشرق واخيراً نسختنا المخطوطة  
صفحة ٣٧٨ سطر ٣ كفاً فضاله وفي نسخة المشرق ونسختنا كفاً وهو الاظهر .  
وسطر ٥ الجواهر النفيسة باصنافها وفي نسختنا واصنافها . وسطر ١٣ صفحة نفقة مجلاة  
وبين نسختنا صفحة نفقة مجلاة وهي اصح وسطر ١٥ بلون البهرمانى - البهرمان (١) .  
وسطر ٢١ تشبيهاً بالجر - تشبيهاً له بالجر - وكان الحميري - الحميري . وسطر ٢٣  
بالماذني - بالماذني ولعل الاولى اولى

صفحة ٣٧٩ سطر ١ وعن التفت - التفت (٢) وسطر ٣ عارة - غارة . وسطر ١٣  
واضعه - وضعه = ثلاثون ديناراً - ثنتين . وسطر ١٨ وكان في خزانه بين  
الدولة - الاميريين الدولة محمود وسطر ١٩ وكان للمدبرها - فمن

صفحة ٣٨٠ سطر ٥ الفافى - الفافى وسطر ٦ يتفع . دوث الصرع - يدفع  
وسطر ٧ الياقوت الاحمر وكذا في المشرق - وفي نسختي الياقوت الابيض وسطر ٨  
كان فيه زئبق - زئبق . وسطر ١٠ وتقال انه وقاية لعين المجدور - ويقال انه  
اصح وقاية . وسطر ١٢ مسفره في وكذا في المشرق - صافر . وسطر ١٤ بالرقشيشا  
الذهبية - بالرقشيشا الذهبية = ما حل به - ما حل . وسطر ٢٢ الجبادي - الجبادي  
(٣) . وسطر ٢٥ بالماذني - بالماذني . وسطر ٢٦ بدخشان - بدخشان

(١) كل ما وقع بعد هذا الخط - يكون من نسختنا المخطوطة

(٢) الفث واخرها التاء الوسخ ونحوه (٣) نسبة الى الجباد وهو الكساء المخطط

البقية تأتي

عيسى اسكندر الماعوف

زحلة (لبنان)

## سير العلم والاجتماع

## كيف نحسن الاكل

كثيراً ما ينشأ سوء المضمض من هيئة الجسم ووضعه فاذا اردت ان تنقيه فعليك بمجمل قدامتك منتصبه ما امكن واتقأ كنت او جالساً فتلقى كنتيك الى الوراء وصدرك الى الامام وهذا من اهم القواعد في حفظ الصحة . ومن اتقن الرياضات لتقوية اعصاب الظهر والبطن ان يستلقي المرء على قفاه ويمجمل يديه تحت فقرته ويمجمل رويداً رويداً وقفاه قابضاً على قفاه ويكرر هذا العمل مرات بنوويه . فيخفي الى الامام وهو جالس ويمد يديه ليس طرفي رجليه باطراف انامله . وهناك رياضة اخرى نافعة كثيراً وهو ان يقف المرء منتصب القامة ويخفي الى الوراء ثم يرجع الى الامام ويميل ذات اليمين ثم ذات الشمال وينتقل الى الاطراف الاربعة بدون ان ينقل رجليه من مكانها ثم يقف رافعاً يديه وبمرفقاً بين رجليه كهذا الحرف تـ ويمد يده ذلك حافته بحيث تلمسان وهو واقف مباحداً بين سائيه ونخبة يمد يديه ما امكن . هذه الحركات من شأنها تمرين عضلات البطن فاذا قام بها الانسان قبل الاكل تلبث شهوته للطعام واذا اتاها به . تسهل عليه المضمض وما ينصح به لمن يريد حفظ صحته ان يبدل قبل الجلوس الى المائدة ثيابه في النار او ثياب عمله ويضم المائدة وضعا محكما لان لرداءه وضع الخ ان تأثيراً في شهوة الاكل والنظر اليه وحده باعث على سوء المضمض والاحسن ان يستريح الانسان قليلاً قبل الطعام وعليه ان لا يجلس على كرسي وذراعه على ركبتيه وظهره مضمض لان هذه الجلسة تعوق المضمض

## الدوراسيتيا

الدوراسيتيا اضعف المجموع العصبي اسم لمرض عرف منذ ثلاثين سنة وهو يزداد مع الحضارة والافراط في متغياتها وهو عبارة عن تقلب الحالة العصبية على باقي المجموع العصبي والعصبي اعظم امراض هذا العصر فالتصب على اختلاف انواعه والاضطراب الدائم واشتغال الفكر في المعاش ولا . جا في المدن الكبرى والدوم ومعاكسة الدهر والغلبة في المشق وتعب الاسراف على النفس كلهما من الاسباب العصبية المعتادة في انحلال الاعصاب وضعف مجموعها . وربما كان هذا المرض وراثياً فيحدث عنه اذ ذلك ضعف

منوع في الاعصاب يؤدي الى داء المغاغل وداء الملوك وهما من الامراض العصبية كما هو  
المعلوم وكثيراً ما يؤدي ذلك الى الامراض العفوية واضطراب الالة الماخضة والتناسل  
اليولي . واعراض النوراستينيا واحدة في الاكثر اهمها وجع الرأس ووجع الظهر والارق  
والاضطرابات الممدية خاصة والضعف الذي يمس الجسم . وكثيراً ما تغفل الوظائف  
العقلية والذاكرة والانتباه والارادة ويصبح التأثير قريباً من المرض ويصعب كل ذلك  
قلبي دائم وافكار مرتبكة رديئة ويبدوا حب العام في الصباح عند الانتباه من النوم  
فيشعر المريض احياناً بتكسر في جسمه وارتقاء في قواه .

ويشعر بام الاضطرابات الممدية بسوء الهضم وثقل في جوف المعدة واحياناً في  
قرصها فهذا المرض هو سوء هضم عصبي وكثيراً ما تغفل شهوة الطعام وتنفخ البطن وتزى  
في الوجه طفحة حمراء

والنوراستينيا كالمستريا ( اختناق الرحم ) لانتهك صاحبها بل قسم جسمه وتصب  
عليه الحياة ويتأق للصاب به كل حين ان يشفى منه وليس المحول فيه على الدواء والدواء  
ثانوي فلمهم في شفاؤه ان يزال السبب الذي نشأ منه كالاتهام بالاشغال والاعمال  
العقلية المفرطة والافراط في كل شيء . وتقدير البيئة والمقام في الغلة مما ينفع في شفاؤه  
نفعاً كبيراً . اما مداواته فالاحسن بالكهربائية والاستحمام بالماء الفاتر او الحار والابتعاد  
عن الماء البارد واستعمال المضخة ( الدوش ) بالماء الفاتر . والاستحمام بالكهربائية يؤثر  
في التغذية والاعصاب فالاضطرابات الممدية والشقيقة والارق والاحلام الرديئة تنقطع  
بمجرد توصيل الكهرباء الى الرأس . ونحاف الاجسام يتفعرن بالاحتقال بالزرنج ويفيد  
فيه التخمير ( التمسيد ) ولا بأس من استعمال بعض المشروبات التي تزيد القابلية للطعام  
واخذ خلاصة القنب الهندي من عيار خمسة في المئة ساتفرام يزيل وجع الشقيقة لاهالة

#### عمر الجراثيم

ثبت لاحد علماء الالمان ان الجراثيم اطول اعماراً ومقاومة للاحتفاظ بحياتها مما  
تنوهم لعلها انها احياء صغيرة لا ترى الا بالمجهر فقد اخذ خراطيش حشاها رصاصاً  
وجعل عليها الوقت من الجراثيم الصغيرة ثم ملأ بندقيته واطلق الرصاص على علة من التلك  
وكان فيها نوع من الهلام السائل الذي يصلح لان تعيش فيه الميكروبات ونأخذ الحلة  
شاهد ان الجراثيم التي اطلق عليها الرصاص قد نمت وتكاثرت بدلاً من ان تهلك باطلاق

التار عليها والاغرب انه رأى الرصاصة قد اخذت من الهواء جرائم أخرى في طريقها أكثر حياة ترتفع في الجسم الذي تحمل فيه ولا تبقي ولا تندر  
تنظيف الرأس والشعر

يستعمل لتنظيف الشعر والرأس صفار يغمته تحمل بقليل من ماء الكولونيا ويدلكان به ثم  
يفصل المكان بماء فاتر وينشف الشعر ويدوم مكشوقاً ريثما يجف ولا يبقى فيه اثر للندوة  
رجال الشرطة

من زار باريز يجب برجال الشرطة وهو يرام في الشوارع والجلادات والمتعطفات  
واقفين لتأييد النظام بدلون الغباء على الشوارع وهم ينتبهون لكل ما يخل بالراحة ولكن  
الباريزيين يحددون الانتكاز على شرطتهم ويقولون انها أكثر نظاماً وأتباعاً وأدباً قائلين  
ان ثمانية آلاف لا تكفي للفرب على ايدي ثلاثين الفا من الاوباش والاوزاد في عاصمة  
الفرنيس . ويقولون ان الشرطة في باريز يتولون حفظ النظام في شوارع أمهات المدن  
ويلبسون لباساً اورياً ويقطعون سيقاً دلالة على سلطتهم والحكومة تحتارهم من قدماء  
الجد ولا سيما طبقة اسمها السامورية عرفت بشدهتها وجلادتها في الحروب والغارات  
وقد كانت لهم في الشعب تأثير قوي ويزيدهم قوة عناية الحكومة بتربيتهم وعزة  
قوسهم التي ضربت بها الامثال . وترى رجال الشرطة في ألمانيا يلبسون لباس رجال  
المدفعية يضعون على رؤوسهم خوذة وطنية سوداء اصفارهم كتب عليها بحروف من  
نحاس اوائل الحروف من اسم الامبراطور وبيضاء للضباط طليها صورة نسر باجنحة  
مفردة واسم الامبراطور بحرف . مذهب . واذا كان الالماني من اهل الطاعة العمياء  
اصبحت وظيفة الشرطة مهمة سواء ارادوا القيام بها مع الفرد او مع القوماء والجماعات  
ويصين الشرطة الرجالة رجال من الامة الفرسان في مدينة برلين كما هو الحال في  
مدينة باريز . ويكتسي رجال الشرطة الالمانية بجموح ازرق وسراويل رمادية فاتحة  
وخوذات ملونة ويلبس ضباطهم البسة من الحرير الازرق واذا كانت الطليان اصعب  
مراسم الان فكثيراً ما يشاهد رجال الشرطة في بلادهم يتماسكون مع من يريدون  
القبض عليه او دعوتهم الى التزام النظام وينتهي ذلك بما لا تحمد عقباء من اجل هذا  
يجل رجال الشرطة الطليانية جبل من سيور الجلد ليقيدوا به السجناء

اما شرطة فينلاند فودعاه الطفاة يشون سيفه وجوه الناس . وشرطي بروكسل رقيق  
الجانب يحتاجك بلا كلفة . وشرطي هولاندة يحمل كل ما يلزم لاثانة جريح يراه من

الادوية الاولى

وسادة رجال الشرطة في الارض هم بالامراء شرطة الانكليز ويقسمون الى قسمين في لندن قسم في الحي القديم وهو حي الحركة والتجارة وقسم لعامة ارجاء المدينة وعدد الاول الف رجل وهو قليل المكانة بالمرة للثاني المؤلف من ٣٠٠ وكيلاً ٥٣٩ مفتشاً و٢١٤٨ جاو يشك ١٤١٢٩ ضابط بوليس ولم كلهم ديوان كبير نفيم ويتخيرهم الحكومة من ارباب قابات تكون اطول من الوسطى والسحة الجيدة بالطبم وعليهم ملاحظة الحراس والعسس في الليل وستون في المئة منهم يلاحظون امن المدينة ايلاً ولذلك قلما يحدث ما يكدر وراتب الشرطي من الدرجة الثالثة ثلاثة جنيهات في الاسبوع ويدفع اليه علاوة عن كل ساعة تزيد على العشر ساعات المقررة للخدمة كل يوم ليلة ٠ ومخاف الشرطة في لندن هي عزوان الرفاهية يعيش فيها الشرطة الغير المتزوجين حائزين على كل ما يلزمهم اما المتزوجون فلهم مخاف خاصة بهم فيها قاعات اسنبال وحملات والمضخات وقاعات لعب وخزائن كتب وغيرها فيعيش الشرطة فيها مع اسرانتهم عيشة اشتراكية عسكرية ٠ وفي لندن ثلثائة شرطي راكب لربط محطات الشرطة يستخدون خاصة في اوقات المظاهرات والاحتفالات العامة ومثل هذا العدد لحفظ الامن في نهر التاميس ويقوم بجمدة من تعيينهم باثقة ولم مئة قارب وثلاث سفن معدة لبحري كل حين وهكذا كانت شرطة لندن اجمل زينة لانكليترا وضامن لحفظها وبقاتها فعسى ان لا نقل شيئاً مما

العلاج الشهقة

وجدوا ان خير علاج للشهقة ان يمكس لسان من يشقى بين اصبعين يمكس بهما فوطه ثلثا يغلب اللسان وان يشد ما امكن بحيث يبقى هيمه خارج انهم فاذا لم تنجح هذه الحركة في المرة الاولى تماد ثائية وفي ذلك الشفاء ٠ وقد احدثوا الى هذه الطريقة من الدكتور لا بورد الذي ما زالت تمتد الوفاة من الفرق والمصابين وغيرهم بسحب السنهم

علاج الزكام

انخل علاج الزكام ان يدهن المزكوم مخفوه بزيت الزيتون ويستنشق زهر الكبريت وان يات صدغيه من الليل بنديل ويمكن الترويق من الزكام في اوله بل المخبرين بصبة الارنيكا فاذا طالت مدته فليس غير هذه الصيغة يستعملها المزكوم وار احرقه ولكن فائدتها مغمونة

## صوت الرعد

رأى بعض الاختصاصيين بعلم الحوادث الجوية ان معرفة صوت الرعد عن بعد تدورقف على ملاحظة اول العاصفة او آخرها لا وسجلها والاحسن ان يلاحظ البرق الانقي المنبث من بين الغيم والارض فان صوته الجانف يعرف على ايسر وجه من الصوت الثاني من البرق الذي يجول بين الغيوم . قال اراغو العالم انه لا يسمع صوت الرعد الى ابعد من خمسة وعشرين كيلومتراً وسببه الامبراطور كانغ هي الصيني فقال انه يسمع من مسافة اربعين كيلومتراً وان صوت المدافع يسمع الى ٣٠ فرسنگاً ( ١٣٠ كيلومتراً ) وقال اراغو ان صدها قد يتردد الى بعد مائتي كيلومتر وانه سمعت المدافع التي اطلقت من ثغر بيرسموت يوم جنازة الملكة فيكتوريا الى بعد ١٣٤ كيلومتراً وقد قام الباحث المشار اليه بتجارب عديدة منذ بضع سنين فلم يستطع ان يسمع صوت الرعد الى ابعد من ٤٥ كيلومتراً هذا اذا لم يحل ذونه جبال ولا آكام وكان الهواء ساكناً . وان عاصفة تحدث عن بعد خمسة عشر كيلومتراً فقط قد لا يسمع صدها حتى ان بمشهد قال انها اذا ارعدت السه في لاهاي لا تسمع في ايدن وهي منها على اربعة فراسخ

## عداوة الزهور

يظهر ان بعض الزهور اعداى اشد عداوة كالورد فانه لا يطيق الا سليلع ( ريزيدا ) ولك ان تربط واحدة من كلهما بما سيف باقة وتصنعها في الماء فبعد ساعة تذبل الوردة واختبا على حين تريد تلك الزهور الاخرى نصارة والسوسن قاس ايضاً على سائر الزهور يقتلها بدون رحمة على العكس في القرنفل وعباد الشمس فيجب احدهما صاحبه فوا أسفاه حتى الزهور التي تمطر الارجاء لا يتحمل احدهما الآخر

## مضار التدخين

في احدى المجلات الافريقية ان مضار التدخين لا تنحصر في النيكوتين اي سمه فقط بل ان للدخان مجموعاً اخرى تصيب شاربيه وهي موجودة في تركيب مادة اللخان وهي البيريدين والكريزول وحامض السكرين وغيره وكلها ضارة لمن يدخنون اللغائف الكبيرة واللغائف المسترعة من التبغ وهي اسوأ اثرأ في الاكثر في من يلعبون اللخان فيصل الى الرئتين فينشأ منه قيء واضطراب في القلب وعرق بارد ولا يتوقف بطليل التدخين الا على قوة ارادة ولاجل ان تعزف النفس عن التدخين يجب ان يتخضع المدخن بحره ٢٥٠ في المئة من نترات الفضة فاذا احب بعدها التدخين يصاب بحرق



شديد يدوم معه زمناً على ان هذه المضمضة لا تخلو من خطر ثم ان نترات الفضة تسود الانسان في برهة قليلة ورأى احد اطباء الروس ان يدهن غشاء الفم بنترات على معدل خمسة في المئة والافضل من هذين الطريقتين ان يدهن سقف الحلق بمحلول نترات الصودا بكية ١٠ في المئة

### لون الجوارب

من الجوارب ما يزول لونه في الحال فليك اذا احبت حفظ الوانها عليها ان تجعلها في ماء فاتر وتغسلها باثني عشر لتراً من الماء البارد تجعل فيه سبعة من الملح وقدحاً من الخل الجيد

### ازالة البقع

لتنظيف البقع من الثياب ( كالافصة وانقماطين وغيرها ) وازالة آثار الرطوبة : افركها بالمحلول الآتي : ملعنة من الملح بمزوجة بملعنة من ذرور التمشاد تخلط في ربع قدح ماء وتضع من هذا المحلول على البقع مرات متوالية ثم تترك الثياب منشورة في الهواء نهاراً ثم تغسلها على العادة فلا يبقى فيها أثر حتى ولا البقع القديمة

### البورصة

كتب خليل افندي سعد في الميذب رسالة في البورصة جاء فيها ان البورصة نادر يجتمع فيه التجار والمضاربون فيتمون فيه ويبيعون إما نقداً وهو قليل وإما الى ميعاد وهو اهم اعمال البورصة لما يجد فيه المشتري من السهولة والامل بارتفاع الاسعار فيجعله ذلك على مشتري كميات انماها أكثر مما يقدر على اداء نقداً

واعمال البورصة على نوعين احدهما يختص بالتجارة بمواصل الارض كالتخمين والحروب والسكر والمعادن وغيرها والآخر يختص بشراء وبيع القراطيس المالية من مثل اسهم المصارف وسندات الحكومات المالية واسهم السكك الحديدية وما شاكل ذلك ولكي يعلم القاري ما معنى هذه الاسهم وكيف توجد بطريقة رسمية لتعريف صالحة للتعامل بها تقدم له مثلاً وهو كيفية تأسيس المصارف ذات الاسهم وهالك البيان :

اذا عزم احد على انشاء مصرف وكان غير قادر على تقديم رأس المال من جيبه الخاص فانه يدعو جماعة من التمولين للاشتراك معه في هذا العمل فيؤلف لجنة تدعى لجنة التأسيس او المؤسسين . فهو لاه إما ان يؤدوا كل ما يطلب لرأس المال ، وإما ان يقدموا جزءاً منه مقابل اسهم معلومة يأخذونها ويطرحون الاسهم الباقية برسم البيع

بالاشتراك فيشترك من يريد من الناس بعدد منها كل على قدر ارادته  
 فاذا اعلن المؤسسون عن وجود مئة الف سهم مثلاً كل سهم بثلاثة قرش فقد ترد  
 لم اشتراكات بخمسة مئة الف سهم فيقال حينئذ ان اسهم هذا المصرف غظيت خمس  
 مرات ولذلك فلا يزال من كان طالباً خمس مئة سهم مثلاً الا مئة سهم فقط لوجوب  
 توزيع هذه الاسهم بالتساوي على طالبي الاشتراك فيها  
 ثم ان المؤسسين يختصون انفسهم باسهم يأخذونها مجاناً او بثن قليل جداً «اي السهم  
 بجمعة قروش مثلاً» مقابل اتعابهم في انشاء المصرف، وتدعى هذه اسهم التأسيس  
 فيعطى لحاملها شيء معلوم مما يبقى من الارباح بعد توزيع خمسة في المئة مثلاً على  
 حامل السهم العادية

قلنا ان ثمن السهم من اسهم هذا المصرف الاعتيادية مئة قرش فاذا عمل المصرف  
 بعد تأسيسه اعمالاً كثيرة الربح ارتفعت قيمة اسهمه جميعاً من مئة قرش الى مئة  
 وخمسين مثلاً او أكثر او اقل تبعاً لمقدار الارباح والعكس بالعكس. اما اسهم التأسيس  
 فيعطاها اصحابها بالاثمان التي تساعدهم عليها حالة السوق وقد يبلغ ثمن السهم الواحد بين  
 عشرة الى خمسين ليرة تبعاً لشروط المصرف وموافقتها في توزيع ارباح طائلة على الاسهم  
 التأسيسية ذات الامتياز

وهذه الاسهم جميعاً عبارة عن ورقة مطبوع عليها ثمرة السهم وقيمتها الاصلية وبذاتها  
 عدد من الكوبونات وهي مربعات محاطة بخقوق تمكن من قطعها على حدة فيقطع فيها  
 كل سنة واحد من هذه الكوبونات أو القطيعات يسلم الى المصرف وينقد حامل السهم  
 قيمة القطيعة وهذه القيمة تكون اما خمسة بالئة او أكثر او اقل تبعاً لمقدار ارباح المصرف  
 او ما يبينه في اعلان سابق يدرجه في الجرائد الحلية ميتاً مهاد قبول الكوبونات وانما بما  
 هذه اخص الطرق لاصدار اسهم المصارف فيمكن يقاس عليها كيفية اصدار  
 اسهم باقي الشركات التجارية ومنذات الحكومة التي تقترض بموجبها ما يسد به دينها  
 والان فنتعد الى كيفية المعاملة بالبيضايع والاسهم وهي ما يأتي

تفتح البورصة عند الساعة التاسعة صباحاً فيجتمع التجار والمضاربون في ردهتها  
 ولا يسمح بالدخول الى حلبة المقادة بالبيع «اي عرض البيضاعة او الاسهم» الا  
 لافراد مخصوصين هم السامرة وكلاؤهم

فهؤلاء لا يكونون قبل ان يدخلوا حلقة الندادة قد تلقوا اوامر مختلفة من عملائهم

بعضها بالمشتري وببعضها بالبحر بالثمن يعرضها لم . فيدخلون ويد كل منهم مذكرة بشكل  
دقتر صغير فينادون ويعرضون ما ليسهم من البضائع او الاسهم ميتين اثانها وذلك كان  
ينادي احدهم قائلا : عندي خمس مئة قنطار قطعنا من الصنف الوسط والقنطار بعشرين  
ريالا تسليم اذار ، او اني اشتري مئة سهم من اسهم البنك العقاري بثلاث مئة فرنك  
السهم لميعاد شهرين فيجيبه آخر اني اشتريت ما تعرضه وآخر اني بهتك ما تطلبه فيدون  
ما يبيع وما اشتري في مفكرات يوقعا البائع والشاري

فاذا كان البيع نقداً والبضاعة حاضرة يدفع الشاري الثمن ويستلم ما اشتراه . اما  
اذا كانت المعاملة الى ميعاد فلا يطلب من الشاري الاجزاء من الثمن ( بين ٥ و ٢٠ في  
المئة تبعاً لحالها ، من المالية

كثيراً ما سمعت الناس يسألون عن معنى التفتاية . وعندما اشتغلت النساء في يشتري  
اسهم المعادن منذ زمن في بيروت سمعت احداهن تقول ان فلانة غطت بايزارها او ما  
ماثل ذلك

ولكي تعلم حقيقة معنى التفتاية البورصة لا الوجهية تفرض انك اشتريت مئتين  
وخمسين قنطار قطن مصري وهي اقل كمية يتعامل بها من صنف القطن في البورصة .  
فان كان عميلك على ثقة منك فانه قلما يطلب منك ان تدفع مقدماً اكثر من عشرة  
قروش على كل قنطار بصة ، تأمين بأخذه لنفسه اذا هبطت الاسعار . وبما ان شراء  
القطن يكون لواعيد مختلفة فانك تعين الميعاد الذي تستلم فيه ما اشتريته فتوصي عميلك  
بان يشتري لك هذه الكمية تسليم شباط او ايار او غير ذلك . فالفظة تسليم هنا وهمية  
لانك لست تاجر قطن لتستلم وانما المقصود انك تبيع ما اشتريته في ميعاد الذي لم تقبض  
او تدفع فرق الثمن الذي يكون قد صعد حينئذ او هبط . فاذا استمرت السعر في صعود  
فلك ان تبيع وقتاً تريد وتربيع فرق الثمن . اما اذا هبط السعر ففسرت اكثر من  
العشرة قروش التي دفعتها تأميناً فيطلب منك العميل اما ان تنظي الخسارة فندفع عشرة  
قروش أخرى واما انه يضطر الى تصفية ما اشتراه لك فيبيعه لك لئلا تلحقه الخسارة شخصياً  
لانه هو المسؤول لانت بالخسارة امام من اشتري هو منه لحسابك

في البورصة حزيان احدها يضارب على الصعود فيكثر من المشتري ليدفع الاثان  
الى الاعلى والآخر يضارب على النزول فيكثر من عرض البضائع والاسهم للبيع لتكثر  
على طلبها وتكسد فتبهط الاسعار ولكل من هذين الحزبين حيل وطرق للوصول الى

الغاية لا يمكن استيفاءها هنا . غير اننا نصح للمتأملين بالبورصة ان لا يفترخوا بالتغيرات التي تأتي من الخارج عن اقبال المواسم او محلها لان بعض المضاربين قد يشيع نشوب الحرب بين دولتين لتهدد الاسعار ويخرج من مركزه راجحاً وفي كثير من الاوقات يحكم حزب الصعود صفقاً من البضاعة ولا سيما اذا صار قليلاً قرب انتهاء موسمها فيرفع اسعاره بقدر ما يتمكن من ذلك . وهذا هو السبب في بقاء اثمان بعض الاصناف مرتفعة على الرغم من قلة الطلب وفرة وجود البضاعة . ويعلم ذلك من اثنان الماس الآن فانها فاحشة الثمن الى ما يجب ان تكون عليه وما سبب ارتفاع ثمن القيراط من ١٥ ليرة الى ٣٠ ليرة مؤخراً الا تمكن جماعة من احتكاره وخصوصاً بعد حرب البيرر وتعطل معادق الناس زمناً

فيري من ذلك ان المضاربين كثيرة الاخطار ولو كانت مبنية على الحكمة والتعقل والدرس واليقظة . فقد يكون انضارب على علم بزيادة المطوعية لصنف من الاصناف مع عدم اقبال موسمها فيجهجم على المشتري شتاً من ان الريح تقم . والى ان يرى امالة بالعكس في كثير من الاوقات ، اما لا صباب محلبة توجب انمال هذا الصنف او لقليله وإما لعارض وقتي من مثل اشهار الحرب بين دولتين او اعتصاب العمال او لانفاق حزب النزول على تنزيل قيمته او لقيام صنف آخر مقامه وعلم جراً . فاذا كان لا يد اشغف من المضاربة بالبورصة فأفضل نصيحة ادمه انه ان يتروى كثيراً قبل المشتري او البيع فيدرس حالة السوق على خبرين ثم اذا اسعده الحظ وكسب عليه ان يكفي بالبيع القليل حالاً لانه يكون قد وثق منه ثم يعود الى الاتجار راجحاً بعزم جديد ومكسب يمكنه من تحمل الخسارة لو وقعت . فيمكنه اذ ذلك ان يخرج من مركزه مردداً قول القائل :

على انني راضى بان احمل الموى واخرج منه لا على ولا ليا

وقد دل الاختبار على ان البورصة لا يمكنها ان تبلغ جراحها الا في من يتموون لطيمهم بالنفي العاجل مع ان النفي العاجل من البورصة لا يكون الا بنسبة ١٠٠ الى ١ من حوادث اغراب وذلك للشباب معظم ارباح انضاربين الى جيوب السامسة الذين ينشون المثار فياً كلون الارباح صاعداً ونازلاً سواء ربح المضارب على ايديهم او خسر ، لان نصيبهم ( وهو في الغالب عمولة قدرها ٥ في المئة ) ثابت لا ريب فيه مالم يفترخوا فيجازفون بآلهم الخاص ارضاء لعملائهم

في البورصة طريقة لتأمين المضاربين على اموالهم بتحديد خسائرهم وهي ان يدفع المضارب مبلغاً معلوماً بصفة سوكارتاه ضد صعود الاسعار او هبوطها تبعاً لارادته فاذا شاء المضاربة بالنطن مثلاً واختار طريق الصعود اي ان يكون شارباً لا بائعاً فانه يدفع بخوريج ريال على كل قنطار لمدة شهرين فيأمن الخسارة معها ببط السعر ولكنه لا يربح الا اذا ارتفع الثمن اثنا عشر شهرين فوق الربح ريال الذي دفعه بصفة تأمين له ضد الخسارة

وهناك طرق وعمليات أخرى من مثل العملية المسماة « ستلاج » وهي الربح سواء صعد الثمن او هبط مقابل دفع مبلغ اكثر من المبلغ المتقدم ذكره مما لا فائدة من الاسباب في شرحه هنا لماثلته لما تقدمه في الجواهر

وخلاصة ما تنصح به للقارئ ان يتبعد عن البورصة لانها كثيرة الاخطار والنفقات والمهموم . وقد يوافق الاشتغال بها لمن كان عضواً في داخلها يقف كل يوم على بواطنها فيتمكن من التنصية حالاً . اما من كان بعيداً عنها تخسارته له ومعظم ارباحه لغيره هذا فضلاً عما يحيف بالبورصة من الدواعي والاسرار التي تغل الايدي عن السعي وتفيد الهمة عن الظهور بظهورها الحقيقي خلافاً لحقل التجارة الواسع فان فيه لنوي الذكاء والهمة والاستقامة مضرباً ثانياً الاطراف يمكن من كان مستعداً من الاصلاح والفوز بالفلاح

#### سر السعادة

كثبت احدى العقائل في عملة مطالعات البيوت ما تعريه : قال الفيلسوف فون كنيبل : « سكن رغائبك اشديدة واجلس الى مائدة الحياة كما يجلس الضيف المحتشم ولا تطلب هتفاً من الطعام لا تراه مكتوباً في قائمة الالوان » وهي تكلت فيها سر السعادة فان حياة المرء لنقص في البحث عن السعادة وكمن افراد قلائل يتيسر لهم الحصول عليها . يدخل المرء في سن الله شرين مضمار الحياة فيريد ان يؤسس له مقاماً بالرضى او الغضب ويحاول ان يحرز او يأخذ النمر الزاحمة في يانصيب الحياة وكل يظن نفسه على ثقة من ربح الشطر الاعظم لان الاهواء في السعادة تختلف باختلاف الأشخاص حتى اذا بلغ الاربعين يصب ويشكو ويقول انني اضمت سعي هباء ولم احظ بما اتطال اليه من السعادة ولو بحث المرء في حياته بحثاً مجرداً عن الهوى لاعتزف في الغالب انه جعله بالوم قد تغل على عن الوف من الحقائق الحسنة في الحياة السعيدة

السعادة تنشأ اليوم بعد اليوم من ثلثات مختلفة موقنة وافراح طفيفة رائقة تكون  
بنت ساعتها فالواجب ايجادها بهمة وعناية على نحو ما تعمل النحلة العسل الجيد من عصارة  
الزهور المتباينة في الجودة فلقد كتب كارنو الكبير الى ماكديبورغ في ساعة بأس  
بالايات الآتية :

( ١ ) ايها السعادة انت التي تحرك بك كل شيء على الارض

ايترك لنمائك على الكبراء ام في القرى ؟

في اسباط ام في سباريس ؟ في المسكر ام في المقبرة ؟

ام انك تؤثرين الغابات ام حفظ القطمان ؟

أأنت في البذخ ام في المجد ام في الوم ؟

في الرغبة الحاصلة ؟ وفي الخلاص من الامراض ؟

في الصداقة او الحب او في البغض ؟

في السلام والمعرفة والفضيلة او بين القبور ؟

السعادة ايها الغالي الجزوع هي بنت الامل

هي في نوادنا وهي تنوج الطهر والغف

نقام ندورنا وتأقي غير متظرة

هذه الهدية من الخالي هذه الجذوة السايوة

لا تأقي تعريفا فهي خبز الروح

لا تعرف قيمتها الا بفقدانها

والحق مع كارنو الكبير في جملة السعادة ابنة الوجدان المستريح وانها خاصة بالامل  
ومن لم يقع له ان تحقيق رغبة طلبت زهنا لا تنشأ عنها المسرة التي كانت تثوق من اقبل  
الحصول عليها فاجل القصور وازهاما للسكى القصور التي يبنها صاحبها في اسبانيا ( اي  
الاشتغال بعالم الخيال ) وان ما يبعد السعادة من طريقنا عدم قناعتنا بما يحصل في اليد  
ونفتيط به فقرة السعادة هي حسن استعمال ما في الحياة من صالح وعدم مطالبتها بما  
لا تستطيع ان تمنحه

وربما رأينا زوجين تكدر عيشهما بعد اقترانهما بقليل لان الزوجة نظرت الى ارفع منها  
مقاماً فحسدتهن وارادت بال زوجهما تنافسن فما هي الا عشية او ضحاها حتى تحمل بعلها

( ١ ) عريها بالحرث ثراً هل بعض شعرائنا يربونها شعراً

عَلَى الاحتمال للعائش لئلا تها بما تريد لذخها واسرافها فيترك سنن الاقتصاد والبساطة ويحاول ان يسعد امرأته أكثر من اسعاد القطرة لما فاقها هو الا ان تسود الدنيا في عينيه وعينيها ويضطر الى الابتعاد عنها في طلب مظاهر الرفاهية واذا رزقا اولاداً لا يكون منهم غير لتفليس العيش والشكوى عَلَى حين هم شامة الانس وزينة النفس .

ليس لك من الحياة الا ما اعدته وكثيراً ما نكون نحن العاملين على شنائنا بانفسنا فبقليل من العقل والخبرة كان سيف وضع هذه المرأة التي جعلت حياتها يدها لمجاهدة البؤس ان تكون بزواجها اسعد مما هي وكان لزواجها بشيء من المضاعف والعمل وحسن السلوك بدلاً من ان يعيش في البؤس ان يصحح ذا مقام متناسب مع ذوقه واصله وامانيه ولو صحت بمة تلك الاثم عَلَى ان يكون لها حنان حقيقي لاستطاعت ان تحسن تربية ابنائها الله هم علة شغلها وربما غلبها .

الحياة دار عمر لا دار مقر لا يقف فيه السائر فالواجب التقدم عَلَى الدوام والاكتفاء بجني الزهور التي تصل يدنا اليها بسرعة عَلَى الطريق ونحن سعداء اذا لم تكن بمن اصابنا ايديهم شوك وعوج واذا كنا بمن خائنا السعادة فليسا ان تجعل مرور غيرها علة اسرورنا انفسنا وعلينا ان نعلم الى صالح الاعمال بدون جزاء وان لا نبعد قطع عن خطه الواجب ننظر في امرأة ماضية بدون الم لوجداننا وعلينا حتى نساعد ان ننظر الى تحتها الى من فوقنا ولا نكدر عيشنا بخوف ما يحدث وربما لا يحدث فكما عذاب يارباه يحدث لنا من الشرور التي لا تلحقنا نجتها .

فالعاقل يستمتع بما ملكت يده وينظر الى المستقبل باماً ويقول ان الحياة زائلة والايام معدودة فلماذا لا اغتنم السعادة الحاضرة . فاذا طرق البؤس بابي ذات يوم انقذه باحتشام رجل عرف الاستمتاع بالايام الرائقة . وقليل في الناس اليوم من يرضون بما قسم لهم بل يطلبون ارق منزلة مما هم فيها ويعطون الى اسباب ليست لهم ومن موجبات الاسف ما تسببه من شكاي الناس الذين يشكون بما لا يشتكي منه وليس ابوسهم اثر الا في مخيلتهم او في اطباعهم التي لا تشبع وهم ابداء في خيبة مما أعطوا ولو عقلا لكانوا سبب سعادة للبائسين في الامور التي يكون منها ويتنجون . قال فوستل دي كولانج المؤرخ « ان الواسطة الوحيدة لبعادة الانسان هو ان لا يفكر في نفسه بل يعمل لغيره وان يتصرف بكيفية الى عمل يعتقد نفعه للبشر لم يجدوا حتى الآن اسباباً توليه السعادة والملاذ تعزف عنها النفس بسرعة والمطامع لاحد لها فالخلاص هو الذي فيه الخساة

والجزء في ذاته

اذا نقص شيء مما تريد تفكر فيمن لا يملكون شيئاً في هذه الدنيا . ذهب احد الفقراء لزيارة احدى الاماكن المقدسة ولم يكن له حذاء فمشى على الادغال والشوك يدي رجليه والحصى يضرهما وكان طول طريقه يشكو سوء طالع . وقلة ذات يده قال انه لما وصل الى المكان المقدس رأى زواراً اتعس حالاً منه رأى اعجب لاساق له فقال بعد ان رأيت ما رأيت لم اعد اشكو من فقدي حذاء البسه في رجلي  
عمر الحيوانان

قليل في الناس من يعلمون كم تعمر الحيوانات فالحصان يعيش خمساً وثلاثين سنة والبق ثلاثين في الاكثر ويبلغ البغل سن الستين والكلب لا يصل الا الى الخامسة والعشرين والمهر الخامسة عشرة ومثله العنز والغنم وقد شوهد خنزير عمره عشرون سنة ولكن من النادر ان يقوا عليه بل يذبحوه والارنب قد يعيش من ثماني الى عشر سنين ويعيش الديك الهندي والساج البري ( الفرغر ) اثني عشرة سنة وذكر البط قد يبلغ الثلاثين وصغار الطير كالحياشة والصقور وحسون لا تتجاوز الخامسة والعشرين اما الغراب فانه كما يقول طلاء الحيوان يممر عمراً طويلاً

الجبن السريع

اذا اردت ان تعمل من اللبن الحليب جبناً في الحال بدون ان تستعمل الروبة التي يطول امرها متى مزجت باللبن فعليك باستعمال السمقر البري تمسح به الاناء النظيف الذي تضع فيه الحليب ثم تصب على الاثر اللبن الذي يجمد في الحال  
تدوير الساعات

افضل وقت ليدور الانسان ساعته ان يوقت لما وقتاً يربطها فيه كل يوم في المياد المنعين ومن الناس من يختارون الساء ومنهم من يختارون الصباح لربطها والصباح افضل اذ تكون الساعة في النهار معرضة لحركة اكثر من الليل فاذا كان عهدها بالرباط قريباً تظل بقوة الى آخر النهار ثم لا تزال تضعف في الليل الى صباح اليوم التالي وبذلك تسقيم جريتها وحركتها

طرد الجرذ والقران

عليك بدمن ثقبو الجرذ والقران بزيت النعنع فانها تكره رائحته كثيراً وذلك اسهل من استعمال السم لقتلها



## تدخين الحيوانات

يقولون ان الجمل والمجبن يبيان دخان التبغ متى أُغويَا به يسهل ان يحمل الانقال ويحلب منها كل صعب المتال وفي افرقية الشمالية يصعد من بقودون ذئك الحيوانين الى استهوائتها بالتدخين فيخضعان لكل ما يراد منها ومتى صح الزم على قطع الابداد الشاسعة بهما يعطونها لفائف يدخنونها فيسيران احسن سير ويكون مع قوادها في الغالب قطعة من الخشب مثثة الشكل يجعل في طرفها المثقوب لفافة والخشبة في فم الحيوان فاذا شعلت اللفافة يمس دخانها ويرسله من مخزئه حتى ينتهي منه ويطبق الجمل والمجبن عيونها في خلال شرب الدخان شاعرين بلذة فائقة وانس و يب

## بيوت الرمل

وقر في الاذهان ان البيوت التي تبنى على الرمل لا يقاء لما حتى اصبح ذلك من امثالم . نشأ ذلك مما ورد في بعض الكتب المقدسة من المقارنة بين من يبنى بيته على الرمل ومن يبنيه على الصخر على ان آخر الآية ان الامواج علت على ذلك البناء فانهار ولو بنيت البيوت في رمل جافتين لما استطاعت صروف الايام ان تقوضها وأهرام مصر اصدق دليل على ذلك لانها بنيت على الرمل وهي لم تقزع منذ الف من السنين

## المر في اليابان

كتب احد الباحثين ان المر نقل من الهند الى الصين ومن هذه الى اليابان وهو في الصين معدود من الحيوانات الاهلية منذ زمن طويل . وفي كتب الصين القديمة وصف مطول لاختلاعه وهو هناك يتوفر على اباد الفيران من الحقول التي تسطو على الزرع وفي سنة ١٢١٢ من التاريخ الياباني الموافقة لسنة ٥٥٢ للتاريخ المسيحي اخذوا في اليابان يقدمون ضحايا القتل وقد تبين له ان القط دخل اليابان يوم دخل المذهب البوذي وذلك لوقاية المخطوطات الصينية التي تبحث في الاخلاق من سطوات الفيران وكانت الاداة قديماً ان تجعل القتل في المعابد وكثيراً ما كانوا يرمون صورها في المحال التي تألفها الفيران

## حمل الاحمال

يحمل الناس احمالهم في البلاد الجبلية على الجزء الاسفل من ظهورهم او على اصلاهم وذلك بواسطة سير من جلد يحملونه من امام الصدر او بقدر يطونهم على الجبين بحيث ينفعهم بعمل اعصاب النقرة ومن النساء الفلاحات من يحملن جرار الماء على رؤوسهن

وعلى العكس في سكان الجبال فانهم يحملون الاحمال الثقيلة على رؤوسهم حتى تنزل قدة الحمل على الجسم ولكن اذا حمل هكذا في الصعود الشديد يمرض للسقوط الى الامام . اما الاشياء الخفيفة او المتوسطة فيتا في حملها بالنراخ وعلى الورك والكشف مباشرة او بواسطة ميزان كما هو الحال في الشرق الاقصى . ومن النادر ان يحمل الجمالون في البلاد السهلية على ظهورهم واذا فعلوا فانهم يحصلون الحمل على الجزء العالي من الظهر ولا يقربونه من الصلب كما يفعل الجبلون . وهذا كله ناشئ من تركيب الارض التي يعيش فيها المرء ترى ابن الجبال ربة جموتا قصيرا . ولذلك يحمل حملة على صلبه حتى لا يتعرض للسقوط وترى ابن السهل طويل القامة خفيف الجسم اهيف فيحمل الاثقال على جنبه او يرفه كثيرا غير متخوف عليها السقوط

#### البوسنة والمهرسك

كان سيرة البوسنة والمهرسك الى سنة ١٩٠٦ نحو ثمانين الف مزرعة وارض زراعية لا يملكها العاملون فيها من الفلاحين بل هي ملك للسادة والاغوات يعطيهم الفلاح ثلث غلاتها وقد اخذت حكومة النمسا ببتاع تلك الاراضي من اربابها ولكن على طريقة بطيئة وثلث اكرام الاولاد على العمل بالطرق الاهلية وكان يقضى من قبل نكي كل ولد من سن السادسة عشرة الى العشرين ان يسخر في الطرق واستعاضت عن ذلك بتكاليف وضعتها عليهم ومنحت الولايتين مجلسا نيابيا مصغرا .

#### اخلاق الكوريين

عادات اهل كوريا من اغرب العادات فهم لا يعرفون الغيطة وبدلاً من ان يخيطنوا البستهم وثيابهم يصمغونها بصمغ السمك وهم لا يعرفون القرش بل يدعهمون بدلاً . الواسا من الورق المزيت لطيفة للمس واكلهم بسيط للغاية ومادته الاصلية عبارة عن الارز ولحم الخنزير ولحم الكلب وهم على قرب بلادهم من بلاد الصين لا يعرفون الشاي بته وهم صناعات كوريا الورق وهو ام الصادرات الى يابان ثم القيشاني والفخار يصنعونه يذوق غريب . اما وسائل النقل فهي على الفطرة الاصلية ترى المركبات فيها قليلة جداً وانكرامي التي تحمل هي خاصة بالاغنياء والمتورين وثقله الخليل والحجر استأصروا عنها في حمل الاثقال بالثيران . والمرأة في كوريا محترمة للغاية ولكنه ينظر اليها كما ينظر للطفل وهي لا تسأل عن الجرائم التي تفتروها .

## بكور الطيور

جاء في إحدى المجلات الافرنجية ما مثاله معرباً: الطيور أكثر منا بكوراً في العادة نهي التي تتولى احتفالنا في ساعات لا تكاد تختلف ولا بأس بالوثوق بها فطير البرقش (الشرشور) يستيقظ في شهر حزيران ويأخذ بالتغريد نحو الساعة الثانية بعد نصف الليل وايوزريق في الساعة الثانية ونصف والساوى (سمانات) في الساعة الثالثة والبلبل في الثالثة ونصف والشحور يفرده منذ الساعة الثالثة ونصف الى الساعة الرابعة والتدليب يبدأ في الرابعة ونصف وايوزريق المستنقعات ربما تأخر تغريده الى الخامسة بسبب برودة المكان الذي هو فيه: الضباب المتكاثف عليه. والمصفور الدوري هو اكمل الطيور يتبعه من وكته في الخامسة ونصف ولكنه يملأ الفضاء بتغريده. هذه ساعة الطيور ومن اراد الاعتماد عليها في اوقاته فعليه ان يسكن الغابات ويتبع باصوات هذه المخلوقات لا يخاف دركاً ولا يخشى والاجدر ان لا يحصل الطائر الذي يروق السمع بتغريده. في نفس طائر ان يبقى كما يريد من الليث وأكثر الطيور ايسة للغاية وتحب مجتمعاتها اذا وقع في نفسها انه لا تمس حريتها. واحسن الطرق لجل صغار الطيور ويؤهبها سيرة ما من من عذاب الحررة وغيرها من الحيوانات الغامضة ان تضع حزمة من الشوك والعرس في جذع الاشجار التي تناط بها الاعشاش والطيور المغردة تطربها بنغمتها وهم من اعين الاعوان على نجاح الزراعة

## الاعمار والمقاييس

فيحيلة المطالعات اليتية ما نريه: ان علاقة الاعمار بالاعمال التقنية وتأثيرها هي من المسائل التي جرت المناقشة فيها كثيراً ولم تقبل عن نتيجة حتى اليوم. فمن المفيد من ثم ان نأتي على هذا الاحصاء الذي اوردته احد العلماء وقابل فيه بين اعمار زمرة من الرياضيين والشراء والمصورين فلورد في المقدمين لا يتز الذي عمره ٧٠ سنة واولها ٢١ سنة ولا كوانج ٢٧ ولا بلاس ٧٨ وكوس ٧٨ وافلاطون ٨٢ ونيوتن ٨٥ وارخميدس ٧٥ وقيسغورس ٩٠ واورد من الشراء والمصورين بندار الذي عاش ٨٠ سنة وسوقفلس ٩٠ ولويدس ٧٥ وسيمونيدس ٨٩ وشوبير ٧١ وميشل آنج ٩٠ والتيتين ٩٩ ونوردورث ٨٠ ولاندور ٨٩ فعملد الحياة بموجب هذه الارقام ٧٩ سنة لرجال العلم و٨٥ سنة لفنهم. فهذا الاحصاء يرضي القائلين بان الاشغال العقلية لا تختصم حبل الاجل اما القائلون بسكة فيقولون لك بالاحصاء ايضا ان رفايل مات في سن ٣٧١ سنة وموسى

في ٤٢٨ وعجرب موروفي ٢٨٨ وشكسبرو برون في سن الشباب وغيرهم ماتوا في زهرة العمر . وعليه فلان احسن شرح لما تقدم ان يقال ان الارتقاء في الامور العقلية في الأكثر نتيجة الصحة الجيدة وان القوة الطبيعية هي التي تعطيل الاجل في حين ان هذه الانتال العقلية نفسها تقصر اعمار ضعاف الاجسام وتقودهم في الاغلب الى اشد حالات الاضطرابات النفسية

### ابادة الجراد

لم ير الباحثون حتي الآن في طبائع الجراد واضراراه بالزروعات والاشجار بحيث يتفهم الاخضر واليابس الا ان تتوفر العناية علي جمع بذوره قبل ان تفرخ وتبيض كما يصل الصحراويون في بلاد مراكشي والجزائر حيث يكثُر الجراد فيجرد كل خيرات البلاد معظم السن .

### دواء النمل بل

كثير من الناس من يريد التخلص من النمل اندي يعاجلن بملء الاون فتضيق به انفسهم وتؤدي به تقوسن ليصعبن رشقات مديقات . والذريعة الى ذلك ان يمدن الى تمرين عقلي بسيط للغاية فاذا احبت المرأة ان تنصر وركبتها فعليها ان تقطع علي الارض مستطيلة ووجهها علي الارض وترفس برجلها مرات ثم تنفض وترفع ساقيها ثانية لما يجيئ تكون ساقيها علي صورة زاوية قائمة مع قائمتها وتظل تعمل هذه الحركة بأكملها خمس دقائق كل مرة . وفي الاسبوع التالي تدف منمنصة وتضع ذراعها وراء ظهرها وتحمل شيتين ثقيلين تربطهما بطرفي حبل وفي الاسبوع الثالث تصعد الى حني وركبتها وتقدم الساق الثانية مدأً مسطيلة وتضع يدها منمنصة علي الارض وذراعها الاخرى وراءها وفي الاسابيع التالية تحني بدون ان تنفي ركبتيها بحيث تمس اطراف اصابعها اطراف رجليها ولا بأس من الاعتماد على كرمي في بداية هذه الرياضة بقسط ويستحي . فليابد . ثم تقفز بد ذلك مستندة الى اطار ( طارية ) واسع وهو احسن من الحبل الذي يقفز به . حتى اذا اكتنت المرأة ثياب الزينة تنصب مستقيمة وتعد ذراعها ثم تضيق الهواء بكل ساقيها من قوة ثلاث مرات وبهذه الواسطة تجزل جسمها بحول الله وقوته وتقدو رشقة القوام — انتهى معرباً عن مجلة البيوت



## القضاء والنواب

١

مصحفة من تاريخ القضاء

ترى الناس على اختلاف مذاهبهم وظلمهم واجناسهم مجمعين على انتقاد اعمال  
القضاة والنواب شاكين كل حين من ظلمهم وغدرهم على ان العدل والامن والراحة  
العامة وتأمين الحقوق في ايديهم وحياة الامة وعمران الوطن وسعادته تتوقف على  
اصلاحهم فعم على ما هم عليه من المكان من حيث الدين والدنيا ترى اكثريهم كانوا من  
اكبر المخربين في هذا المجتمع الانساني وقد تيسر لي اختبار اعمالهم وافعالهم فرأيت ان  
اكتب شيئاً عنهم غير اني لم اقدم عليه قبل الرجوع الى امهات الكتب الدينية والوقوف  
على حقائق هذا المنصب العظيم .

وقد انشأت هذه المقالات بعد ان طالعت مقدمة ابن خلدون وحاشية ابن عابدين  
وتكلمته والاشباه والنظائر والاحكام السلطانية وتاريخ الطبري وتاريخ الكامل لابن  
الاثير ورحمة الامة في اختلاف الائمة والميزان لشعراي وسراج الملوك وغيرها ولذلك  
ارجو من وجد غرابية في بعض اقوالى ان يرجع الى هذه الكتب المهمة .

القضاء

القضاء لغة : الحكم ويحيى<sup>٤</sup> بمعنى الفراغ والاداء واما القضاء شرعاً فهو فصل  
الخصومات وقطع المنازعات غير انه مظهر للامر الشرعي لا مثبت .

كان النبي صلى الله عليه وسلم وحياً يوحى لا ينطق عن الهوى ولذلك لم يكن قضاء في زمانه وفي مقرر نبوته لانه كان يأتي بالحكم او يحكم مثلاً يوحى اليه غير انه عليه السلام لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن ارسله اليها عاملاً وقاضياً وبعث علياً الى جهة اليمن عاملاً وقاضياً فكان امر القضاء ممتازاً مع الامارة في زمان النبوة ولما صار ابو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة قال له ابو عبيدة انا اكفيك المال يعني الجزاء وقال عمر انا اكفيك القضاء فكث عمر سنة ولم يخاضع اليه احد فكان عمر اول قاض في المسلمين .

ولما تولى الخلافة ادرك ان توسع امر القمع وكثرة الاشتغال بالسياسة يؤخره عن القيام بالقضاء ولى ابا الدرداء معه في المدينة وولى شريحاً في البصرة وولى ابا موسى الاشعري بالكوكة وكسبه له كتابه المشهور الذي تدور عليه احكام القضاة وهي مستوفاة وفيه يقول :

« اما بعد فان القضاء فرضة محكمة وسنة متبعة فانه اذا ادي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا تقاذه وامس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك البيعة على من ادعى واليمين على من انكر والصالح جائز بين المسلمين الا صلحاً اهل حراماً او حرم حلالاً ولا ينمك قضاء قضيتك امس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التجادي في الباطل الفهم الفهم فيما قبلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشياء وقس الامور بنظائرها واجعل لمن ادعى حقاً غائباً او بينة امداً ينمحي اليه فان احضرت بينة اخذت له بحقه والا استخلت القضية عليه فان ذلك اتنى للشك واجلى للعاه . السلطان عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً في حد او مجرباً عليه شهادة زور او ظنيماً في نسب او ولاء فان الله سبحانه عني عن الايمان ودرأ بالبينات واياك والقلق والفجر والثأقف بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام »

وكان الخلفاء الراشدون يباثرون امر القضاء بانفسهم ويقلدون القضاء عمالم مع الامارة ولما ازداد القمع واتست الممالك وتوفرت الامور السياسية وكثر الاشتغال بها وصارت مدافعة الاوطان ذات بال وعظم امر الجهاد ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظم العناية به اخذوا يولون القضاء غيرهم تحقيقاً على انفسهم غير انهم كانوا يقلدونه

أهل عصيتهم بالنسب ومواليهم ولا يقدرونه من بعد عنهم .

وكانت وظيفة القاضي في صدر الاسلام محصورة في الفصل بين الخصوم فقط ثم اتسعت وحينما نفرد الخلفاء بالسياسة صار لهم مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من الجائدين واليتامى والمفلسين وأهل السفه وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الأيتام عند فقد الأولياء على رأي من رآه والنظر في مصالح الطرقات والأبنية ونصف الشهود والأمناء والنواب والتحكيم عن أحوالهم ليحصل له الوثوق بهم وقد كان الخلفاء من قبل يحولون للقاضي النظر في مظالم وهي وظيفة متميزة من سطوة السلطنة ونصف القضاء وتحتاج إلى طوي يد وعظيم رغبة في نفع الظالم من المحصنين وتزجر المتعدين منها .

وقد بلغ منصب القضاء مقاماً عالياً وكان في مقر الخلافة قاض يقال له قاضي النضاة وكانت ولايته عامة وكانت في كل مدينة وحتى في كل جهة من بغداد وقاض لكل مذهب قاض في المدن الكبرى وكان قضاة ينظرون في مخاصمات الحرم فقط .

كان الخلفاء الأمويون والخلفاء العباسيون في أول أمرهم لا يولون القضاء إلا لأهله وكانوا يرغبون في علم القاضي وعقله وفضله وكالاته ويولون القضاء للمتولي والظاهري والشافعي والحنفي والحنبلي والمالكي وكان بين القضاة من مزج المذاهب في خطبه ولما تسلط المالكي على خلفاء بني العباس وصار لهم الأمر والنهي وأصبوا سلاطين مطلقين في مقر الخلافة أخذوا يتدخلون في القضاء مع أنه من حقوق الخلافة الصريحة وسأروا يولون من يشاؤون فأضاعوا حقوق الله وحقوق عباده وهتكوا حرمة الدين .

ثم ولي مع الدولة بن بويه أبا العباس عبد الله بن الحسن بن أبي شوارب القضاء بالالتزام فضمنه هذا الخبيث على أن يؤدي كل سنة مائة ألف درهم وكان أول من ضمن القضاء فغضب الخليفة المطيع لله ولم يقدر على عزله غير أنه اكتفى بمنعه عن الدخول عليه وأمر بأن لا يحضر الموكب ثم عزل بعد عامين ونقل القضاء مكانه أبو بشر عمرو بن أكرم وعفا عما كان يحمله ابن أبي الشوارب من الضمان عن القضاء وأمر بإبطال أحكامه وسجلاته غير أن أبا الشوارب فتح هذا الباب وصار أمر القضاء إنحساراً في بعض الأحيان وصار مثلاً سيئاً فأصبحت الحسبة والشرطة تولى بالضممان وهذا من أسوأ ما ارتكبه السلاطين في أيام بني العباس . وكان من أهم أسباب انقراض أمرهم ومن أهمهم أن بهاء المولوة قلد النقيب أبا أحمد والد الشريف الرضي نقابة العلويين

بالعراق وقضاء القضاء والحج والمظالم وكتب عهده بذلك من شيران فامتنع اغليفة من تقليده قضاء القضاء وامضى ما سواه . وهكذا فسد امر القضاء وقتل من تولاه من ارباب العفة والاستقامة .

وكان بعض الزهاد المتقين من الفقهاء يمتنعون عن قبول القضاء لما يشاهدونه من الفساد في تلك الايام ويشغل بعض ارباب الفضل هذا المنصب حفظاً لاحكام العدل والدين فمنهم ابو بكر محمد بن المظفر الشامي تولى قضاء القضاء في بغداد ولم يأخذ على القضاء اجرا وافر الحق مقره ولم يحجب احداً ورد شهادة احد الفقهاء لانه لبس الحرير وكان السلاطين يومئذ يعظمون القضاء رثاء الناس لمنصبهم الشرعي ولكنهم كانوا يرغبون في تولية الجبال والفاستدين حتى يسيطروا عليهم ويتيسر لهم بذلك اخراج القضاء من مجالسهم فاستقلوا بأرائهم واستبدوا باحكامهم فهذا هو البلاء المبرم والقضاء المحكم فلا حول ولا قوة الا بالله .

## ولاية المظالم



ولاية المظالم او نظر المظالم . وولاية بمنزلة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء فهذه الوظيفة تحتاج الى علو يد وعظم رتبة لتقع المظالم من الخصمين وتزجر المعتدي من المتنازعين ولذلك كان شروط الناظر فيها ان يكون جليل القدر نافذ الامر عظيم الهبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع وتكون هذه الصفات في ولي المهد او وزير مفوض او امير الاقاليم وقد تكون الولاية عامة وتكون مقيدة بما يجز عن انفاذه القضاء .

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم المظالم في الشرب الذي ننازعه الزبير بن العوام ورجل من الانصار ولم يتعبد للمظالم من الخلفاء الاربعة احداً لانهم في الصدر الاول مع ظهور الدين كان الناس يتردعون بالوعظ فلم يكن بينهم اعتداء ولا خلف الا على امر اشتبه به غير ان علياً رضي الله عنه لما تأخرت عنه الامامة واختلف الناس فيها سلك هذه الطريق واستقل بها وبعد حين اخذ الناس يجاهررون بالظلم والتغالب ولا يستنون الى الوعظ واحكام القضاء .

فبدأ خلفاء بني امية ينظرون في المظالم واول من خصص لها يوماً عبد الملك بن مروان وكان يرجع في الاحكام الى قاضيه ابي ادريس الاوري فكان ابو ادريس المباشر وعبد الملك الآخر ثم زاد جور الولاة وظلم العتاة زيادة لم يكفهم عنها الاقوى



ألا يدي وانفذ الاوامر .

وكان عمر بن عبد العزيز لول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها وراعى السنن العادلة ورد مظالم بني أمية على أهلها حتى قيل له وقد شدد عليهم فيها واغلظ انا تخاف عليك من ردها العواقب فقال : « كل يوم اقيته واخافه دون يوم القيامة لا وقيته »  
 واول من جلس للمظالم في بني العباس المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم المأمون خصصوا لها يوماً يقال له يوم المظالم ودام نظر الخلفاء فيها الى عهد المهدي .

كان الخلفاء يباشرون النظر في المظالم بانفسهم ورفعها بعضهم احياناً الى قضائهم فمر بن عبد العزيز كان يوكل قاضيه ابا ادريس الغولاني والمأمون يوكل يحيى بن أكثم والمتصم يوكل احمد بن ابي دؤاد .

وكان اغليفة يستكمل يوم المظالم مجلساً حافلاً من خمسة اصناف لا يستغني عنهم ولا ينظم النظر الا بهم احدهم الحماة والاعوان لجذب القوى وايقاع الحية وثانيهم القضاة والحكام لاستعلام ما يثبت عندهم من الحقوق ومعرفة ما يجري في مجالسهم بين الخصوم والثالث الفقهاء ليرجع اليهم فيما اشكل ويسألهم عما اشبه واعضل والصنف الرابع الكتّاب ليثبتوا ما جرى بين الخصوم وما توجه لهم او دأبهم من الحقوق والصنف الخامس الشهود ليشهدهم على ما اوجه من حق وادعاء من حكم .

واما وظائف ولاية المظالم فهي على عشرة اقسام القسم الاول النظر في تعدية الولاية على الرعية وتظلم فينظر فيهم ان وجد منهم منصفين نواهم وان وجد منهم ظالمين كف اذام واستبدلهم القسم الثاني النظر في جور عمال المال وجباةه فيرجع فيه الى القوانين العادلة في دواوين الائمة فيحمل الناس ويأخذ العمال بها ويرد الزيادة ولو دخلت بيت المال القسم الثالث النظر في احوال كتاب الدواوين والمستفدين لانهم امناء المسلمين وابقافهم على حدودهم .

القسم الرابع النظر في تظلم المرتزقة من نقص ارزاقهم وتأخرها فيرجع الى ديوانه فيفرض العطاء العادل ويدفع الحقوق الى أهلها ويعزل من ابطأ واخطأ .

القسم الخامس النظر في النصب فيرجعها الى اصحابها سواء كان الغاصب السلطان او الحكم او من آحاد الناس فيكتفي بالقيود الرسمية والسجلات السلطانية في نصب هؤلاء واما اذا كان الغاصب من ذوي النفوذ والايدي القوية فيرجع اليه باعتراف الغاصب واقاراره او يعلم والي المظالم او بيته او بتظلمه الاخبار الدائمة للشكوك .

القسم السادس النظر في الوقوف (الوقوف) .

القسم السابع تنفيذ ما وقف القضاة من احكامها لضعفهم عن اتقانها وعجزهم عن المحكوم عليه لتمرزه وقوة يده او لما وقدره وعظم خطره .

القسم الثامن النظر فيما عجز عنه الناظر في الحسبة في المصالح العامة .

القسم التاسع النظر في مراعاة المبادئ الظاهرة كالجمع والاعياد والحج والجهاد من تقصير فيها او اخلال بشروطها فان حقوق الله اولى ان تستوفى وفروضه احق ان تؤدى .

القسم العاشر النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين فلا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه ولا يسوغ ان يحكم بينهم الا بما حكم به الحكم والقضاة .

واما الفرق بين نظر المظالم وبين نظر القضاة فهو على عشرة اوجه احدها ان تناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة اليد ما ليس للقضاة في كف الخصوم عن التباحد ومنع الظلمة من التعدي .

الثاني ان نظر المظالم يخرج من ضيق الوجوب الى سعة الجواز فيكون الناظر فيه افسح مجالاً ووسع مقالاً .

الثالث انه يستعمل فصل الارهاب وكشف الاسباب بالامارات الدالة وشواهد الاحوال اللاتمة ما يفيق على الحكم فيحصل به الى ظهور الحق ومعرفة المبطل من الحق .

الرابع ان يقابل من ظهر ظلمه بالتأديب يأخذ من بان عدوانه بالتقويم والتحذيب .  
الخامس ان له من الثاني من ترداد الخصوم عند اشتباه امورهم واستنباط حقوقهم ليعين في الكشف عن اسبابهم واحوالهم ما ليس للحكام .  
السادس له ان يصلح الخصوم بواسطة الامانة وليس للقاضي ذلك الا عن رضى الخصمين بالرد .

السابع ان يسمع في ملازمة الخصمين اذا اوضحت امارات التباحد ويأذن في الزام الكفالة فيما يسوغ فيه التكفل لينقاد الخصوم الى التناصف .

الثامن انه يسمع من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاة سيفه شهادة المعدلين .

العاصم يجوز له تخليف الشهود عدد اتياته بهم ويستكثر على عددهم وينزل الشك عنه وليس ذلك لحاكم .

العاشر يجوز له ان يبدأ باستدعاء الشهود ويسألهم عما عديم في تنازع الخصوم وعادة القضاء تكليف المدعي احضار بيته ولا يسمونها الا بعد مسألة .

فقد اتفق لك مما تقدم ان احكام ولاية المظالم تكون في الينات والتقارير واعتماد الامارات والقرائن على خلاف القضاء .

كان في الاسلام وظيفة دينية اخرى من الوظائف الشرعية وهي النظر في الجرائم واقامة الحدود كانت هذه الوظيفة في الدولة العباسية والاموية كما بالاندلس ودولة الميديين بمصر والمغرب راجعة الى صاحب الشرطة فهذا له ان يوسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلاً فيقبل للتهمة بين الحكم بحالاً وبفرض المقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التميز والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة .

وكانت ولاية المظالم والجرائم للحلفاء اولم يتصلوا بذلك له من وزير مفوض او سلطان متغلب ثم تسمى شأن هاتين الوظيفتين في بعض الدول وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يسمين وكان في زمان الدول المذكورة حاكم يحكم فيها بما تقتضيه السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسمه والى وطوراً باسم الشرطة والقسم الثاني التمايز واقامة الحدود في الجرائم الثابتة شرعاً فجميع ذلك مع ما تقدم ذكره في المقالة الاولى للقاضي وهكذا استقرت وظائف القاضي وكانت كما تراها مع بعض تحولات . كما انه انقسمت ولاية المظالم والجرائم في زمانين محاكم الادارة والمحاكم الجزائية .

القضاء في الدولة العثمانية

س

كان السلطان عثمان الفاي مؤسس هذه الدولة ورعا دينياً يستخدم قضاءً وحكاماً للنظر في الامور الشرعية والقيام باحكامها ولما تولى الملك ابنه اورخان الفاي طلب من الشيخ علاء الدين الاسودي رجلاً يقوم بمصالح الناس الشرعية في اسفاره فاوصاه بقره خليل افندي في جنوره لي فاتخذ قاضياً لبروسة عاصمة ملكه ثم جعله قاضياً على المسكر وخصه بامورهم ولما آتس منه اختباراً في السياسة استوزره وسماه خير الدين

باشا ونصب رستم افندي مكانه قاضياً للمسكر .

وفي زمان السلطان بايزيد الاول تولى العالم محمد شمس الدين افندي منصب الفتيا في قاعدة السلطنة للنظر في الامور الشرعية وجمعها في مركز واحد فاصبح المفتي ناظراً عاماً على جميع العلماء والقضاة والمدرسين وقد بدأ تنظيم مراتب العلماء الحالية ونظامهم في زمان محمد الفاتح على انه لم يكن حتى في آخر زمانه سوى قاضي واحد للمسكر ولما كثرت الاعمال قسم القضاء على قسمين فصار قاضي عسكر للروم ايلي وقاضي عسكر للاناضول وجعل الفاتح جلال زاده خضربك قاضياً على استانبول ومفتياً في مركز السلطنة وذلك عقيب فتح الاستانة .

وبعد حين تولى العالمان الشهيذان ابن كمال باشا وابو السعود افندي منصب الفتيا بعدما كانا قاضيين للمسكر ثم اخذ يطلق على منصب الافتاء مقام المشيخة الاسلامية واصبح مناصر الافتاء فوق منصب قاضي عسكر الروم ايلي وقاضي عسكر الاناضول وجعلت له رئاسة الطرق العلمية ونظارة المحاكم الشرعية واصبح مقام شيخ الاسلام معادلاً لمقام الصدارة العظمى وصار يقال لشيخ الاسلام ( ولي النعم ) وعدامر المنازل والعدل من حقوق مقام المشيخة واخذ طلبة العلوم عندما يفجزون دروسهم على الطريقة القديمة يقيدون اسماءهم في جريدة الدولة فينددون قضاء .

ولم تكن مناصب قاضي عسكر وقضاء استانبول وقضاء ادرنه توجه الا على اكبر المدرسين ومنتهى رتب التدريس رتبة المولوية بيد ان هذه الوظائف كانت مقرونة بالعمل والقاعدة ان ينالها المرء بحسب قدمه ولكن قوة الوساطة والشفاعة والرشى صارت توهم الجاهل لبلوغ تلك المناصب فدخل الفساد فيها حتى اصبح القضاء المعوبة يابدي التجارة وصعاليك الناس وانتشاً من ينال شهادة الملازمة بوسائل غير مشروعة يصل بها الى القضاء . وكان قاضي استانبول اكبر مأمور شرعي بعد قضاء العسكر وله النظر في امور البلدية وشؤون ارباب التجارة والحرف .

قلنا ان احكام العدل كانت من وظائف مقام المشيخة وان الدعاوي تنظر في المحاكم الصغرى واما الدعاوي الكبرى فيتنظر فيها امام قاضي عسكر وكان الديوان الهمايوني بمنزلة محكمة كبرى فوق المحاكم ينظر في امور الدولة والامور الشرعية مما ثم تغيرت صورة هذا الديوان واتفردت امور الدولة عن مصالح الرعية فاخذ القاضيان بجمعان في غرفة العرض مرتين من كل اسبوع وينظران في الدعوى التي تدرجها في

الحاكم الصغيرة وكان يقال لهذا المجلس « حضور مرافعهسى »

واصبح هذا المجلس في سنة ١٢٥٤ يلتئم بحضور شيخ الاسلام وفي عهد المرحوم عبد المجيد لما كان عارف افندي شيخ الاسلام غدا انتخاب الحكام تحت نظام وقع مكتب النواب عام ١٢٧٢ وشرط ان يكون النائب من متخرجي هذه المدرسة وفي سنة ١٢٧٤ تألف مجلس التدقيقات الشرعية واصلح في سنة ١٢٨٩ واصبح تدقيق الصكوك والاعلامات من وظائف باب الفتوى .

وبعد ذلك انقسم مستخدمو الشرعية الى قسمين الاول للفتوى والثاني للقضاء وصار في مركز كل ولاية وقضاء مفت وغدا المفت مرجعا لحل الامور الشرعية وعد شيخ الاسلام المفت الحقيقي وشرط في الافتاء ان لا تعطى الفتوى لارباب المصالح قبل تصديق شيخ الاسلام عليها واما امر القضاء فامر لشيخ الاسلام بتولاه من السلطة او مقام الخلافة غير ان مجلس انتخاب الحكام ينتخب الحكام وشيخ الاسلام يصادر عليه عند تعيينهم ذبله ثم تكتب المراسلة ويختتمها قاضي عسكر من ظهرها فوق التوقيع وعلى هذا فقد حصر امر القضاء في قاضي عسكر الروم ابلي وقاضي عسكر الاناضول وقاضي الاسنانة وقاضي غلطة وقاضي الخواص الريفية وقاضي مكة وقاضي المدينة وغدا قاضي عسكر الاناضول قاضيا على آسيا وافريقية وقاضي عسكر الروم ابلي قاضيا على الروم ابلي واما بقية البلاد فيحكمها نواب هؤلاء القضاة فلكل مركز ولاية نائب ولكل مركز لواء نائب ولكل مركز قضاء نائب وبعض النواحي نواب فنواب آسيا وافريقية نواب قاضي عسكر الاناضول واما نواب الروم ابلي فهم نواب قاضي عسكر الروم ابلي ولتصوب النيابة رتب منها خمسة ورابعة وثالثة ومسبق ومستقدم الخ .

وتترك الخيار في مراعاة الحاكم لارباب الدواوي وتقرر استئناف الاحكام في مجلس التدقيقات الشرعية وتمييزها في مقر الفتوى والتمييز قبل الاستئناف خلافا للاحكام النظامية فالجميع والاعلامات ينظر فيها بعد تدقيق توقيعها وختم خاتمها فان وافقت الاصول الشرعية ترسل الى مجلس التدقيقات الشرعية .

ثم جعلت محكمة ( التفتيش ) في نظارة الاوقاف للنظر في دعاوي الاوقاف ومحكمة « القسمة العسكرية » للنظر في دعاوي الارث وتحرير الشركة وتقسيمها وعين مفتش الاوقاف حاكما في محكمة التفتيش ومدته بنة والقسام العسكري حاكما لمحكمة القسمة العسكرية وانضمت محكمة التفتيش بدعاوي توجبه الجهات والتولية والمحولات

واستئنافها بمجلس التدقيقات الشرعية واما القسام العسكري وقسام بيت المال فملحقان بقاضي عسكر الروم ايلى وليس لقاضي الاستانة سوى النظر في دعاوي الطلاق والنكاح والنفقة والمنازعات المتعلقة بالكذبات . واما مسائل المحاكم الشرعية فلها ان تنظر في دعاوي النكاح والطلاق والنفقة والحضانة والحرية والرق والتصاص والدية والارث والوصية والارث والاقرض بالمور الشرعي والدعاوي الوقفية المتعلقة بركة المسققات والمستغلات والكذبات من الاوقاف الصحيحة ودعاوي الابطام والدعاوي المتعلقة بركة الاوقاف الصحيحة التي هي من ذات الاجارة الواحدة او ذات الاجارتين هذه الدعاوي في الامور الشرعية مشوشة من حيث المرجع تحتاج الى اصلاح حقيقي .

اوصاف القضاء الشرعية ٢

القضاء فرض كفاية وسنة متبعة لا يجوز ان يقلد الا من تكملت فيه شروطه وذلك بان يكون رجلاً بالغاً عاقلاً صحيح التمييز جيد الفطنة بعيداً عن السهو والغفلة حراً مسلماً عادلاً صادق اللهجة ظاهر الامانة عفيفاً عن المحارم مثوقاً بالماثم بعيداً عن الرب مأموناً في الرضى والغضب صاحب مروءة في دينه ودنياه سالم السمع والبصر ليصح بها اثبات الحقوق وان يكون عالماً بالاحكام الشرعية وعلمه بها يشمل علم اصولها والارياض بقرونها .

واما اصول الاحكام الشرعية فهي اربعة احدها علمه بكتاب الله عز وجل حق معرفته والثانية علمه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة من اقواله وافعاله وطرق مجيئها والثالثة علمه بتأويل السلف فيما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه ليتبع الاجماع ويجتهد برأيه في الاختلاف والرابعة علمه بالقياس الموجب رد الفروع المسكوت عنها الى اصول المنطوق بها والمجمع عليها حتى يجد طريقها الى العلم باحكام النوازل ويميز الحق من الباطل .

فاذا احاط علمه بهذه الاصول الاربعة الاحكام الشرعية عد فيها من اهل الاجتهاد في الدين وجازاه ان يقضي ويقضي وان اخل بها او بشي منها خرج من ان يكون من اهل الاجتهاد فلم يجوز ان يقضي ويقضي وجوز ابو حنيفة تقليد القضاء من ليس من اهل الاجتهاد لستفي في احكامه وقضاياه واختلف اصحابه فمنهم من وافقه ومنهم من خالفه والذي عليه جمهور الفقهاء ان ولايته باطلة واحكامه مردودة .

ويقول ابن هبيرة في الابضاح « انما عني بالاجتهاد ما كان عليه الناس في الحال الاولى قبل استقرار مذاهب الائمة الاربعة فالقاضي الآن وان لم يكن من اهل الاجتهاد ولا تبع في طلب الاحاديث وانتقاد طريقها لكن عرف من لثة الناطق بالشريعة عليه الصلاة والسلام ما لا يحتاج معه الى شروط الاجتهاد وانما عني القاضي ان يقضي بما يأخذه من الائمة او عن واحد منهم فانه في معنى من كان اداء اجتهاده الى قول قاله وتبي ذلك فانه اذا خرج من خلافهم متوخياً مواطن الاتفاق ما أمكنه كان آخذاً بالحزم عاملاً بالاولى ويجب عليه الاخذ بالكثير والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد فانه يأخذ بالحزم مع جواز عمله بقول الواحد الا انني اكره له ان يكون مقتصرًا في حكمه على اتباع مذهب ابيه او شيخه فلو عدل عما اجتمع عليه الائمة الثلاثة الى ما ذهب اليه ابو حنيفة بفردة من غير ان يثبت عنده بالدليل ما قال ولا اداء اليه اجتهاده فاني اخاف عليه من الله عز وجل ان يكون التبع في ذلك هواه ولم يكن من الذين يستمعون القول فيقتبون احسنه .

ثم قال : لو اعملت هذا القول ولم اذكره ومثبت على ما عليه الفقهاء من انه لا يصلح ان يكون قاضياً الا من كان من اهل الاجتهاد لحصل بذلك ضيق وحرَج على الناس فان غالب شروط الاجتهاد الآن قد فقدت في اكثر القضاء ولذلك ان ولاية الحكم جائزة وان حكوماتهم صحيحة نافذة وان لم يكونوا مجتهدين والله اعلم اهـ »

وهذا علمت ان قد جوز ابن هبيرة قضاء من لم يكن من اهل الاجتهاد وذلك في زمانه ولكنه لم يجوز قضاء الجهال ولو نظرنا الى قوله لادركنا ان القاضي اذا لم يكن من اهل الاجتهاد يجب عليه ان يكون قريباً من درجته لئ يتمكن من ترجيح القول الراجح والقول الموافق ولو عني غير مذهبه فان ائمة الدين والفقهاء المحققين اوصوا باختيار القول الراجح ولو كان عني غير مذهبه « لان التقليد الاعمى في احكام الشرع محظور والاجتهاد فيها مستحق » .

نهى الشارع عن طلب القضاء وقد ضرب السلف الصالح وجسوا ليشربوا القضاء فلم يتقبلوا وجوز بعضهم طلب القضاء في حالتين احدهما ان يكون القضاء في غير مستحقه اما لنقص علمه واما لظهور جوره والحالة الثانية ان لا يكون في القضاء نادر وهو خال من وال . وطلبه لاحتياجه مباح وان كان لاقامة الحق فهو مستحب وان كان طلباً للجهل فهو مكروه .

وانفق الائمة الاربعة والفقهاء المتقدمون والمتأخرون على ان القاضي اذا اخذ القضاء بالرشوة لا يصح قضاؤه واذا حكم لا ينفذ حكمه ويجب نقضه واجمع الفقهاء على ان القاضي اذا ارتشى لا ينفذ قضاؤه فيما ارتشى فيه . وقال السرخسي لا ينفذ كلها . ولا يجوز للقضاء اخذ العائدات والحصول ولو احتجوا باذن موليه لان ابن عابدين انكرها كل الانكار وذكر في الخيرية ان من التزم القضاء على مبلغ معلوم فهو كافر والعياذ بالله ولا يصح الاحتيال لحصول القضاء . واما القضاء بظلم او رشوة فيوجب العزل والتعزير وقد منع القاضي من قبول الهدية والاستمارة والاستقراض وسائر ما يتبرع به ويمنح ويجب رد الهدية الى صاحبها او لبيت المال اذا لم يعلم صاحبها وعدم القبول هو القبول . واذا فسق القاضي عزل ولا يكون القاضي فظلاً غليظاً جباراً غبيطاً وكره تحريماً اخذ القضاء لمن خاف الظلم والتعجز عن اقامة الحق والعدل .

ولاية القاضي مقيدة بالزمان والمكان والحوادث وتكون ولايته عامة او خاصة في بعض المسائل او على احد المذاهب وله ان يستخلف نواباً اذا فوض اليه صريحاً كولي من شئت او دلالة كجملتك قاضي القضاء ولا يصح للقاضي او النائب ان يحكم بما يخالف الدليل لانه لا ينفذ ولو حكم به الف قاضٍ واما قضاياء القضاء فهي على ثلاثة اقسام الاول حكمه بخلاف النص والاجماع فهو باطل ينقض والثاني حكمه فيما اختلف فيه فهذا ينفذ وليس لاحد نقضه والثالث حكمه بشيء يتمين فيه الخلاف بعد الحكم فيه اي يكون الخلاف في نفس الحكم فتقبل نفذ وقيل توقف على امضاء قاض آخر فلو ابطله الثاني بطل وان امضاء فليس لقاض آخر نقضه .

واما منزلة القضاء من حيث الآخرة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاء ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق ففرض به فهو في الجنة ورجل عرف الحق فلم يمتض وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق ففرض للناس على سجل فهو في النار فانظر الى ما كانت عليه احوال النقضاء واحكامهم تعلم منازلهم . ويسرنا ان نرى الحكومة الدستورية اخذت معنى بالنقض من توفرت فيهم الشروط الشرعية وفقها الله .

احوالهم الآخيرة

في المقالة الثالثة ان مدرسة النواب أسست لتفريج نواب قادرين على القيام بما



يمهد اليهم من الوظائف عارفين بأحكام الشريعة غير انني حتى الآن لم اصادف اثنين  
من اجتمعت بهم من المحققين في المدرسة المذكورة علماً بوثاقته وأحكام الشريعة كما  
يجب الا القليل منهم وهذا مما يدل على أن ذلك المنهج العلمي غير كاف وبسبب خطية  
عظيمة الى الاصلاح ومع ذلك فانا نرى كثيرين من النواب يفتخرون بكتابة الاحكام  
الشريعة وربما يشعرون بالاعتماد على تنظيم الاعلانات والصكوك والتجميع الشرعية  
وضبط الدعوى وتصدير مفهم ملكة المعاملات غير انهم يخطئون في احكامهم بخط عشوائية  
ويعممون من مجلة الاحكام المدنية وكتب الفتاوى ما يحدون كالمطبخ ليل واضرب  
من ذلك ما صادفته في بر الاناضول وذلك ان النواب هناك يستخذمون نواباً لا تفهم  
جوالين (سيار نائب) ثم يأخذونهم الى باب المشيخة ويحصلونهم نواباً بالوسائط التي  
بلغوا المناصب بها وقد شاهدنا بام العين نواباً لم يكونوا من النسب الى العلم  
فالنواب حينما يذهبون الى الاستانة في طلب التعيين ينتظرون زمناً طويلاً  
ويتكبدون نفقات طائلة ويقاسون انواع المذاب ولا يحصلون على نيابة الا بعد ان  
يصرفوا ما جثوه من اموال العباد في خلال نيابتهم الاولى فيخسرون ما جمعه وبقى  
عليهم حقوق العباد وعذاب الواحد الديار واغلبهم يصل الى النيابة اما بطرق غير  
مشروعة واما بشفاعة غير جائزة وتدر من غدا نائباً بطرق سهلة  
واما روايتهم فهي قليلة في اكثر انحاء المملكة وقد انعمت بتفانهم ولذلك تراهم  
منصرفين الى ادخال الاموال ليصرفوها في طرقهم واقامتهم بالاستانة واخذ النيابة  
ولهذا السبب ايضا ترى همهم تزيد العائدات التي انكروا الفقهاء على ان المشيخة  
الاسلامية تركت تلك العائدات للصكبة فالنواب يشاطرونهم ابلع حتى على تركيبة  
الشهود ونفقات الطريق واجرة التيد وما يسمونه الدلاية والقرطانية ولا يسع الكتاب  
الا السكوت والرضى لانهم اذا امتنعوا عن اعطاء القسم الاعظم من العائدات تهددوهم  
بالمزل وعدم اصدار الاعلامات وحل الخاصات بلا غبط فينتد اماناً يقولون  
الكتاب واما ان يحرم من العائدات وقد تزيد هذه العائدات على رؤاأب النواب في  
اغلب الاخيار وتنفذهم كثير او تدعوهم الى احالة التعاوي الخيرية الى ملكة الشريعة  
فهذه العائدات على قسمين قسم بعيد في دقة الطريقة فاما الخيرية فالحق ان هذا  
القسم يكون مشتركاً بين النواب والخيرية وما كان دون الخمسة يكون حق النائب  
والكتاب لذلك لو دقت دفاتر الطريقة في كل الجهات ترى هذه العائدات قليلاً

تجاوزت الخمسة وأما القسم الثاني فذلك ما دخل كيس النسيب والكاتب من غير أن يقيد بصندوق الخزينة وهذه الاجور والعائدات مصرح بمقاديرها في نظام اموال الايتام غير ان الشريعة المطهرة لم تأمر بها بل اننا لو نظرنا الى حقائق الشريعة وما يقتضيه الدين والصالح نرى ان امر القضاء فرض كفاية لحفظ القرآن لا يستحق الاجرة كما فعل ابو بكر بن المظفر الشامي وغيره ولقد اتفق الفقهاء المتقدمون بخصيص روائب معلومة من بيت المال لتفرغهم عن المكاسب واشتغالهم بمصالح الناس وانكروا تناول العائدات وقالوا ان الراتب يجب ان يكون كافياً .

لو نظر المرء الى « المراسلة » التي تنهى بنيانهم وتصرح بوظائفهم تحت توقيع القاضي عسكرو وجد ان عمل النواب محصور بانفاذ الاحكام الشرعية عامة وبشدة الاعتناء في تحرير التركة .

واما التركة التي يجب تحريرها فهي تركة رجل مات عن صغير او غائب او مات عن غير وارث او اذا كان الميت مستغرقاً بالديون او اذا طلب احد الورثة تحرير تركته اليه والفرض من ذلك حفظ حقوق الورثة واخص بالذكر منهم الايتام وقد رأينا النواب مسارعين الى تحرير التركات غير ان السبب الحقيقي الذي يدفعهم الى هذه السرعة هي العائدات والنفقات التي يأخذونها فنواب الاناضول تستخدم النواب الجوالين في تحرير التركات فيطوف هؤلاء القرى ويفتشون القبور والمدافن ويستخبرون عن الاموات فعند ما يعلمون بوفاة احد يجب تحرير تركته بحرر ونها فيتم الوراثة واهل القرية وتستولي عليهم الكتابة والاحزان فرق حزنهم غير انهم لا ينطقون ببنت شقة لان النائب المحبوس جاء باسم الدين والحكومة ولم اشهد هذه الحالة في البلاد السورية لان تحرير التركة هنا يتولاها النائب بنفسه او يرسل رئيس كتابه .

واما تحرير التركات في مراكز الولايات فذلك من شأن نائب النائب وكتابة الحاكم فهو لا يستقدمون جواسيس واعواناً يطوفون في البلدة ويستخبرون عن الاموات من المسلمين والفاقرين ولما يعلمون بتركة تستحق التحرير يذهبون اليها هم ولين فهناك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى على الايتام فتؤخذ الاشياء الثمينة والتاديرة ثمن بنس واسم مستعار وترسل الى بيوت النواب والكتبة ثم يحسبون اجرة الدلالة والقيود واجرة اعلانات الديون واعلامات الصلح واجرة دفتر القسام واجرة اقدامهم لانهم كلوا انفسهم وتعبوا في حفظ حقوق الايتام والورثة . وبعد ذلك يضمنون

الطوايع والاوراق الحجازية و يأخذون كل هذه النفقات من ثمن التركة فيصحبون بذلك شركاء الورثة وربما اخذوا اكثر من الورثة وهذا الامر يكاد يكون عاماً واما سوء الاستعمال في الادانة والاستدانة وثبوت الرشد فحدث عنه ولا حرج وندر الدواب الصالحون الذين لا يمسون اموال الايتام .

ولا يخفى ان الله سبحانه وتعالى منع مس اموال الايتام بثباتاً وصرح بمنه في آيات عديدة واتفق الفقهاء والعلماء على تحريم اخذ اموال الايتام حتى حرّموا الجلوس على كراسيهم واثاثهم واستعمال اوانئهم ولست ادري على اي كتاب واي قول واسس نص يأخذون هذه المائدات والاجور فان قيل ان في ذلك فتوى اقول ولا ابالي ان لا مساغ الاجتهاد في مورد النص واجماع الأمة والفقهاء وعلى ما اظن ان تلك المائدات وضعها وجوزها القضاة والنواب الذين كانوا يأخذون مناصبهم بطريق الزيادة والالتزام .

وزد على ذلك كله ان النواب اعضاء في مجالس الادارة ومجلس القرعة العسكرية ولجنة الفراغ وروساء للحاكم البدائية الجزائية ومحاكم الحقوق ودائرة الاجراء ولهذا لا يفترقون عن الاستفادة الغير المشروعة من كل مسألة لم فيها علاقة فالتناس والمستخدمون يتألمون بما يشاهدونه من سوء استعمالهم في قسم الجزاء فيحكمون على بريء ويبرؤن الجاني ويتركون الاشقياء والحرمين ويجسسون المساكين وتسهلاً لمقاصدهم يجمعون غرفة الاستقبال في بيوتهم محكمة شرعية على ان الفقهاء صرحوا بان القضاء يقام في اكبر الجوامع او في محل خاص في منتصف البلدة فلو نظرنا الى التاريخ لعلمنا ان اهم المدارس بدمشق كانت مقر القضاء وان المدرسة العادلية كانت مقر القاضي المذهب الشافعي نظرة في اصلاحهم

٦

ذكرنا ان المشيخة الاسلامية عبارة عن الفتيا وان الفتيا والقضاء من حقوق الخلافة والامامة الكبرى وان المفتي يخبر عن الحكم الشرعي والقاضي يلزم به على ان كل عالم يستطيع ان يفتي بما يفتي به المفتي لان الفتوى لا تتضمن الحكم والالزام ولا يجوز لعالم ولا مفتي ان يحكم بما حكم به القاضي مع ان للقاضي ان يفتي ويستخلف امناه ونواباً ولم ارحى الآن عبارة او قولاً لفتيه يشار به الى استخلاف المفتي نواباً او الى تدخله في تعيين النواب لانهم نواب القاضي لا نواب المفتي وامر الاستخلاف يتوقف على

اذن الخليفة .

ذكرنا ان مجلس القضاة الحكم ينتخب النواب وشيخ الاسلام او مفتي الانام وامراء  
جنوبهم وقضاة العسكر يوقعون على مراسلاتهم ليصكونوا نوابا لم توفيقا للاحكام  
الشرعية ومن ذلك يظهر ان القاضي هو الذي يشغل النواب وقد عجت لحصر  
القضاء في قضاة العسكر وبقاء هذا التعبير لان هؤلاء القضاة هم في الحقيقة قضاة عامة  
المسلمين والامة ليست بامة مسلحة على اننا لو نظرنا الى التواريخ علمنا انه كان في كل  
مركز ولاية قاض وفي اعظم مراكز الولاية قضاة وانه كان في المدن الاسلامية  
الكبرى قضاة لكل مذهب ولذلك ارى ان يكون في مركز كل ولاية وفي مركز بعض  
الولايات المهمة قاض وان يكون شيخ الاسلام قاضي القضاة يرجع اليه جميع القضاة  
وان يكون للقضاة حق استخلاف النواب باذن من الخليفة فيصير امر تعيين النواب  
بيد قضاة الولايات فيختلص هؤلاء من العناء والتعب الى الاستانة ولا مانع من  
جعل مدة النواب اربع سنوات لان ذلك امر اجتهادي ثم يجب ان يوافق مجلس  
من محلي علماء المسلمين تحت رئاسة قاضي القضاة ينتخبون القضاة من بينهم فيه الحق  
على القضاة قاضي القضاة ويعرضهم على الخليفة لتصدر ارادته بسميئتهم وينتخب  
لنفس قاضي القضاة ثلاثة علماء من هذا المجلس او من غيرهم باكثرية الآراء والخليفة  
يختار واحدا منهم ليحمله قاضي القضاة .

واما ما يجب اصلاحه مكتب النواب والرأي توحيد مع شعبة العلوم الدينية في  
دار الفنون العثمانية واصلاح الدروس وتعيين افاضل المعلمين ليخرج فيه نواب افاضل  
ومفتون ومدرسون علمون ويكون هذا المكتب اعلى قسم لمكتب استعماري ينشأ في  
دمشق ويكون هذا مخرجا لتلاميذ القسم العالي والقرص من الاستعدادية تعليم  
النواب اللغة العربية التي لا غنى للنواب عنها اذا كانوا يرضون في تطبيق اعمالهم على  
احكام الشريعة ثم تسهيل التسهيل على الفقراء لكثرة المدارس والاقواف بدمشق  
وعندما يتم التسهيل في المدرسة الاستعدادية يذهب الى الاستانة ليدخل  
مدرسة النواب ويجوز قبول المتخرجين في المدارس الرسمية الاستعدادية وطلاب  
الكل بالامتحان وعندما يثال التلميذ شهادة القسم العالي يستخدم على حسب استعداده  
وعلمه ويكون له حتى الترتيب .  
ويجب ان يكون مقر الحكم في دائرة رسمية لا في بيوت النواب ولا يجوز انفراد

النواب في الحكم لانه غير معقول ولا يوافق مقتضيات زماننا وناهيك بما نشاهده من سوء احوال النواب . وورد في الكتب الفقهية ان للقاضي امناه يعنيونه في الحكم فهو لا يملك في الحقيقة اعضاء ولا فرق في المعنى كما انه لا اعتبار للالفاظ فان شئت سمهم امناه وان شئت سمهم اعضاء ومن ثم يجب ان يكون مع كل نائب في القضاء امينان عالمان ومع كل نائب في الولاية واللواء اربعة امناه اكفاء ويسأل هؤلاء الامناه عن الحكم ويجعل النائب رئيساً لم فاذا رأوا حكم الرئيس مخالفاً للاحكام الشرعية يصحكون في حل ان يعترضوا ويصرحوا باسباب الاعتراض تحت توقيعهم فللمتقي والمدرس الذين تقرر تعيينهم اخيراً يكونان امناه نائب القضاء والمتقي والمدرس وطالان في مركز اللواء ومركز الولاية يكونون امناه قاضي او نائب اللواء وقاضي الولاية .

واذا نظرنا الى انواع قضايا القضاة الثلاثة التي سبق ذكرها واطرحنا بالذکر منها القسم الثالث الذي يتوقف حكمه على امضاء قاض آخر فان بطله بطل وان صدق عليه نفذ ندرک ان حکم القاضي من اي قسم كان من هذه الاقسام الثلاثة يحتاج الى تدقيق ولذلك يجب تمييز اعلام محكمة القضاء في محاكم اللواء او الولاية بحسب البعد والغرب واعلام الولاية يميز في مركز السلطة اذا كانت الولاية قريبة من العاصمة ويدقق الحكم فاما ان ينقض لمخالفته احكام الشريعة واما ان يصدق عليه اذا كانت موافقاً فيصير حكماً مقضياً .

ولا بأس بتوحيد المحاكم الشرعية والمحاكم الحقوقية وجعل الامناه اعضاءاً في كلا المحكمتين .

ويجب حينئذ اصلاح احكام المجلة بحسب الاحوال والازمان والمكان والحكم الذي لا يوجد في المذهب الحنفي قد يوجد في مذهب المالكي وقد سبق الذكر بان القاضي لا يصرح حكمه في مذهبه واتباع هواه فحينئذ تتألف لجنة من افاضل علماء المذاهب الاربعة فينتخبون المجلة ويصححون اقوالها المربوطة ويجعلونها جامعة للاحكام الدينية الصريحة ولا شك بانهم يجدون الاحكام الموافقة للعقل والنقل والازمان .

ويكون الامناه مسلمين بيد انه اذا حدثت قضية بين مسلم وغير مسلم او بين غير المسلمين فحوز استنابة اعضاء المحاكم الجزائية والتجارية من غير المسلمين اثناء المحاكمة لان الامام الاعظم وغيره من الفقهاء صرحوا بجواز حكم القيمين بين اصحاب مذاهبهم (١)

(١) الاحكام السلطانية ٦٢ وحاشية ابن عابدين ٣١١ و ٣١٢

ومن لا يرضى بالحكم فله ان يميز دعواه في محكمة اخرى واذا عرف الحكم بالعدل والانصاف لا يمنع احد عن قبول احكامهم لان العدل يرضي كل انسان اما المسائل المذهبية فتترك لروايتهم الروحية بحسب القواعد الصلحية .

هذه نظرات اساسية لقواعد يجب وضعها في اصلاح النواب والقضاة فيجب باديء بدء تأليف مجلس العلماء الذي اشرنا اليه ليجتهدوا في الاحوال والزمان والمكان ثم ينظرون في احكام القرآن والحديث وفي الكتب الفقهية والمدونات فيقررون قواعد تحفظ بيضة الدين وقواعد الاسلام وترفع شأن المسلمين .  
شكري العسلي



## قضاء الفرد وقضاء الجماعة

« من خطبة لرفيق بك العظم القاها في مدرسة القضاء الشرعي في القاهرة »  
ليس المراد بقضاء الجماعة هو قضاء هيئة مؤلفة من اكثر من واحد فقط كما قد يتبادر الى الذهن بل هي بالمعنى المشترك ايضاً جعل قوة التشريع القضائي مصونة عن رأي الافراد وتفردهم بالتشريع منوطة بالجماعة ثبثاً من الحكم واعتماداً على ما هو الاصلح عند الجماعة اذا تعذر وجود النص .

ان مراعاة الاصلح قلعة من اهم قواعد الشرع الاسلامي التي يدفع بها الحرج وتدرأ المفسد عن المجتمع حتى لقد كان كبار الصحابة يراعون قاعدة الاصلح عند الضرورة مع وجود النص ويتنازعون على المسألة الواحدة يجي بها النص من عدة روايات او يحتاج الى التفهم الدقيق ثبثاً من الحكم ورغبة بمحض الخير للامة والعدل بين المتنازعين وبذلك للجد في بيان الحقيقة للمستفتين وقد قال ابن القيم ننازع الصحابة في كثير من الاحكام ولكن لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال . اي المسائل التي تتعلق بالايمان .

فلما ان المراد بقضاء الجماعة جعل قوة التشريع القضائي في حياز جماعة لا فرد لان ذلك اسلم وابعد عن الخطأ واضمن للعدل وسببه ان الاحكام التي يرجع فيها الى الرأي والاجتهاد او القياس عند تعذر وجود النص او عند لزوم ترجيح رواية من

الروايات تحتاج الى شروط قلما تتوفر في الفرد الواحد وان توفرت له فربما لا يتيسر له تحري المصلحة وتطبيق الحكم عليها من كل وجه بحيث لا يخالفه فيه غيره ممن هو في طبقته من اهل العلم .

اعتبروا ذلك في ائمة المذاهب المجتهدين فانه مع بذل كل واحد منهم سيرة تقرير فروع المذهب واصله منتهى الجهد في تحري صحيح الآثار والاخبار وتبني أصول الشريعة فقد اختلفوا في كثير من المسائل واختلف اتباعهم بعد ذلك اختلافهم ايضا فكان من ذلك انقسام القضاء الاسلامي على نفسه حتى وجد في بعض العصور أربعة قضاة لاربعة مذاهب في مصر واحد من الامصار الاسلامية هذا فضلا عن اختلاف فقهاء كل مذهب ايضا في المسألة الواحدة حتى اصاب الافتاء بما اصاب به القضاة من التشتت والانقسام واضطرب امر العدالة اياما اضطراب مع ان الاصل لهذه المذاهب واحد وهو الدين الاسلامي المبين .

لهذه العلة الخطرة كان الصحابة الكرام لا يستكفون عند الاستفتاء من حدم ان يحيل بعضهم على بعض او يستشير بعضهم بعضا في تقرير الحكم كما ثبت ذلك في كتب السنة خوف الوقوع في خطأ يجر الى مظلة او يتم ولا سيما فيما يحتاج فيه الى العمل والاجتهاد والرأي .

لما كانت الشرائع مبنية على درء المفاسد وجلب المصالح والشريعة الاسلامية اخرى الشرائع برعاية هذين الامرين فقد سن الشارع ابقاف العمل بالنص مراعاة لمصلحة ولكن عند الضرورة القصوى وثبوت المصلحة وزومها على وجه لا يتبل الشك في ان المصلحة تترتب على العدول عن النص اكبر من المصلحة التي تترتب على العدول به وسن بسننه صحابته والخلفاء الراشدون من بعده فكان ذلك شرعا ايضا فيه تيسير عظيم على المسلمين واليك الدليل .

في حديث لابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان تقطع الابدي في الغزو . وانتم تعلمون ان القاطع حد من حدود الله لم يستثن النص القرآني من الفرة لكن النبي نهى عن اقامته في حال مخصوصة خشية ان ينشأ عنه مضرة وهي لحاق صاحبه بالعدو وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم عدة اخبار اخرى من هذا القبيل لا يحل لذكرها هنا وهي مبسطة في كتب الحديث .

وقد استن الصحابة بسننه ووقفوا بالحدود في احوال مخصوصة تدعو اليها الضرورة

جاءه في كثير من كتب الاخبار ان عمر كتب الى الناس الا لا يجلدن امير جيش ولا مسرة ولا رجل من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب لثلاث تلحقه حية الكفار .

وروى ابن القيم في اعلام الموقعين عن ابن حاطب بن ابي بلثعة ان غلة لاييه سرقوا ناقة لرجل من مزينة فأثى بهم عمر فأقروا فأرسل الى عبد الرحمن بن حاطب فجاء فقال له ان غلان حطب سرقوا ناقة رجل من مزينة واقروا على انفسهم فقال عمر يا كثير بن الصلت اذهب فاقطع ايديهم فلما ولي بهم ردم عمر ثم قال اما والله لولا اني اعلم نكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى ان احدهم لو اكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت ايديهم وام الله ان لم افضل لاضر منك غرامة توجعك ثم قال يا من في بكم اريدت منك نقتك قال باربعائة قال عمر ( اي لعبد الرحمن ) اذهب فاعطه ثمانمائة .

وغير هذا فقد اسقط عمر الحد في عام الحاجة للضرورة وتجاوز ابو بكر عن خالد بن الوليد في حادثة مالك بن نويرة اذ قتله دون ثبوت من اسلامه كما تجاوز عنه رسول الله ( سلم ) قبل ذلك بما صنفه بيني جزية لما ارسله داعيا لا محاربا فذهب اليهم وحاربهم وقتل وسبي منهم فبري رسول الله من عمله الى الله ولم يؤاخذه به وما ذلك الا الحسن بلاء خالد في الحروب وخدمته العظيمة في الاسلام وكذلك اسقط سعد بن ابي وقاص الحد عن ابي عبيد في حرب القادسية وقال والله لا اغرب اليوم رجلا ابلى للمسلمين ما ابلاهم .

والثولعد على هذا من اعمال النبي واصحابه كثيرة لا يتسع لها مقام الخطابة ولعل هذه القواعد سوغت بعد لبعض الحكومات الاسلامية التجاوز عن الحدود والعقوبات المدنية كالسن بالن والعين بالعين وايدلت بها العقوبات الادبية كالجلس والتفريم مثلاً لضرورة تغيير الزمان اولئشو المتكرات فشوا لم ينجع في تأديب مرتكبيها الا حبس سريتهم في السجون او غير ذلك من الدواعي والاسباب الزمانية .

ليس فيما ذكر غش من مقام الشرعة او مس لاصولها المقدسة مادام من اصولها وقواعدها ايضا المدلول عن النص عند ثبوت المصلحة او درء المفسدة باقل غرض منها والشرعة كما تكون مبنية على المصلحة وقد سبى الله تعالى رسوله والائمة من بعده الى تحرير قاعدة الصالح وهو ما يستعملونه النسخ وما هو ينسخه وانما هو لتقرير حكم اقتضته مصلحة زمان وحال غير حكم آخر في زمان تقدمه واحوال اقتضته حكم جهاد .



المشركين من العرب في مبدأ امر الدعوة لحمايتها وحماية المسلمين من اعدائهم واعدائها وفيه الاذن بقتالهم حتى يتولوا لاله الا الله ثم تقرير حكم آخر بعده اي بعد ان انتشرت الدعوة وقوي جماعة المسلمين وصاروا في مأمن من غائلة الضعف وهو حكم الدعوة بالتي هي احسن .

وبالجملة فان ملخص ما تلوته عليكم ينحصر كله في المقدمات الآتية :

( اولاً ) ان القضاء في العصر الاول كان مرجعه نصوص الشريعة اي اصولها التي قررها الشارع واجتهاد الصحابة والتابعين فيما لم يرد به نص .

( ثانياً ) ان الاحكام التي جاءت عن الشارع لم يكن في استطاعة فرد واحد حفظها او بتعذر على الواحد الاحاطة بها فاحتج في القضاء الى استشارة حفاظها .

( ثالثاً ) ان الصحابة كانوا قد يختلفون في المسألة الواحدة اما في تطبيق النص او في مسوغ الحكم اذا كان اجتهادياً ثبتاً من وضع الشيء في محله بنهد الامكان .

( رابعاً ) انهم كانوا يعدلون عن النص عند الضرورة الداعية وفي احوال مخصوصة تدعو اليها المصلحة التي بني عليها الشرع اقتداء بالشارع .

( خامساً ) ان ورحمهم ونقوام وخوفهم من الوقوع في الائم كل هذا كان يدعوهم الى عدم الانفراد بالحكم ومشاركة خيار المسلمين وعلمائهم في تطبيق الاحكام اذا كانت اجتهادية على القياس الصحيح او الرأي السالم من خطأ الفرد .

هذه المقدمات تنتج تليينين مهمتين احدهما ان القضاء في الاسلام كان قضاء الجماعة لا قضاء الفرد والثانية ان الشريعة الاسلامية بما تقررها من قاعدتي الاجتهاد ورعاية الاصح كانت من الشرائع التي توافقت كل زمان ومكان وتجهز لكل ضرورة حكماً يوافق مقتضى المصلحة والحال وان خالف النص مع اعتبار هذه القاعدة شرعاً ايضاً خلافاً لما يتقوله عليها المتقولون من انها شريعة ضيقة توافقت زماناً غير زماننا هذا ومكاناً غير مكان الامم الراقية لهذا العهد فهي اذا سلحت لاهل هذا العصر لا تعطي لعصر تسير شرايعه مع مقتضيات المدنية الحديثة وحاجتها سيراً تدرجياً في شكل ما يقتضيه ترقى الجماعات . ومنشأ تقولم هذا الجبل بحقيقة الشريعة الاسلامية وعدم الوقوف على اصولها وقواعدها وكلياتها يساعدهم على ذلك ما يرونه من تعصب بعض علماء الشريعة المقلدين لما جاء في كتب الفروع دون الاصول ورودم لكل مآلم يزد فيها من اسباب التيسير وان ورد في اصول الشريعة وكلياتها مع ان في كتب الفروع من

الاحكام التي لا تستند الى دليل قطعي مالا يعدو مبناهما الاجتهاد او الرأي والقياس ومع هذا فانهم يفضلون العمل بهذه الاحكام على الرجوع الى اصل الشريعة معها كان فيها من التثيد والتضييق على انفسهم والامة ومما توجب على ذلك من التهم الباطلة التي يرمينا بها الباحثون في طبائع الاجتماع .

وحجة هؤلاء العلماء في هذا صد الشريعة او خوف انتشار دعوى الاجتهاد اذا فتح بابه وتطرق الفساد الى الشريعة وهي حجة معقولة ومسللة لا يتخالفهم فيها عاقل لكن فيما لو صارت قوة التشريع او الاجتهاد الى الافراد واطلق العنان لكل قائل ان يقول هذا حكم الله ورسوله ولكل حاكم ان يحكم بما يرى ويقول .

ومعاذ الله ان يريد هذه الفوضى الشريعة الاسلامية عاقل قط وانما المراد ان ينظر في المسائل التي يقتضيها تغير الزمان وتجدد المصالح والحاجات على شرط عدم الوقوع في ذلك المذخور الذي يخشاه العلماء وذلك بان نناط قوة التشريع او الاجتهاد في المسائل الطارئة في كل عصر بجماعة من اهل العلم الواقفين على دقائق الكتاب والسنة والعارفين بحاجات الامة ليقرروا لها الاحكام الموافقة لمقتضى الحال ثم نال هذه الاحكام تصديق اهل الحل والعقد فنصبح قانوناً رسمياً يختم العمل به في الحكومة الاسلامية التي هي في حاجة اليه لا يعدل عنه الى غيره من اقوال الفقهاء والعلماء وان مجتهدين تنضبط بهذا قوانين الشريعة ويؤمن عليها من تطرق الفساد ثم يكون من ذلك ان تجدد هذه القوانين تحديثاً يفي عن الرجوع الى كتب الفقه التي تختلف في المسألة الواحدة اختلافاً كثيراً يؤدي في كثير من الاحيان الى التشويش على النضاء ويكفي ان تكون تلك الكتب شروحات لقوانين الشريعة المعمول بها يومئذ يرجع اليها عند الضرورة والحاجة الى تفسير نصوص ذلك القانون كما هو الشأن في مجلة الاحكام العدلية المعمول عليها في محاكم الدولة العثمانية دون غيرها .

\*\*\*

للقضاء في الاسلام دوران دور العمل بالاصول ودور العمل بالفروع وانما اخترت هذا التقسيم لاختصار الطريق او اختصار البحث خوفاً من تعب القاري والسامع مع ان ادواره بعد دور التشريع الاول كثيرة جداً اذا اعتبرنا تنسيجه الى طبقات المفتين والمحدثين من الصحابة والتابعين ثم الائمة المجتهدين ومن بعدهم من طبقات الفقهاء والمقلدين من اتباع كل مذهب تعتبر ذلك بما قسموا اليه طبقات الخفية مثلاً فقد

قالوا انهم ينقسمون الى ست طبقات : الطبقة الاولى طبقة المجتهدين في المذهب كما في يوسف ومحمد وغيرها من اصحاب ابي حنيفة القادرين على استخراج الاحكام من القواعد التي قررها الامام .

والثانية طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب كالمخالف والمحايي والسرخسي والخلواني والبزدوي وغيرهم وهم لا بقدرين على مخالفة امامهم في الفروع والاصول لكنهم يستنبطون الاحكام التي لا رواية فيها على حسب الاصول .  
والثالثة طبقة اصحاب التخرج القادرين على تفصيل قول مجمل وتكثير قول محتمل من دون قدرة على الاجتهاد .

والرابعة طبقات اصحاب الترجيح كالقدوري وصاحب الهداية القادرين على تفضيل بعض الروايات على بعض بحسن الدراية .  
والخامسة طبقات المقلدين القادرين على التمييز بين القوي والضعيف والمرجح والستيف كاصحاب المتون الاربعة المعتبرة .  
والسادسة من دونهم الذين لا يفرقون بين الفث والسمين والشمال واليمين .

\*\*\*

لما اتسعت دائرة الفتح وانتشر الاسلام في الممالك القاصية وتفرق حفاظ الشريعة ورواتها في الانحاء مع اتساع دائرة القضاء بازدياد وسائل الحضارة واستبحار العمران وتجدد الحوادث التي يقتضيها تشعب المعاملات وحال الام الداخلة في الاسلام من غير العرب ولهذا خيف من تشتت احكام الشريعة ودخول الفوضى في القضاء والافتاء احتج بالضرورة الى امرين مهمين : الاول تدوين الشريعة في الكتب . والثاني وضع قواعد للتفريع عن اصول الشريعة لتطبيق الحوادث التي تحدث في احكام المعاملات على قوانين الشرع .  
واول من تبه للحاجة الى هذين الامرين على ما اظن عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل الاموي وسد الحاجة الاولى امر الزهري من جلة التابعين وحفاظهم بتدوين الحديث في دفاتر وتوزعها على الامصار في اواخر القرن الاول ففعل كما هو مشهور معروف .

اما الحاجة الثانية فقد شعر بها ولكن سدها بعده الائمة المجتهدون بدليل ما روي عن الامام مالك بن انس انه قال قال عمر بن عبد العزيز : يحدث للناس من الاقضية بقدر ما يحدث لهم من الفجور .

أدرك هذا عمر بن عبد العزيز وأدركه الأئمة المجتهدون من بعده مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المذاهب التي لم يبق لها اتباع لهذا العهد كما وود الظاهري وغيره وكأئمة الشيعة الذين يعمل بمذاهبهم إلى اليوم زيد بن علي وجعفر الصادق وغيرهم فلم يكتفوا بشدودين السنة في الدفاتر والكتب بل رأوا الحاجة تدعو إلى البيان والتفصيل والتفريع والترتيب فعمدوا إلى النظر في أصول الشريعة من انكشاف السنة فاستخرجوا منها الأحكام ووسموها ورتبوها ودونوها ~~ككل~~ على أصول مذهبه وقواعده وأصول الاجتهاد المعروفة في كتب الأصول فضبغوا بذلك قوانين الشرع بما بلغه اجتهادهم وأدى إليه جهدهم فكانت كتب كل مذهب شرعاً يعمل به اتباعه إلى اليوم .

ولسنا بصدد اطراء هذا العمل الجليل الذي قام به أولئك الأئمة الكبار وحسب هذا العمل أو هذه الخدمة التي خدموا بها الأمة والشرع انهم تصون منزلة الافتاء والقضاء عن مثاول كل من ادعى ان عنده مسكة من العلم بالدين والوقوف على السنة هذا لو احسن العلماء بعد العمل بقوانين الفقه .

وبعد فقد ارتكب الفقهاء من التصديق والتوسع حتى اخرجوا الأمة والجأوا بعض الحكومات الاسلامية إلى العمل ببعض القوانين المقررة عند الأمم الأوروبية خصوصاً الجنائية والتجارية ثم ان اختلاف الأقوال في المسألة الواحدة وكثرة الحواشي والشروح على القوانين والشرائع موجودة عند كل أمة فالقانون الفرنسي مثلاً له شراح من المشرعين وأشهرهم دالوز وكارباتيه وصيريه وغيرهم كثيرين إلا ان القضاء عند تلك الأمم لما كان بيد الجماعة وقوة التشريع ليست من حق فرد من الأفراد بل من حق الأمة ونوابها فدمستور العمل عندهم ما اجمعت على وضعه قوة التشريع وصاغت على قبوله الحكومة فصار قانوناً للقضاء لا يعدل عنه إلى تلك الحواشي والشروح وآراء المشرعين ويصار إليها إلا لتفسيرهم أو تطبيق الحوادث بعضها على بعض .

لشريعة المسلمين أصول وكميات تعتبر أساساً للتشريع ومع ان أحكامها مسلفة فقد كان العمل بها في عهد الصحابة بالشورى بين المتفقين منهم هذا فيما نص منها على ما يرد عليهم من النوازل فما يأنك فيما احتاج إلى الاجتهاد والتشريع بالقياس على تلك الأصول أو الاستنباط منها وقد كانوا لا يحكمون حكماً إلا بعد استشارة خيار الأمة وطلاتها وإقرارهم جميعاً على ذلك الحكم حتى اعتبر بعض الأئمة المجتهدين بعد

احكام الصحابة لقوتها شرعاً او اصلاً من الاصول التي ينشأ عليها التفريع مسمو عمل الصحابة او اجماعهم كما سبقت الاشارة اليه وكما ترون ذلك في كتب الاصول .  
اذا كان اجماع الصحابة على مسألة شرط في صحتها واعتبارها شرعاً يلزمنا العمل به فقد لزم من هذا امران :

الاول — ان اجماع الجماعة على تقرير حكم في مسألة شرط في صحة ذلك الحكم واعتباره شرعاً يلزمنا العمل به وهو ما نفعله الام الاوربية في تقنين قوانينها لهذا العهد وقد وجد له اصل في الشرع الاسلامي قارئناه واصحبنا نغبط الام الاوربية وقوانينها او قضاء الجماعة عندها لهذا اليوم .

والامر الثاني ان كل اقوال الفقهاء واختلافاتهم الواردة في كتب الفروع ليست بشرع الامن حيث اشتغالها على احكام يرد بعضها الى اصول الشريعة الا انه غير متوفر فيها شرط التشريع الذي مر . واناطة ترجيح قول دون آخر من حيث قر به من الاصل بشخص واحد لا يكسب هذا القول او الحكم قوة التشريع ليسعى شرعاً او قانوناً وجب العمل به الا اذا اتفق عليه وقرره جمهور من المشرعين او المرجحين وهذا ما اردته من وجوب بقاء الاجتهاد لكي لا ليتناوله من شاء فيما شاء . كلا بل ليناط بجماعة من علماء المسلمين تقرير الاحكام التي تدعو اليها المصلحة وتحدد بتجدد الزمان .

ولذا فان اجتهاد الجماعة كما انه لازم في الاصول فهو لازم في الفروع ايضاً وذلك لجمع اقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ما اصاب من تلك الاقوال بحجة الصواب والمصلحة ووافق اصول الشريعة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح في كتاب بعينه يعتبر قانوناً في المعاملات مجعاً عليه من العلماء ليعرف منه كل مسلم ما له من الحقوق وما عليه لا نتقذه اقوال الفقهاء من خلاف لآخر ومن قول نقيضه فتصير به الى اهواء القضاة والمفتين يحكمون بما ترجح لديهم وبما يشبهون .

وايس اختلاف المذاهب يمنع من ان يحكم للشافعي او عليه بقول للحنفية او المالكي بقول للشافعية مثلاً اذ كل اتباع المذاهب ابناء دين واحد وكل اقوال كتب الفقهاء مأخذها واحد وهو الشرع والواقع يثبت ان احكام المعاملات كانت في أكثر الممالك الاسلامية ولم تزل الى اليوم جارية في القضاء على مذهب الدولة الحاكمة وربما كان أكثر الرعية من اتباع مذهب غير مذهبيها .

ومع هذا فليس تنة نكير من العلماء على اهل الدولة فلا سبيل لهم الى التذكير على القائلين بلزوم جمع الاقوال الموافقة لمقتضى المصلحة والعصر من كتب المذاهب وجعلها قانوناً جامعاً في المعاملات للمسلمين بل هذا خير وسيلة لاصلاح القضاء ربما اغتفرت للفقهاء ماضي تفريقهم وحدة الامة باسم التعصب للمذهب وكانت خاتمة اضطراب نظام القضاء في الاسلام .

ليس اضطراب جبل القضاء في الاسلام مجديد وليس الظلم والفساد الذي لاقاه المسلمون من حكاهم الظالمين وحكوماتهم الجائرة الا نتيجة توكلهم على ضعف القضاء خصوصاً ما يتعلق منه بولاية المظالم لا لتقصن في الدين او الشريعة بل لتقصن في طرق التقنين والتنفيذ .

ان الدين الذي ينزل على الظالمين صواعق الانذار ويقرن الظلم بالشرك بالله تعالى ويأمر باقامة ميزان العدل ويريد سعادة المجتمع الذي يدين به ما كان ظالماً ولن يكون وانما المسلمون انفسهم يظلمون .

تعللون ان احفل العصور الاسلامية بالعلماء والمفتين والفقهاء المشرعين وارقاها في سلم المدنية الاسلامية عصر هارون الرشيد العباسي اذ الشريعة في ابان زهوها وانفريع في بيداء مجده والائمة اجتهدون هم القائلون بالتشريع والمكتبة ترجع الفتوى . في ذلك العصر الزاهر تبحر الاسلام واجاده المظالم يرى ابو يوسف صاحب ابي حنيفة من ضعف القضاء وتسلط عمال الجور واضطراب نظام ولاية المظالم ما يابجته الى وضع كتاب الخراج لامير المؤمنين هارون الرشيد وليس فيه الاية او حديث او مثال من قضاء الصحابة اي كنه من اصول تلك الشريعة الطاهرة يذكره فيه بالرجوع الى قضاء الله ورسوله واصحابه او قضاء الجماعة المتين قائلاً : ارجع يا امير المؤمنين الى هذه الاصول في سياسة الرعية وجباية الخراج وتوزيع النية ، اقم يا امير المؤمنين بنفسك للمظالم وانصاف المحكوم من الحاكم ، ادرك الزراع فقد كاد يهلكهم الظلم فقد بلغني عن عمالك انهم يقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد وانهم يفعلون بهم ويفعلون مما لا يحل لم يوجه من الوجوه .

هكذا كان الحال في عصر الرشيد وائمة الشريعة احياء يرزقون فما بانكم بما جاء بعده من العصور التي صار فيها التشريع الى عدد لا يحصى من المخرجين والمرجحين والفقهاء والمفتين وكلهم يقولون قولي او قول فلان هو شريعة الله الملقى بها والمعمل عليها

وما هو الا نفكك نظام القضاء وتشتت قوة الجماعة فلا حول ولا قوة الا بالله .  
 والنتيجة ان ضمان العدالة الوحيد انما هو قضاء الجماعة لا قضاء الفرد واعني ان  
 التشريع وحده غير كفيل بالعدل في القضاة الا اذا اُتيط كلاهما بالجماعة بالوضع والتنفيذ .  
 ولا نظنوا ان هذا المطر بش الواقع امامكم يريد شيئاً جديداً في الدين او قلباً لكيان  
 الاحكام مع انه ليس من علماء الدين ولا الائمة المجتهدين .  
 كلا فليس قضاء الجماعة مجديداً في الاسلام بل هو من عصر الصحابة وهم وانما عبر  
 اساسه المثين في الدور الاول للقضاء في الاسلام .

اما الدور الثاني فالتذي اذكره ان دولتين من دول الاسلام انتهتا اليه وباتتا  
 عليه اولاهما دولة الامويين في الاندلس التي جعلت في القرن الثاني داراً في خريطة  
 لشورى القضاء اعضاؤها من جلة العلماء يرجع اليه في تقرير الاحكام .  
 والحق اقول اني لم اطفر بكثير بيان عن هذه الشورى لكن ما رأيته عنها في ناياب  
 الكتب التاريخية يكفي للدلالة عليها فقد ورد ذكرها في فتح الطيب في ترجمه بعض  
 العلماء كقوله كان فلان مشاوراً وطلب فلان الى الشورى فابى ونقل الى المنية عن  
 كتاب من الاسف انه غير موجود بين يدي بل هو في مكتبة دمشق وهو كتب  
 الاحكام للقرطبي ورد فيه ذكر هذه الشورى بقوله ان الشورى خالفت الاما . ما نكأ  
 في عدة احكام اخذت فيها يقول ابي القاسم . وفي هذا دليل كاف على انه كان لديهم  
 سلطة في التشريع وان الدولة الاموية ثمة كانت مسددة الاعمال حتى قبيل وهنها  
 وسقوطها حريصة على اجراء قوانين العدل بين رعيتهما .

اما الدولة الثانية التي انتهت الى مثل ما نثبه اليه الامويون فهي الدولة العثمانية  
 لهذا العهد فانها جمعت من علماء الامة وفقائها الموثوق بفضلهم وعلمهم جماعة سمتهم جمعية  
 المجلة وذلك من بضع وثلاثين سنة انقروا من كتب المذهب قانوناً جامعاً لاحكام  
 المدنية وهو المعروف بمجلة الاحكام العدلية وافر على العمل به اهل الحل والعقد فصار  
 مرجع القضاء في المحاكم الى اليوم .



## ديوان الرصافي

طبع بالمطبعة الاحلية في بيروت سنة ١٣٢٨ (ص ٢٣٠)

يعرف قراء هذه المجلة شعر معروف افندي الرصافي بماقرأوه له في مجلدات المقتبس  
الاربع من الشعر الاجتماعي العذب المتين الذي كان فيه الفرد المقدم في العراق والشام  
ايام كان الكلام يحظر على كل انسان وقد اشتهر بذلك حتى وصفه بعضهم بانه شاعر  
المقتبس ولا عجب فهذه المجلة تفاخر بهذه النسبة . وقد طبع هذه المرة ديوانه واكثر  
من ثلاثة ارباء، مما نشر في هذه المجلة عني بتبويه الشيخ محي الدين الخياط من  
افاضل بيروت وقدم له مقدمة رائعة وجمله في اربعة ابواب الكونيات والاجتماعيات  
والتاريخيات والوصفيات ومن شعر الرصافي الاخير من قصيدة في جرائد الاسنان .

ولم يكفها هذا الخلاف وانما	اطافت بنقص التحقيق زائد
فما بين مكذوب عليه وكاذب	وما بين مجهود عليه وجاحد
تري في فروق اليوم قراء مصفا	فريقين من ذي حجة ومعايد
جدال على مر الجديدين دائم	بتفنيد رأي او بتنفيد ناقد

وقال فيها :

ولم ارا شيئاً كالجرائد عندهم	مبادئه منقوضة بالمقاصد
يقولون نحن المصححون ولم اجد	لم في مجال القول غير المفاصد
وكيف بين الحق من نقاشاتهم	وكل له في الحق نقشة مارد

وقال من قصيدة في وصف لبنان :

لبنان تفعل بالحياة جنانه	فعل الزلال بفضة الظلمات
وترد غصن العيش يد ذبوله	غضاً يمد بفرعه الفينان
فكان لبناناً حروس اذ غدا	يزهو بنشر غداثر الاغصان
وكأنما البحر الخضم سجنيل	بيدي خيال جملها الفتان
جبل سمته الفروع واصله	تحت البسيطة راسخ الاركان
تهفو النصوص به النهار وفي السجى	تهفو عليه ذوائب النيران
وترى التجوم على ذراه كأنها	من فوقه درو على تيجان



الى ان قال :

لبست ربي لبثان ثوباً اخضرًا  
نثر الريح بهن زهرًا موقعا  
فبرزن من وشي الطبيعة بالخلي  
وكأنت صنيعةً اطل مراقبا  
تلك الرئي اما الجبال فواحد  
رجل يسير الى الفجاء وآخر  
مخاذلين بها وم اعوانها  
ضعت مباني كل امر عندهم  
وتفرقوا دنيا كأن لم يكفهم  
وسموا فرادى الفجاء وفاتهم  
وقال من قصيدة حول البوسفور :

سفوح جبال بعضها فوق بعضها  
يروق بجنبها خير مياهها  
ويجري التسم الرطب فيها كأنه  
معاهد زرها في الهواجر تلقها  
زلزلهالوالشمس من فوق ارسلت  
وقد نزل من بين الفصون شعاعها  
كان التفاف الدوح والثور بينها  
تميل اذا هب التسم غصونها  
تربانا اذا المطير في الدوح غردت  
وقال من قصيدة في الترية بعد ان شاهد مسرح الحيوانات في بيروت :

كأنما الليث لم يخلق اخا ظفر  
شاهدته مشهداً بدساً علمت به  
وان خبت البرايا في طبائنها  
وان ليث الشرى ماصغ مقترسا  
وكمن الناس من قدراح متدفقا  
محدد الباب قدافا الى العطب  
ان الفراز لم تطيع على شغب  
لا بد فيه سوى الاطباع من سنب  
لكن حالته فراسا يد السغب  
بدافع الجوع نحو القتل والسلب

وإن تربية الانسان يرجعه . اكسرها وهو من ترب الى التهب  
 هذا اذا حسنت اما اذا فحيت كالنمل بها يمي من الخطب  
 فكل ما هو في الانسان مكتسب فلا ثقل فيه شيء غير مكتسب  
 اني ارى اسوأ الآباء تربية للابن اخرى بان يدعى أعقاب  
 والمرء كالنبت ينمو حسب تربته وليس ينبت نبع منبت الغرب  
 من عاش في الوسط الزاكي زكا خلقاً حتى علا في المعالي أرفع الرتب  
 فاحرس على ادب تحيا النفوس به فلتما قيمة الانسان بالادب  
 وقد عني بتفسير القائله اللغوية الشيخ مصطفى الفلايبي منشئ مجلة النبراس الشهير  
 بجاه الديوان موفور الخيرات من كل الجهات حرياً بكل من ذاق لما ظلة من الادب ان  
 يقتنيه ويتدارسه فشر الرصافي هو النموذج الراقي من شعر هذا العصر .

## حكم افرنجية

من الناس من فيهم الكفاءة ولا يرتقون لكن ليس منهم من يرتقون دون ان  
 يكونوا على شيء من الكفاءة ( لاروشفوكولد ) .  
 الادب يظهر المرء في مظهره الخارجي كما يجب ان يكون عليه في مظهره الداخلي  
 ( لارولير ) .  
 على من يريد ان يعمل الخير ان يعرف كيف يفكر بان الحياة قصيرة لا ينبغي ان  
 تضاع هنية منها عبثاً ( فولتير )  
 علينا ان نعلم من نريد تعليمهم بالمثال الحسن اكثر من ان نسن لهم الطرق ونختط  
 لهم الخطط فالمثال هو الذي يعلم الرجال ( شانوبريان ) .  
 انا نشعر بالآلام الكثير من الملل من ايام السعد اكثر مما نشعر بسرور الاستمتاع في  
 ايام الفسوس ( بالزالك ) .  
 عاش من صرت نفسه من الاوهام .  
 لا يكفي المرء ان يكون له عقل حتى يخلص من البهيمية بل يجب ان يعرف كيف  
 يستخدم عقله .  
 السعادة كالطير الاخضر الذي يقترب منك ثم يقفز فقرة صغيرة فلا تغدر ان تمسكه .

انتظار المدعو الى دعوة اذا تأخر عن الجهاد قلة احترام لساير المدعوين الخافسين .  
التغاضي عن الواجبات الصغيرة مدرجة الى ارتكاب الاغلاط الكبيرة .  
يمتص الفحل والزنبور من زهور واحدة ولكن ~~كلا~~ منهما لا يبرف ايجاد  
العسل نفسه .

مما يدل على المروءة التامة تعرض المرء لانظار ارباب المروءة .  
يؤثر النساء ان يفتنن في فضيلتين على ان يطمعن في فكرهن وجمالهن (دوماس)  
الشهوة العظمى هي زهرة عاصفة لا تثبت الا على حجر ذريته الا عاصير .  
لسنا الا ثمرة نشوئنا .

الافكار الحسنة كسامير من نحاس تنغرز في الروح ولا نتخرج منها قط .  
في الاعتبار عزاء عن كل شيء .

من القهقهات ما يخرج كصوت القنابل لا يثيق منها صاحبها  
الفكر الجديد هو مثل زاوية لا يمكن ادخلها الا من الانشطة الكبرى .  
سلسلة الزواج ثقيله جداً لا سبيل الى حملها الا اذا استمد لها المرء واقفاً على قدميه  
الاسنان كالكلاب كلما اعطوا قفصوا .  
اننا نجور حتى في شفتتنا وذلك لاننا نتأثر لمصاب عرضي بمرض لا سعداء اكثر  
من تأثرنا لمصاب دائم بلازم البائسين .

كثير من الناس يرون السياسة علم الربح بدون رأس مال .  
من الصعب على الاغنياء ان يبرزوا الحكمة اكثر مما يصعب على الحكماء ان  
يحصلوا الثروة .

اذا لم يستطع ارباب العقول ان يحسنوا الانتفاع من الاغنياء فما الفائدة من  
عقولهم (رنان)  
التأمل بكل الاخلاق بدون ان يغيرها كما ان القواعد تخدم القرائح ولا تساعد  
على الانبعاث .

تتألف الحياة التي نستطيعها من كثير من الايام التي نستطيعها ايضا .  
جسم جميل في روح خبيثة كسفينة حسنة وفيها ملاح ردي .  
لا تكن محتاجاً الى الامل لتشجع في عمل ولا الى الفجاح حتى تظل مداوماً على  
ما انت آخذ في سبيله .

تُخذ الحياة الرجال في باريز كما تُخذ السكين على المسن ولكنها ثلثها .  
 في المجتمع الرديء النظام تشبه القوانين بيوت العناكب تعثر فيه الهوام الصغيرة  
 اما الكبيرة فتفلت من اطرافه .  
 ثلاثة امور صعبة الاحتفاظ بسر وتحمل الازى واستعمال اوقات البطالة (فولثير)  
 لا تكن ساذجا ولا خبيثا .

اذهب متشافلا الى ضيافة اصدقائك وسارع اليهم كثيرا في ايام بؤسهم .  
 اكثر الرياء خطرا ما احاط بنا من الخطاط المحيطين بنا .  
 كثيرا ما يخفق رجل العقل في مشاريعه لانه يخاطر كثيرا (مونتسكيو)  
 حب الجد في القلوب الكبيرة يشغل المكان الذي يملأه العجب في النفوس الصغيرة .  
 لا تكرر كلمة جافة شائعة واذا سمعت كلمة في فمك فاكتمها في صدرك فانك  
 لا تفيق بها ذرعا .

ثلاثة امور تعلي قيمة المدايا الاحساس والمناسبة واسلوب المديونة .  
 اني استحسن الرياضات التي تعيننا احترام الحياة على شرط ان لا تدخل فيها  
 حياة الغير .

الناس يستمعون النجمة على ما يكرهون اكثر من استماعهم مديح ما يحبون .  
 كثيرا ما ترى للناس ميلا طبعيا للبادرة لئونة الرجل الاقوى فيهم .  
 من سينت المساواة هو اتنا لا نريدها الا مع الاعلى منا مقامنا .  
 التسليم بالقضاء والقدر هو سعادة من ليس لهم سعادة .  
 الآلام خير من تعذيب الوجدان .  
 المناكدة شقاء الصالحين .

قام كل عمل عظيم في العالم ببركة اجابة نداء الواجب وكل اثر مرمي في العالم قام  
 باسم المصلحة .

لا تبهز الفضائل الصغرى الانظار بل تعطر صاحبها فهي بنفسج الروح .  
 ان النجم الذي لا ينضب تعديته على كثرة تعاور الايدي عليه منذ ازمان هو  
 منجم الحق البشري .

من الناس من يشكون قبل ان يفكروا بهنية اي يسبق كلامهم تفكيرهم .  
 لا تشارف في موضوع القيام بالواجب .

## غرائب الغرب

تاريخ عمران باريز

١١

لعل باريز كانت في الاصل احدى تلك الضياع التي كان الغاليون ينشونها في جزر الانهار الكبرى ايام كان يسهل عليهم ان ينشؤا جسوراً يتخذونها مجازاً الى طرق مهمة واول ذكر ورد لها ولسكانها في التاريخ كان ٥٣ ق م فدعا القيصر ساكنها باريزيا كما دعا المدينة لوتيتيا وضم اليها سنة ٥٣ فواب الامم الخاضعة .

مضى زمن لم يمتد فيه عمران المدينة خارج الجزيرة الاصلية ثم استفاض عمرانها على الشاطي الشمالي على عهد الامبراطور كونستانس كلود الذي انشأ فيها قصراً تسمى بقاءه اليوم بقصر الترم وسكن فيه جوليان لما نادى به جنده قيصرأ وكانت الجزيرة محاطة بمتاريس وفيها قصر تفصل فيه الامور البلدية ومذبح على اسم جوبيتر اقامه الملاحون الذين كانوا يقدون ويروحون في تجارة نهر السين وفي سنة ٢٥٠ غدت لوتيس مركز اسقفية وعلى ذلك العهد اطلق عليها اسم باريزي وهواسم الشعب الذي يسكنها وكانت عاصمة بلادهم فتحت باريز ابوابها للفرنك سنة ٤٩٧ فدخل قصر الترم كلوفيس ثم ماتت القديسة جنيفاف حامية باريز ووقف العمران على عهد الكارولينجين بل تراجع فنقل الامبراطور شارلمان عاصمة ملكه الى اكس لاشبل وما كان يقيم في باريز الا نادراً وكان عهد خلفائه عهد شقاء

وكانت القرى في شمالي المدينة وجنوبها تؤسس تحت حماية الاديوار

وكثيراً ما كانت تخرب بأيدي اشقياء من السكان اوبقارات النورماندين وفي سنتي ٨٨٥ - ٨٨٦ جاء النورمانديون وغددم ثلاثون ألفاً وعسكروا امام جزيرة المدينة وحاصروها ثلاثة عشر شهراً وبهذا الحصار افتتحت باريز ايام سعادتها واصبحت كما قالوا رأس فرنسا وقلبها .

وفي القرن الحادي عشر والثاني عشر امتد عمران هذه القاعدة وانشئت فيها اديار وبيع ومستشفيات ومدارس واقيم لها في ايام لويس السادس عمدة ينظر في شؤونها وامور ضبطها وربطها وبدأ فيها العمران المادي . وعلى عهد فيليب اغسطس وهو ام دوز من ادوار عمران هذه العاصمة كثرت الكنائس الكبرى وأُسست الاديار والمدارس ودور المرضى والاسواق والجاري واحواض المياه والفساقي والمرافق وفي سنة ١١٨٥ اخذوا يملطون شوارع المدينة للمرة الاولى وفي سنة ١٢٠٤ انشي قصر اللوفر وبعد ذلك جمعت منارس باريز وكان عدد طلبتها عشرين ألفاً وجعلت منها مدرسة جامعة اطلق عليه اسم الابنة الكبرى للملوك ( السوربون ) واخذ سكان المدينة ينفون حتى بلغ عددهم سنة ١٣٢٣ - ٢٧٥ الفاً وصرفت العناية منذ زمن شارل الخامس الى لويس الثالث عشر في تزيين مدينة باريز وتطهيرها وانشئت فيها فنادق جميلة

ولقد كانت القرون الوسطى على باريز كما كانت على فرنسا قرون مصائب واضطراب فاستباح الانكليز سنة ١٤٢٠ حتى باريز وحاولت الفتاة جان دارك على غير طائل ان تطردهم عنها فذهب سعيها عبثاً ومنذ سنة ١٤٠٨ الى ١٤٢٠ اكثر الارمنياكيون والبوركنيون من ذبح سكان باريز التي احتلها الانكليز من سنة ١٤٢٠ الى ١٤٣٦ وجاء طاعون جارف على

الآثر اهلك الكثير من سكانها ومع هذا لا تزداد عروس الغرب الا امرأتا .  
وفي سنة ١٥٣٣ وضع الحجر الاول في اساس دائرة المجلس البلدي  
الذي هو مفخر من مفاخر البناء في هذه العاصمة كما أسس قصر التويلري  
المشهور على ايام شارل التاسع وعادت باريز فاجت ميداناً لقتل من دانوا  
بالمذهب البروتستانتي من اهلها وانتشرت افتتن الديانة زمناً واصبح القبول  
الفصل فيها للمتصين والجامدين

وفي خلال ذلك اشتد فيها القحط فاهلك من سكانها ثلاثة عشر ألفاً  
وكثرت الفتن على الملك وقتل بعض ملوكها وبدأ عهد لويس الثالث عشر  
بالارتقاء المادي والعقلي فجعلت باريز سنة ١٦٢٢ مقر رئيس اساقفة وكانت  
اسقفية صغرى وفي سنة ١٦٢٠ انشئت مطبعة الامة وسنة ١٦٢٦ انشئت  
حديقة النباتات وسنة ١٦٣٥ أسس الجمع العلمي وانشئت بعض الشوارع  
والساحات وغرست بالاشجار وكثرت الحارات والاحياء الجديدة واتصل  
العمران بالقرى المجاورة حتى تضاعفت مساحة المدينة وعلى عهد لويس الرابع  
عشر اخذوا يضيفون الشوارع بمصاييع يجعلون فيها شموعاً وذلك في الليالي  
النير القمراء

ولقد نشط هذا الملك البحث في التاريخ والصناعات والعلوم بانشاء  
المجامع الاثرية والصناعات النفيسة والعلوم وترخيصه للناس ان يختلفوا  
الى المكتبة وكانت من قبل خاصة بالملوك فقط . وكان عهد الوزير كرابر  
المشهور عهد عمران هذه العاصمة الذي لم يسبق له نظير وزاد سكانها حتى  
بلغوا نحو ٥٦٠ ألفاً وعلى عهد لويس الخامس عشر طبعوا اسماء الشوارع على  
صماخ من قوتيا وجعلوها في رأس كل شارع واستعاضوا عن مصاييع

## الشموع القديمة بمصايح الزيت

ولما جاءت ثورة سنة ١٧٨٩ كثر عمران باريز اذ اعقت تخليص الاراضي من الكنائس والبيع لتنشأ فيها الشوارع والجادات وكثرت الابنية العامة والخاصة والمعاهد العلمية والصناعية والحدائق العامة والمدارس الكبرى واتن كان من الثورات التي حدثت بعد ولا سيما فتنه سنة ١٨٤٨ مانشأ عنه بعض الاضرار على العمران الا ان المهم كانت اعظم للتعمير منها للتخريب وقد جاء عشرون ألفاً من الالمان واحتلوا سنة ١٨٧١ بعض احياء المدينة عقيب الحرب التي فشل فيها الفرنسيين في موقعة سدان وعاد الالمان من حيث اتوا بعد ثلاثة ايام

وكان عهد عصابات الكومون بعد ذلك من اشأم ايام الخراب على عمران باريز فتقوض بها ٢٣٨ داراً خاصة وعامة وقتل سبعة آلاف جندي وقتل وجرح خمسة مائة ضابط وقدرت الخسائر بثلاثة مائة وسبعين مليوناً من الفرنكات وكثر بعد ذلك العمران باسباب الراحة وكان من المعارض الثلاثة التي اقامتها باريز سنة ١٨٧٨ و ١٨٨٩ و ١٩٠٠ ولا سيما المعرض الثاني الذي اقيم تذكاراً لمرور مئة سنة على الثورة الفرنسية الاولى اعظم مظاهر مظاهر الصناعة عند الفرنسيين واول دليل على ارتفاعهم التدريجي الذي لم يقف قط عن الجري





اجماليات في عمران باريز

١٣

باريز واقعة في الدرجة ٤٨°١٥'٤٩ من العرض يشقها نهر السين الى قسمين غير متساويين من الشرق والجنوب الشرقي ويتخللها في وسطها عدة آكام وجبال مهندتها حتي غدت كأنها بعض اجزائها منها ما يبلغ ارتفاعه ١٠١ متر ومنها ١٢٨ ومنها ١٣٦ ومنها اقل من ذلك وتبلغ مساحتها ٢٨٠٢ هكتار ومحيطها ٣٦ كيلومتراً

وطولها من الشرق الى الغرب نحو ١٢ كيلومتراً عرضها من الشمال الى الجنوب نحو تسعة كيلومترات وطول طرفها العامة ٨٨٨٠٠٠ متر فيكون مجموع مساحتها السطحية ١٥٣٢ هكتاراً ولها ٧٠ باباً او منفذاً منها ٥٢ باباً و ٩ طرق للسكة الحديدية وطريقان لجرى السين وطريقان لثلاثة سان ديني واورك وعدد سكانها بحسب الاحصاء الاخير ٢٧٦٣٣٩٣ وباريز بالنسبة لحجمها اكثر المدن ازدحاماً اذا قيست بالمدين الاوربية ومعدل الزواج فيها كل سنة ٢٥ ألفاً والولادات ٦٥٠٠٠ والوفيات ٥٠٠٠٠

وتقسم من حيث امورها الادارية الى عشرين قسماً لكل واحد منها عمدة وثلاثة او خمسة مساعدون وباريز ٢٣٤٥ زقاقاً و ٨٢ جادة كبرى و ١١٥ شارعاً و ١٦٦ ساحة و ٤٠٦ طرق غير نافذة و ٤٦٨ ممشى و ١٥٤ قرية و ٤٩ مصيفاً و ٧١ مجرى عاماً و ٤٢ رصيفاً و ٣١ جسراً و ٤٨٠٠٠ بيت وتمتد الطرق المغروسة بالاشجار وفيها ٨٧٠٠٠ شجرة على طول ٢٧٠٣٦٣ متراً وفيها ٨١٠٣ مقاعد لجلوس الناس في الطرق والشوارع والساحات والحدائق

تضاء باريز في الليل بنحو ٥٢٣١٣ ضوء غاز و ١٥٧٥ مصباحاً كهربائياً  
 وقوة القوى الكهربائية فيها للشرابات الخاصة والعامة في باريز ٢١٣٠٠٠٠٠٠  
 مصباح كل واحد ذو عشر شمعات . ويجري ماء الشفة الى مدينة باريز  
 في قساطل من عدة يتابع صافية نافعة خلافاً لما يدعيه بعض التجريز بالعمود  
 من ان ماءها مضر بالصحة حتى يتقوا خمرهم ومعدل ما يجري منه اليها  
 ٣١٠٠٠٠ متر مكعب ياتي الي ٨٤ الف محل من البيوت الخاصة ٧٤٣٣  
 مضخة الحريق و ١١١٠٦٩٥ محلاً لشرب المارة ويجري اليها ماء للاستعمال  
 غير صالح للشرب وهو للصناعات وغيرها يجري في ٦٤٦٠٠ آلة عامة  
 في باريز ١٦٠٠٠٠ عربة بالخيول واكثرها بحصان واحد والمركبة ذات  
 الحصانين في الاكثر عربات خاصة بالاعيان وارباب الفنادق وفيها  
 ١٣٠٠٠ اوتوموبيل كبير تنقل زهاء ٣٠ مليوناً من الناس في السنة و ١١٩  
 خطاً من خطوط الحافلات ( اومنيوس ) والترامواي وفيها ٢٥٠ مجلة اومنيوس  
 و ١٩٠٠ مركبة كهو بائية تنقل في السنة ما لا يقل عن ٣٠٠ مليون راكب  
 وعشرة آلاف مركبة خاصة و ١٢٠٠٠ سيارة ( اوتوموبيل ) وقد كان في  
 فرنسا في السنة الماضية ٤٤٧٦٧ اوتوموبيلاً و ٤٠٠٠٠ مركبة نقل ولا تدخل  
 فيها الكيولت وفي باريز ١٦٠ الفاً من الدراجات و ١٠٦ راكب نهريّة تجعل  
 نحو ٢٣ مليون راكب في السنة وسككها الحديدية المهددة بها تحمل ٣١  
 مليوناً وركب من الست محطات الكبرى فيها زهاء ٧٧ مليون راكب  
 ومثلهم يأتون اليها .

ويطعم لباريز في السنة ٢٩٢ مليون كيلو من الخبز و ١٥٩ مليون كيلو  
 من اللحم و ٣٦ مليون كيلو من السمك و ٦٦٩ مليون بيضة و ٣١ مليون كيلو

من الطير والصيد ٦ ملايين هكتولتر من الخمر و ٢٩٢٠٠٠ من البجعة و ١٢٠٠٠٠ هكتولتر من سائر المشروبات الزوجية

وفيها ٣٠ ألف فندق وحانة وقهوة ومطعم يعيش منها مئة ألف نسمة وتجارة الاطعمة ٢٤٥٠٠ محل يعيش منها ٩٠ ألف شخص وتجارة الفرش والاثاث ٣٢٠٠ محل وعدد البيوت والمخازن التي تباع الامتعة والثياب والازياء ٩٥٠٠ محل فيها ٧٢ ألف عامل وعاملة وعدد محال الاطعمة ومعاملها ٧٥ ألفا فيها ٤٣ ألف مستخدم وخمسمائة ألف عامل وعاملة فيكون مجموع من يعيشون من هذه المحال نحو مليون نسمة

واكبر وسائل النقل واسرعها في مدينة باريز السكة الحديدية الكهربائية تحت الارض التي يسمونها المتروبوليتين وهي تدل على عظمة العقل وآخر ماوصل اليه الانسان من التفنن وليس لهذا الخط نظير في سته وجدته في برلين ولا في لندن افتتح الخط الاول منه سنة ١٩٠٠ وله الآن ستة خطوط منها ما طوله عشرة كيلومترات ومنها اكثر واقل الى السبعة عشر كيلومترا تربط اجزاء المدينة بعضها ببعض وينتقل الراكب ان احب من قرق الى فرع آخر بدون زيادة اجرة وقد تم الخط الرابع منه هذه الآونة وهو يسير تحت نهر السين ويكلف كل كيلومتر من هذا الخط ثلاثة ملايين فرنك وهو مريم نظيف رخيص يدفع الراكب في الدرجة الاولى ٢٥ سنتيا وفي الدرجة الثانية ١٥ وقد نقلت هذه السكة الحديدية سنة ١٩٠٦ ٢٥٤٤٥٩٩٢٠٠ راكبا وكان عدد من اقلتهم في السنة التي قبلها ١٩٠٥ ٢٢٩١٧٠٠ وكانت ارباحها سنة ١٩٠٨ نحو اربعين مليار فرنك فاصبحت في السنة التالية زهاء اربعة واربعين مليارا وهم يملكون ابدا على تهويته على طريقة لانهلج من

المواء النبي ويدرون فيه المواد المضادة للتعب وقد يتأذى بالركوب فيه  
بعض ضعاف المزاج ولكن ذلك من كثرة الازدحام فيه لا من شي آخر



## علم المشرقيات

١٣

لا يتأتى لغريب عن امة ان يعرفها حق المعرفة الا اذا درس لغتها وتاريخها  
وأدائها . واللغة مفتاح باب كل معرفة ومقدمة بين يدي كل عمل . ولذلك  
كان من الراغبين في درس احوال الشرق من اهل اوربا ان يدرسوا لغاته  
ليحيطوا خبراً باهله وكان للغة العربية المقام الاول بين تلك اللغات لانها لغة  
امة ذات حضارة باهرة ودين دان به اهل الاقطار المعتدلة من صميم الشرق .  
فتوفروا على احكام العربية وتنافسوا في تعليمها حتى نبغ منهم اناس لم يقلوا  
في فهم اسرارها عن خلدن انائها الذين نشؤا في حجرها واحكموا ما حكمه نظمها  
ونثرها وكان لفرنسا من بين ممالك الغرب يد طويلة في هذا المضمار . وكل  
مملكة من ممالك اوربا واميركا لا تخلو من افراد من اهلها انفسهم يعانون  
حل معضلات لغة العرب وينسلون الى ثقافتها من كل حذب

ولقد دعوا تعلم هذه اللغات وما ينبغي لها علم المشرقيات او الاستشراق  
والمشتغلين بها علماء المشرقيات او المستشرقين وقدما كان العارفون من اهل  
هذا الشأن من الفرنسيين اكثر من غيرهم وقد اصبحوا اليوم واكثرهم من  
الالمان . والالمان امهر الغربيين في النطق باللسان العربي واكثرهم ثبوتاً  
فيه وعند الالمان من علماء المشرقيات بقدر ما عند الفرنسيين والنسويين  
والبريطانيين والاطاليين والهولنديين والانكليز والروس والاسبانيين والبرتغاليين

والاميركيين والبلجيكيين كثرة عدد وحسن معرفة ولا عجب فالالمان نبغوا في كل شأن من شؤون الحياة والعلم والصناعة ودرس العربية كان له النصيب الاوفر من عنايتهم .

وقد اشتهرت في فرنسا الجمعية الآسيوية ومدرسة اللغات الشرقية الحية وقد درست احوالها وزرعتها غير مامرة وهاء نذا الخصب للقاريء ماعرفته عن الجمعية الآسيوية بواسطة صديقي المسيو لوسين بوبا احد الاعضاء العاملين العالمين في الجمعية المشار اليها فقد كتب اليّ مائتريه : ان فكر تأسيس جمعية علمية تعنى بدراسة الشرق قد جرى البحث فيه منذ اواسط القرن الثامن عشر ولكنه لم يتم الا بعد زمن طويل . فقد انشئت الجمعيات الاولى للباحثين في المشرقيات خارج اوربا مثل جمعية العلوم والفنون في باتافيا ( ١٧٧٨ ) والجمعية الآسيوية في البنغال ( ١٧٨٤ ) والجمعية الآسيوية في بومباي ( ١٨٠٥ ) ومنذ ذلك العهد اُنشئت في اوربا واميركا عدة جمعيات للمستشرقين ولكن اقدمها عهداً الجمعية الآسيوية في باريز اُست سنة ١٨٢٢

وعلى ذلك العهد رأى جماعة من مستشقي الفرنسيين ان الحاجة ماسة الى ان يجتمعوا ويجمعوا مواد الدروس المختلفة الضرورية لهم وان يصدروا مجلة تكون لسان حالهم وقائمة اعمالهم . وكان المسيو دي لاستي انشط هؤلاء العلماء وبفضله اُسست الجمعية الآسيوية التي ناب في رئاستها باقرب من ثلاثين سنة وكان الرئيس اذ ذلك سلفستردى ساسي احد اعضاء المجمع العلمي واستاذ مدرسة فرنسا ومدرسة اللغات الشرقية وهو اعظم من خدم اللغة العربية في فرنسا وربما كان اعظم مستشرق نبغ ونفع من الفرنسيين وكان من

مؤسسي الجمعية ايضاً كوسان دي برسفال وكارسين دي فاسي ورموسا  
 فبدأت الجمعية أعمالها لأول تأسيسها بنشر المجلة الآسيوية التي اختصت  
 بالبحث في لغات الشرق وتاريخه وعلومه وآثاره ولا تزال الى اليوم نموذج  
 العلم الراقي وسيدة المجلات الاختصاصية في فرنسا

وانشأت الجمعية خزانة كتب جمعت فيها كل ماوصلت يدها اليه من  
 الكتب والمخطوطات والرسوم وغيرها مما يفيد العلماء من اعضائها وجمعت  
 ايضاً مجموعات من النقود القديمة والتحف البديعة . ونشرت مصنفات في  
 تاريخ الشرق واصول لغاته وفلسفته واديانه وطبعت على نفقتها عدة مصنفات  
 وساعدت كثيرين مساعدات اديية ومادية على نشر الكتب النافعة وكان  
 نشر المخطوطات وترجمتها من اهم الاعمال التي تعنى بها . وخصت جلساتها  
 في سماع المراسلات والمناقشات العلمية النافعة كما عثت ببراسلة العلماء  
 الاجانب على الدوام والانتفاع بأرائهم واعمالهم .

واذ قد ظهرت منافع الجمعية الآسيوية سنة ١٨٢٨ عادت بعد ان  
 ضعف امرها بضع سنين الى مكانها الاولى ولم تلبث ان قويت عن ذي  
 قبل وانتشرت كلمتها فرأسها امثال سلفستردى ساسي ثم جوبرور ورينو وموهل  
 وكارسان دي تامبي ورنيه ورنان وباريه دي مينار وسينار . ومن جملة  
 رؤسائها الثانويين كوسين دي برسفال وبارتلي سان هياير ودفرني وبوريه  
 دي كورثيل وماسبرو ورنس دوفال وبين امنا سرها ايل ريمورا وجاميس  
 ودار مستير وشافان

تقلت الجمعية منذ تأسيسها في عدة اماكن ومنذ سنة ١٨٨٣ اتخذت  
 لها مقراً في بناء ملاصق للجمع العلمي وذلك بفضل رئيسها اذذاك رنان

الفيلسوف المعروف ونالت من الحكومة الفرنسية عدة معونات رسمية ومنحت الجمعية مكتبة الامة الكبرى عدة كتب ومخطوطات وغيرها من النفائس ولا سيما المخطوطات التي انت بها من الهند والمجموعة الثبينة وكتب الديانة البوذية .

وما عدا المجلة الآسيوية التي تصدرها الجمعية في نحو مائتي صفحة كل شهرين وتآلف منها مجلدان كل سنة فقد نشرت على نفقتها ٢١ مصنفاً تتألف من نحو ٤٠ مجلداً وبعض هذه المصنفات طويلة الذيل مثل مروج الذهب للمسعودي نشرته بنصه العربي وترجمته الى الفرنسية وهو في تسع مجلدات ونشرت رحلة ابن بطوطة في اربع مجلدات وكتاب الماهافاستوي ثلاث مجلدات

وهذه الجمعية تمتع كل سنة معونات لبعض المؤلفين في الموضوعات العلمية . واعضاؤها اليوم ٢٥٠ عضواً منهم ٢٦ من الاجانب وهي تبث مجلتها الى نحو مئة جمعية علمية ومدرسة جامعة او مجلة دورية والى ثمانين مكتبة من مكاتب العالم على يد نفاذة المعارف الفرنسية والمجلة ١٣٠ مشتركاً ايسوا من الداخاين في الجمعية . وقد بلغت وارداتها سنة ١٩٠٨ : ٢٥٦٣١٠ فرنكاً و٦٦ سنتياً وفي مكتبتها نحو اثني عشر الف مجلد من الكتب و ١٥٠٠ صفحة و ٢٠٠ كتاب مخطوط وفيها مجموعة من النقود القديمة اه هذا اجمال حال الجمعية الآسيوية وفيها من الاعضاء من لافئدة منهم ولا رابطة بينهم وبين الغرض الذي ترمي اليه الا انهم يؤدون الراتب السنوي المقربوب عليهم ويتاولون المجلة لقاء ذلك وكثير منهم لا يعرفون من احوال الشرق ولغاته واصول سكانه اكثر مما تعرف نحن عن الصين وتبت ...

اما مدرسة اللغات الشرقية الحية وهي التي تعري مبادئ اللغات الشرقية وهي مخرج لاعضاء هذه الجمعية وغيرهم ممن يتولون التمهيلات والترجمة والسفارة عن حكومتهم في بلاد الشرق فاسمها فيما ارى اكثر من نفعها وما دامت فرنسا تراعي الحواطر في توسيد وظائف التدريس لغير الاكفاء فان تعليم اللغات الشرقية يبقى صوريا لا حقيقيا . وهيهات ان ينشأ لفرنسا وهي على هذه الحال امثال المستشرقين الاول من ابنائها الذين باهت بهم الامم مادامت سوق الشفاعات راتجة عندها .



درس من سلاتيك

١٤

بينما كنت مأخوذاً بما اشاهده من مظاهر عظيمة الامة الفرنسية واقراً مثلاً مجسماً عن الارتقاء التربوي ولا افرغ ليلى ولا نهاري من زيارة المعاهد العلمية وحضور الدروس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية واغوص في مكاتب باريس ولا سيما مكتبة الامة ومكتبة السوربون وبينما تكاثرت عليّ المواد وانا لا اعرف باي لسان اعبر ولا باي قلم احبر وبينما انا افكر في بلادي وما يجب عليّ ان اكتب لما مما تأثرت به عواطني واخذ بمجامع قاضي محل الي البريد من سلاتيك كراسة باللغة الفرنسية من قلم صموئيل سام افندي ليني رئيس تحرير جريدة سلاتيك الفرنسية وهي محاضرة القاها في نادي الاتحاد الرياضي في ذلك الثغر اواخر الشهر الماضي عقيب عودته مع جماعة العثمانيين الذين ذهبوا لزيارة بلاد النمسا والمجر منذ مدة فرأيت ان ألخصها للقراء ليعلموا ان تأثر العثمانيين واحد عند زيارتهم الديار الاوربية وان ابن سورية



إذا أقامه ماشاهده في غربي اوربا و أقمده بما فيها من آثار العمل والجد فان ابن مكسونية لا ينقص عنه تأثراً في ماشاهده من اواسط اوربا و شعور ابنا الوطن واحد . قال الكاتب السلانكي :

في ستة وعشرين يوماً صاح مائتان وخمسون رجلاً من اهالي الاستانة و سلانليك وازمير وغيرها من مدن الداخلية سياحة كبرى قطعوا فيها ٤٥٠٠ كيلومتر في السكك الحديدية و ١٥٠٠ في البواخر والجملات والسيارات و على الارجل فوقفنا في خمس وعشرين مدينة كبرى وصغرى وزرنا نحو ١٥٠ داراً صناعية ومعهداً علمياً او مدرسياً و فنياً وادارياً و متحفاً وغيره و حضرنا مئة دعوة وغيرها اقامتنا ١٥ جمية و ٢٥ غرفة تجارة و حكومة النمسا والمجر فلم يبق من تلك الرحلة التي تذكرنا السائحون جول فرن و ماين ريد الا ان نذكر شيئاً من ذلك الحلم الذي مر علينا في رحلتنا و تثبت من تلك الاشباح لتحسن الانتفاع بها في مادياتنا و تكون لنا عملاً و درساً نافعا و لقد كانت غايتنا من رحلتنا اقتصادية لندرس دور الصناعات والاوزاع التجارية والمدرسية والادارية عن أمم ولكن المسائل الاقتصادية والاجتماعية كما قال البارون هلمووتسكي فيما خطبنا به لها مساس كلي بالمسائل السياسية وبينها روابط ولوازم ولا سبيل الى البحث في الاولى مع اغفال الثانية .

ولقد كنا نقضي العجب من كل ما يقع نظرنا عليه حتى كنا نتساءل عما اذا كان ما تقع عليه انظارنا من مدهش الاجمال هو من صنع ايدي البشر وهم الذين قاموا بهذه العجائب و بحق ما قاله النايب الدكتور رضا توفيق رئيس جماعتنا السائحين عندما غادر النمسا ان لغنى اللغات عابرة عن بيان الشعور الذي تتأثر به كلنا كما ينبغي لما لمعتنا من الحفاوة الحارة للعبادة مدة مقامنا في

بلد بلغ هذه الدرجة من الرقي . نعم لقد تجلت لنا بلاد النمسا ونظر مملكة  
دخل اليها التجديد من كل اطرافها وتناول كل فرع من فروع اعمالها  
الخاصة والعامة .

وكثيراً ما اتفق لنا ان زونا معهدين او ثلاثة في فرع من فروع الصناعة  
وفي اقاليم مختلفة فكنا نجد في كل منها ماعدا اساليب العمل التي يقضي  
بوجودها العلم اعمالاً كإيالة تابعة وتحسينات خاصة ومحلية تدل على الافدام  
الذاتي وقوة ارادة شخصية وحب في البحث وكلها ظواهر محسوسة اعمل  
عام ونشوء متواصل . كنا نشهد ذلك في كل الفروع الصناعية والفنية  
والمدربية والانسانية . ولكثرة عنايتنا بالسؤال عن معاهد الاحسان ومعونة  
العملة تراءى لنا ان النمسا في مقدمة الامم في هذا الباب ومن ذلك ان ٤٢٠٠  
من العملة العاجزين يعيشون في لاينز بالقرب من فينا لا على قدر الكفاية  
فقط بل يعيشون كما يعيش الملوك . وما ننس لانفس ملجأ المرضى العصيين  
في شنهوف وفيه ٣٦٠٠ عامل يعاملون كما لو كانوا في قصور ملكية وهم  
موزعون على ٦٤ بناية في مسافة من الارض تتجاوز مساحة مدينة سلافيك  
وقد صرفت عليها حكومة النمسا السفلى ستين مليون كورون فقط لا غير

وبينا كان رفقايتي في رحلتي يدهشون من زيارة المعامل والمصانع ودور  
الصناعات على اختلاف انواعها في بلاد النمسا ومورافيا وبوهيميا  
وستيريا وغيرها كان يلفت نظري خاصة منظر اتفقوا على تسميته باسم مملكة  
هابسبورغ . فان هذه المملكة هي في الحقيقة رقعة شطرنج فيها غرائب  
الفسيفساء من العناصر المختلفة والوطنيات النيرة المتجانسة ولكن هذه الجماعات  
على اختلاف اصولها قد اجتمعت ليكون مجموعها مثال جمال واطف وتنوع

وما كانت وحدة هذا المزيج الانتيجية نظام الحكومة المركزية وحسن مآلاتها  
وبعد نظرها فرأت ان تترك لكل قوم استقلالاً ادارياً كان غاية الغايات  
في ابداعه وبذلك توقفت الصدمات الماثلة ولم يحدث حتى الآن ما يكدر  
صفو الراحة . وهذا الرأي في توسيع سلطة الاقاليم لم يكن منه الوحدة  
الجوهرية فقط لما فيه من احترام القوميات بل نتج منه ارتقاء خارق للعادة في  
جميع فروع العمل وذلك ان كل قطر له من نفسه غنى طبيعي غزير ورجال  
نوابغ اذكياء هم خيرة رجائه فاستطاعوا الانتفاع بحقوق بقاعهم وكان من  
ذلك ان استتمت كل جماعة بما لهم من الحقوق فنشأت المنافسة بين العناصر  
المختلفة واخذت كل واحدة منها تضاعف عايتها وتكثر من جهادها فاجدوا  
بذلك مجموعة من بدائع الاعمال متنوعة الاساليب تمت في عامة فروع الجهاد  
الانساني وكان ذلك من اهم المشاهد واجملها التي وقع انظرنا عليها في رحلتنا  
واحسن معلم لنا معاصر العثمانيين

تألفت مملكة هابسبورغ من زواج امراء بعضهم من بعض على حين  
كانت الانقسامات الداخلية سبباً لضعف تلك المملكة ولطالما طمختها مطامع  
جيرانها واعتدوا ثم لم يكن لما عزمته الحكومة ان تمنح العناصر المختلفة التي يتكون  
منها جسم المملكة دستوراً دائماً على ابائدي الحرية في مراعاة الحق العام الحديث  
بدلاً نهوضها وارتقاؤها الى الامام

فعلى نواب العثمانيين في مجالسنا النيابي ان ينظروا في أمر العناصر العثمانية  
ويحلوها كما حلها النمسا والمجر التي كانت في حالة اشبه بمانتنا اليوم منذ  
نصف قرن فاحسنت حلها على ما يجب فهي سابقتنا في هذا الباب وما علينا  
الا ان نأخذ عنها وبذلك نأمن العثرات ولا نسير على غير هدى

وهذا التفت الى رفاقي في الرحلة الذين دخل عليهم اليأس من ارتقاءنا  
مما شاهدوه من الشوط البعيد الذي قطعه جيراننا

فاقول لم ان ماشاهدناه عندهم ليس الاثرة عمل عظيم وجهاد منظم  
وارادة قوية واساس راسخ واذا احببنا ان نبلغ بامتنا مبلنهم فما علينا الا ان نمد  
نمنا يد مساعدتنا للدستور ونستخدم جميع القوى الحية في الامة وان تعمل  
الحكومة عملا فعالا لما فيه انهاض الشعب كما على الشعب ان يعمل لمعاودة  
الحكومة الصالحة وبالجملة ان يعمل كلاهما بل يعمل الكل للواحد وانواحد  
للآخر ويعرف كل الواجب عليه ونكران النفس والمفاداة

وهنا خاض الكاتب في مسألة نهوض العثمانيين وانها موقوفة على التعاليم  
واننا لا نجمع الا اذا حذرنا على الاقل حذو البلاد التي كانت تابعة لنا بالامس  
كمالك البلقان مثلا وارسلنا من شبائنا من يتعلمون العلوم الكاملة في كليات  
الغرب فمن اعظم نجاح تلك الامارات انها ما زالت منذ زهاء ربع قرن ترسل  
بشبانها الى كليات العلم حتى لا تكاد تدخل كلية في اوربا الا وتجد منهم  
كثيرين وهو لاء هم الذين اسلموا زمام الاعمال في بلادهم ونفقوا فيها من  
ارواحهم ولسنا نضطر الى الاجاب ان لم يولدنا في بلادهم بل يجب ان  
نحجب رجال الصناعات والعلم منهم يؤسسون في بلادنا مدارس ودور  
صناعات كما نمنا في حاجة الى رؤوس اموال الاجانب لاستخدامها في اعمالنا  
ومشاريعنا وان نكون في سياستنا الاقتصادية كما قال ارنست لافيس المؤرخ  
الفرنسوي في تعريف السياسة انها علم خديعة غيرك وانت تظهر بانك تحملهم  
على الاعتقاد باننا لن ندرك بانهم خدعونا او انهم يحاولون خداعنا



## نظر في نخب الذخائر في احوال الجواهر

صفحة ٣٨١ سطر الافرنجة — افرنجة ٠ سطر ١٠ هو جوهر — حجر = وعدم  
الانفصال — الانفعال ٠ سطر ١٤ الاحمر بتوس قزح — الاحمر الشبيه بقوس قزح ٠  
وسطر ١٩ صفحة اسرب — صفحة اسرب وسطر ٢٠ قيمة هذا — قيمة هذه ٠ وسطر ٢٤  
ناصر الدين الترمذي — الترمذي

صفحة ٣٨٢ سطر ٢ وان ابتلع منه شيئاً — وان ابتلع منه شيء ٠ سطر ٨ عند  
التدقيق — عند التدقيق في النظر ٠ سطر ٩ لجواز أن يكون — وفي المشرق والجواز  
أن يكون والأولى أولى ٠ سطر ١٤ تلك المقتضى وهكذا في المشرق — المفاوص ٠  
وسطر ١٥ مفاوص اول — مفاوص اوال ٠ سطر ٢١ ثقل الرصاصة — الرصاصة ٠  
وسطر ٢٦ الاخواني الرازيان — الاخوان الرازيان ٠

صفحة ٣٨٣ سطر ٤ وهو دونها شكلاً — وهو أدونها شكلاً ٠ سطر ٥ للتي  
البياض — التي البياض = واذا فاز — زاد ٠ سطر ٦ اذان — فان ٠ سطر ٧ ومن  
سقطت كلمة الفظم من آخر السطر السابع الى آخر الثامن وأبدلت بكلمة الاسفة السطر  
الثامن ٠ سطر ١٧ يبلغ مثقالاً ونصفاً وفي المشرق مثقال ونصف وهو غلط ٠ وس ١٨  
تضاعف قيمته وفي المشرق يتضاعف قيمته والاولى أولى = قياس الجواهر في نسختي  
المقابس والمشرق — وفي نسختي قياس = ثل الجواهر ٠ وس ٢٥ يودع إليه مشروحة  
وكذا في المشرق — يودع إليه مشروحة وهو المراد ٠

صفحة ٣٨٤ سطر ٢ ثم نقل الى قدح — ثم ينقل الى قدح وس ٩ ثم تلف فوقها  
عجين — ثم يلف فوقها عجين وس ١١ غلي — أغلي ٠ وس ١٢ سقطت هذه العبارة برمتها  
من نسخة المشرق وهي (ويطلى به طلياً خفيفاً وتودع جوف عجين قد عجن بلبن حليب)  
وسطر ١٣ ويجوز في الثور — ويجوز ٠ وس ١٥ مع حبثين تنكار وهكذا في نسخة  
المشرق — مع حبثين تنكار ٠ وس ٢١ اسود ولا صفرة — سواد ولا صفرة = ولا  
تقوت — ولا تقوت (١) وس ٢٤ يرغبون لما وكذا في المشرق — يرغبون بما

صفحة ٣٨٥ سطر ٢ اذا ماسه — اذا ماسه وس ٣ القريحة — القيمة ٠ وس ٥  
— الطاووسية التي تكون في المروج وكذا في المشرق — الطاووسية اللون التي تكون في

(١) التقوت جمع قفث بمعنى شعث او اغبرار

المروج الخضر . وس ٨ الافاعي وخاصة وكذا في المشرق — الافاعي بوجه وخاصة  
= وبلغ العقارب وفي المشرق لدع والاولى اصح . وس ١٢ المطلقة — المطاوعة وهو  
المواد . وس ٢٧ كذلك يحيى بالشحم والالية . وفي الشرق فاته يحيى بالشحم اولاً لية  
(٢) — كذلك يحيى بالشحم والالية وهو المراد

صفحة ٣٨٦ سطر ٢ لدغة العقرب وفي المشرق للعة والاولى المرادة هنا . وس ٣  
العين المخروقة — العين المخروقة . وس ٨ أين ابي الاشعث . وفي المشرق ابن ابي الاشعب .  
وس ١٠ من خوائن الزنج وكذا في المشرق — من جزائر الزنج — ومن نواحي بدخشان  
وكذا في المشرق — ومن نواحي بدخشان . وس ١٣ زنتها مائة رطل وفي المشرق زنتها  
مائتا رطل — زنة مائتي رطل . وس ١٩ ما غلبت عليه الوردية وفي المشرق ما غلبت عليه  
الوردية والاولى اصح . وس ٢٦ افرندي — فرندي . وس ٢٧ ومنه معزل — ومنه  
مقربي

صفحة ٣٨٧ سطر ٥ « ويقال يشم منه محبوب . . . الى قوله والمستخرج منه كدر » وفي المشرق  
اختلاف عن النسختين وهذا ما جاء فيه ( مشرق ١١ : ٧٦٣ ) « اليبس ويقال يشم  
منه محبوب من بلاد الترك من ناحية ختن والوانه ابيض واصفر وزيتي وهو افسلهما ومن  
مستخرج من ولد بين يسمى احدها فاش ويستخرج منه ابيض فائق ويسمى الآخر واقاش  
والمستخرج منه كدر » وفي المتن بدل فاش فاش والاولى في نسختنا . وس ١٠ تعالقات  
عليها — تعليقاً عليها . وس ١٢ انما زهر . وفي المشرق الفا زهر — الفا زهر .  
وس ١٧ واذا نثر — واذا نثرت . وس ١٩ عتي درهمين كندر وكذا في المشرق — عتي  
درهمي كندر . وس ٢٠ الايايل — الايايل . وس ٢١ في مريها في — مريهاها .  
وس ٢٢ لونه بين الخضرة والغبرة وفي المشرق لونه من الخضرة والغبرة . والاولى  
اولى . وس ٢٣ البلوط منه . — البلوط منه . وس ٢٤ وسحالة الخالص بيضاء . وفي  
المشرق وسحالة الخالص — وسحالة الخالص منه بيضاء . وس ٢٥ عتي سبيل الاحتياط وفي  
المشرق عتي الاحتياط . وس ٢٦ الجزومين — المجذوبين

صفحة ٣٨٨ سطر ١ جلاء . وحيا — جلاء وحيا اي مريبعا . وس ٨ و ٩ ما كان  
وزنه مائة درم فقيته من مائة دينار الى مائة وخمسين ديناراً وفي المشرق ( ١١ : ٧٦٥ )  
سطر ٢ ( ما كان وزنه مائة دينار الى مائة وخمسين ديناراً وهو خطأ ظاهر — ما كان

(٢) هكذا وردت حروفها مرتبة وبحركة

وزة. درهم فقيته من ٠٠٠٠ و سطر ٩ وجرب من دخان وفي المشرق وجرب مع دخان  
هذا ما تمثل للذهن القاصر من مبارضة النسخ الثلاث استجلاء الحقيقة وحفظتها على  
عبارات المؤلف الاصلية وثبتاً في النقل خشية ان يقل شيء من هذا الكلام ويشوبه  
اقل تغير فيبعد عن أصله وتقوت الفائدة وما على الناقل والتاسخ الا أن يتي الاصل على  
علائه ولعل القراء يرشدوننا الى نسخة صحيح والله الهادي الى الصواب والمهم السداد منه وكرم  
زحمة ( لبنان ) عيسى اسكندر المعلوف.

## سير العلم والاجتماع

### ضخام الاجسام

قالوا ان الاصحاء من ضخام الاجسام هم اسعد حالاً من النحاف وان السمين يتسدد  
أسرة. وزوجته اكثر من الهزيل فلا يهتم بالجنسيات كالنفيف ويساعد زوجته في الامور  
البيتية اما الهزيل فانه في الاغلب يعتقد ان اعباء الامة عليه وانها تم تلك اذا لم يساعدها  
ويفكر لها. وقد نصحت المجلة التي نعرب عنها بكل فتاة تريد ان تحيا حياة باقية مع  
زوجها ان تختاره من السمان حتى يكون لها خير كفء ولا ينقص عليها عيشها كما يخشى  
ان ينقصه النحيف.

### اصل المظلات

كانت المظلات مستعملة عند الفرس والاشوريين والمصريين والرومانيين وبقيت  
زمنًا دليل القوة والعظمة في كل قطر ولم ينتشر استعمال المظلات في اوربا الا سنة ١٦٨٠  
وفيها انتشر استعمال المظلات للطرف فكانوا يؤجرونها للمارة من الساحات والجسور ثم  
كثر استعمال المظلات وابذلت ولكنها لم تتغير عن حالتها بل كان ينظر فيها الى اللطافة  
وجمال قماشها وحسن قبضتها

### اقدم شجرة

في جزيرة كوس من شاطئ آسيا الصغرى قلمت الى اليوم اقدم شجرة في العالم وهي  
دابة اتر في ظلها ابقراط مؤسس الطب تلامذته. واذا كانت قديمة حتى في ذلك الزمان  
فلا يتيسر ان يقال ان عمرها الآن اقل من الفين وخمسمائة سنة ومحيط جذعها عشرة  
امتار ولا تزال غصانها كل ربيع تغطي بالورق وقد انتشت لها دعائم من القرميد لجعل

طهايا اكبر اغصانها

ممثلو القرنيس

من اعظم دورا تمثيل في فرنسا الاوبرا ولاوبرا كوميك في باريز فالاولى تأخذ من الحكمة ثمانمائة الف فرنك اعانة سنوية والثانية ثلثمائة الف ومع ذلك لا تمكث تجدد في ميزانيتها زيادة كبرى في الدخل من المخرج لانها يدفعات رواتب باهظة للممثلين والممثلات . فتدفع الاوبرا للمسيو الفارز ٢٢٠٠ فرنك كل ليلة اي ١٢٨ الفاً عن ٦٤ ليلة في السنة وتقدم لغيره من الممثلين رواتب تختلف في السنة بين ٨٥ الفاً الى ٣٠ الفاً وعن كل ليلة ينفي فيها كاروزو عشرة آلاف فرنك وتتناول كل من العقيلة مارغريت كاري والآنسة ثنائى اربعة آلاف فرنك في الشهر وهكذا لا يقل راتب الممثلة او الممثل في الاوبرا كوميك عن الف فرنك في الشهر .

التدخين

قالت مجلة الحياة الينة بمناسبة الغيرية التي وضعتها المانيا على انواع الدخان ان فرنسا ايضا تفكر في وضع ضريبة ولكن نكفي الدخان الجيد تباع بما قيمته ٩٠٠ ٩٨٨ ٥٠٥ فرنك في السنة وان عادة التدخين تنصر بالاحداث كثيراً كما ان التدخين لا يضر الضرر البالغ الذي يصوره بعضهم . فان ملايين من البشر يدخنون ولا شيء يصيبهم سوى اتفاق درامهم وان كثيراً من الفلاسفة والعلماء والشعراء لا يدخنون ومنهم من يدخنون وان فرنسا تحسن صناعها لواعظ الحق لكل وطني ان يقبض على كل صبي يراه يدخن لما في ذلك من الضرر على جسمه . كما ان في انكلترا يمتنع لكل انكليزي ان يأخذ بتلايب كل صبي يسير على هواه ويحصد الى الكسل ولا يعمل في العمل الصالح قواه

سقوط الشعر

اخترعوا في المانيا دواء بسيطاً لمنع الشعر من السقوط وذلك بان تأخذ مائتا غرام من جذع القراص ( قريص ) ونسقه سحقاً جيداً وتغلي في الترماء وتغوت نصف لتر من الخل الجيد ويصفى هذا المحلول فيترك كل يوم محل الشعر

الصحافة

قلت مجلة البجاع ما داله عربياً : عرف لاروس في مجده ان الصحافي هو الذي يشتغل بغير جريدة وهذا التعريف لا يخلو من ابهام وغموض وذلك ان الواجب على الصحافي ان ينظر في جملة ما يحتمل عليه النظر فيه من الرسائل الواردة على ادارته وينظمها



بحسب الاحوال الداخلية وان يسارع في عمله ويكون مستعداً ابداً لامتلاء الفراغ الذي يقضى عليه احياناً ان يملأه لان الجريدة وقتاً معيناً تصدر فيه ولا مناص من تأخيرها . فالملوب منه شيء كثير أكثر مما يطلب من غيره من ارباب الصناعات ما عدا الطاهي فان صناعة الطابع اشبه بصناعة الجرائد من عدة وجوه فيطالب الى الطابع اشياء كثيرة كما يطلب من الصحفي ووجه الشيء بينها لا يخلو من فروق فان الاول يقضي الاجرام والثاني يقضي العقول والفرق بينهما ان عدد من يقضى على الطاهي اعطاهم محدود اما عدد من يقضيه الصحفي فكثير جداً قد يبلغ مئات الالوف .

ثم ان للصحافي جمهوراً كبيراً من الخائفين ممن لا يعرفون للشقة معنى ولا يقعون للرافة وزناً واعني بهم من يعتقدون انهم يحسنون معرفة كل شيء أكثر من غيرهم فالصحافي يتقاضي الامور من اهل هذه الفئة

ياقي الصحفي في الصباح الى مكتبه فيجد امامه بريد يقضي مضادة التحرير وفيها ادلة على قلة حفظونه من الناس فمنهم من يكتب اليه ليتك تمنى عناية كبرى باحوال المجلس البلدي وآخر يقول له : كفى عن مراقبة كل ما يحدث في البلدية وثالث يقول له ان السياسة لاتهمني فاذا انت لم تكن كثيراً بالحوادث المحلية اضطر الى الاشتراك بجريدة غير جريدتك ورابع يقول له المكس ويرده على ان يكثر من موازيره في المسائل السياسية والاياماد عن سفاسف اخبار المدينة . ومنهم من يقول لماذا لا تكثر من نشر الشعر فتعزز على النشر فانا اقدم لك قطعاً من شعري ومنهم من ينتقد نشر الجريدة للنمر الراجعة في اليانصيب ويوعز الى صاحبها ان يستعير عنها يوم لا شيء له يملأ به فراغه بقطعة من رواية يجعلها رفقاً للجريدة ومنهم من يأمر محرر الجريدة ان يحذف بالمرّة صفحة من تلك القصص الغرامية التي لا فائدة منها

وهكذا يدرس الصحفي رأي قرائه من احكامهم على مقالاته واخباره والآنكى من ذلك ان بعضهم يوجهون هذا النقد الى مديري الجرائد واصحابها وهو لاء يعتقدون ان اقل نقد يوجه الى جريدتهم يوقف رواجها وربما يقصر حبل اجلسا ويقضي على الصحافي اذ ذاك ان يفهم صاحب الجريدة وهناك المصيبة لانه يكون في الأكثر من رجال المال فقط ولا يهتد سواه .

ولا تنتهي آلام الصحافي بوجه من غرفة التحرير بل انه اذا دخل محلاً قهوة يستريح لا يلبث ان يراه بعض من يعرفونه فيقومون حوله معتقدين ان الفرصة قد حانت

لصحة يأخذون في نقد العدو الصادر ذلك الزهر فاذا لم يسلم لهم بانتقادهم يزيد الى اعدائه اعداء

وبعد فان الارض لا يجرتها الا الفلاح والجنود لا يقودها الا ضابط والشمور لا يقصها ويزينها الا الحلاق ولكن الجريدة يعرف كل الناس ان تكتبها وتنقدها . نعم الجريدة يحسن تحريرها كل طالب في مدرسة وكل فني شاب وكل قاعد في قوة وكل محب براهه بصيف في عقله الا الصحافي فكأن كل القراء يخلقون والقلم وراء آذانهم وهناك شؤرون من مؤلمات الصحافي تموت القرائع عن جريها واعني بذلك اذا اخطأت ذات يوم وحمل علي احدهم فعندها نقام عليه القضية حتى اذا عاد يفض الله عليه ويسجن فلا يرثي له احد . وللصحافة حسنات ولكنها قليلة جداً وذلك ان اعتقاد الصحافي يكون في الاكثر ان يخدم الحضارة وبعد القول ولكنه كثيراً ما يضطر ان يكتب غير ما يعتقد بحسب الحال ومع ان راتبه قليل ولا تجد في الجرائد اعدداً قليلاً تدفع رواتب حسنة للصحافي فالتقسيم الاعظم منها يدفع في السنة لرئيس التحرير من ٢٤٠٠ فرنك الى ٦٠٠٠ فرنك ومن الجرائد ما يستغني عن المحررين ومع كل هذا فان الصحافة مرغوب فيها كثيراً بما حوت من الظواهر والمظاهر ولان كل من خالفهم الخط فلم يقدروا ان يعتاشوا في صناعة اخرى يرون من انفسهم الكفاية لانشاء الجرائد اه .

#### الحصاد في العالم

في شهر كانون الثاني يبدأ الحصاد في معظم مقاطعات استراليا ويشرع بنقل الغلات الجديدة في البحار كما يبدأ بالحصاد في هذا الشهر في كل من زيلندا الجديدة وشيلي وبعض اقطار اميركا الجنوبية . ويبدأ الحصاد في شهر شباط في مصر والهند وبيقي الى اواخر آذار وفي نيسان يبدأ بالحصاد في سورية وقبرص وعلى شواطئ مصر وكوبا والمكسيك وايران وآسيا الصغرى وفي ايار تحصد الغلات في آسيا الوسطى وايران وآسيا الصغرى والجزائر وسورية وسراکش وتكساس وفلوريدا والصين واليابان وفي حزيران تحصد الغلات في كلفورنيا واريغون والولايات الجنوبية من اميركا الشمالية واسبانيا والبرتغال واطاليا والمجر والروماني وروسيا الجنوبية وممالك الطونة وجنوبي فرنسا واليونان وصقلية وكاتوكي كانساس وكولورادو وغيرها . وفي شهر تموز يشروع في العادة بالحصاد في ولايات الجنوب الشرقي والوسطى من انكلترا ويدوم في اورينغون ونبراسكا ومينوسوتا وابوا وايدينوا وانديانا وميشيغان وواهيو وانكلترا الجديدة ونيو يورك وفرنجنيا

وكندا العليا وفرنسا والمانيا والنمسا وايطاليا وسويسرا والمجر وبولونيا ويدوم الحصاد في شهر آب في بريطانيا وفرنسا والمانيا والبلجيك وهولاندة ومانيتوبا وكندا السفلى والمانيا وبولونيا . وفي ايلول يشرع بالحصاد في ايكوسيا من بلاد الانكليز واميركا والسويد وشمالى روميا وبعض فرنسا ايضا وفي تشرين الاول يحصدون الحنطة والقرطان في ايكوسيا والذرة في اميركا وفي تشرين الثاني يشرعون بالحصاد في جنوبى افريقية ( بلاد الراس وغيرها ) وبيرو وشمالى اوستراليا وفي كانون الاول يشرع بالحصاد في ولايات لابلاندا وشيلي واوستراليا الجنوبية

#### تقويم الهواء

اذا رأيت الكواكب في الصيف فلا تلاحظ وهي كثيرة فهي اشارة الى صفاء الجو وفي الشتاء علامة على البرد . فاذا فقدت لمعانها بدون ان تظهر السماء غائمة فذلك اشارة الى المطر . ولحان ضوء القمر دليل على الصحو واذا احاطت به الغالة البيضاء فدليل المطر . متى سطعت الشمس عند الشروق طاردة امامها الابخرة البيضاء التي تبدو عند الفجر فذلك اشارة على ان اليوم مصحح وفي اشرفت الشمس وبدا معها في الافق ضوء اصفر يحاط بالضباب فذلك علامة المطر وفي غابت وبدا معها لون ذهبي قليل الحمرة والسهة صافية الادم فذلك اشارة الى جودة الهواء . اذا اختوت اشعتها السحاب عند الغروب وبدت في باقات مستطيلة تماس بعضها مع بعض فذلك اشارة المطر . والسحاب الذي يقرب من الارض بعد المطر يدل على الصحو والسحاب الذي يشبه كسب الثلج علامة الهواء في الصيف والثلج في الشتاء والسحاب الغليظ الاسود الذي يبدو في صورة مخدرات وجبال اشارة الى العواصف والضباب الذي يحدث خلال الصحو ويرتفع تاركاً وراءه سحباً دليل رداءة الهواء ويشعر الهواء الشمالي والشمالي الشرقي والشرقي والجنوب الشرقي بصفاء الجو وهواء الشمال الغربي والغربي ولا سيما الجنوب الغربي والجنوبي يؤذن بالمطر وضباب الصيف الذي يبدو صباحاً يشر بصحو النهار والضباب الذي يرتفع بدلاً من ان يساقط ندى يدل ابدأ على المطر والضباب الذي يبدو في الوقت الرديء يدل على ان الصحو قريب وضباب الخريف مقدمة للجليد الأول وفي اخذ البط يقف ذات الجبين وذات الشمال في الصحو صائحاً وغائصاً في الماء وتقرغ الدجاج في التراب وطار السنونو محوماً على سطح الماء فلك ان تتحكم بان المطر لا يلبث ان يهطل .

## البقول والاخلاق

يعرف الناس الثأنة المضر الذي ينشأ من الأكل من القنء . والبصل ما زال منذ بدء العالم يعض متناوله على التفقة ترمز بأكونه نجساً حيد دمعاً قريية من أقمهم والجوز يقوي في الطفل غريزة السلب . والتكرات يدمت الخلق ويكثر في متناوله الصبر ويجعله كفواً للعمل في الزراعة والفجل الاسود يولد السوبداء وعلى تخاف الاجسام ان يشوقوا تناول البطاطا لانها سلة الهزال . ومن اراد تقوية عقله فعليه ان يتناول الثوم . ومن احب السبانخ يطال الى المناصب العالية . ومن اكثر من العدس قوي فيه الميل الى الجشع الجبري والارز يكثر منه البحارة والجرجير يمنع القرعة اما اللوبيا البيضاء فقد قال زولا انها نائمة لمن يطبخون في المناطيد

## جمال الاصفاع

جمال كل صقع اليوم مورد ثروة لاهله . عرف السويسريون هذه الحقيقة وتقدروا ما خست يد الصانع بلادهم به من بهيج المناظر وجيد اناء والهواء فتوفروا على نعمة اسباب الراحة في جبالهم واوديتهم وسهرلم وبحيراتهم وانهارهم فقد كان سكان سويسرا سنة ١٨٨٩ ٣٠٠ ٩٣٣ ٢٠ وكان ما يلحق الفرد منهم من الثروة ٢٢ فرنكاً ونصف وما يربح عدد الساعين الذين يأثونهم يزيد حتى بلغ عدد من زاروها سنة ١٨٩٩ مليونين ونصفاً وعجل ما تركه كل واحد منهم من الربح ٨٩ فرنكاً فارتفعت ثروة كل فرد او اخر سنة ٨٩٩ الى ١٥٢ فرنكاً ونصف . وهكذا بعد ان كانت هذه البلاد من افقر بلاد العالم اصبحت من اغناها لانها من اجبابا . ثم ان لسويسرا من معاملها مورد ثروة آخر فقد بان بالاخصاء انها تخرج كل سنة ٩١٢ مليون فرنك من مصنوعات على ان جمال اقاليمها هوام مورد لغناها . ولذلك تراها تنادي في كل يوم العارات الجديدة التي تستوفي فيها شروط الراحة والرفاهية فلا يلبث المال الذي يدخل تلك الفنادق ان يتسرب الى جيوب الفلاحين في اصغر قرية . وفي الفنادق السويسرية من انواع البذخ ومعدات الحضارة ما لا تكاد تجد مثله في نيس ومونتكارلو وقد كان عدداً من اعضاء جمعية ارباب الفنادق السويسرية سنة ١٩٠٠ ٨٢٨ عضواً ولما ٢٢٠ ٦٥ مريراً للسياح وتصدر باسمها جرائد وتنشر صور بلاد سويسرا الجميلة على جدران العالم المتمدن وتفرق باللافوف كتباً تمل السائح على ماني سويسرا من مظاهر الراحة والظرف والعمحة . ولواحدت سورية هذا المثال لما انت بضع منين الا وهي من اغني اقطار الارض

## تقوم العيد

السنة عند الصينيين ٣٦٠ يوماً تنقسم الى اثني عشر شهراً ينقسم اليوم الى ٩٦ جزءاً والاعيان كثيرة عندهم واكثرها اعياد الطبيعة والذين في شهر كانون الثاني عيد العذراء الصينية وفي ايار عيد حامية احميان . والعلى من اعظم امراض ملكة ابن الساء . وفي شهر ابلول عيد الحصاد وعيد الزراعة وعيد الرعد وفي كانون الاول عيد ولادة فيلسوفهم كونفوشيوس وعيد المهم بوذا

## عمر الانسان

يقول احد علماء الالمان انك اذا فرضت مالك في الحياة فحطه ٨٦ سنة وتمتعت الباقي على اثنين يكون الحاصل ما بقي لك من سني الحياة . ويقول عالم بلجيكي ان خمسة في كل واحد يعيشون وفي سن الخامسة ١١٩ من الالف وفي العاشرة يبلغون ٥١٢ وفي الخامسة عشرة ٣٥٧ وفي العشرين ٢٠٧ وفي الخامسة والعشرين ١٥٦ وفي الثلاثين ١٢٩ وفي الخامسة والثلاثين ٩٧ وفي الاربعين ٧٨ ويقول ان في كل الف رجل عمر الواحد منهم ستون ٥٥٩ يمرون اليهم ١٢٠ يبلغون الثاني ١٧ الى التسعين واربعة فقط يبلغون من المئة من كل الف شخص عمر الواحد منهم تسعون ٩

## مدارس الصناعات

لكل صناعة في الغرب مدرسة خاصة بها فعدد تلامذة المدارس الصناعية في فرنسا ٢٢ الفا ومثل هذا القدر عدد تلامذة المدارس الصناعية ايضا في الدانمرك واهلها مليونان ونصف في حين ان اهل فرنسا نحو اربعين مليوناً وفي الدانمرك ١٢١ مدرسة صناعية و٥٧ مدرسة تجارية وقعدد تلامذة مدارس الصناعات والتجارة في المانيا ٣٢٩٦٥٦ تلميذاً تصروف عليهم في السنة ثلاثين مليون فرنك ما عدا الاعانات الادبية والمادية التي لا تزال تنال عليها وكان عدد تلامذة المدارس التجارية في بروسيا فقط سنة ١٩٠٣ ثلاثين الفا وهذه المدارس اجبارية . واسويسرا مدارس كثيرة للصناعات المختلفة ومدارس زورخ وجنيف يضرب بها المثل بكثرتها وانفاقها واليابان ٣٨ مدرسة للصناعة فيها اربعة آلاف طالب وفي مدارسها الزراعية ٦٢ الف طالب وفي مدارسها التجارية ١٣ الف طالب ومدارس المعامل خاصة بصنع الزهور الصناعية . والاطريز وليس من تلميذ في المدارس الصناعية في السابعة من عمره الا وهو يعرف يصور زهرة او جشرة او غصناً ولا عجب من ثم اذا زادت تجارة يابان زيادة كبرى فكانت تجارتها

الخارجية سنة ١٨٩٧ ٩٨٢ مليون فرنك فاصبحت سنة ١٩٠٦ مليارين و١٥٩ مليون فرنك .

### التكاليف او الضرائب

قالت مجلة الاقتصاديين الفرنسية : ما ملخصه : من القواعد الاقتصادية المعروفة ان يكون ابنه الوطن الواحد سواء في تحمل الضرائب شركاء في الغرم كما هم شركاء في الفهم وان الضرائب يجب ان تقرر بحيث لا تلحق حرجاً دون حرية التجارة والضرائب مخصصة للقدم العامة في الامة . كانت البضائع ولا سيما الغلات اذا اريد نقلها في اوروبا منذ قرن وربع من اقليم الى اقليم تراقب انواع المراقبة وتؤخذ من اصحابها عدة رسوم ولكن رجال الاقتصاد قتلوا على رجال السياسة وابطلوا بالتدريج في اوقات مختلفة هذه العراقيل في التجارة علماً منهم بان التجارة ليست مرفقة كما يقول بمفهم بل هي مقايضة عن تراض بين البائمين والشاريين ولان التضامن الذي كان اول من قال به آدم سميث شيخ الاقتصاديين هو ضرورة من صور تقسيم الاعمال يستلزم الاختصاص في الآلة والآت والتنوع في الحاجات فاذا سادت مثلاً زراعة القطن في الولايات المتحدة تقف في الحال معاملة لانكثير في انكثرا

ابان الاقتصاديون منزلة قاعدة العرض والطلب من عالم المعاملات لانها ميزات المقايضات بين الامم وهي من الضروريات التي لا تستغني عنها دولة . قال كسني من الاقتصاديين ان تجار غرينا من الامم هم كتجارنا ابناء وطننا فدل بهذا القول على فائدة المنافسة التجارية واثار اتي التثبت بها ما امكن والمنافسة اليوم من اعظم العوامل الادبية في المدينة خيرية . وان الخطر العظيم الذي يخالها هو الاحتماضة عن المنافسة الاقتصادية بالمنافسة السياسية . لاجرم ان الاقتصاديين تردوا بشأن اجرة العامل وكنهم توصلوا الى ان فرض الاجور هو عبارة عن وفاق للمنافسة وان الاجرة لا تؤدي عن العمل بل في مقابل ما تنتج وينشأ من اثرها وان صاحب العمل يؤدي العمل سلفة من اجرة . وان المتبايعين في الدين يؤدون اجور العملة كما يؤدون الضرائب والمكوس والمبيعات من اناس اجمعون . اما الاختلاف بين رأس المال والمال في فليس في الحقيقة الاختلاف بين المنفق الذي يجهه ان يرى اسعار الاسواق متدنية ما امكن وبين العامل الذي يقبض اجرته ويرى برفع الاجور وتقيص ساعات العمل الى زيادة قيمة ما يعود عليه .

ولم يفتأ الاقتصاديون يجارون كل من يقصدون احدث قيم مهنعة بما يدبرونه من الوسائل السياسية والادارية والشرعية او يعمدون الى استعمال الشدة والقوة في انفاذ ما يريدون سواء كان يوضع الضرائب او الاعتصامات او يرفع سعر الفائدة في الاقتراض او يرفع سعر السلعة الفلانية او قيمة الشيء الفلاني ثم زيادة سعر الخدمة بوضع رسوم الجمارك عليها وتخفيض قيمة الخبز الى اقل من سعر الخبزة مادته الاوب بوضع رسوم البلدية عليه

ان الاحسان والرفق بالضعفاء يزيدان في شقاء البائسين ويكثران من عدد المحتاجين والمعوزين . فالاقتصاديون يوجدون الاسباب للفساد على الشقاء من اصله بدلاً من ان يعمدوا الى صوغ جمل مخزنة ممكنة كما يفعل من يجدعون الصدقات ليستديروا باعمالهم اموال المحسنين ولذلك يوصف الاقتصاديين بكونهم الايدي واولئك المحسنين بسبائتها .

حارب الاقتصاديون الامتيازات في كل مكان واثبتوا ما يحق لكل عامل ان يتأوله من عمله ورسومه له جزاء . ياوي اتعابه ولقد ابان آدم سميت كيف ان من يبحثون عن منفعتهم الخاصة في منوب النجاس العام . ولا يستطيع مالك رأس المال ان ينتفع به الا باحد وجبين اما ان يستعمله في امور تأتي بربح اربان يفرضه لانس يستخرجون منه ارباحاً يعطون لقاءها فائدة . ولا يأتي رأس المال بربح الا على شرط ان يلقي به للاستثمار او ان يصرف في سد حاجة ويدفع عنها ما يذهبها واجرة رأس المال هي في الحقيقة مقياس الانفاق من استخدامه

قال الاقتصاديون : ان على المرء تبعة عمله فلا تعتبر الحكومات اداة بسيطة وآلة صماء فالرق والعبودية متنوعة وحرية العمل اشرف من الاستعباد فيه وان العامل اذا عمل مدفوعاً بعامل الربح يعمل اكثر مما اذا عمل مكرهاً واثبتوا ان لاشئ بلاء بائلي ولكل عمل ثمن واجرة . وان المسائل الاقتصادية تنحل بالربح والخسارة وهناك انبياء الذي قلنا يختلف مما ليس لغيرها من المسائل .

فالافراد يعملون ويقتصدون لان الحكومات لا تخضع لناموس الربح والخسارة بل تنفق جزأاً وتسرف امراً . ورجال الحكومات والبلديات في العالم يقدرون فائدة اعمالهم ببعض الآراء الوطنية والسياسية والدينية والصحية والادارية والخصية فقد كان الناس في القديم عندما كانوا ينهكون يوضع الضرائب يجمعون ما يؤخذ منهم

يعود ثلثه - حتى قال فولثير في التاموس الفلسفي ان ملك انكارا بأخذ كل سنة مليون  
ليرة الكنزية وهذا المليون يعود يرمته بانفاقه له - على امته (١) ولكن الاقتصاديين ردوا  
هذا الادعاء قائلين ان الخراج يستولي على كل شيء من الدخل والخرج والوفر ورؤوس اموال  
ارباب الاملاك والمؤثرين للاعمال الكبرى والعامل وان هاته الطبقات لو توفر لها مائة اضعته  
منهم الدولة لتنفقه على الموظفين والجند لكانوا هم ايضا افقوه ولتيسر لهم ان يقتصدوا منه  
جانب يفتقوه في تحسين اوضاعهم واعمالهم وربما كان لهامل من هذا الوفر رأس مال له  
ولا يزال الى اليوم انا من يزعمون انهم على شيء من العلم والتجارب يقولون في الاعمال  
الغير المثمرة وماذا يضر ذلك مادام المال ينتقل من يد الى اخرى - يقولون هذا وهم  
لا يدركون ان الاموال التي تصرف في اعمال طاعة لافائدة منها مثل بعض الطرق  
البحرية بل هي ملقاة في المياه وضائعة ضائعة لا يرجى معه رجعة وان الاسراف في هذا  
المال يقلل من رؤوس الاموال الموجودة كما يقللها الحريق والغرق

يقتصد الاقتصاديون من مال الحكومة لان مالها هو مال المكلفين - قالوا ان الخراج  
والجباية الباطلة تقضي على نشاط العاملين - فالعفاي لا يعمل متى علم ان الباشا سيسلبه  
ما ظهر من ارباحه - الخراج لم يبق قط امة وان احسن الكرم الذي تعطف به حكومة  
على محكومين ان تتاول من المكلفين اقل ما يمكنها من الجباية والوزائع - والمكلفون  
هم العالم اجمع - ولذلك قال كبار الاقتصاديين ان الحكومة في اسبانيا هي الجرح النفا في  
جسم البلاد

قال الاقتصادي شارل دونويه ان الحكومة هي المغنية في الحقيقة ونفس الامر - وليس  
معنى هذا انها هي التي تصنع المصنوعات بل لانها تحمي الصانع في صناعته وتزيد في  
ثأنيته وراحته فاذا حصلت ارباحه وقدرتها على ما يجب من الاعتدال يقوم غيره من  
ارباب الاختار ويجمعون رؤوس اموال ويحسنون الزراعة - فاغناء الحكومة هو توزيعها  
الثروة في الناس على نصاب العدل وذلك لان الحكومة كما قال المشار اليه اذا ارتفعت  
خمايتها ولم تمد جناح امنها على ما يجب تفقد الثروات قيمها الحقيقية وتقطع القوى المنتجة  
عن الانتاج وتصاب بالاضلال والخلول وعلى العكس اذا نشرت الامن فانها تزيد قيم

(١) لاين خلدون في المقدمة في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية  
كلام يشبه كلام فولثير فراجع



جميع الخيرات وتزيد جماع القوى نشاطاً ومضاءً وخصاباً وكلما ارتقى الامن والثقة يزيد الفساح وكلما زاد الذبح يزد الناس رغبة في رفع اعلام الامن ويرون الحاجة اكثر مما تكون مساساً اليه .

فالحاجة الى الراحة اعظم من الحاجة الى نشر كلمة المدنية ورفع شأنها والناس يتقاضون عن لا سر بما خالصاً تراعى فيه الحرية مع التشدد في المحافظة على النظام والراحة حتى لا ينقص احد في استعمال قواه وما تملك يدها والواجب ان تكون هذه الراحة باقية عامة وان لا يكدر من يصرفون قوام وروؤس اموالهم في المشاريع في بقاياتهم واعمالهم مثال ذلك ان المانيا تغرب الضرائب على الصنع واللحم لتفريجه بذلك كبار ارباب الاملاك ونوطد اقدام الفلاحين في قوام

فتأخذ منهم جنداً قوياً تقابل به الجند الذي تدعوه الى حمل السلاح من فتشالي وولاية رين وهم اهل صناعة يدفعون لها الضرائب التي تعدل بها القوى في الانتخابات . والحكومة المجرية تريد ان تنشيء مناعات لتهيء عمالاً لمن لا عمل له من الفلاحين الذين يتكاثر عددهم اليوم بعد اليوم وتقول بذلك دونهم ودون الهجرة . والاقتصاديون يبحثون عن عامة الوسائل التي يراد بها معاونه العلم على نجاحه والصناعة على الترقى ولزيادة في تنقل الناس والبضائع والاموال فائين ان صاحب رأس المال يحتاج الى اسرير الحرية ليستخدم رأس ماله فيما يعود عليه بفائدة اكثر وللان لينال ثمره رأس ماله فاذا اخطأ الحرية يضطر في الغالب ان يضع رأس ماله في اعمال قليلة الربح وربما يؤدي به ذلك الى الخراب واذا اعوزه الامن يبحث لاجل الموارد النافعة له اي عن انفعاله وانخيره بل يقل رأس ماله الى مكان آخر او لا يستعمله الا في امور محدودة .

### علامات الموت

فقدان العقل والشعور والاحساس في الجلد ووقوف التنفس والدم وغزور العينين هي العلامات التي تثبت الموت ولكن هذه الاشارات قد تخطي . وقد ابان احد مد موخراً طريقة لمعرفة الميت ممن لم يزل فيه نسيس من الحياة لا ينتظر معها تنفس الجثة حتى يتحقق ذهاب الروح منها وهي ان يجعل المائت في هواء غير متحرك ويوجه احد اعضاءه الى الارض ويرسل عليه نار تمس طرف الجلد . كما خفيفاً فيتنفخ الجلد بعد بضع ثوان انتفاخاً يسمع صوته ويكشط هذا الانتفاخ مكاناً من الجلد كالقرش وثقبه بقايا البشرة المكشومة حوالى المكان المحروق ولكن بدون سائل . واذا جرب ذلك في

شخص حي تحدث في بشرته بثرة ذات مادة مائية لا بثرة غازية كما في شخص ميت وعليه فان البثرة الغازية لا تنشأ الا بعد وقوف مجرى الدم وبذلك يتحقق موت الشخص افضل الغذاء

من المسائل الصعبة اختيار افضل الغذاء فقد قال علماء الفريجة ان لحم الخنزير اذا اكثرت له الانسان تسود الدنيا في عينيه وعلى العكس في مستعمل لحم البقر فانه يورثه قوة ونشاطا . والظاهر على ما قالوا ان لحم الخروف اشبه بلحم الخنزير اما لحم العجل فمن خواصه ان يسلبك القليل من النشاط الذي فيك . والزبدة واللبن الحليب يتجود بتناولها صحة النساء . ومتى اكثرنا من تناول الزبدة تورثا كدلا وعلى رجال الادب وارباب الاعلام والصناعات النفسية وكل من يصرفون من دقائق الدماغ كثيرا ان يكثروا من تناول التفاح وان يمتنعوا البطاطا فانها كالزبدة تورثهم الكسل . ومن الغريب ان لحم الحمام هو اصعب اللحوم للعدة والجسم حتى ان احد الانكليز تراهن مع احدهم على ان يتناول لحم الحمام ثلاثين يوما فلم تمض عشرة ايام حتى عراه العياء وطلب ان يطعم شيئا من المرق

### النوم

تقول مجلة المطالعات البيتية ان مرض النوم او النوم الذي اكتشفه العلماء عند بعض الشعوب في اواسط افريقية ليس من الامراض الحديثة اذا نظرنا الى الحوادث المشابهة له التي اوردها قدماء المؤلفين فقد نحن علينا بليتيوس القديم ان الفتي ايمبيدس نام ذات يوم في كهف سباعا وخمسين سنة بدون ان يستيقظ وانه بعد ان انتبه من نومه عاش الى سن المئة واخماسة والسيمين . وليس بليتيوس هو الوحيد في باب هذه السبعة نيام في السيس ( اصحاب الكهف ) الذين لم يتجوا من الموت خلال الاضطهادات التي وقعت على المسيحيين باسم ديسوس الا باعتصامهم في مغاور ناموا فيها ١٩٦ سنة على ما يؤكدون . وهذا اليوم اشبه بداء النعطة ولكنه لا يشبه النوم الذي تكلم عنه سواينزوس من فيرون في كتابه وصف بلاد المسكوب قال انه يوجد شعب يسكن لوكوموريكو وهي ناحية واقعة فيها وراء بلاد السارماتيين فيظهرون انهم ماتوا منذ اليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الاول كالضفادع لشدة البرد القارس في بلادهم وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر نيسان يستيقظون وتعود اليهم حياتهم ولسكان هذه البلاد صلات مع الامم المجاورة وهم يدخرون عندما يقرب نومهم السنوي وموتهم

من الطعام فيأتي جيرانهم عند ذلك يبحثون عنهم تاركين بضائع وميرة على صيبل  
المقايسة بن متساوي ومتى عادت الى اللوكوموز يكيين حياتهم يطالبون بحقوقهم اذا لم يجدوا  
المقايسة متساوية وتثور بينهم خصومات ربما ادت الى حروب بين هاته الشعوب العسكرية .  
وما ندرى اذا كانت هذا الشعب لم يوجد له اثر الا في مجلة الكتاب الايطالي وانه  
اختلطوا عليه مع الغرائب التي ترقد في الشوارع

#### رماد الانسان

يقول الاميركان ان المرء يبلغ غاية الصحة في سن الاربعين أو يقدر ان يمشي الرجل  
الشجاع الذي العامل بالنفي ليرة اما الكياوون فيقدرون ان تلي جسم الانسان مؤلف  
من ماء ممزوج بسموم فتطفتنا تساوي الوفا من يبيض المدجاج والهدورجين اندي فينا  
يكفي لنفخ منطاد غير قليل فاذا اضيف اليه الصكر يوتنأ ان بضائه شارع طوله  
خمسةائة متر طوال الليل في احشائه ما يساوي ١٩ فرنكاً من غاز الاستصباح وفي  
هذا الكربون مادة كبيرة للتصوير يستخرج منها ٧٨٠ دزينة من جيد اقلام الرصاص  
فاذا قطعت رجل انسان يستطيع ان يستخرج منها مادة قلم الرصاص تكفيه لكتابه  
مادام حياً وفي الانسان مادة فوسفورية تكفي لبل ٨٠٠ الف من الثقاب يعود الكبريت  
وفيه من المواد المنهية ما يكفي لعمل عشر دزينة من الشمع الجيد اللهم اذا استخدمناها  
لعمل الحساء وهذا يتأتى لنا بما يجهه بالبحر الذي نحويه انجفتنا وهو نحو عشرين ملعة  
ضمن الاغلاط

في الغرب شركات لضمان العقارات من الحريق وضمان الاسرات من موت ابنيها  
وضمان الغلات من البرد وضمان السفن من الانواء وضمان الاجسام من العوارض وها  
قد اسس الملائن اليوم شركة لضمان الانسان من غلط يرتكبه وموظفون البرق في كل  
مكان تؤدي الى تحوير الرسائل البرقية تضرر بذلك صاحبها او لم تضر

#### الاجراس

اعظم اجراس الكنائس في العالم جرس كنيسة الثالث في موسكو وزنه ٦٢٠٨٣  
كيلوغراما وجرس بلدة موسكو ٦٥ الف كيلوغرام والجرس الامبراطوري في كوتونيا  
زنه ٢٨ الفاً وجرس السفوايارد في باريز وزنه ١٦٨٨٨ وجرس عمانوئيل في كنيسة  
نوتردام في باريز ١٢٠٠٠ وجرس سيدة الحماية في مرسيليا ٨٠٤٤ وجرس كليان  
في جنيف وهو من الفضة وزنه ٢٠٧٠ كيلوغراماً

## العدد المشوم

يتشاد علمة الافرنج من العدد ١٣ وهذا التشاؤم كان قبل الميلاد عنوان الموت فكان العدد ١٣ في ورق اللعب الذي يستعمله اهل بوهيميا للتنبؤ عن المستقبل عبارة عن هيكل عظام مسلح بمنجل ولهذا الرمز اثر عند بعض اليهود فلا يلفظ به علمتهم ويسمح لكبار حاخامهم ان يذكروه مرة في السنة . والعدد ١٣ هو العدد المقدس عند اهل المكسيك وتباثل يوكاتان اذ كان في بلادهم ثلاث عشرة حية تعبد وتمجد . والعدد المذكور شأن في الاساطير التروجية وغيرها .

## نبات يضيء

كل يوم يكتشف علماء النبات خواص لم تكن معروفة لبعض النباتات فبالاسم اكتشفوا نباتاً يمتد بالاحوم ونباتاً يطير كالبنطاد والطيارة الهوائية واليوم اكتشفوا في برازيل في مقاطعة سان جواكيم من اعمال ولاية سان باولو نبات يضيء كالكمبربا او كصايح الغاز والبتروول والشموع ويسميه اهل تلك البلاد نبات الاورويه ويتناقلون فيه فيعملونه في اصاحي واواني ويزينون به القصور فيظل اياماً يبحث نوراً يكمي لان يطالع المطالع به جريدة وكتاباً . قالوا انه من فصيلة النباتات التي لازمه لما وان كان لا يشبه الفطر .

## غابة عظيمة

في شاطي العاج احدي مستعمرات فرنسافي افريقية غابة مساحتها ١٢٠ الف كيلومتر مربع لم تمسها يد بشر وفيها من انواع الحراج والنبات من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ نوع منها خمسون نوعاً يبلغ علو شجرها خمسين متراً وجذعها من متر الى مترين ونصف وعدد الاشجار التي يبلغ طولها من ٢٥ الى ٤٠ متراً من ١٥٠ الى ٢٠٠ وهناك من انواع الاشجار اغربها وفي ظلالها من النباتات ادهشها ومن جعلتها المطاط والنفيل الذي يستخرج منه الزيت .



## كتاب العرب

او الرد على الشعوية

لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة من اهل القرن الخامس (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسلياً ( قال ) ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة جعلنا الله واباك على النعم شاكرين . وعند المحن والبلوى صابرين . وبالقسم من عطائه راضين . واعاذتنا من فتنة العصبية وحمية الجاهلية وتحامل الشعوية فانها بفرط الحسد وتغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة وتطعن بها كل رذيلة وتغالو في القول وتسرف في الذم وتبته بالكذب وتكابر العيان وتكاد تكفر ثم يمنعا خوف السيف وتفص

(١) وجده الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق في مكتبة المرحوم شاكر افندي الخزاوي الدمشقي في مجموعة كانت موقوفة ويجز وقفها معنوتاً عليه بكتاب ذم الحسد تأليف العلامة ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى بخط مسند الشام في عصره الشيخ ابراهيم الجيتيني الحنفي جامع الفتاوى اثنى عشرية — من رجال القرن الثاني عشر — وقد نسخها رحمه الله على اصل مخروم الآخر حتى كتب في آخر نسخة ما مثاله : هذا آخر ما وجدته الخ .

من النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر بالشجا - يتطرف منه على القذى - وتبعد من الله بقدر بعدها من قرب واصطفى - وفي الافراط المهلكة وفي الغلو الجوار والحسد هو الداء العيا - اول ذنب عصي الله به في الارض والسماء - ومن تبين امر الحسد بعدل النظر اوجب سخطه علي واهب النعمة وعداوته لمؤاقي الفضيلة لان الله تعالى يقول « نحن قسمنا بينهم معيشتهم ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات لتفخذ بعضهم بعضاً سخرياً » فهو تبارك وتعالى باسط الرزق وقاسم الحفظ والمبتدي بالمطا والمحسود آخذ ما أعطي وجار الى غاية ما أجري .

وقال ابن مسعود: لا تعادوا نعم الله قليل ومن يعادي نعم الله قال: حاسد الناس وفي بعض الكتب يقول الله: الحاسد عدو لعمتي متخطئ لفضائي غير راضٍ بقسمي .  
وقال ابن المقفع: الحاسد لا يبرح زارياً على نعمة الله لا يجد لها مزالا ويكدر على نفسه ما به فلا يجد لها طمأً ولا يزال صاعطاً على من لا يتراضاه ومتخطئاً لما لا ينال فوقه فهو مكتظوم ملعٌ جزوع ظالم اشبه شيء بمظوم محروم الطلبة متقص المعيشة دائم السخط لا بما قسم له ينع ولا على ما لم يقسم له يغلب والمحسود يتقلب في فضل الله مباشرًا للسرور مملاً فيه الى مدة لا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص ولو صبر الحسود على ما به وضمر لجرته كان خيراً له لانه كلما هزّ حساء الله وكما نزع قدف بحجره وكما اراد ان يلقي نور الله اعلاه الله رياءً في الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون .  
وفه در القائل :

واذا اراد الله نشر فضيلة يوماً اتاح لها لسان حديد

لولا اشتعال النار فيما جاورب ما كان يعرف طيب عرف العود

ولم ار في هذه الشعبية ارسخ عداوة ولا اشد نصبا للعرب من السفلة والحشوة واوباش البط وابناء اكزة القرى فلما اشراف الهجم وذوو الاخطار منهم واهل الديانة فيعرفون عالم وما عليهم ويرون الشرف نسباً ثابتاً .

وقال رجل منهم لرجل من العرب : انت الشرف نسب والشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم : وانما لهجت السفلة منهم يذم العرب لان منهم قوماً تحلوا بحلية الادب فجالسوا الاشراف وقوم اتسموا بميسم الكتابة فقبروا من السلطان فدخلتهم الانفة لآدابهم والنضاضة لاقدارهم من لوئم مفارسم وخشب عناصم فمنهم من الحق نفسه باشراف العجم واعتزى الى ملوكهم واساورتهم ودخل في باب فسج

لا حجاب عليه ونسب واسع لا مدافع عنه ومنهم من أقام على حساسة يتنازع عن لؤمه ويدعي الشرف للعجم كلها ليكون من ذوي الشرف ويظهر بغض العرب ينتقصها ويستقر مجوده في مشاتها وانهاوار، مثالها وتجريف الكلم في مناقبها ويلسانها ناس وبهمها ألف وبأدائها تسلع عليها فان هو عرف خيرا ستره وان ظهر حقوه وان احسن التأويلات صرفه الى اقبحها وان سمع سوءا نشره وان لم يسمعه ففر عنه وان لم يره .  
تخرجه فهو كما قال القائل :

ان يعلوا الخير يحفوه وان علموا شرا اذيع وان لم يعلوا بهشوا  
ومن ذا رحمك الله صفا فلم يكن له عيب وخلص فلم يكن فيه شوب .

وقيل لبعض الحكماء هل من احد ليس فيه عيب فقال لا لان الذي ليس به عيب هو الذي لا يموت وعائب الناس بعيبيهم بفضل عيبه وينتقصم بحسبته .  
ويذيع عوراتهم ليكونوا شركاءه في عورته ولا شيء احب للفاسيق من زلة امة  
ولا ابي الخامل من عثرة الشريف قال الشاعر :

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسه مراد العمري انت اردت قريبا  
وقال آخر :

واجرا من رأيت يظهر غيب تلي عيب الرجال ذوو العيوب  
وقد كان زياد بن أبي سفيان حين كثرت من الناس عليه وتلى معاوية في استناده  
عمل كتابا في المثالب لولده وقال من عيبك فقرعوه ينتقصته ومن ندد عليكم فايدبه  
بمثلبته فان الشرب بالشرب يثق والحديد بالحديد يفلح .

وكان ابو عبيدة معمر بن المثنى اغرى الناس بمشام الناس والمجمع بمثالب العرب  
وحاله في نسبه وايه الاقرب اليه حال نكره انت تذكرها فتكون كمن امر ولم يفر  
وزجر عن القبيح ولم يزدجر وهي مشهورة ولكن كرهنا ان تدون في انكتب وتخلد تلي  
الدهر ولا سيما وهو رجل يحمل عنه العلم ويحتج بقوله في القرآن . ومن اتعب فلنا  
وانصب فكارا من اراد ان يجعل الحسنة سبيكة والمنقبة مثليه ويخلل الانحراج الباطل  
في صورة الحق فيقصد من المناقب مثل قوس حنجب تتحك منها ديرة، بها، ويذهب  
في ذلك الى حساسة العود وقلة ثمنه وهذا لو كان على مذاهب القجار والسوق  
الرهون والمعاملات لرجع بالعيب على الآخذ لا على الدافع لان الدافع لا يألو ان يدفع  
احقر ما يجد في أكثر ما يأخذ والمغبون من ضرر بالصغير عن الكبد وانما رهن عن

العرب بما غنمته هتاهن كف الأذى عن مملكته حتى يجيوا وتكشف عنهم السنة ولو كان مكان القوس مائة ألف رأس من الغنم عن هذا السب ما كان القوس الا احسن بالدافع والقائل لان سلاح الرجل هي عزه وشرفه واسلام المال احسن من اسلام العز والشرف . وقد يدفع الرجل خاتمه ويرده او رداه عن الامر العظيم فلا يسله خوفا من السبة وانفة من العار .

قال ابو عبيدة لا قتل وكيع بن ابي سود التميمي فتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان بلغ ذلك سليمان وهو بمكة وهو حاج خطب الناس بمسجد عرفات وذكر غدر بني تميم واسراهم في الفتن وتوهمهم على السلطان وخلافهم له فقام الفرزدق فرفع رداه وقال يا امير المؤمنين هذا رداي رهنا بوفاء تميم ومقامها على طاعتك فلما جاءت بيعة وكيع قال الفرزدق :

فدى لسيف من تميم وفي بها رداي وحلت عن وجوه الالهاتم  
يريد الالهاتم بن سمي التميمي ورهطه وهذا خديار بن عمرو بن جابر الفزاري ضمن لبعض الملوك الف بهيمة ابيه وروته قومه فقبلها منه على ذلك وساقها اليه وفيه يقول القائل :

وغن رهنا القوس ثم تخلصت بالف على ظهر الفزاري اقربا  
وسيار هذا هو جرم الذي تنافر اليه عامر وعلقمة . ومن هذا الباب قول جران وذكر اجتماعه مع نساء كان باليمن :

ذهبن بمساكني وقد قلت انه سيوجد هذا عند كن فيعرف  
يظن من لا يعرف هذا الخبر انهن سلبته المساواة فاعتد عليهن واخبرهن انه سيوجد عندهن وسرف لقدرا المساواة عندهن وعنده ولان الاعراب انظر قوم في التافه الحقير الذي لا خطر له وكيف يظن به وبين هذا وبلد نجد مستقم بضررب من شهر المساويك لا تجتمع فكيف يجعل على نساء يهاون يعود هو يصطلي به ويخبر ويطنج بشجرة ومنى احتاج الى مساواة منه لم يتكلفه بشئ ولم يعد في طلبه والمعنى ان نجد لا تختلف متناهية منه ما ينبت الاصل ومنه ما ينبت الاراك ومنه ما ينبت البشام فاهل كل ناحية منهم يساكنون بشجر بلدهم وكان جران العود معروفا بهؤلاء النساء يزودهن على حذر من مزارعهم وهو يستن من الشجر ما ينبت في بلده ولا ينبت في بلدهن فلما اخذن مساكنه ليشد كونه ويستريحن اليه كما يفعل القهابون قال ان هذا



شيوجد عندكن واذا وجد علم انه مما ينبت البلد الذي اسكنه فاستدل به على زيارتي  
اياكن ويقصد لقول القائل :

ايا ابنه عبد الله وابنة مالك ويا ابنه ذي البردين والفرس الوردا  
فيتمسكك بالشعر ويستعزي بالبردين والفرس الوردا ويمارض ذلك بملك فارس  
واسرتها ونيجانها وبان ايوز اربط تسعانة وخمسين فيلاً على مراحله وبلغت محنته (٣)  
التي كان يشرف بها على الداخل عليه الف انا من الذهب وخدمته الف جارية وقد  
جهل هذا معنى الشعر واخطأ في المعارضة ونفر بما ليس له فيه حظ ولا نصيب  
اما معنى الشعر فان ابا عبيدة ذكر ان وفود العرب اجتمعت عند النعمان بن المنذر  
فاخرج بردي محرق وهو عمرو بن هند وقال ليقيم اعز العرب قبيلة فيأخذها فقسام  
عامر بن احيمر بن بهدلة فاخذها فاتزر بواحد وارتنى بأخر فقتل له بمائت اعز العرب  
فقال العز والعدد من العرب في معد ثم نزار ثم في مضر في خندف ثم في تميم ثم في سعد  
ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهدلة فن انكر هذا من العرب فلينافرن في سكك الناس  
فقال النعمان هذه عشيرتك كما تزعم فكيف انت في اهل بيتك وفي بدتك فقال انا  
ابو عشرة وعم عشرة وخال عشرة ينسبني الاكابر عن الاصاغر والاصاغر عن الاكابر  
فالما انا في بدتي فهذا شاهدي ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها  
فله مائة من الابل فلم يبق اليه احد من الناس فذهب بالبردين فسمي ذا البردين  
قال الفرزدق :

فما تم في سعد ولا آل مالك غلام اذا ما قيل لم يقبل

لم وهب النعمان ثوبي محرق بمجد معد البدي والمحصل

واما الفرس الوردا فان الخليل حصون العرب ودميت العز وسلم الحيد وبثال العيال  
وبها تدرك النار وطعها تصيد الوحش وكانوا يؤثرونها على الاولاد بالبن ويشدونها  
بالانفية للطلب والمرب وقد كنى الله عنها في كتابه بالخير لما فيها من الخير فقال حكاية  
عن نبيه سليمان صلى الله عليه وسلم « اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت  
بالحجاب » يعني الخليل وبها كان شغل سليمان عن الصلاة حتى ضربت الشمس  
وقال طفيل :

ولليل ايام فن يصطبر لها ويعرف لها ايامها الخير يعقب  
وقال آخر :

ولقد علمت على توفي الرشد  
اني وجدت الخليل عزرا ظاهرا  
وبين بالشر المخوف طلائعا  
باتوا بصائرهم على اكتافهم  
وبصيرتي يدوبها عتداً وأى

والبصيرة الدم يريد انهم لم يدركوا النار فنقل السماء على اكتافهم وانه قد ادرك  
ثاره على فرسه وحدثني محمد بن عبيد قال حدثني سفيان بن عيينة عن شبيب بن  
غرقدة عن عروة البارقي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ( الخليل معقود  
في نواصيا الخيل الى يوم القيامة )

قال ابو محمد وليس لاحد مثل عتاق العرب ولا عند احد من الناس من العلم بها  
ما عندهم وما ذكر من ذلك شيئاً فيما بعد ان شاء الله . واذا كان للرجل منها جواد  
مير كرم شهر به وعرف فليل المسجدي ولاحق وداحس والورد . وليس اعجب  
من سرير كسرى ونغر المعجم به وتصويرم اياه في العصور الصم وفي رعان الجبال .  
واذا رأيت العرب تنسب الى شيء خبيث في نفس فليس ذلك الا لعنف شريف فيه  
كقولهم لمهيدة بنت مصصة عمة الفرزدق ذات الخمار فمن لم يعرف سبب الخمار هاهنا  
يظن انها كانت تهتم دون نساء قومها فنسبت الى الخمار لذلك قال ابو عبيدة كانت  
مهيدة بنت مصصة تقول من جاء من نساء العرب باربعة مثل اربعتي يحمل لها ان تضع  
عندهم خمارها فصرمتي لها ابي مصصة واخي غالب وخالي الاقرع بن حابس وزوجي  
الزريقان بن بدر فسميت ذات الخمار لذلك .

وقال كان هند بن ابي هالة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم يقول : انا اكرم الناس  
اربعة ابي رسول الله واممي خديجة واخي فاطمة واخي القاسم فهو لاء الاربعة لا اربعتها  
واما خطاه في المعارضة فان صاحب البردين لم يكن ملك العرب فيعارضنا عنه بملك  
المعجم ولم يدع احد انه كان للعرب في دولة المعجم مثل ملكها واموالها وعددها وسلاحها  
وحريها ودبياجها فيحتاج ان يذكر قبيلة ابرويز وجواربه وفرشه وقد كان هذا  
لاولئك كما ذكرتم جملة الله لهؤلاء فابتزوه واستلبوه والقوم كما يلعني القضيب  
والناسخ افضل من المتسوخ . واما نغره بما ليس له فيه حظ ولا نصيب فاما نغره بملك  
فارس ابناه ماوكا وابناه عمالم وكتابههم وجمابههم واساورتهم . فاما رجل من عرض  
المعجم وعوامهم لا يعرف له نسب ولا يشهر له اب فما حظله في سرير كسرى وتاجه

وحريه وديباجه وليس هو من ذلك في مراح ولا مقدي ولا مظل ولا مأوى . فان قال لاني من العجم وكسرى من العجم فربحاً بالمثل المبتذل ابن جابر النخار ولو قال ايضاً لاني من الناس وكسرى من الناس كان وهذا سواء وما هو بأولى بهذا السبب من العرب لان العرب ايضاً من الناس .

قال ابو عبيدة: اجريت الخيل فطلع منها فرس سابق فجعل رجل من النظارة يكبر ويثب من الفرح فقال له رجل الى جانبه يا فتى اهذ السابق فرسك فقال لا ولكن الجاهلي . وقال المسعودي : قدم علينا اعراب وكانوا يأتون بيشائهم فأبيعها وأقوم بمحوائهم وكانوا يقولون رحم الله اباك ديناراً فكنت لا آلوهم عناية فقلت لم اخبروني عن السبب بينكم وبين ابي قالوا كان يساومنا مرة بئان فقلت لم هل كان اشتراها منكم قالوا لا قلت الله اكبر قالوا وما ذلك قلت لو اشتراها صارت رحماً ونسباً .

وقد كانت العجم رحمك الله في ذلك الزمان طيق الارض شرقاً وغرباً وبراً وبحراً . الاحمال معدة واليمن افكل هؤلاء اشراف فاين الوضعا والاديان والكساحون والجمامون والداغون والنخارون والرعاي والمهان وهل كان ذوو الشرف في جملة الناس الا كالملحة في جلد البعير واين ذرارهم واعقابهم ادرجوا جميعاً فلم يبق منهم احد وبني ابناء الملوك والاشراف .

واعجب من هذا ادعائهم الى اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم ونفهم على العرب بانه لسارة الحرة وان اسماعيل ابا العرب لهاجر وهي امة وقال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكل بها طنباً ولا خباء ولا عكاً ومهدان  
ولا لجرم ولا بهراء من وطن لكنهن لبني الاحرار اوطان  
ارض تبنى بها كسرى مناسك فابها من بني اللخاء انسان

فبنو الاحرار عندهم العجم من ولد اسحق واسحق لسارة وهي حرة وبنو اللخاء عندهم العرب لانهم من ولد اسماعيل واسماعيل لهاجر وهي امة قالوا واللخاء عند العرب الامة قالويل الطويل هؤلاء والبعد والشبور من هذه العداءة لا ولياء الله والانباذ القبيحة لصفوة الله وقد غلطوا في التأويل على اللغة وليس كل امة عند العرب لخوا انما اللخاء من الاماء الممتنة في رعي الابل وسقيها وجمع الخطب وحمله واستنقاء الماء والحلب واشباه ذلك من الخدمة كما يقال الامة الوكلاء وليس كل امة وكلاء وانما قيل لها لخوا لثنتين ربحاً ويقال لخن السقاء بلخن لخننا اذا تغير ربحه واثنان .

واما مثل هاجر التي طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل دفر وارتضاها للتحليل  
فراشاً والطيبين اسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام اما وجعلها لها سلالة فهل يجوز  
المحمد فضلاً عن مسلم ان يطلق عليها اللخن ولو لم يكن الا ابنت ملك القبط منع بها  
سادة وكانت انفس امائه عندهم واحظاهن لديه لقد كان في ذلك دليل على انها لم تكن  
من الاماء اللخن ولو جاز ان يطلق علي كل امة غناً لجاز ان يقال لكل شريف ولده  
امة هذا ابن اللخنة كما يقال هذا ابن الامة وقد ولدت الاماء الخلفاء واغنياء والابرار  
مثل علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب والقاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وسالم  
ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الاصمعي قال كان اهل المدينة بكرهون اتخاذ  
امهات الاولاد حتى نشأ فيهم هؤلاء الثلاثة ففانوا اهل المدينة فقهاو ورعاً فوغب الناس في  
السرائري والتساب لا يعرفون لاهل فارس ولا للتبيط في اسحق بن ابراهيم حفظاً لان  
اسحق تزوج رفقا بنت ناحور بن تارح وتارح هو آزر ورفقا بنت عمه فولدت له عيصو  
ويعقوب توأمين في بطن واحد فيعقوب هو اسرائيل الذي ولد الاسباط كلهم وكانوا  
اثني عشر رجلاً واولادهم جميعاً يدعون بنو اسرائيل وهم اهل الكنشاب ليس هؤلاء  
فيهم سبب ولا نسب وعيصو هو ابو الروم وكان الروم رجلاً أصفر شديد الصفرة في  
يعلن ومن اجل ذلك سميت الروم بني الاصفر . قالوا وكانت ام الروم بنت اسماعيل  
ابن ابراهيم وولد من الروم خمسة نفر فكل من بارض الروم من نسل هؤلاء الرهط  
قالوا وللمسبقة يعقوب الى دعوة اسحق فصارت النبوة في ولده دعا لميصو بالنساء والكثرة  
فالروم كلهم ولدهو بعض الناس يزعم ايضا ان الاشبان من ولده وقالوا النبط بن ساروح بن  
اوغو بن فالغ بن طابر بن شالح بن ارغند بن سام بن نوح ويقال انه ابن ماش بن سام  
ابن نوح قالوا واهل فارس من ولد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وكان كثير الولد فغزل ارض  
فارس فاجلس الفرس كلهم من ولده فليس بين هؤلاء وبين اسحق بن ابراهيم على  
ما ذكره التسابون نسب يجمعهم الا سام بن نوح والناس يجمعون في ولادة شيث بن  
آدم ثم في ولادة نوح ثم يتشعبون فولد نوح اربعة نفر سام وحام وياث وياث فاما يام  
فهلك بالطوفان فلا عقب له وهو الذي قال له ابوه ( يا بني اركب معنا ولا تكن مع  
الكافرين ) واما حام فان اباه لعنه ودعا عليه بان يكون عبداً لاخوته فغملت ذريته  
وسقطت فيه فهم التوبة وفزكان والزغاوة واجناس السودان والمند والقبط واما ياث

فان اباه دعا له بالناء والكثرة فولد الصقالب والترك وبأجوج وأما عدد الرمل والحصى في مشارق الارض . فلما سام فيبارك عليه فاشرف الناس من ولده منهم المالقي ومنهم الجابرة وفراغة مصر وملوك فارس ومن ولد سام الانبياء جميعا بعد نوح وهود وصالح وشعيب وابراهيم ومن بعده الى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . فالعرب وفارس يتساوون في هذه الجملة وتفضلها العرب بعدها بانها من ولد اسماعيل ابن ابراهيم فهي ادنى من خليل الله دنوة وامس به رحما .

ثم تتساوى العرب وفارس في ان الفريقين ملكوا وتفضلها العرب بان قواعد ملكها نبوة وقواعد ملك فارس استلاب وغلبة . وتفضلها العرب بان ملكها ناسخ وملك فارس منسوخ وتفضلها بان ملكها مصل بالساعة وملك فارس محدود وتفضلها العرب بان ملكها واغل في اقاصي البلاد داخل في آفاق الارض وملك فارس شغاية منه ليس فيه الشام ولا الجزيرة ولا خراسان في اكثر مددهم ولا اليمن الا في ايام وهزر وسيفابن ذي يزن .

ومن عجب امرهم ايضا فغرم على العرب بآدم بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني عليه فلما انا حسنة من حسناته ثم بالانبياء وانهم من العجم الا اربعة نفر هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم وفي هذا القول وضع الفخر على غير اساس ومن اسس بنياته على الباطل والقرور اوشك ان يتداعي وان يخر وظلم للعرب فاحش ومنه ادعاهم آدم كان العرب ليسوا من ولده ومنه اتحللم موسى وعيسى وذكرىا ويحيى واشباههم من بني اسرائيل وليس بين فارس وبين بني اسرائيل نسب على ما بينت لك ومنه دفعهم العرب عن قربهم بهؤلاء الانبياء وهم بنو عمومهم وعصبتهم لان العرب بنو اسماعيل بن ابراهيم باجماع الناس فهم بنو اخي اسحق بن ابراهيم واولى به وحق بشرفه واولى بموسى وعيسى وداوود وسليمان وجميع الانبياء من ولده وقال الله تعالى ( ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ) قال ابراهيم هم ولد اسحق وولد اسماعيل ثم قال ( ذرية بعضها من بعض ) فاعلمنا ان العرب وبني اسرائيل شيء واحد في النسب وفيما اوحى الله الى موسى : اني ساقيم لبني اسرائيل من اخوتهم مثلك اجعل كلامي على فيه : يريد انه يقيم لهم من العرب نبيا مثل موسى يعني نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا علم من اعلامه وسجة من حجبنا على اهل الكتاب من كتبهم فان قالوا في ذلك انه يقيم لهم من بني اسرائيل نبيا

مثل موسى وقالوا ان بني اسرائيل بعضهم اخوة بعض اكتبهم النظر لانه لو اراد ذلك لقال لهم من انفسهم ومنهم كما ان رجلاً لو اراد ان يبعث رسولاً من خندف لم يقل سأبعث رسولاً من اخوة خندف فان كان دفعهم ولد اسماعيل عن تشابك نسبهم يولد اسمحى لنزول اسماعيل الحرم وتكاحه في جرم فان الديار قد نشأت في الحال قد ثبأتين والرجل قد يتكح في البعيد وقد يولد له من الاماء ولا تنقطع الارحام والانساب وان كان اسماعيل نطق بالعربية فليس اختلاف الناس في الالسة يخرجهم عن نسب آبائهم واخوانهم وعشائرهم فهو لاء اهل السريانية قد خالفوا في اللسان اهل العبرانية وهذه الروم كفرت بالله ولا شيء القطع للعصمة من الكفر وتكلمت بالرومية ورغبت عن لسان آبائهم وليس ذلك بمخرجها عن ولادة اسمحى بن ابراهيم على ان اسماعيل لم يكن اول من نطق بالعربية وانما تعلمها وانما اصل العربية لليمن لانهم من ولد يعرب بن قحطان وكان يعرب اول من تكلم بالعربية حين تبليت اللسان ببايل وسار حتى نزل اليمن في ولده ومن اتبعه من اهل يثقه ثم نطق بعده ثمود بلسانه وشخص حتى نزل الحضر .

حدثني ابو حاتم قال حدثني الاصمعي قال اخبرنا ابو عمرو بن العلاء قال تسع قبائل قديمة طسم وجديس وعبيدة ونجيم ( بالجم وبالحاء ) وجعم والعماليق وقحطان وجرم وثمود .

وحدثني ابو حاتم قال حدثنا الاصمعي قال حدثنا ابن ابي الزناد عن رجل من جرم قال : نحن بدء من اخلق لا يشاركنا احد في انسابنا يقول من قدمنا فهو لاء قديما العرب الذين فتق الله سنتهم بهذا اللسان وكانت انبياءهم عرباً هود وصالح وشعيب .

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن ابيه عن وهب بن منبه انه سأل عن هود اكان ابا اليمن الذي ولد له قالم لا ولكنه اخو اليمن في التوراة فلما وقعت العصبية بين العرب ونفرت مضر بابيها اسماعيل ادعت اليمن هودا ليكون لهم والد من الانبياء . ( قال ) واما شعيب من ولد رهط من المؤمنين تبوا ابراهيم لما هاجر الى الشام ولم يكن يثبت لهم نسب في بني اسرائيل ولم تكن مدين قبيلة ولكنها امة بعث اليها فلما بوأ الله اسماعيل الحرم وهو طفل وانبط له زمزم مرت به من جرم رفقة فرأوا ما لم يكونوا يصدونه واخبرتهم هاجر بنسب الصبي وحاله وما امر الله اياه فيه وفيها فتبركوا بالمكان ونزلوه وسموا اليهم اسماعيل قشاً معهم ولدانهم ثم انكحوه فتكلم بلسانهم فقبل

نطق بالعربية الا ان الياء زيدت في الاسم مخذفت في النسب كما تخذف اشياء من الزوائد وغير كما تغير اشياء عن اصولها واليدليل على ان اصل اللسان الذين انهم يقال لهم ( العرب العاربة ) ويقال لغيرهم ( العرب المتعربة ) يراد الداخلة في العرب المتعربة منهم وكذلك معنى الثقل في اللغة يقال تنذر الرجل اذا دخل في تزار وتقصرا اذا دخل في مضر وثقيس اذا دخل في قيس وقال الشاعر :

وقيس عيلاق ومن ثقيسا

ولو كان كل من تعلم لسانا غير لسان قومه ونطق به خارجا من نسبهم لوجب ان يكون كل من نطق بالعربية من المعجم عربيا ( وسأقول في الشرف باعدل القول وابين اسبابه ولا ابغض احدا حق ولا اتجاوز به حده ) فلا ينبغي نسي في المعجم ان ادفعها عما تدعيه لما جهلتها واثني اعنتها عما تقدم اليها سفلتها واختصر نقول واقتصر على العيون والنكت ولا اعرض للاحداث الطوال في خطب العرب وتعداد ايامها ووفدات اشرفها على ملوك المعجم ومقاماتها فان هذا وما اشبهه قد كثر في كتب الناس حتى اخلق ودرس حتى مل - لا سيما واكثر هذه الاخبار لا طريق لها ولا نقلت من الثقات والمعرفين ايضا فنجبر عن التكلف وتدل على الصنعة وارجوان لا يطلع ذوو العقول واهل النظر مني على اثار هوى ولا تهمد تمويه وما اتبرا بعه من العثرة والزالة الا ان يوفقني الله وما التوفيق الا به .

وعدل القول في الشرف ان الناس لآب وام خلقوا من تراب واعيدوا الى تراب وجروا في مجرى البول وطووا على الاقدار فهذا نسبهم الاعلى الذي يروع اهل العقول عن التعظيم والكبرياء ثم الى الله مرجعهم فتنقطع الانساب وتبطل الاحساب الا من كان حسبه تقوى الله وكانت مآتمه طاعة الله .

واما النسب الادنى الذي يقع فيه التفاضل بين الناس في حكم الدنيا فان الله خلق آدم من قبضة جميع الارض وفي الارض السهل والحزن والاحمر والاسود والخيث والطيب يقول الله عز وجل ( والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ) فجرت طبائع الارض في ولده فكان ذلك لاختلاف نراتهم فمنهم الشجاع والجبان والنجيل والحواد والحلي والوقاح والحليم والبحرل والدمث والعجوس والشكور والكفور وسببا لاختلاف الوانهم وهيأتهم فمنهم الابيض والاسود والاسمر والاحمر والاقشر والوسم والخفيف على القلوب والثقيل والحبيب الى الناس

من غير احسان والمغض اليهم<sup>١</sup> من غير ذنوب<sup>٢</sup> وسبب<sup>٣</sup> لاختلاف الشهوات والارادات  
فتنم من يميل به الطبع الى العلم ومن يميل به الى المال ومن يميل به الى اللهو ومن  
يميل به الى النساء ومن يميل به الى الفروسية<sup>٤</sup> ثم يختلفون ايضاً في ذلك فتنم من  
يسرع الى فهمه الفقه ويطي<sup>٥</sup> عنه الحساب ومنهم من يعلق بشغفه الطب وينبوعه  
النجوم ومنهم من ييسر له الدقيق الخفي ويعتاص عليه الواضح الجلي ومنهم من يتعلم  
فناً من العلم فيرسخ في قلبه رسوخ التقرية الحجر ويتمل ما هو اخف منه فيدرس  
دروس الرقة على الماء ومن طلبة المال من يطلبه بالتجارة ومن يطلبه بالجرابة ومن يطلبه  
بالسلطان ومن يطلبه بالكيمياء فيثقل بالطمع الكاذب والناس الحال ائله المال ومن  
طلبة النساء من يريد المبهفة ومن يريد الضناك ومن يريد الفرة الصغيرة ومن يريد  
التصف الوثيرة وانعجب من هذا من ربما حجب اليه العجوز قال الشاعر :

عجوز عليها كبرة وملاحة اقاتني بالرجال عجوز

عجوز لو ان الماء ملك يمينها لما تركتنا بالمياه نجوز

ومن لؤم الفرائز ان من الناس من يحب الدم كما يحب غيره المدح ويرتاح للجهاد  
كما يرتاح غيره للثناء ومنهم من يضري بدم قومه وسب نفسه وابائه وشتم عشيرته  
منهم حمزة بن جميل التغلبي وهو القائل :

كسا الله حي تغلب ابنة وائل من اللؤم اصفاراً بطيئاً نصولها  
ومنهم الحرمازي (١) وهو القائل :

ان بني الحرماز قوم فيهم انبث عليهم شاعراً يخرجه  
فابث عليهم مثل علي فيهم ومنهم الضعيف وهو القائل في امره :

ياليتما امنا شالت نعامتها .. فيستبشعي ولوا سكنتها هجرأ  
ايما الى جنة ايما الى نار .. تلمم الوسق مشدوداً اشغلته  
ولا يريا ولو حلت يدي فار .. خرقا في اغير لا تهدى لوجهته  
كأنما وجهها قد طلي بالقار .. وحي صناع الاذى في الاهل والجار  
( لها بقية )

(١) يقال له الكتاب الحرمازي واسم عبد الله بن الاعور وقيل له الكتاب  
لكذبه امره من طبقات الشعراء للؤلؤ



## شذرة ذهب

من فن الادب

من كلمات اللغة العربية ما يدل على اصل المعنى . ومنها ما يدل على المعنى نفسه مع زيادة قيد او شرط او وصف حالة . مثال الأول ان تقول ( الفخز ) زيد فانه يفيد اصل معنى الافتخار . ومثال الثاني ان تقول ( تنفخ ) زيد فان معناه الافتخار وشي آخر زائد : وهو ان يفخر الانسان بما ليس عنده او بصفة ليست فيه . او يفخر احياناً باكثر مما عنده . فيكون كريماً بالجملة مثلاً ثم يصف من كرمه وجوده اكثر من الواقع وما يحلمه الناس فيه . فحينئذ يقال عنه انه تنفخ . وقريب من معنى التنفخ ( الفتحة ) — بضم الفاء وفتح التاء . وقالوا في معناه انه الرجل الذي يتفخخ في المجالس ويكثر من ذكر ماؤتيه من ملك وأدب يتطاول بذلك على الحاضرين

ومثل ( تعلم ) فانه يفيد اصل التعلم . اما اذا قلت ( أخصي ) فانه يفيدنا زيادة معنى في التعلم . هو انه تعلم علماً واحداً كأن يحلم فن الطب وحده او الكيمياء وحدها ولا يلقى باله الى غيرها من العلوم

مثل هذه الاوصاف او الافعال التي تدل على معنى مركب يجب ان نفى بها ونجمع منها طائفة للقاري والكاتب

قد تريد ايها الكاتب ان نصف انساناً بكونه مثقلاً لا يثبت على رأي واحد فتارةً بجمع رأي هذا . وطوراً رأي ذاك . فتفكر كثيراً في كلمة تدل على هذا المعنى المركب . ولكنتك اذا حفظت كلمة ( إمة ) — بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة — فانك تستعملها وتقول . فلان لا بأس به . لكنه إمة تريد انه لا رأي له وإنما يتابع كل انسان على رأيه

وقد تريد ان نصف صاحبك بأنه لا يثبت على صداقة احد فهو يومئذ هذا يوماً ويومه . ويتنقل الي مواعاة الآخر وهكذا . تريد وصفه بذلك فيعينك الأبرور بما سرود ليان هذا المعنى جملاً طويلة عريضة ولكن الترب يقولون لا تنق بلان . فانه « مقطع » اي لا يثبت على مواعاة احد

وقد يجاول وصف بعض معارفك بأنه كسول لا ينشط الى الكسب ولا يسعى في طلب معاشه فيضيق عليك الوصف إما اذا تعلمت كلمة ( لبد ) على وزن ( كنف )

فأنك تصفه به وتقول ان صاحبي فلان لبد لا يبرح منزله ولا يطلب معاشاً لنفسه  
وقريب من كلمة (تفنج) التي معناها الفخر بما ليس فيه كلمة (ابتهر) هو ان يقول  
المرء فعلت كذا وأفعل كذا وهو لم يفعل شيئاً مما ادعى . وكثيرون يدعون فعل ما لم  
يفعلوا فيضيق المرء ذرعاً بالواجد من هؤلاء ويريد ان يوجز في وصفه وفي الاخبار  
عنه بكلمة واحدة فأرى له ان يقول : دعونا من فلان فإنه يبتهر في كل  
ما يقول .

اما اذا كان المرء يقول فعلت الشيء ويكون قد فعله صدقاً . فهل من كلمة ندل على  
هذا المعنى ؟

ندل عليه كلمة (الايثار) : فاننا قلنا فلان ييثار كان معناه يقول ويفعل لا كصاحبنا  
الأول الذي يبتهر ابتهاجاً . وقد جمع الاعشى الشاعر الكلمتين في قوله :  
(فبيح بمشلي لفت الفتاة إما ابتهاجاً وإما ابتياراً)

يقول انه لا يليق باده ان يعرض بالفتيات يأخذ في سرد حوادثه مع اوانس  
الحبي : فيقول كان من امري مع فلانة كذا وخبري مع فلانة كذا : فهو لا يبتهر ولا  
يثار ولا يقول عن الفتيات شيئاً صادقاً او كاذباً .

فليقت الله ازيار النساء وليأنسوا بالاعشى فانه موضوع للأسى .

ويعرض لك احياناً ان تقول : ان الفاضل كان يكلم المدعى عليه اثناء المحاكمة بغضب  
وغضب . فبدل ان تأتي بكلمتين تقول كان (يدمدم عليه) اي بكلمة بغضب وارك  
تتهيب استمالها لأول الأمر ثم لا تلبث ان تأنسر بها وبألفها . سمعك فتشيع وتزوج  
بين الكتاب .

واذا مات امرؤ في ميعة الشباب وصحة الجسم وارتدت ان تجبر بذلك فقل  
مات فلان عبطة . اي شاباً صحيحاً . واعتبطه الموت . وقد تعيب آخر بكونه  
يشبه النساء في شدة تزينه وقصته فتأتي في وصفه بكلام كثير . والاجدى لك ان  
تقول لا يمجني فلان فانه يتزلق . قالوا ومعناه ان يزين ويتمم حتى يكون اللونه  
ويضي «أي لعان» ولبشرته يريق

واذا اردت ان تثني على صديقك بانه ينفق على ذوي رحمه الفقراء وبكفهم ذل  
السؤال تقول انه (يعولهم) ولكن هناك كلمة اخرى لا أرى بأساً في استعمالها وهي  
ان تقول انه (يتعمد) — بتشديد العين — اي يقوم بامرهم ويكفيهم مؤونة الكسب

واحسبك تفضل (يعول) عليّ (يقعد) وتقول انها اخف منها على السمع . نعم  
ولكن الاستعمال كخيل يصقلها وادنانها من الذوق  
والمرأة التي تبغض زوجها ماذا يقال لها ؟  
يقال لها (فارك) اما اذا كانت تجبه فتسمى (العلوق) وقالوا انها التي لا تحب غدا  
زوجها

واذا مر موكب في الشارع ورأيت امرأة تنظر اليه من نافذة بيتها وتمد عنقه  
مبالغة في المد فقل انها (تتلع) اي تمد عنقها متطاوله . واذا رأيت صاحبك  
يمشي المومنا ويهتجب انسحابا واردت ان تحكي عنه تقول في رأيته (تخزل) اي  
يمشي وهو متشاغل في مشيئه . واذا كان صاحبك المذكور مولعا بمباشرة النساء والجلوس  
اليهن فقل عنه انه (عل) . وقالوا في تفسيره انه الذي يكثر زيارة النساء . والراهب  
لا تعرف له اسما غير اسمه هذا ولكنني اذكرك باسم آخر ربما فاقه رشاقة وحسنا  
وهو (الاييل) وقالوا في معناه انه الراهب المتقطع عن النساء . ومن كلامهم فلانة  
لو ابصرها الاييل لضاق به السبيل وما احلى ما قاله يحيى الدين بن العربي في هذا المعنى  
لو أنها برزت لأشمط راهب فاق العباد . عبادة لو أنها  
وأتت لتطلب منه ما خلقت له منذ كرا نهي المسيح مما يؤكده حسن تلك الفتاة

لم يدع ابن الربي وجها من اوجه الحسن اللفطي والمعنوي الا اودعه بينه  
هذين : وقوله لو أنها في آخر البيت لأفاده استبعاد ان تبرز تلك الفتاة من خدرها  
وهذا يستلزم ان تكون حصانا عفيفة . وقوله لتطلب منه ما خلقت له غاية في نزاهة  
التعبير ولطف الاشارة . وقوله منذ كرا نهي المسيح مما يؤكده حسن تلك الفتاة  
فضل تأكيد . وان جالما يملك النفس ويخدر الحس .

ويوجد اناس يتركون اللحم فلا يأكلونه . فاذا اردت ان تخبر ان فلانا من  
هؤلاء القوم . ويبحث عن كلمة واحدة تؤذي هذا المعنى المركب دلتك علي قولهم فلان  
(يتنحس) بالحاء المهملة كي وزن يتكلم اي انه ترك اكل اللحم  
واذا ترك التليذ المذكرة ومطالعة دروسه وما الى البطالة والكل . ماذا نسبي  
عمله هذا ؟

نسبي « تناوة » وقالوا في تفسيرها انها ترك المذاكرة وهجران المدرسة  
واذا كان هذا التلميذ نفسه قد اعتاد عادة قبيحة وهي ان يغمض عينيه ويقتحمها

دواليك وارتدت إن تنهأ عن ذلك فقل له دع هذه العادة يا بني ولا ترشح عينيك  
إسبه لا تنفضها وتفتشها . وهو رياضي وماضيه أرضك علي وزن أكرم .

واذا لامك لائم على شيء لم تقم له فقل أنه « يتذق » لي أي يسبالي ذنباً لم اقله .  
ومثله « تفجرم » وكلاهما علي وزن يتكلم ومثلهما يتجني فلان علي فلان

واذا وقع الرجل وقل حياؤه فلم يعد يالي ذمة الناس او مدحوه . رضوا عنه او سخطوا  
عليه . فذهب في ارتكاب المآثم واجترأح السيئات كل مذهب ماذا تسميه ؟

يسمونه « ستولج » وفسروها بانه الرجل لا يبالي ذماً ولا عاراً . وهناك تعبير  
آخر يفيد هذا المعنى . وهو قولهم ان فلانا « يلحم الناس عرضه » أي يكلمهم من

عرضه بما يفعله من المفاخر والمخازي فيقومون فيه ويطعنون عليه . فكأنه بذلك  
جعل عرضه حماً أطعمهم إياه . وأكل لحم الفير كناية عن اغتيابه والنيل من عرضه . وده

قوله تعالى « يجب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً » . واذا مهدت لك أسياهاك حملتك بها على  
سب فلان وثشمه كنت قد ألتحت عرضه . وورد « ان الله يفض البيت اللحم »

بكسر الحاء على وزن كتف . وفسروه بالبيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس  
بفثيتهم والاستئطالة في أعراضهم . وكان للوليد بن عبد الملك ولد يقال له

العباس . ولم يكن في أطواره وأخلاقه كشبان بني مروان بل كان امرأ صدق  
يتشبه بهم بن عبد العزيز فقال يخاطب قومه ويحثهم على الاتحاد والافلاح عن الفجور

ومخالفة الدين

ان البرية قد هلت بسياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا

لا تلحقن ذئاب الناس عرضكم ان الذئاب اذا ما ألححت رتعوا

فقوله ( لا تلحقن ) بضم التاء وكسر الحاء وتشديد الميم المضمومة خطاب للجمع  
وقد جازت واوه لاتصالها بنون التوكيد . أي ان الناس كالذئاب فاذا مكتموم من

الوقعة فيكم لا يتصرون كما ان الذئاب اذا راوا فريسة أغروا بها ونم شوا منها  
ومن الناس من يقابل الآخرين بذكر ما يؤلمهم ذكره . ويصف من أسوأهم ما يحلمهم

به علي كره الحياة بل كراهة انفسهم . فعذا الرجل الذي يفعل بالناس كذلك يسمى  
« أجوم » علي وزن جصور ويقال انه يؤجسم الناس — بتشديد الجيم — أي

يكره اليهم انفسهم . وهو مشتق من أجم الطعام وغيره اذا كرهه وملة  
وقد قام في زماننا قوم يتقصون العرب . ويصفرون من شأنهم

وآخرون يفعلون كذلك بالمسلمين فماذا تسمي الاولين؟ وماذا تسمي الآخرين؟  
الاولون يسمون (شعوية) والواحد منهم (شعوي) وقالوا في تفسير الشعوية انهم  
الذين يحتقرون العرب.

والآخرون يسمون (دقة) — بفتح القافين — وقالوا انهم الذين يظهرون عيوب  
المسلمين.

اما (دقة) فظاهر انه مشتق من دقق نظره في الشيء اذا تأمل فيه . ويبحث فيه  
ماخبي عليه من امره . ومن يكره المسلمين يفعل ذلك ويتقرب عن مساوئهم ليسهر بها  
ويشنع عليها.

واما الاولون فيفضو العرب فلماذا سموا (شعوية) ؟

سموا بذلك نسبة الى الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو الجماعة الكبيرة من  
الناس غير العرب . اما الجماعة الكبيرة من العرب فتسمى قبيلة كما ان الجماعة الكبيرة  
من بني اسرائيل تسمى سبط . فالقبائل للعرب . والاسباط لليهود . والشعوب لغير  
هؤلاء . واولئك . ومنه قوله تعالى في صدد الامتنان على البشر (وجعلناكم شعوبا وقبائل  
لتعارفوا) . وكتب المتمدن عباد احمد ملوك الاندلس الى يوسف بن تاشفين ملك المغرب  
يستجده على الاسبانيول — «فانا نحن العرب في هذه الاندلس قد تلفت قبائلنا . وتفرق  
جمعنا . وتغيرت انسانا . فصرنا فيها شعوبا لا قبائل . واشتاتنا لاقاربة ولا عشائر»  
الخ . فانظر كيف قال انهم تلفت قبائلهم فلم يعودوا قبائل وانما اصبحوا شعوبا اي  
جماعات اجمعية . وذلك بسبب تقدم مزاي العرب وكرم خصالم التي منها النجدة والنعرة  
في حماية النماز . والدفاع عن الجار .

اما الكتاب اليوم فقلما يفرقون بين (الشعوب) و (القبائل) وانما يستعملونها في  
مطلق الجماعات من اي جنس كانوا .

ولما كانت شعوب الاطاح تحط من قدر قبائل العرب عادة سمي كل من يحتقر امر  
العرب (شعوي)

اسكفة طرابلس الشام المغربي



## استعمار الهند

معنى عن الحملة الزرقاء الفرنسية

احدث مايقوم به الهنود في العهد الاخير من مقاومة حكومتهم قلقاً وهاماً وذلك ان الثورة تفسطرب لمزتها اعصاب امبراطورية الهند والقوم هناك يدعون الى الاستقلال جهاراً حاملين العلم الاحمر ويقوم البعثة من كل مكان يوقدون جذوة التعصب والتخرب ولا يستكفون من اتيان كل مذكر من قتل النفوس واهراق الدماء

قويت هذه الحركة وامدت دون ان يعوقها عائق لانه لم يهتم بها احد في مبدئها لغرابها امرها ولايتها ظهرت غير متناسبة مع حال القول في الهند . ولئن كان جمهور موظفي الحكومة الانكليزية هناك على جانب من طهارة الوجدان والعلم والتعذيب والتجارب الا انهم لم يحسبوا لهذه الحركة حساسية ووهما في : انجها وقاتهم على ما عرفوا به من الذكاء ان مادوا الى ذلك غلطاً لم ارتكبوا فتشاً عنها مائتاً . والوقوف على الصلات المتبادلة بين الحكام الانكليز والحكومين الوطنيين من الهند يجب ان نبين الأسس التي قامت عليها الادارة البريطانية في شبه جزيرة الهند فقول :

ان الهند اوسع من اوربا فمساحتها ٤,٨٩٤,٠٠٠ كيلومتر مربع وسكانها ٢٦٦ مليوناً ( ١ ) واهلها خليط من الناس ماكانوا ولن يكونوا امة برأسها . قال الفرد ليل : كل من اراد ان يحكم على امريء بالحكومة التي تحكمه والبلاد التي ينزلها لا يكون حكمه الا ناقصاً اذ يجمل بذلك حالته الطبيعية : الادبية وجنسه وحالته الاجتماعية واخلاقه وعاداته فدرس طبيعة الحكومة التي تحكمه لا يفيد شيئاً في معرفته نفسه لان الحكومة نتيجة احوال عارضة وتدبير . وقت اه .

لما استولى الانكليز على الهند عقيب ان دالت دولة الغول ورفع عن بعض ارجائها حكم الفرنسيين لم يجدوا امامهم حكومة وطنية في البلاد ولا جماعة اجتماعوا لتدبير شؤونهم تربطهم المصلحة المشتركة بها بل رأوا هنا وهناك عصابات غير طبيعية نشأت بالافاق بطبيعة الفتح وظلت بطبيعة الحال عبارة عن مجتمعات منفصلة العرى تجمع تحت لوايتها ملايين من الناس في اماكن متباعدة وكان لهذه الاقوام بحسب مكانتها زعماء ( ١ ) ان مساحة اقليم برمانيا وحده ٧٥٠ الف كيلومتر مربع وليس فيه من السكان

سوى ثمانية ملايين

يقودونها سموا أنفسهم أمراء وراجات ونواباً وسلاطين وإمبراطرة ولم تتغير هذه الصورة من الحكومة منذ الاعصار التي استولى فيها القرنين الثالثون والاربعون والتار والمغول وغيرهم على تلك القارة

ومع ما نراه من حال ذلك الشعب المهرج المتشر الاطراف الخالي من كل جبهة قد انشأ له مدينة باهرة دامت قروناً تدير العالم بدائعها وثلث الى يوم الناس هذا تمسكها يد بهو • فارتبط اننود من الشمال الى الجنوب من جبال حملايا الى رأس كومور برباط واحد وعملوا بقلب واحد وجرابروح واحدة تدفع النبلات الذي لا يوصف والغاية المشتركة التي وجوها كلهم وجهتهم اليها وذلك انهم لم يردوا الى غرض سياسي ولا الى غرض اقتصادي بل لان المجتمع الذي القوه ودرتوا درجته (١) لم تكن غايته زمنية دينوية بل كانت دينية فاستقام الامر للمستمرين لان القوم لانهمهم السياسة ولان النواب والراجات المغوليين على امرهم است لهم اصول راسخة في البلاد ولا مزية في قلوب الامة فكان الذين هو الذي يحوص القوم على بقائه والانكليز احوص الذين على احتوائه ولا سيما بين طبقات البراهمة التي كان لها تأثير شديد في العامة

أدرك الانكليز في الحال «راحة بانهم في حل» من ان يؤسروا في الهند الحكيمة التي تروقه من حيث الادارة والنظام السياسي والتشريعي على ان لا يسوا المعتقدات ولا رجال الدين بسوء نائشاً أو حكومة جديدة سموها حكومة الامة لال ولم يراعوا في تأسيس هذه الحكومة اصول الشعوب اذ كان هنا البنغاليون الجياح وهناك الامراتيون الهمجان وفي مكان ابعد سكان ميزور وفي المقاطعات الاخرى السيجيون النشيطون فتجد الفلسفة العاية والتصوف البديع الى جنب الخرافات المستعصمة والنصب الشديد بل راعوا اختلاف بائع الاقاليم من حيث وضعها الطبيعي عملاً بما قاله احد رجالهم من ان الاختلاف في اصناع الهند اشد مما نراه في ظاهرها ارضاً وسيراناً من المشاهد • ولم ير السمعرون من مصلحتهم ان يتركوا وطنية هندية فيكون اسكان بنجاب وبنغال وطنية خاصة بل عزموا على توسيع الاختصاص وتقسيم البلاد في ادارتها على خلاف ما جرت عليه فرنسا في ربط البلاد كلها بالعاصمة مباشرة لانها ترمي الى تجنيس اهل البلاد المستعمرة بالجنسية الفرنسية • وبعد تجاربها وبلة تمت لانكثرت سنة ١٨٦١ صوة ادارة الهند وكانت هذه الصورة معدلة منظوراً فيها وهي الصورة

(١) في الهند ١٩٢٠ قبيلة مختلفة *Castes* وقال آخر انها ١٤٠٠

التي جرت عليها شركة الهند الشرقية سنة ١٧٧٣ واستصدرت بها قانوناً من مجلس النواب قسمت الهند أولاً الى ثلاث ولايات بنغال ومدراس وبومباي دعوها رئاسات presidency لان ادارتها كانت بيد مجلس يشر القوانين وينفذ القرارات وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو دور الحروب والمنازعات الهائلة رأت انكلترا من الضرورة ان توحد الادارة السياسية مع الادارة الحربية لتقوية كل منهما فمهدت سنة ١٧٧٣ بولاية الهند لحاكم بنغال بحيث يكون له التقدم على حاكمي مدراس وبومباي ولكن ولايته اسمية لافعلية فاخذت الولايات الثلاث تصبغ الوقت في الاخذ والرد والادارة مختلة الاساليب لاترجع الي يد من شملها حتى اذا كانت ثورة السيباي سنة ١٨٥٧ وهي التي كادت تخرج انكلترا من الهند وضمت الحكومة صورة ادارة كانت اساساً للامبراطورية الهندية وهو عمل اداري لم توفق اليه امة ولم يخطر سيفه خاطر حاكم .

قسمت اراضي الهند الى طبقتين جوهريتين اراضي السلطنة البريطانية اي البلاد التي تحكمها انكلترا مباشرة وهي عبارة عن ولايتي مدراس وبومباي اللتين بقينا على ماكانا اعليه في حدودهما وولاية بنغال وقاعدتها كلكتوتا جعلت عاصمة المملكة وقسمت الى ثماني مقاطعات لماحق الانتخاب . والطبقة الثانية امارات الوطنيين التي تركت تحت سلطة الراجات الاسمية او الفعلية فقسمت الى قسمين في وضع الحماية الانكليزية عليها وبذلك صار الحكم للوالي العام والرئاسات وحكومات الولايات والامارات الوطنية

ولحكم الهند اثنان نائب ملكها مجلس مؤلف من ستة وزراء لم معاونون وفي بعض الاحيان ولاسيما عند سن القوانين يضطر الى اخذ آراء المجلس وله الحرية ان يعمل بها او يرفضها وهو لاء الوزراء يشبهون من وجوه كثيرة وزراء لويس الرابع عشر لاوراء ادوارد السابع وهم وزير الداخلية والخارجية والمالية والمعارف والتجارة والحرية والعدلية والاشغال العمومية ويحق لوالي مدراس وبومباي ان يحضرا في المجلس عضوين فوق المادة وهذا المجلس الوزاري يجتمع في المكان الذي يستنسب الحاكم العام فحينما التأم فهناك العاجمة . ويضاف الى هذا المجلس بعض الاعضاء فيصبح برلماناً في مجلس نواب فيكون نصف هؤلاء الاعضاء الاضافيين من الاعيان اوريبيين كانوا او وطنيين على ان لا يكونوا من موطني الحكومة يعني هم الحاكم العام فيذلك يصبح العصر الرسمي في هذا المجلس أكثر



من المنصر الاهلي وهذا المنصر قليل العدد ولذلك لاحكم له ومعاونته امدية سيئة الاغلب

اما المجلس التشريعي فله سلطة واسعة لا يقف امامها الا امتيازات البرلمان البريطاني وحقوق السلطة الانكليزية وتنفذ قراراته عند ما يصدق عليها حاكم الهند . وهذه الطريقة التي تسهل احوالة السلطة الاجرائية الى السلطة التشريعية تحل مسألة تقسيم الادارة على ايسر وجه في حين نخفها وحدة الآراء والاميال وفي مجلس النواب كما في مجلس الوزراء يعمل كل عضو بما فيه المنفعة العامة وينظر في المسائل التي يحسن معرفتها بخلو غرض ويعطي رأيه حراً وللموظفين ضمانات لانصر بالنظام ولكنها تقي اشخاصهم كل الوقاية

وبعد فان الحكومة العامة تنظر خاصة في المسائل الملكية كالديون العمومية والكوارث والرسم الاميرية والمقايسات والبريد والبرق ونفقات الحرية والادبان وقانون الجزاء والباثنا والملائق الخارجية والحقوق الادبية وغيرها فتوجه دقة السيادة الى الوجهة التي تختارها وتوحد بين المصالح العامة والخدم العامة فهي المتظلمة والمديرة وحافظة العهد الدستوري اما ولاء الاقاليم فلكل منهم مجلس خاص ومجلس تشريعي لاتسري احكامه على احكام الحاكم العام كما ان هذا لا يعتدي على امتيازات الامبراطورية وما عدا ذلك فالحكومة مالكة حريتها يرمتها ولها مطلق التصرف ان تقرر انشاء . ويخاطب واليا مدراس وبومباي لتدرا مباشرة ويتناولان التعليمات بانفسهما اما سائر الولايات فادارتها ترجع الى ولاء وبمضا الى متصرفين يعينهم الحاكم العام ويتناولون رواتبهم من الامبراطور ويختارهم من الموظفين الذين قضوا عشر سنين في الهند على الاقل وهم يخاضعون كلكوتا في شؤنهم ولكن في الامور الادارية ولهم سلطة كسلطة والي مدراس وبومباي ولهم الميزة عليهم بانهم اكثر خبرة وثقافة

اما الجيش فيؤلف من جيش عامل من الاروبيين والهندود ويقدر بمائتين وسبعين الفا منهم ثلاثة وسبعون الفا من الانكليز ومن جيش مساعد تقدمه الامارات الوطنية المستقلة عدده ٣٨٠ الفا ولكن على الورق فقط وعنده اربعة آلاف مدفع واذا استثنى من الجيش العسكر الانكليزي وبعض الاولايات كالسجين والباتام والغوركا فالجيش الهندي لا يتاوي شيئاً . واذا استثنى من الجيش المساعد فيلق مملكة الكواليور لابساوي شيئاً ايضاً . قال احد كبارهم ان هذا الجيش عبارة عن خليط من الاوباش لاعلم

له بالتدريب الحربي وليس لديه سلاح منظم وإن الابين او ثلاثة من جيشنا مع بطارية خيالة تمزق شمل خمسين الفا من مثل هؤلاء المحاربين فجموع هذا الجيش العليل وقدره سبعمائة الف مع الجيش الإحتياطي هو عبارة من تفصيل يزول كالسراب او كالبدخان عند مداممة الخطر

وتقسم كل ولاية واراداتها مع الولايات العامة على نسبة محددة وتقوم بنفقات القضاء والمعارف والاشغال العمومية واعانة البائسين ولكل ولاية الحق في ان تستلف تقودا على واردات خمس سنين تصرفها في الطرق التي تراها نافعة لعمران ولايتها وتقتصد ماشاء وفي الهند اربع محاكم عالية في بومباي وبخال والبنغال الغربي ومدراس تميز اليها اهم الدعاوي المدنية والجزائية ويختب اعضاؤها من قبل السلطة الانكليزية وبقبض كل عضو من مئة الف الى مائتي الف فرنك راتبا سنويا وفي كل حاضرة ولاية محكمة استئناف ومحكمة جزاء نقالة ثم محاكم المقاطعات ويسمى تارة الى استعمال قانون لندرا واذا وقع اختلاف بين اورييين من رعايا انكلترا يطبقون عليهم القانون الهندي واجبا قانون الجزاء الانكليزي الهندي

ومأمورو الادارة المكية عبارة عن ٧٦٥ موظفا فيكون بذلك موظف واحد لكل ربع مليون ساكن وتحت ايديهم صفار الموظفين من الوطنيين «١» ومن مبداء انكلترا في الهند ان تقي جميع الوظائف الكبرى في ايدي اورييين وتعطي جزءا محما منها للوطنيين ولا ترى الحكومة ان تقبل احدا من رعاياها الهنود وتجهلهم انكلترا في جنسيتهم وهم يهزون من فرنسا التي جنست رعاياها في بوندشيري بجنسيتها واعطتهم حق الانتخاب لارسال نواب واعيان •

اما الامارات الهندية المستقلة فهي منقسمة الى طبقتين نقلت في الاولى السلطة الانكليزية عليها ومنها الامارات الاسلامية التي تركت وشأنها لان ذلك اقصد في النفقة عليها ولكن حالتها الى الزوال لادنى اشارة تصدر من الحاكم العام ثم ان امراء تلك الامارات الاسلامية هم غرباء ويدينون بدين يكرهه السواد الاعظم من

«١» في الهند ٢٥٠٠ موظف وطني يقبضون مسانعة من ١٢ الفا الى ٢٥ الف فرنك فيكون عدد الموظفين الوطنيين الذين يقبضون من ٣٠٠ فرنك الى ١٠,٠٠٠ فرنك بنسبة ٩٠ في المئة

رعاياهم فيكذلك تجد في مملكة النظام مملكة حيدرآباد الدكن «١» تسعة ملايين من البراهمة لغاه مليون من المسلمين وفي سائر الممالك المستقلة (٢) خمسون مليون يرمي امامالك كوالور واندور وبارودا فليس لها من المهراتية الا الاسم لان اسرارها هم دخلاء عليها . اما ممالك الطبقة الثانية من الوطنيين فتختلف عن هذه كثيراً ومن هذه الممالك ميزور وراجبوتانا وترافانكور وجيبور وجوبور وملوكها هم من البراهمة ولئن اعتادوا العبودية فذلك لانهم كانوا الى عهد قريب خاضعين للمهراتيين والمغوليين ولذلك ترى الحكومة من الحكمة ان تضييق خناقهم وهي لا تخافهم ولكنها لا تترك اليهم الا قليلا قال جايس ستيفن : ان الانكليز في الهند هم نواب تمدن محارب وسلام تدعمه القوة وما من بلاد نظمت شؤونها وحافظتها للذة والراحة مثل الهند البريطانية ومضى خفت شدة الحكومة يكر نظام الهند كما : مأخوذ بسيل جارفا . وتقسم درجات التعليم في الهند الى ابتدائي ووسط وعالي وهو النقطة الضعيفة من ذلك البناء الانكليزي الهندي البديع

ان من يسكنون البلاد الواقعة بين نهر الاندوس وشاطئي كوروماندل ويطبقون عليهم اسم الهندو يجب ان يجعلوا من الشعوب التي تشتمل من الغريب وتعاديه شأن كل الشعوب التي لها تاريخ قديم وفلسفة معروفة وتمدن خاص بها وهذا يصدق على الاكثرية من البراهمة كما يصدق على الاقلية من المسلمين فالبراهمة يرون من واجباتهم ان لا يجحدوا تيمد شبر عن تعليم اولادهم الصنعة التي يعلمها آباؤهم بالارث وتناديهم الفروض الاجتماعية والعالية والدينية التي تصدر عن زعمائهم وان جزءاً من هذا الشهور ليتعلمه الطفل بالفطرة والتقليد وباقي يحصله في مدرسة قريته او يأخذه عن رئيسه الديني مع ما يأخذ من آداب امته ودينها فيملأ ذهنه بالتراكيب المبهمة والصلوات ولا سيما صلاة الغداة ومعناها : « لتعبد النور السامي من هذه الشمس ربة كل موجود في الوجود التي تقود فكرنا كما تقود عين معلقة بقبة السماوات »

اما التعليم الحديث فان رب الأسرة يدفعه عن اسرته شتمناً بقدر ما كان يشتمز لاركون من هدايا اليونان ويرفضها ولذلك يعز على البراهمة ان يخفونوا مبادئهم

«١» مؤسس هذه الدولة هو من نسل احد قواد اورنك زيب المشهور الذي خلص سنة ١٧٢٤ من سلطة المغول وعاصمة مملكته حيدرآباد وهي انكليزية بحضة جسيمة البقعة جميلة بين المدائن (٢) عدد هذه الامارات عشرون امارة وهي ماعدا مملكة باهوبال وباهاوال لاشان لها من حيث السياسة ودخلها ١٢٥ مليون فرنك

المقدسة وأكثر ما يحذرونه من الأمور التي يحملها اليهم الغرب المدرسة فأن شيئاً خفياً في فطرتهم يدعهم في السر: أياكم والمدرسة الانكليزية فهي عدوكم وعلى هذا حارت انكلترا في سياسة التعليم التي تجري عليها بين البراهمة لانها لا تستطيع ان تعلم التعليم الاوربي إلا اذا اضرت بمعتقداتهم الدينية ومعتقدهم هو وطنتهم وهي لا تريد ان يخرجوا عنها حتى ان انكلترا اضطرت سنة ١٨٤٠ ان تحجب مطالب ثلثائة الف رجل اجتمعوا في سهل بنارس بقمعون الحجّة على الرسوم التي تريد وضعها على البيوت وعزموا ان يهلكوا جوعاً او تحجبهم الحكومة الى الغاء هذه الرسوم فاجابتهم مكرهة مخافة ان يحدث وباء فاذا عادت روح الاعتصاب وسرت في اعصاب مائتي مليون رجل لمقاومة سياسة التعليم ، اذا تحمل بريطانيا ؟

ولم تر انكلترا اسلم لها من تلقين الهنود مبادئها بالدرج على ان تعلم ما تمليه ابتداءها في عاصمة الجزائر البريطانية وتشرّبهم حب الانكليزية على شرط ان لا يجيدوا عن جادة الاخلاص لها ولا يستنوا استعمال المفتاح الذي تسلّم اياه ويستخدمونه لفتح الباب في ابوابها والمسألة لا تخلو من اشكال ايضاً فيما يتعلق باهل الطبقة العالية من المسلمين فقد جاء في احد التقارير عن الهند ما نصه : « انا اذا صرفنا النظر عن الاسباب الاجتماعية والتاريخية في الشعب الاسلامي في الهند نرى لانخطاطهم اسباباً ذات شأن لها علاقة بتربيتهم التي تؤثر في حياتهم . » فتعليم الجامع يجب عندهم ان يكون سابقاً لدروس المدرسة ولا يتيسر اخذ الطفل من المسلمين الا بعد ان يقضي بضع سنين في مدرسة يتعلم فيها اللغة العربية والفقه الاسلامي ولكن تعليم المدرسة الدينية يقوده الى ان يتعلموا الخدم الدينية مؤثراً لها على ارجح المسالك والاعمال . وقد ايدت التجارب هذه الملاحظة اذ حدث ان حب الوظائف العامة قد اثر قليلاً في المسلمين في الهند وظلوا يهاومون التعليم الانكليزي كل المقاومة وطعن طالهم لم تمن الحكومة الانكليزية بان تجعل المسلمين اوريين كما حرصت على جعل الهنود كذلك ورأت انكلترا ان تنفذ الطبقة العالية من الهنود من الاهداف القديمة لتستخدم منهم اناساً في الادارة والقضاء والمالية وقد رأى اللورد ماكولى سنة ١٨٣٥ على ما فيه من العقل الذي اثر تأثيراً سيئاً في الهند ان من الواجب تعليم اللغة الانكليزية في مدرسة شبان الهنود من ارباب الطبقات المختلفة لترشح التربية الانكليزية من الاعلى الى الادنى وكان يقصد من ذلك ان يأخذ ما يترجم للبلاد من الموظفين من اهل البلاد انفسهم

وفي سنة ١٨٥٤ انشأت انكلترا ديوان المعارف العمومية ففتحت باذخال اللغة (الانكليزية) الى مدارس بنغال وبنارس ونظمت مدارس الوطنيين مع محافظتها لها على صفاتها الخاصة وفي سنة ١٨٥٧ اثمرت البذرة التي وضعها لورد ماكولي في تربة الهند فأسست ثلاث كليات في كلكتوتا وبومباي ومدراس على مثال الكليات الانكليزية فيها انواع الراحة والرفاهية وتدرس فيها العلوم التقليدية وانشئت في حاضرة كل مقاطعة مدرسة عالية وفي المدن الصغرى مدارس وسطى ثم انشئت كليات لاهور لاقليم پنجاب والله آباد لاقليم الشمال الغربي وساغ للمتخرجين من تلك الكليات ان يتدرجوا في المراتب مثل من تخرجوا من كليتي أكسفورد وكبريدج

فتخرج من تلك الكليات اناس من ارباب الذوق والادب والمشرعون وقلم في المتخرجين العلماء اذ لاحظ السير هنري مين ان عقل الهندي المتشدد لقبول ماحلاوطاب من المعارف هو محروم بما ينصور من قياس مدقق للحقيقة فالهندي يحيد التكلم والكتابة والتفكير الدقيق ولكنه متوسط الاستعداد للحساب والارقام واصبحت الحكومة تبحث الى تدريس بارقي طبقة من متخرجي كليات الهند ليكونوا نموذجاً على اشتغالها وراموزاً لمن طبعتهم بطابعها فكانت تكرم وفادتهم في لندرا ولم تعقم الوانهم السمراء وتناسب اعضائهم وحيونهم التي تفدح شرراً وقلماتهم القصيرة وحركاتهم المتساقطة وامزجتهم الشديدة عن ان يستميلوا قلوب الناس اليهم ونالوا من الكرم البريطاني انواع الرضاة والعناية وفتح الانكليز لهم ابواب دورهم الانيقة الشريفة كأن كل فرد منهم كان اميراً خطيراً وراجاً كبيراً فأخذوا بما شاهدوا وتكلموا على اجمل اسلوب وعاشوا عيش الوطنيين الانكليز وقدروا حتى قدره كل مافي الوطنية من الاحترام والامن والشرف والاستقلال العالي.

فكانوا يتعاشرون ويتسامرون ويعارفون في المجالس الى من يخطبون من الاناس المتفانين الشقر البيض ويلعبون معهن انواع الالعاب المألوفة والرياضات الانكليزية النافعة وكانوا في جميع احوالهم مثال الغرب في البستهم والترتيب في قاعاتهم حتى اذا اتوا دور التمرين التي كان كل يوم منها ابتسامة للمستقبل وتشبعوا بهواء الغرب وتبطنوا اسرار فلسفة هيريت سبتسر وشوبانهور ونيتش وخفت الفلتتهم بما علمت وتلبس شعورهم بالبدائع وحشيت عقولهم يضطرب مجلس النواب الانكليزي — يركبون البحر طائدين الى بلادهم بلاد الشمس والحرية يحمّلون اجمل ذكرى بما رأوه وفي صناديقهم

واصوتهم الاوراق المطيبة والزهرات القابلة وقطع من الشريط وبعض القساطلين يوثقون والكبر أخذ منهم ويعود محيطهم البرهمي يخيفهم ويرجعون الى سابق اوهامهم واحقادهم على الادارة الانكليزية التي لم تؤثر فيها كثرة تغذيتهم ببيادي اصحابها

ولقد شاعت اللغة الانكليزية بين امراء الهند حتى صارت لهم بمثابة لغة الاسبرانتو في الغرب يتكلم بها الهنود وهم من اجناس مختلفة واصحاب لهجات متباينة فالتكلمون باللغة السنسكريتية والبراكريتية والبالية والتيلنكا والبنغالية والهندستانية والمالاكالية والتامولية وغيرها من لهجات الهند يحسنون الانكليزية كما هلهلوا هذا امحدا انكلترا ان تضاعف مدارسها وكتاتيبها وكلياتها ثم رأت من الحكمة ان تعتمد على العنصر الاسلامي فاعظمت له مكانته واقلت من مكانة العنصر البرهمي فزاد ذلك البراهمة نفورا واخذوا ينادون في سرهم وجهرهم « الهند للهنديين » وارادوا محاربة الانكليز حربا اقتصادية فلم يكن من ابناء جنسهم اناس يكفون للظفر في هذه المعارك فلم يسهم الا ان يلبجوا للجانب فكان الالمان وهم الشعب الذي يحاول ان يخلف الانكليز في كل مكان هم الذين مدوا ايديهم للهنود واصبح ماخرجه هدمهم من بالات القطن وصناديق الشاي واكياس القهوه يسافر الى ميناء ممبورغ بدل منشستر

ثم حدثت مشاغبات وقتل وقتل رجال الثورة بعض اعضاء الحكومة فلم يسمع انكلترا الا ان تعطي الهند نظاما جديدا مصبوغا بالصبغة الديمقراطية اكثر من ذي قبل واشركت الهنود في سياسة بلادهم واستعملت انكلترا الرفق فحين دعوا الى الثورة من رجال الصحافة والحمامة وكان من تقربها من روسيا وتحالفها مع اليابان اكبر مقبر لهم الهنود عن نزع ايديهم من يد حكومتهم اما المسلمون الذين رأت بريطانيا بعد حين ان تعتمد عليهم فقد تجرعت نفوسهم وادركوا قصورهم خصوصا عندما رأوا اخوانهم شبان العنانيين الاحرار الذين حرروا المملكة الثمانية من السلطة الاستبدادية كل هذا ليصدق على سكان الهند ما قاله احد المفكرين من رجال السياسة الانكليزية « سبق للشعب الهندي على الدوام شاهدا ناطقا بالماضي غير ممسوس بيد الغرب الامسا خفيقا » ومحاولة تجديد شبابه هو من الغلط وقلة الخبرة .



## الايان

امتثلت الجرائد في هذه الايام باسم هذا القوم المحارب ويحذر بنا ان نذكر شيئاً من تاريخه ولو مختصراً لتعرف ما كان عليه في الايام الاخالية وما صار اليه الآن . وقد اتخذت قاموس الاعلام ، شمس الدين سامي بك اماناً وكتاب التاريخ لمؤلفه دوردي معاوناً

ان اسم هذا القوم فيما بينهم «اربايا» في قبيلة كيفه و «اربريا» في قبيلة طوسقه لأن هذه كثيرًا ما تبدل النون راء وكلاهما مشتق من اللغة الآرية القديمة من كلمة «آر» الحقل و «بان» من يعمل فيه او يحرثه او يزرعه فكأنه قيل لهذا القوم «الحارث» او «الزارع» لأنه هو اول من ادخل هذه الصنعة من آسيا الى اوربا ولما كان اليونانيون يدلون الياء بالواو لفقدان الاولى عدم دعوا هذا القوم «اروانيتيس» بزيادة «يتيس» وهي اداة النسبة عندهم اي منسوب الى اريان (ظنا منهم ان اريان اسم للأرض التي يسكنونها) والسين زائدة تظهر في أكثر كلماتهم حالة الرفع وتسقط في حالة النصب والجر وفي الثنية والجمع ولما دخلت الاتراك الى تلك البلاد اخذوا الاسم اليوناني فدعوه اراوايت بحذف السين الزائدة وتقديم النون على الواو تحريفاً (كما حرفنا نحن كلمة عربون وقدمنا الراء فقلنا رعبون) ونسقل اول الكلمة اقتضى ان يكون آخرها كذلك فبدلت الاء طاء وكسرت الواو ضمة لغير مسبب فصارت اراوؤد واوربا اليوم تدعوم «الباني» بتبديل الراء لاما وهما قريبا المخرج وكثيراً ما يتبدلان وفي العربية البرت والبت بمعنى واحد وهو القطع

تبين لدى علماء اللسان المحققين ان لسان الايان يشابه اليوناني القديم واللاتيني والصقلي والعروبي والفارسي والسنسكريتي وان هذا اللسان من اقدم شعب اللسان الآري . ومن يقدر ان يحكم ان الكلمات المشتركة بين هذا اللسان وبين اليوناني القديم هي يونانية اخذها الأيانيان والالبانية اخذها اليونانيون ؟

لا يقدر على ذلك الا العالم بكلتا اللغتين المتوغل فيهما . وقد ادعى شمس الدين سامي بك بأن كثيراً من الكلمات تبدل صورتها الالبانية على انها اصل وصورتها اليونانية واللاتينية على انها فرع . ( كما نعلم نحن العرب مثلاً ان يس وجندب اصل وان ايس وجند فرع ) ومن هنا يقتبين ان هذا اللسان اقدم من اليوناني واللاتيني

ثم ان شابهته لسان الفارسي والزند والسنسكريتي أكثر من غيره من اللسان الآرية  
الاورية تدل على انه لم يتشعب من هذه اللسانة التي هي شعبة من غيرها بل انه جاء  
رأساً من آسيا الوسطى أبان الهجرة الصومية

وقد انتخب هذا القوم لنفسه شرق أوروبا وطناً له كما ان انسابه السلتيين اختاروا  
غرب أوروبا . ثم تفرق فرقاً فمنهم من اقام في ايليريا وهي بلاد الالبان الآن وبومنه  
وهرسك ودالماسيا ومنهم من سكن في مكدونيا القديمة وهي عبارة عن سيروز  
وولاية سلانيك ومناستر واسكوب ومنهم من انتشر في تراكيا وهي اليوم  
ولاية ادرنة وقسم من بلغاريا ومنهم من بقي في آسيا ولم يدخل أوروبا وهم  
الفريجيون ومسكنهم من سواحل الاناضول في البحر الابيض الى سيواس وانقرة  
وقد ثبت بالأدلة التاريخية ان هذه الفرق الاربعة من اصل واحد الا ان اهل  
ايليريا اقرب الى اهل مكدونيا واهل تراكيا اقرب الى اهل فريجيا لغة وخلقا . وكان  
يجمعهم اسم (بلاص او بلاسغ) في قديم الزمان ويظن بعض علماء اللغة ان كلمة بلاسغ  
مأخوذة من كلمة «بلاق» الالبانية ومعناها الشيخ سموا باسم حكمهم اي مجلس الشيوخ  
حتى ان اهل الجبل منهم الآن يسمون مجلس الشيوخ فيما يخطفون فيه ويسمونه  
«بلاقوتيا» . ومن هنا يعلم ان هذا القوم العظيم انتشر قبل الف سنة من ترويسا في  
بلاد المجر الى سيواس في الاناضول . اما من كان في الاناضول فقد استولى عليهم  
الفرس ثم اليونان ثم الرومان فاختلطوا بهم فضاعوا وانقرضوا . واما من كان في مكدونيا  
وايليريا فقد زاحمهم البلغار والصقالبة حتى اجتمعوا كلهم واكتفوا بالقسم الجنوبي من  
ايليريا . وكان هؤلاء لا يختلطون بغيرهم من الأمم ولا يؤلفون جامعة لهم ولا يخطرون  
ذلك في بالهم بل كانوا يعيشون متفرقين كما هو حال اهل الجبل منهم الآن في جوار  
ديره واشتقورة ولذلك حافظوا على لسانهم وعاداتهم واخلاقهم . ولكن لم يحصلوا من  
الاديانات القومية على شيء لفقدان الجامعة بينهم .

اقام عليهم زمن اسس فيه بعضهم دولة فكان منهم حكومة في اشقودرة واخرى  
في يانية وثالثة في مكدونيا وركز هذه بلدة «بلا» على نهر «نهر آرمق» قرب بلدة  
«بيكيه واردار» من نواحي سلانيك ومن ملوكها اسكندر المشهور ابن فيليب وهو الباني  
الاصل والنسب تعلم اليونانية لا دابها في ذلك الوقت فظننه الناس انه يوناني واكبر دليل  
على انه ليس يوناني خطب ذلك الخطيب اليوناني الشهير «ديموشتن» وتحريره لأهل



أثينة وتسميته له في تلك الغلظ باسم «باراروس» (\*) اي اعجمي وكانوا يسمون كل من لم يكن يونانياً (باراروساً) كما ان العرب تسمي كل من لم يكن عربياً (اعجمياً) ومن أشهر ملوك ياثيه (بيروس) فقد غلب الرومان مرتين واستولى على كثير من البلاد حتى توسع ملكه الى اليونان ومصر ولم يكن همه الا الظفر فقط ولذلك لم يترك لبنيه الدين ودرثوه الا ما ورثه عن ابيه .

ان الالبان الذين استولوا على العالم بأسره في عهد اسكندر ابوا ان يكونوا في أسر الرومانيين ولقد كانت لهم وقائع عظيمة معهم دلت على شجاعتهم وبسالتهم الى ان اتى «بول اميل» (١٦٨ ق م) بمسكر جرار فغلبهم وغرب لهم سبعين قصبة (قرية وأكبر منها) وأسر منهم مائة وخمسين الفا وساقم الى رومية وباعهم هناك عبيداً . انظفون انهم بعد هذا اطاعوا الرومانيين كلا فأنهم التجأوا الى الجبال وتحصنوا فيها وتركوا الاراضي الخصبة وآثروا الفقر مع الحرية على التروية مع الأسر .

وهكذا كانت حالهم لما دخل ملوك بني عثمان الى الروم ايلي وفي سنة ١٤٢٠ من الميلاد ظهر من بين رؤسائهم امير يقال له اسكندر بك وكان رجلاً شجاعاً مديراً يجمع القبائل كلها تحت رياسته وقاوم المساكر العثمانية اربعين سنة ولما هلك استولت الدولة العثمانية على جميع تلك البلاد فمنهم من رأى الغربة فهاجر الى فلاديا وصقلية ومنهم من ذهب الى البندقية وجنوه ومرسيليا ومنهم من اداء السيرة الى اسبانيا . ومنهم من اختار الأقلعة وهداه الله فاسلم ثم انتشر الاسلام بينهم ولم يبق على دينه القديم الا مقدار الثلث ومذهب النصف منه اورتودوكس والنصف الآخر كاثوليك . وقد ظهر منهم رجال نبغوا في هذه الدولة حتى احرز الصدارة منهم عشرون وزيراً ومن أشهر قوادهم في الجيش العثماني ستان باشا وآثارة تدل عليه وهو اول من ادخل البلقان وثمان في حوزة الدولة وواصل علمها الى الاراضي المجهولة في ذلك الوقت مثل آجينة وصوماطره وكذلك الوزير المعروف بكويريلي محمد باشا فانه وصل الى اسوار فينا مغفراً .

يمتاز الالباني بانه طويل القامة غليظ العظام عصبي المزاج حكيماً التسامح واسع الناصية ( وهذا مما يدل على ذكائه ) . يرضى العهد ولو كان فيه الموت الاحمر . يقدي

(\*) عربنا الواو اليونانية بالباء لأن العرب جميعهم اصطلموا على ذلك وتبهم الفرنساويون اليوم أيضاً فقلنا الباسليق وقال الفرنسيون كذلك والاصل واسيليقوس نبهنا على هذا لتلا يظن انه يوجد باله في اللغة اليونانية

زوجوه في حفظ قبيلته وعائلته بل لا تقاؤ كآلة خرجت من فمه . ينبتنر تجتار الابال في مشيته خفيف الحركة سريع الخطو . يعلب على نسايتهم الجمال الا انين غليظات الابدان عليهن ملامح الرجال ، لا يبالين بالحجاب ولكن الرجال يغازون اشد الغيرة عليهن فاذا احسوا بان فثاة او امرأة خرجت ولو قليلا عن دائرة العفة قولا او فعلا فتكوا بها فتك ظالم غدار ( لله درهم ودر العرب الدين لم تقصد اخلاقهم ودر هذه الغيرة التي نعددها نحن المدينون توحشا ) نساؤهم صنائع اليد كثيرات الجد والكد ، هن ربات البيوت والرجال عمدن كآتهم ضيوف . لا يتزوجون الا الاكفاء ولو بعدت المسافة بينهم . يهرمون بانهم من الارث ( عادة ورثوها عن آباءهم ) ولا يعطون شيئا حتى ان ثياب العرس يشترها الزوج . صلابتهم في دينهم شديدة الا انهم يتهاونون في العبادات ولم بعض عادات انتقلت لهم من النصرانية او من دين اجدادهم يحافظون عليها الى الآن . يرون الاتفاق فيما بينهم فرسا ولو اختلفت ديانتهم . فهذه ميزة الابان باختصار .

واما لسانهم فقد ذكرنا انه شعبة منسقة من اللسان الآري لكنه لم يحذو حذو اخواته كاليونانية واللاتينية فيبقى الى اوج الفصاحة والبلغة الا انه اقدم منهما لما يرى من اسماء الالهة في اساطير اليونان واللاتين فانها منه اخذت .

وقد اكتشف الذين يتقنون عن الآثار القديمة في « طوسقانه » من اعمال ايطاليا خطوطا قديمة لم يمكن حلها باللسان اللاتيني واكتشفوا في فريجيا ايضا خطوطا تشبهها فجربوا فيها اللسان الاباني فوجدوها تشبه غاية المشابهة ومن هنا يظهر ان لهذا اللسان خطوطا تخص به . وعندهم بعض كتب تتعلق بمذهب الكاثوليك ألفت منذ خمسمائة سنة ولا اظنها مكتوبة الا بالحروف اللاتينية وفيها المنظوم والنثر . ويحفظون بعض اغاني وطنية يرجع انشاؤها الى ثمانية او تسعة اعصار . ولا فرق بينها وبين لسان اهل هذا العصر الا في التعبيرات الدينية لان النصارى اتخذوها من اليونانية والمسلمين اتخذوها من العربية وكلاهما ترك اصطلاحات الدين القديم .

واما حروفهم التي يتنازعون لاجلها الآن فلست اظن انها تلك الحروف المكتشفة في طوسقانه وفي فريجيا على انه لا يبعد ان تكون تلك الا انها اصلحت كالحروف العربية في بادئ الامر وشكلها الآن . ولما زادت المحادلات بينهم واخبرت الجرائد بذلك احبت ان ارى هذه الحروف فاخذت كتاب الف باقيه دروس القراءة

اللابانية . فوجدت كلمات هذا اللسان تتركب من احد وثلاثين حرفاً واسع حركات جعلوا لها ( اي لهذه اللابانية والثلاثين ) ستاً وثلاثين علامة «\*» اما الحركات فتلفظ همزة في اول الكلمات فقط ولذلك عددها من الحروف . واما الحروف فانها تنقص عن العربية في اشياء وتزيد في اشياء . ينقص هذه اللغة من الحروف الخاء والصاد والقاد والطاء والعين وتزيد عن العربية بهذه الحروف :

١ تس : حرف تفتزج فيه التاء بالسين فيحصل صوتاً مثل ج من لم ولد صغيراي

بين «م» و«ج»

٢ ج : كما في التركية والفارسية

٣ دز : صوت يحصل من امتزاجهما ولا سبيل نفهمه الا بعد سماعه

٤ ر : راء مفخمة جعلوها مستقلة عن الراء المرفقة

٥ ق : كما في التركية والفارسية

٦ ك : حرف بين الغين والياء : لا هو غين ولا هو ياء لكنه اقرب الى الياء

منه الى الغين

٧ ل : لام مفخمة كالتي في لفظة الجلالة تقدمها فتح او ضم

٨ ف : نون ساكنة بعدها ياء وهي اشبه شيء بـ gn الفرنسية

واما العلامات فقد اخذوها من لسان الفرنسي عينا الا ان الـ e الفرنسية وضموها لحرف « تس » وهي وضموها لحرف ج و x وضموها لحرف « دز » وما زاد عن الفرنسية فقد اتخذوا له علامات لا تخرج عن وضع العلامات الفرنسية الا بزيادة خط معوج في رأسه او اسفله . سلايك ر ب

«\*» يطلق الحرف ويрад به ما تتركب منه الكلمة بقطع النظر عن شكله فيسمع ولا يرى ويطلق ايضا ويрад به الشكل المكتوب على لوح او ورق فيسمع ولا يسمع والفرق بينهما عبرت عن الاول بالحرف وعن الثاني بالعلامة . جعلوا للذال والطاء علامة واحدة وللحاء والهاء علامة واحدة ولذلك كانت ٣٦ علامة مقابل ٣٨ حرفاً

## حكم افرنجية

ملاحسن حال من يعتقدون انفسهم بانسين وهم ليسوا الا فارغين ملولين ( الفرد دي موسيه )

منج الباري تعالى الصداقة بالحياة لينشر في اطرافها السرور والسوى والظرف ( بولتارك )

حيثما استطاع الانسان ان يرزق فهداك يعيش عيشاً حسناً ( مارك اوريل )  
اعظم غلط يرتكب في الثرية ان يجمل المرء في تلقينها (جان جاك روسو )  
ليست معرفة الطاعة من الضعف بل هي قوة عظيمة ( جانت )  
الثرية يوضع القواعد طويلة الاذيال والقصير منها الثرية بالمثال الحسن ( سنيك )  
من فطرة الطمع انه مغاضب لكل مايملك ( مين دي بيران )  
في وسعنا ان نبدو عظماء في وظيفة هي دون اقدارنا ولكننا كثيراً ما نبدو صغاراً في وظيفة هي أكبر منا ( لاروشفوكولد )

الناس كاللدائن فالمدخنة التي يخرج دخانها كثيراً ليست ذات هندام حسن .  
كثرة البطالة يخالف الفضائل فمن لم يعمل عملاً لا يبعد ان يعمل شيئاً  
في العادة ان المرء لا يستصح الا ليعتمد عن العمل بما نصح به او ليؤم من  
نصح له

من الناس وكثير مام من لا يندمون حقيقة الا من اعمالهم الصالحة .  
فما يكون المختال جسوراً فالمرء كلما اعتبر نفسه تعرض للهلكة .

الجامع لا يكون حراً

كثيراً ما يكون علم القلب على المصاعب عبارة عن تقديرها بقيمتها الحقيقية .  
يستعد الطمحن عن طيبة قلب ان الخطة لا تثبت الا تحريك طامحوه  
كثيراً ما يكون الاسراع في اصدار الحكم خالياً من روح العدل .  
لأن كل شيء يثقل جسمك ولا تشرب حتى يطير عقلك .

الندم اتع الشعور الصالح

الرحمة تجمل المساواة حتى في التعذيب

الحياة ضارب فالسيد من كان حسابه مستقيماً

## غرائب الغرب

دار معونة العلماء

١٥

هي الدار التي انشأتها الأنسة دوسن شقيقة العقيلة تير امرأة تير .  
وهو العالم المؤرخ اول رئيس للجمهورية الثالثة نفع هذا الرجل فرنسا  
بحياته فاحبت امرأته ان تخلد ذكره بعد مماته فلوصلت بال يصرف على  
تأسيس دار تؤوي خمسة عشر رجلاً من شبان العلماء يكفون فيها مؤونة  
الحياة المادية ويفرغون للبحث والدرس ليكونوا صلة بين الكليات التي  
تخرجوا فيها والجامع العليا التي يراد اجلاسهم في قاعاتها . ماتت العقيلة تير  
على حين فجأة فنفذت وصيتها شقيقتها ووقفت مالا بلغ ريعه مئة وخمسين  
الف فرنك

ان من يزور هذه الدار المباركة ويطلع على اعمالها ورجالها يوقن كل  
الايقان بالمثل الافرنجي القائل بان « فرنسا تبتدع والمانيا تعمل » . الفرنسيس  
يتكرون في كل شيء وهذه الدار هي من مبتكراتهم وما اظن لها مثيلاً عند  
الالمان والانكليز والاميركان سادة العالم في العلم وقادة الابداع والاختراع .  
زرت هذه الدار مرتين وتشرفت بالتعرف بمديرها احد كبار فلاسفة  
فرنسا وعلمائهم المعاصرين المسيو اميل بوترو — ومشاهير الفلاسفة المعاصرين  
من الفرنسيس اليوم هم بوترو وفوليوريو وبرجسون

ولم اتقن في حياتي ان اكون فرنسوي الاصل والجنس الا لما رأيت هذه  
الدار وعلمت انها لا تقبل في حجرها الا الفرنسيين . تمنيت ان اعيش فيها

المدة المحددة لكل طالب انفرغ لدرس اجاث تجول في الصدر ويعوق الزمان والمكان الآن عن اتمامها .

هذه الدار سميت باسم تير *La Fondation Thiers* والاولى ان تسمى دار معونة العلماء لانها ليست مدرسة للمدارس ولا كلية كالكليات ولا مدرسة دينية كالمدارس الدينية بل هي دار يقبل فيها كل سنة خمسة (١) من شبان العلماء من نابني الكليات يحملون شهادة « الليسانس » او « الدكتور » في الآداب او العلوم او ممن نالوا جائزة من جوائز المجمع العلمي في الابحاث التي تجري فيها المسابقة بين ارباب الافكار والاقلام تحت نظارة للجامع العلمية الخمسة في باريز فيفوضون ثلاث سنين في هذا المعهد ينصرفون فيها الى الفن الذي يريدون الاختصاص فيه فيبحثون بانفسهم لانفسهم تحت رعاية مدير المعهد فيلسوف فرنسا اميل بوترو الذي يعيش واياهم في المعهد كما يعيش الاب مع بنيه ويمدحهم بآرائه ويهديهم الى اقرب الطرق للارتفاع بمعارفهم ووضع مؤلف او مؤلفات نافعة في الفنون التي هي احب من غيرها الى قلوبهم ولا ينشرونها الا اذا نظر هو فيها واقرهم عليها . واي عالم لا يجب ان يتشفع في عمله برأي عالم كالسيو بوترو بلغ السبعين او كاد من عمره وهو يقني ليايله وايامه في العلم والفلسفة

بشروط فحين يدخل دار معونة العلماء ان يكون ممتازاً بعقله واخلاقه ويفضل من يرتقي اساتذته اخلاقه ونبوغه ويشهدون فيه شهادة حسنة

(١) اعتدنا في هذه المقالة على ما كتبه السيوا اميل بوترو بشأن معهد تير العلمي في مجلة الافكار الحديثة ومجلة وشنشريف *Wochenchrift* الدولية الالمانية وغيرها من المهارس والقوائم

وان يكون دون السادسة والمشرين من عمره غير متزوج وقد قضى الخدمة العسكرية ويعطيه المعهد ستين ليرة في السنة لتنفقته الخاصة وثلاثين ليرة ليسج بها سياحة علمية وتعطيه غرفتين فسيحتين فيها اسباب الراحة والرفاهية احدهما لنومه والثانية لعمله بحيث يكون الشبان العلماء الخمسة العشر وعمر عدد الموجود منهم في المعهد ابدًا موسعًا عليهم لا يطلب منهم الا ان يؤلفوا ويبحثوا ابحاثًا علمية وتنفع امتهم وبلادهم ويقسم عدد من كانوا فيها سنة ١٩٠٨ - ١٩٠٩ من شبان العلماء الى رياضيين ومؤرخين ومتشريحين في السياسة والاجتماع وعالم في اليونانيات وحقوقيين وفلسوفين ومؤرخ وموسيقار وعالمين في الجرمانيات ومؤرخ في الآداب الفرنسية وجغرافي وقد انشي هذا المعهد سنة ١٨٩٣ فيكون عدد من اعانهم على الاختصاص في العلم حتى الآن ٨٠ عالمًا وكلهم وضعوا المؤلفات المنشعة لنافعة العلم عامة وبلادهم خاصة وقد بلغت واردات هذا المعهد مئة وخمسين الف فرنك في السنة يتناول منها المدير عشرة الآف فرنك .

قام معهد تير العلمي في اجل حي من احياء باريز في حي الاشراف والنبلاء بالقرب من غابة بولونيا الغناء غربي مدينة باريز في الحي الذي توجر الدار فيه اليوم بثلاثمائة الف فرنك مسانئة وسط حديقة انيقة تحيط بها الحدائق في مكان يجمع الى السكون المطلوب للعلماء والمؤلفين ولا ينفذ عن سائر احياء العاصمة وما يلزم لهم من المواد المفرقة في مكاتب باريز المختلفة ودور العلم والمستودعات والجامع والمتاحف وغيرها بحيث هم بعيدون قريون عن الحركة العلمية والسياسية والاجتماعية وليس في المعهد مكتبة كبرى لانها على اتساع مساحتها لا يتسع صدرها لكل ما يلزم المؤلفين فيها من المواد بل

فيها فقط كتب الفهارس والمعاجم والمراجعة والامهات التي لاغنية لكل عالم عنها وما عدا ذلك فمكاتب باريز وعلماؤها ودور سجلاتها ومتاحفها على قيد غاوة من سكان هذه الرحبة الشريفة يأخذون منها ماراتهم كل ساعة .

وليست هذه الوسائط هي كل ما في معهد تير من المعونات لعلماؤها بل ان لهم بفضل الشيخ الرئيس مديرهم الحكيم الكبير اعم الاسباب التي تربطهم بعلاء العالم وبمجامعه وكلياته فهم كسكان الجنان توفرت لهم كل الوسائط فلم يبق عليهم الا ان يقطعوا من ثمار بحبوها كل قريب وذن

يعيش هؤلاء العلماء عيشة مشتركة فيتناولون طعامهم معاً ويلعبون ويتنزهون معاً ويبحثون عن العلوم التي يمتنون بها معاً ويغزلون هكذا يعيشون عيشة الاتراب العاملين على ما تعلموا في طفولتهم في المدارس والكليات ويستفيد بعضهم من بعض في العلوم المختلفة ويعاون بعضهم بعضاً معاونة الاخوان ويترفهون رفاهية لا تمتنع بها الا عقلاء الاغنياء

قام هذا المعهد المفيد تحت رعاية العلماء من اهل المجمع العلمي وحققت فيه مؤسسته العقلية تير وشقيقتها مارسمه النظار على ذاك المعهد امثال جول سيمون ومنيه وبارتلمي سان هيلير فكان تير الذي عد من نوابغ القرن التاسع عشر الذين خدموا بلادهم خدمة تذكر على الدهر فتشكر نافعاً لامتته في حياته بمقله وفي مماته بالاله . فتى يصل الشرق ياترى الى هذه الدرجة في العقل والاحسان ومتى يكون علماؤه من اهل السمة واليسار الى هذا الحد ليحسنوا الانتفاع باموالهم كما احسنوها بعلومهم

ان شبان العلماء في هذه الدار بعد ان تعلموا ورأوا العلماء كيف يعملون يحتاجون لهم ما تعلموه ان يعانوا لينشأ منهم افراد متفردون في العلم فيتحولون



بهذه الوساطة من تلامذة الى اساتذة اكفاء ان يكفوا انفسهم وان يوجدوا  
 ويخترعوا وهذا موقف على ان يستجمعوا قواهم ولتتمتعوا بحريتهم وواقاتهم على  
 ما يشاؤون فالعمل كما قال اميل بوترو هو السرور على شرط ان لا يكون  
 صاحبه مستعبداً فيه لاحد ولا لمؤثر بل يقوم به مدفوعاً فقط بمامل نتائج  
 الطبيعية وهي الابداع والابداع . وما التربية الا ان تخرج كل انسان على  
 ما ينفع فيه ويتيسر له النبوغ في فروعه . التربية هي تخرج المرء اولاً في  
 مجموع البادئ العامة التي هي وقف خلفه لنا اسلافنا بتجاربهم وسموا ذلك  
 العقل ثم تخريجه ثانياً في ان يكون مخلصاً متفرداً في علم واحد يكون فيه على  
 بصيرة على نحو ما يتطلب ذلك العلم الحاضر والمجتمع الحديث ثم ينشأ ثالثاً  
 ممن دخل في هذين الطورين في التربية فيلسوف يدرك قيم الامور ويعرف  
 الصلات المتبادلة فيما ينصرف اليه العالمون على اختلاف معارفهم ويبحث في  
 ان يوفق توفيقاً حسناً بين الحياة الخاصة والحياة العامة . وكل هذا لا يفهم  
 مفزاه شرقنا التمس الآن .



تأخي الغربيين

١٦

كل فكر ومذهب في الوجود نتيجة الدعوة اليه وتجييبه الى النفوس . عرف  
 الغربيون هذه القاعدة فحروا عليها في كثير من اعمالهم وكان من ثمرات الدعوات  
 السياسية والدينية تأليف الوحدة السويسرية والامانية والاميركية وتوحيد  
 كلمة الجزائر البريطانية وانتشار للذاهب الاجتماعية والاشتراكية والفوضوية  
 وكثيرة من يدبنون بالمذاهب البرتستانئية والفلسفة

وقد قام هذا الشهر في فرنسا جماعة ممن يفكرون لحيرها رأوا ان بلادهم تستفح كثيرا من تحسين صلاتها مع اميركا فآلهوا جمعية دعوها « جمعية فرنسا اميركا » مؤلفة من علماء وسياسيين وقواد واجتماعيين ومعلمين وفي رأسها المسيو جبرائيل هانوتو واحد اعضاء المجمع العلمي وصاحب التأليف الكثيرة في التاريخ والسياسة ووزير خارجية فرنسا الاسبق وقد انشأوا البث هذه الدعوة بمجلة شهرية باسم جمعيتهم تدعو الى هذا الغرض استفتحتها رئيس الجمعية بمقالة في الغرض الذي يرمون اليه وكتب في المجلة الاسبوعية مقالة طويلة الدليل في هذا الشأن فرأيت ان اخص للمشاركة لباب هاتين المقالتين دلالة على ما يأتية المغاربة من الاعمال النافعة لمستقبلهم لنعي على انفسنا نومنا عن النظر في مستقبلنا

قال هانوتو : ان النجاح مقود بناصية من يعمل في الوقت اللازم ولوجهما وجهتا منذ سنة ١٨٦٠ الى اميركا الشمالية والجنوبية لما احتجنا اليوم الى دعوة امتنا لتعريفها بما نعرفها به . هبت علينا الزعازع السياسية والاقتصادية منذ ذاك الحين واذ قد سكنت الآن وجب علينا ان نعمل عملاً يجمع في مطالويه احسن الفوائد

تبدلت الارض غير الارض في خمسين سنة حتى صبح ان نقول ان قارتي آسيا وافريقية كأنهما اكتشفنا حديثاً فكثرت مواصلاتها وحملت اليها المدينة والحضارة وجرى تعليمها واستعمارهما وكان لفرنسا من هذا التحول الغريب حصّة موفورة . فقد غير دلسبس بفتحته ترعة السويس شكل الارض كما ان جول فري بموافقه على السياسة الاستعمارية قد حاز لنا قسماً كافياً من قسمة الاراضي الجديدة .

وبينا كان الشرق يستدعينا غذا الغرب يذكرنا ويستغني عنا . فان  
مسألة باناما المشوومة التي جاءت بعد مسألة المكسيك قد اثرت في علاقاتنا  
مع اميركا الشمالية والجنوبية واستغرقت التداير الاوربية الكبرى التي  
اضطرتنا الى مجاراتها فكرنا وقوتنا المادية . وانحطت بحريتنا التجارية  
فضعفت بضعفها اسبابنا في العمل واحتفظنا باساليبنا القديمة التجارية فسبقتنا  
شعوب اكثر منافاة واكثر مضاء واقل مطالب ومشاعب

نعم تقدمنا وتأثنا ولكننا لم نبرح كما كنا في قوتنا على عهد نابوليون على  
حين كانت اميركا بثروتها وقوتها وعظمتها تتقدم تقدماً لا يوصف فقد  
كان سكان الولايات المتحدة سنة ١٨٧٠ - ٣٦ مليوناً اي ما يقرب من  
سكان فرنسا على التقريب فاصبحوا سنة ١٨٩٠ - ٦٣ مليوناً وهام بتجاوزون  
اليوم الثمانين مليوناً . وفي كندا اليوم زهاء ٦ ملايين من السكان وفي  
الجمهورية الوسطى والمكسيك ٢٢ مليوناً واصبحت اميركا الجنوبية ٤٥  
مليوناً وكان فيها سنة ١٨٩٠ - ٣٥ مليوناً

وكان مجموع تجارة الولايات المتحدة سنة ١٨٧٠ خمسة مايلارات ونصف  
فرنك فاصبحت اليوم زهاء ١٦ ملياراً وكان مجموع تجارة كندا سنة ١٨٧٨  
= ٧٥٠ ٧٩ مليوناً فاصبحت سنة ١٩٠٥ = ١٩٠٦ مليارين ونصفاً . ومجموع  
تجارة اميركا الوسطى والمكسيك مليارين ونصف وجمهوريات الجنوب  
اكثر من اربعة مليارات منها ملياران ونصف للبرازيل ومليار للجمهورية  
الفضية .

وعلى الجملة فقد بلغ مجموع ما هالك من نفوس ١٦٠ مليوناً من البشر ومجموع  
التجارة اكثر من ٢٥ مليار فرنك واحداث اميركا حركة كبرى في العالم

بدخولها مضمار الاتجار فاثرت في فرنسا تأثيراً غير قليل وكانت هذه الى ذلك التاريخ قرية تجارتها من انكلترا اي لها المقام الثاني في التجارة فاصبحت اليوم في الدرجة الرابعة بعد انكلترا والولايات المتحدة والمانيا . اي اننا فقدنا ما كان لنا من المكانة قديماً ففحن اليوم نريد ان نستعيد منزلتنا الاولى او ان نفتنم الوقت الضائع فالمسألة ليست متعذرة ولكن تقتضي لها الارادة والتفكر والعمل على طريقة منظمة والعودة الى تقاليدنا والانتفاع من اسبابنا

اما الولايات المتحدة بما لها من المركز الذي احاط بطرفي البحرين المحيطين فهي المعينة على اعمال العالم فان عدات الحالة بين اليابان وروسيا فلا يبعد ان يجيء زمن تتداخل فيه في السياسة الاوروبية وان الفرنسيين في كندا يبلغون مليونين ونصفاً ومثل هذا العدد من الفرنسيين منتشر في جمهورية الولايات المتحدة ولا سيما في الجنوب واللغة الفرنسية في هايتي هي اللغة الرسمية فاذا حسبنا المستعمرات الفرنسية في كويان وجزائر الاثيل يضبح عدد الفرنسيين ومن يتكلمون باللغة الفرنسية من الاميركان ليس بقليل

وان مالنا من الايادي في اميركا ولا سيما وقد قرن فيها اسم لافاييت الفرنسيين باسم واشنطن الاميركي اللذين ساعدا على استقلال الولايات المتحدة وما وضعناه فيها من اموالنا وقنابله في جمهوريات الجنوب من البعثات العلمية والمسكرية والمشاريع الاقتصادية والمالية كل ذلك يدعونا بلسان الحال الى ان نصل الحاضر بالماضي وان لم تكن سلسلة الصلات قد قطعت كل القطع

والناس مهما تقلبت بهم الحال لا يزالون يذكرون لفرنسا بيض اياديها على المدينة واذا نسوها فانهم لا ينسون باريز التي تنشر انوارها على العالم واليهما يحج الآلاف من الاميركيين كل سنة للتنزه والارتياض والاستفادة وكما كثرت الرفاهية في ديارهم تدعوهم الدوبجي الى نزول باريز وما في اراضي فرنسا من المصايف والضواحي كالشاطي' اللازوردي (كوت دازور) فان مجموع الاميركيين الذين يختلفون كل سنة الى ديارنا لا يقلون عن مليون سائح . فعقد الصلات بين فرنسا واميركا فيها كل ما نحتاجه من الاسباب القوية فان كانت اميركا الشمالية تدعونا اليها بما فيها من القوة والعظمة فاميركا الجنوبية تتادينا اليها القرابة لان عناصرها لاتينية وترتبتها لاتينية فمن كندا الى مضيق ماجلان مارين بالكسيك والجمهوريات الوسطى ترى الدم اللاتيني ممزوجا في شرايين العناصر الجديدة وعلى اميركا الجنوبية يصح اطلاق المثل القائل « هذا دم لاما »

ومثل هذه الجمعيات نفعتنا في القارات والاقطار الاخرى فقد كانت جمعية « افريقية فرنسوية » اعظم معاون للحكومة في اعمالها الاستعمارية وجمعية « آسيا الفرنسية » اخذت على عاتقها مثل هذه المهمة وجمعية « امراكش » تعمل على نشر الافكار الفرنسية في الغرب الاقصى ف نحن بجميعةنا هذه لانأخذ الى اميركا من معارفنا بقدر ما نأخذ عنها . فلا نري الى الدخول فيها ونشر كلمتنا بين ابنائها بل نود ان نعاونها ونحالفها نريد ان نتعلم عليها ونجن ابناء المدينة القديمة درسا في النشاط والمضاء فان كانت لمدينتنا القديمة كنائسها ويصعها فللمدن الحديثة معاملها ومصانعها فمن تقنم بامتصاص التاريخ امامهم فينشقون ارجح المستقبل

قام في واشنطن مثل عملنا هذا يرمي الى التقرب بين جميع العناصر في العالم الجديد سموه مكتب الجمهوريات الاميركية انشأته الولايات المتحدة بحسرة الحكومات الاخرى، ومنحه المستر كارنجي مبلغاً جسيماً من المال وهو يفتح قاعات لاقاء المحاضرات والاجتماع ومكاتب لاختذ المواد والتعليمات وخزائن كتب ومجلات كبرى وينشر مجلة للدعوة الى هذا الغرض وذلك على صورة رسمية كما ان اسبانيا انشأت مثل ذلك للتوفيق بين اسبانيا واميركا وبمثل ذلك قامت البرتغال للتوفيق بينها وبين البرازيل . وفي المانيا اتحدت الكليات واعمال الرجال على جلب ابناء الاميركان وتلقبهم التربية الجرمانية لما شاطر جميعتا فهو ان نجيب فرنسا الى تقوض اميركا ونعرفهم بها ونجيب اميركا الى تقوض الفرنسيين ونعرفهم بها

ولأبأس هنا بذكر شيء من تلك العظيمة الاميركية التي ادهشت السالين المدني والحشي فان مدائن نيويورك وشيكاغو و ان لوي وسان فرنسيسكو قد امتازت بنائها في زراعتها ومعادنها وصناعاتها واعمالها التجارية الحارقة للمادة فقد كان في الثاني والاربعين ولاية ومقاطعة كولومبيا والارض الهندية والاسكا وجزائر هافاي ومنها تألف الولايات المتحدة ٥٧٣٩٦٨٧ مزرعة سنة ١٩٠٠ ومعدل سعة كل واحدة منها ١٤٦ فداناً (آكر) وثمنها ٢٠ ملياراً ونصف مليار دولار اي ١٠٦ مليارات من الفرنكات وكان مجموع محاصيل هذه المزارع سنة ١٩٠٨ ٨ مليارات دولار منها ٢٦٦٨ مليون ميكال من القردة و٦٦٤ من الحنطة و٨٠٧ من القمح و٣١ من الجلود و١٦٦ مليوناً من الشعير و١٣ مليون بالة قطن و٧٠ مليون طن من الحلف و٢١٨ مليون ليرة من التبغ و٢٧٨ مليون ميكال من البطاطا

و ١٣٥ مليون نبرة من الصوف النقي  
وكانت مساحة الغابات الاهلية ١٦٨ مليون فدان تغل كل سنة  
٦٦٦ مليون دولار دع عنك الصيد في بحار اميركا وانهارها وهو يبيع  
بعشرات الملايين من الدولارات .

وبلغ سنة ١٩٠٥ مجموع مافي الولايات المتحدة من الما امل ٢١٦ الف  
معمل رأس مالها ١٢٦٨٦ مليون دولار يعمل فيها ٥٤٢٠٠٠٠ يتقاضون  
اجوراً يبلغ مقدارها ٢٦١١ مليون ريال وتبتاع بثمانية مليارات ونصف من  
المواد الاولية وتبيع بما قيمته خمسة عشر ملياراً . وفي سنة ١٩٠٨ اعطت  
الحكومة ١٦٣ الف رخصة لانشاء محال واما كن قيمتها ٥٤٦ مليون  
ريال

وبلغ طول الخطوط الحديدية في هذه الولايات سنة ١٩٠٧ ٢٣٣٧ الف  
ميل اي ٣٨١ الف كيلومتر لها ٥٥٠٣٨٨ قاطرة و ٢٠١٢٦٠ مركبة  
فيها من المستخدمين ١٦٧٢٠٠٠٠ يقبضون ١٠٧٢ مليون دولار مشاهرات  
وباع عدد من قناتهم تلك الخطوط من الركاب ٨٧٤ مليوناً و ثقل البضائع ١٧٩٦  
مليون طن و ثقل الطنات الانفية ( الالف ١٦٠٨ امتار ) ٢٣٦ ملياراً ورأس  
مال شركات السكك الحديدية ١٦ مليار دولار وصافي ربحها اربعة سبعة  
المئة . وفيها ماعدا هذه السكك الحديدية ٣٨٨١٢ ميلاً من الخطوط  
الكهربائية .

وبلغت صادرات الولايات المتحدة سنة ١٩٠٨ ١١٩٤ مليون  
دولار والواردات ١٨٦٠ وبمجموع تجارة اميركا الخارجية ٣٣١٥  
مليوناً

وكل هذه القوة الاقتصادية ليست بشيء لو لم تكن الاخلاق  
 اساس عظمتها الاقتصادية وقد اخذ مقام المفكرين والعالمين بعظم  
 في اميركا كما عظمت منزلة رجال المال والاعمال والصناعة والتجارة .  
 وكثير من سكان المدن يمتون بالموضوعات الادبية والفنية والعلمية واصبحت  
 بعض المدن مثل بوسطن التي هي مقر الحركة العقلية منذ زمن طويل  
 ميدان الآداب والعلوم . وان كثيراً من الاسر ليزولن مدينة واشنطن  
 عاصمة الولايات المتحدة في سياستها وبيتشون فيها بعيدين عن اضطرابات  
 نيويورك وسان لوي وشيكاغو . وليس للاميركان مثل فرنسا بلاداً يترقبون منها  
 مائة علم ولا يجدون بلاداً مثل فرنسا تتلقاها بقبول حسن وتوفر الارادات  
 على جميعهم . وفرنسا تعلم كذلك من نشاط رجالهم فكما ان طلابهم يجدون  
 في بلادنا ما يتعلمونه كذلك اولادنا يستفيدون من تعليمهم في كليات اميركا  
 فيشأون بين شبان يشعرون منذ صغرهم باستقلال الفكر وانهم حاملون  
 نيرة اعمالهم ان خيراً فخير وان شراً فشر .

لما وصل القل الى هذا الحد وقف القلم فذكرت شيئاً من حال الشرق .  
 ذكرت حال العثمانيين والايرائين وانهم وان كانوا من امم مختلفة فجماعتهم  
 الكبرى وهي الاسلام لا تقول بجنس ولا عنصر فلو كنا وكانوا على شيء  
 من العلم للتحقيق لما كنا ندعو الى انشاء جمعية عثمانية ايرانية كما ينشئ  
 هاتوتو اليوم جمعية فرنسوية اميركية

ولكن ضعف عقول رجالنا ورجالهم وتمصبتنا وتمصبتهم وجهلنا وجهلهم  
 لا تلبث ان تنفجر برايتها اذ ذاك ويتذرع بعضهم بالسياسة يتوكلون على  
 عكازها لينافروا بين القلوب ويفرقوا بين ابناء الاب الواحد وهناك تبخل



الدول ذوات الشأن والغايات في البلادين وينتحن في ابواق الشقاق  
مستعينات ببعضنا على البعض الآخر . وان العاقل ليربط على قلبه يده  
عند ما يفكر في عاقبة سعي الجلاء لابقاء سوء التفاهم بين العثماني والعماني  
فكيف يتنى هذه الامنية البعيدة اليوم من ربط العثماني بالايرواني . فاللهم  
علينا علماً نحسن به التفاهم حتى يتآخي الشرقيون كما يتآخي الغربيون

## سير العلم والاجتماع

### حادات الكتاب

لكل كاتب عادة في كتابته في الزم له من شعرات قصه لا يستطيع بدونها ان  
تفتح قريحته فان ترستان برنارد يخلع اكلام قيصة وقت الكتابة وقبته ثم يكتب بدون  
ان يحذف حرفاً فاذا ماتتشت ذهنه يسمح قلبه بلحيته الجميلة الطويلة واديمون روستان  
الشاعر يخلع نظارته عن عينه الواحدة . وراول بوشون لا يفتح عليه في محل القهوة  
كما يقال بل يأخذ شرباً منبهاً ويكتفي احياناً بنسخ الاشعار التي يميمها ( يخرشها )  
بقلم رصاص في دفتر له صغير . ويكتب موريس باريس بالحبر البنفسجي على درق  
ازرق ذي حواشي من الوسط على عادة رجال السياسة وترى رسوم نسور من الذهب  
على منضدته التي يبلغ طولها ثلاثة امتار . وهو عظيم في استعمال الحبر البنفسجي لان  
اييل بونارد قد عدل عن استعماله من تلقاء نفسه لانه يتغير كلما قدم عهده وتزول كتابته  
التي خطتها انامله في اسرع وقت . ولا يكشب جول كلارمي مقدمات الكتب التي  
تعرض عليه الا اذا لبس طاقية واكتشي بصدوته . ولا يخط جان ريشن كلمة قبل ان  
يتزايملش صنع من جوخ احمر وكذلك الكونت مونتسكيو يلبس قيصة الروماني وهو  
مستطيل ايض ومطرز بالزرق والحمرة . ويكثر هانري باتايل من صرف الاقلام والاوراق  
وتشتمز نفسه من صريد القلم ويود لو تيسر له ورق من الجلد الرقيق . اما بول بورجيه  
فلا يكشب ولكنه يميل على انهاء سره فيكتبون بسرعة وقد املى روايته الباريكاد  
الاخيرة على رجل بتديكي هو امهر في الاستملاء من خطاطي القرن الخامس عشر  
ويشتمل عليه كريفن الغليون للتدخين اثناء الكتابة على انه لا يدخن الا اللطاف .

ويجس بول هرفيو نفسه عند ما يريد معالجة القلم وارنست لاجونس لاتيسيل قريحته  
الا امام الناس وماوسل يرفوست يشرب الشاي ويشرب كابوس شراب الكينا وهاتري  
لافندان الماء المعدني . هذه عادات بعض كتاب الفرنسيين المشاهير  
قاطرة كبيرة

صنعوا في اميركا قاطرة ثقلها ثلثائة طن لها ١٦ دولابا و ١٠ محركات وطولها ٣٢  
متراً ويمكنها ان تحمل ١٨١٥٠ لتراً من البترول و ٥٤٠ هكتولتراً من الماء بحيث  
يتأق لها ان تسير بدون وقوف وهي خاصة لنقل الركاب وقطر عجلاتها متر و ٨٣  
سانتيماً وهذه القاطرة تسير بالبترول لا بالفحم الحجري

#### الفراعة والفينيقيون

نشرت المجلة الآسيوية الفرنسية بحثاً في علاقة المصريين بسورية في القديم جاء  
فيه انه كتب في ورقة البردي المحفوظة في متحف برلين المعروفة باسم وقائع سنوحيت  
ان رجلاً من سادات مصر عادرها سراً من نحو التي سنة قبل المسيح تلى عهد امنماحيت  
الاول ولجأ الى الحدود الآسيوية الى اقليم اسمه « كدم » وهو جزء من تونو الاعلى  
وقد اكرم امير تونو وفادة سنوحيت واسم الامير امويانا سحي الذي قال له انك ستكون  
عندنا على خير حال لانك تسمع بيننا انساناً يتكلمون باللغة المصرية وقد وصف هذا  
المصري مقامه في ذلك الصقع ووصف خيراتهم ونعمهم وبعض عاداتهم التي لا تخرج عن  
عادات البدو هذه الاياه في غزواتهم وغدواتهم وروحاتهم . ويقول بعض علماء الآثار  
ان بلاد تونو التي وصفها المصري مخففة من لوتانو وهي الارض الواقعة بين البحر الميت  
وصحراء جبل سينا ويؤيد ذلك ماورد على احدى المسلات الرسمية المؤرخة من  
زمن امنماحيت الثالث ان اهل سينا كانت لم صلوات مع اخي زعيم لوتانو .

وجاء في اكتشاف حديث من اوراق البردي اسم مدينة « كني » وجبلى وجبيل  
وهي كما قال ماسبرو مدينة بيبيلوس على شاطئ سورية وبيبلوس هي مدينة جبيل في  
جبل لبنان وانه في ضواحي هذه المدينة يجب ان تكون مشاهد المدينة الرعائية التي  
وصفها سنوحيت فاذا صح هذا فتكون فلسطين على عهد السلالة الثانية عشرة المصرية  
متاخرة العمران اذ لم يكن في داخل البلاد مدن واهلها يعيشون عيش الرعاة والرحالة  
وهذا الرأي لا يخجل من صعوبة على من يحتجون بورقة البردي المحفوظة في برلين ومنها  
يفهم انه لم يكن بين السلالة الثانية عشرة المصرية وبين السلالة الثامنة عشرة سوي

قرنين اذ ظهر من الرسائل التي عثر عليها في تل العارنة مؤرخاً ان فلسطين كانت خاضعة للحياة البلدية ولوصولها الى هذه الحياة والنظام يقتضي لها أكثر من قرنين من الزمن . على ان يبيلوس كانت في الزمن المذكور نقاً معروفة عند المصريين اذ قد اكتشف مؤرخاً على ذكر حملة مصرية الى يبيلوس على عهد السلالة المصرية القديمة اي قبل بضعة قرون من رحلة شوحيت

وذلك ان المصريين لما بدأوا على عهد توتيس الاول اي نحو سنة ١٥٥٠ قبل المسيح بغزواتهم التي ادت بهم من سواحل سورية الى وادي الأردن فشواطئ الفرات قد استولوا قرونًا على اقليمي لوتانو وخارو وناطولدت اقدمهم فيها حملهم حب الاكتشاف الى التقدم الى الامام فقصدوا نهر الفرات الذي وصفه توتيس الاول في رسالة تومبوس بان الماء يتراجع فيه ثم ينزل وهو صاعد ثم قصدوا غابات لبنان حيث وضع الشريف شوفري احد جلساء توتيس الثالث خيمته في علو اهلوق فوق السحاب ثم تقدموا الى الغابات وكانوا يأتون الى يبيلوس باحسن الاخشاب التي بلغ طولها ٦٠ ذراعاً مصرياً ( نحو ٣١ متراً ) وكان ساقها غليظاً حتى نهايته وكانوا يحملون خشب الارز من جبل الى مصر . فكانت هذه البلاد مسرحاً للصيد والغزو وقد كتب قدماء المصريين وقائهم واساطيرهم في هذا الشأن ولم ينته البناء التليل منها ويقل فيها وصف البلاد التي كانت تجري الغزوات فيها وما وصلنا قصة قائد المشاة في عهد توتيس الثالث وكيف استولى باعمال الحيلة على الزعيم الثائر في ثغر بابا وكيف ضرب به بعصافرعون الاكبر وكيف لم يرد في هذه القصة وصف يافا وقلنبيا

وفهم من مجموع الاساطير والرحلات الباقية ان فرعون مصر كان يعث باعوانه يطوفون البلاد بلاداً في آسيا لطبعوا النفوس على احترامه وذكروا فيها ما لقوه من الانصب في اسفارهم ولاسيا في اجتياز الغابات والشواطئ الجبلية او القفار التي تفصل بين المدن المذكورة وبينهم مثل جبل مدينة الآلة ومدينة صور حيث كان السمك اكثر عدداً من الرمل والماء يحمل اليها في قوارب من اليابسة

وتصارى القول ان ابناء الرحلات التي رحلها المصريون على عهد الرعاسة ايسر اخلاف رعمسيس قد وصفوا آمناً وصفاً خيالياً تكاد لا تكون له صيغة خاصة ليس فيها الاحروب ورحلات وحب وعشق . وفي اوراق البردي التي قرئت من مجموعة كولانيثف وصف رحلة مصري الى آسيا في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وهي عبارة عن

رحلة تلجر . وذلك ان رجلاً اسمه اونامونو عميد قاعة الكرنك في السنة الخامسة من حكم  
رعسيس الثاني عشر وفي الزمن الذي كان فيه الكاهن الاعظم للرب عمون واسمه  
هرمهور يحكم في طيبة وكان سمندس اول ملوك التائيين يحكم الدلتا وعاصمة مدينة  
تئيس ركب اونامونو البحر الى سورية للبحث عن اخشب اللازم لانشاء قارب الرب  
عمون رافوقف اولاً على دور احدى مدن زقالا في شمالي يافا ثم بلغ مدينة صور  
ثم جبيل ثم بلاد الازيا وهي ليست محققة فبعضهم يقول انها قبرص والاخر يقول  
انها في مضيق نهر العاصي . وذكر هذا السائح ان احد الملاحين سرق له اواني  
وصياك ذهبية ولم يستطع ان يأخذها منه في دور ولا في صور حتى اذا بلغ جبيل  
وقابل اميرها ذكر له هذا ما كان فرائة مصريعون به لآباء من اهلها وانه لا يتسر  
له ان يقبله بدون هدية مصرية تذكر وراه جريدة اندايا التي كانوا يبعثون بها ولما  
وعده بشلها على ان يرسل اناساً من قبله الى ملك تئيس امر له بثلاثة رجل من رجاله  
وثلاثة ثور وبعض ضباط لقطع اخشب من الغابات ليحمل من قابل على القوارب الى  
مصر ثم استعمل امير جبيل الجفاء في غطائه رسول مصر واخافه لما اراه محل بمن  
جاء قبله من قبل الفرائنة بدوس ارض بلاده واجداده وكل هذا بما يستأنس به في  
العلائق التي كانت منذ القدم بين المصريين والفينيقيين وان فرائة مصر على قوتهم وغناهم  
واربابهم وكنتهم وسمحتهم لم يكونوا يرهبون سكان صور ودور وجبيل بل كان  
المصريون لا يقطعون اخشب من غابات لبنان الا بما يقابلها من الهدايا والتحف المصرية  
ويؤخذ من كل هذه الروايات ان قدماء المصريين لم تكن لهم معرفة أكيدة الا عن  
سورية او الاصقاع القريبة منها ولم يكن لهم معرفة فيما وراء لبنان معرفة يتفجع بها  
في التاريخ الصحيح .

#### مكتبة الاسكندرية

كتب عبد الوهاب افندي سليم التنير في مجلة النبراس بحثاً في موضوع حريق  
مكتبة الاسكندرية جاء فيه نقلاً عن كتاب اركاتبات الاوربيين لصاحبيه جورج  
فوت وجس اهلويل مائير به بالحرف -

لقد قام الانجيج بحرب طاحنة على الوثنيين وسفكوا الدماء وقدام الامبراطور تيودوريس  
بقتلهم ارباب الوثنيين وغيرها مما هو للوثنيين فقام بطريك الاسكندرية وقاد أمته وذهب  
بها الى هيكل سيدائيس فدمروه وبات انتهى من خراب هياكلهم ذهب الى المكتبة

واحرق مائيهما من الكتب حتى اصحبت رفارها فارغة فلم يرها احد بعد ذلك الاأسف عليها غاية الأسف . فالذي احرق مكتبة الاسكندرية هو البطريك ثيوفيلوس بامر الامبراطور ثيوديس قبل دخول المسلمين الى اسكندرية بستين كثيرة ومعلوم ان الدين الاسلامي يمنع احراق الكتب اه

وقال دوان في كتابه المسمى ( خرافات الاوربيين ) ما ترجمته لمخضة : ان المكتبتين اللتين اسسها البطالسة في الاسكندرية كان احراقها عن يد جيوش قيصر لما حاصر الاسكندرية وللتعويض عن هذا الخطاء اهديت المكتبة التي جمعها يومينس ملك برغامه الى الملكة كليوپترا عن يد الملك انطوني لكن حكم الدهر او الجبل ان لا تبقى هذه المكتبة العظيمة اجيالاً فقد احرقها البطريك ثيوفيلوس واقام علي انقاضها كنيسة ساهاً كنيسة الشهداء

وجاء في دائرة المعارف طبع تشمبيرس وشركائه في المجلد الاول عند كلمة الاسكندر ومكتبتها : ولما حاصر يوليوس قيصر مدينة الاسكندرية احرق قسم عظيم من هذه المكتبة غير انما اعيدت الى ما كانت عليه بسبب الكتب التي جمعها ملك برغامه واهداها الى الملكة كليوپترا وقد بقيت الى زمن سيوديسيس الكبير ولما امر هذا الامبراطور بهدم معابد الوثنيين في انحاء المملكة كافة هدموا هيكل سيرايس حيث المكتبة موجودة فهدموا الهيكل واحرقوا المكتبة في سنة ٣٩١ بعد المسيح وليست العرب هي التي احرقتها كايونس . اليهم زوراً وبهتاناً . وقال جون سبرك في كتابه المسمى الادب الكاذبة : « ان الانوفين هم الذين احرقوا المكتبة الاسكندرية والمسلمون هم الذين ادخلوا العلم الى اوربا » وقال المستر هلسلي استيفونس في كتابه المسمى التفكير والاديان : ( لقد احترقت مكتبة الاسكندرية ايدي الجاهلين وهي مكتبة مهمة وبفقدانها فقد العلم وبقيت اوربا تفتظ في ظلمات الجهل الى ان اثارها للمسلمون معلومهم ) وقال يتنس في دائرة معارف ( ولما افتتح يوليوس قيصر مدينة الاسكندرية احترقت المكتبة الاولى وبقيت المكتبة الثانية التي اسست بعدها وقد زادت كتبها بالمهديات التي اهديت للملكة كليوپترا عن يد مارك انطوني وصارت اعظم من التي احترقت وبقيت الى سنة ٣٩٠ بعد المسيح حين قام الانوفين علي الوثنيين وهدموا معابدهم التي كان في جملتها هيكل سيرايس واحرقوا المكتبة ) وقال جوزج مرتين في كتابه درياقي الخرافات ما ترجمته بالحرف : ياترى ماذا صار بمكتبة الاسكندرية قل لقد احرقها النوحشون من الانوفين بامر

ثيودوسيوس سنة ٣٩٠ بعد المسيح . وهذه الكتب الصائمة التي أحرقت تشهد على الكذب الذي اختلقوه في رومية وقالوا انها أحرقت بأمر الخليفة عمر بن الخطاب ولقد نسبوا هذه النسبة الكاذبة الخاطئة اليه زوراً وبهتاناً

وقال فورت واهوبلر في كتابهما ارتكابات الافرنج: قضى ثيودوسيوس على ماكتبه يوفيري كافة من كتب العلم بواسطة الاحراق وامر ايضاً باحراق كل الكتب التي تشمل على شيء يخالف معتقدهم وقال ايضاً : والذي احرق مكتبة الاسكندرية هو ثيوفيلوس لا المسلمون لان الدين الاسلامي لا يبيع احراق الكتب وعدا هذا فان المؤرخين الأول كافة الذين كانوا في عصر بدء الاسلام لم يذكروا مكتبة الاسكندرية قط مع انهم ذكروا اموراً وشؤوناً طافية لا يؤبه لها

وقال المطران يوسف الدبس في كتابه تاريخ سورية بعد ان ذكر ما ذكره لبعضهم من كيفية احراق مكتبة الاسكندرية ونسبتها للمسلمين : روى هذه القصة كثير من المؤرخين النصارى وبعض المسلمين ايضاً على ان المدققين لم يقطعوا بصحتها

وقال زنان في خطاب له في العلم والاسلام : لقد قيل ان عمرو بن العاص احرق مكتبة الاسكندرية وهذا كذب محض والمكتبة المذكورة قد أحرقت قبل زمانه بسنين عديدة

وقد اورد الباحث نقولاً عن علماء الافرنج يزيفون اقوال بعض ارباب الاهواء في نسبة الحريق للمسلمين ويبينون مأخذ عبد اللطيف البغدادي وابن القفطي وابن العبري والحاج خليفة وليس المكتبة الاسكندرية ذكر في عبارة ابي الفرج بن العبري الاصلية السريانية والنسخة العربية منقولة عنها كما ان بعض المخطوطات من تاريخه العربي لا اثر لهذه الرواية فيها والحاج خليفة لا ذكر للاسكندرية ومكتبتها في كتابه والبغدادي والقفطي تقلان عن رواية دسها عليهم بعض المتعصبين اودسوها في عباراتهما . والبحث مهم في ذاته يبين نصب الافرنج على الاسلام وبه يتم هذا البحث الذي نشره المتعصب فيه عدة ابحاث ايضاً في سنده الثلاث الاولى

#### حيات الرسول

ينشر المسيو فيكتور شوفلين من المستشرقين البلجيكيين منذ مدة كتاباً في اجزاء كثيرة يأتي فيه على اسماء الكتب العربية التي نشرت في اوروبا المسيحية منذ سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ والجزء الحادي عشر منه هو في الكتب والرسائل التي نشرت بشأن الرسول

( عليه الصلاة والسلام ) وعددها ثمانمائة كتاب ورسالة وربما نشر بعض الجبل المهمة منها . نشر الآراء على اختلافها ولم يرأس لمن الاشارة الى انكسب التي كتبت . في القرون الوسطى على خاتم الدين ايام كانت علوم اوربا وكيانها وجامعاتها بيد راس الدين فقط .

#### انكلترا والشرق

شعرت انكلترا بخلفها عن امم الغرب الراقية في معرفة علوم الشرق . فرأت ان خير ذريعة لذلك انشاء مدرسة للغات الشرقية الحية حتى لا تنزع ذريعة دولة في الشرق ولا سيما في الهند فعمدت الى لجنة النظر في ذلك فقامت . انشاء مدرسة لهذا الغرض تضاف الى كلية لندن لكي ان تكون مستقلة باعمالها . فيها الموظفون والضباط الذين ترسلهم الى الشرق بعد ان يتكسبوا من اللغة التي يريدون الخدمة بين اهلها لا ان يكسبوا كما كانوا باستظهار بعض الكلمات والاسماء الحرفية . قال الاستاذ هدم ان الواجب يقضي ان يكون الرجل الذي يذهب الى الخارج مقدراً على التكلم كما يتكلم الرجل المتور الفاضل ويكون شعوره وفكره متنبهاً لا ان يذهب فقط يتكلم التركية كما يتكلم بها جمال . وقد سئلت الحكومة في مجلس النبلاء عن الغرض من هذا العمل فاجابت فوائده وعنده لورد مورلي حاكم الهند لورد كرزون حاكمها السابق ولورد كرومر حاكم مصر واثبتوا النتائج الحسنة منه وقد امتحنت بعض الجرائد المبالغ التي خصصت لذلك ولكن التيمس قالت ان هذه التبعة سنكب من نفسها فان المملكة البريطانية التي يتكلم باللغات الاجنبية ثلاثة من كل اربعة من سكانها سيستيسر لها ذات يوم ان تنفق في سبيل تعلم اللغات مثل ما تنصرف ألمانيا وفرنسا . .

#### العلوم والتربية الوطنية

كتب المسيو ايل في مجلة الافكار الحديثة مقالة تحت هذا العنوان قال فيها : لكل امة في كل عصر من عصورها نمط من التربية تختارها متناسبة مع حالتها الفكرية وحاجاتها وضرورات بقائها والدفاع عن حوزتها وتأيد كلمتها ويد الحكومة لتحقيق هذا النموذج وتعيينه . نحن امة ديمقراطية فيجب ان تكون غاية تعليمنا الوطني ان يهيئ للامة بأسرها اسباب حكم نفسها بنفسها وان تعمل اصلاح الاعمال باقل جهد ويضمن لكل واحد ان يكون ما يمكن متمماً بشخصيته مطبوعاً بطابع الواجب الاجتماعي والواجب

الوطني فيوجه الى وجهة واحدة العصر: اللذين بهما تتعلق حياة البلاد واعني بهما نشاط الافراد وهو موجد القوة وفكر الاشتراك الذي يدعو ابناء النبعة الواحدة الى التكافل والتضامن في اعمالهم ويكون رائدهم الرثام لئلا يدخل فيهم الخضم والانتقام يكون تعليمهم حقيقيا كما يقول الامان ونافعا في مجموعه وتجعل وجهته بحيث ينه في كل مكان روح التفكير والاعتماد على النفس والاقدام على العظام

ابان البحث في المذنيات القديمة التي كان اساسها حتى الآن من الفلسفة او من الدين ان الاتحاد والاعتقاد لم يستطعا ان يؤثرا وحدة باقية بين فكر الاشتراك وعمل الفرد وان تربة هذا اساسها تؤدي عاجلا او آجلا الى الضعف والاختلال ولا سيما في العصر الحاضر فانها تؤدي اليهما اكثر من الحرية الغير المحددة في التفكير والكتابة ونشر الآراء على اختلاف انواعها بواسطة الصحافة الرخيصة . وليس كالعلم دواء النجس من هذا الداء فالعلم منبع التفكير والعمل والاخلاص الذي لا يطلب به صاحبه غرضاً وبالعلم النافع وبطريقة العلم تنظم الافكار العامة بنظام حسن وبها تضمن له وحدة الارتقاء مع ترك الحرية المطلقة لفكر الفرد . وبطريقة التعليم يتفق من المتوسطين في ذكائهم المواظبين على اعمالهم فيقدمون خدماً حقة في الاعمال الصناعية والزراعية . ان صاحب الذكاء المحدود اذا جمع اليه عامة صفات العمل المتصور لا يكون منه في الادب ولا في الفلسفة الا امورا نادرة . وعندما يجي زمن تزول فيه كل سلطة قائمة على العهود الاجتماعية يؤسس العلم سلطة اراد لحكمها ولا اسطع من نورها تنشأ على اصول راسخة على الاكفاء العاملين . وينظم طريقة التعليم بحيث لا يضيع في الوقت والقوة بتلقين عادات التوثرة والنظر والتدقيق والبساطة في الاذواق منبهة شعور الظلام والجهل مع الرغبة في ابحاثهما داعية المرء بما فيه من الصفات الاخلاقية والعقلية لا بما فيه من القوى الطبيعية ووجدانه في العمل وصدقه في الحكم وطريقة التعليم ثورث العقل نظاماً ونموذ الفكر على البحث والقلب على الصبر والجسم على النشطة وهي الكفيلة بتربية ابناء المدينة الفاضلة .

ولقد اضطر المربون الاول في فرنسا ان يقبلوا ارث اليونان والرومان في العلم على ما فيه من الجاذبة والخطار وكانت دراسة اللاتينية اولاً فرضاً ثم صار عنها اللغة اليونانية وحذفت من المروس تعلم اللهجة الفرنسية وغللت المناقشات السفسطائية والجدالات المذهبية زهاء الف سنة مستولية على القوى العقلية في الامة فاصبحت الوسطة غاية وكان النقد الادبي اول ما يعي به فلم يكن للعلوم مقام في تعليم محدود بهذا القدر بل انها اصبحت



مجهولة في الادبار مهلة في الكليات وتابعة للفلسفة السكولاستيكية ولما غدا النظر في الطبيعة لا يعد صغراً اسمي المفضل بوصم بوصمة الكفر ولكن النقد الادبي ظل هو العلم ولم يقدر هذا الا في اواخر القرن الثامن عشر ان يكون له كيان امام ما كان يعتقد انه علم وليس هو منه في شيء .

وتكلم على التعليم في فرنسا وقسمه الى ابدائي ووسط وعائِل وقال ان لتعليم اللغة الفرنسية المقام العالي لانه من البين ان اخل كل تهذيب يجب ان توضع معرفة لغة الانسان في المقدمة معرفة حقيقية وقال ان العلوم الادبية في درجات التعليم الثلاث هي موضوع الاهتمام والنهاية ودارسوها اكثر من دارسي العلوم مع ان حضارة هذا القرن تقضي بان تكون العلوم قبل كل شيء هي الممول على دراستها . فالادب عند الفرنسي هو الملبأ المضمون لكل فرنسوي هو ملبأ الاطباء الذين لازُب لهم والمصورين الذين يتسوا من الكسب والضياع الذين عزفت نفوسهم من خدمة الجيش بل وكل من خانتهم قوام ولم يجدوا لهم عملاً .

#### الاخلاق الحربية

قوة كل امة بقوة افرادها وجنديتها مناطة بقوة عضلات من تألف منهم اكثر من كثرة عددهم فالجيش الالماني غلب الجيش الفرنسي في حرب سنة السبعين بقوة افراده وتنظيم كتابه واسباب راحته مع ان فرنسا كانت اذ ذاك تخرج من الجند عدداً اكبر والسر سيف تغلب الجيش الياباني على الجيش الرومي هو انه مؤلف من جند مختارين ليابان وهي اربعون مليوناً لم تخرج سوى ثلاث عشرة فرقة من ابنائها لحمل السلاح في حين ان تسعاً وثلاثين مليوناً من الفرنسيين يختارون لحمل السلاح من ٤٢ الى ٤٥ فرقة اذ ثلاثة اضعاف ما تخرج اليابان هذا مع ان الصناعات تكثر في يابان كثرة زائدة ومعلوم انضباط قوى الصناع عن الزراع فيما يتعلق بالشؤون الحربية . وقد انضطت قوى الجند الفرنسي اليوم عن مثلاً منذ خمسين سنة كما يرى ذلك انضباط هيأت عند ما يقضى على الجند ان يعلم ويشغلوا اذهانهم كما يشغلوا عضلاتهم فليس الاستعداد العسكري هو الذي يوجب فيه بل تربية الجنس تربية طبيعية .

اما الانكليز فقد امتاز جندهم بطول القامات وصباحة الوجوه وخمرة الغدد ومن جال في انكلترا بل في البلاد التي استعمرتها هذه الدولة فيقبل له انها لوصلت بالمحافظة المعقولة على صحة ابنائها وبكثرة تمرينهم على الالعاب الرياضية حتى اصبح لسيما جند مختار .

دربوا البشر كما لدوب الخيول المطهمة وهل الانسان الا حيوان ناطق ولقد قال روسكين فيلسوف الانكليز المشهور ان تقيمة كل ثروة اخراج خلق كثير من تكوّن صدورهم متسعة وعيونهم حادة وبراقة وقلوبهم فرحة .

فاليابان هم أكثر الامم عناية بالامور الصحية وليست عنايتهم بها دون عنايتهم بتقنين العلم حتى ان بعض الدساكر والقرى من اواسط بلادهم قد حملت كلها السلاح للدفاع عن الزمان عندما نادى نذير الحرب . وكمنامة جادت صحتها وقويت عضلات ابنائها ونشأت فيها الاخلاق الحريية بفضل الرياضة المعقولة ومن تلك الامم السويد فانها كانت منهوكة القوى بالكحول فابطلتها وما هو الاجيل وآخر حتى اصبحت امة قوية العضلات آبة في الكر والفرو مثل ذلك رومانيا التي انبعثت فيها الحياة بعد ان كانت خمسة عشر قرناً ميداناً للنزوات الكثيرة وحكم الغرباء عليها فجعلت منذ ثلاث سنين التعليم العسكري الاستعدادي اجبارياً في جميع المدارس الابتدائية الثانوية والصناعية والعامّة واخاطبة يتولى ذلك معلمون يمينون خاصة لهذا الغرض وكثيراً ما يعضد الضباط .

وجرى الطليان منذ سنتين على نشر مبادي الرياضة والتعليم الطبيعي لشعد الشبان للخدمة العسكرية وتحافظ على ماتعلمه من التدريب الحربي من ليسوا بجنت السلاح من ابناها ايطاليا ويكون التعليم اجبارياً في المدارس الابتدائية والوسطى بل في الكليات يعنى فيها عناية خاصة بمن يترشحون ليصبحوا اساتذة فيز يدون لهم درسا في حفظ الصحة والتعليم الطبيعي حتى لقد اصحيت مدارس المعلمين الثلاث في تورين ورومية ونابلي عبارة عن مجامع علمية لتفريج اساتذة . وعينت البلجيكيك منذ سنة ١٩٠٨ بان اضافت الي مدرسة الطب في كلية غاند مجداً علمياً عاليك للتربية الطبيعية واخترعت شهادات للتفخرجين في التربية الطبيعية

ولم تعمل بلد من بلاد الارض ماعتمله سويسرا في مسألة التربية الطبيعية للشبان وتدريبهم على الفنون العسكرية فقطضت على كل طفل منذ سنن الدابرة الي خروجة من المدرسة الابتدائية ان يحضر درسا في الرياضة الاستعدادية للخدمة العسكرية ويقوم بهذه الدروس اساتذة يتعلمون التعليم الكافي في دور المعلمين من كل اقليم وفي مدارس الجندي . ويبلغ عدد المجندين كل سنة من ١٦ الف الى ١٨ الف جندي في علم نحو نصفهم الرياضة من قبل

وأنشئت في فرنسا جمعيات لاعداد الشبان للخدمة العسكرية والجيش حتى قلل احد القواد لاحد رجال سياسة فرنسا « هبأوا لنا رجالا لتجعل منهم جندا » ومن هذه الجمعيات جمعيات الرياضة البدنية والتعليم والانتعداد العسكري والريابة والسيف والتريز والبوكس والصراع وركب الدراجات واليوم الخ . بلغ عدد اعضائها كلها ٩٠٠ الف زجل وامرأة من اعمال مختلفة ومظاهر وطبقات متباينة والحكومة تساعداهم فتمطيها مليوناً وسبعائة الف فرنك كل سنة فضلاً عن وازداتها التي هي خمسة ملايين فرنك عدا ما يرد عليها من اعانات الاقاليم .

### المجالس النيابية

مضت العشر السنين الاولى او العقد الاول من القرن العشرين وقد كثرت المجالس النيابية او امتدت سلطة الموجود منها في ١٠ ايار ١٩٠٠ افتتح اول مجلس نيابي لجمهورية اوستراليا وفي ٢١ آذار ١٩٠٧ افتتح مجلس جمهورية الترنسفال واجتمع في جنتينة عاصمة الجبل الاسود منذ شهر تشرين الثاني ١٩٠٦ الى شهر نيسان ١٩٠٧ اول مجلس نيابي فيها ولم تطل مدة الدوما الاولى الروسية سنة ١٩٠٦ سوى مئة يوم وحدث بعدها الثورة ثم خلفتها الثانية والثالثة وأصيب القانون الاساسي في فنلندا سنة ١٩٠٨ بما كاد يقضي عليه ثم عادت اليه حياته في الحال وبعد ان كان الدستور في الصرب والبلغار ساقطاً غير معمول به زمناً مثل دستور البرنقال طادت اليها حياتها بموت الملك اسكندر وكارلوس وافتتح الشاه المجلس النيابي الفارسي ثم اطلقت عليه القنابل وقتل احرار الامة الفارسية بيد المعطلين منها وموت رروح التجديد الى البلاد العثمانية فاعيد قانونها الاساسي الى العمل به يوم ٢٣ تموز ١٩٠٨ وفي هذه السنة اعلن القانون الاساسي في الصين

وما برحت المجالس النيابية معرضاً للتبدل والتغيير فتوسعت السويد بدستورها الذي نشرته سنة ١٨٦٦ وقبلت بالانتخاب العام كما قبلت النمسا والمانيرك (١٩٠٧ — ١٩٠٨) واصبح مجلس الرشتناخ في برلين بعض خصائصه مثل مجلس همبورغ والايراس لورين والمجر واصبحت فنلندا تجب الى مجلسها النيابي اثني عشرة امرأة منذ سنة ١٩٠٧ وكذلك تريد ان تطرح على آثارها التزوج والمانيرك والولايات المتحدة والبلجيكا وايطاليا واسبانيا ليشرك النساء الرجال في التشريع لبلادهم .

ثم ان اول مجلس نيابي اي مجلس لندرا لم يحل من ادخال بعض اصلاحات عليه مثل

مطالبته بإعطاء أيرلندا استقلالاً إدارياً ورجا منح مصر مجلسها النيابي لولا شؤن  
وشجون كما كان مجلس النبلاء يوشك ان يدخله اصلاح ديمقراطي ثم ان النيابة الاسمية  
في الآراء قد اختلفت مسائلها في نواشيل وجنيف وتسين والبلجيكا واسبانيا والبرتغال  
والدانيمرك والسويد وايلنوا وكليفورنيا وبرازيل ومملكة بونس ايرس ومملكة الرأس  
كما ادخلت الى فرنسا وايطاليا وبعض الاقاليم السويسرية بعض التعديل في النيابة  
ونالت البوسنة والهرزك من دولة النمسا والمجر بعد انسلاخها رسمياً عن المملكة العثمانية  
مجلساً نيابياً ايضاً .

### غلاء الحاجيات

تصاعدت اثمان الحاجيات في الغرب وأكثر بلاد الشرق منذ عشرينين الى الآن  
فارتفعت اسعار البقول ثلاثين في المئة وانهار الحبوب عشرين والزيوت خمسة عشر  
والسمك البحري عشرة والسمك المقدد خمسة وثلاثين والقهوة والشوكولاتا خمسة  
وعشرين والشحوم اربعة وثلاثين . وقد قسم بعض الباحثين بلاد العالم في غلائها  
الى ست مناطق فحمل في المنطقة الاولى بلاد البلجيكا واسبانيا وايطاليا ولوكسمبورغ  
والبرتغال وسويسرا وفرنسا . وفي الثانية المانيا وبلجيكا والدانيمرك والجل الاسود  
ونروج واسنوج وفي الثالثة النمسا وبريطانيا العظمى واليونان والمغرب الاقصى وهولاندة  
ورومانيا والصرب والمثانية . وفي الرابعة مصر وايران وروسيا . وفي الخامسة اوستراليا  
والصين وكوريا والهند الانكليزية والهند الهولاندية واليابان وسيام . وفي السادسة  
افريقية الشمالية والغربية واميركا الشمالية وكندا وجزائر الانتيل واميركا الجنوبية .  
وبلاد البرسفال أكثر بلاد الارض غلاء لان النعب فيها مبذول لكثرة مناجمها فيها  
ويليها في تقاضح الاسعار بلاد الهند بل جميع المستعمرات الانكليزية وفي استوكهلم  
عاصمة السويد غلت الحاجيات واجور المساكن الى درجة غير معقولة فاجرة الغرفة فيها  
كل شهر في شي الاغنياء خمسون ليرة ويوت هذه العاصمة للبلدية او لثقافات وشركات  
حتى كاد العامل الفقير يهلك فيها والحكومة هناك تفكر في طريقة لتنافس خبايا السكان  
من غلاء المأكل والمسكن .

### الماء الغالي

لا يخفى ان ثلاثة ارباع الجسم الانساني مركب من الماء والربع فقط من المواد  
الآزوتية والكربونية وغيرها . وهكذا الحال في هذا الثابت وكثرة السوائل المائية فيه

فان في الكيلو من لحم البقر او القنم ٢٥٠ غراماً من المواد الصمغية و ٧٥٠ غراماً من الماء ولحم السمك وهو كثير التغذية جداً يحتوي ايضاً على كمية أكثر من الماء فيه منه من ٢٧٠ الى ٧٨٠ غراماً في كل كيلو اما اللبن الحليب فيكاد لا يحتوي على أكثر من ١٣٠ غراماً من المواد الغذائية والبقول أكثر مائة من غيرها فان عشرة كيلو من البطاط تحتوي على نحو ٨ كيلو من الماء وفي عشرة كيلو من الملفوف او الشوندر ٩ كيلو من الماء

#### معدل القهوة

لا يخفى ان القهوة من الاثرية الهيمية للاعصاب وان كثيراً من الناس الذين يجبور طعمها ورائحتها الذكية تضطربم الحال ان يحرموا منها لانها تورثهم ارقاً واضطراباً عصبية . وفي سنة ١٨٢٠ اكتشف « رونغ » المادة المعروفة في القهوة واسمها الكافيين وانها هي اهم العوامل المؤثرة في هذه البزرة ولكن روبرو هاس قد ابان ان في القهوة ما خلا الكافيين عدة مواد أكثر سمية منها وهي غير معروفة . فان كان استعمال القهوة بكثرة او بقصد يحدث لبعض متناولها شيئاً من الاضطراب احياناً فان الدكتور كوفيه حقن ارنياً في اعصابه الوداجية بنقيع القهوة فاضطرب جسمه اولاً ثم اهتز ثم عرته تشنجات ثم الموت . على ان القهوة اذا عريت من مادتها السامة ايضاً وهي الكافيين تظل على ضررها . وعلى هذا رأى علماء الصحة ان دعوة الناس الى الاقلاع عن شراب القهوة من العبداء مادام استعمالها شائعاً في الارض على ما هو معلوم واثبتوا انه يتأق تناولها بدون ان تؤثر في الاعصاب اذا كانت محضرة جيداً . ولئن خلطوا القهوة بالمهندباء الناشفة المحمصة او البلوط المحمص وبذر الجاودار والتين المحروق والشيل ( عرق الانجيل ) والشعير والذرة والارز والدخن والفاصوليا والحمص والعدس والفول والبطاطا والهليون وتوى التمر والكستانة ليجدها بها الناس ولكن احد الفرنسيين عثر على نبات اسمه « المقرى » باسم وزير الحريه المراكشيه اذا مزج بالقهوة لا يغير من طعمها ورائحتها الذكية بل يقلل من تأثيرها في الاعصاب ويمن هذا النبات معتدل مثل المهندباء واستعمال هذا النبات معدل اقتصادي وصحي فخذنا يوم باتينا بكثرة الى هذه الديار .

#### الذهب والفضة

قالت مجلة الطبيعة الفرنسية : بلغت قيمة ما استخرج من الذهب سنة ١٩٠٩ ٢٣٠٠ مليون فرنك أكثر من ثلثها من افريقية الجنوبية فزاد المستخرج منه من بلاد

الترنسفال وحدها ثلاثين مليوناً كما زادت كل من كندا والولايات المتحدة والمكسيك من ٦ الى عشرة ملايين اما اوستراليا فقد نزل محصولها على هذه النسبة وزاد المستخرج منه في روسيا خمسة عشر مليوناً . وقد كان المستخرج من الترنسفال ٧٦٥ مليون فرنك ومن رودوسيا ٦٤ ومن غربي افريقية ٢٣ ومن كندا ٥٣ ومن الولايات المتحدة ٤٩٠ ومن اوستراليا ٣٦٣ ومن المكسيك ١٣٠ ومن الهند ٥٢ ومن روسيا ١٧١ ومن الصين واليابان وكوريا ٥٥ ومن سائر الممالك ١٣٧

اما الفضة فان استعمالها يكثر في الصناعات ويقل في النقود واثمنها في انخفاض وربما انخفضت أكثر وان كان المستخرج منها منذ عشرين سنة اقل من المستخرج من الذهب بالنسبة فيكاد وزن الفضة المستخرج اليوم يادل ثمانية اضعاف ما يستخرج من الذهب على حين كان منذ سنة ١٧٥٠ أكثر من ذلك باثنين وعشرين مرة وبلغ المستخرج سنة ١٩٠٩ من الفضة ٦٦٠٠ طن او ٢١٤ مليون اونس او نصف الاوتية وقد كانت الولايات المتحدة الاولى في كثرة ما يستخرج منها فاصبحت منذ ثلاث سنين الثانية وزاد المحصول في المكسيك ضعفين كما كثر في كندا ولم تكن مناجم الفضة مروفة فيها قبل سبع سنين وتستخرج الفضة من مقاطعة كوبات في ولاية اوتارايو كما يستخرج من بروكن هيل في شاطئ اوستراليا الجنوبية وغاليا الجديدة في الجنوب . والطلب قل على الفضة لان الممالك الكبرى لا تحتاج منه الا ما تنصوغ منها نقوداً ونصفه يصرف في بلاد الصين والهند فان بلاد الهند وحدها تحتاج ٢٨٢٠ طناً للخلي حتى ان حكومتها اضطرت ان تقرب رسماً فاحشاً على الوارد منها اي ١٧ في المئة لسد المعجز الذي يبدو من الهين في مقاومة الافيون .

#### اثر روماني

قطعت الصخور الموجودة في طريق سوق وادي بردى من اعمال دمشق وكان في زمن الرومانيين من المراكز المهمة ويدعى هايلا ليزانيا او هايلا نوزيوم وقد عثر فيه على كتابات منقوشة في الصخور باسم ماركوس اورليوس امبراطور الرومانيين

#### اثر فينيقي

عثر في ضواحي بيروت في قرية برج عمود من اعمال الساحل على مغارة قديمة وجدوا فيها سلماً ينزل منه الى منارة مربعة ووجدوا في الجهات الاربع منها اخصرة محفورة في صخور منقوشة نحتاً جميلاً ووجدت فيها بعض العظام ويقال ان هذه المغارة يرد

## اعمق بحر

اعمق بحر في العالم ذلك الذي حفر في كروشو من اعمال بولونيا فهو بعمق ٢١٠٠ متر .  
سطح الارض ٠ ثم يعمق بحر باروشوفيز في سليزيا العليا وعمقه ٢٠٠٣ متراً ثم بحر  
شالوباش في بلاد ساكس البروسانية وعمقه ١٧٤٨ متراً . وسيزيد في تقب ٠  
الاول لان طبيعة الارض تساعد على ذلك اما عرضه فهو ٦٧ ميلاً فقط

## مملكة بردسي

قليل من الناس من يعرفون ان الملك انكلترا زميلاً وجاراً ونعمي به ملك جزيرة  
بردسي الواقعة على نحو ثلاثة كيلومترات من شبه جزيرة لويز من اعمال كار .  
في بلاد الغال . وهذه المملكة الصغرى مستقلة كل الاستقلال ولا تعترف بها  
ملك بريطانيا العظمى عليها . وليس في هذه المملكة سوى ٧٧ ساكناً يدخل بهم  
الملك والمملكة اللذان حكم اجدادهم هذه الجزيرة الصغرى منذ عهد عريق في القدم .  
اما لسانهم فهو لهجة تختلف اللهجة الانكليزية كل الخفاقة . ولهذا القليل او الملك الصغير  
عدا ادارة ملكة اعمال منها انه معلم المدرسة وضابط في الاركان حرب ولا يتخضع  
للقوانين الانكليزية ولا يدفع السكان خراجاً ما ويعيشون مرفهين يتناول خبز الشعير  
والحليب والزبدة . ولم من العصور المحيطة بهم مادة السرطان البحري يتناولون  
منها ماشاءوا ويبعونها من الاجانب عنهم بسعر ينحس ولا يهتمون بشأنها بما يحدث  
خارج بلادهم ولا تدخل جريدة الى هذه الجزيرة التي لا مثيل لها ولا يخرج ملاح منهم  
عندما تشتد انواء البحر بسبب العصور المحدقة بالجزيرة .

## رجل القطعان

رجل القطعان من الغنم والغرفان في العالم هوروسي اسمه غستانف كوفانوفيش يملك  
في . ول سبيريا الوقا من الافدنة ترعى فيها قطعانته البالغ عدد ذئبها مليوناً وسبعائة  
الف يحرسها زهاء ثلاثين الف كلب من هجمات الذئاب والحيوانات المفتردة

## معدل الاعمار

تؤكد بعض صحف المانيا ان معدل الحياة آخذ بالازدياد فقد زاد في المانيا من  
سنة ١٨٩١ الى ١٩٠٠ زيادة تذكر بالنسبة للعشر سنوات التي مضت بين سنتي

١٨٧١ و ١٨٨٠ فصار متوسط حياة الرجال ٤٨ سنة و ٨٥ يوماً وكان ٣٨ سنة و يوماً واحداً و متوسط حياة النساء ٥٤ سنة و ٩ ايام وكان ٤٢ سنة و ٥ ايام وذلك بفضل أنسائط الصحية في البيوت والأزراع والمحال العامة  
صحة العين

كتب الدكتور تروسوان ٤٣ في المئة من العمى يمكن انقاذهم مما نالهم وكتب الدكتور موفي الفرنسي ان ثلاثة ملايين من العملة والمستخدمين والطلبة يتعرضون كل يوم لما يجلب الاخطار على عيونهم وقد رأى الدكتور بولي ان الواجب على كل ولد واطفي النظر او لا يميز الاشياء جيداً ان يعرض عينيه على طبيب العيون ويضع نظارات على عينيه ومن كان احسر قصر البصر فاستعماله للنظارات احسن وافق لعينيه والواجب ملاحظة الولد بعناية دائمة خلال القراءة والكتابة واعماله الجزئية والعباءة واذا أصيب بالحميراء او القرمزية او الجدري او غيره من الامراض المعدية تجب العناية بعينه من وراء الغاية وان اقل التهاب في الملتحمة يعدي ويكون فيه حبيبات يتنجس ان يُفخذ لها انواع الوقاية والعزلة ويجبر العملة اثناء العمل ان يلقوا مشوية فاماتهم وان يكون الور في النهار عن شمال المرء ومن ورائه قليلا ونور الليل عن الشمال وقليلا الى الامام والكوى (آباجور) نافعة على ان لا تكون شفافة وتحتجب وراءها الوجوه واذا كان ضوء الكهرباء مفرقاً للعيون كثيراً بما فيه من الاشعة البنفسجية الكثيرة فالواجب استعمال زجاجات ملونة بالصفرة لانه لا ترسل النور الا خالياً من اشعته . والواجب في جميع الصناعات التي يلحظ انها تحمل اشياء ضارة للعيون ان يضع المرء على عينيه نظارات تقيه منها واذا لوحظ ضعف في بصر الولد فالواجب استشارة الطبيب لاتخاذ الصنعة التي يختارها

#### الماء السائغ

التي المستر هوارد محاضرة امام جمعية الفنون الانكليزية فقال انه يتأق في الاقاليم التي تبث قفراء لغلة ماثها ان يجمع فيها الماء الذي يجمع من الندى على مثال الطريقة التي جروا عليها في قلعة جبل طارق وذلك بأن يحفر في الارض على سطح كافٍ وان ينقى الحفر المحفور يقش ناشف تمده عليه طبقة من الخزف او تراب الفخار فيكون القش عبارة عن مولد للحرارة يفصل بين الخزف والارض وبعد غياب الشمس يبرد هذا الخزف على اسرع ما يكون وذلك بيزوز الاشعة وتنزل حرارته في الحال عن درجة



تغير الهواء المحيط بذلك المكان فيتراكم البخار المائي ويجمع في الحفرة • ويحسن ان يوضع على الارض طبقة من الاسفلت حتى لا يضيع القش يندادونه خاصية تقله للحرارة • وفي جبل طارق يستعيضون عن القش او التبن بمخشب ومن طبقة الخرز بصفايح حديد التفتن في الاحسان

اخترعوا في المانيا طريقة حسنة للاتفاق منها على المعوزين والبائسين فوضعوا سيف كل حانة عالية من المدين جعلوها في زاوية منها فاذا دخن الانسان لفائفه يقوم فيطرح عقبها في العلة • وهذه الطريقة من اختراع احدى جمعيات الاحسان فتستخرج هذه الاطراف وتبتاع بها البسة لكسوة الاولاد المحاويج وبهذه الوساطة كست الجمعية في العام الماضي ١٧٢٦ ولداً

#### اثمن النصائح الصحية

هذه هي العشر النصائح في حفظ الصحة التي علقها السويد في جميع مدارسها وهي حرية بان يجعلها نصب عينه كل من تهده صحته من الكبار والصغار  
١ الهواء الجديد في الليل والنهار من الشروط اللازمة للصحة فهو احسن واثق من مرض الكلى

٢ في الحركة الحياة • فالواجب كل يوم الارياض في الهواء الطلق بغيريك الاعضاء والتمتة وهذا مما يمدل مزاج العاملين وهم قعود  
٣ الزم القصد والسذاجة في طعامك وشرايك فمن يفضل الماء والحليب والثمار على تعاطي الكحول يقوي صحته ويزيد سيفه كفاءته على العمل وسعادته •  
٤ اليك ما تجب العناية به لتقوية بشرتك: الجلد لا يقوى على البرد الابفسله بماء بارد كل يوم والاسنجام بالماء الحار كل اسبوع على مداز السنة • وبذلك يمسرك حفظ صحتك وتقي جسمك من البرد

٥ يجب ان لا تكون الثياب مميكة كثيراً ولا محكمة كثيراً •  
٦ ينبغي ان يكون المسكن معرضاً للشمس جافاً واسعاً نظيفاً تديراً لطيفاً صحياً  
٧ عليك بالتشدد بالنظافة في كل امر كالهواء والغذاء والماء والغيز والتوب والفراش والدار فاذا توخيت الطهارة في كل امر وفي الاخلاق ايضاً تصبح بمأمن من الهواء الاصفر والحصى التيفوس وطامة الامراض السارية  
٨ العمل المتظم الشديد من احسن الواقيات من امراض العقل وامراض الجسم

فهو الفناء في الشقاء والسعادة في الحياة

٩ لا يرى المرء الراحة والتسوية بعد العمل الا في الاعياد العظيمة . فالليل للنوم وساعات الفراغ والاعیاد يجب صرفها مع الأسرة وفي الملاذ الروحية  
١٠ من اول شروط الصحة الجيدة : حياة تصرف في العمل ونشرف بالاعمال الصالحة والافراح الخالصة . ورغبة المرء في ان يكون خير عضو في بيته وعاملاً صالحاً في دائرته ووطنياً مستقيماً في وطنه وذلك مما يورث الحياة قيمة لا تقدر  
مخطوطات نادرة (١)

من كتب اللغة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك  
في المدينة المنورة

شرح كفاية المتفطن لابي الطيب القاسمي

شرح نصيخ ثعلب لابن درستويه نسخ سنة ٥٦١  
كتاب الصاد والظاء لابن سهل النحوي نسخ سنة ٥٩٥ نحو ثلاث كرايس  
كتاب الاجناس من كلام العرب وهو ما اشتهر في اللفظ واختلف في المعنى لابي  
عبيد القاسم بن سلام

تهذيب اللغة للزهري

بصائر ذوي التمييز على لطائف التنزيل العزيز للفيروزبادي  
كتاب غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام احد عشر كراساً نسخ  
سنة ٥٤٦

الغريب المصنف له اثنان وعشرون كراساً

مرامد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن مدرس  
الخطابة بالبشرية سنة ٧٤٢

من فن الكلام

شرح اشتقاق الاماء الحسنی وصفاته المذكورة في الاثر لابي القاسم الزجاجي نسخ  
سنة ٤٣٤

سراج العقول في منهاج الاصول للقرظيني ومعه شجرات المسجون وفنون المتنون  
للمصفي

(١) اختارها من مكاتب المدينة المنورة الشيخ جمال الدين القاسمي

موضحات المتشابهات في الانجيل لبرويش علي مجلد واحد مذهب  
 كتاب ايثار الحق على الخلق لابي عبد الله محمد بن ابراهيم الشهير بابن الوزير البيهقي  
 نسخ سنة ١١١٤ وفي اوله ترجمة المؤلف تأليف ابنه في نحو نصف كراس  
 رحالة في التوحيد لابن فورك

من المجاميع

رسالة وقصائد شقي للجاحظ  
 رسالة ارسلها ابن زيدون الى استاذه  
 مجموع فيه عدة كتب من مصنفات البيهقي  
 منها كلام الشافعي في احكام القرآن وخطاً من اخطأ الشافعي والانتقادات التي انتقد  
 بها علي الشافعي

مصارع المصارع لتصير الطوسي  
 كتاب في اسماء الصحابة لابي حاتم محمد بن حيان  
 رسالة من نسب الى امه من الشعراء لابن جني  
 الايات لابي الحسن الاشعري  
 رسالة في مكارم الاخلاق للثعالبي  
 اوصاف الاشراف لتصير الطوسي  
 كتاب النبات للاصمعي  
 مختلف الاسماء والانساب والكنى والالقب للذهبي  
 رسالة في عدم جواز الجمعة في موضعين للشيخ جلال الدين التبراني  
 رسالة في اختلاف علماء الحنفية في الديار المصرية للبقاعي  
 ارجوزة تسمى الاتقان في علم الالخان  
 منظومة في علم القلم والخبر والكتابة والورق تصنيف الشيخ ابي الحسن علي بن هلال  
 الكاتب البغدادي المعروف بابن البواب وعليها شرح مستمد من شرح ابن بسيم  
 ومن شرح ابن وحيد

من النكتة المحمودية في المدينة المنورة

جوار السجد الشريف

شرح المقنع لشمس الدين بن قدامة المقدسي

اختيارات شيخ الاسلام ابن تيمية  
 مختصر فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية المصرية  
 جزء من فتاوية الكبرى  
 كتاب القواعد لابن رجب  
 كشف المسائل له ايضاً  
 تقرير القواعد له ايضاً  
 كتاب المحلى لابن حزم مجلد ٨  
 سنن البيهقي الكبرى مجلد ١٠  
 كتاب القضية الرسول لابن فرح الاشيلي  
 وقد بلغ مجموع مافي المكتبة المحمودية من الكتب (٤٥٦٩) وما في مكتبة شيخ  
 الاسلام طارف حكمت بك (٥٤٠٤)  
 ويوجد مكتبات اخر مكتبة بشير اغا عند باب السلام ومجموعها (٢٠٦٣) ومكتبة  
 شيخ الاسلام فيض الله افندي ومجموعها (١٢٤٦) ومكتبة عمر افندي قره باش احد كبار  
 العلماء ومجموعها (١٢٦٩) ومكتبات اخر مرفوعة يراوح عددها مابين المائة والالف  
 اصلاح غلط

وقعت لنا اغلاط مطبعية كثيرة في بعض الاجزاء الماضية ولاسيما في الجزء الخامس  
 والسادس الذي ظهر خلال تفهينا عن هذه البلاد فتركنا اصلاحها لطانة القارئ وقد  
 كتب لنا احد اصدقائنا في بغداد يقول :  
 ... الا ان الطبع لا يشبه ما طبع من المائيس في السابق . وكثيراً ما يقع اغلاط طبع في  
 الاسماء العلمية الاعجمية . وكذلك في الاسماء العربية . من ذلك ما وجدته في نبذة  
 «ري العراق» ص ٢٥٠ - ٢٦٠ بحيرة عكار كوف . والاصح : هور عقرقوف .  
 والامم مشهور في كتب العرب القديمة كياقوت والبلاذري والبكري وغيرهم . وصبارة  
 والاصح ابوجبة (وهو الاسم الحالي) او سبارة (وهو الاسم القديم) ونقور . والاصح  
 نقر . وارخ والاصح : وركاه . وقل سكرخ . والاصح سكررة . ونل لو والاصح تلو اه  
 فنشكر للنقاد الكرم عنايتهم ونرجو ان يتفضل وسائر من اوتوا العلم ان يصححوا لنا  
 ما يندر منا ومن موازيتنا من المغفوات فالعلم لا يحيا الا بالنقد الصحيح



# المفسر

## كتاب العرب

أوالرد علي الشعوية

لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة من اهل القرن الخامس

تمة ما في الجزء الماضي

ومنهم الحطيمية هجا اياه وامه ونفسه فقال في امه :

تفني فاقعدني مني بعيدا اراج الله منك العالينا  
الم اوضح لك البضاء مني ولكن لا اخالك نعلينا  
اغربالا اذا استودعت مرأا وكنا نونا على التحدثينا

وقال لايه :

لحاك الله ثم لحاك حقا ابا ولحاك من عمر وخال  
فبس الشيخ انت علي الخفازي وبس الشيخ انت لدى العالي  
جمعت اللؤم لاحياك ربي وابواب السفاقة والضلال

وقال لنفسه

اهت شفتاكي اليوم الا تكلمنا بشر فادرس لمن انا قائله  
ارى لي وجها شوه الله خلقه فقبح من ونجه ونج حمله  
واقي عيينة بن النحاس السجلي مادحا فقال عيينة لو كيله اذهب معه الى السوق فلا  
يشين الى شيء ولا يسومن به الا اشتريته له فلما انصرف عنه قال

سئلت فلم تعمل ولم تصطط طائلا فسيان لادم ظيك ولا حمد

ومن لؤم الغرائز أيضاً في الناس ان منهم من يوشتر ربح الكرايس على ربح البلنجج وريح الحشوش على ثجات الورد ، ويحتاج من النساء لذات القبح والدفء ، ويكمل عن الحسناء ذات العطر ، ومنها ان الرجل يكون في رخاء بعد بؤس وسعة بعد ضيق فيسأم ما هو فيه ويرغب عنه الى ما كان عليه ، وقال اعرابي قدم المصر فحسنت حاله :

اقول بالمصر لما ساءني شبيحي      الا سبيل الى ارض بها جوع

الا سبيل الى ارض بها غرث      جوع يصدع منه الرأس يرقوع

وهذا واشباهه من لئيم الغرائز كثير في الامم وهذه الطبايع هي اسباب الشرف واسباب الخمول فذو الهمة سمو به نفسه الى معالي الامور وترغب به عن الشائيات فينظر في طلب العظيم بعظيمته ، ويستخف في ابتغاء المكارم بمكرمته ، ويركب الهول ويدرع الليل ، ويحط الى الخفيض ، وتأبى نفسه الا علواً حتى يسهل بهمة ، ويظفر بعقيدته ، ويحوز الشرف لنفسه وذريته ، ومن لاهمة له جشامة لبد يفتنم الاكلة ويرضى بالهون ويستطيب الدعة وان اعدم لم يأنف من ذل الوال والجبان يفرعن امه وايه وصاحبه وابيه والشجاع يحمي من لا يناسبه سيفه وبقي الجار والرفيق بمحبته والنجيل يحفل على نفسه بالليل والجواد يجود لمن لا يعرفه بالجزيل وقال الله عز وجل (فقد افلح من زكاهما وقد خاب من دساها) يريد قد افلح من اتى نفسه بالمعروف واعلاها وقد خاب من اسقطها بلئيم الاخلاق واخفاها وقد يكون الرجل مخالفاً لايه في الاخلاق وفي الشاغل اوفي المهم اوفي جميع ذلك لعرق نزعته من قبل اجداده لايه وامه وقال الشاعر :

واشبهت جدك شر الحدود      والعرق يسري الى النائم

ومن الناس الشريف الحبيب وذلك الذي جمع الى محاسن آباءه محاسن نفسه ومنهم الشريف ولا حسب له وذلك اذا كان لئيم النفس ومنهم من لا شرف له ولا حسب وذلك اذا كان لئيم النفس لئيم السلف

وقال قيس بن ساعدة لاقضين بين العرب قضية ما قضى بها احد قبلي ولا يردوها احد بعدي ( ايما رجل رمى رجلاً بلامّة دونها كرم فلا لؤم عليه وايما رجل ادعى كرمًا دونه لؤم فلا كرم له) يعني ان اولى الامور بالمؤمن مصلحته في نفسه فان كان شريفاً في نفسه وآباؤه لئام لم يضره ذلك وكان الشرف اولى به وان كان لئيمًا في نفسه وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك

ومثله قول عائشة : كل شرف دونه لوهم فاللوهم اولى به وكل لوهم دونه شرف فالتشريف اولى به : وقال الشاعر في مثله

ومن يك ذا لوهم ويحمد يعمده      فاولى به من ذلك ما كان اقربا  
فلا لوهم عودا بعد مجد يده      ولا يحمد معدودا اذا اللوم عقبا  
والحسب مأخوذ من قولك حسبت الشيء احسبه حسبا اذا عدته وكان الر-  
 الشريف يحسب اثر ابيه ويعدم رجلا رجلا فيقال لفلان حسب اي آباء يعدون ونفسه  
تحسب فالمصدر مسكن والاسم مفتوح كما تقول هدمت الحائط هدماء فتسكن المصدر  
وتقول لما سقط الى الارض دد فتفتح الدال من الاسم وكذلك الاسم فيها امة تزي-  
بلياتها كالعرب فانها لم تزل في الجاهلية تتواصى بالخلم والحياء والتقدم وتعاير بالبين  
والقدر والسفه وتتنزه من الذنوب والذمة وتشدرب بالجد والصبر والبلالة وتوجب لغير  
من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ما ترجه للحميم والشفيق فرما بذل احدكم نفسه  
جاره ووقى ماله بماله وقتل حميمه منهم كعب بن مامة وكان اذا جاوره جارقات  
لحمته وداه واذا مات له بعية او شاة اعطاه مكان ذلك مثله ومنهم عمير بن شامي  
الخنزي احد اوفياء العرب وكان له جار فخالفه اخوه قرين الى امرأته فاشتد الرجل في  
حفظ امرأته فقتله وكان عمير غائبا فلما قدم وخبير بذلك دفع قريناً الى ولي استنول  
فقتله واعتذر الى امه وعظم جرمه فقالت :

تعد معاذراً لا عذر فيها      ومن يقتل اخطاه فقد الاما

ومن اعجب امر في الجوار قصة ابني حنبل حارثة بن مرء وكان الجراد سقط بقرب  
بيته فقصده الحني لصيده فلما رآهم قال اين تريدن قالوا نريد جارك هذا فقال اي جيرانني  
قالوا الجراد فقال اما اذ جعلتهموه لي جاراً فوالله لاتصلون اليه ثم منع منه حتى انصرفا ففخر  
بعضهم فقال

لنا هضبة ولنا معقل      صعدنا اليه بصم الصعاد

ملكاه في اوليات الزمان      من بعد نوح ومن بعد عاد

ومنا ابن مرء ابو حنبل      اجار من الناس رجل الجراد

وزيد لنا وابنا حاتم      غيات الوري في السنين الشداد

وقال قيس بن عاصم يذكر قومه :

لا يبطنون لبيب جارم      وم لحفظ جواره فطام

وقال مكي بن الماري

ناري وفار الحجار واحدة  
ماضر جاراً لي يجاورني  
واله قبلي تنزل القدر  
ان لا يكون لياه ستر

وقال الحطيئة بعد محاسن قومه

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البناء  
وان كانت السماء فيهم جروا بها  
وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا  
وان انعموا لا كدروها ولا كدوا  
يسوسون احلاماً بعيداً اناها  
وان غضبوا جاء الحفيظة والجند  
اقلما عليهم لا اباً لا يهكرك  
من اللوم اوسدوا المكان الذي سدوا  
ولهم الضيافة عامة شاملة في جميع البادين منهم والايثار على النفس والجود بالموجود  
والفضل المطا جهد المقل

وقال عثمان بن ابي العاص : لدرهم يخرجني احدكم من جهد ليضعه في حق خير  
من عشرة آلاف درهم يخرجها احدنا غيضاً من فيض : ولولا ما نواصوا به من الضيافة  
وتحاضوا عليه من الايثار لمات الخير واهدع به دون غايته

وقال اربعة بن سيدة

وما دون ضيفي من تلاد تقوزه  
الى النفس الا ان تصان الحلائل  
وقال ابن ابي الزناد قال عبد الملك بن مروان ما يسرفني ان احد من العرب ولدي  
الا عروة بن الورد لقوله

واني اسرود عافي اناثي شركة  
وانت اسرود عافي اناؤك واحد  
اتجزأ مني ان سمحت وان ترى  
بجسي مس الحق والحق جاهد  
اقسم بجسي في جسيم كثيرة  
واحسوقراح الماء والماء بارد  
يريد انه يقسم قوته على اضيافه فكانه قسم جسمه لان اللحم الذي ثبت ذلك الطعام  
يصير لتغيره ويحسوقراح الماء في الشتاء ووقت الجذب والضييق لانه يؤثر باللبن فتوقف  
على هذا الشر وعلى ماله من شريف المعاني

وقال آخر

اذا ما حملت الزاد فالتمس له  
اكيلاً فاني غير آكله وحدي  
بعيداً قصباً او قريفاً فاني  
اخاف مذمات الاحاديث من بعدي  
فكيف يسع المرء زاداً وجاره  
خفيف المني يادي اخصاصة والجهد



ولعل الطاعن ان يقول في هذا الموضوع فاین هو من ذکر مزرد وحید الارسط  
ومجانبها الاضياف واین هو من مطاعهما الخبيثة من الحيات والضباب واليرابيع والعلميز  
وشربهم القظ والمخدوح واكل ميسرهم لحوم الابل حنيذاً غيد فضيج ونيا والعروق  
والعلائي وسقط المائدة لا يماقون شيئاً ولا يتقذرون اكل السباع ونهش الكلاب  
ويغفر عليهم باطعمة المعجم وحلوانها وادابها على الطعام وكلها باليارحين والسكين  
فاما هذان الشاعران اللذان يهجون الاضياف ويصفانهم بكثرة الاكل وجودة اللحم  
فان احدهما كان فقيراً ضعيف الحال فاذا نزل به الضيف لم يجد بداً من اثاره بقليل  
ما عده او مشاركته فيه فيبيت طاوياً او يصبح جائعاً ويحش صدره بما خل به والشاعر  
بنزلة المصدر لا بد له من ان ينفث فيستريح الى ذكر لحم الضيف ووصف اكله وحديثه  
قال هو او غيره بذكر الضيف :

تجهز كفافه ويحدر حلقه الى الزور ما ضمت اليه الانامل  
يقول وقد اتى المرامي للقرى ابن لي ما الحجاج بالناس فاعل  
فقلت له ما انت لهذا طرقتنا فكل ودع الاخبار ما انت آكل  
انا انما ولم يعدله سخجان وائل بياناً وعلماً بالديه هو قاتل  
وقال ايضاً يذكر الاضياف :

باتوا وجلتنا الشربين بينهم كان اغفارهم فيها السكاكين  
فاصبحوا والنوى عالي معرسهم وليس كل النوحه يلقى المساكين  
اراد من الاضياف من يأكل التمر بالدوى وهذا يدل على شدة فقره . واما مزرد  
فكان شراً منهوماً والشرة رفيق البخل وهو القاتل :

لبكت بصاعتي صاع عجرة الى صاع سمن فوره يتربع  
فقلت لبطني ابشر اليوم انه حوسه امنا مما تحوز وترفع  
فان بك مصبوراً فهذا دواؤه وان بك غرثاناً فذا يوم يشبع  
وقال الحطينة :

اعدت للضيغان كلباً ضارياً عندي وفضل هراوة من اوزن  
ومعاذرك كذباً ووجهاً باسراً وثشكياً عض الزمان الالزف

وهذا شر القوم وليس من الناس صنف الا وفيه الخير والشر على ذلك أسست الدنيا  
وعليه درج الناس ولولا احدهما ما عرف الآخر وانما يقضى باغلب الامور ويحكمون

بأشهر الاخلاق . وليس في ثلاثة من الشعراء اواربعة ما هدر مكارم الاخلاق آلاف من الناس ويدد صنائعهم . فهذا كعب بن مامة أثر بنصيبه من الماء رفيقه النمرى حتى مات عطشاً . وهذا حاتم الطائي قسم ماله بضع عشرة مرة . ومرو في سفره على عزة وفيهم اسير فاستغاث به ولم يحضره شيء فاشتراه من الهزبين فخلاه واقام مكانه في القدر حتى ادى فداءه . وكل نحر في طي فهو راجع الى نزار ولم الجبلان وهما ينجد واخذهم بأدابهم ويخلقهم باخلاقهم . وهذا عدي شاطر ابن دارة الشاعر ماله . وهذا مهران في الاسلام كان يقول فيه حدث عن البحر ولا حرج وعن معن ولا حرج . واتاه رجل يستحمله فقال يا غلام اعطه فرساً ويرذوناً وبنلاً وعبيراً وبعيداً وجارية ولوعرفت مركوباً غير هذا لاعطيتك . وهذا نزيك بن مالك بن معاوية باع ابله وانطلق بانثائها الى منى فأنهبا والناس يقولون مجنون فقال :

لست بمجنون ولكني سمع انهمكم مالي اذا عز القمح  
وهذا شيء يكثر جداً ويتسع القول فيه ويخرج الكتاب من فنه باستقصائه وكان  
غرضي في هذا الكتاب ان نذير بالقليل من كل شيء في عيون الاخبار . واما تيميم  
ايام بحيث المطعم كالمليز والحيات ونبيت المشرب كالفط والجذوح فان هذا واشباهه  
طاهم الجاوع والضرورات وطعام نازلة الفقر والقنوات وقال الشاعر

اذا السنة الشهباء حل حرامها

يريد انهم يأكلون فيها الميتة وقال الراعي  
الى ضوء نار يشتوي القند اهلاً وقد بكرم الاضياف والتقديشوي  
وانما كان يكون هذا عيباً لو كانت العرب مختارة له في حالة السر كما تختار بعض  
العجم القباب وبهم عنه غنى والسراطين والمذاج لهم موضة فاما حال الضرورة فاناس  
كلهم يمسرون فن لم يجد اللحم اكل البريوع والضب ومن لم يجد الماء شرب المجدوح  
والفظ .

قال الاصمعي اغير عني ابل حريثة فذهب فركب بحيرة فتبيل اتركب الحرام فقال  
يركب الحرام من لاحلال له : وقال الشاعر

يا ليت لي ثعلبين من جلد الضبع كل الحذاء يحتمذي الخافي الوقع  
ومما بذلك على ان اهل الثروة منهم علي خلاف ماعليه الصعاليك والفقير قال الشاعر  
فما لم الغراب لنا يزداد ولا مرطنان انهار البريص

فانتفى من اكل لحوم الغريان وعير بها قوما  
وقال آخر لامرأته

اكلت دماً انت لم ارك: بفسرة بعيدة مهوى القرططية النشر  
فلو كان تترب المجدوح عنده نحوذا لم يجعل يمينه شرب الدم كما يقول القائل  
شركت بالله ان لم افعل كذا وكذا  
وقال آخر

نعاف وان كانت سخاماً بطوننا لباب النبي وانجى اب الجردا  
يريد انه يرغب وان كان جائعاً عن اكل الخبز بالتمر الى اكله بالشحم ونزل رجل  
من العرب فقدم اليه جراداً فعلفها وانشأ يقول

لحى الله يبتاً ضمني بعد هجمة اليه دجوجي من الليل المظلم  
فابهرت شبعنا قساعداً بفنائته هو العير الا انه يتصكلم  
اتاني ببرقاف الدبا في انائه ولم يك في برق الدبا لي مطعم  
فقلت له غيب اناءك واعتزل ليل ذاق هذا الا اباك لك مسلم  
واما اكلمه اعلاقي والعروق والاحم التي وتركهم طيباً لاطعمة والامايعة وحسن  
الادب عند الاكل فعند المعري هو الاغلب على من الاغلب عليه الفقر فاما ذوو النعمة  
وايسار والاقدار فقد كانوا يعرفون احايب الطعام وبأكلونها وبأخذون باحسن  
الادب عليها  
فالمقصودة لم واسمها بذلك على ذلك تطبخ بالنابن الماخر وهو الحامض فاشتق  
اسمها منه

والمرسية لهم سميت بذلك لانها تهرس اي تدق ويقال للندق المهراس  
والوشيقة لم والعامية تسميها المشيقة سميت بذلك لانها توشق اي تقطع صفاراً  
والعصيدة لم سميت بذلك لانها تعصداً عملت اي تولى وكل شيء الويته فقد  
عصده ومنه قيل المائل عنه عاصد وقال مررد

لبكت بصاعي حنطة صاع عجوة الى صاع سمن فوقه يريم  
وهذا هو العصيدة وقال امية ابن ابني الصلت في عبدالله بن جعدان  
له داع بمكة مشعل وآخرفوق داره ينادي  
الى روح من الشبزي ملاء لباب البر بليك بالشهاد

وهذا هو القول وذم اوصف الناس للطعام والطعم في ذكره . حدثني ابو حاتم قال  
حدثني الاصمعي قال حدثنا ابو طيفلة قال حدثنا شيخ من اهل البادية قال ضفتا فلاناً بمحطة  
كانها منافق الغراني وتمر كأنها اعتناق الورلان يوحد فيها الفرس  
وحدثنا الاصمعي ايضاً عن اعرابي انه قال تمرنا خرس فطس يغيب فيه الفرس  
كان نواهن السن الطير تضع التمرة في فبك فنجد حلاوتها في كعبك

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال قال شيخ من اهل المدينة فأتاني بركة كأن فيها  
مشقاً فلم ار الا كبداء طائفة فغمست يدي فوجدت مضغة فددتها فامتدت حتى كأنني  
ازمر في ناي ولهم الطبخة كثيرة ومن اطبختم الغسانية وهي لا تعرفها عامتنا كالحيسة  
والويكة والخزيرة والفتنة تركت ذكرها واقتصر على ما تعرف وكانوا يقولون :  
اطيب اللحم عوده : يريدون اطيبه ماوفي العظم كأنه عاز به . وكانوا يقولون  
اذا اكتم فسموا وادنوا يريدون بادنوا كلوا بما بين ايديكم وكانوا يكرهون اكل  
الدماغ ويرون استخراجه رغبا وحسماً وقال قائلهم

ولا يلقى الخ الذي في الجمجم

ومن قبائل العرب من يعاف الهبة الشاة ويقولون هي طبق الاست وقال  
قائلهم

ولموت خير من زيارة باخل يلاحظ اطراف الاكيل على عمد

وكانوا يمدحون بقلة الاكل وقال اشعش باهلة

تكفيه حزة فلذات الم بها من الشواء ويروي شرية الغمر

ويبيعون بالشربة والنهم والكسل ويقول للخبيل الاكول ابرماً قروناً يريد انه لا يخرج  
مع اصحابه شيئاً وبأكل تمرتين واسل البرم الذي لا يسير مع القوم وقال بعض  
الرجاز

تسألنا عن بعلا اي فني خب جبان واذا جاع بكي

لاحطب القوم ولا القوم سقى ولا ركاب القوم ان ضلت بني

وبأكل التمر ولا يلقى النوى ولا يوارى فرجه انا اصطي

كأنه غرارة ملاي حشا

وقال الاحنف جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام فاني ابغض ان يكون الرجل

وصالحا بطنه وفرجه

وان من المروءة ان يترك الرجل الطعام وهو يشتهيهِ وقال قائلهم : اقل طعمًا ، تحب منّا ، وقال ايضا : غلبت بطني فطنتي  
وقال عمرو بن العاص لعروة يوم حكم الحُكَّان : اَكثروا الطعام فوالله ما بطن قوه الا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عزيمة رجل بات بطينا  
ومثل هذا كثير لمن تنبه فكيف تكون العرفة بالطعام والادب عليه الا كما وصفنا فلما تركهم انضاج اللحم فلا اعله الا في موضع واحد وهو اذا سافروا وغزوا فانهم يمتدحون بترك الانضاج لعجلة الزماع وقال الشيخ  
واشعث قد قدَّ البشار فيصه يميز الشواء بالمصا غير منضج  
وقال الكيت

ومرضوفة لم نون في الطبخ طاهيا نجت الى محورها حين غرغا  
ولم يزل الشرب اذا اجتمعوا والاحداث من اولاد الملوكة وغيرهم يبادرون بالثبيل قبل النضج

قال اعرابي فخر بعيده وشرب

علافي انما الدنيا عل ودعاني من ملام وعذل

وانشلا ما اغبر من قدريكا واسقياني ابعده الله الجمل

واما اكلهم سقط المائدة فانه اكرام للطعام واعظام للنعمة وجنس من الشكر لواجبها ونبذه في الزايل استخفاف به وتصغير له ويخص بمؤثبه حق عطيته ، ومن وهب لك شيئا صنته وعظمته سمحت لك نفسه بالزيادة منه ، وان احقرته وازدريته كان حريا ان يقطعه والطعام اعظم نعم الله على خلقه بعد معرفته لانه مثبت الروح وبمسك الريق فمن صانه فقد عظم نعمته الله واستوجب زيادة الله ومن امتنه في غير ما خلق له فقد صغرها واستوجب محط الله

حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا ايوب بن سليمان عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال ولا اعلم الا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكرموا الخبز فان الله يحقر له السموات والارض وقد امرنا صلى الله عليه وسلم باكل سهط المائدة وزغبنا فيه

والعجب عدي من قوم غفلتهم الاسلام ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم تشابهت الاخبار عنه بشي هاربه او انتهى عنه فيعارضون ذلك بالعيب وبالطعن من غير ان يعرفوا

العة ولا أن يكون لم في الإنكار له نفع أو عليهم في الإقرار به ضرر  
وأما أكلهم باليارحين والسكين ففقد للطعام ناقص لذته والناس يعلمون إلا من  
عاند منهم وقال بخلاف ما تعرفه نفسه أن أطيب المأكول ما يائثره كصف آكله ولذلك  
خلقت الكف للبش والتناول والتقدير من اليد المطهرة ضعف وعجب وأولى بالتقدير  
من اليد الرقيق والبلغم والخفاح الذي لا يسوخ الطعام إلا به وكف الطباخ والخباز  
تبائسه والإنسان ربما كان منه أقل تقذراً وأشد أنساً

وأما الشجاعة فإن العرب في الجاهلية أعز الأمم أنفساً وأعزها حريماً وإحمائها أنوفاً  
واخشنها جانباً وكانت تغير في جذبات فارس وتطرقها حتى تحتاج الملوك إلى مداراتها  
واخذ الرهن منها والعجم تفخر بأسورة فارس ومرازبتها وقد كان لعمري لم البأس  
وانتجدة غير أن بين العرب وبينها في ذلك فرقاً منه أن العجم كانت أكثر أموالاً وأجود  
سلاحاً وأحصن بيتاً وأشد اجتماعاً وكانت تحارب برياسة ملك وسياسة سلطان وهذه  
أمور نفوسية المنة وتشد الأركان وتؤبد القلوب وتثبت الأقدام والعرب يومئذ  
منقطعة ليس لها نظام ومتفرقة ليس لها التماس وأكثرها يحارب راجلاً بالسيف الكليل والرمح  
الذيلى والفارس منها يحارب على الفرس العربي الذي لا سرجه له وعلى السرج الرث  
الذي لا ركاب له والأغلب يتى قتال العجم الرمي والأغلب على قتال العرب السيف  
والرمح وهما أدخل في الجدوا بعد من الفرار وأدل على الصبر

وشجاعتهم في الجاهلية مثل عتيبة بن الحارث بن شهاب صياد الفوارس وبسطام بن  
قيس وبجير وعفاف ابني أبي مليل وعامر بن الطفيل وعمرو بن ود وأشباههم وفي الإسلام  
مثل الزبير وعلي وطلحة ورجل من الأنصار وعبد الله بن حازم السلمي وعباد بن  
الحصين وقال ما ذهبت أن أحداً يعدل بألف فارس حتى رأيت عباداً ليلة كابل وقطري  
ابن الفجاءة وشبيب لحروري وامثال هؤلاء عدد الرمل والحصى ليس منهم أحد إذا  
أنت توقفت على أخباره وحاله في شجاعته إلا وجدته فوق كل أسوار والرجليون للعرب  
خاصة

قال أبو عبيدة رجليو العرب المنزورون المنتشر بن وهب الباهلي وسليك  
ابن عمرو السدي وأوفى بن مطر المنزلي وكان من حل منهم يلحق بالطيبي حتى يأخذ بقرنيه  
وإذا كان زمان الريح جعلوا الماء في بيض تمام مثقوب ثم دفنوه فإذا كانت الصيف  
وانقطع النزوغوا وهم أهدى من القطا فيأتون على ذلك بعض ويستثيرونه ويشرّبونه

وحدثني ابو حاتم قال : حدثني الاصمعي ان السليك كان يعدو فقتلهم ساهم من كنانته بالارض قدرت وكانت يقول سيف دعائه اللهم اني اعوذ بك من الخيبة وامسا . . . فلا هيبة

وقرأت في كتب العجم ان بهراء جور كان في حجر ملك العرب بالبادية فلما بلغه . . . ابيه وان الفرس عزموا كي ان يملكوا غيره صار بالعرب حتى نزل السواد . . . بالملك وجادلهم عنه حتى اعترفوا له بالحق وملكوه .

وقد كان كسرى اغزى بني شيبان جيشا فاقبلوا بذي قار فهزمت بنو شيبان . . . كسرى فهو يوم ذي قار ثم كان من امر العرب وامر فارس حين جمعهم الله لقتالهم . . . ومساهم بالتدبير ما لا حاجة بنا الى الاذالة بذكره . . .

ومما يدل على تعزز القوم في جاهليتهم وانفتحت وشدة حميتهم ان ابرو . . . فارس واشدها مطوعة واغثانا في البلاد خطب الى النعمان بن المنذر احدى بنيته فريده رغبة بها عنه ولم يزل هاربا منه حتى ظفر به فقتله .

وكان قریش يبت الله الحرام العتيق من اخبارة انصور بالظهير الا بابل . . . ولاته وسدنته والقائمين لاموره والمظمين اشعاره وكان يقال لم اهل الله وجيران الله . . . الحرم وجوارهم البيت وكان فيهم بقايا من الخبيثة بتوارثها عن اسمعيل صلى الله عليه وسلم منها حج البيت الحرام وزيارته واغتسان وانفسل والصلاق والعشق وتربية ذوات الحارم بالقراءة والرضاع والصبر .

وقد كان حاجب بن زرارة وفد على كسرى فرأى العجم ينكحون الاخوات . . . والبنات فسولت له نفسه التأمي بهم والمخول في ملتهم فنكح ابنته ثم تقدم . . . فقال

لما الله دينك من اغلف يحل الخوات لنا والبنات  
احشت على امرتي سوءا وطبقت جيدي بالخزيات  
وابقيت في عنقي سبة مشاتم يميني بعد المات  
فتاة تجملها شيخها فبس الشيخ ونم الغداة

ومما كان بقي فيهم من الخبيثة ايمانهم بالملكين الكاتبين حدثني بعض اصحابنا عن عبد الرحمن بن خالد النافذ قال كان الحسن بن جهور مولى انصور خرج الى بعض ولد سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ككتابا كان ابد اسباب بن

هائيم كتيه بظله فاذا هو مثل خط النساء واذا هو باسمك اللهم ذكر حق عبد المطلب  
ابن هاشم من اهل مكة علي فلان بن فلان الحميري من اهل زول صنعا عليه الف درهم  
فصة طيبة كيلا بالحديدة ومتى دعاه بها اجابه شهد الله بذلك والملكان : وقال الاعشى  
ولا تحبني كافراً لك نعمة      نبي شاهدي يا شاهد الله ناشهد

قوله علي شاهدي اي علي لساني شاهد الله يعني الملك

ومن ذلك احكام كانت في الجاهلية اقرها الله في الاسلام لا يعد ان تكون من  
بقايا دين اسمعيل صلى الله عليه وسلم منها دية النفس مائة من الابل ومنها اتباع حكم  
الرجال في الخفي ومنها البيئونة بخلاق الثلاثة وللزوج علي المرأة في الواحدة والاثنين فهداه  
حالمًا في الجاهلية مع احوال كثيرة في العلم والمعرفة - نذكرها بتامها بعد ان شاء الله  
ثم اتى الله بالاسلام فابتنث منها النبي صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء وخاتم الرسل  
وتناسخ كل شرعة وحاز كل فضيلة ونشر عددها وجمع كلمتها وامدها بملائكته وابدها  
بقوته ومكن لها في البلاد واوطأها رقاب الامم وجعل فيها خلافة النبوة ثم الامامة  
خالدة تالدة حتى يأتي المسيح صلى الله عليه وسلم ليحلي خلف الامام منها فاردة  
لا يستطيع احد ان يأتي بمثلها وخطبها وهي يومئذ لا يحجم فيها فقال « كنتم خير امة اخرجت  
للناس » فلما افضل هذا الخطاب والامم طرأ داخلة عليها فيه واما قوله لبي امرئيل  
« وفضلتكم علي العالمين » فانه من باب العام الذي اريد به الخاص كقوله حكاية عن  
ابراهيم « وانا اول المسلمين » وحكاية عن موسى « وانا اول المؤمنين » وقد كانت  
الانبياء قبلها مؤمنين ومسلمين فانما اراد موسى زمانه وكذلك قوله « وفضلتكم علي  
العالمين » يريد عالمي زمانهم وقوله لقريش « ام خير ام قوم تبع والذين من قبلهم »  
ليس فيه دليل علي ان اهل اليمن خير من قريش في الحسب ولا انهم مثلهم وهم من ولد  
ابراهيم صلى الله عليه وسلم ومن النرية التي اصطفى الله علي العالمين وليس لليمن والد من  
الانبياء دون نوح واما خاطب الله بها مشركي قريش ووعظهم بمن قبلهم من الامم  
الهاكمة لمعصيته وحذرهم ان ينزل بهم مثل ما صلبهم فقال « ام خير » من اولئك الذين  
كانت فيهم التبابعة والملوك ذوي الجنود والمدد فاهلكتهم بالنوب والخير قديق في اسباب  
كثيرة يقال هذا خير الفارسين يريد اجلدها وهذا خير العودين يريد اصلبها وكانت  
قريش كما قال الله قليلا فكثروا ومستضعفين فأيدم بحصره وخائفين ان تظفهم  
الملوك فآمنهم بحرمه بارهصه لم واراد من تمكينهم واعلاء كلمتهم واطهار نوره لم وتغيير



مالك الام لم ومن ذا من المسلمين يصح اسلامه ويصح عقده يقدم على قريش او  
بما دل بها وقد قضى الله لما بالفضل على جميع الخليقة اذ جعل الائمة منها والامامة فيها  
مقصورة عليها ان لا تكون لغيرها والامامة هي التقدم وهذا نص ليس فيه حيلة لمتأول  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الائمة من قريش» وروى وكيع عن الاعمش عن  
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش في الخير والشر وروى  
وكيع عن سفيان عن ابن خشيم عن اسمعيل عن عبد الله عن ابيه عن جده قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قريشا اهل حبر وامانة فمن بغاها فبها التوائ كبه الله لوجهه  
يوم القيمة وروى عن عبد الاعلى عن معمر عن الزهري عن سهل بن ابي حشمة ان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال : تعلموا من قريش ولا تعلموها وقدموا قريشا ولا تؤخروها  
وروى يزيد بن هرون عن ابن ابي ذئب عن الزهري عن طلحة بن عبد الله بن عوف  
عن عبد الرحمن عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان  
لقريش قوة رجلين من غير قريش قيل للزهري ما عني بذلك قال فضل  
الرأسيه قال وكان يقال قريش الكعبة الحسبة ملع هذه الامة علم عالمها طباق  
الارض

وحدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن يوسف عن ابيه عن ابراهيم عن مكحول ان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقوم من احد الا لما شئ  
وحدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا نصر بن خلف الضبي قال حدثنا علي بن محمد الله  
ابن وئاب المديني عن مطرف بن خويلد الهذلي قال سمع رسول الله صلى الله عليه  
وسلم رجلا هو يقول

اذا امرؤ حميري حين تنسبني لامن ربيعة آباي ولا مضر

فقال ذاك : نزع خلدك وابعد لك من الله ورسوله

وحدثنا محمد بن حبيب قال حدثنا ابو زيد شجاع بن الوليد قال حدثنا ابو قابوس  
ابن ابي عليان عن ابيه : سليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سليمان  
لا تبغضني فتضارق ذلك قال قلت يا رسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله  
لا تبغض العرب لا تبغضني

وروى محمد بن بشر البدي قال حدثنا ابو عبد الرحمن عن حصن بن عمير عن  
عطارق بن عبد الله بن جابر عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من غش العرب لم يدخل سيفه شفاعتي ولم تدلي مودتي

وروى حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن المؤمل عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختاب الناس فالحق في مضر وروى ابو نعيم عن الثوري عن يزيد بن ابي زياد عن عبد الله بن الحرث عن المطلب بن ابي وداعة والمطلب بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقا فجعلني في خيرهم فرقة وخلق قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا

ثم يتار العرب في شرف الطرفين اهل خراسان اهل الدعوة وانصار الدولة فانهم لم يزالوا في اكثر ملك المعجم لقاحا لا يؤدون الى احد اتاوة ولا خراجا وكانت ملوك الهيم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ . ثم نزلوا بابل ثم نزل ازدشير بابك فارس فصارت دار ملكهم وصار بخراسان ملوك الهياطلة وهم الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس وكانت غزاهم فكدوه في طريقه بمكيدة حتى ملك سبيلا معطاة مهلكة ثم خرجوا اليه فامسروه واكثر اصحابه فسلم ان يمنوا عليه ونكح من اسر معه واعطاهم موثقا من الله ان لا يغزوه ولا يجوز حدودهم ونصب حجرا بينه وبين بلخ جعله الحد الذي حلف عليه واطلقوه فلما عاد الى مملكته اخذته المنة والحقية بما اصابه فصادفوه ثم ناكثوا لا يمانه غادرا بدسته وحمل الحبر الذي كان نصب امامه في مسيره يتأول انه مات تقدم الحبر فانه لم يجزه فلما سار اليهم فاشدوه الله واذكروه ما جعل على نفسه من عهده وذمته فابى الاجلجا ونكثا فواقعوه فقتلوه وقتلوا حماه وكناته واستباحوا عسكره وامسروا ضعفته وايشوا في ايديهم اسرى ثم احتقروهم واطلقوهم وغبروا بعد ذلك زمانا طويلا وتلوا كسرى ابن فيروز وهذا شيء يخبر به عن فارس فيما دونوا في سير ملوكهم من اخبارهم ومن اقر بهذا على نفسه لمدوه واباحه فخلصه فما ظلك بما استروزين من اسره

وكان فيما حكوا من الكلام الدائر بين ملك الهياطلة وبين فيروز كلام احببت ان اذكره في هذا الموضع لادل به على حكمة القوم وحزمهم في الامور وعلمهم بمكاييد الحروب قالوا لما اتى الفريسيان ثم تصافوا للقتال ارسل اخشنوار ملك الهياطلة الى فيروزان يسأله ان يميز فيما بين الصفتين ليكلمه فخرج اليه فقال اخشنوار قد ظننت انه لم يدعك الى مقامك هذا الا الانف مما اصابك ولعمري اني كنا احتلنا لك بما رأيت لقد

كنت التمسث منا اعظم منه وما ابتدأناك يعني ولا ظلم ولا اردنا الا دفعك عن انفسنا  
 وحرمنا ولقد كنت سجدوا ان تكون من سوء مكافأنا عليك وتكلى من معك وقضى  
 العهد والميثاق الذي اكلت على نفسك اعظم لنقا واشد امتعاضا عما نالك منا فاننا اطلقنا  
 وانتم اسارى ومننا عليكم وانتم مشرفون على الهلكة وحققنا دماءكم وبنا على سفكها قد  
 وانما لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت الراغب اليافيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك  
 ومثل بين هذين الامرين فانظر ايها اشد عارا واقبح سمعا ان طلب رجل امرا فلم  
 له وسلك سبيلا فلم يظفر فيها بغية واستمكن منه عدوه على حال سجد منه وضيقه  
 معه فمن عليهم واطلقهم على شرط شرطوه وامر اصطلحوا عليه فاصطبر لمكره القصد  
 واستعجيا من الغدر والكثام ان يقاس تقضى العهد وختر بالميثاق مع اني قد ظننت  
 انه يزيدك بلجاجة ما تنقى به من كثرة جنودك وما تراه من حسن عدتهم وما اجدني  
 اشك في انهم واكثرهم كارهون لما كان من شغوصك بهم عارفون بانك قد حملتهم على  
 غير الحق ودعوتهم الى ما يستخط الله فهم في حربنا غير مستبشرين وبناتهم اليوم في مناصحك  
 مدخولة فانظر ما غنا من يقاتل على هذه الحالة وما عسى ان تبلغ نكايته في عدوه  
 كان عارفا ان ان ظفر فمع عار وان قتل فالى النار فانما اذكرك الله الذي جعلته على نفسك  
 كفيلا ونعمتي عليك ولى من معك بعد ياسكم من الحياة واشرافكم على المات وادبو  
 الى ما فيه حالك ورشدك من الوفاء بالعهد والافتداء بابائك الذين مضوا على ذلك في  
 في كل ما حبوا او كرهوا فاحمدوا عواقبه وحسن عليهم اثره ومع ذلك انك لست تكلى  
 ثقة من انظف بنا والبلوغ لبغيتك فينا وانما تلتبس منا امرا تلتبس منك مثله وتبادي  
 عدوا له ينجح النصر عليك فدونك هذه النصيحة فبالله ما كان احد من اصحابك  
 يبالغ لك اكثر منها ولا زائد لك عليها ولا يحرمك منفعتها عجزها مني فانه لا يزري  
 بالنافع عند ذوي الرأي ان تكون من الاعداء كما لا يجب المضار اليهم ان تكون  
 على ايدي الاولياء ونحن نستظهر بالله الذي اعتدنا اليه ووثقنا بما جعلت لنا من عده  
 اذ استظهرت بكثرة جنودك وازدهنتك عدة اصحابك واعلم انه ليس يدعوني الى  
 ما تسمع من مقاتلي ضعف احسه من نفسي ولا قلعة من جنود وكفى احببت ان ازداد بك  
 حجة واستظهارا وازداد به للنصر اه

( علما على صحيحا او دعها على سذاجتها )

لان تبقى المرأة جاهلة خير من ان تتعلم تعليماً ناقصاً . او تدري تربية تافهة  
المرأة التي تظل محافظة على سذاجتها الاولى : فلم تتلق شيئاً من مبادئ العلوم  
والفنون . ولم تمارس القراءة والكتابة قد يتسرب لنا ان نقتنحها بانها جاهلة . ثم نوصيها  
بازموم الرجوع في تربية طفلها الى رأي من هو اعرف منها بشؤون التربية  
ومثل تربية طفلها تدبيره وتعلمها وادارة احوالها وروية مصالحها : فحسن لما في جميع ذلك  
ان تعتمد على هــورة زوجها والخبيرين من ذوي قرباتها . اما تلك التي نعت لنعلنا  
ناقصاً ورأى اولياؤها ان لا يعطوها من مبادئ العالم سوى قراءة القرآن . وكتابة  
« ايديوز » و « جناب الاكرم » حاسبين ان ذلك القدر الريق بها واحوط في سلامة  
دينها وآدابها — هذه المرأة تصبح بهذا التعلم الخداج ذات عجب وهنداء ولجاج .  
فلا تعود تصني لمشورة من هو اعلم منها . ولا تقف في افساد تربية ابنها وتدبير منزلها  
عند حد !

نسيء الظن زوجها فتغل يده عن استثمار المال والاتفاق على اطيافهم لتحسينها وتوسيعها .  
تدير شؤون المنزل على غير التقشفية قواعد الاقتصاد اصولاً آلة ووسائل التطهير  
والنظافة . تقول تربية اولادها فتغل بقوانين التربية وتفتت على المربي الخبير اعتداداً  
يكفأها وان معرفتها لقراءة القرآن جعلتها اهلاً لكل شيء ، وعلة لكل شيء ، وخبيرة  
بكل شيء ايضاً .

تريد ان تلقن ابنها المراهق شيئاً من مبادئ الاخلاق والآداب فتحتكي له قصص  
الفلايت والاساطير المكذوبة او تملي عليه ايات عشق وغرام كانت سمعتها من بعض  
اتربها في كتاب سخييف ركيك وضعه واضعه لتعليم الاحداث صناعة الترسل والانشاء  
هامي واقفة في رأس السلم تقول لابنها وهو ذاهب الى المدرسة . حطرتك بكلمات  
الله التامة . سلك الى واحد احد . امسك يابني بالدرابزين جيداً لئلا تزلق ورجلك

خرج الولد من باب الدار فاذا امه تهتف به من النافذة وتوصيه بالابتعاد عن شاطيء  
البحر لئلا يغرق . وعن الكلاب لئلا تزججه او تمضه . وعن الحفر لئلا يقع فيها . ثم تلج  
عليه ان يشد التدليل على عنقه خوف الدغ البرد وان يطبق المظلة على رأسه خشية اذى الحر

وجعت الام بعد هذه الوصاية المتكررة الى غرفتها . ارادت الادلال على زوجها والتهابي على جاريتها فرمت صوتها بدلاوة القرآن تارة ودلائل الخيرات تارة اخرى .  
 اواني المطبخ لم تزل من دون تنظيف . ارض الدواليب لم تزل من دون مسح .  
 طعام الغداء لم يزل الزوج يجهل امره . ويتساءل ماذا يساهم يكون ؟ وضيفه كرا .  
 يجب ان نجعل امامهم ويكافئهم على اباد لم عليه . الطفل الصغير غلب اليوم في احدى زوايا تلك الدار والذباب يتطاير من فوقه . والروائح الخبيثة تنبعث من تحته .  
 رأى الرجل الحالة على ماوصفنا فنادى امرأته ورغب اليها ان تنهض لمراقبة امور البيت بتمهية الطعام

تفألت المرأة عن زوجها . او انت دوسى صوتها بقراءة دلائل الخيرات حال بينهما وبين سماع النداء !

هتف بها ثانية فردت عليه بخشونة . وجعلت تؤنبه على اسائه الادب مع مؤلف دلائل الخيرات وانها تخشى عليه ان يطش به !!

ضاق صدر الرجل فكاد يتفوه بما لايليق في حق اهل الله ثم سكت حتى مضى ولا نعلم ماذا جرى بين الرجل وامرأته . ولا كيف كان امر الغداء . ولكن نذهب مع القاريء الى تلك المرأة التي عرف اولياؤها كيف يعلمونها وكيف يحلونهن تمشيد من الذي تلقته

تزوجت فيساعد زوجها بها . رزقت اولاداً فيالسعادة اولادها من اجلها تعلمت القراءة والكتابة ولكن لم تعلمها لذاتها وانما تتعلمها لكي تتوصل بهما الى درس : مماثلي اعلى وتحصيل فوائد اعلى

قرأت القرآن بامعان وتفهم : فكانت تتناول بعض الآيات وتشرح معناها لاولادها شرحاً مفيداً غاية في السهولة والتقريب . غرست في نفوس اولادها عقيدة الله تعالى ووجوب خشيته واستمداد المعونة والتوفيق منه

وكثيراً ماأسهم الآيات التي تخص على ممارسة الخير والفضيلة . وتطلب منهم ان يستظفروا الفاطمة ويغتنظوا لمعاتها

ولم تكثف من العلم بهذا القدر فقط بل رأت (من الواجبات) عليها باعتبارها ربة منزل ان يكون لها إلمام ومشاركة بن المبحجين ( حفظ الصحة ) ثم لاحظت أنها لاتقدر على تربية اولادها تربية صحيحة مالم تدرس فن الاخلاق وعلم النفس ومعرفة

أسرار قواها المختلفة

قالت : انما أكون سعيدة اذا كان زوجي وأولادي أحماء الاجسام ولا يندوم الصحة لهم مالم أكن عارفة بالأصول والقوانين التي قررهما العلماء في حفظ الصحة ثم ماذا تكون فائدة الصحة اذا لم يقفون بها أخلاق حسنة وتربية فاضلة ؟ فن ثم كانت الواجب علي ان اجمع بين درس الفنون فن الصحة وفن التربية كانت تختلص فرساً من وقتها ثم تقبل علي مطالعة الكتب التي وضعت في هذين الفنون الجليلين . وكثيراً ما كان يسهي عليها فهد بعض المسائل فتستأذن زوجها أن تكتب لبعض الاخصائيين في هذين الفنون . فكان يأذن لها منشراح الصدر هادي البال

قالت اذا كان الحجاب يحول بيني وبين التردد على أفاضل العلماء في منازلهم فما أنا ذا يحمد الله أستأجع الكتابة اليهم بعبارة نصيحة فلا أدع الحجاب يحجبني عن القيام بالريفة الدينية وهي ( طلب العلم )

وقد كتبت مرة الى بعض انفس الاماياه تسأله رأيي في مهد طفلها هل تتخذها مما يهز باليد ، هنأ أو يكون ثابتاً يقرئك كتب البها يهول : « الأفضل أن يكون المهد ثابتاً لأن الولد اذا اعتاد التراجع في الارجوحة اضطرب نومه . وغلب عليه القلق والارقي او تبقى يد الأم قابضة على دفة السرير تحول الليل وهذا مما يذهب براحتها ويحرمها طيب المنام . واذا ارادت الأم ان تستزيد من الراحة لها ولطفلها فلا تدشعمل عادة التقيط فتشدد لى اعضاء الطفل وتجعله كطرد « البرسطة » او كالنوماء المصرية . وشد الطفل على هذه الصورة يضايقه ويضطره الى البكاء ومتابعة الشكوى من هذا الظلم الفادح . راسكن الأم الجاهلة لآتيه لسبب بكائه فتعصبه انما يكي فجوراً منه أو نكايه بها فتأخذ في هز المهد والتدخيل عليه ولي القدر طول الليل » اه

ومما رأت هذه الأم الفاضلة انها في حاجة الى تعلمه — مبادي الكيمياء ودرس طباع المادان وخواص الاجسام فتعرف الضار منها من غير الضار والسام من غير السام

وبعد خمس عشرة سنة من زواجها صار لها بضعة اولاد فكانت بعد رجوعهم من المدرسة تكثر من مفاكهم ومداعبتهم ثم في غضون ذلك تودع نفوسهم مسالى العلم واحدة فواحدة

ولا أنسى اذ كانوا مرة في صحن الدار وكانت الحاجة (طباختهم) قد ذهبت الى بيت الجيران في بعض شأنها

فنادت الأم أولادها قائلة ذهبت « الحاجة » وسوف تمكث عند الجيران أكثر من ساعة اذ اننا نعرفها تكثر الحديث وتحسن الاقاصيص فلتنتهم فرصة غياها ايها الاولاد. ولتنزل الى المطبخ وذا - امد مانيه من الأواني والادوات المختلفة - اغتصم ايها الصفة لاتعرفون انواع المعادن - وان في المطبخ من المعادن مجموعة نفيسة : هلموا معي اليها - فقرأ كفض الاولاد وراء امهم مسرعين

آه ما احسن تصفيف هذه الأواني وما اشد ما اعتنت الحاجة بتنظيفها . شكراً لك ايها المعجوز

انظروا هذه المقالي والقذور الصغيرة فهي من النحاس . والنحاس مبدن نافع جداً يستخرج من جوف الارض والذي يصنع منه الأواني يسمى نحاساً . وهذا النحاس يتوصل الى صنع القذور النحاسية بوضعها على السندان وضربها بالمطرقة الصخمة ثم التفتت الى ابنتها الصغير ( وهي ) وقالت هل تعرف ياوهي ماهو السندان وما هي المطرقة ؟ قال نعم ياماه كنت اريتهما في حانوت الحداد القريب من دارنا انظروا هذه القدر التي وضعتها ( الحاجة ) في ناحية بعيدة عن « اثر القذور اتعرف السبب في ترك استعمالها ؟

كلا ياماه !

السم ترونها كامدة اللون

بلى ياماه

احترزوا ايها الاولاد من ان تضعوا شيئاً من هذه المادة الخضراء في افواهكم : هذه البقع يسمونها ( الزنجار ) وهو احد السموم . القتالة لتتظر الآن في القذور الأخرى النظيفة التي نطبخ فيها

داخلها لامع نظيف . وهو منطى بطبقة رقيقة من معدن ابيض وهذا المعدن يسمى ( قصدير ) وليس القصدير كالنحاس في تولد سم الزنجار عليه ولذلك يطلون به النحاس اذا طبخنا النحاس بطبقة رقيقة من القصدير قيل انه ( مبيض ) اما اذا مزجنا النحاس والقصدير معاً بعد صهرهما كان لثامنها معدن يسمى ( برنزا ) . والتفتت الى ابنتها ( حسني ) وسألته هل تعرف معنى الصهر ؟ قال لا . قالت الصهر تذويب المعادن وجعلها لحالة

السيالات . ثم قلت لم هو ذا شمعان من معدن البرنز . والجرس الصغير المعلق على باب الدار ببلن محي القادمين من وقت الى آخر هو من البرنز واجراس الكنائس التي تسمعون اذانها منخذة من البرنز ايضاً . وكانوا قديماً يصنعون المدافع من البرنز وبقوا على ذلك زمناً

وكان البشر في اول امرهم يستخدمون شظايا الاحجار ( اي قطعها ) في ضرب و مراقبة فكانوا يخذون منها سكاكين وفؤوساً ويسمى ذلك العصر بالعصر الحجري . ثم اهتدوا الى النحاس ومزجوه بالقصدير فحصلوا على معدن البرنز ومن هذا البرنز كانوا يصنعون اسلحتهم وادواتهم وما زالوا على استعماله حتى عرفوا الحديد في العصور الثالثة ويسمى هذا الدور الثالث للبشر ( العصر الحديدي )

والحديد انفع المعادن قال تعالى ( وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ) . فاعتبر ( ح . ي . ) والدته وكان اكبر اخوته قائلاً : يا اماء وهل نزل الحديد من السماء ؟ قالت كلا وانما خرج من الارض قال فكيف يقول الله تعالى ( وانزلنا ) قالت ان معنى ( انزلنا ) هنا وهبنا ونحننا

ثم قالت لم : ايس الحديد جميل المنظر ولا هو بذى لمان ويرى كثيره من المعادن ولكن مع هذا لا ينبغي انكم ان تحكوا على الشيء بمجرد النظر الى هيئته الفاضحة . فان الحديد مزايلا لا توجد في سواء . اعظم تلك المزايا صلابته ومقاومته للضغط الشديد الذي يقع عليه . وهذا الموقد من الحديد . ويستخرج الحديد من الارض ممزجاً بشوائب اخرى فيصهره بواسطة موقد كبير حتى يحصوه من تلك الشوائب . ويسمى الحديد بهذ ' التمهيص ' ( حديد الصلب ) وهذه القدر الصغيرة من ذلك الحديد . واذا طلينا الحديد بالقصدير خرج لنا معدن هو ( الصفيح ) وهذه الآلية الصغيرة التي نسوي فيها القهوة من الصفيح . واذا اضيف الى الحديد مقدار قليل من السكرين ازداد صلابته وسمي حينئذ ( فولاذ ) وهذه السكين التي ترونها على ( الترابيزة ) متخذة من الفولاذ

انفع الآت درج « الترابيزة » . هذه ملاعق من القصدير الممزوج بمعدن آخر لين ثقيل هو « الرصاص »

ثم قالت لم مشيرة الى الجدار : انظروا الى المرأة . المرأة نديم المرأة ومن عجيب اخلاق النساء انهن يحرصن على اصطحاب هذه الاداة حتى في المطبخ !



هذه الطليقة اللامعة التي تغطي سطح زجاج المرأة من وراء والتي يسببها تنعكس صوركم الى عيونكم - هي مزيج من القصدير والزنبيق

والزنبيق معدن ابيض لونه كلون الفضة واذا كانت حرارة الهواء اعتيادية كان الزنبيق في حالة ميوعة . حتى اذا اردت القبض عليه يديك فو وتفلت من بين اصابعك . ومن اجل ذلك كفى عنه غواية الكيمياء القديمة بالبعد الفرار . وانشدوا في بعض منظوماتهم

خذ الفرار والطلقا . وشيئا يشبه البرقا

فان . اسكته . سحقا ملكك الغرب والشرقا

ومعدن الزنبيق يذكرنا بالفضة . انظروا ادوات الفضة . ها هي منضودة بعضها فوق بعض في الخزائن . انظروا الملاعق والشوك ملاشد لمعانها وما اكثر بريقها . والفضة من المعادن الثمينة . وهو قلما يتغير لونه مهما تعرض للهواء وهناك معدن آخر اثبت منه واقل تغيراً . هو معدن الذهب . انظروا الى خاتمي هذا : فهو من الذهب . ولست في حاجة الى جلالته او تنظييه . فاذا اضفتم الى هذه المزية مزية لمعانه الجميل ومزية ندرة وجوده عرفتم ان ذاك مبلغ نفاسته وفضله على سائر المعادن . والتعود ذات القيمة العالية تلغذ من الذهب لكنهم يضيفون اليها قليلا من معدن النحاس ليكسبها فضل صلابة . هلموا بنا ايها الاولاد نضع كل شيء في محله ونرتب الادوات الفضية كما كانت اولاً ولنعلم النظام الى هذه المملكة الصغيرة فان المطبخ هو مملكة ( الحاجة ) التي لها فيها مطلق التصرف .

كيف ايها الاولاد انا جئتم ؟ ان هذه الروائح الطيبة المنتشرة فوق القدور تدشرننا بشذاهن لذيذ . ها هو اللحم يتضج . واني اقول لو كانت طباختنا ( الحاجة ) هي وقدورها في بلاد ( الاسكيو ) لكان لما شأن يذكر .

قالوا ولما ذا يا امه !

قالت الاسكيو سكان الشمال حيث الجليد الدائم وليس لسبهم معدن يتخذون منه قدوراً ولا تراب يصنعون منه اواني خزفية . فان التراب اذا استحك جفافه اصبح صلباً صبوراً على احتمال النار . ومن لم يقدر على اقتناء قدر من نحاس اقتناها خزفاً . واذا فقد انسان والحرف فكيف يمكنه طهي طعامه . ! والاسكيو كيف يصنعون ؟

يخذ الاسكيو مكان القدور جراباً من جلد وفي هذا الجراب يطبخون ما يقتاتون به من اللحم . نمرخ احد الاولاد : كيف ذلك يا امه : انهم اذا ادنوا الجراب من النار

احترق واذا ابدوه عنها لا يظلي الماء ولا ينضج اللحم .  
 قالت امهم نعم . ولكن الاسكيمو اعتدوا الى طريقة ولابية بالنار . ذلك انهم  
 يمشون في شواطئ البحار عن مقادير من الحصى الصغيرة ثم يطرحونها في النار فتصمى  
 حتى تصل الى درجة الحرارة فيتناولونها اذ ذاك ويضمونها في جراب الجلد حيث يكون  
 اللحم والماء . فلا تلبث الحصى ان تنطفيء وتحدث حرارة قليلة في الماء . ثم يكررون  
 العمل ويناولونه المرة بعد المرة وبهذه الصورة تزداد حرارة الماء ثم ينضج اللحم .  
 ولم تصل ام الاولاد في حديثها الى هذا المكان حتى سمعت صوت الجرس . ( البرنز )  
 يرن على باب الدار يعلن رجوع ( الحالجة ) فصرخت لاولادها هلموا بنا قبل ان ترانا  
 فترغم اتنا افسدنا مملكتها وشوشنا عليها نظامها . فتراكضوا جميعهم من باب المطبخ  
 مسرورين ضاحكين ولا يبهمن المقبل مصطحين ومعانقين



## الاسلام والمدنية

اذا كان المرء صاعياً في اصلاح داره يجب في الاكثر ان يسترشد بآراء من سبقوه  
 الى اصلاح دورهم ليضم اختياره الى اختيارهم ويقتصر عليه مسافة عمله وربما اتى  
 بعضهم وارام ما هو آخذ بسبيله فان قدر ان يعمل بآرائهم كلها ان كانت صائبة والا  
 فلا اقل من ان يتنفع ببعضها

اولع الغربيون منذ حدث انقلابنا العثماني الاخير بالبحث في شؤونا بعد ان كانوا  
 يشعرون من اصلاحنا فصار بعض خاصيتهم يزورون العاصمة وبعض الولايات ويكتبون  
 تصوراتهم عن السلطة العثمانية وقيسوا الخاسر بالغار في بعضهم يستعزى بنا بواننا لا نأوم  
 في الاكثر ارباب الاعراض السياسية وفريق يتوسط فيمنج استقصان ما يستحسنه  
 يستهجن ما يستعجز . ومن هذا الفريق المسمى مارتين هرنى احد علماء المشرقيات في  
 برلين . وهو من الذين قضوا سنين طويلة في سورية وعرف طبائع المملكة العثمانية  
 واشتهر بعرفة العربية من تأليفه التي نشرها وهو يمجيد الكتابة والفهم بلغة ناعمة  
 فضلاء كتابنا وله نظر في احوال المسلمين ولا سيما في البلاد العثمانية والتركستان  
 الصينية .

زار هذا المستشرق عاصمة السلطنة وبعض قواعد بلاد الروم ايلي فكشف كتاباً

بالامانية وصف فيه ماشاهده في رحلته وقد اطلعنا على زبدة من كتابه في مجلة العالم الاسلامي الفرنسية فآثرنا الاشارة اليها ثم نعلق عليها ماآخذناه به من حكمه على المسلمين والاسلام ليرى اهل هذه النيار ما يصح لنا به جيراننا لاصلاح يشنا قالت المجلة : اراد بكتابه ان يعرف مرآة وما سمع به مدة مقامه في البلاد العثمانية فاورد ما انتهى اليه من المواد على علاته ولم ينظر فيه نظرة اخيرة ومهما يكن فان كتابه يتلى بامعان وفائدة لانه من الفيد مظهر من الاسفار على البلاد العثمانية حديثاً وربما ظهرت على كلام المؤلف رشاشه من سوء النظر في العواقب ولكن بما لامرية فيه انه كفو في الموضوع الذي خاض غماره لاغرض له بل هو نظار جدير ان يحمل كلامه موقع الاعتبار

ربما قيل للمؤلف ان مقامك قليل في تلك البلاد فكيف ساغ لك ان تحكم بهذه السرعة فقد رأينا من يطيلون مقامهم في بلد يالفون بمنزلة المسائل الرسمية والحياة الادارية متسرعين ويطرحون النظر في حياة السواد الاعظم من العامة فيفوتهم كثير من المسائل الاجتماعية ذات الشأن العظيم على ان السائح قد يلاحظ هذه المسائل احسن من المقيم

وهناك اعتراض آخر وهو ان المؤلف قال ان كتابه عبارة عن سلسلة رسائل غير سياسية والتاثر فيها تقبلي له السياسة من اعطافها واطرافها لاول وهلة . ويرد هذا الاعتراض بما هو معروف عن المسيو هرتمن من عدم القرب لفته وانه يحول ان ينصف الكل فهو لا يمتنع احداً ويرمي الى ان تعمل كل امة وكل جماعة وكل شخص في خدمة المدنية والحضارة ما ساعدتها اسبابها . فقد رأينا بأسف عند ماري العصري الاسلامي وهو ممن يحبه لايسير الى هذا الغرض لان الجمع بين الشريعة وبين مطالب الحياة الحديثة لا يخلو من تناقض . هو يرى ان فكر الاجتماع في الاستانة والمدن الكبرى في الولايات غير موجود ولكن اذا انقضت ايام السياسة الحميدية فان نتائجها ما انقضت

قالت المجلة ولو قلنا في العام الماضي ان على الحكومة العثمانية اذا ارادت الاستمتاع بالبدور التي يجوبها القانون الاساسي في مطاويه ان تربي الامة تربية دستورية ديمقراطية فعذا مما تشدد حاجتها اليه . أيد المسيو هرتمن هذا الرأي فقال ان الانقلاب العثماني لا يشبه الانقلاب الفرنسي فقد كانت الامة في فرنسا تتبع القائمين بالثورة منحمة

وشاركهم في آرائهم اما الشعب العثماني فلا يزال على آرائه القديمة ولذلك اراده المؤلف ان يرجع عنها واقسم عليه ان ينظر للامور نظراً صحيحاً لأن ارتفاع كلمة العثمانية معلق على اعتدالم ويمكن ان يكون للنساء العثمانيات عمل عظيم في النهضة الوطنية

وقد درس المسيو هرتمن حالة الاتحاديين السياسية في سلانيك ولا سيما تأثيرات طائفة الدمة وفيها وهم شعب اسرانيلى دائ بالاسلام . وجاء الاستانة بحث عن كل شيء من سياسة ودين وادب وصحافة وسياحة اجتماعية وعقلية واقتصادية . وانتقد الاسلام انتقاداً شديداً فقال انه يراه عقبة في سبيل الاصلاح فلا رجاء معه لتنظيم الادارة . والطرق الدينية في الاسلام تختلف عن الطرق الدينية في النصرانية لان لها تأديراً سبباً وان ما يظهر من امرها يفسد الدين ويقتل من اعتباره . فاهل الطرق البكداشية والمالامية والمولوية والنقشبندية والقادرية على اختلاف اسمائهم هم خطر على الامة مما كانت مكانتهم وان اتفقوا مع اهل التربية الحديثة من العثمانيين وهؤلاء ملحدة يعرفون كيف يتظاهرون بالدين واحترام الشريعة . ورجال الدين على الجلطة هم قوة عاتلة محترمة وان قل التسامح فيهم

يقول المؤلف ان تسعة اعشار رعايا المملكة العثمانية متعصبون فالاكراذ اكثر تعصباً من غيرهم ويقل تمسك العرب بالدين في باطنهم فهم اقل تعصباً وليس المسلمون من الالبانيين من التسامح على جانب عظيم واهالي البوسنة الذين انفصلوا حديثاً عن المملكة العثمانية موزعون في المصعب وادعوا للفاية . ومن الاسباب التي تساعد على بقاء الحمية الدينية مظاهر شهر رمضان المنوعة فالدين . يعطى عليه الحكومة ويصعب الان ان يكون من الاعمال الخاصة بالنفس

تدخل الافكار الغربية البلاد العثمانية ببطء فالاشتراكية التي بنشرها البلغار يون خاصة في البلاد ومنهم رئيس منتدى سلانيك حيث تقرأ المطبوعات الفرنسية والالمانية في هذا الموضوع ولم اشيع من الزوم وتصدر في ازمير جريدة اشتراكية روية كما تصدر جريدة اسلامية اشتراكية واذا كان قراؤها على ما هو معلوم من حالتهم صعب ان يكون ارتقاؤها سريعاً بين المسلمين . فليس في البلاد العثمانية طبقة وسطى كما في سائر ممالك اوربا

وبنيسر المرأة العثمانية ان تكون ذات نفوذ فقد رأيناها في سلانيك ترقى بسرعة

خارقة للعادة . ولكن ارتقاءها في البلاد الاخرى بطيء جداً . ويمكن ان يقال ان حالة المرأة العثمانية احط من المرأة المسلمة في روسيا التي تستمتع بحرية عظيمة فيسرها لما ان تدرس في المدارس الثانوية والعالية وتستخدم في الوظائف على اختلاف مراتبها . والمسلمون في روسيا محبيون الى النفوس مثل اخوانهم العثمانيين وهم يهتمون بما يجري في آسيا الوسطى والشرق اكثر من كل بلد سواء وربما كان المسلمون في روسيا غالباً انقلب اذهاناً وعقولاً من حكماءهم الصقالبة اه

هذا ملخص كتاب الباحث الالماني وفيه الجيد ولكن فيه منامز كثيرة لانجب ان يفوتنا النظر فيها نعرضها على المؤلف وعلى القائلين بذهبها واولها وهو ما كنا نرجو ان لا يقع فيه امثال الاستاذ هرتن قوله ان الجمع بين الشريعة وبين مطالب الحياة الحديثة لا يمكن من تناقض وان الاسلام عقبة في سبيل الاصلاح واعلم المؤلف يقصد من ذلك الشريعة النافذة في بلاد المسلمين اليوم وبعضها مما يخالف الاصول الصحيحة وهدي الشارع واصحابه وتلاميذه والائمة المهديين والعلماء المعلمين

لاجرم انه دخلت بدع وخرافات وموضوعات على الاسلام عبثت بجماله وكادت تضعيع به اصوله لو لم يقيض له في كل زمن مجددون ومصلحون يدعون الامة الى الوقوف عند حد الكتاب والسنة وطرح الزوائد التي تفسر ولا تنفع واكثرها مما تسرب الى الدين من الوثنية الاصلية وسرى الى الاسلام كما سرى الى اليهودية والنصرانية من قبل . فالاسلام دين التوحيد وهو اكثر الاديان تشديداً فيه وحرساً عليه ومع هذا نرى بدعاً دخلت عليه تكاد تقربه من الوثنية لولا سلامة الاصول المحررة المعتمدة وقيام الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر في كل عصر وعصر .

لم يهد المسلمون ايام كانوا يدينون بالاسلام الحقيقي ان دينهم كان مانعاً لهم من الرقي الاجتماعي والادبي والعلمي والسياسي فالدين الذي جعل من موال الاغنياء صدقة للبائسين والموزين قد فرض على متخلفيه ما يسمونه اليوم بالتضامن والتكافل فلم تنشأ فيه الاشتراكية المتطرفة التي تهزها اعصاب المفكرين في الغرب اليوم . والدين الذي يأمر كتابه في الزواج بقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وان ختمت ان لا تبدلوا فواحدة الى ان قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قد نكح كل من العهر والفجور وحفظ نظام البيوت احسن حفظ وراعى حقوق المرأة وسنة الطلاق لزوجين لم يتأت ان يمتشرا بالمعروف ليس فيه ما يؤخر المدنية ويحول دون

سعادة اهلها ولكن خلف بعد السلف خلف اضعافا الاصل والفرع وانتهكوا حرمان الله وجهلت الامة فاغلظت حجاب المرأة بعد ان كان رقيقا معقولا حتى منع الرجال من الاختلاط بينات حواء فنشأت عن ذلك مضار ومنافع والمضار اكثروا ولو وقف الحجاب عند حد ما رسمته الشرع من ان لا يدي التماسا زينة بين الابولولتين وبضرب بن بضمهم على جيبين لكان نظام البيوت في المسلمين اليوم ارقى مما هو وخلصوا من معاكسة الطبيعة في رغائب النفس وبخفاف الجنسان أكثر من الآن ولما اصبحت حياة رجالنا وحياة نساينا لا تخفى من نقص وغصص

والذين الذي يأمر صاحبه اصحابه ان يتعلموا لغة اليهود والحيشة ويحث على تفهم اسرار الكون من طرقها حتى لم يأت على الاسلام قرنان الا وقد تناول اهلهم يموتون اغلظاء وما عرف من علوم البشر وتداولوه بينهم وصبروه بصبة بهم حتى انشروا لهم مدينة لو لم يكتب لها القيام لانقطعت من العالم سلسلة علوم المصريين واليونانيين والرومانيين والفرس والهنود ولاضطروا اهل المدينة الحديثة ان يرجعوا مبشرين بالعلوم بحيث لا يتيسر لهم تأسيس المدينة التي اسسوها في ثلاثة قرون الا ان تؤسس في عشرين او ثلاثين قرنا - ان دينا هذا شأنه وهو لم يجمع ايضا من تعلم العلم والفلسفة ليس من الاديان التي لا تنطبق مع روح هذا العصر

والذين الذي انتشرت كلمته في الآفاق وسلاحه الهداية والرفق بالمستضعفين وحماية العاجزين وجهاد المنفذين والمخالفين حتى دانت به اسم كثيرة عن رضى هودين لم يخرج عن المنزول من استنباع الناس ورشادهم ومعظم الفتوح التي ينتقدها عليه القاعدون هي للاستعمار ومع هذا لم يحدث فيها من الولايات ما يحدث لأكثر دول التمدن الحديث عندما تبهم ان تستعمر قطرا من اقطار الشرق

واقال نرى الغربيين في احكامهم على الشرق يخالفون ما يحرمون عليه في بلادهم قري البول الراقية منهم في آدابها هي التي تحافظ على دينها فقد رأينا المانيا قد احتفظت بالنصيرية المشددة اي البروتستانتية ولم تعقبها عن سيرها في مدارج التقدم العلمي والمهتدي والاجتماعي وكذلك نرى انكلترا تحصر كاثوليكيا على تنالها القديمة حتى عد الاجتياحيين من جملة ارتقائهما انهما لم يبنيا الذين كان يذو رجال فرنسا فكان منه الولايات على حانرها ومستقبلها وما نظن النصيرية لو انصفنا أكثر انطباقا على قوانين العلم من الاسلام

ولوقال الأستاذ هرتن ان حالة المسلمين اليوم لا تنطبق على الاسلام امس ولذلك يصعب قيام اصلاح بينهم. لاحاب الغرض بمض الشيء فقد ذكر الطرق الدينية التي تفسد الدين وتقتل من اعتباره في الانظار ولو انصفنا ونظرنا الى من استوفا تلك الطرق لرأيناهم على جانب من الاخلاق الفاضلة - التدين الحقيقي واكثرهم كانوا من جند علماء الاسلام العالمين لا المعطلين الجاهلين

وهذا الجلود لم يحدث الا في تقرون اناخرة بصنع اناس لاخلق لهم من الملوك اموال رؤساء المذاهب والطرق يشذون ذرية الى السياسة كما اتخذ الشاه عباس الصفوي من مذهب الشيعة مسنداً له في سياسته فاستعمل العلماء واسطة للتفريق بين اجراء الامة ونشط كل ما املاه التعصب التميم وسكت عن كل قصور وكذلك فعل السلطان سليم الثاني وقتل من الشيعة زهاء ألفا في وقت واحد في الاناضول بحجة دينية والحقيقة انه لا يقصد غير السياسة

فالملوك المتأخرون استعملوا الذين ذرية الى الدنيا وعيشوا مراً بحرم الله وادخروا في الدين ما ليس منه وجعلوا العامة مسيطرين على اخاظة ففسد النظام وعاق ذلك اصلاح في القرون الجاهلة والافاضة بهم اليوم. تبع العثمانيين ولا سيما المسلمين منهم من الرقي وقد ارتفعت اكثر الحواجز وتغيرت بفضل القانون الاساسي الذي لا ينافي احكاماً من اصول الشريعة ذاتاً رأينا بعض نقض وجب علينا ان نفسر شريعة تطبيقاً على العلم كما يأمر بذلك العلماء الراحمون .

اما اغتباط الاستاذ هرتن بمثل المسئلة في روسيا من انه يباح لمن الدرس في المدارس الثانوية والعالية مع الفتيان فهذا على امثاله لا يصح ان يكون حجة على المسئلة العثمانية والاختلاط الا الى حد محدود لا يخلو من مفساد يعرفها علماء الاخلاق في الزب وهم منها اكثر شكاية منا ويرجى بفضل الافكار الزرية التي تدخل ببطء الى بلادنا كما قال المؤلف ان تكون بعد البوء حل المرأة المسلمة اكثر انطباقاً مع المدنية والعقل والتسرع فليس كل ما نراه هو ما كان عليه السلف الصالح كما قلنا

وان معظم ما تشكرو منه من امراضنا الاجتماعية ليس الدين منشأؤه بل الجبل بامور الدنيائية بخي لنا تهذيب نسائنا وتعليمهن على اصول الدين في المدنية ورجالنا كذلك وعندئذ لا يرمي مثل المسيو هرتن اهل هذا الدين كله بما رماهم به ونحن نرى البيان وهي الدولة الوثنية من ارفة دول الحضارة الحديثة ولم تقمها وثنتها عن ذلك

ونظن المؤان يوافتنا على ان الاسلام بما دخله من خرافات المتأخرين أكثر اتفاقا  
مع المدينة من وثنية يابان.

فحياء الامم بالدين الذي لا يمازجه تعصب أكثر منها بالاخلال من كل دين وامة لا يقدم  
لها يصعب عليها الانفاع بمحدثها كما فعلت فرنسا فارادت بهذا كل قديم واحلال  
الحديث مكانه فحسرت الصفتين او كادت ولوربي شعبها تربية دينية خالصة مع ما يلقنه  
من التربية المصرية لما شكت فرنسا من زيادة العبر فيها وقلة نفوس سكانها سنة عن سنة  
وانا لمتقن ان قلة التسامح الذي نراه في الجامدين من اهل الطرق وادعياء الدين يقل  
جداً من الملطنة يوم نعلم ان نعلم ابناءهم التعليم الوسط المنتظم دع ذلك العالي وحيثنا  
مناخلة باستنار تاولاجورد الامع الجهل وطريقة دينية على اصولها يدخلها التشوه والاصلاح  
بحسب سنة الخمر والتدريج انقع من طريقة دينية لا تشربها نفوس من تعرضها عليهم  
ولا تصاحب تقاليدهم واوضاعهم

## الشعرى

اذا غابت الشمس بساعة في هذه الايام مسرح طائر نظرك على منفع الافق تركوكبا  
متوقداً يرتفع شيئاً فشيئاً باهية وجلال وهو يزيد تألقاً كما زادت الظلمات حكمة ويرتفع  
في القبة الزرقاء في جهة الجنوب الشرقي . فهذا الكوكب هو الشعري العبور وهي التي  
ترصع جبهة الرقع بهذا الفص البدع بحيث يصدق ما قال فيها عبد العزيز بن عبد الله بن  
طاهر وهو من ظريف ما قيل فيها :

واعترضت وسط السماء الشعري كأنها ياقوتة في مدرى  
وقال فيها ابن المعتز :

شربتها والديك لم يذيقه سكران من نومه طامع  
ولاحت الشعري وجوزاؤها كمثل نرج جرء راح  
وشبه ابو نواس الدرهم بها فأنشد :-

انت صقراً يئلب الصقورا مظفر أبيض مستدي

تخاله في قدمه العبورا

فهذا الكوكب لحسنه عبده قوم من العرب في الجاهلية راليه الاشارة في سورة النجم



« وانه هورب الشعري » وكان العرب قد اخذوا هذه العبادة عن جيرانهم الحصريين الذين كانوا قد اهلوها لانهم كانوا ينسبون اليها فيضان النيل . وقد زدت شهرتها ليلام شعراء الامم كلها بحسبها وتقاضياتها الازهر . وثبت لهم الخيال اجنحة زاروا بها في عالم الخيال . لارادع لم يردعهم ولا وازع لم يزعجهم فكم من شاعر ذهب اليها باوهم فسكن فيها ونظر منها الى الارض بل وكمنهم من تعود هذه الفعالة بدون ان يتروا في ما يقوله من الخيال . فهذا لتير قد وضع احدوثه اسمها الضخير الكبير (مكروميفاس) جعل المروي عنه واحداً من سكان الشعري . ثم يني على هذا اليوم ما يني ومثله فعل رنان فنه قال : اذا اراد الانسان ان يرى محاسن الارض فليرق الى الشعري فانه يجده فيها احسن مرقب يرقب منه هذه الحبة الخضراء المعرونة عندنا باسم الفرباء ولا يخفى ما في ذلك من الوهم المستحيل لان شدة حرارة الشعري تمنع ايأاً من كان من ان يدخلها اذا ما بلغها . بل تمت ايأاً من كان قبل البلوغ اليها .

فلندع اذاً اهل الخيال في جوم يدبسون واهل المحال في ميدان تصوراتهم يرحون ولانأت الى مجالسة اهل العلم من المصريين ولتسألهم عما كنفوا انما من الانباء ونطلب اليهم ان يهتكموا لنا شيئاً من استار مظاهرها الخفاء ولتسمع ما يرويه لنا احد اكابر الفلكيين وهو العلامة شارل نوردمان من نجلة نلماء باريز اذ يقول :

اننا نرصد كل مساء الشعري العبور ونثبت بواسطة المرقب نورها ففصله تحليلاً بمرامع هنالك من الفرائب والاسرار الغامضة وتروي لنا هذه الرسول الصغيرة في اعيننا حقائق ودقائق تأخذ من قلوبنا اي مأخذ حتى انها ترهنا الى اعالي لم يرق اليها الخيال باجنحته الذهبية . والشعري تبعد عنا نحواً من خمسمائة مرة من بعد الشمس عنا . ونورها الينا لا يصل الا في مدة تسع سنوات . اي انك اذا رأيت نورها اليوم فهو لم يشرق عليك الا قبل تسع سنوات والذي تراه اليوم كان قبل تسعة اعوام . واذا حدث فيها حادث جديد في يومنا هذا فلا يمكنك ان تراه الا بعد ان تنفي عليه هذه المدة المذكورة لان النور يقطع في الثانية ثلثائة الف كيلومتر . فالظاهر اذاً ان الشعري البائية بعيدة عنا بعداً عجيباً ومع ذلك فهي قريبة منا بالنسبة الى سائر الكواكب التي قد ذر قرننا منذ الوف من السنين ونورها الى اليوم لم يلفنا . ونحن نعلم اليوم ان الشمس والشعري ليستا الا كقطرتين من بحر عجاج متلاطم بامواج الانوار ذاك الجبر الذي نسميه « المجرة » والحال ان النور لا يقطع عرض المجرة الا في مدة خمسة وعشرين الف سنة . والشعري مع هذا هي اليها اقرب هذه الكواكب المنتشرة لي

بساط الحجرة من سواها وذليه فرصد الارض من علو الشعري لمن التحيلات المتوغلة في المحال .  
وقد أتبع الفلكي المذكور ان يقبس بوسائط مذكورة في علم البصريات ليعرف درجة  
حرارة جو الشعري فوجده لا يقل عن ١٢٠٠ درجة . ولا يستطيع ان يتصور علوه هذه  
الدرجة البعيدة في الحر الا اذا قابلنا حالتنا في ايام الصيف عندما يشتد اعظم الاشتداد  
فلا نستطيع ان نفهم ولا نتحرك ومع ذلك لم يبلغ الحر الا ٤٠ - ٥٠ درجة . ثم ما الحال  
لو قابلنا تلك الحرارة بدرجة غليان الماء وهو لا يكون الا في مائة درجة . وما عسى تكون  
تلك المقابلة لو علمنا ان اعظم حرارة بلغ الانسان الى الحصول عليها على الارض هي ٣٥٠٠  
درجة وذلك في القوس الكبر بائية . وان حرارة الشمس نفسها لا تزيد على ٥٣٠٠  
درجة في جوها المعتدل . وعليه فتكون حرارة الشعري اقوى من حرارة الشمس ثلاثة  
اضعاف تقريباً . ومع ذلك فيوجد كواكب اخرا حر جواً من الشعري وذلك في صورتي  
الثور وحامل رأس الغول المعروف ايضاً باسم سياوش . فكيف بعد ذلك يمكننا ان  
نسمع ظلمات شعرائنا الذين يقولون ببرودة الكواكب والنجوم . نعم انهم صبيون اذا  
ارادوا بذلك ان الكواكب لا تحيهم بكلمة اذا ماشكوا لها ضيهم والا فلا . والاولى  
بشعرائنا المصريين ان يستعيروا لهم برودة غير برودة الكواكب .

هذا وقد اوت الحسابات اليوم لابل وأبسط الحسابات ان الشمس لو كان لها جو  
مثل جو الشعري لما كانت الحياة ممكنة على الارض تقول الى الجوار جميع الضوياً ،  
الحياة الموجودة على الارض . ولما اثر ذلك شيئاً في سير سائر النجوم والكواكب

وضياء الشعري يضاهي حالة جوها غريبة وعجيباً . فان فلكينا الباري سي نور دمان  
قد اثبت بانها تبرد الكون بنور اقوى من نور الشمس خمسة وعشرين ضعفاً فيكون  
نور الشمس بالنسبة الى نور الشعري نسبة شمعة الى مصباح زاهر او بعبارة اخرى اخضر  
واضح . يجب وضع خمس وعشرين شمسة من شمسة النخل على ضياء يشابه ضياء  
الشعري . وان شئت تعبيراً علمياً قل : ان كل سنتيمتر مربع من وجهها يبرز نوراً ما يوازي  
تقريباً ستة ملايين من الشموع المشرقة

كل هذه الحقائق المقررة قد اثبتت بوسائط علمية حديثة في منتهى السذاجة لاجل  
لذكروها هنا لان العين لا تستطيع نظر بداية فحمة جديدة اذا كنت تراها مدعمة باخشائها  
فالاجدر والاحسن ان تنزع قبل ان ترمقها الاعين لتبدو بهجة منظرها .

ثم ان منظر لطيف الشعري كشف لنا ايضاً اموراً ما كان يكشفها لنا غيره . وهي في

«نتهى الغرابة ايضا . فان المنظار المذكور اظهر لنا ان في الشمس اغلب «عادتنا الارضية  
واما في الشعري فانه كشف لنا عن جو مركب كله تقريباً من كتلة عظيمة من  
الهيدروجين وهو من اخف الغازات المعروفة . فيجب ان نستنتج من ذلك ان سائر العناصر  
الكبالية التي هي اثقل قد تفككت وتحولت الى هيدروجين بقوة الحرارة الشديدة  
حرارة الشعري . فاذا كان الامر كذلك فحينئذ عند مرور الاعصار وكرور الادهار لما  
يبرد الكوكب وينقل من حالة الشعري الى حالة الشمس كما تحقق هذا الامر عند  
جهور العلماء يجب علينا ان نعلم ان الهيدروجين في يروده يسير سيراً معاكساً اي انه  
يتشخر و يبدأ رويداً فتتكون منه سائر المعادن . ومن ثم فان الكواكب تكشف لنا عن  
سرها لما كان غامضاً . تلى اهل العصور الوسطى الا وهو سر علم الصنعة الذي ترمي غاية  
الى تحويل المعادن بعضها الى بعض وعلمه فوق كل علم بغداد سائنسا

## امالي تاريخية

### الضريبة

وروى اغني في خلاصة الأثر : ان العوارض مظلمة سلطانية تؤخذ من البيوت في الشام  
في كل سنة ويقال انها من محدثات الملك الظاهر يبرس اشار اليها الصفوري بقوله «هتدراً :

يا بن فضله والجود سارا مسير التهرين دلا معارض  
وعدتك سيدي والوعد دين ولكن ماسلت من العوارض  
والاكرمي بقوله ايضا وقد اجاد :

حلا الله اياه العوارض انبا هموء لروياها تشيب العوارض  
يضيق لها صدري واني لشاعر خليم ويقي ماعليه عوارض

### القشلق

وروى اغني ايضا ان القشلق من عسكر السلطان مراد بن احمد كانوا قد عينوا  
لحاربة شهاب عباس فداهم الشتاء دون الوصول الى خطة العجم فأمروا أن يشتوا في  
دمشق وأطرافها من القرى وضيقوا تلى انتس أمر المعيشة وبالفوا في التمدي والتجاوز  
ونهب أموال الناس وكان قاضي القضاة بدمشق احمد بن عوض العينتالي تولى هذا  
المصب سنة ١٠٤١ هـ فسعى بقمعهم وكف شرهم فقال ابراهيم الاكرمي في ذلك :

انظر الى القشلق في ذلة العكس من حاطم الحائل  
 كم رجل منهم بسموره بن جوا- صال صاهل  
 تحف بالجديس ذلة وقد اتى يسأل عن سائل  
 وودعه ابو بكر العمري بتصيدة بليغة مشيراً الى عيبتهم وه لؤنة القاضي في دفع  
 اذاه مطلعها :

اواه مما حل في جنق من العت في زمن القشلق  
 راعي الينى مد تلى اهليا نوسا له قال القضا فوقي  
 حتى تنادى الناس مادحي باليتنا من قبل لم يخلق  
 ومنها : كنت دمشق الشام محسودة تكونها بالهين لم تطرق  
 آمنة من كل ما يفتنى هامة للخصائف المشفق  
 مائة تزهر بكنها مائدة تلباس الملق  
 لا يعرف السخل لها مدخل ولا الى عليتها يرتقي  
 وهي تلي مائة من نعمة تشبه بلحسن وبالورنى  
 ومنها في وصف قشلق :

في رقعة الشام غدت خيلهم وذنت الارشاخ للبيدق  
 اواه من خدمة نرايتها يذركيف اليوم لم تحرق  
 الى ان قال :

يا ويح قوم دعسوا ارضا وأوقفونا في ردى موبق  
 وقد اغاروا وبنا احدقوا يا غيرة الله الينا اسبقي  
 اجلوا اهالي الدور عن دور بالسيف والديوس والبنديق  
 واتخذوها سكناً دونهم بالفرش من خز ومن استبرق  
 واستوعبوا أكثر امواتهم فثلاً بلا عهد ولا موثق  
 واقنع الناس بأعراضهم فانها بالثلب لم ترشق  
 وارخ ذلك بقوله :

لقد غزينا دون وعد بلا لام فارخ سنة القشلق  
 وأشار الى وجوب اسقاط اللام من التاريخ فتبقى سنة ١٠٤١ هـ ١٦٣١ م  
 زحلة عيسى اسكندر المعلوف

## غرائب الغرب

كلية باريز

١٧

كلية باريز من اقدم كليات العالم في التاريخ ان لم تكن اول كلية  
 أنشئت وقد كانت في القرون الوسطى بلا مراء اشهر كلية واكثرها ايواء  
 للطلبة فكان علماء الوقت كما قال احد الفضلاء ينظرون اليها بانها صاحبة الحق  
 في استخراج كنوز العلوم ملكت ارثا شرعيا صحيحا كانت اول كلية أنشئت  
 في العالم كلية بابل أسسها نينوس مؤسس فينوي والمملكة الاشورية الاولى  
 وخلفتها كلية منفيس المصرية وخلفت كلية منفيس كلية أثينا وبعد هذه  
 أنشئت كلية زومبة وبمدها قامت كلية باريز واشتهرت كلية بولونيا في  
 تعليم الحقوق كلسبت كلية باريز غيرها في الآداب المقدسة والعالية وكان في  
 جوارها عشر مدارس تحيط بها كأنها ام القرى وتلك من اعمالها مثل مدرسة  
 الانكليز ومدرسة الايكوسيين والالمانيين واللومبارديين واليونانيين ولطالما  
 بعث الملوك اليها باولادهم ليتخرجوا في المنطق ويلتعلوا رقة الجاناب وحسن  
 الادب والشرة .

ظلت هذه الكلية منذ القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر تربي معظم  
 الرجال الذين يختلفون الى التعلم فيها وفيهم الشعراء والعلماء والفلاسفة ومن  
 مشاهير من تخرجوا فيها غليوم او كام ورايمون لول وتوما داكين وبنو دانائيني  
 وبونيفاس الثامن وبرونوتو لابتني ودانت وتوما موروس وايراسم وغيرهم  
 وجميع طلابها على اختلاف اصقاعهم كانوا يرتاحون في حماها وكان مطعم  
 انظارهم حب الحقيقة وهي القاعدة الاصلية فيها وكل منهم يتمتع بحقوقه . ولقد جاء

زمن كانت الحياة العقلية محصورة في جدران المدارس الا ان كلية باريز اعظم منبث لبث الدعوة الى الافكار الفرنسية وكانت وحدها تكفي لاثارة العالم الا قليلاً وكان رجال تلك الازمان ينسبون العلوم الى مواطنها ويرجعون الامور الى مصادرها فيقولون ان رومية مقر البابوية والمانيا مقر السلطة وباريز مهد العلم

وكانت الافكار الفرنسية - كما قال احدكم في المجلة الباريزية - هي اكبر معين في القرون الوسطى عضد الى النهاية الصليبيين في نشاطهم وهياً اسباب الحماسة الدينية وفتح لامم المغرب ونشاطهم طرقاً جديدة في العمل ومن الافكار الفرنسية نشأت بعد نزاع قديم فكرة ناطونية متجلية في صورة مؤثرة ذات بأس ومضاء بحيث خضعت السياسة لسلطانها ووضعت أسس الوحدة الوطنية . والافكار الفرنسية هي التي طهرت رياح الاصلاح والنهضة وقادت الافكار القديمة الى التجديد واثارت العالم بقبس انوارها . والافكار الفرنسية هي التي حملت الى العالم في عهد فولتير ومونتسكيو افكار التسامح الديني والعدل الاجتماعي والحق والانسانية . والفكر الفرنسي هو الذي سن المبادئ الخالدة في دساتير الامم المتقدمة باسرها . فن فرنسا نشأت حرية الجليك وحرية اليونان وحرية إيطاليا وحرية النمانية . وفرنسا مهد الادب تنشر انواره فتتاوله الاجانب وتتقبله بقبول حسن وهي البلاد التي اشتهرت بعلمائها وصناعها

ومن كنية باريز اخترع امير اختراعاته التي لولاها لما اخترع التلغراف اللاسلكي والسلكي والتلفون ولم نتم عجائب الكهرباء الصناعية . وفي كلية باريز احدث باستور انقلابه العظيم في علم الحياة الذي جعله المحسن الى

الانسانية في العالم اجمع . وفي كلية باريز حقق برتلو الطريقة الصناعية في المواد المضوية فنشأت منها الكيمياء الحديثة . وفي كلية باريز اخترع كوريث وقريته الراديو واهتزت في ايديها ذراته . وفي معامل كلية باريز اوجد موسان للمرة الاولى التور الكهربائي كما اخترع غيره التصوير الشمسي بالانوار . كانت هذه الكلية كما قلنا اعظم كليات القرون الوسطى فجمعوها سنة ١٨٩٦ كلية تليق بمضامتها الماضية بحيث لم تفقد مكانتها العلمية وفيها اليوم زهاء ثلاثمائة استاذ يفيضون كما افاض اسلافهم على العالم من علومهم ولا سيما على اميركا الجنوبية وبوهيميا والبلاد المصرية والعثمانية وكانت هذه دار رسول السلام بين الانام ومعلمة الناس كيف يكون التجانس الروحي والادخاء الدائم . ولكم كان اساتذتها يسمعون في بث ما علمهم الله في البلاد التي يقل فيها العالمون ولكم أنشئت في حجر هذه الدار جمعيات تريد التقريب بين الشعوب وتعاليم الجاهل منهم ولكم رنت في غرفها وقاعاتها اصوات الخطباء من علماء الارض انوها يحملون اليها نتائج ابحاثهم ودروسهم . فان كانت كلية باريز امم كليات براغ والاسنانة ومصر وغيرها من كليات البلاد اللاتينية واميركا اللاتينية فهي تفاخر بانها ام كليات انكلترا وايكوسيا .

ويؤخذ من احصاء سنة ١٩٠٧ - ١٩٠٨ انه كان في هذه الكلية ١٧٣٠٣ طلاب منهم ٣٣٦١ من الاجانب فتيان وفتيات ومن هؤلاء ٩٢٦ يدرسون الحقوق و ٥٢٠ يدرسون الطب و ٧٧٣ العلوم و ١٠٦٢ الآداب ولم تقصر كليات الولايات وعددها اثنان وعشرون كلية في بث روح التكافل الاخلاقي والعقلي فانشأت كلية تولوز جمعية اجتماع الطلاب الفرنسيين في اسبانيا وانشأت كلية بورجو مدرسة الدروس الاسبانية

العالية في مدريد وانشأت كلية كرنوبل المجمع العلمي في فلورنسة وكلية نانسي وهي على الحدود الالمانية تعلم قاصديها احترام فرنسا وخدمتها العلم . وهكذا الحال في كلية مونبليه وليل وليون فكليات فرنسا تعلم في السنة سبعة آلاف طالب وهو عدد ليس بقليل يدل على تفرداها في هذا الشأن من بين أكثر الممالك الراقية .

هذه شذرة صغيرة في وصف كلية باريز التي مازالت الحكومة الفرنسية تنفق عليها النفقات الطائلة والمحسنون لا يتفكرون عن اعطائها المنافع الكبيرة فقد وهبها كارنيجي الحسن الاميركي كثيراً كما ان بعض الروسيين منحوها مالا جزيلاً والفرنسيين يعطونها عن سعة . فبما الله يوماً تمام لكل قطر من اقطار البلاد العربية كلية مثل هذه تدرس ابناءها علوم البشر بلغتهم وتكون مجتمعنا بالوطنية الصحيحة كما تكونها كليات الممالك الصغرى في الغرب كالبحريك وهولاندة والدانيرك والسويد ونروج وسويسرا والمجر وبولونيا وفنلندا والبرتغال



حدائق باريز ومتاحفها

## ١٨

يطول بنا نفس الكلام اذا اردنا الافاضة في كل فرع من فروع العمران بباريز وكلها مما يحتاج الى صفحات كبيرة وربما ملّ القاري . بل ان يمل الكاتب . ولقد عنيت مدة مقامي في هذه العاصمة ان لا اضيع ساعة من وقتي الا في البحث عن جمعية او انسان وزيارة معهد فيه نموذج من ارتقاء العقول ووفرة العلم وحذق الابدعي وبسطة العيش وفضل الرفاهية وبما جعلته لاوقات الفراغ غشيان الجدائق والمتاحف ودور التمثيل والسباع



في باريز حداثتي كثيرة عامة ومنها الصنير الخاص بمجي اوارشارع صغير ويسمونها «سكوار» وهي كلمة انكليزية معناها ساحة مربعة او حديقة يحيط بها حاجز من قضبان حديدية تكون في ميدان عام وعددها ٣٦ حديقة لتتني كل حاضرة من حواضر البلاد العثمانية ان يكون لها من نوعها واحدة فقط بانتظامها وحسن تعيها . اما الحدائق الكبرى فعددها تسع تصرف في كل واحدة الساعات وانت تسرح ظرفك فيما خصتها به يد الصانع وايدي البشر من مجالي الظرف والجمال .

زرت منها حديقة الحيوانات وحديقة النباتات وحديقة كلوني وحديقة لو كسمبورغ وعجبت لمن يزور هذه الحدائق مرات لم لا يكون عارفاً بالنبات والحيوان وتاريخ مشاهير فرنسا احسن معرفة فثل هذه الحدائق التي يتنزه فيها المتنزهون هي في الحقيقة مدارس عملية يدرس فيها المتنزه كبيراً كان او صغيراً ما ينبغي له من هذه العلوم درساً عملياً لا يحتاج فيه الا الى انتباه فكر قليل حتى اذا اسعده الحفظ ونظر في المدرسة او خارجها في كتب هذه العلوم يصبح وهو مطبق العلم على العمل .

ولقد رأيت في حديقتي الحيوان والنبات اسماء كنت اقرأها ولا اعرف اصانها فلما وقع النظر عليها تبينت فضل عرضها وان العلم النظري اذا لم يشفعه علم عملي يبقى كالسيف في غمده او البندقية في معملها او الكهربية قبل توليدها . وليس في البلاد العثمانية او المصرية ما يشبه هذه الحدائق اللهم الا ان تكون حديقة الجزيرة والجزيرة والقناطر الخيرية في مصر وحديقة الامة وغيرها في الاستانة ولكن اين الثريا من يد المتناول وما ينظمه الباريزيون لانفسهم وينظمه الانكليز او اطليان والنمسيون لنا . وما حك جسمك مثل ظفرك .

وانك لترى في بعض الحدائق العامة تماثيل مشاهير رجال فرنسا في  
 السياسة والعلم مجسمة من رخام مجزع او حديد مصنع كأن ساحات باريز  
 وشوارعها المظلمة لم تستوعب وحدها كبار رجالهم حتى هرعوا الى الحدائق  
 يضعون فيها التماثيل والنصب لمن احسنوا للامة او سادوها زمناً واصبح لهم  
 في تاريخها ذكر يردد . ففي ساحات باريز وشوارعها ٦٨ مشهداً  
 (Monument) لمشاهير علمائهم ورجال سياستهم ومنهم اوغست  
 كونت والفرد دي مونس وشاركو وكورنيل ودانتون وغامبتاكي دي موباسان  
 وجول سيمون ولافييت وواشنطن ولافوازيه وباستوز وفكتور هوغو  
 وغيرهم وفيها ٦٨ تمثالاً اثنان منها لاسكندر دومانس الابن والاب . وواحد  
 لبالزاك وبوفون وبرانجيه وشارلمان وكلود برنار وكوندورسه ودانت وديدرو  
 وغاريالدي وجورج ساند وجان جاك روسو وجان دارك ولامارتين  
 ومارات وموليير وباسكال وشاكسبروفولتير ومثال الحرية والقانون والجمهورية  
 هذا داخل العاصمة اما خارجها فلها من غابتي فنسين وبولونيا اعظم  
 فسحة ونزهة وغابة فنسين في شرقي باريز على بضعة كيلومترات من نقطة  
 دائرتها ومساحتها ٩٢٧ هكتاراً وفيها من انواع الراحة وتنوع المناظر المفيدة  
 ما هو العجب والحباب واعجب منها غابة بولونيا في غربي باريز ومساحتها ٨٧٣  
 هكتاراً زرتها ثلاث مرات وان كانت في الشتاء ليست مثلها في الصيف  
 على انها ماخلت من الانيس والجلبس وكان اخذ تلك الايام يوم عيد رأس  
 السنة والسماء مصحبة والشمس طالعة مريضة صحيحة والعيون المراض الصبحاح  
 خرجت من كناسها تستنشق الهواء النقي . وهناك منظر من بحيرات بولونيا  
 وطرقها الادري كيف يصوره الشاعر اذا كان الوقت ربيعاً او صيفاً او خريفاً

ولو كنت شاعراً لجرت في وصفه القصيد وإن زرتها في الفصل الميت كما يقول الفرنسي .

\*\*\*

اما المتاحف البارزية فهي أيضاً قصور نزهة وحدائق صفاء وعددها ٣١ متحفاً يحتوي كل منها على اقصى ما يتصوره العقل من ارتقاء البشري في الصناعات والفنون على اختلاف الاعصار زرت بعضها وقضيت اوقاتاً طويلة في متحف اللوفر العظيم بالقرب من نهر السين ومتحف فرسال على ثلاثة ارباع الساعة من باريز . اما متحف اللوفر فهو من اجمل قصور العالم واوسعها عرف سنة ١٢٠٤ على عهد فيليب اوغسطس وما زالت ايدي الملوك تتعاوره بالاصلاح او التدمير حتى اذا كان عهد فرنسيس الاول اصبح اللوفر متحفاً يقسم اليوم الى سبعة متاحف في متحف بحسب اصول آثارها وزدها وطبيعتها وهي متحف التصوير ومتحف الرسوم ومتحف النقش ومتحف النحت القديم ومتحف النحت في القرون الوسطى وعلى عهد النهضة ومتحف النحت الحديث ومتحف العاديات الآسيوية ومتحف العاديات المصرية ومتحف العاديات الافريقية ومتحف العاديات النصرانية ومتحف الفخار والاواني الخزفية القديمة ومتحف القلز والحلي والرخام القديم ومتحف عاديات القرون الوسطى والنهضة والقرون الحديثة ومتحف ثير ومتحف البحرية ومتحف الشرق الاقصى . وكل متحف تصرف فيه الساعات الطويلة ولا نستوفي النظر فتأخذك الدهشة من رؤية المكان ورؤية المكين وتقضي بالعجب من كل ما يقع عليه بصرك اذ تتمثل لك عظيمة الانسان وتفننه فيما تصنعه يده وعينه وذوقه . اما متحف فرسال فهو في مدينة فرسال وكانت في القرن الحادي عشر

للبلاد قرية فاصبحت بضاية لويز الثالث عشر مدينة صفرى لانه اقام فيها قصرًا للراحة اثناء الصيد واراد لويز الرابع عشر ان يحمل فرسال مركزحكومة فرنسا فانشأ فيها ابنية ومصانع عظيمة وكذلك فعل لويز الخامس عشر حتي اصبح عدد سكانها ثمانين الفا على عهد الثورة . وهكذا اذا اراد الملوك ان يعمرؤا بلادًا احبوه واذا شاؤوا ان يخربوه اماتوه . واشتغل في اقامة قصر فرسال الذي جعل المتحف فيه اليوم ثلاثون الف رجل ومئة آلاف دابة في اليوم مدة سنين طويلة وقد فتمت ابواب المتحف سنة ١٨٣٧ وفيه اليوم ٥٦٠٠ اثر تاريخي

اما مجموعة المصور البديعة التي فيه فعددها ٢٤٠٠ صورة ليس لها نظير في العالم ومن يعم النظر فيها كثيرًا يخرج من المتحف وقد درس تاريخ فرنسا ووقائعها الحربية بالعمل والنظر

ومن جملة ما حواه اسلحة بيوت الشرف التي اشترك فرد او افراد منها في الحروب الصليبية . ومنها ابواب مستشفى فرسان رودس الذي اهداه السلطان محمود العثماني سنة ١٨٣٦ الى لويز فيليب صاحب فرنسا . وفيه صور كثير من مشاهير الشرق كأنك تراهم عياناً وفيه صورة تمثل القائد كابر الفرنسي وسليمان الحلبي يقتله في حديقته في القاهرة زمن الاحتلال الفرنسي في مصر .

اطلت الروية على كل هذا وانمت النظر في النفقات الطائلة التي انفقت على هذه القصور المزخرفة والمصانع العظيمة فاعطيت بعدها الحق لمن قاموا بالثورات الفرنسية يريدون انزال الملوك عن عروشهم وفهم عرى السلطة الفردية لتنتقل الى ايدي الامة . نعم ان اقل نظرة الى هذه القصور

يستغرب معها المرء كيف لم تحدث تلك الثورات قبل حدوثها بزمن طويل ولكن الحوادث كالحبالى لا تلد الا بعد اتمام مدة الحمل او كالثمر لا ينضج قبل ابلائه .

ولم افمن يوم زيارتي لفرسال من رؤية كل حداثتها ومراقبتها لتزول الثلج بكثرة ولكني على الجملة اخذت منها صورة اجمالية كافية . شأني في كل مازرته من المعاهد ورأيت من المشاهد فلم يتيسر لي ان أنفي عليه سوى نظرة واحدة لفسيق الوقت وكثرة مايجب ان يدرس من آثار هذه الحضارة الغربية الغربية

وبعد كل هذا صرت أرى الاشتراكيين على حق فيما يطالبون به المجتمعات الحديثة في الغرب وهم يرون مئات القدادين من الارض تجعل حداثتها قد لا يختلف اليها الافراد في حين يهلك مئات الالوف من الهاويج والفقراء ولا من يرحم ضعفهم للمادي والصحي او يرثي لبكائهم وتسبل على النظر هذه التحف والعاديات التي لا تقدر بثمن وحكومة الجمهورية تقترض مئات الملايين من الفراككات لسد العجز في ميزانيتها . وهكذا نظام المجتمع الغربي ولعل عقول اهل المفكرة تحرر في الاجيال المقبلة الفقير من فقره او تقوى على الاقل على تعديل هذا النظام الجائر الذي يسلب من كثيرين السبد والبلد لينعم به قصر البلد ويلعب في حداثته وساحاته الوالد والوالدة والولد

مكاتب باريز ومكتباتها

١٩

لو لم يكن في باريز المكتبة الامة التي حوت في قصرها القيم زهاء ثلاثة ملايين كتاب مخطوط ومئة الف كتاب مخطوط ومليونين ونصف المليون

صورة محتومة والوقفاً من الايقونات والانواط القديمة وغير ذلك من التحف والآثار وبجاميع الصحف والمجلات لكفهاها جالباً للسائحين ولافتاً لانظار اهل العالمين من العالمين .

مكتبة أسست منذ نحو ستة قرون وملوك فرنسا وعلمائها واشرافها يتبارون في ان يجهلوا في كل فرع من فروع العلم واللغات صنوف المخطوطات والمطبوعات حتى اذا جاء القرن العشرون أصبحت مكتبة الامة اكبر مكاتب العالم واهمها بندرة كتبها ومخطوطاتها ففيها من نواذر المخطوطات والمطبوعات العربية الوف

اختلفت اليها غير ما مرة ولم تتمكن من مطالعة كل ما يريد لضيق الوقت وضخامة الفهارس وكثرة المؤلفين والناقلين . وفي قاعات المطالعة . وبلغني ان الكتب التي اهديت الى مكتبة الامة في العهد الاخير لم يتيسر ادخالها في قوائم الكتب على كثرة موظفي المكتبة وكادت مطبعة الامة الاميرية تعجز عن طبع فهارس هذه الخزائن ولا غرو فان مارأيته منها مطبوعاً الى عهد ليس بعيد يبلغ وحده مكتبة برأسه ويقضي فيه الزم الساعات ولا يستطيع ان يستوفي النظر الاجمالي

ولو صرف طالب العلم عمره كله يبحث في مخطوطات مكتبة الامة ويستعين بمطبوعاتهما لما تيسر له ان يأتي الا على قدم ضئيل جداً مما حوته في بطنها من معارف البشر ولا تعد المكتبة الخديوية في مصر ومكاتب الاستاذة التي تتجاوز الاربعين مكتبة ومكتبة المجلس البلدي في الاسكندرية ومكاتب دمشق وبغروت وحلب وبغداد والمدينة ومكة وغيرها من بلاد الشرق الادني اذا جمعت كلها في ضئيد واحد وجعلت لها فهارس وقوائم

منظمة الاجزاء أصغراً من ذاك الجسم الكبير . وعلى تلك النسبة قس  
المعالين والمراجعين في مكتبة الامة بالنسبة لامثالهم في البلاد العثمانية والمصرية  
فترام عند الساعة الرابعة بعد الظهر يخرجون رجالاً ونساءً شيوخاً وعجائز  
شباناً وشابات كالقطيع الكبير لا يقل عددهم عن خمسمائة وربما جاوز الالف  
احياناً وتجذب فيهم الغرباء من امم اوربا وآسيا واميركا وافريقية ممن تجمع بينهم  
كلمة العلم الجامعة وكلهم يتنافسون في البحث والدرس ويستخرجون من ركاز  
تلك الكنوز ما يصوغونه عقوداً ثمينة وتاويذ محلاة بقي البشر شر الجمل والخرافة  
ولعله يخطر ببال بعضهم ان هذه المكتبة هي كل ما في فرنسا من خزائن  
كتب صرف الفرنسيين فيها قوام وجعلوا لها من اقطر الارض كل مال  
وفنيس على عادة الافرنج في التنالي بفخامة مصانهم وهم شئيت متفرقهم  
وحرصهم على الاجتماع للارتفاع ولكن في باريز وحدها من المكاتب العامة  
ما لو جمع ايضاً لكان منه مكتبة كمكتبة الامة بكثرة اسفارها الا ان هذه  
تفوقها بالنوادير من المخطوطات

ولباريز عشر مكاتب اخرى في كل واحدة منها عشرات الالوف من  
المخطوطات والمطبوعات دع عنك خزائن كتب الجامعات والمدارس  
والكليات والجامع فان لكل واحدة منها ما يقتضي للطالع من اسفار المراجعة  
وغيرها . اما خزائن كتب الافراد فهذه لا يحيط بها الا علام الفيوب او  
من يدعي انه يعرف ما حوت باريز من علم وادب وذهب ونشب

ويقول العارفون ان قواعد بلاد الانكليز السكسونيين كالمانيا وانكلترا  
والولايات المتحدة تحسن استخدام اسفارها اكثر من الجنس التوتوني اللاتيني  
كالفرنسيين والاليان والاسبان وغيرهم اذ ثبت ان تلك الامم العظمى الراقية

أكثر احساناً للارتفاع من قواها الطبيعية والصناعية على أسلوب حديث لم يختر بيال الفرنسيين الذين جروا في اوضاعهم وترتيب مصانعهم وتنظيم شؤنهم على تقاليد لم قديمة وان عرف عنهم انهم اسبق الامم الى التجديد ولكن تجددهم في امور دون اخرى .

والارتفاع من الكتب ايضاً لم يخرج عن هذا النظام حتى قالوا ان نفائس المخطوطات والطبوعات الموجودة في مكتبة الامة في عاصمة الفرنسيين لو نقلت الى ليسيك او مونيخ او برلين او فينا او اكسفورد او مانشستر او لندرا او نيويورك او شيكاغو لاتفق بها وتيسر سبيل الوصول اليها لانها تكون هناك مفرسة مبنية على طريقة فيها روح القرون الوسطى وقد جعلت هنا على أسلوب قريب المأخذ سهل التناول خال من القيود التي تقيد المطالع والمراجع . فان كانت فرنسا في مقدمة شحوب الارض من وجوه كثيرة ولا سيما في الامور النوقية وبداية الصناعات والاصلاحات المستورية والانسانية فقد فاقها غيرها من الممالك المجاوزة من حيث الفنون والاقتصاد والاجتماع

ضرعوا كيف يطبقون انفسهم على النوق المصري

مبال ذلك صناعة الوراقة او بيع الكتب فانما نجد المانيا ارقى من فرنسا فيها مع كثرة تفنن الفرنسيين فيما يدل على سلامة النوق حتى ان ليسيك في المانيا تبيع وحدها من الكتب قدر ما تصدر فرنسا كلها ومن الغريب ان المكتبة الالمان في نفس باريز تجددهم امهر في تصريف كتبهم فيبيعون كمية او فر من كتيبة الباريزيين .

جاء في كتاب « المانيا الحديثة » ان المانيا اعظم البلاد اصداراً للكتب فقد كانت اولاً القرن الماضي لاتخرج في السنة سوى ٣٩٠٠ كتاب



فاصدرت سنة ١٩٠٥ ٢٨٨٨٦ كتاباً في حين ان فرنسا التي هي في الدرجة الثانية بكتبها لم تصدر سنة ١٩٠٤ سوى ١٢١٣٩ كتاباً فإذا قدر انه يطبع من كل كتاب في المانيا الف نسخة فيصيب كل شخص فيها على اقل تعديل مجلد واحد فصناعة الكتب في المانيا رابحة جداً . وقد كان عدد الحال التي تتعاطى تجارتها سنة ١٩٠٥ ٧١٥٢ محلاً تصدر الى الخارج فقط ما قيمته ٢٩٠ مليون مارك

زرت في جملة الكتب التي زرتهم او اجتمعت منهم بغض الكتب مكتبة هاشيت المشهورة في جادة سان جرمان وهي ثلاثة طوابق وفيها نحو الف وخمسمائة موظف يستخدم وتطبع فيها بضع جرائد ومجلات كما تطبع الكتب المدرسية والادبية والتقاويم السنوية المشهورة في العالم وهي مؤسسة منذ نحو ثلاثة ارباع قرن ويعد هاشيت من اعظم كتيبة العالم ان لم يكن اعظمهم ومع هذا يقول العارفون ان مكتبته على حالتها الحاضرة لو كانت لجامعة من الالمان او الاميركان لادهبوا العالم بنظامهم وارباعهم . فكان دم الفرنسيين الذي غلى زماناً قد برد اليوم واصبح الدم الجديد غيره . الآن يغلي فيدهش بحرارة . ومن مكتبات باريز المشهورة مكتبة فلاماريون ومكتبته فروع كثيرة في مدينة باريز وبلاد فرنسا وهذه المكتبة في ارايت اقرب الى التجديد منها الى الجمود على القديم



مجامع باريز العلمية

٣٠

على الشاطئ الايسر من نهر السين مقابل قصر اللوفر القديم قام قصر عظيم عمر في النصف الثاني من القرن السابع عشر بال اوصى به السياسي

مازارين الذي جمع بطمعه وجشعه ثروة لا تقدر على أن تنفق بعده في الخيرات وحسن الاثر ومن جملة خيراته هذا القصر الذي اوصى له بملبوني فرنك فضة وخمسة واربعين ألف ليرة دخلاً سنوياً ليكون منه مدرسة عالية يتعلم فيها ستون طالباً من أبناء الولايات الاربع التي اضيفت الى فرنسا بموجب معاهدة اليبرنيه وروسيالون

وهذا القصر هو الذي نقل اليه مجمع فرنسا العلمي سنة ١٨٠٦ ذاك المجمع الذي أسس سنة ١٧٩٥ فكان مقراً من مفاخر الفرنسيين وحق لم أن يفاخروا به . وهو مجلس او ديوان مؤلف من خمسة مجامع فالاول المجمع العلمي الفرنسي المعروف بالاكاديمي أسسه ريشليوس سنة ١٦٣٥ وهو يشغل خاصة بتأليف معجم اللغة الفرنسية وادخال المفردات الجديدة وبذ القديمة او اصلاحها واعضاؤه اربعون رجلاً ويقال لهم المخلدون على سبيل الدعابة لانهم اذا خلا موضع واحد بالموت ينتخب سائر الاعضاء في الحال من يخلفه والمجمع الثاني مجمع الصناعات النفيسة أسسه مازارين سنة ١٦٤٨ باسم مجمع التصوير والنقش والمجمع الثالث مجمع الخطوط والآداب انشاء الوزير كوليبر سنة ١٦٦٤ وجمع العلوم أسسه كوليبر ايضاً سنة ١٦٦٦ وجمع العلوم الاخلاقية والسياسية أنشئ سنة ١٨٣٢ وجميع هذه المجامع ينتخب اعضاؤها بعضهم بعضاً مدى العمر وينظرون في العلوم الانف يانها ويعطون جوائز للمحسنين من المؤلفين والعاملين وبعضها لا يستهان به . وفي باريز مجامع علمية كثيرة غير هذه منها مجمع باستور العلمي مكتشف الميكروب والمجمع الكيماوي ومجمع فنيان العبيان ومجمع الزراعة ومجمع البحار ومجمع العيون ومجمع

الصح البكم ولكل منها انظمة وقوانين واعمال يطول شرحها واكتفي فقط بوصف جلسة عامة حضرتها (١) من جلسات مجمع العلوم الاخلاقية والسياسية في اليوم الرابع من كانون الاول سنة ١٩٠٩ عقد هذا المجمع جلسته السنوية تحت قبة المجمع وهي القبة التي تجتمع فيها الجامعات الخمسة الممددة فيما تقدم اجتماعها السنوي وقد راجع المجمع باربعة نساء ورجال و١٠ جلسوا على مقاعد من الخشب على ترتيب بديع بحيث يسمع كل واحد منهم ويرى وكان اكثر اعضاء هذا المجمع بلباسهم الرسمي فجلس على كرسي الرئاسة المسبور وفي ستورم وتلا كما هي عادة هذا المجمع منذ القديم او منذ انشائه قائمة باعمال المجمع منذ اثني عشر شهراً وصفوا الحضور بان نالوا جوائز على كتب ألفوها واعمال قاموا بها لخدمة الانسانية وتعليم البائسات واطعام الجائعات واليتامى والعمى وبين من نالوا الجوائز اربع عقائل عدا من اثني الرئيس على اياديين البيضاء كالأم ارنستين التي انشأت معملًا وملجأ في مدينة روان والعقيلة ييكوين التي انشأت في باريس ملجأً سمته معمل الجهاز والآتسة دي رشمون التي انشأت في مدينة كرنيل منذ اربع وعشرين سنة ماجاً للبنات تأوي اليه اربعة نساء ابنة من بنات العملة وانفقت عليه ثروتها . ومن

(١) هنا ارى من الواجب عليّ ان اشكر لصديقي العالم المسبور الفرد لشارتيه استاذ علم الاجتماع الاسلامي في كوليج دي فرانس ومدير مجلة العالم الاسلامي ومجلة السجلات المراكشية ومجلة الافكار الحديثة لتفضله بتعريفني الى كثير من اصدقائه من رجال العلم والادب والسياسة في باريس وبهم تبسرت لي ان اطلع من مدينة هذه الامة في شهرين مايتعذر عليّ غيري ان يراه الا في شهر واشكر خاصة امين مره الكاتب المسبور لوسين موري الناقد الادبي في المحلة الزرقاء واحد كتاب هذه العاصمة المجيدين الذي تفضل واضاع من وقته كثيراً ليقدمني الى معارفه ومعارف المسبور لشارتيه المشار اليه

المعاهد التي اخذ هذا المجمع النظر فيه معهد كارنو وهو الذي منحته العقاية كارنو امرأة احد رؤساء الجمهورية رأس مال يأتي بثمانية عشر الف فرنك دخلاً سنوياً وقضت بان تقسم الى ١٠ اقساط كل واحدة بمائتي فرنك توزع كل سنة يوم ٢٤ حزيران وهو يوم مقتل كارنو على تسعين امرأة من نساء العملة ممن لمن اولاد. ومن جملة الجوائز التي منحها المجمع للمؤلفين جائزة الاجادة لمن ألف كتاب « افريقية للاروبيين » وكتاب « اوربا والمملكة العثمانية » .

ثم قرأ المسيودي نوفيل امين سر المجمع الجديد ترجمة حياة صديقه وسلفه في هذه الوظيفة جورج بيكو فائز في السامعين وابكاهم وتفنن ماشاء وشاء البيان في وصف حسنات المتوفى واقتداره . وكانت الخطب يتلوها اولئك الشيوخ في الورق بنعمة تأخذ بمجامع القلوب ويطرب لها العالمون طربهم بنجات الاوتار وتغريد الاطيار في الاسعار

وهكذا انصرف القوم ونصفهم من النساء يرددون محامد اعضاء المجمع اما انا فتمنيت لي ارواح اولئك العلماء العاملين الذين سنوا للمعاصرين اخلافاً هم سنن الارتقاء وخدمة العلم والحق والفضيلة والآداب والفنون وحدثنني النفس ببلادنا الشرقية وقلت هل يكتب لها في المستقبل تأليف مثل هذه المجامع فعمل فرادى ومجتمعين كالتربيين او نظار كما نحن لانعمل فرادى ولا مجتمعين ونكتفي بالتفاخر باجدادنا نجمله عدتسا في شدتنا ومثالنا في نهضتنا ونحن عن اقتصاص آثارهم غافلون

كنائس باريز ومعابدها

من المعاهد التي يقضى على من يزور باريز ان يختلف اليها ولو مرة يعيها

وكنائسها فانها من الاماكن التي يقرأ فيها النموذجاً من النموذجات البناء في القرون الوسطى ويظلم فيها على فلسفة الفرنسيين الروحية خصوصاً والمأثور عنهم سيفاً الشرق انهم امة لا تقم لغير العقل وزناً تجردت من العواطف الدينية حتى لم يبق فيها سوى المجاز من النساء يختلفن الى المعابد للانابة الى الله وتقديس يسوع وامه طليهما السلام .

بيد ان من تحقق في البحث عن حال الفرنسيين الروحية يتجلى له ان جمهوراً عظيماً لم يبرح متشبثاً بدينه متشبهاً بصحة يقينه ولا سباً في القرى والبلدان الصغرى فاغلب الخاصة والطبقة العليا عديم نزوعاً كل نحلة حتى لم يعودوا يعرفون غير المادة ديناً واغلب الطبقة الوسطى يقلب عليها الدين اما العامة في المدن فكالسائمة لا تعرف غير الأكل والشرب واللهو والذائد واكثر اهل طبقتهم في القرى متعصبون لدينهم والسواد الاعظم من النساء مثدينيات . وتساوى متدينهم والمنحل من كل دين منهم او الخاصة والعامة بالتظاهر في مراعاة الشعائر الدينية ولا تحتل هذه القاعدة قليلاً الا في المدن والحوضر ولا اثر للتعليم الديني في المدارس الاميرية وهو على اشده في مدارس الرهبنيات وغيرها من المدارس الخاصة على ان نزعة التعصب التي عرفت بها فرنسا منذ صبأت عن الوثنية لتنتحل النصرانية في القرن الثالث للمسيح ما برحت لها في نفوس ابنائها حتى في هذا القرن العشرين آثار واسعة وان هبثت حكومتهم بقانون الحرية الشخصية غير مأمرة ودمرت بيوت الرهبان والنسك وجردت الكنائس والبيع والمدارس الاكاديمية من كل ما يدخل في حوزتها .

يحتفل الفرنسيون يوم ٤ تموز بعيد الجمهورية احتفالاً يقدسونه ويمجدونه

وفي ذاك اليوم تشهد في كل ارض فيها بضعة منهم او رفع لهم فيها علم نموذجاً من وطنيتهم وكيف يرى جمهورهم بالجمهورية حياته ولكن احتفال هذه الامة باعيادها الدينية لا يقل عن احتفالها ذاك اليوم . واعيادها كثيرة هي صورة من صورتها في القرون الوسطى بل في القرون الحديثة قبل ان تنادي فرنسا بتأليه العقل وتعلن الحكومة علناً نزاعها ربقة الدين .

نعم ان زائر كنائس باريز تبجل له فلسفة القوم النفسية . وما زرتهم من كنائس باريز كنيسة نوتردام والمادلين وعدد الكنائس الباريزية سبعون كنيسة اسقفية للكاتوليك ماعدا بيع الروم والبرستانت ومعابد اليهود الاربعة وماعدا المصليات والبيع الصغرى ونوتردام هي من اعظم الكنائس وهي اجمل انموذجات البنايات القديمة تجري بمكانتها بعد كنيسة مدن شارتر وريمس وامين وبورج وتفوقها بآثارها التاريخية وكفى بانها أنشئت في اوائل النصف الثاني من القرن الثاني عشر ولم تزل تتماورها الايدي بالنقش والتزيين والترخيم والتعريق حتى يوم الناس هذا وفيها من بدائع ما صنعت الايدي وتفننت فيه العقول ما يدهش ويهبر

زرتها قبيل صلاة المساء مع صديقي عثمان غالب بك ووقفنا نستمع لوعظ الواعظ على جمهور المصلين واكثرهم من النساء . يملطن واصفاً لمن غرور الحياة الدنيا بالقياص مع الآخرة ومنهن من تفورق عيناها بالدموع وتجهش بالبكاء خصوصاً عندما يذم بلسان بليغ غرور اهل باريز . فهو داخل الكنيسة يقوم بالواجب ليدعو الناس الى الزهادة ويحجب اليهم العباداة ووراء سور الكنيسة تجري كل ساعة شؤون واعمال دنيوية هائلة كلها ما كانت تقوم لو عمل الناس بمثل هذه المواعظ وآثروا الباقية على الغانية

ان مآلاته من انتظام البيع الباريزية وتقنن البائنين في ابداعها وتقانيهم في توفير قسطها من الجمال دلني بلسان حاله على ان مدينة القرون الوسطى قامت باسم الدين ولذلك جاءت المعابد اجمل مصانع تلك القرون وكان اكثرها الى الزوال لو لم تتدارك في القرون الحديثة بيلسم من اثاره العقول بالفلسفة والانيه المادي اما مدينة هذا العصر فلا ادل عليها الا بما ينفع الناس في دنياهم كالسكك الحديدية والبوارج والبواخر والمرافي والمعامل والسكن والمستشفيات والمدارس والكتليات ودور البائسين والحقول الامتوزجية والمتاحف وحديقة الوحوش والكتائب ودور التمثيل . فعمل يأتي على البشر عصر ياتري يكون فيه ماينم عن مدينتهم غير ما ذكرنا قديما في الدين واليوم في الدنيا ويخفف تكاليفهم على مظاهر هذا العالم وينسون بتاتا تعظيم ما خلقتهم عصور التدين من المصانع والعبادات التي انتقلت الى اكثرهم بالمادة او يمزجون القديم بالحديث فيكون شأنهم غير شأنهم الآن في تصور ماضيهم وحاضرهم . هذه اسئلة ليس غير الزمان كفيلا بالاجابة عنها والله اعلم بصير عباده



قصور باريز وسراياتها

٢٢

من القصور العامة واملاك الحكومة في هذه الحاضرة : مصرف فرنسا وقصر الالبزة حيث يقيم رئيس الجمهور يقو قصر الانفاليد والتوياري وقصر المدينة وقصر ساحة المربخ وقصر التروكاديرو والقصر الملكي وفيه دائرة شوري الدولة ومحكمة التجارة والبائتيون مدفن المقلاء وقصر مجلس النواب وقصر مجلس الشيوخ وقصر المجلس البلدي .  
وتكلم هنا على القصور الثلاثة الاخيرة فقد كتبت لي زيارة مجلس نواب

الامة الفرنسية ومجلس اعيانها خلال انعقاد المجلسين فلم أسر بمشهد اجل ولا انغم وقلما تمثل لي معنى النيابة عن الامة الا ذاك اليوم . ومجلسا النواب والاعيان هما منفر من مغاخر هذه الامة وغودج تقدمها ودليل اخلاقها السياسية ففي مجلس الامة الحركة والمضاه وفي مجلس الشيوخ التؤدة والروية فالاول يقيم في قصر البوربون والثاني في قصر اللوكسمبورغ وكلا القصرين من اجل قصور الحكومة في هذه العاصمة العظيمة وعدد النواب خمسمائة تقاب عليهم همة الشباب وعدد الاعيان ثلثمائة تقرأ في وجوههم المغضنة وشعورهم البيضاء ضعة العقل والتجارب الكثيرة

وما انس لا انس يوم كانت المناقشة في مجلس النواب في وضع ضريبة على العملة وقد تدققت اقوال بلابل المجلس على المنبر وما فيهم الا الاجتماعي والاقتصادي والاخلاقي والسياسي والاداري

وان ما تلي في تلك الجلسة فقط من الخطب وجرى الحوار فيه بين الاعضاء لوجع في كتاب برأسه لجاء منه احسن كتاب اجتماعي اقتصادي عن فرنسا ومن اراد ان يعرف ماهو البيان الحقيقي والعلم الذي تشربته اجزاء النفس فلينز مجلس النواب الفرنسي في فصل اجتماعه يشهد ارتقاء الغرب ويدرك سر الشورى .

اما المجلس البلدي فهو معيار العمران ويده اسعاد باريز واشقاؤها . وزار كما تزار اكثر المعاهد الكبرى في باريز يطلب من الزائر يقدمه الى امين سر المعهد فيرسل هذا اليه ورقة يعين له فيها الميعاد الذي يأتي فيه .

يدخل الزائر هذا القصر المدهش فيجسم في نظاره النوق الفرنسي عظمة هذه الامة لكثرة ما يقع عليه نظره من الردعات والقاعات والنرف



وكلها مزدانة بنقوش وصور ورسوم من اجل ماخطته انامل النقاشين  
والمصورين وتدل كلها على النوق والمعاني اللطيفة والاشارات الحسنة .

فمن رسم يمثل الغناء والعشرة وآخر يمثل الزهور والثمار وغيره يصور اغاني  
شواطي السين وآخر يمثل التجارة والصناعة فالاشهر الجمهورية ومناظر كثيرة  
لاجل قصور باريز ومماهدما واصقاعها وهناك صور رنمت على الجيطان  
والسعوف في القاعات التي تستقبل بها مدبنة باريز في العادة من يزورها  
من ملوك الارض وامرائها ومنها مايمثل افراح الحياة وآخر يمثل العمل ومقرب  
الشمس والرفاد والحلم وغيرها يريك الطبيعة الملهمة المرية فالرياضات  
الطبيعية فالرياضات العقلية وآخر يمثل الطبيعة والكيمياء والفلسفة والنجوم  
وفها مايمثل المساء في باريز والخيال والولادة فيها والجهاد والنهضة والشعر  
والفلسفة والتاريخ والعلم والفنون والسلام واليقظة وذكري عبد وطني وعيد  
الحلأ في ضاحية باريز . وبعضها يمثل ابولون وعرائس الشعر والتصوير  
والادب والموسيقى والنقش والهندسة ومنها رمز القصائد الفنائية والانعام  
والكدر والتأمل ومن التماثيل مايرسم التمثيل بالايما والقصص الهزلية والموسيقى  
والرقص والالعب ومنها مايصور الحصاد وقطف العنب والفناء والعيد  
وتصاحي الشراب . ومنها الموسيقى على اختلاف المصور والطوب والمطور  
ومدينة باريز تدعو العالم الى افراحها والزهور والرقص في كل عصر من اعصار  
التاريخ وصور تمثل اهم اقاليم فرنسا مثل الفلاندر ويكارديا والجزائر وليون  
ولانكدوك وغاسكونيا والبروفانس وكوسين وبريوشامبانيا وبرتانيا وبورغونيا  
ولوفرين والورين ونورمانديا وكوتية نيس . ومن صورها مايمثل الصيف  
ومنها الشتاء ومنها مايمثل آسيا واوروبا واميركا وافريقية ومنها مايصور تأليه

العلوم وهو رمز لـلم الاحداث الجوية والكهربائية وتعليم العلم وتعجيد العلم  
واربع أيقونات تمثل علم الطبيعة والنبات في شخص اراغو وامبر وكوفيه  
ولافوازيه . ومنها رمز الى ساعات الليل والنهار ومشاهد الافراح والاعياد  
وفي ردهة الآداب صور ترسم لك عرائس الشعر والالهام والتفكر  
وتاريخ الكتابة واعظم الاعمال الادبية واربع ايقونات لاربعة ادباء وهم مولير  
وديكارت وفيكتور هوغو وميشله ثم صور الفلسفة والشعر والفصاحة والتاريخ  
وهناك رمز بديع يشير الى ان التاريخ يجمع دروس الماضي والفلسفة تحور  
الافكار من قيودها وعلى . قرابة من ذلك رسمان اثنان نائمان وهما يمثلان الادب  
وفي سقف ردهة الفنون صور كثيرة منها ما يمثل تغلب الفنون وخيال  
الكمال والحقيقة والرقص والفنون والنقش والموسيقى والمهندسة والرسم وغير  
ذلك من رسوم الوقائع الكبرى التاريخية والصور والتماثيل التي تشيد كل  
واحدة منها الى معنى من المعاني وفائدة من القوائد وكلها من حفر او رسم  
او نقش اعظم رجال هذا الشأن في العالم ولاسيا من اهل فرنسا جعلت هناك  
نموذجاً مما خصوا به من المزايا وسعة العلم وبعد النظر وحسن التدقيق  
وعلى الجملة فان الشرقي الذي يزور قصر المجلس البلدي في باريز تصنفر  
بلاده في عينه ويكاد يأس من ارتفاعها ونهضة ابنائها  
اما اعمال هذا المجلس الذي تبلغ ميزانيته مئات الملايين فلا اقول فيها  
الا انها عظيمة جداً ويكفي ان المجلس طالب من الحكومة هذه الايام ان  
تسمح له بمقد قرض قدره تسعمائة مليون فرنك ليظهر بعض احياء باريز  
فاذنت لانه ثبت ان بعض الامراض تكثر في حي دون آخر فالواجب العناية  
بها حتي لا تسطو يد الغناء عليها اما انا فلم ار على كثرة تجوالي راكباً وماشيّاً

في شوارع باريز واحياؤها موضعاً تحدثك النفس انه محتاج للإصلاح بعد  
لكثرة ماترى كل شيء في مكانه وان مدينة باريز لتتفق على اخواء الكهرباء  
والغاز الذي تير به شوارع هذه المدينة السعيدة كل ليلة ما يبلغ مقدار ميزانية  
بلدية دمشق طول السنة فتأمل

## تاريخ الحضارة الفرنسية

٣٣

بنسنا القول في الفصول السالفة في كل ما يهم عن معرفة باريز وهانحن  
اولاء نتوخى في هذا الفصل ان نلم بطرف من عمران فرنسا بأسرها واثرها  
في الحضارة منذ قامت للعلم والعمل سوق رائجة معتمدين فيما ننقل على معجم  
لاروس الجديد وما هذه النبذة الا احتذاء لما ورد في الفصل الفرنسي  
بتصرف كثير زيادات

فرنسا مملكة عظمى في اوروبا الغربية يحدها المحيط الاطلانطيقي وبحر  
الشمال او المانش من الغرب ومن الجنوب جبال الپيرنيه والبحر المتوسط ومن  
الشرق جبال الالب والجورا والفسوج ويفصل بينها وبين الهيك والمانيا  
خط اتفق عليه من الشمال الشرقي والشمال ومجموع مساحتها ٥٣٦١٠٨  
كيلومترات مربعة وسكانها نحو اربعين مليوناً اي نحو اربعة اضعاف ونصف  
مساحة سورية ومساحة سورية ١١٥١٠٠٠ كيلومتر مربع والفرنسيس كجميع  
سكان اوروبا اخلاط من العناصر مزجتهم بودقة واحدة فجاء منهم شعب ذي  
قوة عقلية حقيقية واختلفت صفاتهم وميولهم لمذاهب المعاش . وان فرنسا  
لغنية بزراعتها اكثر من غناها بمناجها ومع هذا فهي تعد من اغنى البلاد  
وزراعتها ارق زراعة في الارض ويندر في ارضها الذهب والفضة والزئبق

والفاس والزنك والرصاص والقصدير والزئبق والنيكل والانتيموان والكبريت ولكن عندها ما يلزمها من الحديد والفحم الحجري .

ولئلك لندعش اذا عرفت ان جزئين من ثلاثة عشر جزءاً من ارضها تزرع وتشمجر وفيها نحو عشرة ملايين هكتار من الغابات والموسج ولها في تربية المواشي والحيوانات يد طولى وتجد المعامل الكبرى قائمة في الضواحي الفنية بالفحم الحجري والحديد والمحاصيل الزراعية القابلة للتحويل وقد امتاز كل اقليم بصناعة وباريز هي ملكة المدن الصناعية في فرنسا لانها محط الخطوط الحديدية ومنتهى المواصلات

امتازت الجنوب بصناعاتها لكثرة الفحم الحجري وكثرة السكان وفيها صناعات اشتهرت شهرة الشمس والتمر كما امتاز اقليم الآردن بالجوخ واعمال الحديد والانواع الحجرية وامتاز اقليم شامبانيا ونورمانديا بالجوخ واعمال الحياكة والنسيج واطليم فرائش كوتيه بعمل الساعات وليون وسات اتين بالنسوجات الحريرية وامتازت المقاطعات المجاورة لها بتربية الحرير والغزل وامتازت البلاد الوسطى بالفخار والخزف والصيني والكاشاني وفي ضواحي انكولم على الناييع ذات المياه الشفافة معامل الورق ولرسيليا الميزة بصابونها ولاقليم البروفانس بزهوره العطرة التي تستعمل في العليب وعلى الجملة فان صناعات فرنسا من انفس ما تصنع صنع الايدي في العالم ولا سيما في منسوجاتها الحريرية وصناعة الجوهريّة والبلور والاولاي الصبغة الدقيقة وكلها مما جعل فرنسا في مقدمة ممالك اوربا .

تقسم فرنسا من حيث امورها الادارية الى ٨٧ ايلة وهذه تقسم الى ٣٦٢ ولاية و ٢٨٩٩ كورة و ٣٦١٧٠ مديرية ولها مجلس نواب ومجلس

شيوخ ينتخب اعضاء الاول كل اربع سنين واعضاء الثاني كل تسع وهذا  
المجلسان هما اللذان ينتخبان رئيس الجمهورية لسبع سنين والقوة الاجرائية  
بيد الوزارة وهي المسؤلة امام القوة التشريعية وتقسم هذه البلاد من حيث  
المعارف والاديان والبحرية والبرية الى مناطق كثيرة تخالف ترتيب الايلات  
وكلها لسان واحد وتربية تكاد تكون واحدة ونظامها واحد

ومن نظر الى تاريخ فرنسا السياسي والاجتماعي يتجلى له انها هي بلاد  
غالبا المستقلة وهي عبارة عن ولاية رومانية على عهد مملكة الرومان افتتح  
الرومانيون منذ سنة ١٢٥ قبل المسيح البلاد الواقعة على شواطئ البحر المتوسط  
ثم افتتح قيصر البقية سنة ٥٨ - ٥١ ق م ولم تكن اذ ذاك الا خليطاً  
من العناصر والقبائل لاوحدة بينها ولا جامعة تجمعها ففي الشمال قبائل جرمانية  
وفي الوسط سلتية وفي الجنوب الغربي ايرية وفي الجنوب الشرقي ليكورية  
وفي الولايات الرومانية مدن يونانية ومستعمرات ايطالية يتكلمون بنحو عشر  
لغات مختلفة ولم تكن لهم وحدة سياسية ولا رئيس اعلى بل كانوا عبارة عن  
نحو مئة من الشعوب لهم اوضاع مختلفة ويمكّم على معنائهم مجلس شيوخ  
ومن هذه الشعوب من يعيش على حال افراد ومنها متحدة بينها على التساوي  
ومنها من يشترك مع غيره ويترك الزعامة لمن يراه احق بها

وكانت المدن قليلة جداً في بلاد غالبا وغاية ما كان فيها ملاجيء لاوقات  
الفارات وهي مراكز الاسواق والزيارات فبلاد غالبا كانت بلاداً زراعية  
وسكانها ثلاث طبقات الاشراف والمهاربون ومنهم ينتخب اعضاء مجلس  
الشيوخ والملوك والفرسان وعامة الشعب كانوا فدادين تهرب حالم من  
المبودية ولم يكن يملك الاراضي احد ثم اصيبت ملكاً للاسرات الشريفة

اما الحراثون فهم من توابع الارض ويحيى بعدهم العبيد ويمدل من حال  
الاشراف طبقة الدرويد وهم الكهنة والاطباء والنجمون والقضاة ولاسيا  
في اواسط البلاد

ولما استقام امير الرومانيين اقاموا زعماً عاماً على البلاد ممتكاً بالسلطة  
المطلقة متصرفاً بالقوة الحربية والمدنية والدينية ونعني به الامبراطور وهو  
زعيم الحرب والمشرع المطلق والقانون الحي والرئيس الروحي والرب ثم امتزجت  
البلاد بالعادات الرومانية واللغة الرمانية بما اتاها من جيوش الرومان وتحرفت  
لغة الفاتحين فاصبحت الامة اللاتينية الحقلية وغدت كل امة غالية مقاطعة  
برأسها يرأسها زعيم واخذت التجارة والصناعة ترتقي ولولا انه كان من حق  
المالك ان يبيع الارض بفلاحها وهو الحاكم المتحكم في حياتهم ومماتهم لركن  
الفلاحون الى الفراغ

ولما اخذت النصرانية بالانتشار كانت قاهرة على المدن ولم تتعداها الى  
الارياف الا بعد زمن وكان من فوائد انتشارها انها اعلنت بان الاحرار  
والعبيد سواء امام الله هذه هي الفائدة الاخلاقية اما الفائدة السياسية  
والاجتماعية فقد نشأ منها تأليف طبقة رجال الدين بنظامهم الذي اخذوه عن  
نظام الحكومة ولم يمس الا زمن قليل حتى اصبحت الكنيسة حكومة وسط  
حكومة تجبي اموالاً من الناس ويفدق المؤمنون واحياناً الامبراطرة عليها  
من المال مانكوبات منه ثروة طائلة وتنفق املاكهم من الخراج كما ينفق  
خدمتها من المحاكمة مع الشعب بل كثيراً ما يحاكم الشعب نفسه في الكنيسة  
ولطالما كان الاسقف في ابرشيته خصماً للحاكم السياسي ورقياً عتيداً عليه  
ولما سقطت المملكة الرومانية تجزأت غالباً الى عدة ممالك بربرية كالفرنك

والبورغوند والفيزغوت وعادت كلمة البلاد الى الانتشار بعد الاجتماع ولم يكن ملوك الفرنك يدركون معنى الوحدة كسائر الملوك البرابرة ولا يقيمون للحكومة وزناً ولئن كانوا يلبسون الثياب الارجوانية ويضعون التيجان على رؤوسهم كامبراطور الرومان الا انهم لم يكن لهم جيش دائم وليست لهم طريقة منظمة في الجباية كما ان اللغات في البلاد تعددت وكلها لهجات من اصل روماني فمازجها لهجات بربرية وعادت سلطة الاشراف وسلطة رجال الدين تقرى حتى لم يعد يترف السواد الاعظم من الناس بالزعامة عليه الا انهم ومنهم يطلبون الانصاف ولم يدفعون الجزية والحراج وخربت المدن وهاجر رؤساء الجيش والاديار الى الحقول وضفت الصناعة والتجارة باختلال الامن في البلاد وكاد الفلاح يكون عبداً لسيده كما في سابق الاعصار وفي اليمين الذي أقسم سنة ٨٤٢ في ستراسبورغ ظهرت لأول مرة لغة اشتقت من اللاتينية المستعملة عند الفلاحين ومنها نشأت اللغة الفرنسية وفي معاهدة فردون سنة ٨٤٣ اعترف بوجود مملكة فرنسا وعاصمتها باريس

وما زالت الملوك تتوالى عليها وتختلف في المبادئ والاطوار حتى قبيل نهاية القرن الثامن وقد حسنت فيه حال الفلاح الفرنسي وزاد عدد المالكين من ابناء القرى زيادة مهمة وارتقت الصناعة والتجارة على ما كان يقف في سبيلها من القيود الكثيرة والانظمة المتنوعة وارتقت الادبيات وتحجرت من قيودها القديمة واخذت الفلسفة تبحث في التسامح الديني والحرية السياسية واصلاح القوانين الجنائية وتمايز الطبقات الاجتماعية وعارض مونتسكيو نظرية ان المالك ملهم من الله وحقه الهي على سكان الارض بنظرية الحكم الملكي البابي ووضع روسو نظرية المهد الاجتماعي

نهبت البارلمانات في مكافحتها سلطة الملوك ( سنة ١٧٨٨ ) أفكار وكلاء الشعب فبدأت الأمة ترفع صوتها وكان الملوك يخفونهم ولا يرون لها حقاً في مطالباتها بحق واتفق ان وقعت البلاد في عسر مالي فاجتمع وكلاء الأمة ينظرون في حل ما اصابهم فنشأت بعد حين الثورة الاولى ( ١٧٨٩ ) واعلن لويز الرابع عشر ان الأمة كلها للملك ولكن جاء في قانون حقوق الانسان والوطني ان مبدأ كل سلطة ينبعث من الأمة بجمهره فما من جماعة ولا من شخص يستطيع ان يحكم حكماً لا يكون صادراً عنها بالفعل وهكذا مات حق الملوك الالهي المزعوم واتت الثورة على اعشار رجال الدين والاقطاعات والسعرات والاحكام التي يحكمها ارباب الاقطاع وساوت بين الناس في الواجبات والضرائب وقضت على قليل الكفاة من ارباب النفي ان توسد اليه الوظائف الكنائسية والحربية بدون استحقاق وجمت الحرية الشخصية وحرية الضمير وحرية التكلم والكتابة وحرية المسكن وتساوى كل وطني من اكبر كبير الى اصغر صغير في الخدمة العسكرية ودفع الضرائب كل بحسب طاقته وثروته

هذا موجز الاساس الذي قام عليه بناء النظام الجمهوري ثم عراه قليل من التعديل بتقلب انواع الحكومات وقيام بعض الادعياء بالملك الى عهد الجمهورية الثالثة بعد حرب السبعين مع المانيا وعندها استقرت الحال على ما تراها الى اليوم

اما نشأة الآداب والعلوم فلكل منها تاريخ ويقال على الجملة ان اللغة الفرنسية هي بنت اللغة اللاتينية تكونت على صورة غريبة الى ان وصلت في عشرين قرناً الى حالتها الحاضرة وكانت ادبياتهم دينية لاول امرها وبعضها



شمري ونثري واكثرها خرافي ولم تخلص اللغة من القيود العائقة الا في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر . وتاريخ العلم ونشوؤه فيها طويل كتاريخ الادب ويقال على الجملة فيه ان مرسيليا كانت مدة قرون منبعث العلم الوحيد في بلاد غالبا واشتهرت مدرستها كما اشتهرت كليات آينس وكلية الاسكندرية وكان بيتياس احد ابنائها الذي ولد نحو سنة ٨٣٠ قبل المسيح لا يقل عن اعظم الفلكيين في القديم وكانت بيوت العلم تفتح على الهيدروماني في البلاد المهمة والتعليم فيها عبارة عن مبادي عملية من الحساب والمساحة والبناء ثم جاء دور الانحطاط التام فأصيب الغرب بفترات البربر ولم تخرج فرنسا من ظلماتها الفكرية الا بعد ثمانية قرون بفضل العرب وبينما كان التمدن الاسلامي بالغا اوجه كانت العلوم منحلة كل الانحطاط في ارض فرنسا . ولم ينتشر الطب والصيدلة في فرنسا الا بمساعي اطباء اليهود الذين طردهم المسلمون من آسيا الصغرى في القرن الحادي عشر فاعتصموا باسبانيا اولاً ثم باقليم لانكدوك حيث أسسوا عدة مدارس ومن جعلتها مدرسة مونبليه . وهذا كان مبدأ انتشار العلم في هذه الارض . فعن العرب اخذ الفرنسيون فيما مضى حضارتهم ونحن العرب اليوم نأخذ عنهم وندهش بمحضارتهم فسيبان المعز المذل القابض الباسط

الصحافة الباريزية

٢٥

نشأت الصحافة هنا في مبدأ امرها بنشر اخبار الملوك والوزارات والموظفين والحروب والدول ثم ارتقت بارتقاء المدارك الى ان صارت تلم بمعظم الموضوعات

التي تهم القراء وتعلمهم وعلى عهد الثورة اشتد ولوع الناس بالاطلاع على الحوادث والآراء السياسية وإلى هذا المهد ظل الصحافي وراء منضدته يكتب ليفيد مثل الامتياز على منبره والواعظ في معبده لا يقصد الا تثقيف عقل وتربية نفس

ولما تكالبت النفوس على المال واتسم للصحافة المجال بكثرة المواصلات والبرقيات واخذت التجارة ترقى دخلت الصحافة في طور جديد فبعد ان كانت هي خادمة لتجارة اصبحت هي بنفسها تجارة لا يقصد منها الا الربح واول من انزل اجور اشتراكاتها اميل جبراردين مؤسس جريدة لا بريس سنة ١٨٣٦ من ٨٠ او ٦٦ فرنكا قيمة الاشتراك بالجرائد الكبرى الى ٤٠ فرنكا وهي قيمة زهيدة لاتعادل النفقات انزلها ليكثر قراؤها واذا كثر قراء جريدة ابل الناس عليها باعلائانهم ومنشوراتهم فاستطاعت بعض الصحف ان تعيش مستقلة عن معونة الافراد والحكومة والاحزاب

ولكن هذا الاستقلال وان لم يكتب لها كلها الا ان سعيها وراء الاعلانات وخدمة الشركات والبيوت المالية قيدها اكثر من قبل بل اخرجها عن المقصد منها حتى صارت العشرون الجريدة الكبرى الباريزة اليوم عبارة عن سمسار لايحه الا ان يقبض الماله من البائع والشاري وغدت الجريدة من مقالتها الانتاحية الى انبائها البرقية فرفرف قصصها وتقاربط الكتب والحوادث الداخلية والخارجية والانباء المنوعة والمقالات الادبية والاقتصادية والسياسية والاعلانات والمنشورات وغير ذلك مما تخوض الصحف عبابه مثل اخبار دور التمثيل والرياضات البدنية والسباق لا ينشر منها اسم ولا سطر الا قبل ان يذهب صاحبه الذي يهيمه وينقد امين صندوق الجريدة مبلغاً معلوماً عنه

وعند ذلك ينشر له من الافكار والمخاند ما يشاء وتشاء الاهواء  
فان كتيباً او طابعاً لا يقدر ان ينشر كتاباً طبعه الا اذا انتقده كاتب او  
عالم كبير وهذا اذا فرض انه رضي بان يخدمه بلجان بسأله مدير الجريدة  
من ربح الادارة من ذلك . فمقالة في تقييد كتاب قد تكلف الطابع القبي  
فرنك يأخذ نصفها كاتبها الموقعة باسمه والنصف الآخر مدير الجريدة ومثل  
ذلك يتناولون من المصورين (١) والموسيقين والممثلين والراقصات والمقيلات  
والآنسات والاعاظم والاصاغر لاتدون اسماءهم بالطبع قبل ان يرشوا ادارة  
الجريدة بلال ترتضيه وكل ماتراه من اخبار الدعوات والرياضات والمآدب  
ويوصف الازياء مع بائعات الزهور والجوهرين والحيطات والخياطين يدفعه  
ارباب المأدبة وتجار هذه الاصناف بل ان اخبار الاعراس والافراح واخبار  
المناعي والاموات لاتكتب الا لمن تؤخذ منه اجرتها والاعمال الادبية مهما  
بلغ من مكانتها لاتذكر بكلمة قبل ان يدفع صاحبها جعالة لقاء ذكر اسمه

وهناك المالبون وارباب التجارة يريدون ان يشربوا بحالة الاسواق ويرفون  
ان السياسة تؤثر كثيراً في اعمالهم فيمدون الى ابتذال الجرائد لاتكتب في  
السياسة على هوامم فيرفون الاسعار يوم يريدون الرفع ويخفضونها كذلك  
بالم بواسطة هذه الجريدة من التأثير في الافكار الدامة ومنهم من يتتبع من  
الجرائد كلامها كما يتتبع منها سكوتها فدار اللعب في امسار مسوناكو تدفع  
مشاهرات الى جميع الصحف الكبرى تسكت عما يحدث فيها من ضروب  
الانتحار والحروب والفجائع التي تنشأ من المغامرة كما تدفع مبالغ جسيمة ايضاً

(١) اعتمدنا في معظم هذه المقالة على ما جاء في كتاب «كيف تقرأ الجرائد» الذي

في اوقات معينة لتأخذ الصحف في حمد مرافق مونتكارلو ونزلها ودور تمثيلها وسواحلها وصفاء العيش فيها .

وان اعظم علماء الاقتصاد لا تنشر له مقالة في موضوع مالي قبل ان يوافق عليها المصرف الذي ابتاع من تلك الجريدة روحها المالية ليصرفها كما يشاء وبعد حادثة بناما التي ظهرت فيها رشاي الصحف الافرنسية لم يعد يقدر الانسان ان يقرأ سطرًا في شأن مالي في جرائدهم الا ويشك فيه .

وهكذا انتهت الصحافة الباريزية مقيدة في صورة حرة مطابقة ففي وسعها ان تغرب في كل ماتريد وتنزع كل أساس وتهاجم كل موضوع وتقتاب كل امرئ وتنم عن كل عمل وتفتت على كل فرد ولا يحظر عليها الا شيء واحد وهو ان تكشف النطاء عن الاسرار المالية فاذا فعات يحكم على الكاتب والناشر والجريدة بأشد عقوبات المظال والضرر وكذلك اذا دلت على الطرق الاحتمالية التي يعيش بها الحل الفلاني منذ سنين .

وعلى ذلك فالجرائد هنا يجب ان لا تقرأ الا بعذر شديد حتى مقالات لها في الكيمياء او التاريخ فانها لا تنشرها الا ولها منها ما رب يظهر بعد اعمدة من نفس العدد او في عدد تال . وخف كل الخوف من الصحف التي تقدم الاحزاب جهارًا فان هذه تقلب الحقائق الناصعة وتحسم الحوادث او تضعفها بحسب هواها وتستعمل من السفسطة ما يضحك ويكي .

فكان الصحافة الباريزية جعلت لقلب الحقائق لا تقدر ان تسقط فيها على حقيقة خالصة من الشوائب فهي تزيد الى ضعف البشر الطبيعي وغلطهم وخطأهم امورًا تأتيها بذاتها بالقصد لتعريف الحق وتشويهه فمنها ما يخفض للحكومة في كل ما يكتب ومنها ما يخفض للاحزاب وكلهم خاضعون لزبهم

وكثير منهم يقولون كل ما يريدون على شرط ان يحسن المرء دفع المطلوب منه . فقد قيل ان الرياء تكريم الرذيلة للفضيلة والصحف الفرنسية تكرم الحقيقة من هذا النوع اي انها هي الرذيلة .

هذا ما اقتبسناه من فكر الكاتب الفرنسي في هذا الباب وصاحب الدارادري بالذي فيه وقد اجمع العقلاء الذين لقيتهم من اهل العلم والمطبوعات وغيرهم على ان الصحافة الفرنسية كلباترشي وتافق في احاديثها وتكذب في رواياتها ماعدا جريدة « الاومازيتيه » اي الانسانية وهي لجوريس احد زعماء الاشتراكيين تعيش من وارداتها الشرعية ولا تسف لتناول رشوة من احد وان الصحافة الانكليزية اشرف غاية وانبل قصداً واكثر مادة واوسع مصادر اما انا فعاتت هذا التصريح من اصدقائي الفرنسيين بان انكثرا هي ارقى الامم باخلاقها والاخلاق هي معيار الامم والجرائد مرآتها

ومن الصحف الباريزية ما يصدر صباحاً واكثرها جرائد لا تهتم بالمسائل السياسية بل بالامور المالية والحركة الادبية كدور التمثيل والخطب وغيرها اما جرائد المساء فاكثرها يهتم بالسياسة فالطان والديا من الجرائد المسائية والجورنال والماتين والبي باريزين والبي جورنال من الجرائد الصباحية والجرائد طبقتان قسم لامة القراء وهي التي ينادي عليها المنادون في الشوارع باعلى اصواتهم وتباع في كل مكان فيقرأها البواب والحوذي والمساح والكساح وسائق الاتوموبيل والشرطي والمرتزق وبعض التجار وذلك كأكثر الجرائد الصباحية وقسم للطبقة المالية والبنائين لم بالطبع مثل الطان والديا والقولوا والفيارو وهذه لا ينادي عليها وتباع بثن اخطى فالطان يتباع عددها بثلاثة فلوس او خمسة عشر سنتياً في حين تباع تلك الجرائد المامية بفلس واحد

وهي أكبر حجماً وأوسع مادة من هذه ولكن مشتات بين مادة ومادة وحجم وحجم .

وجريدة الطان هي الجريدة الوحيدة التي تعنى كثيراً بإخبار هذا الشرق الأدنى خاصة والسياسة الشرقية عامة وهي جريدة وزارية تقدر كل وزارة تأتي وهذه بالطبع تعطى أخباراً وربما أمدتها بمونة مالية وهي لاتنيل المقالات السياسية والأخبارية باسماء كتابها على عادة معظم الجرائد السياسية وبذلك قد يقع لها ان تؤيد اليوم في مقالاتها الأولى فكرة مخصوصاً ثم يجيء كاتب آخر من النقد في نفس ذلك المكان من الجريدة فيضف ذلك الرأي بعينه ويستتد . وأعرف الجرائد بالشرق على التحقيق هي هذه وربما كانت جريدة الأيكر دي باري من جرائد الصباح أكثر منها مادة برفية اخبارية عنه بدون تعاقب على الحوادث . ومقالات الطان عن السياسة الشرقية تتناقل لانها تريب الى الثقة والتعقل من غيرها ومع هذا تؤخذ بكل حذر شأننا مع عامة اصحف الافرنجية التي تقول الحق ولكن اذا صادف هوى لها وهيئات ان تقوله بدون عوض . وقد كنت اظن جريدة الديبا وحدها ترتشي من السلطان عبد الحميد المخلوع ولكن علمت هنا ان الطان ايضاً على ما فيها من الغر والهرج بالدولة كانت لاستنكف من قبض الخمسة آلاف ليرة من اعوان ذلك السلطان لتكتب على هواه يوماً لعلم المخلوع بمكانة اقوالها في الاندية السياسية

وانواع الجرائد هنا كثيرة ومنها اليومي الذي لا يكتب الا في موضوع واحد مثل جريدة « كوميديا » وهي تبحث في دور التمثيل والقصص التمثيلية والفاجعات وغيرها ومنها جرائد للسباق مثل جريدة « الاوتو » وهي للنشر

اخبار سباق الحوافل « الانومويل » وغيرها من انواع السباق ومن جرائد ثم ماهو خاص بتأجير الاملاك والمقارات ومنها الخاص بطلاب الزواج وطال ومنها للازياء واخرى للعطور والطوب ومنها للاخبار الخلاعية ولك مقصورة على طبقة خاصة تطبع سراً وتوزع كذلك واذا رآها الشرطة صادر وانزلوا العقوبة الشديدة بكاتبها وبائنها ومشتريها

اما تنظيم ادارات الجرائد الكبرى فهو الغاية ولا سيما الامهات منها . ل « الماتين » وهي في اعظم جادة بنائها اجل بناءة وآلاتها المطبعة احسن الآلات فيها اثنا عشرة واحدة تطبع الواحدة مئة الف نسخة في الساعة زرتها مع زهاء سبعين رجلاً وامراً رأيتهم سبقوني الى زيارتها فما رأيت نظاماً اتم ولا استعداداً استوفى من الكمال اوفى القسم ومن احسن مآثره مما كتب فوق غرف المحررين « خلق المحرر ليكتب فلا تشغله فيما لا يعنيه » وزرت ايضا ادارة البتي باريز بن وهي دونها في الاستعداد وان لم تكن دونها في الانتشار والنفاذ



## تربية النبات

لحافظ افندي ابراهيم

كم ذا بكابد عاشق ويلافي	في حب مصر كثيرة العشاق
اني لاجل في هواك صابة	بامصر قد خرجت عن الانطواق
لطني عليك متى اراك طليقة	يحبي كريم حماك شعب راق
كلف بمحمود الخلال متم	بالبذل بين يدك والانفاق
اني لتطربني الخلال كريمة	طرب الغريب باوبة وتلاق
ويهزني ذكر المروءة والندى	بين الشمالك هزة المشتاق

ما لبالية سيفه صفاء مزاجها  
 والشمس تيدو في الكؤوس وتختفي  
 بالك من خلق كريم طاهر  
 فاذا رزقت خليفة محمودة  
 فالناس هذا حفظه مال . وذا  
 والمال ان لم تدخره محصناً  
 والعلم ان لا تكتفه شئلاً  
 لا تحسب العلم ينفع وحده  
 كم عالم مد العزم حباتاً  
 وفقيه قوم ثل يرصد فتنه  
 يمشي وقد نصب عليه عملة  
 يدعونه عند الشقاق وما دروا  
 ويليب قوم قد احل لطفه  
 قتل الاجنة في البطون وتارة  
 اغلى واثمن من تجارب علمه  
 ومهندس للنيل بات بكفه  
 متعنت تندی وتيبس كفه  
 لاني يلوي من هواه فحده  
 واديب قوم تستحق ميمنه  
 يلبو ويلعب بالعقول بيانه  
 في كفه قلم يمج لعابه  
 يرد الحقائق وهي يرض نصح  
 فيردوها سوداً على جناتها  
 عريت عن الخلق المطهر نفسه  
 لو كان ذا خلق لاسعد قومه  
 من لي يتربية النساء فانها  
 الام مدرسة اذا اعددتها  
 والشرب . بين تانس وسباق  
 واندير يشرق من جبين الساق  
 قد مازحته سلامة الازواق  
 فقد اصطفاك مقسم الازواق  
 علم . وذاك مكاره الاخلاق  
 بالعلم كان نهاية الاملاق  
 فعليه كن مطية الاخفاق  
 عالم يلوح رب بخلاق  
 لوتية وقطية وفراق  
 لمكيدة او مستبح طلاق  
 كالبرج لكن فوق قل نفاق  
 ان الذي يدعون حلف شقاق  
 ما لا تحمل شريعة الخلاق  
 جمع الدواني من دم مهراق  
 يوم الفخار تجارب الخلاق  
 مفتاح رزق العامل المطراق  
 بالماء طوع الاصفر البراق  
 في السلب حد اخطان السراق  
 قطع الانامل او لظى الاحراق  
 فكاه في السحر رقبة راق  
 سما وينفشه على الاوراق  
 قدسية علوية الاشراف  
 من عالمه التوحيد الف نفاق  
 فحياته ثقل على الاعناق  
 بيانه وبراء السباق  
 في الشرق جلة ذلك الاخفاق  
 امدت شعباً طيب الاعراق



الام روض ان تهده الحيا بالري اوردى ايما ايراق  
الام استا: الاماندة الاولى شملت مآثرهم مدى الآفاق  
انا لا اقول دعوا النساء سوافراً بين الرجال يحلن في الاسواق  
يدرجن حيث اردن لامن وازع يحذرن رقبته ولا من واق  
يفعلن افعال الرجال لو اهيأ عن واجبات نواعس الاحداق  
في دورهن شوونهن كثيرة كشوون رب السيف والمزراق  
كلا ولا ادعوكم ان تسرفوا في الحجب والتضييق والارهاق  
ليست نساؤكم حلاً وجواهرأ خوف الضياع تصان في الاحقاق  
ليست نساؤكم اثاثاً يقتنى في الددر بين مخادع وطباق  
تشكل الازمان في ادوارها دولاً وهن على الجود بواق  
فخسوطوا في الحالتين وانصفوا فالشر في التقيد والاطلاق  
ربوا البنات على الفضيلة انها في الموقفين لمن خير وثاق  
وعليكم ان تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي

## مطبوعات ومخطوطات

( معذرة الى المؤلفين والطابعين الذين اهدونا مؤلفاتهم لتتكم عليها في هذه المجلة  
فماقت الاحوال التي طرأت علينا دون القيام بما اعتدناه في السنين السالفة من التوسع  
في نقد الكتب وتقريرها والمبادرة الى النشر في حينه ولذا نرجو ان يعذرونا على ايجاز  
القول ونقدم بان كلامنا يكون من قابل اطول نفساً واوسع مادة . وما نحن اولاء نبدأ  
بمجملة مما كتب في الغرب على الشرق او نشر في ديار الغرب من علوم الشرق ثم تتبعه بما  
صدر من المصنفات الجديدة بالنظر في هذا الشرق الاقرب وتستريح عذراً من تفضلوا  
باهدائنا ما عرّوه من القصص ونشروه من الروايات على اغفال ما نشره لان المجلة لاتشير  
الا الى المصنفات التي توافق موضوعاتها في الادب والاجتماع والعلم وتعني بما يصنف رأساً  
في الادب اكثر من عنايتها بما يعرب فيه كما انها تعني بالكلام على ما يكتب او يعرب  
في الاجتماع والعلم على حد سواء )

## الشرق الاسلامي

كتاب بالامانية نشره المسيو مارتين هيرمن من علماء المشرقيات وهو ممن يهتمون بمستقبل العرب وكتابه قسبان قسم في تاريخ العرب وينقسم الى ثلاثة اقسام العربية القديمة والعربية الوسطى والعربية الحديثة واعتمد في سرد التاريخ على الاثار اكثر من النقول التي لا ينهض دليل تعيّن النفس اليه وفي فقدت المادة التاريخية فليس من تاريخها وخص كلامه على اليمن لان ما اكتشف من اثارها الحجرية يسهل البحث في تاريخها وقال ان اليابانيين كانوا شعباً رحالاً ولم يكونوا عرباً كما يفهم من معنى هذا اللفظ في التقديم اذ كان معناها البدو او سكان البادية وما قصّ كان العرب الرحالة كثار العدد ومن اللفظ ان يقال ان القفر كان مادة حياة المدن القريبة منه في سكانه . وقد كان الاشراف في اليمن وهم الاذواء اي ذوزن وذورعين وغيرهما هم المحتكرون للتجارة والسواد الاعظم من الاهلين ينقسمون الى قبائل ينحسرون للاشراف ويعيشون بالزراعة وانتشرت الديانة اليهودية في اليمن الا انها كانت قليلة البقاء كما انها لم تطل ايامها في جزيرة العرب وقد اسقط الحبشة دولة ذي نواس وتكلم المؤلف على الاسرة والزواج والقبائل وشرح حالة جنوبي الجزيرة العربية من حيث زراعتها وتجارتها واثارها وديانتها وقال ان افكار البابليين قد انتشرت في العالم الشرقي كله وان نبهة البلاد العربية لاتتم الا بعد المخطوط الجديدة واتشاء النكبات الاسلامية .

## تاريخ الاسلام

نشر المسيو ليون كاينثاني من اشراف ايطاليا والمشتغلين بالعلم فيها الجزء الثاني من هذا التاريخ الضخم بالاطالية وهو يحتوي على تاريخ ١٢ سنة من الهجرة اي في اوائل الفتوحات الاسلامية ويقول من درسوا هذا التاريخ انه من اكل ما ألف في تاريخ الاسلام حتى الآن .

## المخطاطون والمصورون في الشرق الاسلامي

نشر المسيو كليمان هوار من علماء المشرقيات باللغة الافرنسية كتاباً في هذا الموضوع ذكر فيه المخطوط العربية ومنشأها ونشوءها وجعل المخطوط طبقات بحسب ترتيب سني المخطاطين فقال ان الاصل في الخط العربي الكوفي المأخوذ من الخط السرياني والبطي ثم قام ابن مقلة فأسس الخط الاول وجاء به . ثم ابن البواب وياقوت المستعصي ثم قام الاساتذة السبعة في الخط في آسيا الصغرى سنة ١٥٢٠ ورأسهم الشيخ حمد الله بن

مصطفى البغاري نديم السلطان بايزيد الثاني . اما تذهيب الكتب فغير معروف فان قصر الاموين المعروف بقصر عمرة الدسي اكتشف حديثاً وقد وجد فيه صور من اهل بزعلي مثل التي تزدان بها المخطوطات العربية القديمة .

كتاب بغداد

نشر الدكتور كلار من علماء المشرقيات السويسريين الجزء السادس من تاريخ بغداد لمؤلفه احمد بن ابي طاهر طيفور من اهل القرن الثالث للهجرة وهو في سبعة المأمون بدأه بجمادات سنة ٢٠٤ وختمه بجمادات سنة ٢١٨ فغير ذكر الوقائع الاخيرة من عهد هذا الخليفة الكبير وليس فيه شيء زائد عما عرف من حال ذلك الدور السعيد على نحو ما ذكر في مطولات التاريخ ولكن فيه فوائد غيرها مثل ترجمة بعض رجال المأمون كتابه احمد بن يوسف ويقول ناشره — الدسي استنسخه وطبعه على الحجر وقدم له مقدمة باللغة العربية تبين الغرض من نشره — ان ابن جرير اخذ عن ابن ابي طاهر ما يتعلق بتاريخ المأمون وفي ذلك نظر .

تاريخ حكام مصر

نشر المستر كونج من علماء المشرقيات الاميركيين تاريخ ابي عمر محمد بن يوسف الكندي وهو تاريخ القرون الثلاثة الاولى للهجرة ومرجع من احسن المراجع في تاريخ المصادر الاولى في وادي النيل لقرب مؤلفه من الوقائع .

تاريخ قضاء مصر

نشر المستر كيرتيل استاذ اللغة العربية في جامعة كولبيا الاميركية تاريخ قضاء مصر للكندي الذي اتفق فيه على كتاب عبد الرحمن بن عبد الحكيم سيفي كتابه فتوح مصر واتمه ابو الحسن حمد بن عبد الرحمن بن برد الى سنة ٣٦٦ هـ واوصله مؤلف بمجمول الى سنة ٤٢٦ هـ .

ولاية بغداد

هو كتاب في ٣٣٨ صفحة طبعه بالبرية حبيب افندي شبيغة وفيه وصف هذه الولاية وماضيها وتاريخها ووصف سكة بغداد الجديدة وبحث في القبائل البادية بين النهرين .

ديوان السموأل

نشره الاب لويس شيخو اليسوعي في بيروت وقد عثر على النسخة الاصلية منه الاب انستاس الكرملي الحافي البغدادي عند احد كتبة دمشق

## الفرق بين الفرق

هو كتاب لابي منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي من اهل القرن الخامس طبعه وعلق حواشيه محمد بك بدر في مصر وفيه ذكر الفرق الثلاثة والسبعين الواردة في الحديث .

## طبقات الصحابة

نشر الجزء السادس من كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المتوفى سنة ٣٢٠ هـ تحت نظارة السيوشاشو ؛ ناية الاستاذ زرتسين من كلية ايسال وفي هذا الجزء تراجم دعاء الاسلام في الكوفة ومنهم اناس من الصحابة مثل ترجمة علي بن ابي طالب وسعد بن ابي وقاص وابي موسى الاشعري وسلمان الفارسي .

## مفيد النعم ومفيد النعم

نشر الاستاذ داود مهران هذا الكتاب لاج الدين السبكي من اهل القرن الثامن وصاحب جمع الجوامع وفي هذا الكتاب وصف المؤلف الحياة الاجتماعية في عصره فذكر الولاة والقضاة والقواد والمحاسبين والمربين والاساندة والتجار والدرائش والصناع والاطباء والكحالين والحلاقين وغيرهم وهو في ٢٤٠ صفحة .

## تجارب الامم

هو تاريخ لابن مسكويه المتوفى سنة ١٠٣٠ م وهو التاريخ النفس المنقح الذي فضله بعضهم على تاريخ الطبري بما فيه من صحة الاسانيد والتقد التاريخي نشر في لندن على نفقة أسرة جيب الانكليزية وقدم له الكنتليون كايثاني المستشرق الايطالي مقدمة .

## تاريخ السلاجقة

هو تاريخ بالفارسية للوزير محمد الحسيني اليزدي من اهل القرن الثالث عشر للميلاد طبعه في مصر الدكتور كارل سوسهم الالماني في ١٩٢ صفحة .

## اغائة اللفان

هي رسالة في حكم طلاق الفضبان تأليف شيخ الاسلام ابن قيم الجوزية عني بتصحيحه الشيخ جمال الدين القاسمي ووقف على تصحيح طبعه حسين وصفي افندي رضا طبع مطبعة المنار بالقاهرة وهو في ٤٨ صفحة .

## حياة اللغة العربية

هي مسامرة او محاضرة لشيخ محمد الخضر بن الحسن في تونس اتي فيها على اطوار

هذه اللغة واساليبها ومطابقتها مع المسندية واتحاد العامية بالقصص طبعها في تونس في ٦٠ صفحة

### الشهاب في الحكم والآداب

تأليف ابي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن حكومت القاضي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ وهو حكم نبوية مختصرة طبع في بغداد

وشاح الكاتب

وزينة الجيش الغالب

هي رسالة في ملخص القوانين التي سنّها الامير عبد القادر الحسيني الجزائري في ٣٣٠ صفحة طبعته بدمشق

### مرشد العائلات

الى تربية البنين والبنات

وهو مختصر في التربية الجسمية منذ الحمل الى سن الولادة تأليف المرحوم حسن الندي توفيق طبع في بيروت لاعانة دار العلوم  
تدبير صحة الاطفال -

هو كتاب في صحة الاولاد وما يعرض لهم وما ينبغي وقايتهم منه الدكتور امين دمر طبع في الاسكندرية

### حالة اليمن

هي رسالة مطولة اسمها « يمه استجلاب نظر دقت » كتبها بالتركية جمال الدين الندي الخطيب ذكر فيها ما صارت اليه حالة اليمن من الاضطرابات الاداري وطبعها في  
الدمشق

### عبرة وذكري

او كلمة حول الشورى للدكتور ايوب ثابت ذكر فيها المذاهب السياسية وانه لادخل للادب ان  
في ترقى نوع الانسان طبع في بيروت

### مجلات جديدة

المورد الصافي - كتاب لبرجس افندي الخوري المقدوني يصدر في بيروت كل اربعة اشهر جزء منه في ١٠٤ صفحات يتضمن مختارات من الخطب والمقالات والاشعار والآراء  
العصرية في التربية والتهديب -

المداية — مجلة دينية علمية ادبية اجتماعية لمنشئها الشيخ عبد العزيز جلوبش تدير في مصر كل شهر في ٧٢ صفحة

الزهور — مجلة ادبية فنية علمية لصاحبها انطون افندي الجميل تصدر في القاهرة في اول كل شهر في ٤٠ صفحة

الحقوق — مجلة حقوقية نصف شهرية لمنشئها المحامين سليم بك المعوشي وملحم بك خلف في لبنان وهي في ٣٢ صفحة

الانسانية — مجلة علمية اخلاقية اجتماعية انتقادية عمرانية لمنشئها الشيخ حسن الرزق تصدر نصف شهرية في حماة في ٣٢ صفحة

كتب متفرقة

نشر المسيو كومب باللغة الافرنسية تاريخ ديانة السين في بابل واشور ذكر فيه الانساب والاساطير واللاهوت والآثار والمعتقدات والمعابد وتأثير الادب الميلاية والعربية والسورية وغير ذلك من الفوائد.

وكتب ايضا كل من الكولونيل روث ولانوي وجنويلاك كتابين على الصومريين وم سكان اسفل بلاد بين النهرين وكانوا في رأي احدهما قبل المسيح بثلاثة آلاف وخمسمائة سنة مستنداً في ذلك الى ماعثر عليه من المواد الاثرية ولا سيما في تلوالتي ملأت آثارها متاحف العالم . ونشر اوجين اوبين كتاباً بالافرنسية في فارس اليوم وما وراء النهرين ولا سيما الاماكن المقدسة في العراق وبحيرة اورومية وبغداد وطر بقها الى همدان ونشر رايونود ويل كتاباً في جغرافية شبه جزيرة سينا وتاريخها . والمسيو ايل كتاباً في وصف الشعب الاسلامي في تلمسان من اعمال الجزائر . ونشر ايبوليت دريفوس كتاباً في تاريخ البهاية وحالهم الاجتماعية . ونشر رينه بنون كتاباً بالفرنسية في اوربا والمملكة العثمانية وفيه مستندات تاريخية وسياسية كثيرة

## سير العلم والاجتماع

### مدارس الفرص

من مجلة التعليم الذي كثر بين الامم الفرنسية بكثرة المواصلات ان بعض المدارس او الجمعيات لا تحب ان تصرف التلامذة الى بيوت ذويهم في الصيف وتقرص على تعليمهم

وقننهمهم والسياسة بهم في هذا الفصل فابن انكلترا بطوف به اساتذته بعض بلاده او يأخذونه الى فرنسا وإيطاليا والمانيا واسبانيا وموسيرا وابن المانيا كذلك والسكك الحديدية في هذه الممالك تستقط من اجورها قسماً عظيماً لتلك المدارس والجمعيات حتى ان التلميذ لا يدفع عن ستة اسابيع سوى ليرتين انكليزيين وعن اربعة اشهر اربع ليرات فرنسية

#### تطهير ماء الشرب

رأى طبيبان إيطاليان ان افضل الطرق لتطهير ماء الشرب من الجراثيم الفارسة ان يجعل فيه محلول فلورور الفضة فلا تمتص نصف ساعة الا وتهلك الجراثيم كلها ويمكن ان يعرض الماء بعد ذلك زمناً للهواء الطلق بدون ان يكون فيه ادنى خطر من جراثيم جديدة

#### اللغات الحية

عقد في باريس هذه السنة المؤتمر الدولي للغات الحية فنبأحت اساتذة البلاد المتقدمة في الطرق التي تمكن التلاميذ من الاستعداد الا لازم لهم في جهاد القرن العشرين فكانت النتيجة ان الواجب تعليم اساتذة المستقبل اللغات الحية تعليماً عالياً لترسخ فيهم رسوخ لغاتهم الاصلية فلا يكسفى بثقليتهم من اللغة الاجنبية فجوها وصرفها وبني من لغتها والتكلم بها بل يعلمونها ارق تعلم عام ادبي فلسفي . وانتقلت الآراء حتى ان اللغات الحية اذا اريد انزالها منازل التربية تعادل تربية اللغات القديمة فالواجب ان يكون بلغ اساتذتها الذين يعهد اليهم تعليمها درجة عالية توازي درجة علماء اللغات القديمة واجمعوا على ان التعليم الثانوي يجب اصلاحه بحيث يتخرج منه اناس لامنمون باللغات الاجنبية الحديثة فقط بل ممتازون بها امتيازاً يناسب روح العصر الحاضر ورأوا ان احكام اللغة وحده لا ينشأ منه ما يقال له قيمة مربية ودرجة راقية في المدينة والآداب بل ان يشغله درس اخلاق تلك الامة التي يتعلم الطالب لغتها ويتشرب روح آدابها وتاريخها فان الاطلاع على لغة حديثة ليس من الغايات بل من الوسائط فهو آلة من ائمن الآلات في جهاد الحياة فلا يكفي ان ينلم المرء كلمات وحجلاً وقواعد نحوية وصرفية بل ان يدخل في حياة الشعب الغريب عنه فبعد ان يدرس الطالب قوانين لغة امة يحيط علماً باخلاقها وتاريخها وآدابها وكيفية تصورهما معنى الحياة وخير النرائع بلوغ هذا القصد الرحلة الى البلاد التي يتعلم المرء لغتها والاقامة فيها زمناً وهذا ما يجب

ان يكون من دعائم التربية اليوم كما كان قديماً ان الله لمعين في رومية يسبحون في بلاد يونان في سالف الازمان . واستحسن المتأمنون الاكثاف من الاتفاق على المتعلمين ما يقوم برحلاتهم ودعوا البلدات والامارات والجمعيات والحكومات والمحسنين الى التفاس في هذا المضمار لان مثل هذه الرحلات توسع الفكر وتشدّد النشاط وتنبه الشعور لانقاذ وتقوي الانتباه وحاسة النظر وتقوي الوطنية بالمقابلة بين البلاد ومن اهم نتائج هذه التربية الحديثة تقرب ما بين قلوب الامم المتعددة

وانعقدت في اكسفورد ببلاد الانكليز جمعية الالات الحديثة فقال الرئيس في خطاب له ان اغنية رولاند وبلجن ليد لانومان مقام اغاني هوميروس ولا داني يخلف فيرجيل مرشده واستاذ ولايسكال يضطرنا الى نسيان افلاطون ولا بوسويه ينسبنا شيسرون ومعنى هذا ان من رأيه ان التربية الادبية الكاملة تتطلب دراسة كتب القدماء كما تتطلب درس آثار المحدثين وافاض الى هذا الفخر متنبولاً الموضوع الذي اجمع عليه مؤتمر باريز ورأى ان تعلم الالات كما هو شائع الآن في انكلترا تعليماً سطحياً ويراد منه الترفه مع الاجانب للتأججار هو ناقص الجهاز والاولى التعمق في الدراسة

#### التربية في الهواء

اخذ علماء التربية منذ سمين في المانيا وفرنسا يبحثون عن الطرق التي يعلمون بها التلامذة في الهواء الطلق ويخلصونهم من ازدحام الانفاس في صفوف المدارس لما فيها من اضعاف اجسامهم وانهاك صحتهم وذلك بدون ادنى نقص في تعليمهم ومن عني بهذا الموضوع الاستاذ فلات احد مديري المدارس العالية في المانيا فكتب بعد تجربته العديدة في ابناء مدرسته ان تعليم التلامذة في الهواء الطلق لا يناسب الا الاولاد الذين تقدموا قليلاً في السن وفي هذه الحال يعلم التلامذة اصول الرياضة البدنية ولا يصعب تعليمهم خارج الصفوف دروس العلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا واللغات الحية والرايخيات وقد ألف في هذا الموضوع كتاباً تداولته الالسن بالثناء

#### التلامذة والاساتذة

كتب احد علماء الافرنج بحثاً غامقاً اخذ فيه رأي ٨٧ استاذاً مع تلاميذهم عن المواد التي يختار التلامذة تعليمها فكانت النتيجة ان المواد التي يحبها التلامذة أكثر من غيرها ليست هي المواد التي يرتاح الاساتذة الى تعليمها فالتلامذة يحبون الرياضات البدنية والاعمال اليدوية ثم التصوير والتاريخ ويتأفون من التعليم الديني والاملاء



والتاريخ الطبيعي . اما الاساتذة فاحب الدروس الى قلوبهم التاريخ وليس الرياضة البدنية منزلة من قلوبهم

### تعليم التاريخ

كتب احد الامان العارفين بمبحثنا في مجلة علمية قال فيها تشأ من تعليم التاريخ ان كثيراً من المعلومات التاريخية ينساها المرء والضروري منها استظهاره مؤقتاً يساعد على تربية القلب والذكاء والاحساس الانساني والوطني فيجب على معلم التاريخ ان ينقل من دمه مالا يضر جماله ويتوسم في المسائل المهمة ثمنه بما ينطبق على الحال الحاضر من مسئلة وعن تحليل اسبابها وتكوينها ويظهر نفراً بليغاً فيما تمس حاجتنا اليه في حياتنا ولا يكتفى بالمعرفة البسيطة الغير المنعقدة من اناني ويجب تنبيه اذهن واعداه لادراك العالم الحاضر السياسي والاجتماعي والديني واحوال الرجل المعاصرين وان تزدى الوطنية بدون ان تكون الى العصبية الجاهلية ويقصد بالتاريخ تخريج رجال ووطنيين باطلاعهم على ماوقع لمن قبلنا وما هو دائر الآت حوالينا . وهذا مايقصد من روح التاريخ

### المدارس الالمانية في العالم

نشر احد علماء الامان كتاباً سماه المدارس الالمانية في الخارج جاء فيه ان لالمانيا في روسيا ٦٠ مدرسة فيها ١١٠٠ تلميذ وفي رومانيا ٣٠ مدرسة فيها ٤٢٠٠ وفي البامبيك ١٠ مدارس و ١٩٠٠ تلميذ و ٦ مدارس في البلاد العثمانية في اوربا فيها ١٨٥٠ تلميذاً و ١٤ في ايطاليا تحتوي على ٨٨٠ تلميذاً ومدرسة واحدة في فرنسا ( بياريز ) فيها ١٥٠ تلميذاً و ٢١ مدرسة في آسيا فيها ١٢٥٠ منها ٩ في ازمير وفلسطين فيها خمسمائة تلميذ و ٤٦ مدرسة في افريقية الجنوبية منها ١٥ في حكومة الرأس فيها ١١٠٠ تلميذ و ١٦ في الناتال فيها ٤٠٠ و ٣ في الترنسفال ولها ٣٠٠ تلميذ و ٨٠ في اوستراليا تضم في مجموعها ٢٥٠٠ و ٨٠٠ في برازيل تجمع ٢٦٠٠٠ تلميذ و ٥٠٠ في ريو الكبرى لها ١٥٠٠٠ تلميذ و ٦٠ في الجمهورية الفضية لها ٣٥٠٠ تلميذ و ٣٦ في شيلي فيها ٢٨٠٠ تلميذ . اي ١٧٠٠ مدرسة فيها مالا يقل عن سبعين الف تلميذ وتفتح الحكومة الالمانية لهذه المدارس ٨٥٠ الف مارك في السنة هذا عدا الاساتذة والمعلمين الذين يدرسون في الولايات المتحدة وبذلك تنبذ انتشار نفوذ ألمانيا على بلاد العالم ولا سيما على الممالك المحتاجة حتى الآن الى العلم

جراثيم الثعب

قامت منذ زهاء مائة سنة فئة من اطباء الالمان والطليان والاميركان يقولون بوجود جراثيم في احشاء الانسان تأتية من ملاسة الارض التي يعمل فيها تتحدث فيه الكسل والصب ثم تنتهي بالوت . وآخر ماقرره احد اطباء اميركا ان ظاهر انني هذه الجراثيم كذكرها اشبه بخط نموس بالوحل وهي تبيض حينما نزلت الوفا من البيوض والاجنة التي تخرج منها وتنتشر في الغللايا . وطول الذكر من هذه الجراثيم سائمتران يملق بالاحشاء فيتناول اجزاء صغيرة من الفشاء المخاطي وذلك بثقبها ثقبوا يمتص منها الدم وقد رأى طبيب انكليزي بمائة شخص مصاب بجراثيم الثعب ان فيه ٢٥٠ جرثومة و٥٧٥ عضة ورأى في آخر ٨٦٣ جرثومة و٢١٧ عضة ومعظم هذه الاصابات تكون من باطن القدم اولاً لانه معرض للاحتكاك بالارض التي تسكنها الجراثيم ويقدررون المصابين بهذا المرض بليونى نسمة اكثرها في جنوبي اميركا

درجات التغذية

ملعن شيء مهم في التغذية اكثر من التدقيق في معرفة مايتربك منه طعامنا حيوانياً كان او نباتياً او معدنياً جامداً كان او سائلاً فالاصل في طول حيل العمر متوقف على الاحاطة بذلك فقد قال احد الاطباء ان الواجب على المرء قبل المباشرة في الاكل ان يعرف درجة التغذية فيما يتناولوه والمقدار اللازم له منها . ونال غيره ان من اوائى قواعد حفظ الصحة ان يعرف المرء النسبة بين التغذية والاتفاق عليها . ولكن هذه القواعد قلما يعمل بها بالفعل وكثير من الناس يجولون كل الجبل مايدخل في الطعام من درجات التغذية وقد نصح الدكتور فيشر من كلية يال في اميركا ان تعلق القائمة الآتية في المدارس وغرف الموايد لمعرفة درجات التغذية في كل طعام وها هي مرتبة بحسب مكانتها من التغذية :

الثار والجوز والحبوب والعسل والزبدة .

البطاطا وغيرها من البقول التي تقشر .

السمن والملح القليل والقشطة والبن والحليب والبيض وسكر القصب وشوكولاتو

الوز الهندي .

الجبن المطبوخ والبن الرائب .

البقول التي تؤكل بقشورها .

المعجنات

الجبين المخمر وجبن رو كفور وغيره

الزريد

الحساء باللحم وخلاصة اللحم

الشاي والقهوة

اللحم والسمن والطيور

الكبد

التوابل ماعدا الملح .

الالكحول

## توراة الشيطان

قالت مجلة مطالعاتنا في البيوت مائريه : من جملة الكتب المحفوظة في خزانة الكتب الملكية في استوكهولم كتاب مخطوط أطلقوا عليه اسم توراة الشيطان كما يسمونه ماردر الكتب . لصحافة حجمه النهائي ويبلغ طوله ٩٠ سنتيمتراً وعرضه خمسون ولا يستطيع نقله سوى ثلاثة رجال وهو ذو ٣٠٩ صفحات ضاع منه سبع وقد كتبت كل صفحة على عمودين . وحسبوا ما وضع لهذا الكتاب من الورق فكان ١٦٠ حمرا وحروفه من نوع الكوتيك الصغير واوائل الحروف الكبرى جعلت بالذهب الملون وزينت بالصور وجلده من البوط الغليظ ثمانية اربعة سنتيمترات ونصف واقفاله من الممدن . ولما حرق القصر الملكي في استوكهولم سنة ١٦٩٧ أصيبت هذه التوراة برضوض فطرحوها من النافذة الى الشارع فامطت اقفاها ثم أمضت

- - - - -

## خاتمة السنة الرابعة

نحمد الله تعالى ان وفقنا الى النجاة من مآزق السنة الماضية واقفاه مما يعوق عن التثقف والطبع وانتشر في بلاد اعمتها الجهالة الجبلية وفسدت السياسة الخرفاء قرونا وازمانا . فقد اضطررنا بعد نقل المتنبس من القاهرة الى دمشق ان نعالي السياسة فاصدرنا جريدة يومية باسم المتنبس لندفع الاصلاح الاداري والاقتصادي كل يوم كما يعالج شقيقها الاكبر الاصلاح العلمي والاجتماعي كل شهر وما اعظم ما فاسدنا من

ممارسة اعداد الدولة والامة قد بصوا بنا الدوائر وفي مقدمتهم صنيعه عبد الحميد الخلوع وموجد الجاسوسية في الاستانة ناظم باشا واني سرورية السابق فقد شق عليه مطالقتنا بالاصلاح فقام ينصب لنا شراراً يريد بها اهلاكنا فالحجنا الله منه ولكن بعد ان تحملنا في هذا السبيل وقتاً ومالاً واضطرت هذه المجلة الى الاحتجاب عن قرائها زمناً ولذلك فاننا حسب السنة الماضية من اشق ايام العمر اذ لم نتم فيها بالواجب نحو المشتركين باصدار المجلة في اوقاتها على الصورة المقبولة التي كانت تظهر بها في سنيها الثلاث الاولى واضطرتنا بادىء بدء الى رفض الورق الذي اوصينا عليه من معامل النمسا بداعي مقاطعة البضائع بين البلاد العثمانية والنمساوية ولما لم نجد الورق اللازم للمجلة في بيروت ولا في دمشق اضطررنا الى الطبع على ورق الكتابة على نحو ما تراه في الاجزاء الثلاثة الاولى من هذه السنة ثم توقعنا انتظام الطبعة التي اسمندها فمكاد يعلم عملتها وقد تعدد القائمون بها حتى أغلقت خزانة نحو اربعة شهر . وها نحن اليوم نصدر آخر جزء من سنة ١٣٢٧ اي جزء شهر ذي الحجة في جمادى الثانية من سنة ١٣٢٨ والامول ان يوفق بعد ثلاثة اشهر الى اصدار كل جزء في شهره خصوصاً وقد تفرغنا اكثر من قبل للتأليف والترجمة في الموضوعات التي تتابع البحث فيها

ولقد توفرت لنا المواد خلال رحلتنا الى سوريا وصارت للمقتبس علائق واسعة مع الاندية العلمية في ديار الغرب يتناول مدة الشهر من مطبوعاتها اشياء كثيرة وسيؤثر بحول الله على نقل كل ما يهم هذا الشرق العربي منها ومن المجلات الفرنسية التي ننقل عنها بعد الآن مجلة العالمين والمجلة الآسيوية ومجلة العالم الاسلامي ومجلة الاقتصاديين ومجلة الطبيعة والمجلة الزرقاء والمجلة اوردية ومجلة اترية ومجلة المجلات ومجلة العلم الاجتماعي ومجلة مطائفتنا في البيوت والمجلة التونسية الى غير ذلك من المجلات التي قد نطلع عليها ولكن على طريقة غير منتظمة دع عنك المجلات التركية والعربية . وسيكون في السنة المقبلة حظ واسع لتفخيص المؤلفات الافريقية الحديثة في هذه المجلة والتوسع في الابحاث التي نؤول الى ترقية اللغة العربية وآدابها واجتماع العرب وعلمهم مع تطعيمها على حالة الغرب اليوم فحزج المدينة العربية بالمدينة الغربية لتكون لنا منها مدينة تأخذ من كل شيء احسنه ونسأله تعالى ان يسددنا ويلهمنا رشدنا ويثبت اقدامنا في خطتنا ويقلل خطانا وخطيئتنا انه اكرم مسؤول



## فهرس المجلد الرابع

صفحة	صفحة
٧٢٠	١
١٠٤ و ٩٠	٧٠
٢٠٢	٢٨٥ و ٢٣٢
٢٠٧	٢٠٥
٤٠٩	٧١٤
١٠٩	٧١٤
٦٠٨	٢٠٢
٧٠٠	٤٠٢
٤٣٩	٦٥٥
٥٢٨	٦٤٣
٥٥٤	١٣٥
١٣٦	٧١٧
٤٢٩	٥٨٩
٧١٥	٧٠٩
٥٩١	٥١٨
٧١٥	٥٦
٧٩٢	١٩١
٦٥٥	٥١٨
٣٧٢	١٣٥
٦٤٣	٢٤١ و ١٧٣
٢٠٣	٠٦٥
٥٧٦	٢٠٠
٦٨٣	١٠٦
٢٢١	٧٠٤
الاسلام . تاريخه	اجمات باحث ( كتاب )
الاسلام . الجباية فيه	الابدان والانس . مصالها
الاسلام والمدنية	الآثار العربية
الانسان . صحتها	اثر روماني
اسوج وزوج . الصحة فيها	اثر فينيقي
الاشتقاق والتعريب ( كتاب )	اثنقل شمال
الاصقاع . جمالها	الاجتماع . روحه
اصلاح غلط	الاجراس
الاطفال . صحتهم	الاجسام . ضمايتها
الاطاقر . القراة بها	الاجوبة المرضية ( كتاب )
الاعدام . الحكم به .	الاحسان . التقن فيه
اعظم تذكار للمثابرين الاحرار	الاحمال . حملها
الاعلانات	الأخلاق الحربية
الاعمار . معدلها	الدواب والاشقال
الاعمار والعقليات	الآراء . احترامها
اصحق بشر	ارشاد الاربيب ( كتاب )
اغانة اللفاظ ( كتاب )	الارض وما تحجره
الاعلاط . ضمايتها	اسباب الانقلاب العثماني ( كتاب )
الافرنج . العاملات فيهم	اسبانيا والعمران العربي
اقدم شجرة	الاسبانيون . هجرهم
الاقشة . اسمائها	الاستحمام
الأكل . كيف نخسه	الاسطول . وصفه
الالبان	الاسكدرية . مكتبتها
الالبسة . التمييز فيها	

فهرس المجلد الرابع

ب

صفحة		صفحة	
٢٨١	البشر . حقوقهم	٤٣٩	المائيا . الاسلام فيها
٢١٦	بعد البين (قصيدة)	٧٥١	امالي تاريخية
٧٩١	بغداد . كتاب فيها	٤٣١	الامويون والعباسيون
٧٩١	بغداد . ولايتها	١٨١	الامم والملوك . تاريخهم
٥٢٠	البقر . عددها	٠٦٥	اميركا . الجنون فيها
٥٨١	البقع . ازالتها	٥٢٠	عطايا كليانها
٦٤٨	البقول والأخلاق	٤٣٠	الاميركيون . هباتهم
٠٦٤	البلاد . لغتها	٦٥٥	الانسان . رماده
١٩٣	بلاغة الغرب (كتاب)	٦٤٩	عمره
١٣٣	بتدقية جديدة	١٣٢	كهربائيتها
٠٦٠	البئون والبيات	١٣٢	انكلترا . دار الصناعة فيها
٥٨١	البورصة	٧٠٧	والشرق
٥٩٠	البوستة والمهرسك	٥٢٣	الانكليز . غنى اشرفهم
٠٦٥	بيان وايضاح	٤١٩	الاولائل
٢٧٠	البيض . تجارته	٢٦٨	الاولاد . تبادلهم
***		٥٢٧	الايام . ثقلها
ت		٢٦٦	ايران . شاهها
٩٩٧	التاريخ . تعليمه	٠٧٢	ابقاظ الرقود (قصيدة)
٧٩٢	تاريخ السلاجقة (كتاب)	٢٧٠	ايطاليا . الساعات فيها
٢٩٠	تاريخ التصيرية (كتاب)	٤٣١	ايطاليا . كليانها
٠٧٧	التجارة والاسلام	***	
١٣٥	تحفة الأنام (كتاب)	ب	
٧٩٢	تجارب الامم	٢٧٣	البتول . سكة حديدية به
٧٩٣	تدبير صحة الاطفال (كتاب)	٧١٥	بردسي . مملكته
٦٤٤	التدخين	٠٥٤	برلين . طهارتها
٩٩	التسمم به	٥٢٠	بريطانيا . عظمتها

فهرس للمجلد الرابع

ج

٥٨٠	الجامعة المصرية	٠٦٤	التدخين - مضاره
٠٦٧	الجبين السريع	٥٨٨	التربية الاستقلالية (كتاب)
٧٨٧	الجرائم - عمرها	٥٧٧	تربية البنات (قصيدة)
٠٣٤	الجراد - ابادته	٤٩٣	التربية والامهات (قصيدة)
٤٤٠	الجرذ والقيزان - طردها	٥٨١	والدين
٠٦٩	الجغرافيا والعرب	٢٢٤	تركيا الجديدة (كتاب)
٣٧٤	جمعية العروة الوثقى - تقريرها	٠٦١	التعاويز
٧٦٨	الجوارب - لونها	٥٨١	التعب - جراثيمه
٢٠٣	***		التعليم - التفنن فيه
٥١٤	ح		طريقته
٧٩٨	الحاجيات - غلاؤها	٧١٠	التغذية - درجاتها
٦٥٠	حالة اليمن (كتاب)	٧٩٣	التكاليف او الضرائب
٧٩٦	الحاكي والفنغراف	٠٥٢	التلامذة والاساتذة
٣٧٣	الحروب الاسلامية	١٣٧	التلفون - شركاته
٤٣٧	الحرية في الاسلام (كتاب)	١٩٣	التماشيع المقدسة
٢٧١	حكم الرفيعة	٦٨٨ و ٦٢٢	تموز الحرية (قصيدة)
٣٧٢	صغيرة	٢٧١	التوفير - صناديقه
٢٦٨	الحيوانات - تدجينها	٥٧٩	تواستوي - فلسفته
٤٣٩	« - عمرها	٥٨٨	التيبت - كتبه المقدسة
٥٩٢	***		التزويل - دواؤه

خ

٢٢٩	خالد الكاتب - ديوانه
٢٦٥	خلع السلطان عبد الحميد «كتاب»
	***

د

٥٦٨	دلائل التوحيد «كتاب»
٠٦٧	

ث

٢٦٤٠	ثلاث رسائل
	***

ج

٥٦٨	جالبق وجابلص
-----	--------------




فهرس المجلد الرابع

د

٥٨	الزهور . عداوتها	٥٦٧	دواني القطوف « . »
-----	-----	١٩٢	ديوان رستم « : »
	من	٦٢٠	« الرصافي » : «
٥٨٨	الساعات . تدويرها	٧٩١	« السموأل » : «
١٩٨	السعادة . ادبها		***
٥٨٥	« سرها		ذ
٢٦٧	السكر . استعماله	٣٧٧	التخائر . مخبها
٠٠٣	سنتنا الرابعة	٥٧٢ و ٦٤١	« نظرة في مخبها
٨٠٠	السنة الرابعة . خاتمها	٧١٣	الذهب والفضة
٠٥٥	السويد . الصحة فيها		***
	***		
	ش		ر
٠٠٤	الشام والحرية	٥٧٨	الرأس والشعر . تنظيمها
٢٦٣	شرح ديوان طرفة (كتاب)	٢٦٦	الرتب . الفاؤها
٦٦٩	شذرة ذهب في فن الادب	١٦٩	الرتب والالوية
٧٩٥	الشرب . تطهير ماءه	١٩٢	رحلة الى اليمن (كتاب)
٥٧٨	الشرطة . رجالها	٠٦٨	« الحبشة (كتاب)
٧٩٠	الشرق الاسلامي	٥٥١	الرسالة العذراء
٧٩٠	الشرق الاسلامي . الخطاطون	٣٩٣	رسائل بليخة
٧٩٠	والمصورون فيه	٧٠٦	الرسول . حياته
٦٤٤	الشعر . مقولته	٥٨٠	العدد . صوته
٢٠٢	« . غلظه	٥٨٩	الرميل . بيوته
٧٤٨	الشعري	٥٢٣	الروائح والمغص
٠٣٧	الشعرية		-----
١٣١	الشمس وطول الحياة		ز
٥٢٠	الشوندر . طحيته	٥٧٩	الزكام . علاجه
٧٩٣	الشهاب في الحكم والآداب (كتاب)	١٣١	الزئوج . تعليمهم



فهرس المجلد الرابع

١٤٠	عبد الحميد الخالوع	٥٧٩	الشهقة • علاجها
٧٩٣	عبرة وذكري (كتاب)	٧٩٩	الشيطان • توراته
٤١٤	العثانيون • غنام		-----
٦٥٦	العدد المشوم		ص
٥٢٥	العراق • ريه	٧٩٢	الصحابة • طبقاتهم
٥٠٢	العربية • نهضتها الاخيرة	٦٤٤	الصحافة
١٠٩٠	« والتريكة	٤١٠	« العثمانية
٤٣٠	الخطورات والاخلاق	٣٤٧	الصحة • تدبيرها
١٦١ و ١١٢	العلماء • صراوم	٦٤٩	الصناع • مدارسهم
٥٢٧	العلوم • دارسوها	٢٠٣	الصينيات • ارجلن
٧٠٧	« والتربية الوطنية		ض
٦٤٩	العيد • تقويته	٦٤٢	ضخام الاجسام
٧١٦	العين • صحتها		-----
			ط
	غ		
٦٥٦	غابة عظيمة	٥٢١	الطب الصيني
٦٥٤	الغذاء • افضله	٥٢٣	الطلاق
٦٨٩ و ٦٢٥ و ٥٢٩ و ٤٦٥	الغرب • غرائب	٢٠٢	الطول البشري
٧٥٣ و		٥٩١	الطيور • بكورها
			
	ف		ع
٠٧٠	فتاوى النظم (كتاب)	٢٠٤	العالم • اقتضاؤه
٧٠٢	الفراحة والفنيقيون	٢٥٣	« أكبر الاشياء فيه
٦١٠	الفرد والجماعة • قضاوم	٥٢٢	« الجديد • اكتشافه
٧٩٤	الفرص • مدارسها	٦٤٦	« الحصاد فيه
٧٩٢	الفرق بين الفرق (كتاب)	٧٩٧	« المدارس الالمانية فيه
٥٢٢	فرنسا • الاضواء فيها	٥٢٨	« • معادته

فهرس المجلد الرابع

و

٦٤٤	الفرنسيس . منلوم	ل
٢٧٠	الفواكه . أصلها	
٥٢٧	الفولاذ . معله	
١٥٠	في سلاتيك (قصيدة)	
		
	ق	
٧٠٢	قاطرة كبيرة	
٣٠	القديم والحديث	
٠٦٤	القراءة . ضرفها	
٥٩٣	القضاة والنواب	
٧١٥	القطمان . رجلها	
٣٥٩	قلمون . رحلة الى جبله	
٧١٣	القهوة . معدلها	
		
	ك	
٧٠١	الكتاب . طاداتهم	
١٩٥	كتاب خصائص اللغة العربية	
	( كتاب )	
٧٢١ و ٦٥٧	« العرب	
٧٩٤	كشش مشرفة	
٤٣٧	الكشكة . تراجمها	
١٣٣	الكذب . آله	
١٣٣	كرت . عمرانها	
٥٢٠	الكليات الفرنسية	
١٥٩٠	الكروريون . اخلاقهم	
		
		م
٠٥٦	اللبن الحليب	
٠٥٠	الاسان ( قصيدة )	
٧٩٥	اللغات الحية	
٤٢٥	اللغة العثمانية	
٧٩٢	« العربية	
٢٦٣	العلم في اصول الفقه ( كتاب )	
		
		ن
٧١٦	الماء السائغ	
٧١٢	« الفالي	
٠٥٤	« المقدس	
٢٦٦	المتشردون . قانونهم	
٧١١	المجالس النيابية	
٧٩٣ و ٢٦٥	مجلات جديدة (تقريظ)	
٠٧٠	مجلات وجرائد	
٠٥٣	المجموع العصبي	
١٩٣	محاضرات اديبات الجغرافيا والتاريخ	
	واللغة ( كتاب )	
٢٠٢	المحظورات	
٧١٨	مخطوطات نادرة	
٧٣٦	المرأة	
١٣١	المرسلون . اعمالهم	
٧٩٣	مرشد المائلات ( كتاب )	
٠٥٥	المستقبل . مزرعة	
٢٥٣	المسلمون . حالتهم الاجتماعية	
٧٩١	مصر . تاريخ حكمها	

# فهرس المجلد الرابع

ز

٦٥٤	الذوام	٧٩١	مصر . تاريخ قضائها
٥٧٦	التوراستينا	٤٣٨	المضغ
٠٥٧	النوم	٢٦٨	المطبوعات الالمانية
٢٠٣	النوم الضروري	٣٨٨	« العربية
٥١٩	« مدة	٦٤٣	المظلات . اصلها
	❦	٠٦٦	المري : قصيدة له
	و	٥٢٨	احكرونة . مخترعها
١٣٧	وداع وغتاب « قصيدة »	٧٩٢	مفيد النعم ومبيد النقم ( كتاب )
٤٣٩	الورق . نقوده	٢٠٩	المقيم المقعد
٧٩٣	وشاح الكاتب « كتاب »	٤٤٠	المتشعرون
٣٤٤	وقفه عذر يلديز « قصيدة »	٠٧٢	المنجد ( كتاب )
١٠١	الوليد . مائه	٦٥٣	الموت . علائمه
	***	١١٧	الموسيقى . شرفها
	ا	***	
٧٩٥	الهواء . التربية فيه		ن
٦٤٧	الهواء تقويته	٠٥٣	النبات . حياته
٦٧٤	المائد . استثمارها	٦٥٦	نبات يضيء
٠٦٥	« جرائدها	٠٧٠	نخبة عقد الاجياد ( كتاب )
١٣٤	« الشرقية الهولاندية	٢٠٥	النساء . جمالهن
	❦	١٢١	« قوامهن
	ي	٧١٧	النصائح الصحية . اثمنها
٥٨٩	يابان . الحرفها	٢١٨	الثقل والناقون
		٢٩٣	نكاوتر







